

البحر المفتوح

الحياة الاقتصادية في عالم البحر الأبيض المتوسط القديم من العصر الحديدي حتى ظهور روما

تأليف
J. G. MANNING

ترجمة
د. مصطفى محمد قاسم

١٤٤١هـ
2020

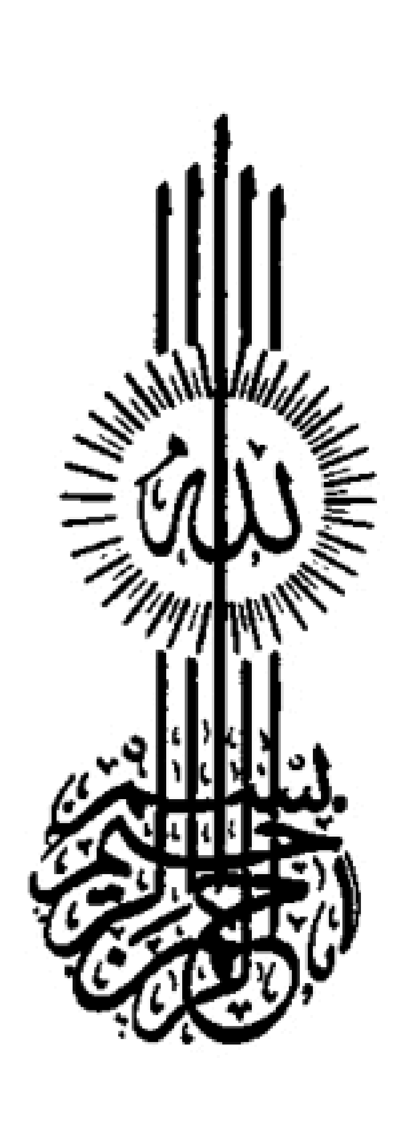
يقدم كتاب "البحر المفتوح" تاريخاً كبيراً جديداً للحياة الاقتصادية في عالم البحر الأبيض المتوسط خلال العصر الحديدي، بدايةً من التجارة الفينيقية، مروراً بالحقبة الهلنستية، حتى بداية السيادة الإمبراطورية لروما. يذهب الكتاب، اعتماداً على مدى واسع من المصادر القديمة وأحدث ما توصلت إليه النظرية الاجتماعية، إلى أن البحث عن "اقتصاد قديم" أوحد متوهم قد حجب تنوع الخبرة الواقعية كما عاشها الناس في عالم البحر الأبيض المتوسط، تلك الخبرة التي انطوت على كل من التغيرات في الاقتصادات السياسية على مر الزمن والاختلافات في التصورات الثقافية للملكية والنقد. ويثبت الكتاب إلى جانب ذلك أن اقتصادات المنطقة غدت أشد ارتباطاً فيما بينها خلال تلك الحقبة.

يمثل الكتاب اختراقاً في مجال التاريخ الاقتصادي لعالم البحر الأبيض المتوسط القديم، ويكشف أن أصول الاقتصاد الحديث تمتد أبعد من اليونان وروما، إلى حضارات مصر والشرق الأدنى القديمين وثقافات البحر الأبيض المتوسط الهلنستية وما قبلها.



https://ksupress.ksu.edu.sa


ISBN 978-603-507-841-2



البحر المفتوح

الحياة الاقتصادية في عالم البحر الأبيض المتوسط القديم من العصر الحديدي حتى ظهور روما

تأليف

J. G. MANNING

ترجمة

د. مصطفى محمد قاسم

أستاذ مساعد في مكتب معالي مدير الجامعة

جامعة الملك سعود



فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

ماتينغ، جوزيف غلبرت

البحر المفتوح: الحياة الاقتصادية في عالم البحر الأبيض المتوسط القديم من العصر الحديدي حتى ظهور روما./ جوزيف غلبرت ماتينغ؛ مصطفى محمد قاسم.- الرياض، ١٤٤١هـ

٦١١ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٢ - ١٤١ -٨٤١ - ٥٠٧ - ٦٠٣ - ٩٧٨

١- اليونان - الأحوال الاقتصادية ٢- البحر المتوسط - تاريخ أ. قاسم، مصطفى محمد (مترجم) ب. العنوان

ديوي ٣٣٠,٩٤٩٥ ١٤٤١/٧٢٩٨

رقم الإيداع: ١٤٤١/٧٢٩٨

ردمك: ٢ - ١٤١ -٨٤١ - ٥٠٧ - ٦٠٣ - ٩٧٨

هذه ترجمة عربية محكمة صادرة عن مركز الترجمة بالجامعة لكتاب:

The Open Sea The Economic Life Of The Ancient Mediterranean Word From The Iron Age To The Rise Of Rome
By: J. G. MANNING

وقد وافق المجلس العلمي على نشرها في اجتماعه الثامن للعام الدراسي ١٤٤١هـ المنعقد بتاريخ ١٢/ ٤/ ١٤٤١هـ الموافق ٩/ ١٢/ ٢٠١٩م.



مقدمة المترجم

يقدم كتاب "البحر المفتوح" تاريخا جديدا كبيرا للحياة الاقتصادية في عالم البحر الأبيض المتوسط خلال العصر الحديدي، من التجارة الفينيقية إلى الحقبة الهلنستية وبداية السيادة الإمبراطورية لروما. اعتمادا على مدى واسع من المصادر القديمة وأحدث ما توصل إليه الفكر الاجتماعي، يذهب مانينغ إلى أن البحث عن "اقتصاد قديم" وحيد متوهم قد حجب تنوع الخبرة المعاشة في عالم البحر الأبيض المتوسط، ومن ضمن ذلك التغيرات في الاقتصادات السياسية على مر الوقت والاختلافات في التصورات الثقافية للمِلكية والنقد، ويبيّن كيف أصبحت اقتصادات المنطقة مترابطة أكثر فأكثر خلال هذه الفترة.

يذهب الكتاب إلى أن الأساس لفهم التغير الاقتصادي والاجتماعي السريع خلال العصر الحديدي يتمثل في العديد من الحلول الاقتصادية والسياسية التي ابتكرتها الثقافات المختلفة، وأنماط التلاقح الثقافي، والتضادات البيئية الحادة بين مصر والشرق الأدنى واليونان وروما. يتقصى الكتاب القوى الدافعة طويلة المدى للتغير، مثل المناخ، جنبا إلى جنب مع المؤسسات الاقتصادية للبحر الأبيض المتوسط ما قبل الحديث: العملة والنقد والزراعة والمِلكية الخاصة. كما يتقصى دور التطور الاقتصادي والدول والمؤسسات القانونية في الاقتصادات المختلفة في المنطقة.

يقدم الكتاب تاريخا اقتصاديا مغايرا وجديدا لعالم البحر الأبيض المتوسط القديم، كاشفا أن أصول الاقتصاد الحديث ترجع إلى ما هو أعمق تاريخيا من اليونان وروما، إذ يدمج الكتاب مصر والشرق الأدنى في اقتصادات البحر الأبيض المتوسط، ويؤكد أن الاقتصادات الكلاسيكية اليونانية-الرومانية بُنيت على مقومات ومؤسسات من اقتصادات مصر والشرق الأدنى القديمين.

لقد دخل التاريخ الاقتصادي حلقة مفرغة من الجدل العقيم حول ما يمكن تسميته "الاستزراع"، أي استزراع الاقتصاد الحديث في العصور القديمة الكلاسيكية اليونانية-الرومانية، إذ

انقسم المؤرخون ودارسو الاقتصاد بين من يرد نشأة الاقتصاد الحديث إلى الاقتصادات الكلاسيكية، ويعد هذه الاقتصادات بالتالي "حديثة" في العصر القديم، ومن يرفضون أن هذه الاقتصادات قد اشتركت في أي شيء مع الاقتصاد الحديث. وفيما يتعلق باقتصادات الشرق الأوسط القديم (باستخدام المصطلح الحديث الذي يجمع شمال أفريقيا وغرب آسيا، حيث توجد مصر والشرق الأدنى القديمان)، فإن هناك إجماعاً على أنها لم تشترك في شيء، لا مع الاقتصادات الحديثة ولا مع الاقتصادات الكلاسيكية، فكانت مصر- في مذهبهم- مثالا للركود التقني والاقتصادي، وظهرت نظريات تفسر ذلك منها نظرية نمط الإنتاج الشرقي ونظرية الاستبداد الشرقي ونظرية الوصول المحدود في مقابل نظرية تطور الديمقراطية الأثينية.

كان هذا الجدل في بدايته تنويريا وكاشفا لمآلات تطور هذه المجتمعات في العصر الحديث أو حتى اللحظة الراهنة، إذ استخدم التاريخ الاقتصادي (والسياسي والثقافي والاجتماعي ضمنا) لتفسير التفاوت الحديث والمعاصر بين هذه المجتمعات، وإن كانت هناك شبهة أنه يفعل العكس، بمعنى أنه يفسر التاريخ بناء على مآلات الحاضر. لكن حتى مع أخذ هذه الشبهة القاتلة الأخيرة في الحسبان، ظل تناول التاريخ الاقتصادي، وتوسعا علم الاجتماع التاريخي، كاشفا وتنويريا، وينتج نظريات كبرى وسرديات كبرى، ويجذب كبار مفكري العالم ومنظريه من أمثال ماكس فيبر وكارل ماركس وكارل فيتفوغل وكارل بولاني وكارل بوتزر وموزيس فينلي ومايكل مان وغيرهم ممن حاولوا قراءة التاريخ الإنساني والخلوص إلى نظريات تفسر الوضع الراهن للدول والمجتمعات بالرجوع إلى تطورها التاريخي "الفارق".

لكن متى نشأ جدل "الاستزراع" العقيم للاقتصاد الحديث في العصر القديم؟ نشأ هذا الجدل ضمن تطور مفهوم "الافتراق" الذي فطن المفكرون الغربيون إلى أنه باعد بين مجتمعات أوروبا الغربية وبقية العالم بداية من الثورة الصناعية إبان النصف الأول من القرن التاسع عشر، وهي الفكرة عينها التي طورها كينيث بوميرانز Kenneth Pomeranz مؤخرا إلى مفهوم "الافتراق الكبير" great divergence. تذهب هذه النظرية، وهي مُحِقّة في مذهبها، إلى أن افتراقا كبيرا في الأداء الاقتصادي العالمي حدث حول عام ١٨٠٠، حيث افترقت مجتمعات أوروبا الغربية عن بقية العالم في الأداء الاقتصادي، بفضل الثورة الصناعية والابتكار التقني والأسواق المفتوحة والأفكار الجديدة مثل آدم

سميث وغيرها. وحدث جدل الاستزراع مع تبني هذه الفكرة ومناقشتها وتطويرها، فمن باب تفسير فكرة الافتراق، أخذ المؤرخون ودارسو الاقتصاد- دون وعي في الغالب- يرجعون بجذور الافتراق إلى ما قبل عام ١٨٠٠، وصولا إلى العصر القديم.

فبغرض تفسير منشأ الافتراق الذي حدث في نحو عام ١٨٠٠ في الأداء الاقتصادي بين "الغرب" و"الشرق" أو "الشمال" و"الجنوب"، أخذ المؤلفون يعودون بهذا الافتراق إلى عصور أقدم، حتى أصبحوا- دون وعي- يطالبون النظم الاقتصادية "القديمة" بأن تكون "حديثة"، ويطالبون العصر "القديم" بأن يكون "حديثا"، وهي محاولات عقيمة تنسف التحقيبات الزمنية المتعارف عليها، وتقع في حبائل الإسقاط التاريخي أو المفارقة التاريخية، كأنها تحاكم العصر القديم لأنه كان قديما ولم يكن حديثا، وكأنها تحاكم العصر القديم لأنه لم ينتج التقنيات والابتكارات "الحديثة" أو الصانعة للعصر الحديث، أو لأنه لم ينتج الفكر الاقتصادي "الحديث" أو السوق أو النقل الحديثين.

والأغرب من ذلك، وهو ما يفوت على كل المؤرخين الاقتصاديين ودارسي الاقتصاد القديم الغربيين، هو أن هذا الاستزراع يسقط حقبة ومكانا تاريخيين، تليا اقتصادات "الركود" تاريخيا ومكانيا، ويفترض أنهما كانا المدخل إلى الاقتصاد الحديث، وهي منطقة الشرق الأوسط الإسلامي (وتوسعا العالم الإسلامي من طنجة إلى آتشيه) خلال العصور الوسطى. شهدت هذه المنطقة (العالمية في مداها) خلال القرون من السابع إلى الخامس عشر (تتطابق زمنيا مع عصور الظلام الأوروبية) سوقا عالميا، نشط خلاله تجار خاصون من مصر والمشرق واليمن والهند وجنوب شرق آسيا، وأنتجوا أفكارا وممارسات وتقنيات كانت "حديثة" بكل معنى الكلمة. يكشف تجاهل تلك الفترة وذلك المكان نقيصة "الانحياز لأوروبا" أو "التمركز حول أوروبا" التي يكتب المؤلفون الغربيون كثيرا عن تجاوزها، لكنهم لا يتجاوزونها أبدا، إما بسبب التحقيب الذي يعتبر العصور الوسطى عصور ظلام، أو بسبب ضيق الأفق في الكتابة التاريخية والتناول التاريخي، أو بسبب عدم إتاحة مصادر تلك الحقبة وذلك المكان للمؤلفين الغربيين، مثل إتاحة المصادر الأقدم المكتوبة باللغات الأوروبية.

أين موقع الكتاب الحالي من هذا الجدل؟ ينتمي الكتاب إلى هذا الجدل ويسهم فيه، لكنه يفترق عنه في محاولة إثبات أن اقتصادات الشرق الأوسط القديم، تحديدا اقتصاد مصر القديمة، وتوسعا

اقتصاد الشرق الأدنى القديم، لم تكن تختلف عن الاقتصادات الكلاسيكية (اليونانية والرومانية)، بل كانت مكونات مترابطة ضمن عالم اقتصادي واحد وثقافات تبادلت التأثير.

يضع الكتاب الحالي مصر والشرق الأدنى ضمن الاقتصاد القديم جنبا إلى جنب مع الاقتصادات الكلاسيكية، مبرزا عمليات التأثير والتأثر بين الحضارات القديمة والاقتصادات الكلاسيكية، فيؤكد أن مصر كانت خلال الحقبتين السايسية والبطلمية جزءاً من البحر الأبيض المتوسط، وإن مدن الدلتا المصرية كانت أقرب إلى وضعية الدول المدينية المستقلة، وأن وجود اليونانيين في مصر عزز اندماجها في عالم البحر الأبيض المتوسط.

يعتمد الكتاب على أدلة جديدة في دراسة التاريخ الاقتصادي، من أهمها بيانات المناخ القديم المشتقة من العينات اللبية الجليدية وعينات الرواسب من البحيرات والكهوف، ويربط هذا الأرشيف الطبيعي بالأرشيف البشري، من خلال ربط أحداث طبيعية ومناخية مثل البراكين في نصف الكرة الأرضية الشمالي، المستمدة من عينات لبية جليدية من جزيرة غرينلاند على سبيل المثال، بمستوى فيضان نهر النيل كما سُجل في الأرشيف البشري من البرديات وعلم الآثار.

يُنظَم الكتاب بحسب الموضوعات، إذ لا يقدم سردية واحدة جامعة، بل سلسلة من المقالات تتناول موضوعات مختلفة مترابطة. ينقسم الكتاب إلى بابين، يبدأ الباب الأول المعنون "التاريخ والنظرية" بمقدمة ترجع إلى جذور الجدل حول طبيعة "الاقتصاد القديم"، كما تطور على نحو متلازم مع مجال علم الاقتصاد، ويقدم الفصل الثاني بعنوان "الاقتصادات القديمة: مراجعة من التجار الفينيقيين حتى ظهور الإمبراطورية الرومانية" مناقشة عامة لتاريخ الألف الأول قبل الحقبة المشتركة ومراجعة موجزة للمصادر المتاحة لفهم اقتصادات البحر الأبيض المتوسط، ثم يتحول في الفصل الثالث بعنوان "الزمان والمكان والجغرافيا واقتصادات البحر الأبيض المتوسط القديم" إلى أحد أصعب جوانب دراسة الاقتصادات القديمة، وهو ما يسميه المؤلف مشكلات تعيين الحدود الزمنية-المكانية.

وفي الباب الثاني بعنوان "البيئة والمؤسسات"، يتحول المؤلف إلى فحص المؤسسات الأساسية في اقتصادات البحر الأبيض المتوسط القديم، ويناقش حركية الحث التبادلي بين البيئة والمؤسسات الاقتصادية والعوامل التطورية التي وقفت وراء التغير المؤسسي. تشكل الزراعة والعمل، وهما موضوع الفصل الرابع، الأساس لكل الاقتصادات ما قبل الحديثة، وتوضح دراسة مقارنِة موجزة هنا

أنه كان هناك العديد من الحلول المؤسسية لتنظيم الإنتاج الزراعي، وهي حلول اعتمدت في معظمها على الهِبات البيئية والظروف المناخية المتباينة لحوض البحر الأبيض المتوسط، وهي الظروف التي يتقصاها المؤلف بمزيد من التفصيل في الفصل الخامس بعنوان "حدود الاقتصادات ما قبل الحديثة: البيئة والمناخ والتغير المناخي"، الذي يناقش العلاقة بين الحدود المادية لعالم البحر الأبيض المتوسط والمناخ والتغير المناخي والسكان وعلاقتها بالاقتصادات السياسية للعالم القديم، ودور التغير المناخي باعتباره إحدى القوى الدافعة للتغيير الاجتماعي.

يتقصى الفصل السادس الأفراد والمنازل باعتبارهم فاعلين اقتصاديين، وهنا يناقش المؤلف بإيجاز السكان والعلاقة بينها وبين "الدولة" التي شهدت تنوعا كبيرا في الأحجام والحلول المؤسسية السياسية. ثم يأتي الفصل السابع بعنوان "تطور الفكر الاقتصادي في العالم القديم: النقد والقانون والمؤسسات القانونية"، ليتقصى كيف تطورت التغيرات في مفهوم النقد والنظام القانوني بالتلازم مع تزايد أنماط التلاقح الثقافي. ثم يناقش الفصل الثامن والأخير بعنوان "النمو والابتكار والأسواق والتجارة"، المجالات الأساسية للاقتصادات القديمة التي كانت أساسية لفهمها، وكانت- وما تزال- خلافية ومحل جدل محتدم. ويختتم الكتاب بخاتمة توجز ما أراد المؤلف إثباته بشأن الاقتصادات القديمة عموما، واقتصاد مصر والبحر الأبيض المتوسط تحديدا، ومجالات الدراسات المستقبلية ونوعية الأدلة الجديدة التي يمكن الإفادة منها.

أخيرا، يتمنى المترجم أن يكون الكتاب الحالي إضافة إلى المكتبة العربية في مجال التاريخ الاقتصادي وتاريخ البحر الأبيض المتوسط والتاريخ الاقتصادي لمصر والشرق الأدنى، ويشكر المترجم مركز الترجمة بجامعة الملك سعود على جهوده في تيسير عملية الترجمة، ابتداء من الحصول على موافقة الناشر الأجنبي حتى تحكيم الكتاب وإقراره للنشر، فللمركز وإدارته ومنسوبيه كل الشكر على تعاونهم ودعمهم الذي لولاه لما ظهر هذا العمل المترجم إلى النور.

المترجم

تصدير

بدأتُ التفكير قبل بضع سنوات، بتعبير أحد كبار دارسي الاقتصاد خلال القرن العشرين، في تأليف "كتاب صغير حول موضوع كبير"[1]. وجاءت النتيجة النهائية أضخم وأبعد قليلا عما جال في خاطري في الأصل، لكنني نجحت- في اعتقادي- في وضع كتاب كبير بعض الشيء حول موضوع مهول في الوقت الراهن. يقدم الكتاب مناقشة عامة، وأكرر أن الكتاب يقدم مناقشة عامة وحسب، للنظم الاقتصادية الرئيسة في عالم البحر الأبيض المتوسط خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة، من بداية العصر الحديدي حتى نهاية الحرب البونيقية الثانية[1] (نحو عام ٢٠١ ق.ح[2])، وهو الوقت الذي شهد تحولا في القوة السياسية والعسكرية، كان البداية لعملية الهيمنة الرومانية على حوض البحر

---

(١) يُتخذ القرن الثاني عشر قبل الحقبة المشتركة عموما بدايةً للعصر الحديدي، وإن اختلفت بدايته من مكان لآخر بحسب استعمال الحديد هنا وهناك، وقد بدأ في الشرق الأوسط والهند واليونان بين عامي ١٥٠٠ و١٠٠٠ ق.ح، وبدأ متأخرا عن ذلك في أوروبا. [المترجم]

الحروب البونيقية Punic Wars (٢٦٤-١٤٦ ق.ح) سلسلة من ثلاث حروب كبرى وقعت بين روما وقرطاج، سميت على الاسم الذي أطلقه الرومان على القرطاجيين بسبب أصولهم الفينيقية Poenici، وقعت على أراضي أوروبا وأفريقيا وصفحة البحر الأبيض المتوسط، انتقل النصر خلالها بين الطرفين، لكن كان النصر النهائي لصالح روما التي أزالت قرطاج من الوجود بعد أن كانت قوة عظمى في عالم البحر الأبيض المتوسط. [المترجم]

(٢) لم يعد النظام التقليدي لتقسيم التاريخ إلى ما قبل ميلاد المسيح (ق.م) وما بعده (م) يلقى استحسانا بسبب تمرسه داخل تقاليد دينية بعينها، لذلك أخذ المؤلفون يستعيضون عنه بمفهوم الحقبة المشتركة common era التي تبدأ أيضا من ميلاد المسيح، وبناء على ذلك يشير الاختصار "ق.ح" إلى "قبل الحقبة المشتركة" .before the Common Era; B.C.E (بديلا عن "ق.م")، ويشير الاختصار "ح.م" إلى "من الحقبة المشتركة" Common Era; C.E (بديلا عن "م"). [المترجم]

الأبيض المتوسط كاملا. معنى ذلك أنني أتبنى نطاقا للتحليل أكبر مما هو معتاد[٣]، إذ أغطي زهاء ثمانمائة سنة من التاريخ المعقد، ما قد يجعل الكثير من المؤرخين يرتابون في قلة التفاصيل، بل إنني في بعض الموضوعات، مثل الإدارة المنزلية[٤]، أرجع أبعد من ذلك زمنيا، لإثبات أشكال الاستمرارية البنيوية المهمة. يساعد "النطاق المتوسط" meso-scale الذي توفره فترة الثمانمائة سنة في جمع التخصصات الفرعية الكثيرة في مجال التاريخ القديم على طاولة واحدة، وذلك لطرح السؤال: كيف يمكن أن نفهم التغيرات الكبرى التي شهدها عالم البحر الأبيض المتوسط في أنحائه كافة خلال هذه القرون؟ علما بأن كتاب موزيس فينلي المؤثر "الاقتصاد القديم" (Moses Finley, The Ancient Economy, 1973) قد وضع نموذجا للاقتصادات الكلاسيكية يغطي ألفا وخمسمائة سنة، من بداية الحضارة اليونانية حتى نهاية الإمبراطورية الرومانية[٥].

على أنني- مع ذلك- لا أسرد قصة وحيدة في هذه الصفحات، بل بالأحرى أريد أن أجدل العديد من القصص المختلفة التي أدت إلى توحيد البحر الأبيض المتوسط تحت سيطرة روما. ومع أن النطاق الزمني عند فينلي كان صحيحا نوعا ما، فإنه تغافل تماما عن توسع العصر الحديدي المبكر

---

(٣) يشير النطاق الزمني timescale إلى الفترة التي يغطيها التحليل التاريخي، والمصطلح مأخوذ من التأريخ الجيولوجي الذي يقسم تاريخ الأرض إلى عصور أو حقب طويلة. وتستخدم كلمة "النطاق" وحدها للإشارة إلى الامتداد الزمني أو المكاني بحسب السياق. [المترجم]

(٤) بناء على تعريفه في الفصل السادس من الكتاب الحالي، يشير مصطلح المنزل household ومشتقاته إلى شخص واحد أو أكثر يعيشون تحت سقف واحد ويتشاركون الطعام والمعيشة، قد تربطهم أو لا تربطهم صلة قرابة، مثل الأسرة النووية وخدمها وأتباعها، ويمكن أن يشمل المفهوم أيضا ممتلكات الأسرة. وينصرف المصطلح تحديدا إلى الأسرة التي تعيش في بيت واحد، وأيضا إلى بيتها المادي. [المترجم]

(٥) العالم الكلاسيكي أو العصر القديم الكلاسيكي Classical Antiquity حقبة طويلة من التاريخ الثقافي المتمركز حول البحر الأبيض المتوسط للحضارتين المترابطتين اليونان وروما القديمتين اللتين تعرفان معا باسم العالم اليوناني- الروماني، وهي فترة ازدهار المجتمعين اليوناني والروماني وتأثيرهما الكبير على أوروبا وشمال أفريقيا والشرق الأوسط، تبدأ من أول الشعر اليوناني المدون لهوميروس إبان القرنين الثامن والسابع قبل الحقبة المشتركة، مرورا بظهور المسيحية، حتى انهيار الإمبراطورية الرومانية. [المترجم]

وغرب آسيا ومصر والحقبة الهلنستية عموما[٦]. كان الألف الأول قبل الحقبة المشتركة فترة من التحول الجذري في التاريخ الاقتصادي لعالم البحر الأبيض المتوسط. صحيح أنه لم تحدث "انطلاقة رأسمالية" capitalist takeoff، كما تسرّع فينلي إلى إثبات ذلك[٢]، لكن النظر إلى الاقتصادات القديمة من هذا المنظور استباق إلى الثورة الصناعية، في حين أن ما يعنيني هنا- عوضا عن ذلك- هو العالم الاقتصادي فيما قبل روما، وإنجازات هذه الحضارات، وكيفية تغلبها على المشكلات، والتأثير الشديد الذي مارسه التلاقح الثقافي cross-cultural exchange على التغير الاقتصادي.

لدي هدفان رئيسان من الكتاب، الأول هو تقصي التطورات والاتجاهات الأخيرة في دراسة اقتصادات البحر الأبيض المتوسط خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة، والثاني هو تقديم رواية واسعة ومقدمة لمادة الخبرة البشرية كما عاشها الناس في حوض البحر الأبيض المتوسط خلال تلك القرون، وإن كانت محاولة التغطية الشاملة حماقة لا جدال. على أنني لا أستطيع أن أتناول كل الموضوعات التي يتقصاها الكتاب بذلك التناول الشامل الذي أتمناه، لذلك ركزتُ على مصر والشرق الأدنى والنصف الشرقي من البحر[٧]. على أن كل فصل في الكتاب يحتاج إلى تقصٍ بطول كتاب مستقل

(٦) ثمة تمييز بين الحقبتين الهلنية والهلنستية. تغطي الحقبة الهلنية Hellenic period (من اسم Hellen [هيلين] ابن ديوكاليون Deucalion وبيرا Pyrrha، وهو بحسب الأسطورة الجد الأعلى لليونانيين Hellenes) طوري نشأة الحضارة اليونانية وازدهارها (اليونان العتيقة خلال القرون ٨٠٠-٥٠٠ ق.ح، واليونان الكلاسيكية خلال القرنين الخامس والرابع قبل الحقبة المشتركة)، وتشير بالتالي إلى الحضارة اليونانية الخالصة من التأثيرات الأجنبية. في حين تغطي الحقبة الهلنستية Hellenistic period (من الكلمة الحديثة Hellenist التي تعني الأخذ عن الثقافة الهلنية أو موالاتها) تاريخ البحر الأبيض المتوسط من موت الإسكندر الأكبر في عام ٣٢٣ ق.ح حتى ظهور الإمبراطورية الرومانية الذي أعلن عن نفسه بمعركة أكتيوم في عام ٣١ ق.ح، وتشير إلى أوج القوة والتأثير الثقافي اليونانيين في أوروبا وشمال أفريقيا وغرب آسيا، وإلى امتزاج الحضارة الهلنية مع الحضارات الشرقية. [المترجم]

(٧) على خلاف التعريف الواسع للشرق الأدنى القديم في علم الآثار والتاريخ القديم الذي يشمل الحضارات القديمة في المنطقة التي تسمى حاليا الشرق الأوسط، وهي بلاد ما بين النهرين ومصر والمشرق وآسيا الصغرى وإيران وشبه الجزيرة العربية وجزر شرق المتوسط، يستخدم الكتاب الحالي المصطلح للإشارة بالدرجة الأولى إلى بلاد ما بين النهرين القديمة التي شملت العراق الحالي وشمال غرب إيران وشمال شرق سورية والكويت، ويوسع أحيانا ليشمل مصر والمشرق. [المترجم]

يجريه فريق من المتخصصين، لكن ما أريد أن أفعله- عوضا عن ذلك- هو أن أنقل إلى القارئ متعة دراسة الاقتصادات ما قبل الحديثة في الوقت الحاضر، فضلا عما أرى أنه بعض الأفكار المهمة التي ينبغي تقصيها خلال السنوات القادمة.

توجد في صميم هذا الكتاب محاولة لفهم التطور الاقتصادي economic development خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة، وهي فترة تميزت بتغير سياسي واقتصادي واجتماعي كاسح في الكثير من أنحاء العالم[٨]. على أنني أفترق عن معظم الأعمال السابقة حول الاقتصادات ما قبل الحديثة في فهم حضارات البحر الأبيض المتوسط خلال العصر الحديدي على أنها كيانات ثقافية مترابطة ضمن مناطق بيئية وجغرافية معينة، وأنها ليست منفصلة بحال من الأحوال. توجد حاليا أدبيات وفيرة في علم الاقتصاد تبيّن أهمية المؤسسات ودورها، وما يضيفه التاريخ ما قبل الحديث إلى ذلك هو إبراز كيف كانت المؤسسات مشروطة تاريخيا ومحتومة ثقافيا. فلا شك أن التغير المناخي والتكيف البشري معه والهجرة والسكان وأنماط التلاقح الثقافي كانت عوامل بالغة الأهمية في تغيير المجتمعات والتوازنات السياسية. وإذا كانت الحدود الثقافية والزمنية بين حضارات الشرق الأدنى القديم والعالم الكلاسيكي تُرسم أحيانا بصرامة تنطوي على شيء من المبالغة، فإن هذا الفصل المصطنع بين العالم "الكلاسيكي" وعالم "الشرق الأدنى القديم" وعالم "مصر" يحجب التلاقح الثقافي ضمن ما كان منطقة كبيرة شملت غرب آسيا وشرق البحر الأبيض المتوسط، أي "المركز الغربي"[٣].

على أن دمج الحضارة "القديمة" و"الحضارة الكلاسيكية" في حد ذاته يغفل الكثير من التطور والتفاعل والتغير الأطول أمدا. فلا ريب أن التأثيرات الفارقة للتغير المناخي والتدرجات القوية في المطر والري بين أقاليم البحر الأبيض المتوسط الرئيسة والوديان النهرية للنيل ودجلة والفرات قد لعبت أدوارا مهمة في مسارات التطور. على أن منظور العصر الحديدي الأوسع يعدل فهمنا للتغير

كما يأتي لاحقا في هذا الكتاب، ينقسم البحر الأبيض المتوسط إلى "حوضين فرعيين" على جانبي مضيق صقلية، مساحة الشرقي منهما ضعف مساحة الغربي. [المترجم]

(٨) لم تكن "التنمية الاقتصادية" بهذا المعنى المقصود واردة في سياق الدول والمجتمعات ما قبل الحديثة، لذلك يترجم مصطلح economic development إلى "التطور الاقتصادي"، وأيضا لتمييزه عن مصطلح "النمو الاقتصادي" economic growth. [المترجم]

المؤسسي، ويحسّن فهمنا لإنجازات العالم "اليوناني-الروماني"، إذ وصلت روما للسيطرة على البحر الأبيض المتوسط بعمليات مماثلة، أدت إلى الافتراق الأوروبي اللاحق بسبب تطور أوروبا الأسرع في المنافسة التكيفية وفي التقنية العسكرية، وهو شيء أثبته هيرودوت عن اليونانيين[٤]. غير أننا ينبغي أن ننظر إلى هذه المزايا التنافسية من منظور "علم اقتصاد العصر الحديدي" الأطول أمدا. ويمكن تفسير "الافتراق الصغير" خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة عن طريق مزيج من الابتكار العسكري والجبائي من جانب اليونانيين أولا، ثم الرومان لاحقا[٩]. لكن ثمة عوامل مهمة أخرى لعبت دورا، كان من بينها هِبات الموارد الطبيعية (مثل الفضة كما أثبت زينوفون Xenophon وهو يكتب إبان القرن الرابع قبل الحقبة المشتركة معتبرا إياها "هِبة من العناية الإلهية" لليونانيين)[١٠]، والاختلافات البيئية (الري في مقابل الزراعة الجافة[١١])[٥].

---

(٩) الافتراق divergence أو الافتراق الكبير great divergence فكرة روّجها المؤرخ كينيث بوميرانز Kenneth Pomeranz في كتاب له بهذا العنوان الأخير، وقدمها أيضا إريك جونز Eric Jones باسم المعجزة الأوروبية European miracle، تشير إلى العملية التي تمكن من خلالها الغرب، تحديدا غرب أوروبا ونسله في العالم الجديد، من التغلب على قيود النمو التي كبلت العالم ما قبل الحديث، والانبثاق خلال القرن التاسع عشر باعتباره- أي الغرب- الحضارة العالمية الأكثر قوة وثراء، متجاوزا هند العصور الوسطى والصين الاتشينغية والعالم الإسلامي وكوريا الجوسونية واليابان التكوغاوية. وفي الكتاب الحالي، يضيف المؤلف أن افتراقا صغيرا minidivergence قد حدث خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة، كان مقدمة للافتراق الكبير وممهدا له. [المترجم]

يشير النظام الجبائي fiscal regime/system إلى تحصيل الدولة الضرائب والعائدات وانتزاع الجباية لخزينة الدولة وللأشغال العامة، مع الأخذ في الحسبان أن الجباية لم تكن تُحَصَّل نقدا في حقب التاريخ المبكر، بل في شكل سلع وعمل، وعليه تُعرَّب الصفة fiscal على امتداد النص إلى "جبائي". [المترجم]

(١٠) ترتيب القرون واحد قبل الحقبة المشتركة وخلالها، وذلك لأن بداية الترتيبين واحدة، وهي ميلاد المسيح. لكن الفترة التي يغطيها القرن الواحد تسير في اتجاهين متضادين قبل الحقبة المشتركة وخلالها، لأنها تسير في الحالتين من الأقدم زمنيا إلى الأحدث، ومثال ذلك أن القرن الثاني عشر قبل الحقبة المشتركة يشير إلى الفترة ١١٩٩-١١٠٠، ويشير نفس القرن خلال الحقبة المشتركة إلى الفترة ١١٠٠-١١٩٩. بسبب هذا الترتيب العكسي، يكون ترتيب عقود القرن الواحد عكسيا قبل الحقبة المشتركة كما يأتي في حاشية لاحقة. [المترجم]

(١١) الزراعة الجافة dry farming هي الزراعة التي تعتمد اعتمادا كليا على مخزون التربة من الأمطار من الفصل المطير السابق، وبالتالي لا تقوم على المطر مباشرة ولا على الري. [المترجم]

تنطوي المزايا التنافسية على آليات ثنائية الاتجاه للتغذية الراجعة، لذلك أذهبُ على امتداد الكتاب إلى أننا يجب أن نفهم المجتمعات ما قبل الحديثة على أنها أنظمة تكيفية معقدة تميّزت بتغذية راجعة إيجابية وسلبية، وإن كان الوقوف على التطور المتلازم coevolution "للعمليات الطبيعية والبشرية عن طريق العديد من حلقات التغذية الراجعة الإيجابية والسلبية" لا يزال غائبا تماما حتى الآن عن دراسة الاقتصادات ما قبل الحديثة[٦]. فيمكننا- على سبيل المثال- أن نرى عمل آليات التغذية الراجعة في تطور المؤسسات الديمقراطية، وفي إقامة إمبراطوريات ضخمة، وفي الاستجابات المجتمعية للتغيرات المناخية[٧]. فلم تكن السياسة وحدها هي القوة الدافعة وراء فترات التوسع الاقتصادي، بل مزيج من العوامل، شملت الظروف المناخية المواتية، والنمو السكاني، والمؤسسات التي كان من بينها مؤسسات قانونية وفرت الحماية لحقوق المِلكية. فأنا أحاول- قبل كل شيء- أن أقدم إطارا تكيفيا تطوريا لفهم اقتصادات الألف الأول قبل الحقبة المشتركة، وهي فترة تميزت بتنامي الدمج السياسي ودمج الأسواق، وانتشار الكثير من الأفكار الاقتصادية المهمة (العملة ومجموعات القوانين) في كل حدب وصوب[٨]. فمع أن القوة العسكرية وبناء الإمبراطورية كانت عوامل حاسمة في التغير السياسي، فإن هناك أشياء كثيرة أخرى يجب أخذها بنظر الاعتبار لفهم الأداء الاقتصادي. لذلك أسعى في الوقت عينه إلى إبراز كل من الظروف المكبِّلة والتمكينية في الاقتصادات ما قبل الحديثة التي فرضتها المؤسسات والبيئات وتفسر الاختلافات في الأداء.

لقد أصبحت دراسة الاقتصادات ما قبل الحديثة خلال الأربعين سنة الأخيرة مجالا واسعا ومثيرا، كما تبرهن على ذلك قائمة المراجع التي رجعتُ إليها والتي تركز على الأعمال المنشورة باللغة الإنجليزية فقط، وليست شاملة بحال من الأحوال[٩]. غير أن النقاش في هذا المجال هيمنت عليه دراسات الاقتصادات الإمبراطورية الرومانية واليونانية، حتى صارت عبارة "البحر الأبيض المتوسط القديم" تشير حصرا إلى الاقتصاد "الروماني"، وحتى صار "الاقتصاد القديم" غالبا صفرا لا أكثر بالنسبة للاقتصاد الأوروبي المبكر[١٠]. لكن خلال السنوات الأخيرة، اكتسبت دراسات الاقتصاد المصري القديم واقتصادات الشرق الأدنى القديم زخما، وتنتج حاليا فهما مختلفا للعلاقة بين اقتصادات الشرق الأدنى ومصر والاقتصادات الكلاسيكية. وأصبح بمقدورنا حاليا أن نرى بوضوح تام أن التلاقح الثقافي كان جزءا حيويا من اقتصادات البحر الأبيض المتوسط على امتداد الألف الأول قبل

الحقبة المشتركة. لقد اكتسب التاريخ العالمي رواجا، وغدت المقارنات مع التاريخ الصيني المبكر شائعة، وكذلك دراسة تجارة المسافات الطويلة، لا سيما جذور تجارة طرق الحرير[11]. كذلك أصبح من الممكن أن تزودنا الأعمال التي أجريت حول مجتمعات العالم الجديد بمنظورات جديدة تماما حول اقتصادات البحر الأبيض المتوسط. فلا ينبغي علينا- على سبيل المثال- أن نحصر أنفسنا في دراسة أسواق تحديد الأسعار price-setting markets، وذلك لأن الاقتصادات الأزتكية "بدون العمل المأجور والمِلكية الخاصة والعملات الرسمية ومؤسسات الائتمان والإقراض وأشكال النقل الكفوءة، كانت أحد أكثر نظم الأسواق تطوراً في العالم القديم"[12][12].

يقودني ذلك إلى القول بأن البحر الأبيض المتوسط المفتوح والتفاعلي الذي جمعت بين جماعاته البشرية ارتباطاتٌ من نقطة إلى أخرى ضمن ذلك البحر، وكذلك ارتباطات بين البحر ومنطقة واسعة من أوراسيا[13]، يعد أفضل إطار للألف الأول قبل الحقبة المشتركة، ولعل ذلك هو ما جعل أوراسيا "أنشط" منطقة في التاريخ العالمي[13]. على أن كلمة "مفتوح" لا تعني بالضرورة "مترابطا"، ولا تعني بالضرورة "مجزأ"، وهما موضوعان أساسيان في الأعمال الأخيرة حول البحر الأبيض المتوسط ما قبل الحديث، كما يأتي في الفصل الثالث من الكتاب، لكنها تستخدم بمعنى العالم "المشترك" المشروط تاريخيا، على نحو ما وصف مولي غرين Molly Greene البحر الأبيض المتوسط خلال العصر الحديث المبكر[14][14]. فهناك قوى دافعة عدة دفعت التبادل الثقافي والاقتصادي، وينبغي علينا خلال الألف

(١٢) الأزتك Aztecs ثقافة ازدهرت في أمريكا الوسطى، تحديدا في المكسيك الأوسط، ما بين عامي ١٣٠٠ و١٥٢١ ح.م، اتخذت شكل الدول المدينية التي دخل بعضها في تحالفات أو اتحادات أو إمبراطوريات، كانت لهم مدنا كبيرة ومؤسسات اجتماعية وسياسية ودينية، انتهت دولتهم بسقوط عاصمتهم تينوشتيتلان Tenochtitlan أمام الغزاة الإسبان بقيادة إرنان كورتيس Hernando Cortés في عام ١٥٢١. [المترجم]

(١٣) أوراسيا Eurasia كلمة منحوتة من كلمتي أوروبا وآسيا، وتشير بذلك إلى كتلة اليابسة الممتدة للقارتين في نصفي الكرة الأرضية الشمالي والشرقي، من المحيط الأطلسي غربا إلى المحيط الهادي شرقا، ويحدها شمالا القطب الشمالي وجنوبا البحر الأبيض المتوسط والمحيط الهندي. [المترجم]

(١٤) وفقاً للتحقيب الغربي، يبدأ العصر الحديث من نحو القرن السادس عشر، ويقسم إلى العصر الحديث المبكر (من معالمه عصر النهضة وعصر الاستكشاف) والعصر الحديث المتأخر الذي يبدأ من نحو منتصف القرن الثامن عشر (من معالمه الثورة الفرنسية والثورة الصناعية والافتراق الكبير). وقبل العصر الحديث، غطت العصور الوسطى القرون من الخامس إلى الخامس عشر وبدأت بانهيار الإمبراطورية الرومانية الغربية وانتهت بسقوط الإمبراطورية البيزنطية،

الأول قبل الحقبة المشتركة أن نعامل شمال البحر الأبيض المتوسط على أنه مرتبط سياسيا واقتصاديا بغرب آسيا وشمال أفريقيا ومصر.

ثمة معنى آخر لكلمة "مفتوح" أنوي أن أتعقبه في هذا الكتاب، وهي المقاربة التي ينبغي أن تتبناها البحوث المستقبلية حول الاقتصادات ما قبل الحديثة، بأن تكون أكثر انفتاحا ونفاذية على الكثير من المسارات الأكاديمية المختلفة. لا يقتصر ذلك وحسب على التخصصات الإنسانية ممثَّلة في اللغات القديمة بالدرجة الأولى، بل يشمل مجموعة كاملة من العلوم الاجتماعية والعلوم الفيزيائية والبيولوجية. فلا بد أن يكون المبدأ الموجه لنا هو دعوة كارل بوتزر Karl Butzer إلى العمل العابر للتخصصات بين دارسي العلوم الإنسانية وعلماء الاجتماع والطبيعة والفيزياء والبيولوجيا، لذلك أضم صوتي إلى صوت روبرت مكورميك أدامز Robert McCormick Adams في دعوته إلى "إسقاط الحدود"[١٥]. على أنني لا أعني بالعمل "العابر للتخصصات" أن يجري متخصصو الدراسات الكلاسيكية ودارسو الشرق الأدنى مناقشات لطيفة وهم يشربون القهوة (وإن كان ذلك مسارا لا غبار عليه)[١٥]، بل أعني بالأحرى أننا يجب أن نفكر في البحوث بالطريقة التي ينظر بها علماء البيولوجيا إلى مفهوم "التقارب" convergence[١٦]، إذ ينبغي أن يعير المؤرخون المزيد من الانتباه إلى علم الآثار، وأن تُشكّل فرق من المتخصصين للتعامل مع مشكلات بعينها. فلم تعد دراسة المجتمعات القديمة تتطلب المهارات الفيلولوجية ومهارات القراءة المدقّقة وحسب[١٦]، بل صارت في حاجة كذلك إلى القراءة الواسعة في المجالات الأثرية والعلمية. فقد أصبح مؤرخو ما قبل العصر الحديث مطالبين

وتقسم إلى العصور الوسطى المبكرة التي تسمى عصر الظلام (القرون من الخامس إلى العاشر) والعصور الوسطى الوسيطة (القرون من الحادي عشر إلى الثالث عشر) والعصور الوسطى المتأخرة (القرنان الرابع عشر والخامس عشر). وقبل العصور الوسطى، يمتد العصر القديم الكلاسيكي (راجع حاشية لاحقة حوله) حتى القرن الثامن قبل الحقبة المشتركة، الذي يشكل جزءا من التاريخ القديم الذي يرجع إلى أواخر الألف الرابع قبل الحقبة المشتركة. [المترجم]

(١٥) تعنى الدراسات الكلاسيكية classics بدراسة العالم القديم الكلاسيكي بمعناه الوارد في حاشية سابقة، وتحديدا اللغة والأدب اليوناني القديم واللاتيني الكلاسيكي، وكذلك الفلسفة والتاريخ وعلم الآثار المرتبط بهاتين الحضارتين. [المترجم]

(١٦) الفيلولوجيا philology دراسة اللغة بوصفها أداة للتعبير في الأدب وحقلا من حقول البحث يلقي ضوءاً على التاريخ الثقافي للشعوب. [المترجم]

حاليا بأن يقرأوا مجلات "نيتشر" و"ساينس" و"سِل"[١٧]، جنبا إلى جنب مع المجلات المعتادة في مجال التاريخ والعلم الاجتماعي. وتعد النظرية التطورية الثقافية وعلم الوراثة وعلم البيولوجيا القديمة وعلم المناخ القديم أربعة ليس إلا من عدد كبير من المجالات العلمية التي ستلعب دورا مهما في فهم التغير التاريخي في العالم ما قبل الحديث[١٧][١٨]. كما أن بناء نماذج أشد تعقيدا للسلوك البشري والتعرف على العلاقات السببية في حلقات التغذية الراجعة، يتطلبان أن يفهم المؤرخون الإسهامات الممكنة للعلوم الاجتماعية والفيزيائية والبيولوجية. ولا ريب أن بعض المؤرخين لن يتقبلوا فكرة أننا يجب أن نكون ملمين بالأعمال في العلوم البيولوجية أو الجيوفيزيائية[١٩]، لكن ذلك ضرورة في اعتقادي، إن أردنا أن نحقق تقدما. يعني ذلك أن بعضا من عملنا على الأقل يجب أن ينظم في شكل فرق مرنة تُعنى بالإجابة عن أسئلة بعينها وحل مشكلات بذاتها، بدل أن يواصل كل منا العمل منفردا في دراساته.

وبالنظر إلى أن "التاريخ محفِّز للخيال الاقتصادي"، فإن الاقتصادات ما قبل الحديثة تقدم معلومات ثرية ومهمة حول تنظيم المجتمعات البشرية في الماضي وتعاملها مع المشكلات، ولعل الأهم من ذلك هو أن دراسة السلوك الاقتصادي ما قبل الحديث تعد مختبرا لفهم التغير المؤسسي[١٨]. لذلك يعد الفهم الواسع والعميق للاقتصادات ما قبل الحديثة جزءا مهما، وإن ظل مهملا حتى الآن، من فهم عالمنا المعاصر. لكن التاريخ ليس خطيا، ولم يكن مسيرة تقدمية مطردة من العصر القديم إلى الثورة الصناعية، وما يمكن أن نفعله بالمادة القديمة هو أن نفهم العمليات التاريخية على المدى الطويل. إن

---

(١٧) "نيتشر" Nature و"ساينس" Science و"سِل" Cell من أهم المجلات العلمية المحكمة في العلوم. [المترجم]

(١٨) البيولوجيا القديمة أو البيولوجيا الإحاثية paleobiology تخصص علمي جديد يجمع بين مناهج علم البيولوجيا ونتائجه ومناهج علم الإحاثة paleontology (علم يبحث في أشكال الحياة في العصور الجيولوجية السابقة كما تمثلها المتحجرات أو المستحثات الحيوانية والنباتية) ونتائجه، ويستخدم البحوث الميدانية البيولوجية حول أشكال الحياة الحالية والمستحثات القديمة للإجابة عن أسئلة التطور الجزيئي والتاريخ التطوري للحياة. [المترجم]

يُعنى علم المناخ القديم paleocimatology بدراسة التغيرات في المناخ على نطاق تاريخ الأرض كاملا، مستفيدا من العديد من مناهج البحث التمثيلية (راجع حاشية لاحقة حولها) من علوم الأرض والحياة، للحصول على البيانات المحفوظة في أشياء مثل الصخور والرواسب والألواح الجليدية والحلقات الشجرية والشعاب المرجانية والأصداف والأحافير الدقيقة، بغرض الوقوف على حالة المناخ في مختلف مناطق الكرة الأرضية والفترات والحقب التاريخية. [المترجم]

(١٩) الجيوفيزياء أو فيزياء الأرض geophysics فرع من علوم الأرض يدرس العمليات والخصائص الفيزيائية للأرض والبيئة المحيطة بها باستخدام مناهج البحث الكمية. [المترجم]

الكلمات الثلاث جميعها ضمن عبارة the ancient economy [الاقتصاد القديم] إشكالية، فلم يكن هناك شيء من قبيل الاقتصاد القديم مُعَرَّفا بالألف واللام، كما أن كلمة "القديم" مبهمة من حيث الزمان والمكان، وكذلك كلمة "الاقتصاد" محملة بالكثير من الافتراضات الحديثة والنظرية الحديثة التي لا يمكن تطبيقها ببساطة على ظواهر العالم القديم بسبب الشبكات المتداخلة للقوة الاجتماعية التي تجعل من غير الممكن عزل السلوك والمؤسسات الاقتصادية عن السلوك والمؤسسات الدينية والعسكرية والسياسية[19]، تماما كما أنه من غير الممكن عزل السلوك الاقتصادي باعتباره دائرة منفصلة من النشاط البشري في العالم المعاصر. وفي هذا الجانب، يمكن للتاريخ القديم أن يرشّد العالم المعاصر.

إنني أدخل إلى هذا الكتاب بافتراضات عدة، منها (١) أن الدراسة الواسعة للأبنية والمؤسسات الاقتصادية القديمة مهمة لمجال التاريخ الاقتصادي الأوسع، (٢) أننا لا يجب أن نشغل أنفسنا بدعوة رانكه Ranke لأن نقول "كيف كان الحال فعلا"، إذ إن مهمتنا الأساسية تتجاوز تفسير التغير على مر الزمن إلى تفسير استمرارية المؤسسات، (٣) أننا يجب أن نتجاوز الجدل الوجودي، ونحتاج في ذلك إلى إطار تطوري لنطاقات زمنية أطول يُفهم خلالها التغير قصير المدى، (٤) أن الطبيعة المتباينة والمجزأة لمصادرنا تتطلب إطارا نظريا واسعا يُفهم خلاله التغير والاستمرارية[20]. إن تفسير التغير هو العمل الذي يبرع فيه المؤرخون، لكنه يمكن أن يتبدد بسبب العبء الذي تفرضه مجموعة الأدلة "الصارمة"، والتخصص في اللغات، والميل إلى السرديات النثرية الفخمة أو التركيز الحصري على مجموعة ضيقة من المواد[21]. إن التاريخ مهم، وكذلك التحليل الاقتصادي والثقافة، لذلك لا يجب أن يقصي بعضها بعضا، مع أن التاريخ الثقافي، وهو إطار مهيمن في الدراسات الكلاسيكية، يمكن أن يحجب حقائق موضوعية[22]. وتأسيسا على ذلك فإن الأدلة المستمدة من الكثير من المجالات، منها العلوم الطبيعية والتخصصات الرئيسة ممثَّلة في الفيلولوجيا والبليوغرافيا وعلم الآثار وعلم النُمّيّات(٢٠)، ينبغي أن تُصنف وتُحلل معا.

---

(٢٠) البليوغرافيا paleography علم يدرس نظم الكتابة والنقوش القديمة. [المترجم]

يُعنى علم النُمّيّات numismatics بجمع ودراسة القطع النقدية والميداليات والأوراق المالية والمسكوكات القديمة عموما. [المترجم]

ثمة خلفية أكاديمية غير معتادة نوعا ما ترشّد مقاربتي العامة للعالم ما قبل الحديث، تتألف من ثلاثة أشياء تركت فيّ أثرا عميقا، أولها صيف أمضيته في كامبسفيل Kampsville في إلينوي Illinois عندما كنتُ في المدرسة الثانوية. كانت هذه البلدة النهرية الصغيرة مركزا لأعمال تنقيب في مناطق واسعة على امتداد وادي نهر إلينوي تحت إشراف مركز الآثار الأمريكية Center for American Archaeology ومدرسته الصيفية بقيادة استيوارت استروفر Stuart Streuver وفريقه من "علماء الآثار الجدد" New Archeologists (كانت تلك هي الطريقة المفضلة لكتابة لكلمة archaeology حينذاك) الذين كانوا يعيدون كتابة التاريخ المبكر للشعوب الأصلية في وديان نهري الميسيسبي وإلينوي[٢٣]. كنتُ في كل يوم يمر أشعر بحماسهم، وما زلت أتذكر عَبّارة المركبات النهرية الصغيرة التي كانت تعبر بنا نهر إلينوي إلى هذه البلدة الصغيرة (بلغ عدد سكانها في عام ٢٠١٠ ثلاثمائة وثمانية وعشرين شخصاً) التي كانت مع ذلك تعج بأعمال التقصي العلمي، وحتى اليوم ما زالت أشعر بالرهبة في كل مرة أعبر فيها الميسيسبي إلى شمال تلك العَبّارة مباشرة، وأنظر إلى ذلك النهر المهيب والمشاهد الضبابية لأرض إلينوي الزراعية الخضراء التي تمتد على مرمى البصر.

عملتُ في موقع استيطان موسمي صغير يرجع إلى حقبة الغابات المبكرة[٢١]، أي نحو عام ٢٠٠ ق.ح (وهو للعجب التاريخ الذي يشكّل بؤرة بحوثي والحد النهائي للكتاب الحالي). وفي أمسية حارة ورطبة، قدم جورج بيدل George Beadle محاضرة لا تنسى حول علم الوراثة لمحصول الذرة الصفراء لقاعة مزدحمة بالحضور في مختبر مسوح مقاومة التربة Soil Resistivity Survey. تعلمتُ الكثير في ذلك الصيف حول ما يقدمه العلم الطبيعي من نواحٍ عدة لإعادة بناء الماضي. وفي ذلك الصيف، أصبحتُ ماديًا، وأعترفُ بأن الأيام لم تنل من هذه القناعة[٢٢]، وأصبحت عالما آثار متخصصا في العالم الجديد، لكنني بعد التخرج قررتُ أن أتابع شغف الطفولة بعلم المصريات. كان إعدادي في الدراسات العليا

---

(٢١) حقبة الغابات Woodland Period حقبة ضمن تصنيف الثقافات الأثرية في أمريكا الشمالية ما قبل الكولومبية، تمتد من نحو عام ١٠٠٠ ق.ح حتى الاتصال الأوروبي بشرق أمريكا الشمالية في أوائل القرن السادس عشر من الحقبة المشتركة، تشمل مواقع من جماعات الصيد والجمع القديمة والثقافات الزراعية في حوض الميسيسبي. [المترجم]

(٢٢) اتساقا مع الفلسفة المادية materialism التي ترجِع التغير الاقتصادي والاجتماعي إلى العوامل المادية، يؤكد المؤلف الحالي دور البيئة والتغير المناخي واستجابات الإنسان لها باعتبارها من القوى الدافعة الأساسية للأداء الاقتصادي والتغير في اقتصادات البحر الأبيض المتوسط القديم، لا سيما مصر والشرق الأدنى. [المترجم]

في المعهد الشرقي Oriental Institute بجامعة شيكاغو University of Chicago، وكانت درجة عملية صارمة تركز على اللسانيات التاريخية للغة المصرية وقراءة المخطوطات المتصلة المختلفة. كان ذلك الإعداد تقليديا ونظاميا وطويلا للغاية. وفي أسبوعي الأول بكلية الدراسات العليا، قرأتُ كتاب كارل بوتزر "الحضارة الهيدروليكية المبكرة في مصر" Early Hydraulic Civilization in Egypt الذي ترك فيّ انطباعا لا يمحى[٢٣]، وما زلتُ أتذكر تلك الليلة في الطابق الخامس بمكتبة ريغنستاين Regenstein Library التي قرأتُ فيها الكتاب لأول مرة. وعلى النقيض تماما من إعدادي اللغوي، كانت أول حلقة دراسية أحضرها في شيكاغو في الربيع لأرنلدو موميليانو Arnaldo Momigliano (من أواخر محاضراته على ما أعتقد) ولورنس استيجر Lawrence Stager بعنوان "النماذج الاقتصادية والدينية في العالم القديم" Economic and Religious Models of the Ancient World، كانت مليئة بطلاب السنوات النهائية والأساتذة، وكنا- على ما أتذكر- اثنان فقط من طلاب السنة الأولى بالدراسات العليا نأخذ هذا المقرر لإكمال الساعات المعتمدة، ولا نعرف بالضبط ذلك المقرر الذي وقّعنا على اختياره. لم أكن أعرف ما هو "النموذج" model، ولا كيف يمكنني أن أكتب ورقة متماسكة، ولا كيف انتقل من المصادر النصية إلى النموذج؟ أم كان المفترض أن أسير في الاتجاه المعاكس؟ كانت غرفة الحلقة الدراسية المزدحمة تضج بالنقاش كل أسبوع وتلتهب بالأفكار والمنظورات المختلفة، والقليل من الخلافات المريرة. وتماما كما فعل كتاب بوتزر، ترك فيّ هذا المقرر أثرا هائلا لم أدركه إلا متأخرا جدا[٢٤].

شيئا فشيئا، نما لديّ افتتان بالمراحل الأخيرة من تاريخ مصر القديمة، لا سيما البرديات الوثائقية المكتوبة بالخط المصري الديموطيقي demotic script. رأيتُ أن ذلك المجال ينطوي على مستقبل مبشر، وأن هذه البرديات تحتوي بيانات ساحرة حول الأفراد والأسر، لا يوجد لها نظير في

---

(٢٣) الحضارة الهيدروليكية أو المائية Hydraulic Civilization هي الحضارة أو المجتمع القائم على بنية اجتماعية أو سياسية (دولة) تحوز السلطة بفضل سيطرتها الحصرية على الوصول إلى الماء، الناشئة عن السيطرة على الفيضان والري اللذين يتطلبان تنسيقا مركزيا وبيروقراطية متخصصة، من أمثلتها التاريخية حضارات مصر وبلاد ما بين النهرين والسند والصين. يستخدم هذا المصطلح، ومعه الإمبراطورية الهيدروليكية hydraulic empire، مرادفا لمصطلح الاستبداد الشرقي oriental despotism الذي سكه المؤرخ كارل فيتفوغل في كتابه "الاستبداد الشرقي: دراسة مقارنة للسلطة الشمولية" Oriental Despotism: A Comparative Study of Total Power. [المترجم]

العالم القديم. وبعد الامتحانات الكثيرة المؤهلة للدكتوراه في سنتي الرابعة التي اجتزتها بصعوبة بالغة، رتب لي الدارس الفذ للغة المصرية الديموطيقية والزميل في كلية سيلوين Selwyn College جون راي John Ray فرصة لم أكن لأفوّتها للانتقال إلى جامعة كامبردج Cambridge University التي وصلتها بعد أسبوعين من وفاة موزيس فينلي، وهناك أتاح لي الحظ السعيد أن أجلس في حلقات دراسية في الاقتصاد القديم لكيث هوبكنز Keith Hopkins وبيتر غارنسي Peter Garnsey، وفي القانون اليوناني لبول كارتليدج Paul Cartledge. عملتُ مع جون راي على نصوص ديموطيقية، ومع دورثي تومسن Dorothy Thompson التي قرأتُ معها النصف الأول من مجموعة ضخمة من الوثائق اليونانية البطلمية التي تشكل المجلد الأول من الكتاب الرائع "وثائق الحقبة البطلمية" Urkunden der Ptolemäerzeit، في وقت كانت دورثي تعمل فيه على الكتاب الذي نُشر بعنوان "منف في عهد البطالمة" Memphis under the Ptolemies الذي نفذت طبعته الثانية حاليا(٢٤)، وما زلتُ أحتفظُ بالملحوظات التي دونتُها. كما حضرتُ مقرراً رائعاً حول النسخة اليونانية من كتاب "رسالة إلى الغلاطيين" في مدرسة ديفينتي Divinity School(٢٥). وقد كان من حسن حظي أني التقيتُ مجموعة متحمسة من طلاب الدراسات العليا المتقدمين والمبتدئين، وسرعان ما أدركتُ، وأنا أجلس في مقهى الكلية بعد حلقة دراسية مثيرة، أنني من خلال التحدث معهم بانتظام كنتُ في قلب عمل طليعي في التاريخ القديم. كانت محادثاتنا رفيعة الثقافة ومقارِنة وواسعة، واكتشفتُ أن مصر الألف الأول قبل الحقبة المشتركة يمكن أن توضع في سياق مماثل. لقد فُتحت عيناي في تلك السنة على عالم جديد من الفرص والإمكانات.

كنتُ كلما قرأتُ المزيد، أذهلتني حقيقة أن مصر كانت ولا تزال مستبعدة من النقاشات العامة حول الاقتصادات القديمة. وتساءلتُ كيف يمكن إغفال حضارة ظلت لغتها قيد الاستخدام على

---

(٢٤) ينسب البطالمة Ptolemies إلى بطليموس الأول المنقذ Ptolemy I Soter (٣٦٧-٢٨٣ ق.ح)، وهي السلالة التي استقلت بحكم مصر بعد غزو الإسكندر الأكبر، بداية من عام ٣٠٥ ق.ح حتى معركة أكتيوم البحرية ووفاة كليوباترا في عام ٣١ ق.ح. [المترجم]

(٢٥) "رسالة إلى الغلاطيين" book of Galatians إحدى رسائل العهد الجديد، تنسب إلى الرسول بولس، وموجهة إلى كنائس إمارة غلاطية Galatia الرومانية التي كانت تقع على جزء من دولة تركيا الحالية، كتبها بولس لإثبات رسوليته التي شكك فيها المسيحيون من أصل يهودي، ولإثنائهم عن اتباع شريعة موسى، وإثناء المسيحيين من أصول وثنية عن اتباع اليهود السابقين في أمور مثل الختان. [المترجم]

مدار ثلثي التاريخ البشري المدوّن وتركت ذلك الأثر الكبير على شرق البحر الأبيض المتوسط؟ كيف يمكنني أن أضع المادة المصرية المتأخرة المثيرة في حوار مع المناطق الأخرى؟ تضع التخصصات اللغوية الحدود بين التخصصات الأكاديمية في العلوم الإنسانية، بمعنى أنها تضع المتخصصين ضمن الدراسات الكلاسيكية أو علم المصريات أو علم الآشوريات أو الصين المبكرة وما إليها، وكل منها مخصص لدراسة مجموعة واحدة من اللغات والمخطوطات. يضمن ذلك أن تأتي معالجة الظواهر الاقتصادية من وجهات نظر ناشئة من المادة النصية والأثرية ومن مكان وزمان محددين، لكنه ينتج أنواعا ضيقة ومبتورة من التواريخ، ويمكن أن يغفل القوى الدافعة الأكبر للتلاقح الثقافي، وتأثير التغير المناخي عبر الفضاء الجغرافي الأكبر، وانتشار التغير التقني، وما إليها.

أتيحت لي في جامعة استانفورد Stanford ميزة الزملاء الأجلاء الذين تعلمتُ الكثير من كل واحد منهم، وهناك حضرتُ على مدار العقد الأول من القرن الحادي والعشرين سلسلة محفِّزة من ورش العمل والحلقات الدراسية والمؤتمرات برعاية منفردة من مبادرة معهد تاريخ العلم الاجتماعي Social Science History Institute بقيادة استيف هابر Steve Haber أو بشراكة من المبادرة مع مؤسسات أخرى. وحضرتُ ورش عمل وحلقات دراسية لا تحصى في علم الاقتصاد، وكان من حسن حظي أني حضرتُ مقررا عاما في علم الاجتماع الاقتصادي كان مارك غرانوفيتر Mark Granovetter يدرّسه، ومقرر تاريخ القانون الأمريكي الذي كان يدرّسه عميد ذلك المجال لورنس فريدمان Lawrence Friedman في كلية استانفورد للحقوق Stanford Law School. وتعرفتُ عن قرب على دوغلاس نورث Douglass North وآفنر غريف Avner Greif وبيري واينغست Barry Weingast وغافن رايت Gavin Wright. كما أسهم زملائي السابقون في التاريخ القديم إيان موريس Ian Morris وجوزايا أوبر Josiah Ober وولتر شايدل Walter Scheidel في تشكيل أعمالي. وما زلتُ أكنُّ امتنانا خاصا لموريس الذي شاركتُ تحت إشرافه في تأليف مقرر عام حول علم الاجتماع الاقتصادي لعالم البحر الأبيض المتوسط القديم، كان الأصل لبعض أفكاري الكبيرة حول التاريخ القديم[٢٥]. واستضفتُ مع إيان لقاء دعونا إليه متخصصين في المجتمعات القديمة المختلفة وعلماء اجتماع واقتصاد ومؤرخين اقتصاديين وعلماء سياسة وعلم اجتماع اقتصادي لمناقشة أوراق متخصصة، وأنتجنا في عام ٢٠٠٥ كتابا صغيرا للإشادة باثنين من كتب موزيس فينلي، حاولتُ فيه أنا وموريس أن نضع جدول

أعمال، شمل دمج مصر والشرق الأدنى القديمين ضمن سياق المعالجة الأوسع "للاقتصاد القديم"، أو مناقشتهما ضمنه على أقل تقدير. وأظن أننا كنا واقعين تحت تأثير اجتماع "المدينة المنيعة" الشهير الذي عُقد في شيكاغو في عام ١٩٥٨ بحضور كوكبة شديدة التنوع من الدارسين جلسوا حول طاولة واحدة[٢٦][٢٦]. كذلك تتردد أصداء كتاب موريس الملهم "لماذا يسيطر الغرب حاليا" (Why the West Rules—for Now, 2010) على امتداد كتابنا هذا.

انتقلتُ إلى جامعة يل Yale في عام ٢٠٠٨، وهناك أيضا تعرفتُ على زملاء من ذهب، أحاطوني برعايتهم. وهنا تمثلت قاعدتي الأساسية، إذا جاز التعبير، في مجموعة التاريخ الاقتصادي النشطة خوسيه إسبين سانشيس José Espin-Sanchez وتِم غينين Tim Guinnane وناعومي لامورو Naomi Lamoreaux ونويل لينسكي Noel Lenski وفرانشيسكا تريفيلاتو Francesca Trivellato، ومجموعة التاريخ القديم نويل لينسكي وأندرو جونستون Andrew Johnston وجيسيكا لامون Jessica Lamont، وهم جميعا زملاء رائعون، كان كل منهم في مواضع مختلفة سخيا في مقترحاته أو قراءة عملي ونقد ما ذكرته أو ما لم أذكره فيه. ولا يفوتني أن أشكر صديقي وزميلي هارفي وايس Harvey Weiss الذي علمني الكثير حول علم المناخ القديم، وراي برادلي Ray Bradley من جامعة ماساتشوستس في أمهيرست U Mass–Amherst الذي قدم لي مساعدة سخية في هذا الجانب. تتضمن لائحة الشكر أصدقاء وزملاء آخرين قدموا المادة أو النقد لمسودات الكتاب. وكذلك تعلمتُ الكثير من صديقي بيتر تيرتشن Peter Turchin من جامعة كنيتيكت University of Connecticut على عشائنا

(٢٦) ربما سُمي الاجتماع "المدينة المنيعة" City Invincible، وكذلك الكتاب الذي انبثق عنه، على عبارة للشاعر ولت وايتمان Walt Whiteman من قصيدة له بعنوان "رأيت في حلمي" I Dreamed In A Dream جاء فيها: I dreamed in a dream, I saw a city invincible to the attacks of the whole of the rest of the earth; I dream'd that was the new City of Friends ["رأيت في حلمي مدينة منيعة أمام هجمات بقية الأرض قاطبة، حلمت أنها كانت مدينة الأصدقاء الجديدة]، وهي العبارة التي كانت العنوان الرئيس للكتاب، فيما كان هذان البيتان من القصيدة العنوان الفرعي، والإشارة إلى مدينة الأصدقاء تعني اجتماع المتخصصين على اختلاف مشاربهم لمناقشة قضايا التاريخ القديم، ما يعطي استنتاجاتهم مناعة ضد الزلل. [المترجم]

الشهري معاً، وتعلمتُ من عملي ضمن فريق مشروع سشات للتاريخ العالمي Seshat global history project الذين كانوا أسخياء في تعليقاتهم[٢٧](٢٧).

كان اعتقادي قبل بضع سنوات هو أن دراسة الاقتصادات القديمة بلغت ذروةً أخذت البحوث والكتابة بعدها تتباطأ، وأنه لم يعد هناك الكثير مما يثير الاهتمام، هكذا كان اعتقادي. ثم قمتُ بتدريس مقرر عام لطلاب ما قبل التخرج في جامعة يل، وجاء جمع بعض الأعمال الأخيرة حول بضعة موضوعات ليغير رأيي تماما. فما يزال المجال يشهد الكثير من الأحداث، وما زالت الأحداث تتلاحق سريعا، وتتطور بالتلازم مع تخصصات أخرى على نحو بالغ الإثارة، وتتضخم الأدبيات بمادة جديدة وأفكار جديدة ومقاربات جديدة، وسرعان ما أدركتُ أنني يمكن أن أكتب كتابا يوجز كتابات "الاقتصاد القديم" التي ظهرت خلال العقد الأخير أو نحوه، وليس الأربعة عقود الأخيرة بأي حال من الأحوال.

بيد أنني أريد بدلا من ذلك أن أعطي القارئ إحساسا بما يحدث وأين تتجه الأعمال المستقبلية، وأرى في ذلك أن هناك مجالين محددين سيشكلان الأعمال المستقبلية على نحو مؤثر، الأول هو الأعمال التفصيلية لتفسير التغير بالنماذج الحركية dynamic models، وأعتقد أن النظريات التطورية مبشرة في هذا المجال. أما المجال الثاني الذي يعبر عن اهتمامي في الوقت الحاضر، فهو بلوغ فهم أفضل لتسبب المناخ والتغير المناخي في استجابات مجتمعية في مجتمعات البحر الأبيض المتوسط ما قبل الحديثة وتكبيل هذه المجتمعات.

بإعادة صياغة كلام مؤرخ التخوم الأمريكية الكبير فريدريك جاكسون تيرنر Frederick Jackson Turner، أقول إن كل جيل من المؤرخين يكتب تاريخه، وأزيد على ذلك أنه يوجد بيننا حاليا، كما لم يحدث من قبل، تشكيلة هائلة من أنواع الكتابة التاريخية، تتراوح من التاريخ الجزئي microhistory إلى التاريخ العالمي global history الذي يمثل الموضة حاليا[٢٨]. ولا يختلف الحال في النظرية الاقتصادية عن ذلك، إذ من الواضح أن كل جيل- أو كل أزمة اقتصادية على الأقل- من آدم سميث Adam Smith حتى اللحظة الراهنة، يضع نظرياته وتفسيراته. ويشهد الوقت الحالي رواجا

(٢٧) سُمي هذا البرنامج على اسم إلهة الحكمة والمعرفة والكتابة وحارسة النصوص والسجلات في مصر القديمة سشات التي يعني اسمها "التي تدوّن". [المترجم]

للتواريخ "الضخمة" mega histories أو التواريخ "العميقة" deep histories التي تبحث عن منظورات تطورية حول التاريخ البشري وحول المؤسسات البشرية، من منظور التاريخ الأطول أمدا والتاريخ العالمي، وحتى تاريخ الكون كاملا[٢٨][٢٩]. كما تنتشر مقاربات التاريخ الجزئي التي لا تُقدَم غالبا بهذا الاسم ولا تشير إلا إشارة عابرة إلى الأدبيات الضخمة أو النقاشات الكثيرة في المجال[٣٠]. تعد هذه المقاربات ناتجا عرضيا طبيعيا لأنواع الأدلة الأرشيفية التي وصلت إلينا من العالم القديم[٣١]، لكن لا سبيل أمامنا لمعرفة ما إذا كانت دراسة الحالة هذه أو تلك تمثل عالمها فعلا أم لا.

إننا نعيش في عالم مشوَّش ومعقد، لكن العالم ما قبل الحديث أو ما قبل الصناعي كان معقدا هو الآخر، بل كان في بعض النواحي أشد تعقيدا من العالم الحديث، ولا ريب أنه لم يكن أقل تشوَّشا[٣٢]. ومع ذلك فإن عدد البشر على الكوكب كان أقل كثيرا، وكان عالمهم أكثر هشاشة. وبالنظر إلى ذلك، فإن إمكانية ترسيخ توازنات سياسية عبر إقليم شاسع ومعقد على مدار قرون كاملة في المرة الواحدة تعد من الأمور اللافتة للانتباه. ينحو العلماء الاجتماعيون إلى بناء نماذج للعالم يختبرون بها البيانات، وهذه النماذج تتحسن باطراد، في حين ينحو المؤرخون أصحاب توجه العلوم الإنسانية إلى الاحتفاء بتعقيد المجتمع والمصادر التي يدرسونها، ولا يلتقي الاثنان إلا نادرا[٣٣].

يقوم الكتاب الحالي على مسلمة مؤداها أن فهم التطورات التاريخية والثقافية لأوائل الألف الأول قبل الحقبة المشتركة وأخذها بنظر الاعتبار يعد في الأساس جزءا مهما من فهم الاندماج الاقتصادي المتزايد لعالم البحر الأبيض المتوسط على اتساعه خلال الحقبتين الهلنستية والرومانية (أي بعد عام ٣٠٠ ق.ح على وجه التقريب)[٢٩]. معنى ذلك أن التلاقح الثقافي، وخبرة تكوين

(٢٨) يسمى هذا النوع من الكتابة التاريخية أيضا التاريخ الكبير Big History وهو فرع معرفي ناشئ يتقصى التاريخ من الانفجار العظيم حتى الحاضر عبر أطر زمنية طويلة وباستخدام مقاربة متعددة الفروع المعرفية من خلال الجمع بين الكثير من الفروع المعرفية من العلوم الطبيعية والإنسانية، ويتقصى الوجود الإنساني في سياق هذه الصورة الأوسع. [المترجم]

(٢٩) فيما قبل الحقبة المشتركة تشير كلمتا "أوائل" و"أواخر" (و"مطلع" و"نهاية"، و"أول" و"آخر") إلى عكس دلالتيهما خلال الحقبة المشتركة. فقبل الحقبة المشتركة، تشير عبارة "أوائل الألف الثالث"- مثلا- إلى الفترة ٢٩٩٩-٢٦٥٠ ق.ح، وتشير عبارة "أواخر الألف الثالث" إلى الفترة ٢٣٥٠-٢٠٠٠ ق.ح. وبعد الحقبة المشتركة، تشير عبارة "أوائل الألف الثاني"- مثلا- إلى الفترة ١٠٠٠-١٣٥٠، وتشير عبارة "أواخر الألف الثاني" إلى الفترة ١٦٥٠-٢٠٠٠. وعموما يشير منتصف أي ألف للفترة ٣٥٠-٦٥٠. [المترجم]

الإمبراطوريات، والاستجابات المؤسسية المتباينة التي تتكشَّف في التقاليد القانونية المحلية، واستخدام النقد والعملة وأدوات الائتمان والبنوك، أسهمت جميعها في دفع التطور الاقتصادي الطويل لحضارات البحر الأبيض المتوسط[٣٠]. على أن هذه الاستمرارية للمؤسسات يجب أن تُفهم بالطبع جنبا إلى جنب مع السمات الثقافية الجديدة التي أحدثتها حركة الناس والهجرة والحرب والتغير المناخي والفرص الجديدة. فلم يعد من المقبول أن نواصل الجدل حول ما إذا كانت الاقتصادات القديمة "بدائية" أم "حديثة"، أو أن نحصر أنفسنا في الاعتبارات الضيقة للاقتصادات الكلاسيكية كما حددها سلوك جماعة النخبة على مدى ألف وخمسمائة سنة، وهي مقاربة تعزز فكرة أن المجتمعات ما قبل الحديثة كانت ساكنة. وإذا كانت النطاقات الزمنية الطويلة تشكل جانبا مهما لدراسة التغير، فإن الروايات الأوسع لأنماط التلاقح الثقافي في كل من السلع والأفكار لا تقل عن ذلك أهمية. ولعل الأهم من ذلك- في اعتقادي- هو التعرف على طريقة تفاعل المجتمعات ما قبل الحديثة مع العالم الطبيعي، وهو ما يتطلب مقاربة نظام الحث التبادلي الطبيعي-البشري[٣١]، التي أتناولها في الفصل الخامس من الكتاب.

أقسمُ الكتاب إلى بابين، أبدأ الباب الأول المعنون "التاريخ والنظرية" بمقدمة ترجع إلى جذور الجدل حول طبيعة "الاقتصاد القديم"، تماما كما تطور على نحو متلازم مع مجال علم الاقتصاد. وهنا يلوح كتاب موزيس فينلي "الاقتصاد القديم" جليا، لكنه يتموضع في نهاية جدل طويل عقيم، في حين يتقدم معظم العمل الحالي ضمن أطر مختلفة تماما. ثم أبرزُ في الفصل الأول بعض الموضوعات المهمة والاتجاهات الجديدة التي تتبناها دراسات الاقتصادات ما قبل الحديثة حاليا، ويقدم الفصل الثاني بعنوان "الاقتصادات القديمة: مراجعة من التجار الفينيقيين حتى ظهور الإمبراطورية الرومانية"

---

(٣٠) مع أن البنك bank في شكله الحديث لم يظهر إلا في القرن الرابع عشر في مدن عصر النهضة الإيطالية المزدهرة، فإن أفكار ومفاهيم الائتمان والإقراض موجودة منذ العصر القديم، كما يتكشَّف في الكتاب الحالي. [المترجم]

(٣١) نظام الحث التبادلي الطبيعي-البشري coupled natural-human system نظام يصف التفاعلات الحركية ثنائية الاتجاه بين النظم البشرية (مثل النظام الاقتصادي والاجتماعي) والنظم الطبيعية (مثل النظام الهيدرولوجي والمناخي والبيولوجي والجيولوجي). يشير هذا الترابط إلى فكرة أنه لم يعد من الممكن التعامل مع تطور النظم البشرية والبيئية بمعزل عن بعضها البعض، مقارنة بالحقب المبكرة من التاريخ البشري التي كانت التفاعلات الطبيعية-البشرية فيها ضعيفة وأحادية الاتجاه. [المترجم]

مناقشة عامة لتاريخ الألف الأول قبل الحقبة المشتركة ومراجعة موجزة للمصادر المتاحة لنا لفهم اقتصادات البحر الأبيض المتوسط(٣٢)، ثم أتحول في الفصل الثالث بعنوان "الزمان والمكان والجغرافيا واقتصادات البحر الأبيض المتوسط القديم" إلى أحد أصعب جوانب دراسة الاقتصادات القديمة، وهو ما أسميه مشكلات تعيين الحدود الزمنية-المكانية. وفي الباب الثاني بعنوان "البيئة والمؤسسات"، أتحول إلى فحص المؤسسات الأساسية في اقتصادات البحر الأبيض المتوسط، وأناقشُ حركية dynamics الحث التبادلي بين البيئة والمؤسسات الاقتصادية، والعوامل التطورية التي وقفت وراء التغير المؤسسي. تشكل الزراعة والعمل، وهما موضوع الفصل الرابع، الأساس لكل الاقتصادات ما قبل الحديثة، وتوضح دراسة مقارِنة موجزة هنا أنه كان هناك العديد من الحلول المؤسسية لتنظيم الإنتاج الزراعي، وهي حلول اعتمدت في معظمها على الِهبات البيئية والظروف المناخية المتفاوِتة لحوض البحر الأبيض المتوسط، وهي الظروف التي أتقصاها بمزيد من التفصيل في الفصل الخامس بعنوان "حدود الاقتصادات ما قبل الحديثة: البيئة والمناخ والتغير المناخي"، الذي أناقشُ فيه العلاقة بين الحدود المادية لعالم البحر الأبيض المتوسط والمناخ والتغير المناخي والسكان وعلاقتها بالاقتصادات السياسية للعالم القديم(٣٣)، ودور التغير المناخي باعتباره إحدى القوى الدافعة للتغيير الاجتماعي. على أنني أعتبرُ هذا الفصل عملا تجريبيا، إذ يستخدم بيانات أولية ويقدم بعض الاقتراحات، ولذلك لن يروق الموضوع للكثير من المؤرخين، لكني أتذرع بأننا ما نزال في أول عهدنا بفهم التغير المناخي والاستجابات البشرية له في التاريخ القديم، وأنه لا يزال هناك الكثير من العمل الذي يجب إنجازه، فضلاً عن أن بيانات المناخ القديم تتسم بالصعوبة والإسهاب، وأقل ما يمكن أن يقال في هذا الشأن هو أن تحليل التغيرات الناتجة عن التغير المناخي على عدة نطاقات مسألة ليست يسيرة، وأن استخدام بيانات المناخ القديم يتطلب الكثير من القراءة والتفكير في مجال جديد على المؤرخين. ثم يتقصى الفصل السادس الأفراد والمنازل باعتبارهم فاعلين اقتصاديين، وهنا أناقش

(٣٢) الفينيقيون Phoenicians هو الاسم الذي أطلقه اليونانيون على الكنعانيين، وهم شعب بحري سامي قديم غير معلوم الأصل تمركزت حضارته بين القرنين الخامس عشر والثالث قبل الحقبة المشتركة على سواحل فلسطين ولبنان وسورية الحالية، وامتدت إلى قرطاج في تونس الحالية، يردهم المؤرخون المسلمون إلى العرب البائدة، تحديدا العماليق. [المترجم]

(٣٣) الاقتصاد السياسي Political economy هو دراسة الإنتاج والتجارة وعلاقتهما بالقانون والعادة والحكم وتوزيع الدخل القومي والثورة، وهو تحديدا فن تحصيل الإيرادات للدولة أو جباية الأموال لصالح الحكومة. [المترجم]

بإيجاز السكان والعلاقة بينهم وبين "الدولة" التي شهدت تنوعا كبيرا في الأحجام والحلول المؤسسية السياسية. ثم يأتي الفصل السابع بعنوان "تطور الفكر الاقتصادي في العالم القديم: النقد والقانون والمؤسسات القانونية"، ليتقصى كيف تطورت التغيرات في مفهوم النقد والنظام القانوني بالتلازم مع تزايد أنماط التلاقح الثقافي. أما الفصل الثامن بعنوان "النمو والابتكار والأسواق والتجارة"، وهو الفصل الكبير الأخير، فيناقش المجالات الأساسية للاقتصادات القديمة التي كانت أساسية لفهمها، وكانت- وما تزال- خلافية ومحل جدل محتدم. وأخيرا، فقد أردتُ بكل فصل في الكتاب أن يكون مستقلا، ولذلك يوجد بعض التداخل في التغطية بين الفصول.

شكر وإهداء

من أحب الأشياء إلى قلبي في مشروع تأليف كتاب هو أن أشكر من ساعدوني بطريقة أو بأخرى، لأن ذلك يذكّرني، إن كنتُ في حاجة إلى تذكير، بالأصدقاء الأجلاء والزملاء المتعاونين الذين قرأوا مسودات العمل وانتقدوها وأعادوها إليّ ومعها آراء قاسية أو مُلطفة أو مخففة، أو قدموا النصح بشكل أو بآخر. وفي هذا الباب، أعلن امتناني الكبير إلى غوجكو بارجاموفيك Gojko Barjamovic وبيتر بدفورد Peter Bedford ومانفريد بيتاك Manfred Bietak وجون بروك John Brooke وألين بريسن Alain Bresson وآري براين Ari Bryen وبروس كامبل Bruce Campbell وويلي كلاريس Willy Clarysse وجون كولينز John Collins ومارك ديبو Mark Depauw وبول إردكامب Paul Erdkamp وكريستل فيشر بوفت Christelle Fischer-Bovet وتِم غينين Tim Guinnane وكايل هاربر Kyle Harper وإيريك هيلت Eric Hilt وفِل هوفمان Phil Hoffman ودان هوير Dan Hoyer وألكسندر جونز Alexander Jones ومايكل جورسا Michael Jursa وجيسيكا لامون Jessica Lamont ونعومي لامورو Naomi Lamoreaux ونويل لينسكي Noel Lenski وكولن مكافري Colin Macaffrey وأندرو مونسن Andrew Monson وخوان كارلوس مورينو غارسيا Juan Carlos Moreno García وغراهام أوليفر Graham Oliver وكارين رادنر Karen Radner وجيرد روبن Jared Rubin وديفيد اسكيلي David Skelly ودورثي تومسن Dorothy Thompson وغاري توملينسن Gary Tomlinson ودان توبكينز Dan Tompkins ومات توي Matt Toohey وفرانشيسكا تريفيلاتو Francesca Trevellato وبيتر تيرتشن Peter Turchin وكاتلين فاندورب Katelijn Vandorpe وكون فيربوفن Koen Verboven وهارفي وايس Harvey Weiss. كما أشكر كريغ جون Craig John (منظمة أدلاء الجبال الدولية International Mountain Guides) واسكوت تريبي Scott Tribby (منظمة أنظمة رانفون للتدريب Ranfone Training Systems) وآفي سزابيرو Avi Szapiro (مطعم رويا Roia Restaurant) الذين ساعدوني روحياً وجسدياً. وأشكر فرانسوا جيراردين François Gerardin وآندي هوغان Andy Hogan طالبي

الدراسات العليا الممتازين اللذين قدما المساعدة والدعم على طول الطريق، واللذين أتطلع إلى رؤية نجاحهما المهني خلال السنوات القادمة.

كما أنني أدين بشكر خاص إلى صديقي فرانسيس لودلو Francis Ludlow من كلية ترينتي Trinity College في دبلن، ففي مساء حاسم قبل عامين حول القهوة بعد عشاء لمجموعة المناخ والتاريخ، سألته إن كان يعرف أي بيانات مناخية يمكن أن تعزز فهمي للارتباط بين جريان نهر النيل والاضطراب الاجتماعي في مصر خلال الحقبة البطلمية، وعندما أخرج حاسوبه النقال الهائل المثقل ببيانات المناخ العالمي من كل نوع، وأراني بيانات العينات اللبية الجليدية التي كانت على وشك النشر، تغير مسار بحثي في الحال[1]. كان فرانسيس متعاونا وكريما في عدة جوانب، منها أنه أمدني بمهارته في تمثيل البيانات التي سترونها في هذا الكتاب، وكان مفيدا على وجه التحديد للفصل الخامس، وفي مساعدتي في بناء فريق كبير في الخبرة المناخية، نعمل ضمنه معا منذ أكثر من سنتين في عمل مثير يسعى لدمج المناخ والأرشيفات البشرية. كما أنني مدين بالشكر إلى شركائنا في هذا المشروع بِل بوس Bill Boos وجينيفر مارلون Jennifer Marlon ومايكل سيغل Michael Sigl وجِم استاغ Jim Stagge وزان استاين Zan Stine وترود استرولفمو Trude Storelvmo.

استضافني جو مكونيل Joe McConnell من معهد بحوث الصحراء في رينو Desert Research Institute in Reno بحرارة لأسبوع في بيته ومختبره البحثي للعينات اللبية الجليدية في رينو في نيفادا Nevada. كان العمل في مختبره ومعرفة كيف تُولَّد البيانات المناخية من العينات اللبية الجليدية، بدايةً من تحضير العينات اللبية الجليدية في الغرفة الباردة إلى رؤية الناتج من المطياف الكتلي البلازمي بالتقارن الحثي[2]، خبرة رائعة حقا. كما أنني ممتن لمونيكا أرينزو Monica Arienzo وروجر كرايدبيرغ Roger Kreidberg على تعليمي الكثير حول أعمالهما والوسائل المدهشة في معهد بحوث الصحراء.

---

(١) العينة اللبية الجليدية ice-core عينة تؤخذ عادة من لب صفحة جليدية أو جبل جليدي، تراكم ارتفاعه عبر طبقات جليدية تكونت سنة بعد أخرى، واحتفظ سطح كل منها ببعض أشكال الحياة في زمنه، من أعماق تصل إلى ميلين، تكشِف عن الخصائص الفيزيائية للجليد والمواد التي حفظت فيه، بغرض إعادة بناء المناخ على مدار المدى العمري للب الجليدي. [المترجم]

(٢) المطياف الكتلي البلازمي بالتقارن الحثي inductively coupled plasma mass spectrometers نوع من القياس الطيفي الكتلي mass spectrometry قادر على التعرف على الفلزات واللافلزات ذات التركزات الضئيلة التي تصل إلى جزء من كدريليون جزء (واحد إلى يمينه ١٥ صفراً). [المترجم]

وقد تمكنتُ من اختبار عملي في صورته الأولية بفضل الدعوات التي تلقيتها من تاكو تربسترا Taco Terpstra للتحدث في ورشة عمل التاريخ الاقتصادي في جامعة نورثويسترن Northwestern University، ومن كريستل فيشر بوفت من جامعة كاليفورنيا الجنوبية، ومن جون هالدن John Haldon من جامعة برينستون Princeton، ومن غريغ وولف Greg Woolf للتحدث في حلقة التاريخ القديم الدراسية في كلية يونفيرستي كوليدج في لندن جنبا إلى جنب مع فرانك لودلو. إلى هؤلاء وإلى الحضور في هذه الفعاليات أتوجه بالشكر على الأسئلة القوية والاقتراحات القيّمة.

وثمة مراجعان غير معلومين لي، من الجنود المجهولين في النشر الأكاديمي، لفتا انتباهي إلى الكثير مما يحتاج إلى إعادة نظر، وأسهما بقوة في تحسين المنتَج النهائي، وأنا مدين لهما بالشكر على العناية التي أظهراها في قراءة مخطوطة سابقة غير مكتملة من الكتاب والتعليق عليها، كما أشكر شركة بوبي غراهام BG على المساعدة التحريرية.

ومن دواعي سروري- أخيرا- أن أتوجه بالشكر مرة أخرى إلى روب تمبيو Rob Tempio من دار جامعة برينستون للنشر Princeton University Press على النصح والتوجيه الحكيمين. وقد كانت إيميلي بيكماير Emily Bakemeier من مكتب رئيس الجامعة وتمار جندلر Tamar Gendler عميدة كلية الآداب والعلوم داعمين لأبعد الحدود منذ وصولي إلى جامعة يل، وهو ما ترك أثرا عميقا على أعمالي. ولا أنسى أبدا الدعم الذي وجدته من الإدارة ومن زملائي ومن الطلاب الرائعين. إنها لبهجة وتميّز أن تدرّس في هذا المكان الرائع.

أهدي هذا الكتاب لأستاذين كبيرين، هما كارل بوتزر الذي أثرت أعماله فيّ بقوة وأنا طالب دراسات عليا صغير، ومارك باغاني Mark Pagani الذي رحب بي بدفء في عالمه للمناخ القديم ودعم عملي في جامعة يل بطرق مختلفة، لقد كان رحيله المفاجئ صدمة لكل من جامعة يل وجماعة المناخ القديم.

اسكافتفلسيوكول Skaftafellsjökull، أيسلندا

الإطار الزمني للأحداث

جنوب غرب آسيا

الإمبراطورية الآشورية الحديثة	٩٣٤–٦١٠ ق.ح
الإمبراطورية البابلية الحديثة	٦٢٥–٥٣٩ ق.ح
الإمبراطورية الأخمينية	٥٥٠–٣٣٠ ق.ح
الإمبراطورية السلوقية	٣١٢–٦٣ ق.ح

مصر

عصر الاضمحلال الثالث	١٠٦٩–٦٦٤ ق.ح (مجزأة سياسيا)
الأسرة السايسية	٦٦٤–٥٢٥ ق.ح (دولة مركزية)
السيطرة الإمبراطورية الأخمينية	٥٢٥–٣٥٩ ق.ح (ولاية إمبراطورية)
	٤٠٤–٣٤٣ ق.ح (سيطرة محلية)
السيطرة الإمبراطورية الأخمينية	٣٤٣–٣٣٢ ق.ح (ولاية إمبراطورية)
السلالة البطلمية	٣٣٢–٣٠ ق.ح (دولة مركزية)

فينيقيا

التوسع نحو	١٢٠٠–٨٠٠ ق.ح
الغزو الأخميني	٥٣٩ ق.ح

اليونان

العتيقةمن القرن الثامن قبل الحقبة المشتركة	إلى عام ٤٨٠ ق.ح
الكلاسيكية	٤٨٠–٣٢٣ ق.ح
الهلنستية	٣٢٣–١٤٦ ق.ح
الغزو الروماني	١٤٦ ق.ح

المحتويات

قائمة الخرائط

قائمة الأشكال

قائمة الجداول

الباب الأول

التاريخ والنظرية

مقدمة

التاريخ والنظرية والمؤسسات
مقاربة الاقتصاد القديم
History, Theory and Institutions
Approaching the Ancient Economy

قلتُ في البداية إنني لن أعطي التاريخ الاقتصادي تفسيرا ضيقا، وأتمنى أن أكون قد وفيتُ بذلك الوعد، فقد حاولت أن أعرض التاريخ الاقتصادي على طريقة كبار كُتاب القرن الثامن عشر، أي باعتباره جزءا من التطور الاجتماعي، يُدْرَس على نطاق واسع.

—Hicks (1969: 167)

في ربيع عام ١٩٠٠، وهي السنة التي بدأ خلالها آرثر إيفانز Arthur Evans التنقيب عن قصر كنوسوس على جزيرة كريت[١]، واندلعت خلالها ثورة الملاكمين في الصين[٢]، تعثر غواصو الإسفنج في حطام سفينة قديمة على عمق نحو خمسين مترا قبالة ساحل جزيرة أنتيكيثيرا Antikythera المتوسطية

(١) إلى قصر ومدينة كنوسوس Knossos الواقعة على جزيرة كريت يُنسَب الملك مينوس الكنوسوسي Minos of Knossos الذي يُعتقَد أنه مؤسس الحضارة المينوسية أو المينوية Minoan Civilization التي تعد من أقدم حضارات اليونان وأوروبا عموما، ازدهرت بين عامي ٣٦٥٠ و١٤٠٠ ق.ح. [المترجم]

(٢) ثورة الملاكمين Boxer Rebellion ثورة عنيفة أطلقتها في الصين جماعة عرفت باسم الملاكمين بدافع المشاعر الوطنية ورفضًا للتوسع الإمبريالي والنشاط التبشيري المسيحي، تبنتها الدولة الصينية التي أعلنت الحرب على القوى الأجنبية وحاصر جيشها حي المفوضيات الأجنبية إلى أن هُزم الجيش الإمبراطوري أمام تحالف الدول الثماني الذي احتل بكين في أغسطس ١٩٠٠. [المترجم]

الصغيرة[٣]. كانت السفينة على ما يبدو سفينة غنائم، ربما كانت متجهة إلى روما. كان من بين الأشياء التي انتُشلت من الحطام، وتُؤرَّخ إلى نحو عام ٦٠ ق.ح، تماثيل برونزية ومئات الأشياء القديمة الأخرى، منها جِرار تخزين ومصابيح وحلي وكتلة صغيرة غامضة من المعدن. توجد هذه الغنيمة حاليا في المتحف الوطني للآثار National Archaeological Museum في أثينا. وقد تواصل التنقيب، وعُثر مؤخرا على بقايا هياكل بشرية على الحطام، وهو اكتشاف مبشر بالنظر إلى ما يمكن أن يكشفه تحليل الحمض النووي[١].

في بادئ الأمر، لم يُستفَد جيدا من الكتلة المعدنية الغامضة، لكن على مر السنين، وبفضل التقنيات الحديثة، ممثَّلة في التصوير الفوتوغرافي والتصوير بالأشعة السينية والتصوير المقطعي الحاسوبي، بدأ هذا الشيء الغامض يبوح بأسراره تدريجيا. اتضح أن هذه "الكتلة" عبارة عن تقويم ميكانيكي مذهل، يكشف عن تألق كل من المعرفة العلمية والقدرة التصنيعية في عالم البحر الأبيض المتوسط القديم. كذلك يثبت هذا التقويم الذي يرجع على الأرجح إلى القرن الثاني قبل الحقبة المشتركة، معرفة حاذقة بالتروس التفاضلية[٤]، ويستفيد من قرون كثيرة من الملاحظة الفلكية. كانت هذه الآلة تُستخدم على الأرجح لتحقيق التزامن بين الدورتين القمرية والشمسية في دورة مدتها تسع عشرة سنة، كانت تعرف باسم الدورة الميتونية[٥]. كما أن المعرفة المتراكمة بالدورات الفلكية الناتجة عن قرون من الملاحظات تكشف عن تأثير علم الفلك البابلي. وهذه الآلة، كما نعرف حاليا، ساعة معقدة تضع حركة القمر

---

(٣) على طول الكتاب، تُستخدم كلمة "متوسطي" نعتا من مصطلح "البحر الأبيض المتوسط"، وتستخدم كلمة "أوسط" (ووسطى) نعتا للفترة الواقعة بين فترتين مثل "العصر البرونزي الأوسط" (الواقع بين العصر البرونزي المبكر والمتأخر) أو المكان الواقع بين مكانين مثل البحر الأبيض المتوسط الأوسط (الواقع بين البحر الأبيض المتوسط الشرقي والغربي)، وتستخدم كلمة "وسيط" نعتا من مصطلح "العصور الوسطى" مثل "فترة الاحترار الوسيطة" أي التي وقعت في العصور الوسطى. [المترجم]

(٤) التروس التفاضلية differential gears سلسلة من التروس بثلاثة أعمدة، تكون سرعة دوران أحد الأعمدة فيها في متوسط سرعة الاثنين الآخرين أو مضاعف ثابت لهذا المتوسط. [المترجم]

(٥) الدورة الميتونية metonic cycle، في علم الفلك ودراسات التقويم، فترة من قرابة تسعة عشر عاما، تعد تقريبيا مضاعفا مشتركا للسنة الشمسية والشهر القمري الاقتراني، تستخدم للتنسيق بين الدورتين الشمسية والقمرية، تنسب إلى عالم الفلك اليوناني ميتون الأثيني Meton of Athens (القرن الخامس قبل الحقبة المشتركة). [المترجم]

والشمس وخمسة كواكب أخرى في "حركة تداويرية خلال دائرة البروج[٦]، ربما استُخدِمت في الحسابات التنجيمية من النوع الذي كان رائجا بشدة خلال الحقبة الهلنستية"[٢]. ما تزال هذه الآلة تذهل غير الملمين بتطور العالم القديم، وهم مُحِقّون لا ريب، إذ لم يظهر شيء شبيه لها في أوروبا إلا خلال القرن الخامس عشر[٣].

لقد بدأتُ بساعة أنتيكيثيرا الفلكية لأنها تمثل جيد للتفكير في "الاقتصاد القديم"، فضلا عن أنها دراسة حالة جيدة لطبيعة الأدلة القديمة. فهذه الساعة الفلكية مادة وحيدة وبلا سياق، فهل كانت شائعة أم نادرة؟ ومَنْ الذي امتلكها؟ ومَنْ الذي اخترعها؟ فيما يتعلق بالسؤال الأخير، أعتقد أنه يمكن الإجابة عنه على نحو آمن بأن هذه الساعة الفلكية لم "تُختَرَع"، بل كانت على الأرجح نتاجا لقرون من المعرفة المتراكمة التي تَولَّدت عن تلاقح ثقافي عميق عبر البحر الأبيض المتوسط. تبدو الساعة الفلكية حديثة في ذاتها، لكن سياقها الاجتماعي يخبرنا أنها تنتمي إلى عالم مختلف. وتلك هي المشكلة الأساسية عند محاولة فهم السلوك الاقتصادي ووصف الظواهر الاقتصادية القديمة.

إن ساعة أنتيكيثيرا الفلكية (الشكل ١)، كما تسمى عادة، آلة شديدة الإتقان وجيدة الهندسة. لا ريب أن صناع الساعات السويسريون يستطيعون حاليا أن ينتجوا منها نسخة أفضل وأصغر (بالفعل قامت شركة هابلو Hublot التي ترعى الأعمال الحالية في الموقع الأثري المغمور تحت الماء الذي اكتشفت فيه الساعة، بصنع ساعة مماثلة، وضعت عليها بطاقة السعر المذهلة ٢٧٢,٠٠٠ دولار)، لكنها لن تكون أكثر من تقليد في شكل خالص من التزلف[٤]. تأتي هذه الساعة الفلكية بين أفضل الأدلة التي بحوزتنا على أن عالم البحر الأبيض المتوسط كان خلال أواخر الألف الأول قبل الحقبة المشتركة أكثر تقدما مما كنا نظن. حلت الساعة الفلكية مشكلة بعينها على نحو مدهش، لكنها لم تكن من وسائل الإنتاج، إذ لم تُستخدَم في رفع إنتاجية العمل أو تحسين الظروف الاقتصادية العامة. ربما استُخدِمت الساعة في حساب توقيت الاحتفالات الدينية أو باعتبارها أداة تعليمية أو شيئا من أمارات المكانة لاستعراض المعرفة والثروة[٥]. من الواضح أن النعت "بدائي" لا ينطبق بحال من الأحوال على

(٦) تُنسَب الحركة التداويرية epicyclic motion إلى التروس التداويرية أو الكوكبية epicyclic gear train التي تتألف من ترس واحد أو أكثر من التروس الخارجية (الكواكب) التي تدور حول ترس مركزي (الشمس)، أو ترس خارجي كالطوق يدور بداخله عدد من التروس. [المترجم]

هذه الآلة، ولا على فسيفساء الكلب المذهلة التي اكتُشِفت مؤخرا في الإسكندرية (في صدر الكتاب الحالي)، ولا على الهرم الأكبر في الجيزة الذي بُني قبل الفسيفساء بأكثر من ألفي سنة، ولا على الحضارات التي أنتجت هذه الأشياء. تفرض هذه الأشياء مشكلة تحتاج إلى تفسير على دارسين مثل ماركس Marx الذي كان واعيا للإنجازات الثقافية لليونان، لكنه مع ذلك ذهب إلى أن اقتصادها كان بدائيا[٦]. لا جدال في أن كل هذه الأشياء صُنعت للنخبة، بل إن الفسيفساء والهرم الأكبر قد أُنشآ لاثنين من أقوى الحكام في العصر القديم. ولا ريب أن قدرا كبيرا من الأعمال حول العالم القديم يدور حول سلوك النخبة واستهلاكها وأذواقها، وهو أمر مفهوم بالنظر إلى دور النخب في دفع التغيير (فضلا عن الحفاظ على بقاء المؤسسات غير الكفوءة). لكن ماذا عن غير النخب؟ لقد أثبتت دراسة المزارعين الذين شكلوا الأغلبية الواسعة من السكان فيما قبل العصر الحديث، وكذلك الجماعات البدوية والتجار، أنها أصعب عادة من غيرها، لكن هذه الجماعات تركت بصمتها على التاريخ، وقد أصبحنا في حال أفضل تؤهلنا لرؤية هذه الجماعات من غير النخبة.



الشكل (١) ساعة أنتيكيثيرا الفلكية. بإذن من German Archaeological Institute, Athens. DAI-Neg.-No. Photographer 1 D-DAI-ATH-Emile 827. الصورة لإميل سيراف Émile Seraf.

فيمّ تكمن أهمية ذلك؟ في أن فهم بنية السلوك الاقتصادي ما قبل الحديث يقدم نافذة مهمة على الحياة القديمة برمتها، لكنه يشكل في الوقت عينه أحد مصادر الجدل الرئيسة حول ما نستطيع أو لا نستطيع أن نعرفه حول العالم القديم، لدرجة أن الدارسين الذين يبحثون الأدلة نفسها يمكن أن يستنتجوا أشياء مختلفة تماما حول ما تعنيه الأدلة بالنسبة للسلوك أو الأداء الاقتصاديين، حتى إن القول بأن فهم "الاقتصاد القديم" كان على مدى قرن "ساحة حرب" لا ينطوي على أي مبالغة[٧]. رُسمت خطوط المعارك في أشكال من التضاد الثنائي من نوع إما/ أو، مثل البدائية/ الحداثة، الموقف الفعلي/ الموقف الصوري، الموقف التشاؤمي/ الموقف التفاؤلي، قيمة الاستخدام/ القيمة التبادلية، المكانة/ العقد، العقلاني/ اللاعقلاني، المنزل/ المدينة، الخاص/ العام، السوق/ اللاسوق، الكلاسيكي/ الشرق الأدنى، الغرب/ الشرق، القديم/ الحديث، وهي أشكال من التضاد من نوع نحن/ لا نحن على الإطلاق[٧].

---

(٧) في كتابه "التحول الكبير" (The Great Transformation, 1944)، ميز كارل بولاني Karl Polanyi بين موقفين من علم الاقتصاد، الأول هو الموقف الصوري formal الذي يعتبر علم الاقتصاد منطق الفعل وصنع القرار العقلانيين والاختيار العقلاني بين الاستخدامات البديلة للوسائل المحدودة، والثاني هو الموقف الفعلي substantive الذي لا يفترض صنع القرار العقلاني ولا الندرة، ويشير ببساطة إلى دراسة كيف يحصّل الناس أرزاقهم "فعلا" من البيئة الاجتماعية والطبيعية، ويرى أن استراتيجية المجتمع لتحصيل الرزق مجرد تكيف منه مع بيئته وظروفه المادية. وهو بإيجاز الفرق بين معنى للفعل الاقتصادي يفترضه الدارس ويفرضه على الواقع، ومعنى يستمده الدارس من ممارسات الناس الفعلية في الواقع. [المترجم]

القيمة التبادلية exchange value في الاقتصاد السياسي، لا سيما الاقتصاد الماركسي، أحد السمات الأربع الرئيسة للسلعة أو الخدمة أو المنتج كشيء قابل للبيع في السوق، جنبا إلى جنب مع القيمة وقيمة الاستخدام والسعر. [المترجم]

إلى جانب الحاشيتين السابقتين، جاء فيما سبق من متن الكتاب، وما سيأتي لاحقا، المزيد حول تضادات البدائية/ الحداثة primitivism/moderism، الموقف الفعلي/ الموقف الصوري substantivism/formalism، الموقف التشاؤمي/ التفاؤلي pessimist/optimist، قيمة الاستخدام/ القيمة التبادلية use-value/exchange value، المكانة/ العقد status/contract، العقلاني/ اللاعقلاني rational/irrational، المنزل/ المدينة oikos/polis، الخاص/ العام private/public، السوق/ اللاسوق market/non-market، الكلاسيكي/ الشرق الأدنى classical/near eastern، الغرب/ الشرق west/east، القديم/ الحديث ancient/modern. [المترجم]

أي "نحن" العالم الحديث في مقابل العالم ما قبل الحديث، أو "نحن" الغربيون في مقابل الحضارات والثقافات الأخرى. [المترجم]

ينطوي هذا النوع من التأطير القائم على التضاد الثنائي، كما أذهبُ فيما يلي، على شكل من التبسيط المُخِلّ، كما أنه لا معنى أو طائل مطلقا من اختزال البحث التاريخي إلى ثنائيات متضادة بغرض صنع الحجج التي تكون موجهة عادة إلى المعسكر الآخر، وفي الغالب لإحراز النقاط. وفي النهاية، يؤدي تصنيف الاقتصادات ما قبل الحديثة ضمن هذا النوع أو ذاك إلى "مجادلات حول لا شيء"[٨]. يناقض هذا الفقر المفهومي، في كل من الفكر واللغة، ثراء عالم البحر الأبيض المتوسط القديم وتعقيده وتنوعه وتطوره على مدى أربعة آلاف سنة. فلا يمكن وصف سومر الألف الثالث قبل الحقبة المشتركة ولا الإمبراطورية الرومانية في عهد أدريان Hadrian بأنهما عالم من جماعات الصيد والجمع ولا من رأسماليي شركات وادي السيليكون[٨]. إن المشكلة الحقيقية هي كيف نصف الاقتصادات القديمة ومؤسساتها على أفضل ما يمكن. ذهب ماكس فيبر Max Weber (١٨٦٤-١٩٢٠) إلى أن الحساسية للغة كانت مشكلة في تحليل المؤسسات الاقتصادية للعالم ما قبل الحديث، لذلك ينبغي أن ننتبه إلى اللغة التي نستخدمها لوصف الحقائق الاجتماعية لهذا العالم[٩]. فلا بد من إعمال الفكر مليا في مقولات حديثة مثل "السوق" market و"المِلكية الخاصة" private property، وحتى مقولات واضحة على ما يبدو مثل "الديمقراطية" و"الحكم الشمولي"، في سياقاتها القديمة، لأن هذا الماضي تميّز بتغير كبير على مر الزمن واختلافات كبيرة بين المناطق والثقافات فيما انطوى عليه "السوق" أو "المِلكية الخاصة"[١٠]. يكمن التحدي الحقيقي- في رأيي- في أن نجد "السردية التحليلية" analytic narrative الصحيحة التي تجمع المعرفة العميقة بالمجتمع مع القدرة التفسيرية للنظرية على نطاقات تحليلية مختلفة، وهو مجال أسميه العلوم الإنسانية التحليلية analytical humanities، وأعتقد أن هناك فرصاً ثرية لتطوير هذه المقاربة[١١].

أوضح جويل موكير Joel Mokyr بلغة أنيقة في دراسته للثورة الصناعية أن الاختلافات الثقافية والاختلافات البنيوية يجب أن تظل حاضرة دائما في عقل الواحد منا عندما يقارن الاقتصادات ما قبل الحديثة بنظيراتها الحديثة[١٢]. فالتحولات في النطاق، والتذبذبات في السكان، والتغيرات التقنية في العالم القديم، تكشِف في كل منعطف عن إبداع البشر وأصالتهم. لكن في المقابل، كانت هذه

(٨) سومر Sumeria (أو Sumer) هي أقدم حضارة في بلاد ما بين النهرين، تزامنت مع حضارتي مصر وبلاد السند، أو ربما سبقتهما ببضعة قرون، ابتكرت الكتابة المسمارية وأسست لكل الحضارات التي تلتها، من أشهر حواضرها أوروك ولكش وأور. [المترجم]

الاختلافات ذاتها، والمفردات المستخدمة لوصفها، القوة الدافعة وراء الجدل العنيف حول الطبيعة العامة "للاقتصاد القديم"، فضلا عن طبيعة المؤسسات المحددة. وبعد أن نرسخ الوعي باختلاف البحر الأبيض المتوسط ما قبل الحديث جوهريا عن عالمنا، ينبغي علينا، باستعارة تعبير بيري كِمب Barry Kemp، أن نكافح خطر "عزل الماضي وإفقار النقاش بلا داعٍ"، فالمؤسسات الاقتصادية القديمة لم تكن "كيانات ساكنة خالية من آليات التكيف مع الظروف المتغيرة"[١٣].

إن هدفي من هذا الكتاب هو أن أضع اقتصادات البحر الأبيض المتوسط ما قبل الحديث في سياقها الاجتماعي والبيئي. كان الألف الأول قبل الحقبة المشتركة فترة من التحول الجذري في التاريخ ما قبل الحديث للبحر الأبيض المتوسط. وقد وضع كارل ياسبرس Karl Jaspers نظرية تقول إن بعض المجتمعات طورت خلال هذه الفترة طرقا جديدة تماما للتفكير في العلاقات بين السياسة والدِين والفلسفة. فعلى امتداد أوراسيا فيما بعد انهيار العصر البرونزي[٩]، ظهرت بين نحو عامي ١٠٠٠ و٢٠٠ ق.ح إمبراطوريات ضخمة معقدة، في الوقت نفسه الذي انبثق فيه إلى الوجود عالم "الدول الصغيرة" microstate للدول المدينية اليونانية[١٠]. وسواء كنا نتبع نظرية ياسبرس "العصر المحوري"

---

(٩) بدأ العصر البرونزي في بلاد ما بين النهرين في منتصف الألف الرابع قبل الحقبة المشتركة، وبدأ في مصر في نحو عام ٣١٤٠ ق.ح، وبدأ متأخرا عن ذلك في المناطق الأخرى. [المترجم]

انهيار العصر البرونزي Bronze Age collapse أو تحديدا انهيار العصر البرونزي المتأخر Late Bronze Age collapse، فترة انتقالية أو عصر ظلام في الجزر الإيجية وآسيا الصغرى وشرق البحر الأبيض المتوسط والشرق الأدنى ومصر خلال العصر البرونزي المتأخر (نحو ١٥٠٠-١٠٠٠ ق.ح)، شهدت تحولا عنيفا ومفاجئا وتمزقا ثقافيا، تمثل في تحلل الاقتصادات البلاطية في الجزر الإيجية وآسيا الصغرى إلى ثقافات القرى المنعزلة الصغيرة خلال عصر الظلام اليوناني، وتحديدا شهد نصف القرن ١٢٠٠-١١٥٠ ق.ح الانهيار الثقافي للممالك الموكناوية في اليونان، والسلالة الكيشية في بلاد بابل، والإمبراطورية الحثية في الأناضول والمشرق، والإمبراطورية المصرية، وكذلك انقطاع طرق التجارة، وتراجع الكتابة، لم ينجُ منها إلا الدولتان القويتان آشور ومصر. قدمت لها تفسيرات مختلفة منها التغيرات المناخية الناتجة عن الثورانات البركانية، وشعوب البحر التي اجتاحت هذه المناطق، والتطورات في الأسلحة، وفشل المؤسسات السياسية والاجتماعية والاقتصادية. [المترجم]

(١٠) الدولة المدينية أو الدولة-المدينة city-state كيان سياسي مستقل أو قائم بذاته، يتكوَّن إقليمه من مدينة واحدة، أو مدينة واحدة كبيرة وتوابعها، من أمثلتها التاريخية المدن السومرية في بلاد ما بين النهرين بابل وأور، ومدن كنعان الفينيقية صور وصيدا، ومن أشهر أمثلتها التاريخية المدن اليونانية أثينا وإسبرطة وثيفا وكورنث، ثم البندقية وجنوة وغيرها من الدول المدينية الإيطالية، ومن أمثلتها المعاصر إمارة موناكو وسنغافورة والفاتيكان. [المترجم]

أم لا[11]، فإن الألف الأول قبل الحقبة المشتركة كان بلا ريب فترة من التحول العالمي الشامل في كل من الأبنية والاقتصادات السياسية[14]. وإن كان من بين مجتمعات الألف الأول قبل الحقبة المشتركة في البحر الأبيض المتوسط ما لم تُظهِر تحرك العصر المحوري نحو المزيد من المساواة، فإن كل المجتمعات الكبيرة ذات الدول شهدت تحولا اقتصاديا[15].

إن الأدبيات حول كل موضوع أتناوله هنا وفيرة، وتزداد وفرة كل يوم، وإنني على يقين من أنه في الوقت الذي أكتب فيه هذه الجملة ظهر كتاب آخر وعدة مقالات حول موضوع يتناول أحد جوانب الحياة الاقتصادية في عالم البحر الأبيض المتوسط القديم[16]. ومع أن كتابي يفتقر إلى التغطية الشاملة، فإنني أتمنى أن يعطي القارئ إحساسا بمدى الضخامة والحركية والثراء والتنوع والإثارة التي أصبحت تسم دراسة الاقتصادات القديمة منذ ظهور مراجعة موزيس فينلي المهمة بعنوان "الاقتصاد القديم"[17]. لكن على خلاف ما تفعله معظم الدراسات، أناقشُ التطورات في الشرق الأدنى وفي مصر جنبا إلى جنب مع الاقتصادات الكلاسيكية خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة، وهو افتراق أرجو أن يكون نافعا وكاشفا، إذ تكمن جذور الاقتصادات الكلاسيكية، كما أذهبُ، عميقةً ضمن ماضٍ متباين ربطته أنماط من التلاقح الثقافي. ويمكننا من خلال توسيع النقاش أن نبدأ في بلورة أفكار جديدة تفسر كيف أسهم ترابط عالم البحر الأبيض المتوسط ما قبل الحديث وتباينه المؤسسي في تشكيل التاريخ الاقتصادي اللاحق.

يقدم الكتاب- إذن- طريقة مختلفة للتفكير في الاقتصادات ما قبل الحديثة أو ما قبل الصناعية. كانت الحركة والتنقل/ الانتقال، من خلال التلاقح الثقافي، ومن خلال الشبكات التجارية، ومن خلال الهجرة وإعادة الاستيطان واحتكاك البدو مع السكان المتوطنين، قوى دافعة مهمة للتغيير. ومن أمثلة ذلك أن الاستعمار اليوناني لجنوب إيطاليا (الذي كان يسمى ماغنا غرايسيا أي "اليونان الكبرى"[12]) كان قوة دافعة مهمة للتطور الاقتصادي في إيطاليا، وكذلك أدت الهجرة اليونانية إلى مصر بداية من القرن السابع قبل

(١١) العصر المحوري Axial Age مفهوم ابتكره الفيلسوف الألماني كارل ياسبرس لوصف الفترة من القرن الثامن إلى القرن الثالث قبل الحقبة المشتركة التي شهدت طرق تفكير جديدة في الدِين والفلسفة، ظهرت بالتوازي ودون اتصال مباشر بين الثقافات الأوراسية المشاركة: بلاد فارس والهند والصين والعالم اليوناني-الروماني. [المترجم]

(١٢) ماغنا غرايسيا Magna Graecia (بمعنى اليونان الكبرى) اسم أطلقه الرومان على جنوب إيطاليا الذي استوطنه اليونانيون. [المترجم]

الحقبة المشتركة إلى تغيير القاعدة المؤسسية للسلالة البطلمية خلال القرن الثالث قبل الحقبة المشتركة. معنى ذلك أن الاقتصادات الكلاسيكية وُجِدت جنبا إلى جنب مع اقتصادات أخرى وتفاعلت معها[١٨]. ذهب موزيس فينلي إلى أن "الاقتصاد القديم" كان ساكنا في جوهره، فكان الدور المركزي للمكانة الاجتماعية social status في الاقتصادين الكلاسيكيين اليوناني (الأثيني) والروماني كافيا لتفسير لب الحياة الاقتصادية على مدى ألف وخمسمائة سنة. لكننا دون أن ننكر أهمية المكانة الاجتماعية في كل الاقتصادات ما قبل الحديثة، نرى أن هناك الكثير مما أغفله تأكيد فينلي على المكانة، ومنه على سبيل المثال حجم التغير الاجتماعي والتنوع الضخم في طرق العيش داخل العالم الكلاسيكي وخارجه.

لقد تأسس "الاقتصاد القديم" باعتباره موضوعا للدراسة خلال القرن التاسع عشر، ثم أعاد فينلي تأكيده وتعزيزه، ذاهبا إلى أن "الاقتصاد القديم" كيان أوحد بخصائص "يونانية-رومانية" توحيدية. وقد ركز الكثير من الأعمال الأخيرة على اقتصادات المناطق والاقتصادات المحلية، بغرض فهم كيف تندرج هذه الاقتصادات ضمن الأطر الجغرافية والثقافية الأكبر للتبادل[١٩].

يتلاءم هذا الاتجاه العلمي الذي يبحث عن قصص محلية مشروطة ومحددة، مع أنواع الأدلة التي بحوزتنا عموماً من عالم البحر الأبيض المتوسط ما قبل الحديث. وثمة اتجاه خلال السنوات الأخيرة نحو التحدث بصيغة الجمع عن "الاقتصادات" القديمة، ونحو التركيز على وحدات تحليلية دون مستوى الدولة، أي التركيز على "المناطق الشاسعة" super-regions أو المناطق الصغيرة microregions، مع التأكيد على تباين المؤسسات[٢٠]، ثم أعيد التأكيد على الاقتصاد السياسي للدولة القديمة، وتنوع أنواع الدولة التي وجدت في العالم القديم. وبدأ دارسو مصر والشرق الأدنى القديم يشتبكون في الجدل حول إدراج هذه الأماكن ضمن تاريخ البحر الأبيض المتوسط الاقتصادي ما قبل الحديث.

يثير هذا التباين حاليا قضايا مهمة حول الحدود المادية والزمنية ويثير مقارنات مع المجتمعات القديمة الأخرى. في الماضي، احتكر دارسو عالم البحر الأبيض المتوسط الكلاسيكي "التاريخ القديم" ودراسة "الاقتصاد القديم". غير أن هناك ادعاءات في العالم "القديم" من جانب الثقافات الأخرى، تغطي الحضارة البشرية من نحو عام ٣١٠٠ ق.ح حتى ظهور الإسلام خلال القرن السابع من الحقبة المشتركة. وثمة تسوية جيدة ربما تتمثل في دراسة كل الاقتصادات "العضوية" organic economies، أي كل الاقتصادات التي تستخدم الأرض "مصدرا للغذاء" "وكل المنتجات المادية ذات النفع

للإنسان" حتى زمن الجمهورية الهولندية إبان القرن السادس عشر باعتبارها "أول اقتصاد حديث"[٢١]. احتل التاريخ الروماني الكلاسيكي مكان الصدارة في دراسة الاقتصادات القديمة والتاريخ القديم عموما، ولذلك ظل الاقتصاد الروماني مهيمنا هنا، وإن لم يكن ذلك لأسباب أخرى غير أنه أكبر كثيرا وأفضل توثيقا من الاقتصادات اليونانية خارج أثينا. فالأدلة الرومانية أكثر وفرة وأقل إثارة للجدل. لكن خلال العقدين أو الثلاثة عقود الماضية، قدمت مجالات أخرى (منها علم الآشوريات Assyriology وعلم المصريات Egyptology ودراسات الكتاب المقدس biblical studies) إسهامات كبيرة، والأهم من ذلك أنها أثبتت مدى تنوع الاقتصادات القديمة[٢٢].

تغطي هذه القائمة القصيرة من التخصصات الأخرى الكثير من ساحة التاريخ "ما قبل الحديث". لكن كما أذهبُ على امتداد هذا الكتاب، فإن تغير دراسة الاقتصادات ما قبل الحديثة لا يأتي من الرؤى الأوسع وحسب، بل أيضا من المجالات العلمية التي تزودنا بأنواع جديدة تماما من الأرشيفات ستكون ذات أهمية خاصة لفهم الأداء الاقتصادي. وقد أمدتنا العلوم الفيزيائية والبيولوجية خلال السنوات الأخيرة بإسهامات مهمة في علم الوراثة وعلم العظام وعلوم التربة وعلم الهيدرولوجيا والتغير المناخي وتقنيات الاستشعار عن بعد والكثير من المجالات الأخرى. وفي حين هيمنت القراءة والتفسير المدققان للنصوص على معظم مجالات دراسة العصر القديم قبل جيل أو اثنين، يزودنا التقدم السريع في العلم حاليا بمعلومات حاسمة حول التغير التاريخي، ويفرض على المؤرخين أن يعملوا ضمن فرق متعددة التخصصات عبر الكثير من المجالات التي لم تكن موجودة قبل أربعين سنة[٢٣].

"الاقتصاد القديم"

بدأ موزيس فينلي تصدير كتابه بالغ التأثير "الاقتصاد القديم" بالفقرة التالية:

إن عنوان هذا الكتاب دقيق، فرغم أن التغير والتباين من الأمور التي تشغلنا دائما، وأن هناك الكثير من الإشارات التاريخية عليهما، فإنه ليس كتابا مما يمكن أن نسميه 'التاريخ الاقتصادي'"[٢٤].

للوهلة الأولى، تبدو هذه الفقرة المهمَلة مروعة وكاشفة في آن معا. فلماذا لا يكون كتاب في "الاقتصاد القديم" جزءا من التاريخ الاقتصادي؟ ببساطة لأن فينلي، الذي يعد الدارس الأشد تأثيرا للاقتصادات الكلاسيكية خلال النصف الثاني من القرن العشرين، رأى- ومعه الكثيرون ممن جاءوا بعده- أن الدارس لا يستطيع أن يكتب حول التاريخ الاقتصادي للعالم ما قبل الحديث بنفس الطريقة التي يستطيع أن يكتب بها حول الاقتصاد الهولندي خلال القرن السابع عشر أو الاقتصاد الألماني خلال القرن التاسع عشر. نشأ الحاجز بين الاقتصادات ما قبل الحديثة واقتصادات الخمسمائة سنة الأخيرة عن قضايا مفهومية وتحليلية. فمفهومياً، ذهب الدارسون إلى أن العالم القديم، بتحديده الواسع، لم يشمل "حيزا اقتصاديا" economic sphere منفصلاً، ولا تصورا للاقتصادي، ولا مفردات لفهمه، إذ كان النشاط الاقتصادي "منضوياً" embedded ضمن النشاطات الاجتماعية الأخرى، ولم يكن هناك الكثير من الابتكار التقني، ولا مفهوم الاستثمار، ولا نمو اقتصادي حقيقي مستدام[٢٥][١٣].

أما تحليليا، فقد ذهب فينلي إلى أن علم الاقتصاد لا يمكن أن يساعد في فهم العالم ما قبل الحديث، وهو في ذلك كان يسير على خطى فيبر وفكرته التي أصدِّرُ بها الفصل الثاني من الكتاب، وهي أن الأسواق كانت هزيلة، وأن الدول سيطرت على النشاط الاقتصادي، لا سيما من خلال الحرب والضرائب، والاثنتان كانتا مرتبطتين بشدة في العالم ما قبل الحديث. وحيث إن أغلبية الناس كانوا منتجين زراعيين للمواد الأولية، يعيشون على حد الكفاف، فإن سلوك النخب وانشغالها بالمكانة والنشاط اللاسوقي non-market activity، مثل اليورغيتيزم والتصدق والنشاط الاقتصادي للجمعيات الخاصة[١٤]، كان أهم كثيرا من سلوك المزارعين[٢٦]. كانت هناك- لا ريب- حالات فريدة،

(١٣) النمو الاقتصادي الحقيقي real economic growth هو معدل النمو أو التغير في الناتج المحلي الإجمالي للدولة من سنة إلى أخرى أو من فترة إلى أخرى، مصححا ضد التضخم، ويعبر عنه بالقيمة الحقيقية (حجم السلع والخدمات المنتجة) وليس القيمة الاسمية (المالية). والناتج المحلي الإجمالي GDP هو القيمة السوقية لكل السلع والخدمات التي تنتجها الدولة في فترة محددة. [المترجم]

(١٤) اليورغيتيزم euergetism مصطلح يوناني يعني فعل الخير، راجع المزيد حوله في الفصل الثامن من الكتاب وهوامش الفصول. [المترجم]

الجمعيات الخاصة private associations، كما يرد لاحقا في الكتاب، أشكال من التجمعات والاتحادات والطوائف الحرفية والمهنية والتجارية والنوادي الاجتماعية وجدت في كل مجتمعات البحر الأبيض المتوسط ما قبل الحديثة. [المترجم]

مثل الدول المدينية اليونانية، ومنها أثينا. لكن بوجه عام، كان تركيز فينلي على تمثيل النخبة في النصوص الأدبية، كما رأى الدارسون، كافيا للوقوف على طريقة عمل الاقتصادات القديمة، أي الكلاسيكية. ولم يكن هناك اعتداد بالبيانات الأثرية ولا أدلة النشاط الاقتصادي الخاص المستمدة من البرديات من مصر، ولا من الألواح المسمارية من بلاد بابل، أو من خبايا العملات من إسبانيا[١٥]، لتغيير تلك الصورة. وعلى ذلك فإن نموذج فينلي العام "للعالم القديم" فسر بدقة ما كان في حاجة إلى تفسير.

وكما شملت دراسة التاريخ القديم مجموعة متغيرة من التخصصات، شهد علم الاقتصاد هو الآخر الكثير من التغيرات في توجهه. كانت انتقادات الأساس الأخلاقي للرأسمالية وسلوك الأسواق الرأسمالية جزءا رئيسا من علم الاقتصاد، لا سيما في ضوء الأحداث الاقتصادية لعامي ٢٠٠٨-٢٠٠٩[٢٧]. وقد تطور علم الاقتصاد بدرجة كبيرة في أعقاب آخر أزمة مالية عالمية، وكذلك على مدار "العقود الثلاثة الأخيرة أو نحوها"، التي اتضح خلالها أن "الافتراضات الأساسية ممثَّلة في العقلانية التامة، والتوازن، وتناقص الغلة، والفاعلين المستقلين الذين يواجهون دائما مشكلات واضحة المعالم، غير موثوقة ومكبِّلة ومفتعلة بدرجة أو بأخرى"[٢٨]. ففي عالم ما بعد عام ٢٠٠٨، أوجدت الافتراضات حول الأسواق وسلوك السوق والدور الذي يجب أن تلعبه الحكومات في تنظيم الاقتصاد، شيئا من قبيل رد الفعل الفكري الكبير، كان في أغلبه ضد فريدريش هايك Friedrich Hayek وميلتون فريدمان Milton Friedman، وبوجه عام ضد ما يستطيع علم الاقتصاد أو لا يستطيع أن يفسره. أعاد ذلك أعمال بولاني Polanyi إلى الصدارة، على الأقل بقدر ما يمكن إجراء إعادة نظر فيها ومعها إعادة تأكيد على جذور الأسواق ووظيفتها.

إن تعيين الاقتصادات بالحدود "الوطنية" اللازمنية، مثل "الاقتصاد اليوناني القديم" أو اقتصاد "الشرق الأدنى القديم" أو الاقتصاد "المصري القديم" وما إليها، يشجع وصفا ساكنا للأدلة، ويمكن أن يعطي انطباعا بأن أنواعا بعينها من المؤسسات، مثل حقوق المِلكية أو الأسواق، كانت تميز ذلك المكان دون غيره. ويوجد الميل عينه في دراسة النظم القانونية القديمة. من ذلك على سبيل المثال أن فريتز برينغزهايم Fritz Pringsheim كتب دراسة مقنعة ومهمة بعنوان "قانون البيع اليوناني" (The

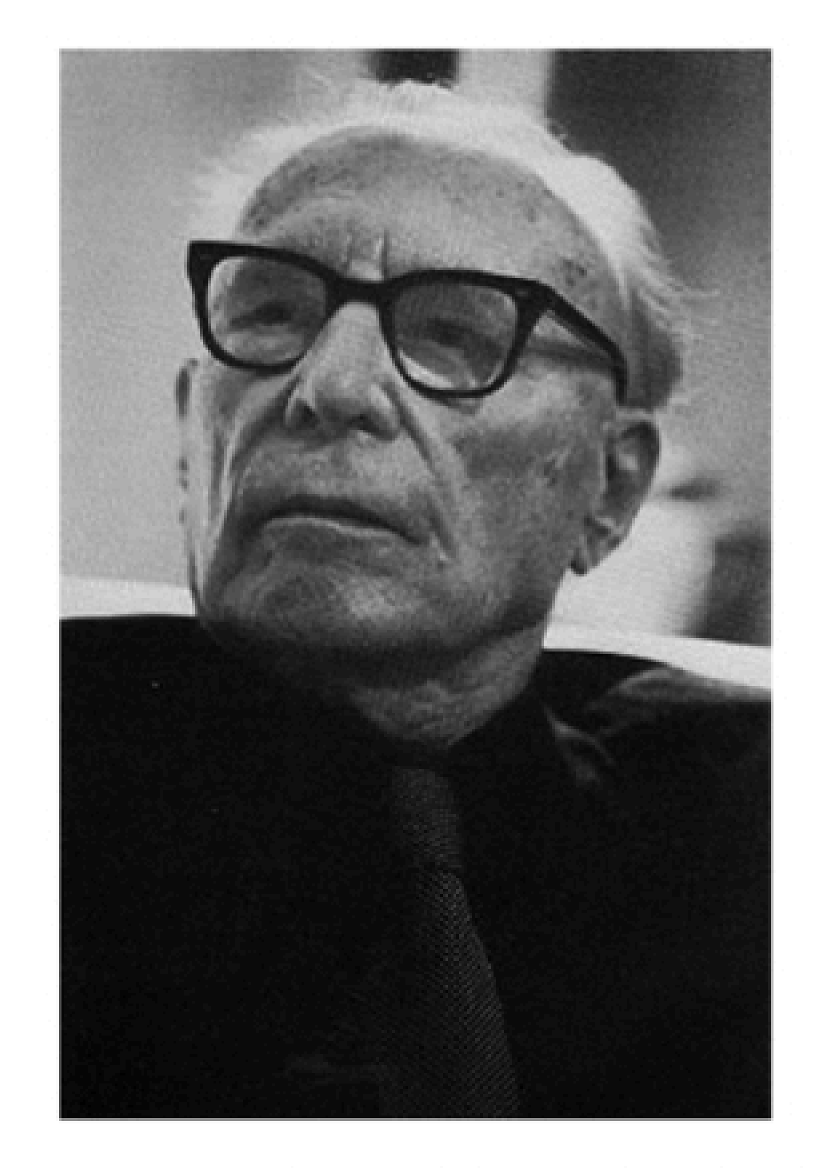
(١٥) الخبايا جمع خبيئة hoard (أو الدفينة، أيضا cache)، في علم الآثار، مجموعة من الأشياء أو القطع الأثرية الثمينة التي توجد عادة مدفونة عمدا تحت الأرض، بغرض استعادتها لاحقا، لكن مخبئها لم يستعدها لسبب أو لآخر. [المترجم]

Greek Law of Sale, 1950)، لكنها غطت زهاء ألف سنة من التوثيق القانوني باللغة اليونانية من مختلف أنحاء البحر الأبيض المتوسط، من الدول المدينية اليونانية إلى مصر البطلمية والرومانية[٢٩]. يحجب هذا الجمع للقانون التغير الاجتماعي والثقافي والاقتصادي الكبير. فهل كانت هناك- على سبيل المثال- اختلافات بين العقود المكتوبة باللغة اليونانية والعقود المكتوبة في ضوء القانون اليوناني؟ كان أقرب شيء للوحدة الحقيقية في عالم البحر الأبيض المتوسط ما قبل الحديث هو اقتصاد الإمبراطوريتين الفارسية والرومانية. وقبلهما، يوجد الكثير من المشكلات الحدودية الناتجة عن سوء التوفيق بين الجغرافيا والمصادر التاريخية، مثل وصف "الاقتصاد اليوناني" بأدلة تخص بضعة مواقع، وهي مشكلات أناقشها في الفصلين التاليين.

هيمنت الأدلة الأثينية والرومانية الإمبراطورية من القرنين الخامس والرابع قبل الحقبة المشتركة وحدها تقريبا على النقاش حول استخدام النظرية الاقتصادية وطبيعة الاقتصادات ما قبل الحديثة. وفي المقابل، عوملت اقتصادات مصر والشرق الأدنى القديمين في معزل عن غيرها، ونادرا ما كانت تُدْرَج ضمن النقاشات الأكبر لفهم السلوك الاقتصادي القديم أو تطوره. ثم بدأت الأمور تتغير، لكن ظل من النادر أن تُذكَر الأدلة الاقتصادية من خارج هذين الاقتصادين الكلاسيكيين ضمن إسهامات دارسي الاقتصاد في الدراسات الاقتصادية القديمة وضمن مناقشات نظرية بولاني وغيرها. وبوجه عام، عومل اقتصادا اليونان وروما الكلاسيكيان معا، في حين عومل اقتصاد بلاد ما بين النهرين ومصر بمعزل أحدهما عن الآخر وعن اقتصاد اليونان وروما الكلاسيكيين.

موزيس آي فينلي (١٩١٢-١٩٨٦)

كان موزيس آي فينلي الذي ولد باسم موزيس فرنكلستين Moses Finkelstein، طفلاً عبقرياً، نال القبول في جامعة سيراكيوس Syracuse University في عمر الثانية عشر[٣٠]، وحصل على درجة الماجستير في القانون العام من جامعة كولومبيا. ثم تقدم في خطوة لافتة للانتباه إلى دراسة التاريخ القديم، دون معرفة سابقة لا باللغة اليونانية ولا اللغة اللاتينية[٣١]. في أثناء سنوات الدراسات العليا في كولومبيا، شارك فينلي في مشروع بحثي بقيادة بولاني. وكتب في مجلة البحوث الاجتماعية

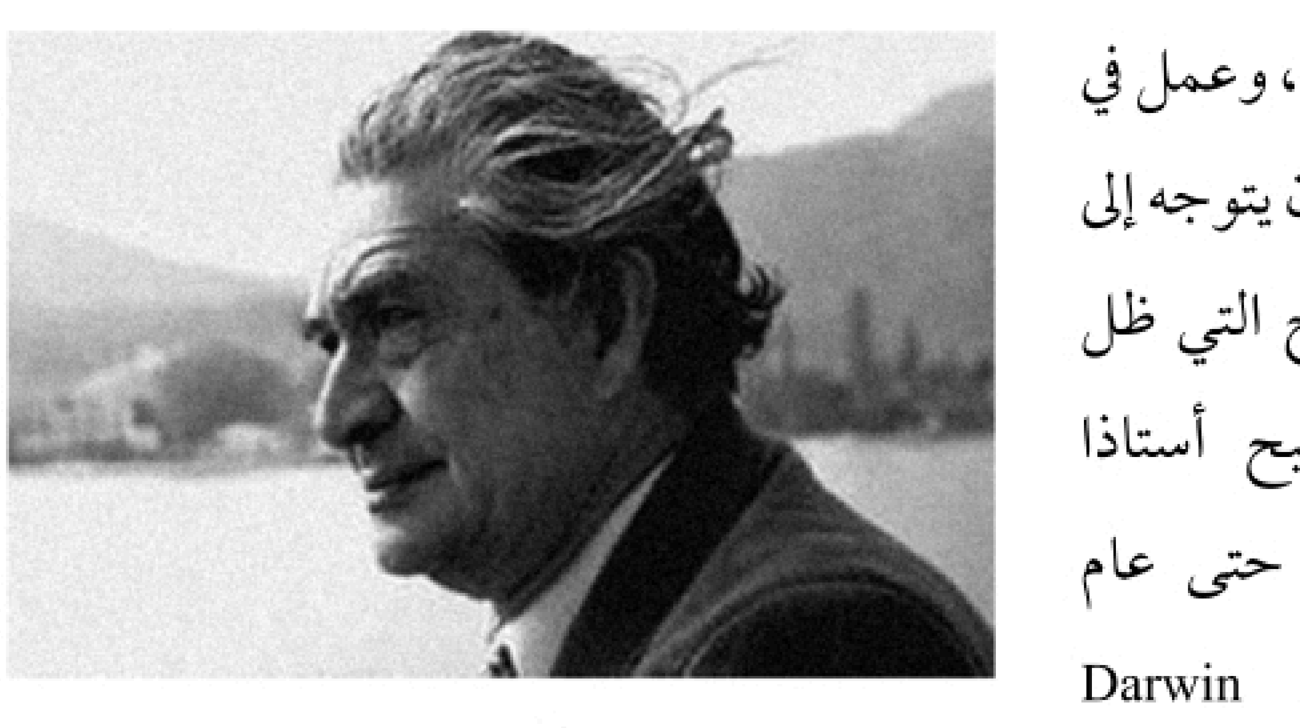


الشكل (٢) كارل فيتفوغل (١٨٩٦-١٩٨٨)

Zeitschrift für Sozialforschung خلال العقد الخامس من القرن العشرين، وفي موسوعة العلوم الاجتماعية Encyclopedia of Social Sciences. وكان من المشاركين في الحلقة الدراسية لجامعة

كولومبيا، ودرَّس في جامعة مدينة نيويورك في أعوام ١٩٣٤-١٩٤٢، وعمل خلال الحرب العالمية الثانية في جهود الإغاثة[٣٢]. ودرَّس بعد ذلك في جامعة روتجرز Rutgers في أعوام ١٩٤٨-١٩٥٢، واعْتُقِل في أثناء الهستيريا المناهضة للشيوعية بقيادة جوزيف مكارثي فيما بعد الحرب، ما جعله يرفض التعاون مع لجنة مكارين[١٦]. ومن المفارقات أن فينلي أصبح صديقا للشيوعي السابق كارل فيتفوغل Karl Wittfogel الذي غادر ألمانيا وأصبح في النهاية أستاذا للتاريخ الصيني في جامعة واشنطن (١٩٤٧-١٩٦٦). إن أكثر ما يشتهر به فيتفوغل (الصورة ٢) هو كتابه النائح المعادي للشيوعية "الاستبداد الشرقي: دراسة في السلطة الشمولية" Oriental Despotism: A Study in Total Power الصادر في عام ١٩٥٧، وهو دراسة مقارنِة كبيرة حول مجتمعات الري أو المجتمعات "الهيدروليكية" hydraulic societies، لكن الجانب الشخصي من آرائه السياسية أقل شهرة، ومنه أنه أبلغ لجنة مكارين في عام ١٩٥١ عن ميول فينلي[٣٣]. إن التاريخ القديم يمكن أن يكون عالماً وحشياً وخالياً من الرحمة، وهي رسالة تذكير مهمة بصعوبة الفصل بين الأيديولوجيات السياسية والأطر التفسيرية.

(١٦) ضمن الإجراءات التعسفية والقمعية لمكافحة الشيوعية التي تزعمها النائب الجمهوري جوزيف مكارثي Joseph McCarthy ضد من أسموهم "الشيوعيين"، شُكل الكونغرس في عام ١٩٥٠ لجنة مكارين McCarren Committee التي كانت مخولة بالوقوف على مدى إنفاذ قوانين مكافحة الشيوعية وطبيعة النشاطات التخريبية في الولايات المتحدة،، أمرت هذه اللجنة بإبعاد فينلي إلى إنجلترا بسبب عدم تعاونه معها. [المترجم]



الشكل (٣) موزيس آي فينلي (١٩١٢-١٩٨٦).

طُرد فينلي من جامعة روتجرز، وعمل في حلقة بولاني الدراسية لسنة، قبل أن يتوجه إلى إنجلترا وزمالة في جامعة كامبردج التي ظل يعمل فيها بتميز واضح، وأصبح أستاذا للتاريخ القديم من عام ١٩٧٠ حتى عام ١٩٧٩ وعميدا لكلية داروين Darwin College من عام ١٩٧٦ إلى عام ١٩٨٢[٣٤].

وتماما كما حدث مع بولاني، تطورت آراء فينلي حول الإطار الصحيح للتاريخ القديم، إذ أعجب في البداية بمقاربات إدوارد ماير Eduard Meyer وميخائيل روستوفتسيف Michael Rostovtzeff، لكنه لاحقا فضل عليها نظريات فيبر وهازبروك Hasebroek وإطاراً نظرياً اجتماعياً أوسع[٣٥].

ظلت أعمال فينلي تحظى باهتمام كبير، وما تزال تُقرأ على نطاق واسع وتحظى بالتقدير. وكانت مسيرته المهنية غير عادية، وهو الشيء نفسه الذي حدث مع الكثير من كبار دارسي العصر القديم خلال القرن العشرين.

تطور فكر فينلي، تماما كما حدث مع الكثير من كبار الدارسين[٣٦]. وتكشِف التناقضات الداخلية لدى فينلي، وهو أمر ينطبق على مؤرخين آخرين، عن أن واحدة من المشكلات التي تظهر عند تلخيص أفكاره تمثلت في الأوصاف شديدة الاتساع بغرض تحديد موقفه الفكري[٣٧]. كان أول أعماله الكبيرة كتابا احتوى رسالته للدكتوراه حول نقوش علامات الحدود(١٧)، صدر في عام ١٩٥٢ بعنوان "دراسات في الأرض والائتمان في أثينا القديمة ٥٠٠-٢٠٠ ق.ح" Studies in Land and Credit in Ancient Athens, 500-200 BC، يبيّن أن فينلي يستطيع أن يمارس العمل الفيلولوجي بتأنٍ شديد[٣٨]. وهذا العمل لكونه رسالة دكتوراه، فإنه جاء ممثِّلا لهذا النوع من الكتابة، أي تحليلا نصيا متأنيا لأحد أنواع النصوص، ويقدم أسلوبا مختلفا تماما عن كتابته ونقده العامين اللاحقين[٣٩]. حصَّل فينلي معرفة

(١٧) علامات الحدود horoi (مفردها horos) علامة من الحجارة كانت تستخدم في اليونان القديمة لتعيين الممتلكات، استُخدِمت لاحقا لتعيين الرهن بتحديد الأرض المرهونة للدائن، كان يسجل عليها قيمة الدَين واسم طرفي الرهن ومدته والشخص المودع عنده عقد الرهن. [المترجم]

واسعة بالعلوم الاجتماعية من خلال عمله على الموسوعة وكتابة مراجعات للمجلات[٤٠]. وأحيا "الجدل الكبير" great debate في أثناء تصديه للمقاربة التقليدية للمؤرخين النصيين ضمن تقليد إدوارد ماير الذي تعرض لهجوم عنيف في كتابات فينلي النائحة، تماما كما فعل فينلي مع مؤرخين آخرين[٤١]. ومع الوقت، أخذ فينلي يفطن إلى ضعف نموذج بولاني للاقتصادات القديمة، وعاد إلى مقاربة فيبر التاريخية وإلى الأنثروبولوجيا الاقتصادية[٤٢].

في الفصل الدراسي الثاني من عام ١٩٧٢، قدم فينلي محاضرات ساذر[١٨]، وهي حدث سنوي رفيع المكانة وأحد أعلى مراتب الشرف في مهنة الدراسات الكلاسيكية، يستضيفه قسم الدراسات الكلاسيكية في جامعة كاليفورنيا University of California في بيركيلي Berkeley. كانت هذه المحاضرات ذروة مسيرة فينلي المهنية، إذ قدم خلالها خلاصة أفكاره التي طورها على مدار عشرين سنة في محاضرات ومنشورات عديدة. وبعد سنة، ظهر الكتاب الذي انبثق عن هذه المحاضرات بعنوان "الاقتصاد القديم" في عام ١٩٧٣. احتوى الكتاب الفصول التالية: "القدماء واقتصادهم"، "النظام والمكانة"، "أسياد وعبيد"، "مُلاك الأراضي والفلاحون"، "المدينة والريف"، "الدولة والاقتصاد". تكشِف نظرة سريعة على هذه العناوين أن العلاقات الاجتماعية كانت الأدوات التحليلية الأساسية لدى فينلي. والكتاب تحفة في التمكن والانضباط البلاغيين، على الرغم من أنه من حين لآخر يتبنى دور الناقد بشيء من الهجمات السريعة المنتقاة، على الأخص في قسم "أفكار أخرى" الذي نشره في الطبعة الثانية من الكتاب (١٩٨٤). لا يحتوي الكتاب شيئا صريحا حول النظرية، على الرغم من أن فينلي كان أستاذا في النظرية الاجتماعية، وما يزال الكتاب متداولا وشهيرا- عن جدارة- باعتباره أحد أهم الكتب التي كُتبت على الإطلاق بأي لغة حول الاقتصاد القديم[٤٣]. كان الكتاب ذروة سنوات طويلة من العمل، لخّص فيه فينلي أعماله الرائدة في استخدام العلوم الاجتماعية التاريخية في فهم السلوك الاقتصادي وفي محاولة اتخاذ مسار جديد بعيدا عن إطار "البدائي-الحديث" primitive-modern framework[٤٤].

جاء تصدير فينلي لكتاب "الاقتصاد القديم" الذي ذكرته في موضع سابق مذهلا وكاشفا عن لب حجته. كيف يمكن لكتاب في الاقتصاد القديم ألا يكون كتابا في التاريخ الاقتصادي؟ تكمن الإجابة في

(١٨) تسمى محاضرات ساذر Sather lectures على اسم الكرسي البحثي الذي أسسته السيدة جين كي ساذر Mrs Jane K. Sather للأدب الكلاسيكي. [المترجم]

أيديولوجية فينلي وتأثره جزئياً بفكر بولاني، وفكر فيبر بدرجة أكبر[٤٥]. يستطيع القارئ أن يتعقب ذلك مباشرة إلى التمييز الحذر بين التاريخ الاقتصادي والنظرية الاقتصادية الذي جاء في رد بوخر Bücher على ماير[٤٦]. كانت هناك حقائق تاريخية لم تهم بوخر كثيراً، على الرغم من أنه حاول تفسير فترة طويلة من التاريخ المدون، وبعد ذلك جاء تنظير عام حول مراحل التطور السياسي والاقتصادي.

كان فينلي أقل اهتماما بتفسير التغير على مر الزمن، إذ أراد بدلا من ذلك أن "يصف الاقتصاد القديم"[٤٧]. وقدم نموذجاً عاماً، وليس جرداً شاملاً للأدلة، ذهب فيه إلى ضرورة التمييز الحذر بين التاريخ وما قبل التاريخ، وأن الحضارة الأوروبية لها مسار فريد، وأن مصر والشرق الأدنى القديمين كانا مختلفين بنيويا عن أثينا الكلاسيكية أو روما الإمبراطورية. كانت العلاقات الاجتماعية، وأبنية القوة التراتبية hierarchical power structures، ودور الكاتب في الشرق الأدنى القديم تمييزات مهمة، تماما كما كان المعبد الكبير والبلاط اللذان سيطرا على اقتصادات إعادة التوزيع مختلفين عن العالم الكلاسيكي، على الأقل بعد نحو ١٠٠٠ ق.ح، في حين كانت الاقتصادات البلاطية المينوسية والموكناوية خلال العصر البرونزي شبيهة باقتصادات مصر والشرق الأدنى القديمين(١٩). تكمن النقطة المهمة في أن فينلي كان يعمل ضمن تقليد اهتم ببناء تاريخ أوروبي أكثر اكتمالا. ولعل الأمر الأكثر إشكالية هو أن فينلي لم يتعامل مطلقا مع الحقبة الهلنستية. لا شك أن هذه الحقبة تميزت بتغير مؤسسي بالغ الأهمية، لكنها أيضا كانت فترة انتقل خلالها المركز إلى الشرق، إلى الدولتين البطلمية والسلوقية(٢٠). وقد ذهب فينلي، متبعا وصف "الأنماط المثالية" عند ماكس فيبر، إلى أن الأنماط المهيمنة في عالم البحر الأبيض المتوسط الكلاسيكي كانت المِلكية الخاصة والتجارة الخاصة والتربة الخفيفة والمطر، وهي كلها تتعارض مع تنظيم

(١٩) موكناي Mycenae موقع أثري في شمال شرق شبه جزيرة بيلوبونيز (المورة) ببلاد اليونان، كان في الألف الثاني قبل الحقبة المشتركة أحد المراكز الرئيسة لحضارة اليونان، وإليه ينسب التاريخ اليوناني بين نحو عامي ١٦٠٠ و١١٠٠ ق.ح: اليونان الموكناوية Mycenaean Greece. [المترجم]

الاقتصاد البلاطي palace economy (أيضا اقتصاد إعادة التوزيع redistribution economy) تنظيم للاقتصاد يتدفق فيه نصيب كبير من الثروة إلى سيطرة إدارة مركزية، هي البلاط الحاكم، ومنه إلى عامة الناس الذين قد يُسمح لهم بملكية مواردهم الخاصة، لكنهم يظلوا معتمدين بشدة على الثروة المعاد توزيعها من البلاط. [المترجم]

(٢٠) ينسب السلوقيون Seleucids إلى سلوقس الأول المنصور Seleucus I Nicator (٣٥٨-٢٨١ ق.ح)، وهي السلالة التي توارثت إمبراطورية كبيرة من أنقاض إمبراطورية الإسكندر الأكبر، شملت الأناضول وبلاد فارس والمشرق وبلاد ما بين النهرين وأفغانستان وأجزاء من باكستان وتركمانستان، من عام ٣١٢ ق.ح إلى عام ٦٣ ق.ح. [المترجم]

الاقتصادات في شرق البحر الأبيض المتوسط وفي مصر. اختار فينلي عنوان كتابه بعناية إذن، فبالنسبة له، كانت الاقتصادات الكلاسيكية لليونان وروما وحدة واحدة.

ومع أن فينلي اعتبر الاقتصاد القديم وحدة واحدة، فإن اهتمامه اقتصر على الاقتصاد اليوناني الكلاسيكي (بالدرجة الأولى) والاقتصاد الإمبراطوري الروماني. نُظِّم هذان الاقتصادان بطريقة مختلفة، وشكلا "نوعية بعينها من العلاقات الاقتصادية والاجتماعية، أي شكلا نمطا اقتصاديا" بتعبير شو Shaw الذي حذّر، وهو مُحِقّ في ذلك، من انتقاد نموذج فينلي من خلال إثبات أن التكثف مُوَثَّق هنا أو هناك في البحر الأبيض المتوسط وحسب[٤٨]. لكن بالنسبة لفينلي، لم يوجد مفهوم الاقتصاد في الفكر القديم، ولذا لا يستطيع المرء أن يدرس أي اقتصاد قديم بالطريقة التي يدرس بها اقتصادات القرن الثامن عشر أو القرن التاسع عشر الأوروبية. دافع فينلي عن رأيه بتعريف "الاقتصاد" في الفصل الأول من كتاب "الاقتصاد القديم" بالاقتباس من إريك رول Erich Roll:

> وعلى ذلك، فإننا إذا اعتبرنا النظام الاقتصادي كتلة هائلة من الأسواق المترابطة، فإن المشكلة المركزية في البحث الاقتصادي تصبح تفسير عملية التبادل، أو على نحو أدق تفسير تشكُّل الأسعار"[٤٩].

لم تكن هناك في العالم القديم أسواق تحديد أسعار، ولا دولة لها "سياسة اقتصادية"، ولم يكن ثمة شيء من قبيل "الفكر الاقتصادي" أو مفهوم "الاستثمار". كانت الأرض تُكتسَب من خلال الكسب "المفاجئ" وحسب[٢١]، وليس من خلال الأسواق. لقد وصف فينلي ما اعتبره خاصية للمجتمعات القديمة، ورأى أن ذلك كان كافيا، وذهب إلى أن أي شيء آخر، من قبيل بعض الصفقات السوقية، كانت نادرة تماما إلى حد يجعلها لا تستحق تناولاً عاماً. واتباعاً لهازبروك وفيبر، كانت المكانة الاجتماعية هي الأساس عند فينلي، وكانت الثروة وسيلة لغاية نيل المكانة والحفاظ عليها، إذ كانت قيم المجتمع القديم كابحا لتطوير الأسواق. وعملت العبودية وقسمة الناس إلى مواطنين وغير مواطنين على تقييد فرص تطوير أسواق العمالة على وجه التحديد. لذلك كانت فكرة "الربح" هامشية في المجتمعات الكلاسيكية[٥٠]. وقد كان العصر القديم عالما زراعيا، وكان الابتكار في ذلك القطاع نادرا. ويعد تريمالكيو، تلك الشخصية الخيالية في "كتاب الهجاء" من القرن الأول

---

(٢١) من أمثلة الكسب "المفاجئ" windfall purchase قديما الغزو أو منح الأراضي من الحكومات. [المترجم]

من الحقبة المشتركة لبترونيوس، ممثِّلا للقطاع كاملا(٢٢)، أي مالك الأرض الغائب(٢٣)، غير المهتم "باستثمار" الأرض أو تحسينها، بل المهتم فقط بالثروة التي تولدها الأرض لإظهار ثرائه في حفلات عشاء مسرفة مع الأصدقاء.

ذهب فينلي في الكتاب إلى أنه لم يكن هناك في العصر القديم فكر اقتصادي ولا "سياسة" حكومية "للاقتصاد"، ولا حتى في أهم الأطروحات التي بقيت، وهي كتاب "أويكونوميكوس" لزينوفون وكتاب "أويكونوميكا" لأرسطو المزيف(٢٤)، اللذان يعدان من النصوص الأساسية التي تناولت إدارة المنزل والأراضي[٥١]. ولم يحدث تحسن يذكر في التقنية، ولم تظهر "العقلية الرأسمالية"، و"ظلت الثروة العقارية هي الثروة الأهم من العالم الهومري حتى جستنيان"[٥٢](٢٥). ثمة إطار مختلف في العصر القديم الكلاسيكي توحي به حقيقة أن المصطلحات الاقتصادية "الحديثة" مثل العمل labor ورأس المال capital والاستثمار investment والطلب demand والمنفعة utility وما إليها ليس لها مكافئ في اللغة

---

(٢٢) الهجاء Satyricon (أو كتاب الهجاء liber Satyricon أو كتاب المغامرات الهجائية The Book of Satyrlike Adventures) عمل أدبي باللغة اللاتينية يعتقد أنه من تأليف غايوس بترونيوس Gaius Petronius، وإن كانت المخطوطة تحدد المؤلف بأنه تيتوس بترونيوس Titus Petronius، يعده الدارسون رواية رومانية، وإن كان لا يشبه الشكل الأدبي الحديث، وتريمالكيو Trimalchio إحدى شخصيات العمل. [المترجم]

(٢٣) مالك الأرض الغائب هو الشخص الذي يملك أرضاً في الريف، لكنه يعيش بعيداً عنها في الحضر، وتقتصر علاقته بها على تحصيل الإيجار أو الحصول على حصته من المحصول. [المترجم]

(٢٤) كتاب أويكونوميكوس Oeconomicus (باليونانية Οἰκονομικός أي "الإنسان الاقتصادي") محاورة سقراطية حول الإدارة المنزلية والزراعة، تعد من أقدم الأعمال في علم الاقتصاد، من تأليف الفيلسوف والمؤرخ والجندي الأثيني زينوفون الأثيني Xenophon of Athens (نحو ٤٣١ إلى ٣٥٤ ق.ح). [المترجم]

أويكونوميكا Oeconomica (باليونانية Οἰκονομικά أي "علم الاقتصاد") عمل يُنسَب إلى أرسطو، لكن معظم الدارسين الحديثين ينسبونه إلى تلميذه ثيوفراستوس Theophrastus، يعد من أوائل الكتابات في الاقتصاد المنزلي. [المترجم]

(٢٥) هومري Homeric نسبة إلى المؤلف اليوناني الأسطوري هوميروس، صاحب الملحمتين الشعريتين الإلياذة Iliad والأوديسة Odyssey، اللتين يُختلف حول تاريخ كتابتهما، من القرن الثاني عشر قبل الحقبة المشتركة إلى القرن التاسع قبل الحقبة المشتركة، وإن كان التاريخ الأخير أوسع تقبلا حاليا. [المترجم]

جستنيان Justinian (جستنيان الأول Justinian I، نحو ٤٨٢ إلى ١٤ نوفمبر ٥٦٥) إمبراطور الإمبراطورية الرومانية الشرقية من عام ٥٢٧ إلى عام ٥٦٥ ح.م، يعرف أيضا باسم جستنيان الكبير والقديس جستنيان الكبير، حاول استعادة مجد الإمبراطورية الرومانية باحتلال النصف الغربي من الإمبراطورية السابقة. [المترجم]

اليونانية أو اللغة اللاتينية[٥٣]. هذا هو جوهر الاقتصاد القديم عند فينلي. ومنذ أن وضع فينلي حججه حول ما يعد "اقتصاديا"، تركز الجدل على التبادل السوقي market exchange وتشكُّل الأسعار formation of price، أو على التبادل السوقي باعتباره النمط الرئيس للاندماج. وهنا تحديدا يكمن ميراث فيبر وبولاني، ففي رأي فينلي (وغيره) لم يكن "التحليل المتمركز حول السوق" ممكنا.

جاء رد الفعل سريعاً على كتاب "الاقتصاد القديم"، إذ أشارت إحدى المراجعات إلى الإطار الفيبري لفينلي الذي يسعى لإبراز التضاد بين غياب "الانطلاقة" الاقتصادية في العالم القديم والحياة الحضرية العقلانية الساعية للربح التي يهيمن عليها التجار في أوروبا العصر الحديث المبكر[٥٤](٢٦). كان دور اتجاهات النخبة (روما شيشرون(٢٧)) في تشكيل بقية المجتمع بؤرة اهتمام فينلي بالمكانة في المجتمعات الكلاسيكية، وهو الموقف الذي عده فريدريكسن Frederiksen موقفا "متطرفا"[٥٥]. تتمثل إحدى المشكلات الأساسية في أن فينلي يريد أن يصف "اقتصاده القديم" بأنه ساكن وجامد، وأنه مرحلة بحسب مقولات المدرسة التاريخية الألمانية[٥٦]. وبالنسبة لفينلي، كانت لقطة بسيطة لروما الجمهورية أو أثينا القرن الخامس قبل الحقبة المشتركة كافية لوصفهما. لكن تأكيده على بضعة تمثيلات أدبية لكل العالم الكلاسيكي ليست كافية بحال من الأحوال. ولا يقدم فينلي السلوك الحقيقي للنخب الذي أصبح معروفا لنا حاليا بدرجة أكبر. كما أنه قلل من شأن التجارة، مع أنه من الواضح أن الشبكات التجارية كانت تتحرك بحرية عبر حدود المكانة، وأن الأرض كانت تُكتسَب من خلال الشراء، وهي أمور مُوَثَّقة جيدا في مصر الهلنستية على سبيل المثال، وكذلك قدم فريدريكسن أمثلة من روما[٥٧]. يتعرض الكُتاب الزراعيون الرومان لتعليقات بالغة القسوة من فينلي الذي يذهب إلى أنهم كانوا مجردين تماما من أي شيء من نوع النصح الاقتصادي الصحيح. لكن فريدريكسن يذكّرنا بأننا يجب أن نفهم كولوميلا وغيره من الكُتاب ضمن محيطهم الاجتماعي المحدد(٢٨)، إذ كانوا يقدمون النصح لقلة من الرواد، وليس لعالم الزراعة الروماني كاملا[٥٨].

---

(٢٦) الفيبري نسبة إلى المفكر الألماني ماكس فيبر الذي جاء حوله الكثير فيما سبق وما سيأتي من الكتاب. [المترجم]

(٢٧) شيشرون هو ماركوس توليوس شيشرون Marcus Tullius Cicero (٣ يناير ١٠٦ ق.ح إلى ٧ ديسمبر ٤٣ ق.ح) رجل دولة وخطيب وكاتب روماني عملا قنصلا في عام ٦٣ ق.ح. [المترجم]

(٢٨) كولوميلا Columella أو لوسيوس يونيوس موديراتوس كولوميلا Lucius Junius Moderatus Columella (٤ إلى نحو ٧٠ ح.م) كاتب بارز حول الزراعة خلال الإمبراطورية الرومانية. [المترجم]

حددت مراجعة فريدريكسن الرائعة المسار للكثير من الأعمال اللاحقة، من ضمنها فكرتين أعتبرهما مركزيتين، وهما (١) أن تحليل "الاقتصاد القديم" يجب أن يوضع في مكان ما بين "الاقتصاد التقليدي الساكن" ونوع من "اقتصاد السوق الهلامي"، (٢) أنه يجب استخدام لغة دقيقة عند وصف الأدلة المادية، سواء كانت أدبية أو أثرية أو غيرها[٥٩]. من ذلك على سبيل المثال أن فينلي أنكر وجود مفهوم "الحرية" في الشرق الأدنى، لكنها في الحقيقة كلمة مُثْبَتة جيدا في لغات الشرق الأدنى القديم، وكانت بنفس معنى المفهوم الذي ذهب فينلي إلى أنه كان موجودا فقط في العالم الكلاسيكي[٦٠]. كما أن استخدام مصطلح "إعادة التوزيع" redistributive لوصف كامل التنظيم الاقتصادي لغرب آسيا قبل الإسكندر الأكبر يبخس حق ذلك العالم الاقتصادي الذي كان أشد تعقيدا من ذلك بكثير.

ثمة فجوة تاريخية كبيرة في رواية فينلي، تماما كما أوضح فريدريكسن والكثير من المؤرخين الآخرين من بعده، تتمثل في غياب العالم الهلنستي بعد عام ٤٠٠ ق.ح، وهي فترة من تاريخ البحر الأبيض المتوسط كانت بلا ريب، سواء أسميناها "العصر المحوري" أم لا، نقطة تحول في التاريخ الاقتصادي لأوراسيا. فقد تميّز ذلك العصر بمؤسسات جديدة، منها تزايد التبادل السوقي، وتزايد استخدام العملة، وتحسينات شملت التقنية العسكرية[٦١]. كذلك انتشرت تطورات القرن الرابع قبل الحقبة المشتركة سريعا من العالم اليوناني عبر أنحاء شرق البحر الأبيض المتوسط كافة، وإلى ما ورائه مع الإسكندر. فبدون التاريخ الهلنستي لا نستطيع أن نفهم روما.

لكن كيف نفسر تغيرات مثل زيادة التبادل السوقي في كل مكان، ونمو المراكز الحضرية، مثل الإسكندرية، وآلاف العقود الخاصة التي استعيدت من رمال مصر والعراق؟ لقد أغفل فينلي التضاد بين الاقتصاد البدائي والسياسة التحديثية في أثينا[٦٢]. لقد تمثلت المشكلة الرئيسة عند فينلي في اللغة وفي موقف أيديولوجي وضع المؤسسات الاقتصادية المتخلفة جنبا إلى جنب مع المؤسسات السياسية الديمقراطية "التحديثية".

كان كتاب موزيس فينلي "الاقتصاد القديم" حدا فاصلا فكريا في معالجة طبيعة "الاقتصاد القديم"[٦٣]. فمع إعلان انتصار نموذجه في الكثير من الدوائر[٦٤]، أثبت ذلك في حقيقته أنه نقطة نهاية، لا بداية، إذ بقي الموقف "الحداثي" modernist position، بل اكتسب زخما على الرغم من التفكير بالتمني بأنه قد مات "ميتة طبيعية" ودُفِن في قبر غير معلوم[٦٥]. وبقي التجاذب بين قطبي البدائية

والحداثة، جزئيا لأن التسلسل الفكري عند فينلي تقبل بعض جوانب الحجة الحداثية المتعلقة بظهور المدينة polis اليونانية كما وضعها فيبر. وأخذت المنظورات الأنثروبولوجية تنال اعترافا بنفعها رغم عدم كفايتها لأنها لا تستطيع أن تفسر الاختلافات بين المدن اليونانية، ناهيك عن تفسير السلوك الاقتصادي عبر أوراسيا ما قبل الحديثة كاملة[٦٦].

كان "الجدل الكبير" حول طبيعة "الاقتصاد القديم" لبعض الوقت مثيرا للمُنَظِّرين الأوائل، لكنه لم يعد مثمرا، فلا فائدة منه سوى تنظيم الصفوف والانتصار في خلافات مفتعلة. كانت مشكلة التضاد البسيط بين البدائي والحديث واضحة بالفعل في أعمال فيبر، ثم أصبحت الحدود ضبابية في رؤى فينلي للاقتصاد القديم[٦٧]. وأخيرا تجمد الجدل مثل حشرة في كهرمان بسبب ضيق التخصصات، ونقص المعلومات الجديدة، والإصرار على أن الاختلافات البنيوية في الاقتصاد السياسي بين المجتمعات كانت كافية لتفسير التاريخ الاقتصادي لعالم البحر الأبيض المتوسط ما قبل الحديث. كانت معالجة فينلي رائعة، لكنها لم تعد تمثل ما يحدث في عالم دراسة الاقتصادات القديمة سريع التغير. لقد تغيرت أشياء كثيرة، وانبثقت طرق جديدة مثيرة لفهم الماضي، وهذا هو موضوع الفصل التالي.

الفصل الأول

اتجاهات جديدة وسياقات أوسع لدراسة الاقتصادات ما قبل الحديثة

New Directions and Broader Contexts in the Study of Premodern Economies

ظل دارسو القياس التاريخي لخمسة عشر عاما يقنعون زملاءهم في مهنة التاريخ بالنفع الكبير الذي يمكن أن يعود عليهم من علم الاقتصاد[1]، وها هم المؤرخون قد بدأوا يقنعون زملاءهم في علم الاقتصاد بالنفع الكبير الذي يمكن أن يعود عليهم من التاريخ. فالتاريخ عظيم الفائدة، وهو مستودع لحقائق اقتصادية اختبرت بدقة، ومجموعة من التجارب تشحذ قوة علم الاقتصاد في كل اتجاه، وهو مَعْيِن للأفكار الاقتصادية، وموجِّه للسياسة، ومدرسة للعلماء الاجتماعيين. ليس مصادفة- إذن- أن التاريخ موضع تقدير بعض أفضل العقول في علم الاقتصاد، ويا لها من خسارة أن الآخرين قد انجرفوا بعيدا. هل يمتلك الماضي علم اقتصاد نافع؟ بالطبع يمتلك.

—Donald McCloskey (1976: 455)

---

(١) القياس التاريخي Cliometrics (يسمى أيضا التاريخ الاقتصادي econometric history أو التاريخ الاجتماعي الجديد new social history) هو التطبيق المنظم للنظرية الاقتصادية والأساليب الاقتصادية وغيرها من الطرق الصورية أو الرياضية على دراسة التاريخ، لا سيما التاريخ الاجتماعي والاقتصادي، والاسم مستمد من اسم موزية (إلهة) التاريخ في الميثولوجيا اليونانية كليو Clio (أو Kleio)، مقرونا بكلمة metrics التي تعني "القياس". [المترجم]

إن كتابة التاريخ في حقبة العولمة لا يمكن إلا أن تكون شكلا من البحث التعاوني، سواء بين أنواع المقاربات أو بين الدارسين من مختلف أنحاء الكرة الأرضية، فنحن لسنا مترابطين وحسب، بل أيضا معتمدين على بعضنا بعضا.

—L. Hunt (2014: 151)

إن "الجدل" حول الاقتصادات القديمة الذي ذكرته في مقدمة الكتاب، كما يصاغ عادة في ثنائيات متضادة، كان جهدا عقيما في الأساس، ومن الأجدى بالتأكيد لو تبنى هذا الجدل "معرفة أعمق بالعالم الاجتماعي"[1]. ومع أن حوارا من نوع ما كان موجودا بين المؤرخين والعلماء الاجتماعيين منذ قرن من الزمن، فإنه كان في غالبه "حوار طرشان" باستعارة العبارة الشهيرة من المؤرخ الفرنسي فرنان برودل Fernand Braudel، تشابك مع جدل ما بعد الحرب العالمية الثانية حول ما بعد الاستعمار postcolonialism، أو كان نوعا من تحدث المتحاورين في موضوعات مختلفة وهم يظنون أنهم يناقشون موضوعا واحدا[2]. وما يزال الجدل محتدما حول استخدام النماذج العامة، وما يزال الكثير من مؤرخي العصر القديم يفضلون التفاصيل الاجتماعية، وما تزال تمييزات الداخلي/ الخارجي تشغل دارسي الأنثروبولوجيا الاقتصادية[2][3]. ولعله من الكاشف أن أحدا من ماركس أو فيبر أو آدم سميث لم يعمل ضمن قسم أكاديمي أوحد، بل إن أحدا منهم ما كان ليقبل ذلك[3]. ومع أن الدراسات الأخيرة تجاوزت كل الأفكار التي أوجزتها المقدمة، فلا يوجد إجماع على مدى تجاوزها، أو إلى أي مدى يجب تجاوزها. وما تزال دراسات كثيرة في التاريخ القديم، كما هي الحال في العلوم الإنسانية عموما، متأخرة كثيرا عن ولوج هذا التجاوز. ومع أن ذلك ليس شرا دائما، فإنه يوجِد تنافرا صارا للأذان بين المؤرخين

(٢) ترجع عبارة "تحدث المتحاورين في موضوعات مختلفة وهم يظنون أنهم يناقشون موضوعا واحدا" talking past each other إلى التفاعل بين ثراسيماخوس Thrasymachus وسقراط حول سؤال "العدالة" في المجلد الأول من كتاب "الجمهورية" لأفلاطون. في هذا الحوار، لم يرد أحد المتحاورين على القضايا التي يثيرها الطرف الآخر، وهنا تظل القضايا الخلافية دون نقاش حقيقي، ولا يستفيد أحد الطرفين من الآخر، أو يغير أحدهما الآخر. [المترجم]

(٣) في الأنثروبولوجيا والفلوكلور والعلوم الاجتماعية والسلوكية، يستخدم المصطلحات etic/emic [الداخلي/ الخارجي] للإشارة إلى نوعين من البحوث الميدانية والرؤى المستمدة منها، الأول من داخل الجماعة الاجتماعية أو من منظور المفحوص emic، والثاني من خارج الجماعة الاجتماعية أو من منظور الملاحِظ etic. [المترجم]

ودارسي الاقتصاد والمؤرخين الاقتصاديين حول مصطلحات التحليل، وحول ما يتهدده الخطر في التحليل، وحول أفضل الطرق لإجراء التحليل.

إن تحليل الاقتصادات ما قبل الحديثة ككل، أو جوانب فردية من السلوك الاقتصادي، يتطلب العديد من المقاربات، وأنا هنا أقترح نماذج جديدة[٤]. على أن النظريات الاجتماعية المعاصرة، وريثة الموقف الصوري والموقف الفعلي(٤)، ما تزال منقسمة بشأن وحدة التحليل: الفرد أم المنزل أم المجتمع[٥]. ويمكن للقراءة المدققة للأعمال الحالية ضمن هذين التقليدين أن تكشِف الكثير من الأشياء المشتركة بينهما، منها على وجه التحديد أن الاثنين يهتمان بالشبكات، وبمفهوم "العقلانية المقيَّدة" للفعل البشري(٥)، والتأكيد على المؤسسات، ومن ضمنها المعايير الاجتماعية. من الشواهد على ذلك بروز علم الاقتصاد المؤسسي الجديد ووضع نماذج عامة حول العقلانية واندماج الأسواق[٦](٦)، وهي المقاربات التي كُتب لها الرواج أينما كانت الأدلة المكتوبة كثيفة. لا غرابة- إذن- في أن الحقبة الهلنستية والإمبراطورية الرومانية نالتا القسط الأكبر من التركيز. أما الحقب السابقة من تاريخ مصر والشرق الأدنى واليونان، فما تزال تُستخدَم معها المقاربات الثقافية والوصفية، وكلما ابتعدت الحقب في الماضي، تهيمن النظريات الأثرية.

---

(٤) راجع حاشية سابقة حول الموقف الصوري Formalism والموقف الفعلي Substantivism في دراسة الاقتصاد عند كارل بولاني. [المترجم]

(٥) تذهب فكرة "العقلانية المقيَّدة" bounded rationality إلى أن الأفراد عندما يصنعون القرارات، فإن عقلانيتهم تقيدها أو تحدها أمور مثل صعوبة المشكلة أو القيود المعرفية لعقولهم والوقت المتاح لصنع القرار، وما إليها. [المترجم]

(٦)علم الاقتصاد المؤسسي الجديد New Institutional Economics; NIE منظور اقتصادي يسعى لتوسيع علم الاقتصاد من خلال التركيز على المعايير والقواعد الاجتماعية والقانونية، أي المؤسسات، التي تقع في الأساس من النشاط الاقتصادي، ومن خلال تحليل يتجاوز علم الاقتصاد المؤسسي وعلم الاقتصاد الكلاسيكي الجديد. [المترجم]

يشير اندماج الأسواق market integration إلى الحالة التي تتبع فيها أسعار السلع المتشابهة في الأماكن المختلفة أنماطا متماثلة على مدى فترات طويلة. فعندما تتحرك أسعار السلع تناسبيا أو يكون الارتباط بينها واضحا، يقال إن الأسواق مدمجة. [المترجم]

طريق جديد إلى الماضي؟

يمكن أن نتعقب ظهور النماذج الرياضية ونماذج نظرية الألعاب والانشغال بمضامين التحليل على السياسات إلى تحول علم الاقتصاد إلى التركيز على "الهندسة" الرياضية[٧]، التي يمكن تعقبها إلى أوغستن كورنو Augustin Cournot (١٨٠١-١٨٧٧). لكن أعمال بول ساملسن Paul Samuelson خلال العقد الخامس من القرن العشرين كانت فاتحة لمرحلة مهمة في تاريخ علم الاقتصاد، إذ نقلت أعماله المجال من "العرض اللفظي-البياني بالدرجة الأولى إلى المعالجة الرياضية المنظمة والشاملة"[٧]. ثم حدث افتراق بين علم الاقتصاد والتاريخ اللذين ظلا رفيقي درب خلال الفترة السابقة من القرن العشرين. وبداية من العقد الثالث من القرن العشرين، لم يعد علم الاقتصاد يتعامل مع الاقتصاد ما قبل الحديث إلا نادرا، في حين اتخذ المؤرخون الاقتصاديون مسارات متباعدة اعتمادا على الأذواق والإعداد والأسئلة التي تُطرح على مادتهم.

وعندما ظهر القياس التاريخي، بتأكيده على البيانات الإحصائية الكمية، مدفوعا باستخدام التحليل الحاسوبي لمجموعات البيانات، انبثق جدل آخر بين دارسي الاقتصاد والمؤرخين السياسيين ذوي الإعداد التقليدي المعتادين على التعامل مع الوثائق الإنجليزية من العصر الحديث المبكر باعتبارها الأدلة الرئيسة[٨]. حدث هذا "الجدل" بين مؤرخين بارزين، هما روبرت فوغل Robert Fogel المعروف بمشاركته في تأليف الدراسة الكمية للعبودية الأمريكية بعنوان "زمن على الصليب" Time on the Cross (مع استانلي إنغرمان Stanley Engerman، صدرت في عام ١٩٧٤)، والمؤرخ السياسي للثورة التيودورية جي آر إلتن G. R. Elton[٨]. تكشَّفت النقاط الرئيسة في مقالتين أنتجهما المؤرخان

---

(٧) نظرية الألعاب game theory وسيلة للتحليل الرياضي لحالات تعارض المصالح وصولا إلى أفضل الخيارات الممكنة لصنع القرار، لها تطبيقات في العلوم الاجتماعية وعلوم الحاسوب. [المترجم]

الهندسة الرياضية mathematical engineering مصطلح مرادف للنمذجة الرياضية، يشير إلى استخدام التحليل الرياضي والنماذج والمحاكاة والأساليب البصرية لتصوير الظواهر المعقدة والعلاقات بين مكوناتها. [المترجم]

(٨) الثورة التيودورية Tudor revolution نسبة إلى حكم آل تيودور لإنجلترا وويلز من عام ١٤٨٥ إلى عام ١٦٠٣، والسنة الأخيرة هي نهاية الفترة الإليزابيثية لعهد إليزابيث الأولى، يرى المؤرخون أنها أفضل فترة في تاريخ إنجلترا على مدار ألف عام من حيث تعافي الاقتصاد والتوسع والتفاؤل بالمستقبل، ويذهب المؤرخ جيفري إلتن Geoffrey Elton إلى أن توماس كرومويل Thomas Cromwell وزير هنري الثامن من عام ١٥٣٢ إلى عام ١٥٤٠ أحدث ثورة إدارية في

معا، ليرد كل منهما على أفكار الآخر، ونُشرتا في كتاب بعنوان "أي طريق إلى الماضي" (Which Road to the Past, 1983). أبرز الكتاب الاختلافات بين التاريخ العلمي الاجتماعي social scientific history الذي يبحث عن القوانين العامة للسلوك البشري من ناحية، ومن ناحية أخرى السرديات التقليدية traditional narrative التي تؤكد على الفاعل البشري الفردي. وفي حين افترق المؤرخان المختلفان تماما حول مناهج البحث، فإنهما اتفقا حول الكثير، وهو ما جاء مفاجئا للبعض بلا شك، ومن ضمن ذلك اتفاقهما على طريقة صنع التفسير التاريخي الجيد من الأدلة. كان الجدل بين هذين المؤرخين خلال العقد قبل الأخير من القرن العشرين، بطريقة أو بأخرى، صدى لجدل شهير يعرف باسم "جدل مناهج البحث" Methodenstreit، وقع بين دارسي الاقتصاد النمساويين والألمان خلال العقد قبل الأخير من القرن التاسع عشر حول استخدام المعلومات التاريخية في بناء النظرية الاقتصادية. وتماما كما هي الحال في الجدل الأخير، فإننا لسنا مضطرين للانحياز لأحد الجانبين.

دعت معالجة أخيرة للتاريخ الاقتصادي اليوناني-الروماني إلى ثلاثة أشياء تحتاج إلى المزيد من الانتباه، هي (١) توثيق الأداء الاقتصادي، (٢) إبراز البنية والأداء، (٣) التحليل المقارن لأسباب انهيار "الاقتصاد اليوناني-الروماني"[٩]، وأنا أضيف إلى تلك المتطلبات أننا في حاجة إلى رؤية للتاريخ الاقتصادي للبحر الأبيض المتوسط ما قبل الحديث أوسع مما يقدمه الإطار "اليوناني-الروماني"، أي رؤية تشكل قطيعة مع اعتبار البحر الأبيض المتوسط مكانا-زمنا أوروبيا خالصا، وتتقصى التلاقح الثقافي وتتخذ النظرية التطورية إطارا لفهم التغير المؤسسي وفهم حركية الأوجه المتعددة للأداء الاقتصادي. فبدلا من السعي إلى مقارنة المؤسسات الاقتصادية ما قبل الحديثة مع المؤسسات الأوروبية اللاحقة، ينبغي علينا أن نركز على المقارنة الداخلية بين المؤسسات الاقتصادية ما قبل الحديثة ذاتها.

تؤكد المقاربات بدرجة أكبر حاليا على النمذجة الحركية dynamic modeling، وهي أحد أهم الاتجاهات في دراسة الاقتصادات القديمة. كانت نماذج من نوع أو آخر موجودة دائما على مدار أكثر من قرن، كما رأينا، لكن تتوفر لدينا حاليا أدوات مفهومية أفضل كثيرا، وكذلك ابْتُكرت أنواع كثيرة مختلفة من النماذج[١٠]. تقدم النظرية التطورية- على سبيل المثال- أدوات قوية تمكّن من فهم التغير

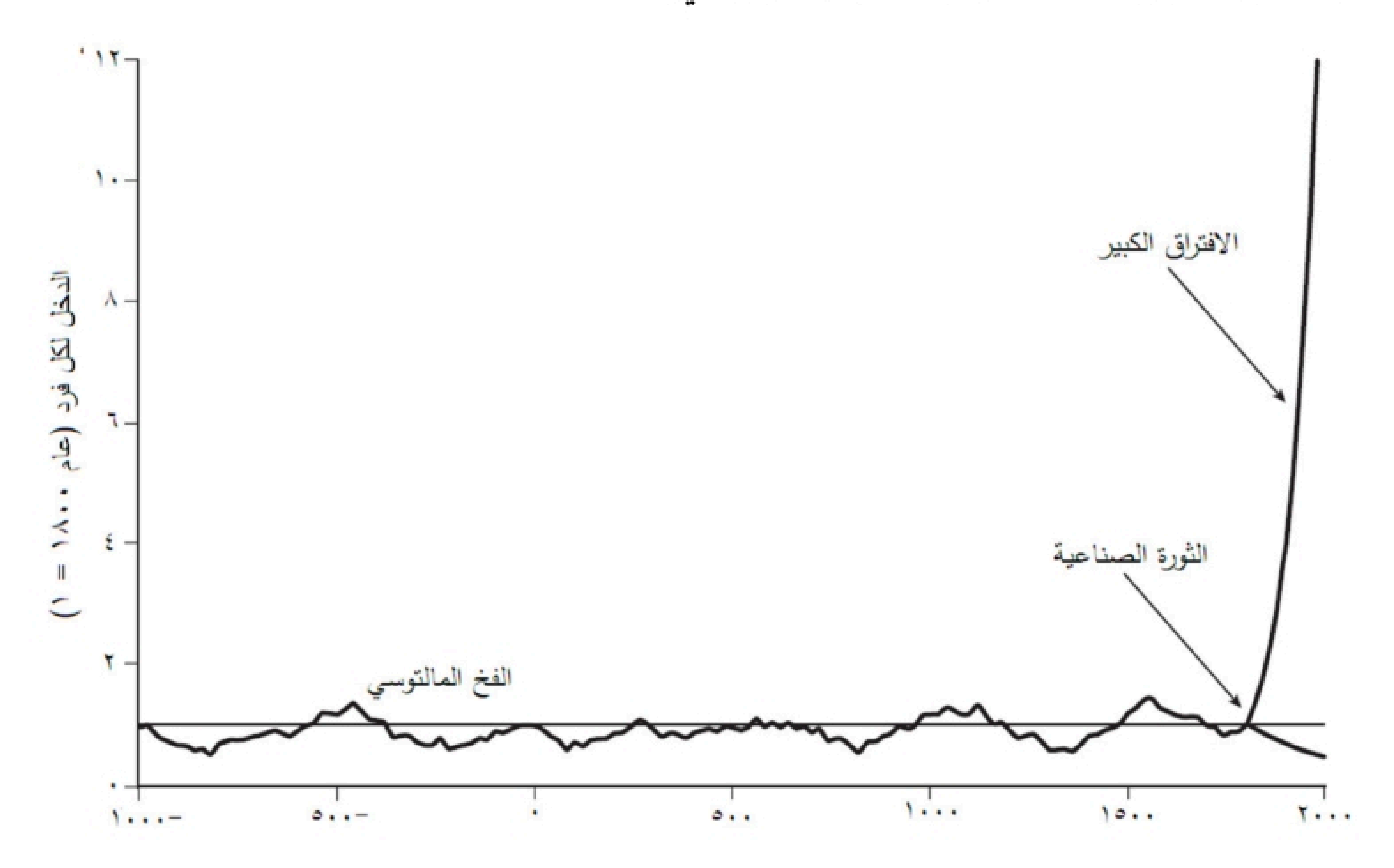
الحكم بانتزاع السيطرة على الكنيسة من البابا وتحويل إنجلترا إلى حكومة بيروقراطية حديثة غير مسبوقة، بعيدا عن إدارة الحكومة كبيت أو ضيعة في السابق. [المترجم]

التقني[١١]. كما أصبح من المعلوم لنا أن مفهوم التعقيد complexity كان إحدى القوى الدافعة الأساسية للتغير المؤسسي، وبوسع المجال الناشئ المعروف باسم علم اقتصاد التعقيد complexity economics أن يساعد في تفسير الحركية التاريخية للعالم القديم[١٢]. وقبل كل شيء، يوجد حاليا اهتمام أكبر بدمج الاقتصادات القديمة ضمن الاتجاهات التاريخية الأطول أمدا.

في أثناء كتابة هذه الفقرة، تواصل النسخة الإنجليزية من كتاب توماس بيكيتي Thomas Piketty حول تفاوت الدخل تألقها، مثيرةً الجدل في الميدانين الأكاديمي والعام كليهما، إذ ربما تكون نقاشات مضامين تفاوت الدخل الموضوع الأكثر احتداما في التناول العالمي[١٣]. من بين الكثير من مزايا كتاب بيكيتي، يعد أكثرها ارتباطا بالواقع الحالي تأكيده على الدور المهم الذي يمكن أن يلعبه التاريخ في فهم العالم الحديث. جاء هذا الكتاب مفاجئا بشكل أو بآخر، لأنه أعاد علم الاقتصاد إلى نمط أقدم، أو كان على أقل تقدير شكلا من التصحيح لما يؤكد عليه علم الاقتصاد. افترق بيكيتي عن التحليل الكلاسيكي الجديد neoclassical analysis، لا سيما كما مورس في الولايات المتحدة خلال النصف الثاني من القرن العشرين، والحلول "الهندسية القائمة على الأدوات" tool-based engineering solutions، وتبنى بدلا من ذلك سردية تاريخية جمعت بين المراجع الأدبية والروايات الأدبية ويوميات المسافرين جنبا إلى جنب مع البيانات التاريخية[١٤]. لكن الكيفية التي يؤثر بها التاريخ كانت خلال السنوات الأخيرة محل جدل كبير، ومرير أحيانا[١٥]. أراد كتاب بيكيتي أن يوسع دراسة كوزنتس Kuznets حول تفاوت الدخل في الولايات المتحدة بين عامي ١٩١٣ و١٩٤٨ باستخدام بيانات من المئتي سنة الأخيرة. وهنا نجد أن البيانات ما قبل الحديثة تقدم رؤية أوسع وضرورية للتغير المؤسسي طويل المدى والأداء الاقتصادي ومجموعة كبيرة من القضايا الأخرى، منها تاريخ تفاوت الدخل[١٦].

كانت كتابة التاريخ القديم منذ مومزن Mommsen تشتبك دائما مع العالم الحديث ومع الجدل المعاصر. فكانت الاقتصادات ما قبل الصناعية عموما تُقارَن عادة مع التطور اللاحق، وتُربَط بالتاريخ الاقتصادي طويل المدى لإبراز التضاد في الأداء. ولا بد هنا من أخذ "الزمن" و"التغير المؤسسي" و"التفاوت الجغرافي-المكاني" في الحسبان. لكن نظرة سريعة على الرسم البياني الشهير الذي أنتجه غريغوري كلارك Gregory Clark (الشكل ٤) قد تكشِف أن شيئا مهما لم يحدث في أي مكان من العالم

قبل عام ١٨٠٠ ح.م. فمن الواضح أن الفخ المالتوسي قد حال دون تمكن العالم ما قبل الحديث برمته من تحسين مستويات المعيشة ومن التطور الاجتماعي[١٧](٩).



الشكل (٤) التاريخ الاقتصادي العالمي في صورة واحدة(١٠). من Clark (2007).

معنى ذلك أن العالم ما قبل الحديث من منظور دارس الاقتصاد لم يكن فيه شيء مثير أو مهم، وذلك لأنه لم يشهد تغيرا حقيقيا في مستويات المعيشة، وشهد بالكاد نموا في الدخل. فلا شيء اقتصادي يستحق الملاحظة في هذا الماضي. فقد التهم الفخ المالتوسي كل الزيادات المؤقتة في الدخل، ولم يحدث نمو حقيقي ولا زيادة في مستويات المعيشة، وكان النمو السكاني بطيئا في أحسن الأحوال،

(٩) الفخ المالتوسي Malthusian trap (نسبة إلى الدارس والناقد الإنجليزي توماس روبرت مالتوس Thomas Robert Malthus) هو الحالة التي يؤدي فيها التزايد السكاني إلى إعاقة النمو بسبب نقص إمداد الغذاء الذي يؤدي إلى المجاعة. في هذا الفخ أو الدائرة المفرغة، يزيد التقدم التقني إمداد الموارد، ومنها الغذاء، ما يؤدي إلى تحسين مستويات المعيشة، وتؤدي وفرة الموارد إلى النمو السكاني، الذي يؤدي بدوره إلى خفض إمداد الموارد لكل فرد إلى مستواه الذي بدأ به قبل التقدم التقني، وهكذا تبدأ الدورة من جديد. ثمة اتفاق على أن البشرية قد أفلتت من الفخ المالتوسي منذ الثورة الصناعية. [المترجم]

(١٠) في الرسوم البيانية، تشير علامة السالب (–) أمام السنوات إلى سنوات ما قبل الحقبة المشتركة. [المترجم]

إن لم يكن ساكنا، ولم يحدث تغير تقني يُذكر[١٨]. ولم يبلغ الاعتماد البشري على "القوى الطبيعية" "سرعة الإفلات" إلا مع الثورة الصناعية[١٩][١١]. لكن تلك الرؤية تنظر إلى التاريخ العالمي من الطرف الحديث، وتتجاهل الحقيقة المهمة المتمثلة في أن البيانات مجزأة تماماً في النصف الأيسر كاملا من الرسم البياني[٢٠]. على أن هذا الموقف الذي يتجاهل الاقتصادات ما قبل الحديثة وما يزال يراوح مكانه في بعض دوائر التاريخ الاقتصادي يتغير حاليا، وقد بدأ دمج دراسات الحالة التاريخية القديمة ضمن حجج تاريخية أكبر حول النمو وحول المؤسسات والتغير المؤسسي[٢١]. لتوضيح هذه الفكرة، أقول إن القوى المالتوسية كانت قوية في العالم ما قبل الحديث، لكنها لم تكن متماثلة إلى الحد الذي يذهبون إليه. فلم يكن "القيد المالتوسي حتميا"، وقد شهدت بعض الأماكن والفترات الزمنية في العالم ما قبل الحديث نموا حقيقيا[٢٢]. بل إن التطورات الثقافية والفكرية والتحسنات التزايدية في التقنية في عالم البحر الأبيض المتوسط ما قبل الحديث تبدو رائعة حقا بالنظر إلى القيود الشديدة في العالم ما قبل الحديث.

تحول الافتراضات حول الاقتصادات ما قبل الحديثة غالبا دون تبلور فهم جديد لطبيعتها. وبحلول أوائل العقد الثامن من القرن العشرين، كانت وفاة الجدل قد أُعْلِنت للتو، اللهم إلا القليل من "تشنجات ما بعد الموت" العرضية[٢٣]. فأُعْلِنت وفاة "الجدل" في الأنثروبولوجيا الاقتصادية في أوائل العقد الثامن من القرن العشرين، وفي الأنثروبولوجيا أُعْلِن أن "جدل الموقف الصوري/ الموقف الفعلي" يعد "عائقا أكثر منه إلهاما"[٢٤]. في مجموعة مقالاته التي نشرت بين عامي ١٩٥٣ و١٩٧٠ وخُصِصت للاقتصاد الروماني، ظل أي إتش إم جونز A. H. M. Jones يتبنى الموقف البدائي primitivist position[٢٥]. لقد أُطِّر هذا "الجدل" ضمن ثنائيات مفهومية، وقد شُبِّه بالجدل بين راهب بوذي وكاهن كاثوليكي حول طبيعة الله[٢٦]. في هذا الجدل، كان الجانبان كلاهما على حق، وكانا في الوقت عينه مخطئين في بعض النواحي. كانت النقاشات النظرية للاقتصادات القديمة في معظمها محدودة في مداها وفي أنواع الأدلة التي تعتمد عليها. وفي المراجعات الأوسع، مثل المراجعات التي أجراها روستوفتسيف وهايخلهايم Heichelheim، غابت التوجهات النظرية تماما.

---

(١١) سرعة الإفلات escape velocity هي الحد الأدنى من السرعة المطلوب لإفلات شيء طليق من التأثير الجذبي لجسم ضخم، والمقصود هنا هو الانطلاقة الاقتصادية أو الرأسمالية التي أفلت بها الاقتصاد من أسر قيود النمو التاريخية. [المترجم]

بعد عشرين سنة من نشر كتاب موزيس فينلي البارز لأول مرة، ظهرت عدة مراجعات متأخرة للكتاب. في إحدى هذه المراجعات، تأمل موريس Morris حالة دراسة الاقتصاد الأثيني في مراجعة لدراسة إدوارد كوين Edward Cohen للنظام البنكي الأثيني[٢٧]. كان موريس حذرا في التمييز بين البدائي/ الحداثي والفعلي/ الصوري، وكان مُحِقّا في القول بأن دمج الموقفين البدائي والفعلي يغفل جدول أعمال النقد السياسي الذي وضعه بولاني[٢٨]. ظهرت دعوات كثيرة لتغيير مصطلحات الجدل، وإلى مقاربات جديدة لمنظورات أوسع، وإلى استخدام بيانات أوسع مدى[٢٩]. من ذلك على سبيل المثال أن دراسة يونغمان Jongman لاقتصاد بومبي شكلت دفاعا مهما عن استخدام المقاربات العلمية الاجتماعية لدراسة الاقتصاد الروماني(١٢)، على الرغم من أن هذه المقاربات العلمية الاجتماعية الشاملة أو الاقتصادية الكلاسيكية الجديدة للاقتصادات القديمة ما تزال نادرة بين مؤرخي العصر القديم[٣٠]. وفي عام ١٩٩٣، وضعت دارسة وليام هاريس William Harris واسعة النطاق والأعلى من نوعها للاقتصاد الروماني جدول أعمال مهم لوصف الاقتصاد الروماني وتحليله، فضلا عن بعض التوجيهات التحذيرية التي حفَّزت مؤرخي الإمبراطورية الرومانية واقتصادييها أو أثارتهم على مدار ربع القرن الأخير:

> إن المهم بالنسبة لنا هو وصف طبيعة وحركية ذلك النظام الذي لم يكن حديثا بالتأكيد، لكنه لا يمكن النظر إليه لذلك السبب على أنه كان بدائيا أو بسيطا أو أخرق أو صغيرا[٣١].

كان أندرو Andreau مُحِقّا، وهو يكتب في عام ١٩٩٥، عندما وضع "وحدة" الاقتصاد القديم موضع تساؤل، وذهب بدلاً من ذلك إلى أن التأكيد يجب أن ينصب على "دراسات الحالة التفصيلية" والتغير التاريخي والمقارنة[٣٢]. ويذهب مورلي Morley إلى أن الأعمال الأخيرة تميزت بميل قوي إلى تجنب "الجدل الكبير" تماما، وسعت بدلا من ذلك إلى وصف المجتمع القديم وتحليله بمصطلحاته، تماما كما يتحتم على الدارس أن يصف السلوك الاقتصادي ضمن سياق اجتماعي بعينه[٣٣].

---

(١٢) بومبي Pompeii مدينة رومانية قديمة قريبة من مدينة نابولي الحالية في منطقة كامبانيا، تشتهر ببقاياها التي غطتها ثورة بركان جبل فيزوف في عام ٧٩ ح.م تحت أربعة أو ستة أمتار من الغبار البركاني، حفظت المدينة ببيوتها وشوارعها وجثث الموتى كما كانت تماما قبل أن يغطيها الرماد. [المترجم]

لا ريب أنه لا يمكن دراسة التجارة القديمة بالطريقة نفسها التي يدرس بها الدارس الاقتصادي الحديث اتفاقيات التجارة الدولية. وبدلا من ذلك يجب تحليلها من حيث العلاقات الاجتماعية و"القيم الاجتماعية" جنباً إلى جنب مع التدفقات التجارية[٣٤]. وقد أكد جون ديفيز John Davies على نماذج التدفق flow models، وتصنيفات المدن city typologies، ونظريات التبادل، والأنواع المختلفة من الأدلة، والاستخدام المتباين للنظريات، لتأطير مجموعة معينة من الأدلة أو تفسيرها. ويصر، وهو مُحِقّ في ذلك تماما، على أننا ينبغي ألا نركز حصرا على نوع أو نمط مهيمن فيما كان نظماً اجتماعية معقدة و"شديدة التنوع في أنواع النشاط"[٣٥]. وقد آلت الجدالات حول الاقتصادات القديمة في معظمها إلى معسكرين اثنين جديدين على ما يبدو، هما الموقف "التفاؤلي" optimist أو حتى المتحمس في بعض الحالات، والموقف "التشاؤمي" Pessimist[٣٦]. غير أن هذه القسمة التي يمكن تعقبها إلى مالتوس والاستجابات العديدة لنظريته السكانية، بسبب تأطير الأدلة بالمُحَدِّدات (مثل القول: كان سكان المكان "س" ما بين العدد "ص" والعدد "ع")، يمكن أن تبقينا في شِباك الجدالات القديمة[٣٧]. فلا يزال علينا أن ننقح "البدائي" و"الحديث" ونعيد تعريفه باعتباره وسيلة لتعيين مكان الاقتصاد على امتداد طيف تاريخي.

من ذلك على سبيل المثال أن ريتشارد بوزنر Richard Posner وضع نموذجا للمجتمع "البدائي" أو "القديم"، ومنها المجتمعات التي تَكشَّفت في ملحمتي هوميروس وفي العهد القديم، على الافتراضات التالية: أن حكوماتها كانت ضعيفة (بسبب انخفاض مستوى معرفة القراءة والكتابة)، وأن نيل الحقوق والواجبات كان يتم بناء على العضوية الأسرية، وأن التصدق كان النمط الأساسي للتبادل، وأنه كانت هناك مساءلة صارمة عن المظالم وتأكيد على الكرم والشرف باعتبارهما من المعايير الأخلاقية، وأنه كانت هناك مسؤولية جماعية ضمن الجماعة، وهي كلها سمات لمعظم المجتمعات البدائية والعتيقة، وكلها ناتجة في النهاية عن التكلفة المرتفعة للمعلومات[٣٨]. كان التكافل الاجتماعي والتعاون والتضامن نقاطا أساسية، لأنه لم تكن هناك دولة تأخذ الفائض في شكل ضرائب وتعيد توزيعه على الجياع. وقدم بوزنر قائمة بالتبادلات السوقية واللاسوقية[٣٩]. يتضح من مناقشة بوزنر للمجتمعات البدائية والعتيقة أنه كان هناك سلوك اقتصادي يمكن تحليله بهذه الطريقة. وتماماً كما هي الحال في النظم القانونية المبكرة، كانت أبنية المجتمعات "العتيقة" "استجابات عقلانية" لحالة

الغموض والتكلفة العالية للمعلومات. أنتج ذلك تقدما اقتصادياً بطيئاً ونمواً سكانياً بطيئاً، وغياباً للخصوصية، وحال دون تراكم الثروة.

بدأ ما يسمى الموقف الحداثي في التبلور في نفس وقت تطور النظرية الاقتصادية الكلاسيكية الجديدة neoclassical economic theory بين عامي ١٨٧٥ و١٩٠٠[٤٠]. ويعد التحليل السوقي market-based analysis عادة التعبير الأقوى والأوضح عن الموقف "الحداثي"[٤١]. وقد ذهب روستوفتسيف إلى أن الاقتصاد الهلنستي كان مختلفا عن الاقتصادات الحديثة في الكم وحسب، وليس النوع، على الرغم من ذهاب فيبر بوضوح في عام ١٩٠٩ إلى أن الاقتصادات القديمة تختلف جذريا عن الاقتصادات الحديثة في كل من الكم والنوع. وثمة دارسون كثر دافعوا مؤخراً عن مواقف خارج إطار البدائي-الحديث، وذهبوا إلى أننا بدلاً من ذلك ينبغي أن نركز على "الممارسات الاقتصادية الفعلية" في العالم القديم[٤٢].

كان الموقف "الحداثي" خلال السنوات الأخيرة رد فعل مباشر على رؤى فينلي، ولذلك كان في غالبه توجه الدارسين ذوي الخلفية في علم الاقتصاد. يتجلى ذلك بوضوح في أعمال إدوارد كوين، ومنها "الاقتصاد والمجتمع الأثينيان: منظور بنكي" Athenian Economy and Society: A Banking Perspective، وكتاب موريس سيلفر Morris Silver "الأبنية الاقتصادية للعصر القديم" Economic Structures of Antiquity، وكتاب بيتر تيمن Peter Temin "اقتصاد السوق الروماني" The Roman Market Economy وكتاب تاكاشي أمميا Takashi Amemiya "الاقتصاد وعلم الاقتصاد في اليونان القديمة" Economy and Economics of Ancient Greece، على سبيل المثال لا الحصر للأعمال الأخيرة باللغة الإنجليزية[٤٣]. لكن بدلا من انتقاد ذلك التوجه بأنه مواصلة لموقف علم الاقتصاد الكلاسيكي الجديد "الحداثي" وحسب، كما فعل البعض، كان ما انبثق عن ذلك التوجه نوع أكثر ثراء من علم الاقتصاد[٤٤]. فقد أصبح المجال علماً للسلوك البشري، وتراجع تركيزه على الأسواق. لم يعد بمقدور ثنائيات البدائية/ الحداثة والموقف الفعلي/ الموقف الصوري أن تصف الألف الأول قبل الحقبة المشتركة، والموقف الفعلي "حداثي" في افتراضه أن السلوك البشري في الاقتصادات الحديثة عقلاني تماماً، و"منفصل" عن العلاقات الاجتماعية[٤٥].

يكثر مؤرخو العصر القديم من استخدام مفاهيم "الحداثة" modernity و"التحديث" modernizing في سياقات أخرى. فبالنسبة للمؤرخ اليوناني جوزايا أوبر Josiah Ober كمثال قريب، كان ثيوسيديديس "تحديثيا"(١٣)، وبالفعل كان القرن الرابع قبل الحقبة المشتركة فترة من التغير الاجتماعي والاقتصادي الكبير. ويمكن أن يقال ذلك أيضاً عن مؤرخي العصور الوسطى ودارسي علم الإحاثة[٤٦](١٤). فالحداثة ليست حقبة زمنية بعينها، كما يذهبون، بل هي مجموعة من العمليات وجدت في الكثير من الأماكن. وإذا كانت "الحداثة" مجرد قطيعة أو نقطة على الزمن، وقسمة بين هذا الجانب وذاك من جانبي القطيعة، فما أهمية دراسة التاريخ ما قبل الحديث أو القديم؟ وكيف يرتبط "بنا" على أي حال من الأحوال؟ وكيف يعمل التاريخ، وما حجم "المشروطية" contingency التي يمكن أن نسمح بها؟ تشكل هذه الأسئلة- بالطبع- جوانب مهمة من تفسير التغير على مر الزمن. وقد ميَّز غيدنز Giddens الحداثة عن الحقب السابقة بتغيرها السريع، وهذا التضاد بين التغير السريع خلال القرن الأخير والتغير الأبطأ وغير المنتظم خلال العصر القديم مسألة مهمة. وحتى ضمن العصر القديم نفسه، اختلفت معدلات التغير بشدة عبر البحر الأبيض المتوسط القديم.

ثمة سمة بارزة لمعظم الدراسات السابقة، هي الاشتباك السياسي العميق مع العالم الحديث. لكن مجال التاريخ القديم أصبح مختلفا عموما حاليا، ولم يعد يشتبك سياسيا بنفس القوة مع العالم الحديث. يبرز موزيس فينلي بين مؤرخي التاريخ القديم من جيله، وقد ازداد بروزه بعد ذلك بقوله إن "البحث الموضوعي المتحرر من القيمة" غير ممكن[٤٧]. يلمس الدارس حاليا أن الاشتباك الأعمق مع العالم المعاصر يعيد تشكيل الدراسات على نحو فارق.

وقف كتاب فينلي ينظر للوراء مثل يانوس على "الجدل الكبير" الذي أعلن البعض وفاته في تلك السنة نفسها(١٥)، وهو يستعرض التطورات اللاحقة التي ميّزت كتابه. أوجز فينلي أطروحاته وطورها من

---

(١٣) ثيوسيديديس Thucydides جنرال أثيني برز خلال الحروب البيلوبونيزية بين أثينا وأسبرطة بين عامي ٤٣١ و٤٠٤ ق.ح، حُمِّل عار الفشل في الانتصار في معركة حاسمة ونفي من أثينا، استغل ترحاله في تأليف التاريخ الكلاسيكي "الحروب البيلوبونيزية" The Peloponnesian Wars. [المترجم]

(١٤) راجع حاشية سابقة حول علم البيولوجيا القديمة وعلم الإحاثة. [المترجم]

(١٥) يانوس Janus في الديانة والميثولوجيا الرومانيتين القديمتين إله البدايات والأبواب والانتقال والزمن والثنائية والممرات والنهايات، والمجاز هنا أن كتاب فينلي كان نهاية لحقبة أو بداية لأخرى. [المترجم]

خلال الافتراق عن موقف بولاني، وأعاد في أثناء ذلك صياغة موقف "فعلي" معدل[٤٨]. كان موريس مُحِقّا في قوله إن الجدل، على الأقل كما عُرِض على نحو تبسيطي بين "البدائي" و"الحداثي"، "ما كان له أن يبدأ أصلا"[٤٩]. لكن هذا الجدل ساعد في رواج الكثير من الكتب، وملأ من حين لآخر قاعات المحاضرات في لقاءات سنوية. لقد كان كتاب فينلي بمعنى من المعاني مَعْلَما في دراسة الاقتصاد القديم، وكان في الوقت عينه نقطة النهاية لجدل طويل، ومرير غالبا، بدأ في منتصف القرن التاسع عشر.

أثار جدل أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين حول طبيعة الاقتصاد القديم الكثير من القضايا، حتى وإن فهم الكثيرون هذا الاقتصاد على نحو ضيق. كان من بين هذه القضايا مشكلة الحدود، بمعنى أين يجب أن نرسم الخط الفاصل بين ما يعد "اقتصاديا" وبقية المجتمع؟ يصور ويلك Wilk وكليغت Cliggett المشكلة بالقصة التالية:

> لن يجد معظم الناس مشكلة في أن يصفوا العبارة "أبيعك حصاناً" بأنها تبادل اقتصادي، إذا كان أحدهم قد أجرى مبادلة معك، بأن أعطاك حصانا في مقابل الحق في قطع بعض الأشجار من حديقتك. لكن ماذا لو أنك حصلت على الحصان في مقابل تقديم يد أختك للزواج؟ أو إذا أعطاك أحدهم الحصان لأنه يحبك؟ أو أعطاك قُبلة في مقابل وعد؟ أين ينتهي الاقتصادي ويبدأ شيء آخر؟[٥٠]

إذا كان المُنَظِّرون الأوائل قد ركزوا على الأسواق وتأثيرها على الأداء، فإن علم الاقتصاد الحديث قد تجاوز هذا الاهتمام الضيق. يتطور علم الاقتصاد بسرعة كبيرة، ويتبنى الكثير من المقاربات الجديدة، من أهمها علم الاقتصاد السلوكي وعلم الاقتصاد العصبي ونظرية الألعاب ونظرية التعقيد والنظرية التطورية الثقافية(١٦)، ومن ضمنها نظرية الانتقاء متعدد المستويات، لتفسير التغير المؤسسي[٥١]. كذلك تسارعت انتقادات علم الاقتصاد بعد أزمة عام ٢٠٠٨، لكن هذه الانتقادات تتركز على التحليل الكلاسيكي الجديد وعلى النماذج الاقتصادية التي طبقت على السياسات العامة. وثمة اتجاه

---

(١٦) علم الاقتصاد السلوكي behavioral economics دراسة تُعنى بتحليل القرارات الاقتصادية التي يتخذها الأفراد والمؤسسات، بالرجوع إلى العوامل الاجتماعية والفكرية. [المترجم]

علم الاقتصاد العصبي neuroeconomics مجال دراسة متعدد التخصصات يشمل علم الأعصاب وعلم الاقتصاد التجريبي والسلوكي وعلم النفس المعرفي والاجتماعي، يسعى إلى تفسير صنع القرار البشري والقدرة على معالجة البدائل المتعددة وتبني مسار للعمل، يدرس كيف يساعد السلوك الاقتصادي في تشكيل فهمنا للدماغ وكيف يمكن للاكتشافات في علم الأعصاب أن تقيد نماذج علم الاقتصاد أو توجهها. [المترجم]

متنامٍ يرى أن ما يجب أن يُفسر هو التطور الاقتصادي والتغير المؤسسي[٥٢]. مؤدى ذلك أن علم الاقتصاد تجاوز تحليل الأسواق[٥٣]. ولذلك بدأت عدة مجالات تؤثر على طريقة فهمنا للتغير الاقتصادي والمؤسسي على مر الزمن. فإن كانت الأزمة المالية قد فعلت شيئا، فهو أنها عززت رواج التاريخ الاقتصادي[٥٤].

على أنه من الإنصاف أن نقول إن اهتمام دارسي الاقتصاد بالتاريخ قد تجدد منذ أن أوضحت مقالة ديردر مكلوسكي Deirdre McCloskey (التي أصبحت حالياً عملاً كلاسيكياً) قيمة التاريخ لعلم الاقتصاد ودارسيه[٥٥]. تشمل الاتجاهات الجديدة تصميم البيانات الرقمية وتحليلها، واستخدام تقنيات رسم الخرائط عن طريق نظام المعلومات الجغرافية GIS mapping technologies، والعودة إلى الاشتباك الأعمق مع دور الثقافة في تشكيل المجتمعات، والاهتمام بأسئلة التاريخ الاقتصادي في بوابة "التفكير الكبير" التي تركز على تفسير ثراء الدول القومية أو فقرها(١٧)، وعلى توزيع الدخل، وعلى الثورة الصناعية في أوروبا، وعلى "الافتراق"(١٨)، وعلى تأثير الاستعمار على الأداء الاقتصادي اللاحق[٥٦].

قال فينلي ذات مرة "إننا ينبغي أن نوجِد تخصصا ثالثا، هو الدراسة المقارنة للمجتمعات التاريخية ما قبل الرأسمالية ما بعد البدائية التي استخدمت القراءة والكتابة"[٥٧]. لاحظ الصراع مع المقولات ومع اللغة. لم يطور فينلي هذه الفكرة أبعد من ذلك، لكنها كانت في المسار الصحيح[٥٨]. وربما كانت في حقيقتها صدى لشيء عبر عنه فيبر، بشكل غير معلن على الأقل، في ملحوظات كتبها على هامش كتاب لكارل مينغر Carl Menger، وهي تحديدا أنه يمكن وضع نظرية اقتصادية لمراحل تاريخية بعينها من الحضارات البشرية[٥٩].

ثمة إجماع حالياً، لا سيما عند مناقشة اقتصادات الشرق الأدنى ومصر القديمين، على أن نظرية المراحل البسيطة من "البدائية" إلى "الحديثة" تبسيطية إلى حد مُخِلّ. كان الشرق الأدنى القديم خلال الألف الثالث قبل الحقبة المشتركة أشد تطورا في مؤسساته الاقتصادية مما كان يُعتقد في السابق. وما تزال مجموعة دارس الاقتصاد مايكل هدسون Michael Hudson المسماة "اتحاد الدارسين الدوليين المهتمين باقتصادات الشرق الأدنى القديم" International Scholars Conference on Ancient Near Eastern Economies التي

---

(١٧) التفكير الكبير Big Think بوابة وسائط متعددة على شبكة الإنترنت أسستها في عام ٢٠٠٧ فيكتوريا براون وبيتر هوبكنز، تقدم تشكيلة من المقابلات والعروض ومناقشات المائدة المستديرة مع خبراء من مختلف التخصصات. [المترجم]

(١٨) راجع حاشية سابقة حول الافتراق أو الافتراق الكبير والافتراق الصغير. [المترجم]

تعمل على ما يسمى "علم الآثار الاقتصادي الجديد" New Economic Archaeology تحلل اقتصادات الشرق الأدنى القديم بحسب تقليد بولاني. ويقدم تحليل مايكل مان Michael Mann للقوة الاجتماعية طريقة لتقصي طبيعة "الانضواء" embeddedness، بالقول بأن "مصادر القوة الاجتماعية الأربعة" كانت متداخلة ومتشابكة معا بدرجات مختلفة في العالم ما قبل الحديث[١٩][٦٠]، إذ لم تكن القوة الاقتصادية بحال من الأحوال "منفصلة" عن المصادر الأخرى للقوة الاجتماعية.

تخبو الحدود الفاصلة بين التخصصات العلمية عبر الأكاديمية شيئا فشيئا، وهو أمر محمود، لأن فهم الاقتصادات ما قبل الحديثة ووضعها في السياق يستلزم، إلى جانب النصوص والتحليل الفيلولوجي، مجموعة كبيرة من التخصصات الأخرى في العلوم البيولوجية والفيزيائية والاجتماعية، والمطلوب خلال السنوات القادمة هو الجمع الإبداعي للأدلة الوثائقية، ومنها المادة الأثرية، ووضع الظواهر في سياقها بحنكة، وهو ما يعني أيضا أننا يجب أن نعد الطلاب بطريقة مختلفة، وأننا يجب أن نعمل ضمن فرق.

توجد ثلاثة اتجاهات واسعة في الأعمال الأخيرة تستحق التأكيد[٦١]، تشدد ثلاثتها جميعا على حركية التغير الاجتماعي والمؤسسي. أما الاتجاهات الثلاثة المهمة، فهي (١) استخدام النظرية المؤسسية والتطورية، (٢) معالجة البيانات الجديدة والنصوص الجديدة والمادة الأثرية الجديدة، (٣) دمج البيانات التمثيلية للمناخ القديم لفهم تأثير التغذية الراجعة من النظم الطبيعية-البشرية على الأداء الاقتصادي على نطاقات متعددة[٢٠].

---

(١٩) هذه المصادر الأربعة هي: القوة الأيديولوجية، القوة الاقتصادية، القوة العسكرية، القوة السياسية، قدمها أستاذ علم الاجتماع بجامعة كاليفورنيا مايكل مان Michael Mann (ولد ١٩٤٢) في كتاب له من أربعة مجلدات بعنوان "مصادر القوة الاجتماعية" The Sources of Social Power. [المترجم]

(٢٠) في علم المناخ القديم، يستخدم العلماء مصطلح البيانات التمثيلية proxy data للإشارة إلى الخصائص الفيزيائية المحفوظة في البيئة التي تؤخذ من سجلات طبيعية مثل عروق الشعاب المرجانية والغبار واللب الجليدي وتحديد أعمار الأشجار والكهوف وأنقاض القوارض ورواسب المحيطات والبحيرات، وذلك بغرض إعادة بناء ظروف المناخ القديم. [المترجم]

ينظر المؤرخون الاقتصاديون إلى العالم غالبا من خلال عدسة تفسير النمو الاقتصادي الحقيقي[٢١]، مع اعتبار الثورة الصناعية نقطة الانقلاب في ذلك النمو[٦٢][٢٢]. كان دور الأسواق جزءا أساسيا من القصة بلا شك، لكن تأكيد موكير على السياق الثقافي لأوروبا العصر الحديث المبكر ودور المعتقدات التي شكلت الأساس للثورة مفيد لا جدال[٦٣]. يمكن وصف النمو الاقتصادي في العالم ما قبل الصناعي (والنمو السكاني العالمي منذ عام ١٠٠٠٠ ق.ح، انظر الشكل ٣٧) بخط مستوٍ، شهد النمو بعده ارتفاعا شديدا إلى اليمين، ما أنتج شكل "عصا الهوكي" في رسم غريغوري كلارك البياني[٢٣]. فلو كان النمو الاقتصادي المستدام الحقيقي أو لكل فرد هو الحاسم، فإن تاريخ ما قبل عام ١٨٠٠ لا يخبرنا الكثير. وحتى مع وجود المؤسسات القانونية والبنكية المتطورة إبان أوج الإمبراطورية الرومانية، لم يزد النمو الحقيقي عن ١ ,٠ بالمائة سنويا على مدار القرنين الأولين من الحقبة المشتركة[٦٤]. لكن تحليل النمو في السياق ما قبل الحديث ما قبل الصناعي- في اعتقادي- أقل أهمية من فهم التغير المؤسسي عموما.

ذهب أنغس ماديسن Angus Maddison أبعد من ذلك إلى تقدير أن الناتج المحلي الإجمالي لكل فرد في عام ١٤ ح.م بسعر الدولار الأمريكي في عام ١٩٩٠ كان ٥٧٠ دولارا للإمبراطورية الرومانية كاملة[٦٥]. غير أن تقديرات الناتج المحلي الإجمالي لكل فرد من هذا النوع لا تخبرنا الكثير. فحتى لو اختلفنا مع ماديسن حول تقدير الناتج المحلي الإجمالي لكل فرد أو استواء توزيع الثروات في العالم القديم، فإن هناك أمثلة جيدة تكشِف عن اختلافات في توزيع الدخل في العالم القديم، فقد أنتجت التوازنات السياسية المختلفة أبنية اجتماعية مختلفة ونتائج اقتصادية مختلفة[٦٦]. وثمة مشكلات أخرى في التقدير، من أبرزها حجم السكان وحركيتهم، على الرغم من الأعمال الكثيرة الجيدة في هذا الموضوع خلال السنوات الأخيرة.

---

(٢١) راجع حاشية سابقة حول النمو الاقتصادي الحقيقي. [المترجم]

(٢٢) نقطة الانقلاب، في حساب التفاضل، هي النقطة على المنحنى المستوي التي يتحول المنحنى عندها من التقعر (التقعر الهابط أو السالب) إلى التحدب (التقعر الصاعد أو الموجب)، بمعنى أن الثورة الصناعية تعد النقطة المفصلية في التاريخ الاقتصادي العالمي. [المترجم]

(٢٣) يتخذ هذا الرسم البياني شكل عصا الهوكي بسبب استوائه لفترة طويلة على السيار، ثم ارتفاعات ضئيلة في أقصى اليمين بين نحو عامي ١ و٢٠٠٠ ح.م، يليها ارتفاع حاد وشاهق مع الاقتراب من السنة الأخيرة، تحديدا بداية من عام ١٨٠٠ (البداية التقريبية للثورة الصناعية)، انظر الشكل (٤) في هذا الفصل حول النمو الاقتصادي العالمي والشكل (٣٧) في الفصل السادس حول النمو السكاني العالمي. [المترجم]

قام بعض الدارسين، من أبرزهم أندريه غوندر فرانك Andre Gunder Frank وكرستوفر تشيس دان Christopher Chase-Dunn، من بين آخرين، بتحويل نظرية النظم العالمية world systems theory التي وضعها إمانويل ولرستين Immanuel Wallerstein لتفسير ظهور النظام الرأسمالي الحديث، وأخذوا يطبقونها على السياقات ما قبل الحديثة، تحديدا بغرض فهم القوة المهيمنة و"تراكم رأس المال"[٦٧]. لا شك أن شبكات التبادل خلقت صلات أو ارتباطات بين الدول في أوراسيا، لكن مساواة "النظام العالمي" بالتفاعل ضمن منطقة دون الإشارة إلى النطاق أو إلى التحديد الكمي "للمركز" core و"المحيط" periphery يمكن أن يكون إشكاليا بناء على ما يقوم الدارس بتحليله[٦٨]. ويفيد عمل شيبلي Shipley الذي يناقش هذه النظرية في فهم ما هي شبكات التجارة الجديدة و"تأثيرات المسافة"، وكيفية قياس "النمو الفارق على نطاق عابر للمناطق" خلال العصر البرونزي المتأخر والإمبراطورية الرومانية[٦٩]. وهنا تبرز العلاقة المهمة بين مصر وجزيرة رودس (انظر ما يلي). على أن تكوين الدول الهلنستية، والمراكز الجديدة لقوة الدولة (العسكرية)، والسيطرة على المناطق المحيطية (على سبيل المثال كاريا في علاقتها بمصر(٢٤))، كانت لها بالتأكيد مضامين على علاقات "المركز-المحيط"، إن كانت تلك هي الطريقة الملائمة للتفكير في دور الجغرافيا في هذا السياق، بمعنى انتزاع الموارد عبر مسافات طويلة(٢٥)[٧٠]. كما أن نموذج شيرات وشيرات Sherratt and Sherratt الجديد لتجارة العصر البرونزي، الذي لا يركز على النسبة العامة للتجارة من الاقتصاد، بل على دور الطلب على السلع عالية القيمة، يؤكد على المجتمعات المتطورة في شرق البحر الأبيض المتوسط خلال العصر البرونزي، وليس على طبيعتها "الزراعية" وحسب.

ثمة مسار بحثي مبشر آخر يتمثل في علم الاجتماع الاقتصادي، وهو فرع من علم الاجتماع التاريخي، أبواه المؤسسان هما دوركايم Durkheim وفيبر، "انتعش" منذ العقد قبل الأخير من القرن العشرين مع أعمال مارك غرانوفيتر وآخرين[٧١]. يتناول هذا المجال:

---

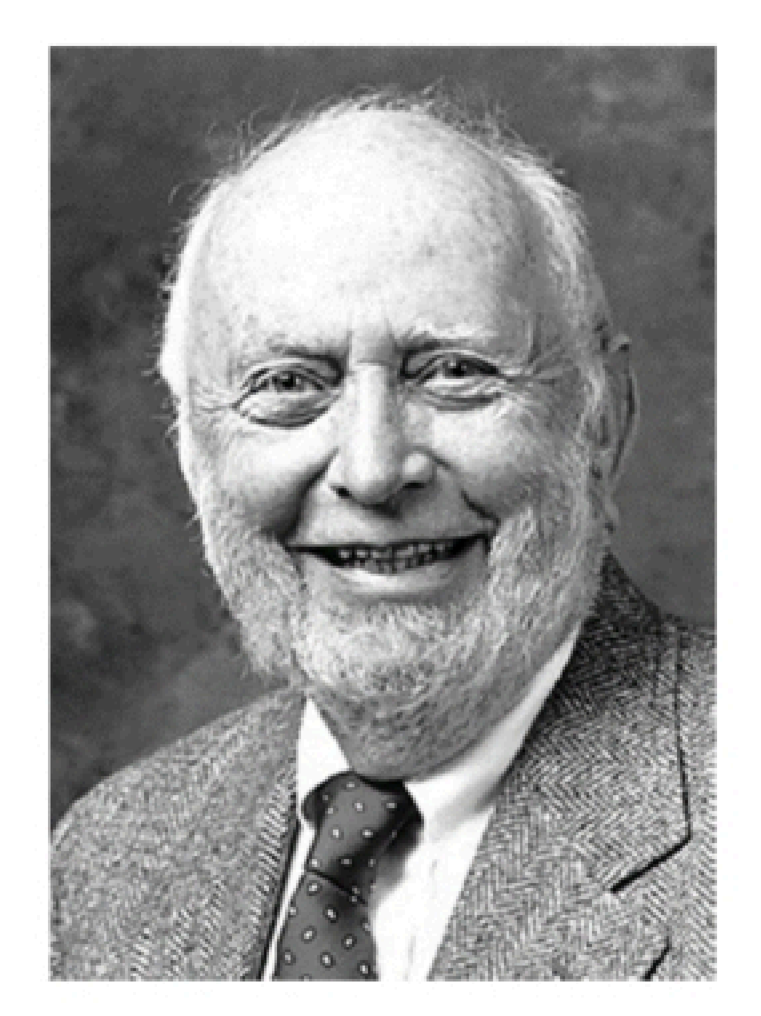
(٢٤) كاريا Caria منطقة قديمة في غرب الأناضول تقع في جنوب غرب تركيا الحالية، سكنها الكاريون الأناضوليون قبل أن ينضم إليهم الإيونيون والدوريون اليونانيون. [المترجم]

(٢٥) انتزاع الموارد في شكل إتاوة، وتحديدا في شكل ضرائب، راجع حاشية لاحقة ومتن الكتاب. [المترجم]

تطبيق الأطر المرجعية لعلم الاجتماع ومتغيراته ونماذجه التفسيرية على ذلك المركب من النشاطات المرتبطة بإنتاج السلع والخدمات النادرة وتوزيعها وتبادلها واستهلاكها[٧٢].

ويضيف اسميلسر Smelser وسويدبيرغ Swedberg أن الشبكات الاجتماعية والنوع الاجتماعي gender والأطر الثقافية قد دمجت جميعها في هذا المجال[٧٣]. ومع أن علم الاقتصاد وعلم الاجتماع يركزان عملهما عادة على اقتصادات السوق في الدولة القومية الحديثة، فإنهما يتضمنان مكونات تاريخية قوية، ويعتمدان- صراحة أو ضمنا- على الأدلة التاريخية في الإثبات. وتعد دراسة مايكل مان "مصادر القوة الاجتماعية" Sources of Social Power عملا مهما يتخذ تاريخ البحر الأبيض المتوسط ما قبل الحديث نقطة بداية لنظريته حول التغير المؤسسي[٧٤]. تقدم هذه المقاربات منظورا ثمينا حول وظيفة المؤسسات الاقتصادية ضمن سياقات تاريخية واجتماعية محددة. ومع أن بعض الدراسات ركزت على التطور التاريخي العميق، فإن معظم الأعمال التي تستخدم النظرية الاقتصادية والاجتماعية تنطلق من سياق المجتمعات الحديثة[٧٥].

كان رونالد كوس Ronald Coase (بعمليه التأسيسيين "طبيعة الشركة" Nature of the Firm، ١٩٣٧، "مشكلة التكاليف الاجتماعية" The Problem of Social Costs، ١٩٦٠) وأوليفر ويليامسن Oliver Williamson من أبرز دارسي الاقتصاد الذين وقفوا وراء علم الاقتصاد المؤسسي الجديد، وإن كان دوغلاس نورث Douglass North (الشكل ٥) يعد عادة الأب المؤسس لهذا العلم[٧٦]، وقد فاز ثلاثتهم بجائزة نوبل. ركز كوس وويليامسن على تكاليف الصفقات وصفقات المرة الواحدة. تُعرَف هذه المقاربة باسم علم الاقتصاد المؤسسي "الجديد"، في مقابل علم الاقتصاد المؤسسي "القديم" ممثَّلا في فيبلن Veblen وكمونز Commons[٧٧]. وتُستخدم مقاربة علم الاقتصاد المؤسسي الجديد في كل من التحليل الاقتصادي والتاريخ الاقتصادي، وحاليا في علم السياسة ونظرية العقد وفي عدد واسع من التطبيقات في



الشكل (٥) دوغلاس سي نورث (١٩٢٠-٢٠١٥)

التحليل القانوني والاقتصادي. وتعد تكاليف الصفقات، وحقوق المِلكية، والفردية المنهجية، و"الاختيار العقلاني" (المقيد أو التام)، وتكلفة المعلومات، المفاهيم الأساسية في تحليل علم الاقتصاد المؤسسي الجديد[٧٨](٢٦). أما هدفه، فهو التحقق في الزمن التاريخي من الارتباط بين المؤسسات والأداء[٧٩].

تقوم أعمال نورث في التاريخ الاقتصادي المؤسسي الجديد New Institutional Economic History; NIEH أو علم الاقتصاد المؤسسي الجديد التاريخي Historical New Institutional Economics; HNIE بتطبيق المفاهيم الأساسية لعلم الاقتصاد المؤسسي الجديد بغرض تفسير نتائج الأداء الاقتصادي المقارن و"وضع نظرية للبنية المؤسسية للدولة ككل"[٨٠]. ويهتم علم الاقتصاد المؤسسي الجديد، لا سيما أعمال نورث، بتفسير ظهور الحضارة الأوروبية ونجاحها[٨١]. يؤكد هذا التوجه أن المؤسسات الجيدة تؤدي إلى نتائج اقتصادية جيدة. ويرجع الفضل إلى مقاربات علم الاقتصاد المؤسسي الجديد للتحليل التاريخي الاقتصادي بالدرجة الأولى في بعث اهتمام متجدد بالتاريخ القديم، أو على الأقل تقديمه باعتباره أحد المصادر المهمة الممكنة لفهم التغيرات طويلة المدى في بنية الاقتصادات وأدائها والعلاقة بين المؤسسات الاقتصادية والسياسية.

ينبغي التأكيد على أن علم الاقتصاد المؤسسي الجديد له كذلك أهداف تتعلق بالسياسات العامة، إذ يجيب عن أسئلة من نوع لماذا تتفوق بعض البلدان على غيرها في الأداء؟ والإجابة هي "المؤسسات". إن الأدبيات حول هذا السؤال ضخمة وتنمو باطراد. على أن شيئا في بنية اقتصادات الدول القومية الرأسمالية السوقية الحديثة وأدائها، سواء على النطاق الوطني أو العالمي، لا يشبه الاقتصادات القديمة. ويتمثل التحدي في إيجاد نظرية وافية للتغير المؤسسي يمكن تطبيقها على بيئات السياسات. وهنا تكمن القيمة الكبيرة للتاريخ عموما، وكذلك التاريخ ما قبل الحديث على وجه التحديد.

بحسب صياغة نورث الأولية، تمثل "المؤسسات قواعد اللعبة" في المجتمع، ويمكن أن تكون المؤسسات رسمية أو غير رسمية، وتشمل كلا من القوانين والمعايير، وتشكل قيودا على الفعل، وفي الوقت عينه تمكّن من الفعل. وعلى ذلك فإن مؤسسات المجتمع تقرر أداءه الاقتصادي. وتعد اعتمادية

---

(٢٦) الفردية المنهجية methodological individualism مبدأ في العلوم الاجتماعية مؤداه أن الظواهر الاجتماعية تُفسر من خلال الدافعية الفردية الذاتية، وليس من خلال الحركية الطبقية أو حركية الجماعة التي تعد من منظور أنصار هذا المبدأ خادعة واصطناعية، وبالتالي غير قادرة على تفسير ظواهر السوق أو الظواهر الاجتماعية. [المترجم]

المؤسسات على المسار التاريخي وميل المؤسسة بمجرد إطلاقها إلى تأبيد نفسها سمة بارزة للتحليل في علم الاقتصاد المؤسسي الجديد. ويوضح التحليل التاريخي الذي أجراه أجلفي Ogilvie أن بقاء المؤسسات لم ينتج عن "فعاليتها"، بل عن أنها صممت لإفادة النخب[٨٢]. لذلك يجب أن تُفهم النظم جنبا إلى جنب مع الدافعية أو الحوافز لاتباع هذه النظم[٨٣].

ويذهب مينار Ménard وشيرلي Shirley إلى أن المؤسسات:

تشمل (١) النظم والاتفاقات المكتوبة التي تحكم العلاقات التعاقدية والسيطرة على المنظمة، (٢) الدساتير والقوانين والنظم التي تحكم السياسة والحكومة والجوانب المالية والمجتمع بوجه عام، (٣) أعراف التصرف غير المكتوبة ومعايير السلوك والمعتقدات.

أما الترتيبات التنظيمية، فهي أنماط السيطرة المختلفة التي ينفذها الفاعلون لدعم الإنتاج والتبادل، وتشمل (١) الأسواق والشركات ومزيج من الإجراءات مختلفة الأشكال التي يطورها الفاعلون الاقتصاديون لتيسير الصفقات، (٢) الاتفاقات التعاقدية التي تقدم إطارا لتنظيم النشاطات، (٣) السمات السلوكية التي تشكل الأساس للترتيبات المختارة[٨٤].

يُستخدَم تحليل علم الاقتصاد المؤسسي الجديد بدرجات مختلفة في تحليل السلوك الاقتصادي القديم، وقد تزايد استخدامه خلال السنوات العشر الأخيرة أو نحوها[٨٥]. من ذلك على سبيل المثال أن كتاب "التاريخ الاقتصادي للعالم اليوناني-الروماني لجامعة كامبردج" The Cambridge Economic History of the Greco-Roman World قد استخدم علم الاقتصاد المؤسسي الجديد باعتباره المبدأ المُنَظِّم بغرض دمج النصوص والثقافة المادية في القصة عينها بغية فهم الأداء الاقتصادي[٨٦]. وكذلك نُشرت أعمال جيدة استخدمت علم الاقتصاد المؤسسي الجديد لدراسة الزراعة الرومانية والتغير المؤسسي في اليونان القديمة، وتتمتع الحالة الأخيرة بجاذبية خاصة لأنها تثبت قيمة أحد الأمثلة القديمة في بناء النظرية[٨٧]، هو في هذه الحالة مثال أثينا الديمقراطية وتصميم آلية الديمقراطية فيها(٢٧)، وإن كان مثالا

(٢٧) تصميم الآلية mechanism design، في علم الاقتصاد، نظرية تسعى إلى دراسة الآليات التي يمكن من خلالها إنجاز نتائج محددة، تتبنى عادة مقاربة عكسية، إذ تدرس السيناريو من خلال البدء بالنتيجة وفهم الأشياء التي تعمل معا على بلوغها، لذلك تسمى نظرية الألعاب العكسية reverse game theory. [المترجم]

منظما بطريقة مختلفة عن أي مثال حديث. ويقدم ليتكنز Lyttkens تحليله لليونان القديمة باستخدام علم الاقتصاد المؤسسي الجديد من خلال إبراز الموضوعات الأساسية: "العلاقات السوقية"، وتوسع الصفقات السوقية، ونمو استخدام العملة بحلول القرن الخامس قبل الحقبة المشتركة، والضرائب. وفي تاريخه الجديد للاقتصاد اليوناني، الذي بناه على أعماله السابقة، يستخدم بريسن Bresson علم الاقتصاد المؤسسي الجديد كإطار[٨٨].

يمكن لعلم الاقتصاد المؤسسي الجديد أن يشحذ تحليل المؤسسات الاقتصادية القديمة، مثل الأسواق والمحطات التجارية، والائتمان والأعمال البنكية، وإنفاذ العقود، والعملة، ودور المدن، وذلك ببساطة من خلال إلزامنا بالتفكير بجدية في المقولات والتعريفات. ومع أن علم الاقتصاد المؤسسي الجديد أعاد إشعال الجدالات القديمة حول دور الاختيار الشخصي ضمن القيود المؤسسية، فمن المفيد تذكير المؤرخين بأن الفكر الاقتصادي مهم، حتى وإن كنا لا نحتاج دائما لأن نشغل أنفسنا بوجود أسواق تحديد الأسعار من عدمه. من ذلك أن روبنسن كروزو اتخذ قرارات بدون الاستفادة من صفقات السوق[٨٩][٢٨]. ويعد صنع القرار وتصميم الآلية مجالين يمكن أن ندرسهما بشيء من التفصيل، ومن ذلك على سبيل المثال كيف نفسر تصميم آلية التمويل الأثيني لسفنهم المعروفة باسم الترايا ركي إلا من خلال مقاربة نظرية الألعاب لمشكلة المعلومات؟[٩٠][٢٩]. لا يعني ذلك أن اليونانيين حللوا الأمور بهذه الطريقة، لكن مفهوم نظرية الألعاب لم يكن غريبا. ولا بد أنهم فكروا في الموضوع من منظور نقل الخطر ومشكلة المعلومات إلى الأفراد[٩١]. لكن النقطة الأهم هي أننا نستطيع حاليا أن نحلل المؤسسات القديمة من خلال نظرية الألعاب وعلم الاقتصاد السلوكي[٩٢].

---

(٢٨) روبنسن كروزو Robinson Crusoe هو بطل رواية لدانيال ديفو Daniel Defoe بالاسم نفسه تحكي قصة شاب تحطمت السفينة التي كان على متنها واضطر للعيش لسنوات طويلة على جزيرة معزولة، مارس خلالها الزراعة والبناء وغيرها من الحرف والحيل البدائية لتوفير قوته وحماية نفسه من الطبيعة والحيوانات. [المترجم]

(٢٩) الترايا ركي trierarchy (أو الترايريم Trireme بمعنى "ثلاثية المجاديف" tri+reme) سفينة قديمة بثلاثة صفوف من المجاديف على الجانبين، كان أثرياء أثينا يشغلون فيها منصب الترايراك trierarch أي المسؤول عن تجهيز السفينة ودفع أجور أطقمها نيابة عن الدولة. [المترجم]

بيد أن مقاربة علم الاقتصاد المؤسسي الجديد لا تحظى بقبول عام، حتى داخل علم الاقتصاد أو التاريخ الاقتصادي. يأتي معظم النقد لعلم الاقتصاد المؤسسي الجديد في شكل نقد عام للتحليل الاقتصادي الكلاسيكي الجديد. ومن هذه الانتقادات- على سبيل المثال- أنه يحول الأفراد إلى صناع قرار حذرين وعقلانيين وباردين، ويغفل الكثير من التشوش البشري في العالم الواقعي. وفي مثال أخير جيد لمقاربة علم الاقتصاد المؤسسي الجديد، يغفل أيجموغلو Acemoglu وروبنسن Robinson دور الثقافة والجغرافيا والمرض والمناخ وعوامل أخرى في تفسير تفاوت الدخل العالمي[٩٣]، ويقدمان بدلا من ذلك نظرية رائعة تذهب إلى أن "التحول السياسي" political transformation عند "نقاط مفصلية حاسمة" كان وحده ما أوجد المؤسسات السياسية "الدمجية" التي جعلت- بدورها- بعض الدول غنية وبعضها فقيرة (أي خلقت نموا حقيقيا). ويذهب المؤلفان إلى أن "نظريتيهما البسيطة" تفسر المعالم الرئيسة للتطور السياسي والاقتصادي حول العالم منذ ثورة العصر الحجري الحديث"[٩٤][٣٠]. وبحسب قراءتيهما، يخبرنا التاريخ الاقتصادي طويل المدى أن المؤسسات وحدها هي المهمة والحاسمة، ما يجعل تفسيرهما حجة مؤسسية كلاسيكية، بمعنى أن إنفاذ حقوق المِلكية والاستثمار في التقنية الجديدة يخلقان مؤسسات "دمجية" أفضل مما تخلقه المؤسسات الانتزاعية[٣١]. غير أن الترتيبات المؤسسية تفيد في تفسير لماذا تفشل الأمم حاليا، لكنها لا تفسر بالكامل النجاح أو الفشل في الاقتصادات ما قبل الحديثة. فمن الواضح، كما أثبتُّ بمزيد من التفصيل في الفصل الخامس، أن البيئة والجغرافيا والتغير المناخي كانت عوامل بالغة الأهمية في الأداء الاقتصادي المقارن ما قبل الحديث.

تعرض علم الاقتصاد المؤسسي الجديد لانتقادات شديدة من الدارسين، منهم غريغوري كلارك وديردر مكلوسكي[٩٥]. تذهب مكلوسكي إلى أن علم الاقتصاد ليس علما بقدر ما هو شكل من

---

(٣٠) ثورة العصر الحجري الحديث Neolithic Revolution أو الانتقال السكاني إبان العصر الحجري الحديث أو الثورة الزراعية أو الثورة الزراعية الأولى، هي الانتقال واسع النطاق للكثير من الثقافات البشرية خلال العصر الحجري الحديث (بدأ قبل نحو اثني عشر ألف سنة وانتهى قبل نحو ستة آلاف وخمسمائة سنة) من نمط الحياة القائم على الصيد والجمع والترحال إلى حياة الاستقرار القائمة على الزراعة، ما مكّن من زيادة النمو السكاني. [المترجم]

(٣١) بحسب أيجموغلو وروبنسن، تشير المؤسسات الانتزاعية extractive institutions إلى جماعات صغيرة من الأفراد تفعل ما بوسعها لاستغلال بقية السكان، وتشير المؤسسات الدمجية inclusive institutions إلى دمج الكثير من الناس في عملية الحكم. [المترجم]

الخطاب يُستخدَم لتبرير الرأسمالية واقتصاد السوق[٩٦]. وبدلا من ذلك، تشدد مكلوسكي، في نموذج مختلف جذريا للافتراق الغربي، على القيم والأفكار التي أنتجت الدعائم المؤسسية للثورة الصناعية. وتحديدا تنتقد مكلوسكي علم الاقتصاد المؤسسي الجديد بأنه- في رأيها- لا يفعل شيئا غير اتباع علم الاقتصاد (الكلاسيكي الجديد) عند ساملسن، وبأنه عقلاني أكثر مما ينبغي وفاقد للحياة وتحليلي أكثر مما ينبغي، ويغفل الكثير مما يحدث في المجتمع، ولا يأخذ الثقافة والمعنى والمعتقد ومؤسسات الشرعية السياسية والدِين في حسبانه كما ينبغي (يأتي المزيد من التفصيل في الفصل الخامس)[٩٧].

على أن أتباع الاقتصاد المؤسسي الجديد أنفسهم يدركون هذه المآخذ جيدا، وما يزال المجال يتطور سريعا[٩٨]. وإذا كان بولاني قد جانب الصواب في إغفاله النشاط السوقي في العصر القديم، فإن دارسي العصر القديم الذين يستخدمون علم الاقتصاد المؤسسي الجديد يؤخذ عليهم أنهم يفعلون نقيض ذلك، وهو البحث عن الأسواق وتكاليف الصفقات في كل مكان. وتلك مشكلة أساسية في تحليل أيجموغلو وروبنسن، وهي افتراض اقتصاد السوق market economy. باختصار، ينبغي أن نلاحظ أن المؤسسات لا تأتي من العدم، بل تنبثق من ثقافة بعينها، وفي مكان وزمان بعينهما، وتترسخ ضمن توازن سياسي محدد[٩٩].

سواء كانت حجة أيجموغلو وروبنسن المؤسسية تستطيع أن تفسر العالم الحديث أم لا، فإنها يقينا لا تأخذ التطور التاريخي للعالم ما قبل الحديث في حسبانها كما ينبغي. لقد نشأت المؤسسات عن ظروف بعينها وفي بيئات ثقافية بذاتها. فلا مجال- على سبيل المثال- لأن يغفل الفهم التاريخي لمصر فيضان النيل المتفاوِت وما كان على الأرجح داء بلهارسيا مستوطن بين المزارعين والنخبة المصرية على حد سواء[١٠٠]. ولا شك أن التغير التاريخي مشروط، وأن الجغرافيا وتفاوت المناخ climate variability والهزات قصيرة المدى والجفاف والمجاعة والمرض وأنساق المعتقدات والعبودية، على سبيل المثال لا الحصر، كانت عوامل رئيسة في التوازنات السياسية، وفي نمو الاقتصادات ما قبل الحديثة وتراجعها، وفي التغير المؤسسي[١٠١]. ومع أن المؤسسات مهمة لا ريب، فإنها تقدم اتجاه التغير في العالم ما قبل الحديث وحسب، دون أن تقدم قوة التغير أو سرعته. وقد يكون صحيحا أن بعض المناطق، مثل اليونان الهلنستية وجنوب إيطاليا في الأزمان الرومانية، ربما كان أداؤها في العصر القديم أفضل كثيرا منه في العصر الحديث المبكر[١٠٢]. كما أن الفترات التي ابتليت بالبراكين، مثل القرون الثلاثة الأخيرة

قبل الحقبة المشتركة مقارنة بالقرنين الأولين من الحقبة المشتركة ("الفترة الدافئة الرومانية" Roman Warm Period)، قد أضرت بالمجتمعات في المناطق المعتمدة على الرياح الموسمية، مثل مصر، وربما كان لها تأثيرات أوسع على السياسة بين المناطق[١٠٣].

يعني ذلك ضمنا حصر شروط التطور في تأسيس المجموعة الصحيحة من المؤسسات، كأن هذا الخط الفكري يقول- على سبيل المثال- إن مصر القديمة لو تبنت الديمقراطية وخلقت دولة "دمجية" أو دولة "الوصول المفتوح"(٣٢)، لربما كان أداؤها أفضل من أثينا أو مثل أدائها على الأقل[١٠٤]. في حين أن التغيرات الكبرى في مصر حدثت حقيقة بفعل قوى سياسية خارجية في حالات عدة، ربما كان أوضحها التحول من الحكم الفارسي إلى البطلمي إلى الروماني. وفي مصر أيضا، تغير النظام الجبائي بشدة، لكن هذه التغيرات السياسية لم تغير على الأرجح اتجاهات النمو أو توزيع الدخل بشدة[١٠٥].

لا يعد ذلك مشكلة بالنسبة للمؤرخين الاقتصاديين، بل تحدٍ لهم وحسب، إذ يتحداهم تحديداً لتحويل منحنى السواء إلى شيء قريب من العالم الواقعي للتفضيلات الاستهلاكية في قرية مصرية قديمة أو بلدة إيطالية رومانية(٣٣). لقد أصبحت القيم ودور الثقافة جزءا مهما من التحليل الاقتصادي، وهو ما يعد في حقيقته عودة إلى فيبر. وفي حالة الاقتصادات القديمة، يمكننا أن نرى التغير في القيم حتى ضمن نفس الأسر. كما أن عمليات التغير ومعدله على المدى الطويل للحضارة البشرية كان لها مسار مختلف عن التضاد الذي اقترحه نورث وزملاؤه بين المجتمعات "الطبيعية" ومجتمعات "الوصول المفتوح"[١٠٦].

---

(٣٢) يميز نورث ووالبس ووينغاست North, Wallis, and Weingast في المجتمعات القديمة بين دول أو مجتمعات "الوصول المفتوح" open access ودول أو مجتمعات "الحالة الطبيعية" natural state. تشير الأولى إلى الدولة التي تطبق القانون بنزاهة، وتتسم باتساع الوصول إلى الأدوات اللازمة للاستفادة من التنظيمات الاقتصادية والسياسية، وتنفصل فيها المؤسسات عن قادتها، ولا تكون الحكومة صغيرة، وتقدم سلعا عامة. وتشير دول أو مجتمعات "الحالة الطبيعية" إلى دولة الوصول الضيق التي يسيطر عليها ائتلاف حاكم يضم كل الجماعات المؤهلة لممارسة العنف المنظم، التي تقسم القوة الاقتصادية والسياسية فيما بينها، وتقصي كل الجماعات الأخرى، وتقوم الدولة على انتزاع الدخل من الناس دون تقديم سلع عامة مقابلة، وهذا هو الشكل الأول والتقليدي للسلطة في كل المجتمعات البشرية، ومنه أخذت الدول تتطور إلى حالة "الوصول المفتوح" بداية من عام ١٨٠٠. [المترجم]

(٣٣) منحنى السواء indifference curve في الاقتصاد الجزئي منحنى تُمثل عليه بدائل تعطي كلها المستهلك مستوى الإشباع ذاته، تستخدم لتمثيل أنماط الطلب المحتملة من المستهلكين الأفراد على حزم السلع المختلفة، وقياس رغبات المستهلكين في استهلاك حزم مختلفة من السلع، واختبار قدرتهم على تحصيلها ضمن حدود ميزانيتهم المحدودة. [المترجم]

ويُجرى حاليا الكثير من الدراسات ردا على هؤلاء المؤلفين[١٠٧]. كما أن المناخ والتغير المناخي وحلقات التغذية الراجعة لم تكن جزءا من نماذج علم الاقتصاد المؤسسي الجديد للتغير على مر الزمن. وفي هذا الجانب نرى اختلافات رئيسة بين الدول في الأجزاء المختلفة من البحر الأبيض المتوسط.

إن الأنثروبولوجيا الاقتصادية وعلم الاجتماع التاريخي مشبعان بتقاليد فيبر ودوركايم وبولاني بتركيزهم على "المجتمع"[١٠٨]. لم تؤثر الأنثروبولوجيا الاقتصادية بشدة على دراسة "الاقتصاد القديم" لأن "منهج فينلي ... أخذ مكانها"[١٠٩]، وهو ما يعد مشكلة، لأن دارسي الأنثروبولوجيا يمدوننا بمعلومات ثرية حول العديد من المجتمعات، تساعدنا في معرفة ما كان فريدا وما كان حلولا مؤسسية واسعة الانتشار. ومن ذلك على سبيل المثال أن الإطار الأنثروبولوجي المقارن الذي طورته أعمال جاك غودي Jack Goody المتأخرة يأخذنا بعيدا عن محاولة إيجاد جذور الثورة الصناعية الأوروبية في اليونان وروما القديمتين، نحو مقارنات أوسع للمؤسسات الاقتصادية. وتفسح الأنثروبولوجيا الاقتصادية مجالا للكثير مما تعرض للإغفال حتى وقت قريب، مثل المنظور النسوي feminist perspective الذي أصبح جزءا أساسيا من المجال. وثمة نقطة قوة أخرى، هي أن هذه المقاربات بوجه عام تضع الثقافات ككل في سياقها وتصفها على هذا النحو السياقي[١١٠]. ومن ذلك أن دراسة غرانوفيتر كانت عملا نقديا لطريقة فهم السلوك الاقتصادي ضمن السياق الاجتماعي المحدد[١١١]. لقد تَرَكّز معظم نقد المقاربات الكلاسيكية الجديدة أو مقاربات علم الاقتصاد المؤسسي الجديد على أن هذا النوع من التحليل لا يأخذ المجتمعات المحددة وثقافاتها في الحسبان بدرجة كافية، وأنه يفصل السلوك الاقتصادي عن بقية المجتمع، على خلاف المقاربات الاجتماعية والأنثروبولوجية الاقتصادية والإنسانية الليبرالية لدى فيبر وبولاني وفينلي وأوبنهايم Oppenheim وكثيرين غيرهم[١١٢]. وفي نقد أثير مؤخرا لعلم الاقتصاد المؤسسي الجديد، دعت ديردر مكلوسكي بلغة بليغة إلى تاريخ اقتصادي أوسع يستطيع أن يفسر العالم على نحو أفضل[١١٣]. كان ذلك اتجاها رئيسا في التاريخ الاقتصادي، إذ جرى التأكيد مجددا على السياقات الثقافية والمعتقدات وتصورات العالم باعتبارها من القوى الدافعة للتغيير[١١٤]. فقد حوَّل علم الاقتصاد تأكيده بعيدا عن الأسواق إلى نمذجة السلوك وعدم اتساق المعلومات. خلاصة القول إنه توجد مجموعة من المقاربات، تراوحت من المقاربات الاقتصادية والأنثروبولوجية، إلى نظرية النظم العالمية، إلى علم الاجتماع الاقتصادي. وثمة مجالان آخران مبشران للغاية سيفتحان- في اعتقادي- دراسة الاقتصادات القديمة على فهم أكثر ثراء وحركية للعالم ما قبل الحديث، هما النظرية التطورية وعلم المناخ القديم.

النظرية التطورية

كان استخدام النماذج الرياضية والأساليب الإحصائية المعقدة، ونظرية الألعاب، والنظرية التطورية تحديدا، في سياق التطور المتلازم للمؤسسات والسلوك البشري، على الأرجح من أبرز التغيرات في علم الاقتصاد منذ العقد السادس من القرن العشرين. ومع أن هذه المناهج الجديدة لم تُستخدم بكثرة مع الاقتصادات ما قبل الحديثة، فإنها توفر طريقاً مبشراً للتقدم في مجال الاقتصاد القديم.

وإن كانت الأعمال السابقة لم تنجح في تفسير التغير المؤسسي على مر الزمن كاملا، فما الذي ينقصها؟ إنه داروين Darwin. نعم، فعندما تعتقد أن نظرية منتصف القرن التاسع عشر الاجتماعية عديمة الفائدة، تعود في الحال نظرية التطور theory of evolution لداروين[١١٥]. وقد ترسخت النظرية التطورية حاليا كإطار في مجالات عدة، منها الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع وعلم الاقتصاد والتاريخ. ويقوم المجال الذي يسمى على نحو واسع النظرية التطورية الثقافية cultural evolutionary theory بتطبيق النظرية الداروينية على القوى التطورية للتغير في السمات الثقافية[١١٦]. تمكّننا هذه المجموعة القوية من المفاهيم من تجاوز نظريات المراحل أو التاريخ الجدلي dialectical history عند ماركس والبدء في فهم العمليات التطورية اللاماركية[٣٤]، وكيف جرى تبني السلوك المتعلم والأفكار الجديدة، وكيف استُعيض عن السلوك والأفكار السابقة. يكشف التنوع الكبير في النظم الاقتصادية في العالم القديم، وحتى في العالم الحديث، عن تباين "الحلول لمشكلة واحدة"، هي تحديدا كيف تعاون البشر، وكيف تحافظ المجتمعات "على وجودها طيلة هذا الزمن"[١١٧]. تستطيع النظرية التطورية في النهاية أن تساعد في تفسير (قياسا على علم البيولوجيا التطورية) كيف تؤثر الخبرة التاريخية السابقة على التطورات اللاحقة، ويمكن أن تساعدنا النظرية التطورية أيضا في تبني إطار طويل المدى يمكّننا من فهم حقب تاريخية منفصلة وأسئلة بعينها[١١٨].

كان لعلم البيولوجيا التطورية الفضل في ظهور علم الاقتصاد التطوري evolutionary economics، وهو مصطلح سكّه ثورستين فيبلن Thorstein Veblen لأول مرة في عام ١٨٩٨.

---

(٣٤) نسبة إلى عالم البيولوجيا الفرنسي جان باتيست لامارك Jean-Baptist Lamark (١٧٤٤-١٨٢٩) الذي ذهب إلى أن الكائن الحي يستطيع أن ينقل السمات التي يكتسبها خلال حياته إلى نسله، وهي الفكرة التي تعرف باسم "وراثة الخصائص المكتسبة" أو "الوراثة الناعمة" soft inheritance. [المترجم]

وأصبحت النظرية التطورية حاليا جزءا شديد التطور من علم الاقتصاد، ويستخدم هوفمان Hoffman الاختلافات التطورية الثقافية بين أوروبا وبقية العالم لتفسير لماذا غزت أوروبا العالم[١١٩]. كما تستفيد معالجة جويل موكير للثورة الصناعية أيضا من النظرية التطورية لتفسير الظروف الاجتماعية والثقافية المحددة لأوروبا العصر الحديث المبكر التي ولَّدت الاقتصاد الحديث[١٢٠].

تتطور الثقافة والمؤسسات تلازميا وتعززان إحداهما الأخرى. وكما هي الحال في العالم الحديث، يمكن للثقافة والمؤسسات أن تفسر الأداء الاقتصادي النسبي للدول ما قبل الحديثة[١٢١]. وتقدم نظرية الانتقاء متعدد المستويات multi-level selection theory مجموعة قوية من الأدوات لفهم التطور الثقافي والمؤسسي في سياق العمليات المتضمنة في "حالات الصعود الإمبراطوري". تذهب هذه النظرية إلى أن التعاون على مستويات متعددة من المجتمع أدى إلى التغير المؤسسي وأن النطاقات المختلفة تمكّننا من رؤية الترابطات ومستويات المجتمع المترابطة، مع أن النطاقات الزمنية المتعددة لا يجب أن تحل محل التحليل الاقتصادي الجزئي microeconomic analysis. تقدم دول البحر الأبيض المتوسط ما قبل الحديث مجموعة ثرية ومتنوعة من الممارسات الزراعية والمعتقدات والتفضيلات والقيم التي أدت إلى نتائج مختلفة، حتى إنها توفر مختبرا طبيعيا للقوى التطورية الثقافية، يقدم الكثير من الأمثلة لما يسميه موكير "المعرفة النافعة" useful knowledge، بمعنى الطرق المُحَسَّنة لإنجاز الأعمال، وفي بعض الحالات تأثيرات الاحتباس locked in effects[١٢٢][٣٥].

ثمة مؤسستان مهمتان، أتعامل معهما لاحقا في الكتاب، هما مجموعات القوانين والعملة، انتشرتا سريعا عبر أوراسيا في منتصف الألف الأول قبل الحقبة المشتركة. ومع أننا لا ندرك دائما العمليات المتضمنة (الاستعارة والانتشار والاختراع المستقل)، فإن القوى التطورية وقدرة الفكرة الجيدة على الانتشار ربما لعبت دورا في تطور العملة الهندية ضمن اقتصاد الدولة، وفي انتشار مجموعات القوانين المكتوبة. ومن المعقول أن تكون نصوص مثل أرتهاشاسترا Arthashastra (يُناقش في الفصل الثاني) قد

(٣٥) تشير تأثيرات الاحتباس locked-in effects إلى التجمد والثبات على مواقف أو مؤسسات أو تقنيات متبعة رغم وجود بدائل أفضل، وذلك في الغالب بسبب الاعتماد على المسار. [المترجم]

تأثرت بكتابات قواعد الحكم "المثالية" من نوع كتاب أويكونوميكا لأرسطو المزيف[٣٦]. وكذلك تبنت الإمبراطورية الأثينية بعض الممارسات من الإمبراطورية الفارسية، وجلب البطالمة معهم إلى مصر الممارسات الجبائية الأثينية، وهي قائمة يمكن توسيعها بأمثلة أخرى كثيرة.

ثمة أمثلة أخرى يمكن تقديمها للقوى التطورية، من أهمها خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة تكوين "الإمبراطوريات الضخمة" mega empires (الدول الإقليمية الأكبر من مليون كيلومتر مربع)، مثل الإمبراطوريات الآشورية الحديثة والأخمينية والهلنستية والماورية والرومانية[٣٧]. تتطلب عمليات تكوين الإمبراطوريات الإقليمية الضخمة تعاونا واسع النطاق من خلال الانتقاء الجماعي[١٢٣]. ويفترض هذا التعاون بين أعداد كبيرة من الناس- بدوره- وجود معايير "داعمة للمجتمع" وتعزيز الدفاعات. وتذهب نظرية بيتر تيرتشن إلى أن "التخوم السهلية" وآليات "التغذية الراجعة المتبادلة" بين الإمبراطوريات الزراعية والجماعات البدوية وقفت وراء تكوين الإمبراطوريات[٣٨]. وتعد الإمبراطوريتان الهانية والأخمينية مثالين أساسيين[٣٩]. لكن كانت هناك تنوعات في صعود الإمبراطوريات الإقليمية. ففي أوروبا- على سبيل المثال- كانت الإمبراطوريات

(٣٦) "أرتهاشاسترا" Arthashastra كتاب في أصول الحُكم يؤرَخ عموما إلى عهد الملك الماوري الأول شاندراغوبتا Chandragupta إبان أواخر القرن الرابع قبل الحقبة المشتركة، كان مؤلفه كاوتيليا Kautilya المستشار الأهم لشاندراغوبتا. [المترجم]

(٣٧) الماوريون نسبة إلى سلالة ماوريا Maurya التي كانت أول سلالة تمد سلطانها عبر شبه القارة الهندية القديمة بداية من عام ٣٢٠ ق.ح. [المترجم]

(٣٨) يشير "السهل" steppe إلى السهل الأوراسي Eurasian Steppe أو السهل الكبير Great Steppe، وهو تلك المنطقة العشبية المعتدلة الشاسعة التي تمتد من رومانيا ومولدافيا غربا، خلال أوكرانيا وروسيا وكازاخستان وسنجان ومنغوليا، إلى منشوريا شرقا. من هذا السهل خرجت موجات متتالية من جيوش الاتحادات القَبَلية التي اجتاحت الحضارات المجاورة والبعيدة، منهم الهون والآفار والمانشو والأويغور والجونغار والقوزاق والقبجاق والترك والتتار، ومن أشهرهم المغول الذين اجتاحوا الصين والعالم الإسلامي. [المترجم]

(٣٩) الهان Han ثاني سلالة حاكمة للصين، بعد سلالة تشين Qin، استمدت اسمها من مقاطعة هانتشونغ Hanzhong على نهر الهان، التي كان ليو بانغ Liu Bang أميرا لها وبدأ منها بناء الإمبراطورية. يعد عهد هذه السلالة العصر الذهبي لحقبة الصين الإمبراطورية، وقد توحد معها الصينيون حتى أطلقوا على أنفسهم اسم "الشعب الهاني" الذي يشكل اليوم ٩٢٪ من عدد السكان في الصين و٩٥٪ من سكان تايوان، و١٨٪ من إجمالي سكان العالم. [المترجم]

تأثرت بكتابات قواعد الحكم "المثالية" من نوع كتاب أويكونوميكا لأرسطو المزيف[٣٦]. وكذلك تبنت الإمبراطورية الأثينية بعض الممارسات من الإمبراطورية الفارسية، وجلب البطالمة معهم إلى مصر الممارسات الجبائية الأثينية، وهي قائمة يمكن توسيعها بأمثلة أخرى كثيرة.

ثمة أمثلة أخرى يمكن تقديمها للقوى التطورية، من أهمها خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة تكوين "الإمبراطوريات الضخمة" mega empires (الدول الإقليمية الأكبر من مليون كيلومتر مربع)، مثل الإمبراطوريات الآشورية الحديثة والأخمينية والهلنستية والماورية والرومانية[٣٧]. تتطلب عمليات تكوين الإمبراطوريات الإقليمية الضخمة تعاونا واسع النطاق من خلال الانتقاء الجماعي[١٢٣]. ويفترض هذا التعاون بين أعداد كبيرة من الناس- بدوره- وجود معايير "داعمة للمجتمع" وتعزيز الدفاعات. وتذهب نظرية بيتر تيرتشن إلى أن "التخوم السهلية" وآليات "التغذية الراجعة المتبادلة" بين الإمبراطوريات الزراعية والجماعات البدوية وقفت وراء تكوين الإمبراطوريات[٣٨]. وتعد الإمبراطوريتان الهانية والأخمينية مثالين أساسيين[٣٩]. لكن كانت هناك تنوعات في صعود الإمبراطوريات الإقليمية. ففي أوروبا- على سبيل المثال- كانت الإمبراطوريات

---

(٣٦) "أرتهاشاسترا" Arthashastra كتاب في أصول الحُكم يؤرَخ عموما إلى عهد الملك الماوري الأول شاندراغوبتا Chandragupta إبان أواخر القرن الرابع قبل الحقبة المشتركة، كان مؤلفه كاوتيليا Kautilya المستشار الأهم لشاندراغوبتا. [المترجم]

(٣٧) الماوريون نسبة إلى سلالة ماوريا Maurya التي كانت أول سلالة تمد سلطانها عبر شبه القارة الهندية القديمة بداية من عام ٣٢٠ ق.ح. [المترجم]

(٣٨) يشير "السهل" steppe إلى السهل الأوراسي Eurasian Steppe أو السهل الكبير Great Steppe، وهو تلك المنطقة العشبية المعتدلة الشاسعة التي تمتد من رومانيا ومولدافيا غربا، خلال أوكرانيا وروسيا وكازاخستان وسنجان ومنغوليا، إلى منشوريا شرقا. من هذا السهل خرجت موجات متتالية من جيوش الاتحادات القَبَلية التي اجتاحت الحضارات المجاورة والبعيدة، منهم الهون والآفار والمانشو والأويغور والجونغار والقوزاق والقبجاق والترك والتتار، ومن أشهرهم المغول الذين اجتاحوا الصين والعالم الإسلامي. [المترجم]

(٣٩) الهان Han ثاني سلالة حاكمة للصين، بعد سلالة تشين Qin، استمدت اسمها من مقاطعة هانتشونغ Hanzhong على نهر الهان، التي كان ليو بانغ Liu Bang أميرا لها وبدأ منها بناء الإمبراطورية. يعد عهد هذه السلالة العصر الذهبي لحقبة الصين الإمبراطورية، وقد توحد معها الصينيون حتى أطلقوا على أنفسهم اسم "الشعب الهاني" الذي يشكل اليوم ٩٢٪ من عدد السكان في الصين و٩٥٪ من سكان تايوان، و١٨٪ من إجمالي سكان العالم. [المترجم]

أقرب إلى التشكل على محيط إمبراطوريات أخرى بدون تغذية راجعة تعزيزية من جماعات بدوية، وتعد مقدونيا القديمة Macedon وروما مثالين جيدين.

كانت الحرب قوة تطورية رئيسة في العالم ما قبل الحديث. وخلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة، كانت القوة العسكرية حاسمة في بناء الدول الإمبراطورية وفي الهيمنة، وكانت الحرب نمطا مهما للكسب والتملك. وقد حدثت "ثورات عسكرية" على نحو ملحوظ في مناسبات عدة في العالم اليوناني خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة، كانت نتاجا عرضيا للتنافس العنيف بين الدول في العالم اليوناني. وكانت القدرة على التكيف مع الظروف المتغيرة التي ولَّدتها الحرب، حاسمة في العالم اليوناني خلال القرن الرابع قبل الحقبة المشتركة، ومع ظهور روما في القرن الثاني قبل الحقبة المشتركة[١٢٤]. فقد كانت الحرب قوة دافعة في خلق المجتمعات الضخمة لإمبراطوريات الألف الأول قبل الحقبة المشتركة، وارتبطت قبل كل شيء بالنظم الجبائية لهذه الإمبراطوريات[١٢٥].

علم المناخ القديم

إن فهم تأثير الظروف البيئية والتغير المناخي على الاقتصادات ما قبل الحديثة، على النطاقين الزمنيين الفوري أو الأطول أمدا، ما يزال موضوعا خلافيا، بالدرجة الأولى لأن المجال ما يزال في مهده، ولأن البيانات عالية الوضوح لم تتوفر إلا مؤخرا نسبيا[٤٠]. كانت معظم البيانات التمثيلية تتركز على الألفي سنة الأخيرة (٢أ[٤١])، وأتمنى أن يتوفر لنا قريبا المزيد من البيانات عالية الوضوح حول العصرين

(٤٠) البيانات عالية الوضوح high resolution data مجموعة بيانات لمتوسط مناخ سطح الأرض الشهري، تغطي الكرة الأرضية كلها، باستثناء القارة القطبية الجنوبية، تُوَلّد من محطات الرصد لعدد من المتغيرات، هي تكرار سقوط المطر، ومتوسط درجة الحرارة، ومدى درجة الحرارة النهارية، وضغط البخار، وسطوع الشمس، وتكرار صقيع الأرض وانتشاره. وفي مجال المناخ القديم، يشير "علو" الوضوح إلى دقة تأريخ الأحداث البيئة الماضية، أي دقة إرجاعها إلى تواريخ دقيقة، راجع حاشية لاحقة حول البيانات عالية الوضوح السنوية والعشرية وما إليها. [المترجم]

(٤١) يشير الاختصار "أ" إلى "ألف"، وهي ترجمة للكلمة اليونانية القديمة kilo [كيلو] التي تُختصَر في اللغات الأوروبية إلى k وتعني "ألف"، ويشير العدد السابق للاختصار إلى عدد آلاف السنين، وبذلك يشير الاختصار "٢أ" إلى ألفي سنة، وهكذا. [المترجم]

الحديدي والبرونزي. وحتى قبل أن تتوفر بيانات تمثيلية مناخية جيدة يمكن الاعتماد عليها، كانت الأعمال الرائدة لعلماء آثار من أمثال روبرت بريدوود Robert Braidwood في العقدين الرابع والخامس من القرن العشرين، وروبرت أدامز Robert Adams في العقدين السابع والثامن من القرن العشرين، ودارسي جغرافيا طبيعية مثل كارل بوتزر، خطوات أولية جيدة في إعادة بناء البيئة القديمة paleoenvironment للشرق الأدنى ومصر، مع التركيز على تطور الدولة في الحضارات المبكرة وعلى البيانات العلمية[١٢٦]. وفي حالة اليونان، تعد دراسة مايكل جيمسن Michael Jameson البيئية طويلة المدى للريف نموذجا لنوعها[١٢٧]. أما برودل في دراسته الكلاسيكية للبحر الأبيض المتوسط (انظر الفصل الثالث) على سبيل المثال، فقد خصص معظمها للعلاقة بين البيئة الطبيعية والعمليات التاريخية. فقد مكّنت البيئة الطبيعية للبحر من التبادل على نطاق أكبر فأكبر، وفي بعض الأحيان وحَّدت الحضارة الكلاسيكية، وعلى مدار آلاف السنين جمعت المصريين وشعوب الشرق الأدنى معا، ومنهم الفينيقيين الذين كانوا أول المتحركين لربط شرق البحر بغربه. ويتأكد الدور الحاسم للتلاقح الثقافي من الجمع بين هذا العالم الأوسع والعمق الزمني الأكبر لفهم تاريخ الاقتصادات في هذا الجزء من العالم.

ومع أن الأعمال السابقة أقرت عموما بأن التغير المناخي أحد الاعتبارات المهمة في التاريخ الاقتصادي للعالم ما قبل الحديث، فقد كان من الصعب دمج السجلات التمثيلية المناخية مع السجلات التاريخية لأن البيانات المناخية لم تكن دقيقة في تأريخها بما يكفي لترشيد العمل التاريخي. لكن خلال السنوات القليلة الماضية، حدثت ثورة علمية أمدتنا ببيانات دقيقة في تأريخها، وتشكل بالتالي أرشيفا طبيعيا يمكن استخدامه جنبا إلى جنب مع الأدلة الوثائقية التقليدية من النصوص والثقافة المادية. تسمح البيانات التمثيلية المناخية climate proxy data الدقيقة في تأريخها، كما أبيّن في الفصل الخامس، للمؤرخين حاليا بربط الهزات المناخية قصيرة المدى الناتجة عن ثورانات بركانية بالجفاف وبالأحداث السياسية. على أن توفر بيانات مناخية أدق لا يقلل من صعوبة التحدي، ذلك أن فهم القيود البيئية والمناخية في الحضارات المبكرة جانب من التاريخ الاقتصادي ما يزال في مهده، لكنه مبشر[١٢٨].

تفتح هذه الاتجاهات الأخيرة في الأطر التحليلية (الفهم الأفضل لدور المؤسسات، والنظرية التطورية التي تساعدنا في مقارنة الحلول المؤسسية على نحو أفضل، والثورة في علم المناخ القديم التي ستعطينا فهما أفضل لحركية نظام الحث التبادلي الطبيعي-البشري) إمكانات جديدة لبحوث مثيرة

حول اقتصادات البحر الأبيض المتوسط ما قبل الحديث. كما أنها تقدم لنا- مجتمعةً- وسيلة لبناء نماذج لنظام الحث التبادلي الطبيعي-البشري.

تثير النظرية التطورية في علم الاقتصاد، وفهم التغير المؤسسي والتعاون والتماسك الاجتماعي، العديد من الأسئلة الجديدة والمهمة. يسمى أحد الأطر الجديدة المهمة الحركية التاريخية[٤٢]، وهو مجال جديد للبحث طوره بيتر تيرتشن وآخرون. كما يساعد استخدام النظرية التطورية الثقافية ونظرية الانتقاء متعدد المستويات والنمذجة الكمية في تفسير صعود المجتمعات البشرية من مجتمعات صغيرة "قائمة على المساواة" إلى "مجتمعات تراتبية واسعة النطاق مثل الدول والإمبراطوريات"[١٢٩]. تنشأ أهمية هذه المقاربات من أن اقتصادات البحر الأبيض المتوسط القديم انتقلت من دول متعددة إلى إمبراطورية واحدة.

يبحث التحقيب periodization عن أفضل تقسيم للزمن لفهم التغير في البحر الأبيض المتوسط ما قبل الحديث. يقسم الدارسون التاريخ عادة بحسب المراحل الثقافية كما يفعل مؤرخو الفن، ويقسمونه أيضا بحسب اللغات. ينتج ذلك التقسيم- على سبيل المثال- اليونان العتيقة والكلاسيكية والهلنستية (التي يمكن أن تسع مصر باعتبارها جزءاً من "العالم الهلنستي" بسبب البرديات اليونانية)، أو الإمبراطوريات البابلية الحديثة والأخمينية في الشرق الأدنى. ومع أن هذا النوع من التحقيب الثقافي يضع أيدينا على بعض الأشياء، فإنه يحجب بقدر ما يكشف على أقل تقدير. تكمن قيمة دراسة الماضي ما قبل الحديث، لا سيما الاقتصادات المتطورة لعالم البحر الأبيض المتوسط القديم، في المنظور الذي تعطيه للتطور طويل المدى للمؤسسات، وهو شيء يغيب عادة عن المعالجات النظرية في علم الاقتصاد المؤسسي الجديد وفي مجالات أخرى.

كانت التصنيفات وحدود التخصصات مصدرا للجدل وعائقا شديدا أمام التقدم الحقيقي في دراسة الاقتصادات القديمة. فلا يزال من النادر تماما أن يشارك مؤرخو مكان أو عصر بعينه في مجالات أخرى أو في النظرية الاجتماعية. وإذا استُخدِمت النظرية، فإنها تُستخدَم عادة بطريقة سلبية "لتوجيه التفكير أو لاستعارة مفرداتها"[١٣٠]. على أن دراسة الاقتصادات القديمة تقدم إمكانية كبيرة

---

(٤٢) الحركية التاريخية cliodynamics مجال بحثي عابر للتخصصات العلمية، يدمج التطور الثقافي والتاريخ الاقتصادي (أو الكليومتريكس cliometrics) وعلم الاجتماع الكلي والنمذجة الرياضية للعمليات التاريخية طويلة المدى وبناء قواعد البيانات التاريخية وتحليلها، والاسم مستمد من اسم موزية (إلهة) التاريخ في الميثولوجيا اليونانية كليو Clio (أو Kleio)، مقرونا بكلمة dynanics التي تعني "الحركية". [المترجم]

للاشتباك مع النظرية الاجتماعية التي وضعت بناء على دراسة الدول القومية الحديثة، وتقدم إمكانية لتوسيعها، وحتى لتحسينها من حين لآخر. ففهم المسارات بين المجتمع البشري المبكر والحضارات القديمة والعالم المعاصر باعتبارها وسيلة لفهم التغير شيء أكثر إثراء وإمتاعا في وصفه من أخذ موقف على أحد جانبي الجدل الكبير الذي ناقشته فيما سبق. معنى ذلك أن القول بأن اليونانيين أو البابليين كانوا يشبهوننا تماما أو لا يشبهوننا بالمرة لا يعطي هذه الحضارات القديمة حقها. وثمة مثال جيد ومبشر للاتجاه الذي يجب أن يتحرك فيه المجال، هو كتاب صدر مؤخرا حول العمل الزراعي في البحر الأبيض المتوسط "العتيق"(٤٣)، شمل مقالات حول مصر وبلاد ما بين النهرين والمشرق والغرب الفينيقي واليونان (منها أسبرطة) وروما المبكرة[١٣١](٤٤).

تتوفر حاليا أنواع جديدة من البيانات، وطرق جديدة للتحليل، والنمذجة الكمية، واستخدام البيانات التمثيلية المناخية المتعددة. ويعد رسم الخرائط بنظام المعلومات الجغرافية والبيانات التمثيلية المناخية عالية الوضوح high resolution climate proxy data مثالين لمجالين يوظفان هذه المقاربات، ويعملان حاليا على إحداث ثورة في دراسة العصر القديم (وما قبله). كذلك أمدتنا تقنيات الآثار الغارقة ببعض جوانب الحياة في الإسكندرية القديمة، وبدايات على الأقل لفهم التدفقات التجارية من حطام السفن. وجاء الاتجاه الأبرز من العلوم الجيوفيزيائية والبيولوجية. وقد كان المناخ والبيئة حاضرين بدرجة ما في "الجدل الكبير" بين أصحاب الموقف البدائي وأصحاب الموقف الحداثي، وكان كتاب ساليرس Sallares رائدا في ذلك، لكن العلم قطع خطوات مذهلة بعد نشر هذا الكتاب[١٣٢].

بدأت الأعمال حول اقتصادات مصر والشرق الأدنى القديمين أخيرا في الاشتباك بقوة مع المعالجات العامة للاقتصادات القديمة. وأصبحت وثائق الشرق الأدنى متاحة للدارسين الآخرين، سواء نشر الأرشيفات أو سياقها الاقتصادي العام[١٣٣]. تقدم فورة "الأدلة المرجعية" handbooks

(٤٣) "العتيق" وفقا لتحقيب التاريخ اليوناني، راجع المدى الزمني لليونان العتيقة في قسم "الإطار الزمني للأحداث" في صدر الكتاب. [المترجم]

(٤٤) يشير المشرق إلى الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط جنوب الأناضول وشمال مصر، أي إلى بلاد الشام التي تشمل سورية وفلسطين ولبنان. [المترجم]

يشير الغرب الفينيقي إلى مستعمرات فينيقيا في غرب البحر الأبيض المتوسط، من أبرزها قرطاج وقادس وأجزاء من صقلية. [المترجم]

و"الملخصات" companions والموسوعات للقارئ العام مراجعات عامة ميسورة للكثير من جوانب الاقتصادات القديمة، وقبل كل شيء لطبيعة المصادر ومداها لكل حقبة ومكان محددين. وقد أثبت ذلك أنه مفيد على وجه خاص للمصادر المكتوبة بلغات صعبة. ولم يعد الدارسون يعتبرون المعابد في مصر والشرق الأدنى مجرد مراكز حكومية لإعادة التوزيع، بل أماكن للمشروع الخاص. وبات النشاط الاقتصادي الخاص ذاته جيد التوثيق على امتداد الألف الأول قبل الحقبة المشتركة وما قبلها. لم يعد بوسعنا- إذن- أن نتجاهل مصر والشرق الأدنى باعتبارها أنواعا منفصلة ومختلفة تماما من الاقتصادات لا يمكن مناقشتها جنبا إلى جنب مع العالم الكلاسيكي.

تعد رسائل حيكاناخت من مصر التي أناقشها في الفصل السادس، وأرشيف كانش للتجار الآشوريين الذي أناقشه بإيجاز في الفصل الثامن[٤٥]، وثائق فريدة حقا ومتعاصرة من العصر البرونزي الأوسط، نحو عام ٢٠٠٠ ق.ح، تزودنا بأدلة مذهلة حول السلوك المنزلي العقلاني وحول تنظيم تجارة المسافات الطويلة الخاصة طلبا للربح قبل وقت طويل من ثورة العصر الحديدي[٤٦]. على أن تلك

(٤٥) رسائل حيكاناخت Heqanakht letters أو بردية حيكاناخت Heqanakht papyri بردية ترجع إلى الدولة المصرية الوسطى، نحو عام ٢٠٠٠ ق.ح، وُجدت في مجمع مقابر للوزير أيبي Ipi، ضمن حجرة دفن خادم يدعى مسح Meseh على يمين الجبانة، يعتقد أنها اختلطت عرضا بأنقاض استخدمت لتشكيل منحدر لدفع تابوت مسح إلى الحجرة. تدلل البردية على وجود وحدات نقدية ونظام لدفع الأجور. جاء فيها: سجل مصروفات المنزل: "إيبي" وخادمتها ٨ حيكات، "حيتيبيت" وخادمتها ٨ حيكات، "حيتي ابن نخت" وعياله ٨ حيكات، "مريسو" وعياله ٨ حيكات، "سحتحور" ٨ حيكات، "سانيبنوت" ٧ حيكات، "أنوبو" ٤ حيكات، "سنفرو" ٤ حيكات، "سا-إينوت" ٤ حيكات، "مي-سا-حيتيبيت" ٥ حيكات، "نفرت" ٣ ونصف حيكات، "ساتويروت" ٢ حيكات: مجموع ٧٩ ونصف حيكات. [المترجم]

كانش Kanesh هو الاسم الآشوري (Kaneš، ثم أسماها الحثيون نيشا Neša أو آنيشا Aniša) لموقع أثري يسمى حاليا كول تبه Kültepe يقع في محافظة قيصرية التركية، يتكون من تل (تبه باللغة التركية) وبلدة أسفل التل وجدت فيها مستوطنة آشورية، اكتُشِف فيه أكثر من ثلاثة وعشرين ألف لوح مسماري تخص ما لا يقل عن ستين تاجرا، تدلل على وجود التجارة البرية منذ أوائل الألف الثاني قبل الحقبة المشتركة، وتحوي بعض البقايا المبكرة للغة الحثية وأقدم الأدلة على لغة هندية أوروبية هي الآشورية القديمة التي ترجع للقرن العشرين قبل الحقبة المشتركة. [المترجم]

(٤٦) ثورة العصر الحديدي iron age revolution ثورة عسكرية نتجت عن اكتشاف الحديد واستخدامه، الذي بدأ استخدامه كتقنية حربية من نحو عام ١٣٠٠ ق.ح. [المترجم]

الوثائق وذلك الأرشيف لا يمكن أن تكون فريدة في السلوك الاقتصادي المُوَثَّق[١٣٤]. كان تقسيم العمل الغربي بين النساء والرجال يميل إلى إسقاط النساء من التحليل الاقتصادي[١٣٥]. وفي المقابل، تبرز الأعمال الأخيرة دور النساء داخل المنازل ودورهن كفاعلات اقتصاديات فرديات[١٣٦].

تساءل جون هيكس John Hicks ذات مرة إن كان من الممكن وضع نظرية للتاريخ الاقتصادي، وهو حلم ما يزال بعيد المنال، حاليا على الأقل[١٣٧]. لكننا في الوقت الحالي لدينا وحدات بناء أفضل، ونستطيع أن نبني على دعوة فيبر وفينلي إلى وضع نظرية تخص زمانا ومكانا محددين[١٣٨]. يتمثل أحد الطرق الممكنة للتقدم على هذا المسار- في اعتقادي- في استخدام النظرية التطورية لبلوغ فهم أفضل لعمليات التكيف البشري على نطاقات متعددة. تضيف دراسة الاقتصادات القديمة إلى كل من تعريف "الاقتصادي" الذي يختلف حتما بحسب الثقافة، وإلى تقدير طبيعة علم الاقتصاد كتخصص علمي. ويكشف فحص المجتمعات العديدة التي سكنت عالم البحر الأبيض المتوسط أنه كان هناك العديد من الحلول للمشكلات الاقتصادية. وكما ذهب بيري كِمب في دراسته للتاريخ المصري، فإن السؤال المهم الذي يجب أن يطرح حول المجتمعات ما قبل الحديثة هو ما الذي حافظ على بقائها لفترات زمنية طويلة؟[١٣٩] لكن قبل أن نحاول تقديم إجابة عن ذلك السؤال، نحتاج أولا أن نلقي نظرة سريعة على تاريخ البحر الأبيض المتوسط خلال العصر الحديدي وأنواع المصادر الاقتصادية التي بقيت منه. يبدأ الفصل التالي بأحد أبرز الشعوب التي سكنت البحر الأبيض المتوسط، وهم الفينيقيون الذين كانوا أول من فتح البحر الأبيض المتوسط كاملا للتجارة وغيرها من أشكال التلاقح الثقافي في فجر العصر الحديدي. فقد كان الفينيقيون نقطة تحول حقيقية في التاريخ الاقتصادي للبحر. لكن قبل أن أقدمهم، أريد أن ألقي نظرة سريعة على طريقة تناول مؤرخي التاريخ القديم للزمن والتغير على مر الزمن.

الفصل الثاني

الاقتصادات القديمة مراجعة من التجار الفينيقيين حتى ظهور الإمبراطورية الرومانية

Ancient Economies Taking Stock from Phoenician Traders to the Rise of the Roman Empire

كيف يمكن للمؤرخ أن يعرف الماضي أو بأي شروط؟

—Collingwood (1946: 282)

وعلى ذلك فإن شيئا لا يمكن أن يكون أشد تضليلا من وصف المؤسسات الاقتصادية للعصر القديم بمصطلحات حديثة.

—M. Weber (1909: 45)

اتبعت الخبرة التاريخية في الشرق الأدنى وفي مصر مسارا تطوريا مختلفا عن مسار العالم الكلاسيكي. نتج ذلك جزئيا عن تاريخ الدولة الأطول في هاتين المنطقتين. وثمة اعتبار آخر مهم هو أن هاتين المنطقتين كانت لهما ظروف مناخية ومادية مختلفة وقيود جغرافية مختلفة. لقد انبثق الكثير من المؤسسات المهمة التي شجعت الأداء الاقتصادي (المِلكية، وإنفاذ العقود، وتجارة المسافات الطويلة، والدول المدينية، وحتى جدلا أشكال المؤسسات الديمقراطية) خلال الألف الثالث قبل الحقبة المشتركة. وكانت السيطرة للدول الإمبراطورية والملوك. فبداية من الإمبراطورية البابلية القديمة وملكها حمورابي (نحو ١٧٩٢-١٧٥٠ ق.ح) حتى الإمبراطورية السلوقية (٣١٢-٦٣ ق.ح)، بنت

سلسلة من الإمبراطوريات في غرب آسيا بطريقة مباشرة على الخبرة الإمبراطورية التراكمية والتكيفات المؤسسية السابقة[١]. وكان ظهور الإمبراطورية الأخمينية ونموها خلال القرن السادس قبل الحقبة المشتركة عن طريق الغزو العسكري، وهي أول "إمبراطورية عالمية" في مداها، إحدى أهم العمليات خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة. على أن أصول الفرس غامضة، والإمبراطورية الأخمينية التي ربما بدأت "بجماعات رعوية" متفرقة، نمت حتى أصبحت أكبر إمبراطورية قبل روما، إذ سيطرت على أكثر من خمسة ملايين كيلومتر مربع[٢].

كانت لمصر خبرتها التاريخية الخاصة في بناء الدولة على طول نهر النيل، والتوسع جنوبا إلى النوبة الذي اكتمل بحلول منتصف الألف الثالث قبل الحقبة المشتركة، وإلى المشرق خلال إمبراطوريتها في العصر البرونزي الأوسط، التي كانت الأكبر من نوعها خلال الألف الثاني قبل الحقبة المشتركة[٣]. لكن خلال العصر الحديدي، وفي أثناء الحركية التي كانت تتكشَّف أكثر فأكثر عبر البحر الأبيض المتوسط، كانت مصر لاعبا أصغر يسيطر عليه الغرباء سياسيا. توطدت السلطة السياسية على أيدي الأسرة السايسية التي بدأت في نحو عام ٦٥٠ ق.ح[(١)]، تماما كما سار التطور اللاحق تحت السيطرة الفارسية والبطلمية والرومانية. وتعد الفترة السايسية التي استعيدت خلالها السلطة السياسية المركزية وجرى خلالها التبني التدريجي للكتابة الإدارية الجديدة (الديموطيقية)، نقطة انقلاب مهمة في التاريخ المصري[(٢)][٤]. وقد بنت الإمبراطوريتان الأخمينية والبطلمية على هذا التوطيد الاقتصادي والثقافي الذي أحدثته الأسرة السايسية.

حدث تفاعل بدرجات مختلفة بين الشرق الأدنى ومصر والأجزاء الأخرى من عالم البحر الأبيض المتوسط، وفي بعض الحالات يجب أن نشدد على الاختلافات الثقافية. فمصر على سبيل المثال، كما يخبرنا هيرودوت لاحقا، كانت أقل تقبلا للأفكار الخارجية بكثير من العالم اليوناني. لكن في حين

---

(١) السايسية Saite نسبة إلى سايس Saïs وهو الاسم اليوناني للمدينة المصرية التي عرفها الفراعنة باسم صاو Zau وتسمى حالياً صا الحجر، تتبع حاليا مدينة بسيون بمحافظة الغربية، كانت عاصمة الأسرة المصرية الرابعة والعشرين (نحو ٧٣٢-٧٢٠ ق.ح) والأسرة السادسة والعشرين (٦٦٤-٥٢٥ ق.ح) التي تنسب وحدها إلى سايس، ربما لأنها الأسرة المصرية التي تلت احتلال مملكة كوش النوبية لمصر (الأسرة الخامسة والعشرين، ٧٤٤-٦٥٦ ق.ح)، التي نقلت العاصمة إلى مدينة نبتة في النوبة. [المترجم]

(٢) راجع حاشية سابقة حول نقطة الانقلاب. [المترجم]

يشيع رسم خطوط فصل بين الشرق والغرب وبين الشمال والجنوب في البحر الأبيض المتوسط، فإن خطوط الحدود المكانية والزمنية هذه تعد- على أقل تقدير- إشكالية بالنسبة للتاريخ القديم[٥]. كانت هناك- لا ريب- أنماط استهلاكية، حددتها التفضيلات الثقافية على سبيل المثال. ويعد التقصي على الحدود الثقافية، وبدرجة أوضح الحدود الجيوسياسية، المكان الذي يمكن أن نلاحظ فيه بأوضح ما يمكن كيف كان التلاقح الثقافي إحدى القوى الدافعة الرئيسة للتبادل وللتغير المؤسسي[٦]. يبرز بنتلي Bentley ثلاثة موضوعات مهمة تتجاوز الحدود الثقافية، هي الهجرة والتوسع الإمبراطوري وتجارة المسافات الطويلة[٧]. وقد تضافرت هذه العوامل الثلاثة جميعها لإحداث تغيرات كبيرة في البحر الأبيض المتوسط مع نهاية القرن الرابع قبل الحقبة المشتركة، وأنا أضيف عاملا رابعا إلى هذه الثلاثة، هو التنافس بين الدول. من ذلك على سبيل المثال أن المدن اليونانية خلال الحقبة الهلنستية طورت استراتيجيات تمويل جديدة إبداعية ردا على السلطة الاحتكارية (على إمداد الحبوب) من جانب الدول الإقليمية الكبيرة مثل البطالمة والسلوقيين[٨]. وعلى ذلك فإن مقولات "الكلاسيكي" و"الهلنستي" و"اليوناني-الروماني" لا يكفي أي منها وحده لتفسير التاريخ الاقتصادي للقرون الثلاثة الأخيرة قبل الحقبة المشتركة في البحر الأبيض المتوسط.

اقترح كارل ياسبرس، بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة، طريقة جديدة للنظر إلى الألف الأول قبل الحقبة المشتركة[٩]. نظر ياسبرس إلى "العصر المحوري" Axial Age (Achsenzeit) باعتباره لحظة بعينها في التاريخ الأوراسي تغطي السنوات ٨٠٠-٢٠٠ ق.ح، تمركز خلالها "المحور" axis حول عام ٥٠٠ ق.ح[١٠]. كان هذا "العصر المحوري" فاتحة لما أسماه "البشرية الجديدة، أي بشريتنا"[١١]، التي أفرزت عملية الانتقاء خلالها شعوبا محظوظة بعينها (أو بالأحرى قلة من المفكرين المبدعين)، هم الصينيون والهنود والإيرانيون واليهود واليونانيون[١٢]. ومؤخرا ركز دارسون آخرون على القرنين ٥٠٠-٣٠٠ قبل الحقبة المشتركة لفهم ظهور "التسامي الشخصي" personal transcendence في الصين والهند وشرق البحر الأبيض المتوسط، وهو نمط جديد للتفكير شجع السلوك الداعم للمجتمع[١٣]. أصر ياسبرس على "التوازي العالمي" universal parallelism والتطورات المستقلة دون احتكاك أو "مثيرات" ثقافية خارجية[١٤]. ويعد ظهور العملة وانتشارها، والأسواق، ومجموعات القوانين،

والاتفاقات المكتوبة، والميل إلى فصل السلطة الباتريمونية عن إدارة الدولة(٣)، والتفكير في الدولة باعتبارها بنية جبائية، جميعها سمات لمنتصف الألف الأول قبل الحقبة المشتركة (راجع المزيد فيما يلي)[١٥]. شهدت الهند والصين الكثير من هذه العمليات السياسية والاقتصادية عينها، وقد يكون صحيحا أن التطور الاجتماعي اتبع مسارات عامة في التقدم[١٦]. من ذلك أن كتاب أرتهاشاسترا (يعني حرفيا "علم الثروة") لمؤلفه كاوتيليا، وهو أطروحة رائعة حول العائدات والحكومة الجيدة وفن الحكم، لا يقل أهمية عن كتاب زينوفون "حول العائدات" On the Revenues وكتاب أرسطو المزيف "أويكونوميكا" اللذين يتناولان أيضا عائدات الدولة وأفضل ممارسات الحكم[١٧]. قدم مفكرو "العصر المحوري" هؤلاء لعلم الاجتماع الجبائي fiscal sociology ما قدمه غيرهم للفكر المتسامي. كانت العائدات والحكم مرتبطين على نحو معقد. ومن الصعب أن نقطع عن يقين بما إذا كانت هذه التطورات قد حدثت مستقلةً حقا عن بعضها بعضا أم حدثت بفعل استعارة ثقافية من الخارج، لكن كانت هناك قوى ربطت البحر الأبيض المتوسط بآسيا الوسطى وجنوب آسيا(٤).

ما الذي دفع التغييرات؟ ذهب ياسبرس إلى أن تغيرات منتصف الألف الأول قبل الحقبة المشتركة كانت تطورات اجتماعية مستقلة حدثت في دول صغيرة شديدة التنافسية، وليس "في مراكز الإمبراطوريات الكبيرة"[١٨]. ونظرا لأن بلاد بابل ومصر كانتا في نحو عام ٥٠٠ ق.ح جزءا من الإمبراطورية الأخمينية، فإنهما لم تشهدا تحولا. بيد أن ذلك لا يفسر مجتمعات الوفرة في المناطق التي ذهب ياسبرس إلى أنها لم "تشهد تحولا". وتذهب دراسة نُشرت مؤخرا إلى أن التطور الاقتصادي، مقاسا بالزيادة في استهلاك الطاقة، كان الآلية الدافعة وراء التغيرات المتزامنة[١٩]. ولا أحد يستطيع أن

---

(٣) الباتريمونية Patrimonialism شكل للحكم تنشأ فيه كل السلطة من الحاكم مباشرة، ولا يكون هناك تمييز بين المجالين العام والخاص، وتقوم في جوهرها على فكرة أن السلطة الحكومية برمتها والحقوق الاقتصادية التي تتطابق معها تُعامَل كمزايا اقتصادية وملكية خاصة. تنحو هذه النظم لأن تكون أوتوقراطية أو أوليغاركية وتقصي الطبقة الوسطى عن السلطة، ويحوز رأي السلطة فيها سلطة مطلقة، ويكون ولاء الجيوش لرأس السلطة وليس الأمة. [المترجم]

(٤) آسيا الوسطى هي المنطقة الممتدة من بحر قزوين غربا إلى الصين شرقا ومن أفغانستان جنوبا إلى روسيا شمالا، تشمل حاليا الدول كزخستان وقيرغزستان وطاجيكستان وتركمانتسان وأوزبكستان، تشكل الجزء الأوسط من السهل الأوراسي الكبير الذي خرجت منه قبائل بدوية متتالية لغزو الحضارات المجاورة، آخرهم المغول. [المترجم]
يتألف جنوب آسيا من شبه القارة الهندية وجوارها المباشر. [المترجم]

يتجاهل الإشارات المناخية من "النمط دون الأطلسي"، وهي المرحلة الحالية من عصر الهولوسين(٥)، التي بدأت في نحو أعوام ٧٠٠-٥٠٠ ق.ح (الأعوام ٢٧٦٠-٢٥١٠ قبل الحاضر(٦)) ، جالبة معها ظروفا أكثر بردا ومطرا.

معنى ذلك- إذن- أن التحولات الثقافية في الممارسات الدينية والفلسفية كانت متأخرة عن التحول الاقتصادي والسياسي الذي بدأ خلال العصر الحديدي المبكر ورد فعل عليه وثانوية بالنسبة له. لم تكن الإمبراطوريات التراتبية المركزية ابتكارية، بل كانت عكس ذلك، إذ كانت الضغوط فيها تكرس الاستقرار والتوطيد والدمج. لكن ظهور الإصلاحات السياسية والاقتصادية والدينية المضادة يمكن وضعه بدرجة ما، لا سيما في سياق البحر الأبيض المتوسط، ضمن سياق ردود الأفعال إزاء الإمبراطورية الأخمينية[٢٠]، التي كانت في نحو عام ٥٠٠ ق.ح قد بلغت أوج توسعها الإقليمي الذي لم يتجاوزه سوى روما إبان القرون الأولى من الحقبة المشتركة (الشكل ١١). وعلى ذلك فإن فلسفات "العصر المحوري" كانت بالتالي، كما أصاب موريس في استنتاجه، "نتيجة أكثر منها سببا لإعادة هيكلة الدولة"[٢١].

كانت هناك تضادات شديدة في الثقافة المادية والتنظيم الاجتماعي بين النصفين الشرقي والغربي للبحر الأبيض المتوسط خلال العصر البرونزي[٢٢]. كان العصر البرونزي فترة الإمبراطوريات الأولى في الشرق الأدنى وفي مصر، والشبكات التجارية واسعة النطاق عبر غرب آسيا وشرق البحر الأبيض المتوسط، وأصول ما أسماه برودبانك Broodbank ثقافات العصر الحديدي "الجامعة للبحر الأبيض المتوسط" pan-Mediterranean Iron Age cultures خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة[٢٣]. "ازداد

---

(٥) "دون الأطلسي" Subatlantic هو العصر المناخي الحالي من فترة الهولوسين، بدأ في نحو عام ٢٥٠٠ قبل الحاضر، وجاء أكثر بردا من عصر "دون البوريال" Subboreal السابق له ومن عصر "الأطلسي" Atlantic التالي له. [المترجم]
الهولوسين Holcene هو العصر الجيولوجي الحالي للكرة الأرضية، بدأ في نحو عام ١١٦٥٠ قبل الحاضر، بعد العصر الجليدي الأخير الذي اختتم بالانحسار الجليدي الهولوسيني، يشكل مع سابقه البليستوسين العصر الرباعي الجيولوجي. [المترجم]

(٦) قبل الحاضر Before Present هي السنوات من النطاق الزمني time scale التي تستخدم بالدرجة الأولى في علم الجيولوجيا وغيره من التخصصات العلمية لتحديد أوقات الأحداث في الماضي. ونظراً أن الزمن "الحاضر" يتغير، فقد اِصْطُلح على استخدام الأول من يناير ١٩٥٠ بدايةً للزمن الحاضر. يستخدم الاختصار "ق.ح" (أي قبل الحاضر) مقابلا للاختصار الإنجليزي BP، لكن نظرا لأن هذا الاختصار هو نفسه الاختصار الذي يستخدمه المترجم لعبارة "قبل الحقبة المشتركة"، فإن المترجم يستخدم عبارة "قبل الحاضر" كاملة دون اختصار. [المترجم]

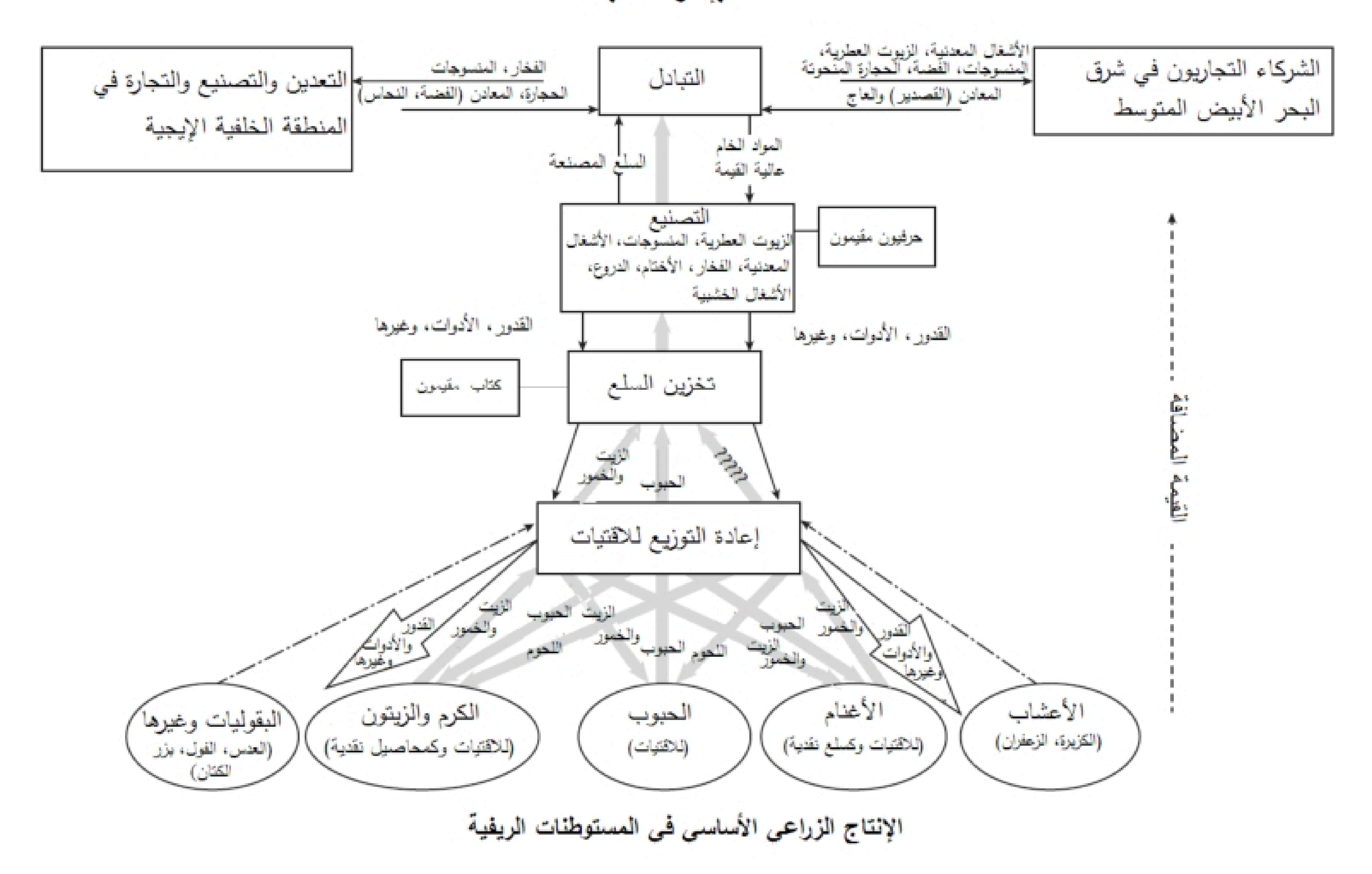
الترابط والحركة بشدة في كل من كثافتيهما ونطاقيهما من الألف الثالث إلى الألف الأول قبل الحقبة المشتركة"[٢٤]. وحدثت "تحولات سوقية" استنادا إلى الطلب على النحاس[٢٥]. ومما لا يقل عن ذلك أهمية أن اندماجا إقليميا قد حدث على نطاق أكبر فأكبر بدفع من القوتين الدافعتين الحركيتين التوأمين: تكوين الإمبراطوريات والتجارة. ضمت "دائرة التفاعل" دائمة الاتساع في أوراسيا بين عامي ١٦٠٠ و١٢٠٠ ق.ح أوروبا وجنوب آسيا وشرقها معا. وتعد هذه الاتجاهات والتحول من الشرق الأدنى/ مصر إلى البحر الأبيض المتوسط باعتباره "المنطقة المهيمنة" على القوة الاقتصادية، أساسية لفهم تطورات الألف الأول قبل الحقبة المشتركة[٢٦].

كانت "الدولة البلاطية شكلاً سياسياً مهيمناً في الجزر الإيجية وفي الشرق الأدنى وفي مصر(٧)، لكنها قطعا لم تكن الشكل الأوحد (الشكل ٦)[٢٧]. باختصار، هناك شكوك في الافتراض القديم الذي يقول إن هذا الشكل للتنظيم الاقتصادي (ومنه على سبيل المثال المصطلح "بر-عا" أي "البيت الكبير" الذي يرمز للملك المصري(٨)) كان مركزيا و"قائما على إعادة التوزيع"[٢٨]، فحتى أكبر الاقتصادات البلاطية لم تسيطر على كل النشاط الاقتصادي في منطقتها، إذ كان هناك إنتاج للحبوب و"وحدات" اقتصادية أوسع نطاقا من قدرة الدولة على السيطرة، كانت متموضعة ضمن تراتبية تتألف من مراكز حضرية كبيرة وبلدات وقرى متوسطة وصغيرة. وكانت البلاطات المراكز الإدارية للنظم الاقتصادية الأكبر بين الجميع في شرق البحر الأبيض المتوسط الحضري، وثمة تقدير لبرودبانك يذهب إلى أنه كان هناك "ما بين أربعين وخمسين مركزاً إنتاجياً وتجارياً واستهلاكياً رئيساً" في شرق حوض البحر الأبيض المتوسط صغير المساحة كثيف السكان[٢٩]. أنتج التفاعل الكثيف بين هذه المراكز "البلاطية" ثقافة اقتصادية مشتركة من خلال التبادل السوقي وتوحيد مقاييس السلع.

---

(٧) الدولة البلاطية palatial polity هي الدولة التي يقوم اقتصادها على الاقتصاد البلاطي palace economy، راجع حاشية سابقة حوله. [المترجم]

(٨) اللقب "بر-عا" (البيت الكبير) هو اللقب الذي حرفه اليونانيون إلى "فرعون" pharaoh (pr-ʿ3). [المترجم]



الشكل (٦) نموذج "الاقتصاد البلاطي" لجزيرة كريت، خلال منتصف الألف الثاني قبل الحقبة المشتركة.

من A. Sherratt and Sherratt (1991).

كان الدور المركزي للمؤسسات "البلاطية" الضخمة متماثلا في العالم الموكناوي ومصر والشرق الأدنى. على أن ما يسمى اقتصادات بلاطية كانت في حقيقتها اقتصادات عامة ضخمة. وعلى مر الزمن، أصبحت السلطة القسرية الأوسع امتدادا ممكنة. وتماما كما هي الحال في بلاطات العالم الموكناوي، وفرت أطيان المعابد في الشرق الأدنى وفي مصر المقدرة والنطاق التنظيميين لاستغلال العمل وانتزاع الضرائب(٩). لم تكن هذه النظم "قائمة على إعادة التوزيع"، بل على التوزيع. وفي أماكن أخرى، مثل قبرص، سيطرت الأسر والشركات الأسرية على التجارة[٣٠]. وتعد الدولة المدينية أوغاريت رمزا لذلك العصر[٣١](١٠).

(٩) الأطيان (جمع طين) هو الاسم التقليدي لملكيات الأراضي الزراعية في مصر الحديثة، لا سيما الملكيات الكبيرة. [المترجم]

(١٠) أوغاريت Ugarit مدينة مينائية قديمة في شمال سورية، على ضواحي مدينة اللاذقية الحالية، تعرف أنقاضها باسم راس شمرا، وجدت فيها "النصوص الأوغاريتية" وأعمال خزف موكناوية وقبرصية تثبت أنها كانت على علاقة مع

يكشف "العصر النحاسي" Copper Age خلال الألف الثاني قبل الحقبة المشتركة في غرب البحر الأبيض المتوسط وفي مصر عن عالم مختلف حتى نحو عام ٢٠٠٠ ق.ح[٣٢]. لكن الألف الثاني قبل الحقبة المشتركة تميز بـ"توسع الشبكات" المدفوع بالدرجة الأولى بتبادل المعادن[٣٣]. اختلف معدل التغير الاجتماعي من مكان لآخر، وانبثقت أنواع عديدة من الاقتصادات السياسية[٣٤]. وشيئا فشيئا، غدا غرب آسيا والبحر الأبيض المتوسط خلال العصر البرونزي، من نحو عام ٣٠٠٠ إلى عام ١٠٠٠ق.ح، أكثر ترابطاً عن طريق التجارة والنظام الدبلوماسي[٣٥].

العصر الحديدي

كانت المؤسسات الاقتصادية خلال العصر الحديدي مختلفة جوهريا عن نظيراتها خلال العصر البرونزي. تُحدد بداية هذا العصر عادة بنحو عام ١٠٠٠ ق.ح، وإن كان التحديد الدقيق لهذا التاريخ غير ممكن. لذلك يفضل النظر إلى العصر الحديدي باعتباره انتقالا بطيئا بمعدلات تحول فارقة عبر البحر الأبيض المتوسط وغرب آسيا. والشيء اللافت للانتباه في ذلك العصر هو التغيرات المؤسسية الضخمة[٣٦]. لا يزال هناك الكثير من الغموض حول القوى الدافعة وراء هذه التغيرات، لكن هناك بضعة أشياء واضحة. فثمة تهديدات دفعت التغيير. وكذلك أوجد الابتكار التقني عالما جديدا وبحثا أشد كثافة عن الموارد المعدنية. وكانت الدول التي ظهرت في بداية العصر الحديدي أكثر قمعا وأكثر انتزاعا من ذي قبل، وكانت أقاليمها محددة بصرامة عن طريق الإثنية واللغة[٣٧](١١)، وكانت المدن أكبر من ذي قبل. كانت هذه الاتجاهات، التي لوحظت في الصين أيضا، استجابات بشكل أو بآخر "لأزمة" العصر البرونزي. وفي الوقت نفسه، شرعت الدول المدينية الفينيقية الصغيرة في بناء عالم جديد من تجارة المسافات الطويلة، وأصبح البدو الرعاة جزءا من "النظام العالمي الأفرو-أوراسي الجديد"[٣٨](١٢).

الإمبراطورية الحثية، ودفعت الجزية لمصر أحيانا، واحتفظت بعلاقات تجارية ودبلوماسية مع قبرص (ألاشيا Alashiya في ذلك العصر). [المترجم]

(١١) الإثنية ethnicity مفهوم اجتماعي يصنف البشر على أساس الميراث الثقافي والأصل والأساطير التأسيسية والتاريخ والوطن واللغة والأنساق الرمزية كالدِين والأساطير والطقوس والمأكل والملبس والفن والمظهر البدني، ومع أن تصنيف الإثنية يتقاطع مع تصنيف العرق، إلا أنه أشمل منه، ويمكن أن يجمع الناس من أعراق مختلفة معًا أو يصنف الناس داخل العرق الواحد، ويتداخل مفهوم الإثنية كثيرًا مع مفهوم الشعب والأمة. [المترجم]

(١٢) "أفرو-أوراسي" أي يضم أفريقيا وآسيا وأوروبا. راجع حاشية سابقة حول "أوراسيا". [المترجم]

كان صهر الحديد معروفا بالفعل بحلول القرنين الثالث عشر والثاني عشر قبل الحقبة المشتركة في الأناضول بفضل إنتاج النحاس في جزيرة قبرص[٣٩]، التي كانت لاعبا رئيسا في صناعة الحديد، وفي التجارة إلى العالم اليوناني، وبفضل كونها محطة تجارية على امتداد الألف قبل الحقبة المشتركة[٤٠]. شهد الألف الأول قبل الحقبة المشتركة تزايد التجانس واتساع دوائر التفاعل. وقد كانت عملية "اندماج البحر الأبيض المتوسط" mediterraneanization بتعبير موريس "متماثلة الشكل"، وأنتجت فائزين وخاسرين (مثال موريس هو صقلية الألف الأول قبل الحقبة المشتركة)، وكان تكوين الإمبراطوريات imperiogenesis والتقنية والتنظيم العسكريان، ومن ضمن ذلك الأساطيل، العمليات المهمة التي قررت الفائزين والخاسرين[٤١]. على أن هذا العالم لم يكن عالم تقنية الحديد وحسب، بل أيضا عصر الفضة التي شكلت القاعدة النقدية الرئيسة إلى أن ارتفعت مكانة الذهب مجددا إبان الإمبراطورية البيزنطية[٤٢]. كان الألف الأول قبل الحقبة المشتركة فترة من التوسع الملحوظ في الشرق الأدنى وعوالم البحر الأبيض المتوسط، وكذلك في أماكن أخرى. فقد نما السكان بنسبة أربعة وسبعين بالمائة بين عامي ٤٠٠ و٢٠٠ ق.ح في الصين والهند والبحر الأبيض المتوسط، وجاء "مؤشر التقدم الاجتماعي" مضاعفا عند إيان موريس بين عامي ١٠٠٠ و١٠٠ ق.ح[٤٣]. وقفت وراء ذلك كله ظروف مناخية مواتية، وبسبب توسع محاربي السهل الأوراسي، بدأت أوراسيا تتعرض للطاعون[٤٤].

ثمة طريقة أخرى لتقصي العصر الحديدي، وذلك من خلال عدسة ما سُمي "العصر المحوري" كما جاء سابقا[٤٥]. وقد حدث على امتداد الألف الأول قبل الحقبة المشتركة ما أسماه بيلا Bellah "نشوء المقدرة" evolution in capacity فيما يتعلق بسلطة الدولة[٤٦]. فقد ظهرت الدول غير المركزية الأصغر والدول المدينية (أو الدول الصغيرة microstates) في فينيقيا وفي العالم اليوناني على محيط إمبراطوريات العصر البرونزي القديمة باعتبارها التنظيم الاجتماعي الاقتصادي المهيمن. وفي العالم اليوناني، ظهرت مدن كانت فيها مراكز موكناوية سابقة، في أماكن مثل أسبرطة وثيفا وأثينا[٤٧]. وكانت هناك مدن في أماكن أخرى خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة لا تقل أهمية في الشرق الأدنى وفي دلتا النيل المصرية، لكنها كانت جزءا من نظم دول أكبر.

كانت المدن التجارية صور وصيدا وبيبلوس، وصناعاتها من الأصواف والأصباغ ومهارتها الملاحية، من المتحركين الأوائل خلال العصر الحديدي الجديد (راجع الفصل الثامن)[١٣]. كانت هذه المدن تقع في مركز شبكة هائلة تغطي البحر الأبيض المتوسط على اتساعه ارتبطت عن طريق الموانئ (الخريطتان ١ و٢). استوطنت هذه المدن مناطق جديدة من البحر الأبيض المتوسط، تركزت في الجنوب، كان من أهمها قرطاج التي أُسست كمستعمرة خلال القرن التاسع قبل الحقبة المشتركة[٤٨]. كان من بين الأشياء الأخرى التي كان التجار الفينيقيون يلاحقونها الموارد المعدنية والمزيد من المنسوجات والمُرَيْق والرخويات التي كانوا يستخدمونها في صناعة الصبغة الأرجوانية[٤٩][١٤].

كانت تقنية صهر الحديد أقل احتياجا لمدخلات الطاقة، واستخدمت معدنا كان أكثر وفرة بكثير. أدى هذا المصدر الأقل خضوعا للسيطرة المركزية إلى ظهور العصر الحديدي[٥٠]. وقد حدث هذا التحول تدريجيا وعلى نحو متفاوت، ولم يكن "تحولا واحدا" بحال من الأحوال[٥١]، وأول استخدام لهذه التقنية مُوَثَّق في نحو عام ١٢٠٠ ق.ح، وبعد ذلك شهد العصر الحديدي "الاستغلال الكامل للمعادن"، وأحدث تغييرات سياسية وتقنية هائلة ومهمة عبر البحر الأبيض المتوسط[٥٢]. استُخدِم الحديد في صنع آلات دوّارة جديدة، وفي حفر "آبار أعمق، وصهاريج مُحْكَمة ضد تسريب الماء، والزراعة الجافة في بطون الأودية". وكان التحول من "المدن الكبيرة" إلى نمط الاستيطان الأكثر تفرقا في "القرى المسوَّرة" walled villages إحدى النتائج العرضية المهمة لانتشار تقنية الحديد[٥٣]. ربط وربيرتن Warburton الانتقال إلى تبني الحديد بقوى السوق، وذكر ليفراني Liverani أن "تحولا دلاليا" semantic shift قد حدث في العقلية الاقتصادية للعصر الحديدي نحو حسابات "الربح والخسارة"، ومن التجارة التي تديرها الدولة إلى النشاط "الريادي" entrepreneurial activity الذي ميّز التجار الفينيقيين[٥٤]. وفي العالم اليوناني، حدث تحول من "البلاط" إلى "المدينة"[٥٥]، وانبثقت المؤسسة الديمقراطية هنا وهناك، وفي أوضح صورها في أثينا[٥٦]. وتزايدت نشاطات الدول بشدة، وأصبحت أكثر انتزاعا، وحدث نمو في حجم التجارة وكثافتها وفي التحضر urbanization[٥٧].

---

(١٣) بيبلوس Byblos هي مدينة جبيل الحالية في لبنان. [المترجم]

(١٤) الموريق murex ضرب من الرخويات البحرية ينتج منه صبغ أرجواني. [المترجم]

يوصف عالم البحر الأبيض المتوسط في عام ١٠٠٠ ق.ح بأنه "ما قبل تاريخي"، لكنه بحلول عام ٥٠٠ ق.ح "شكّل سلسلة من المناطق المتمايزة ضمن نظام عالمي"[٥٨]. وحدث انتشار الكتابة، الذي كشف عن نفسه في انتشار مجموعات القوانين، والتغير في التعبئة والتقنية العسكريتين، ونمو التحضر. أحدث ذلك زيادة في معدل تدفق المعلومات وفي الاستهلاك والابتكار، وهي التطورات التي تشكل مجتمعة "قفزة" مهمة في المقدرة الاقتصادية خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة[٥٩].

بعد انهيار الدولة الحديثة الإمبراطورية في مصر في نحو عام ١٠٧٠ ق.ح الذي كشف عن نفسه شعريا في قصة ويناموں[١٥]، لم يحكم المصريون بلدهم مجددا، باستثناءين قصيرين وبارزين[١٦]، إلى أن وضعت الثورة المصرية جمال عبدالناصر في السلطة في عام ١٩٥٢. ترتبت على ذلك عواقب فورية على تاريخ شرق البحر الأبيض المتوسط، وفي المشرق على وجه التحديد. ومن المفارقات أن مصر بداية من نحو عام ١٢٠٠ ق.ح كانت حضارة متوسطية، أي دلتا، بدرجة أكبر من ذي قبل. ويؤكد برودبانك بلغة فضفاضة أن "الحركة" كانت أساس التغير، وهو شيء لم تستطع دول العصر البرونزي الإقليمية الضخمة أن تجاريه بنجاح. فانهارت الإمبراطورية الحثية في الأناضول في نحو عام ١٢٠٠ ق.ح[١٧]. تمكّن حركة البشر من تقويض السلطة السياسية وإدخال شبكات جديدة وأنماط تبادل جديدة. كانت "شعوب البحر" التي نعرف عنها من النصوص المصرية نتاجا لعمليات أكبر في نهاية العصر

(١٥) بحسب "تقرير ويناموں" Wenamun Report، كان الرجل وكيلا لمعبد آمون في طيبة أُرسل في نحو عام ١٠٥٠ ق.ح. لشراء خشب الأرز من بيبلوس من أجل "سفينة آمون رع النهرية الكبيرة والجليلة". أبحر ويناموں من ميناء تانيس بالدلتا، وتوقف في دور Dor جنوب حيفا الحالية، ثم أبحر إلى صور ومنها إلى بيبلوس التي رفض أميرها تيكربعل Tjekerbaal تزويده بالخشب وأمره بالرحيل. وأمام إلحاح ويناموں، سمح له تيكربعل بأن يرسل أخشاب سبع سفن تامة الصنع لمصر للإتيان بمال يدفع به ثمن بقية الخشب. بعد فترة قصيرة من إبحار ويناموں صوب بلاده، جرفت عاصفة سفينته عن مسارها إلى قبرص، وهناك ظنوا خطأ أنه قرصان، فأوقف أمام الملكة ودافع عن نفسه من خلال مترجم. وهنا تتوقف المخطوطة، ولا نعرف عن محنه اللاحقة إلا أنه عاش ليحكي حكايته. [المترجم]

(١٦) هذا الاستثناءان هما الأسرة السادسة والعشرون (الأسرة السايسية، ٦٦٤-٥٢٥ ق.ح) والأسرة الثلاثون (نحو ٤٠٤-٣٤٣ ق.ح). [المترجم]

(١٧) الحثيون Hittites شعب أناضولي قديم أقام إمبراطورية تركزت حول عاصمتهم حتوساس Hattusa في نحو عام ١٦٠٠ ق.ح، شملت في أوجها خلال منتصف القرن الرابع عشر قبل الحقبة المشتركة آسيا الصغرى وشمال المشرق وشمال بلاد ما بين النهرين. [المترجم]

البرونزي[١٨]. وقد تجلى العالم الاجتماعي والاقتصادي شديد التعقيد للعصر البرونزي عندما تكشَّف غشاء قوة الدولة المركزية عن قشرة رقيقة يغطيها هاجس السيطرة السياسية المركزية التي أرادها الملوك الكبار، لكنهم لم ينجحوا في فرضها إلا جزئيا وحسب. كان التعقيد المتزايد لعالم البحر الأبيض المتوسط، ولا شيء آخر، هو ما لم تستطع دول العصر البرونزي الكبرى أن تتعامل معه. فتحللت النظم البلاطية، ولم يستطع الملوك أن يسيطروا على التجار، وحدث انهيار عام للسلطة المركزية[٦٠].

كانت دول العصر الحديدي مختلفة تماما عن سابقاتها من العصر البرونزي. ومع أن بعض الدارسين يرون تحولا اقتصاديا، على سبيل المثال في مِلكية الأرض وترتيبات العمل، في الاقتصادات "البلاطية" وفي المراكز الحضرية خلال العصر البرونزي المتأخر، فإن الدول الجديدة التي ظهرت بعد عام ١٠٠٠ ق.ح تميّزت بـ"ممارسات تجارية أكثر حرية ومرونة وأقل مركزية"[٦١]. فتراجعت تكلفة الشحن البحري، وأخذت سفن أكبر تنقل أحجاما من التجارة أكبر كثيرا، وغدت الحمولات أكثر تنوعا، وأصبحت السلع تُبادل ضمن نشاط سوقي أشد كثافة[٦٢]. كان استخراج المعادن وصهرها القوة الدافعة للعصر الجديد في كل مكان، ومن ضمن ذلك إيطاليا، وكان كذلك القوة الدافعة وراء التوسع المتزايد في التجارة، ممثَّلا في حركة الفينيقيين إلى أقصى الطرف الغربي للبحر الأبيض المتوسط خلال القرنين العاشر والتاسع قبل الحقبة المشتركة، إلى قبرص وسردينيا، وأخيرا إلى مناجم إسبانيا[٦٣]. أدخل الفينيقيون تحسينات على جودة الحديد بإضافة الكلسيوم[٦٤]. وربما كان طلب الإمبراطورية الآشورية الحديثة على الحديد إحدى القوى الدافعة لتحرك الفينيقيين غربا (الخريطة ١)[٦٥]. على أن القصة تنطوي على ما هو أكثر من ذلك، فقد كان الفينيقيون روادا وسدوا فجوة في التجارة، بمهاراتهم المُحَسَّنة في الإبحار، وعمارتهم البحرية المُحَسَّنة، وإقبالهم على المخاطرة، وعدم افتقارهم إلى الشجاعة، وهو ما

(١٨) شعوب البحر Sea People هو الاسم الذي أطلقه المصريون على مزيج من القبائل والجماعات غير معلومة الأصل الذين اكتسحوا المنطقة خلال القرنين الثالث عشر والثاني عشر قبل الحقبة المشتركة فرارا من شعب مجهز بأدوات وأسلحة حديدية، زحفوا برا صوب الجنوب من البلقان ومنطقة البحر الأسود. نُهبوا بيلوس Pylos وموكناي في اليونان، وربما تضخمت صفوفهم بالموكناويين الفارين أمامهم أو الذين انتهجوا نهجهم. سقطت الإمبراطورية الحثية الأناضولية، وابتليت دول أصغر لا تحصى بالمجاعة أو الحرب الأهلية. لم يبق من بين القوى الرئيسة بالمنطقة غير مصر التي تصدت لهم وهزمتهم في نحو عام ١٢٨٠ ق.ح في معركة بحرية بقيادة رمسيس الثاني، وإن لم تعد سلطة الفرعون تصل كنعان وسورية، وتراجع نفوذه على الموانئ المشرقية بشدة عن ذي قبل. [المترجم]

يكشف عن نفسه على نحو مذهل في زعم أن البحّارة الفينيقيين العاملين في خدمة الملك السايسي المصري نخاو Necho، كما يقول هيرودوت، أبحروا حول أفريقيا في نحو عام ٦٠٠ ق.ح[٦٦]. وسواء حدث ذلك فعلا أو لم يحدث، فإنه يكشف الكثير حول ذلك العصر. غير أننا لسوء الحظ لا نمتلك الكثير من المعلومات المباشرة حول طريقة ممارسة الفينيقيين للتجارة. وقد بقيت معاهدة واحدة بين المدن الفينيقية والإمبراطورية الآشورية، تكشِف عن ارتباطات سياسية قوية مع الإمبراطورية الآشورية الحديثة وعن شبكة تجارية مترامية الأطراف:

لو تحطمت سفينة مملوكة لبعل أو شعب صور قبالة ساحل أرض الفلستيين أو في أي مكان على حدود الأقاليم الآشورية[١٩]، فإن كل شيء على السفينة يكون من حق آسرحدون Esarhaddond ملك آشور[٢٠]، على ألا يتعرض أحد بأي أذى لأي شخص على متنها، وأن تسجل أسماؤهم وتنقل إلى ملك آشور.

هذه هي الموانئ التجارية والطرق التجارية التي منحها آسرحدون ملك آشور لخادمه بعل: ناحية عكا ودور[٢١]، وفي كامل منطقة الفلستيين، وفي كل المدن الواقعة ضمن الأقاليم الآشورية،

---

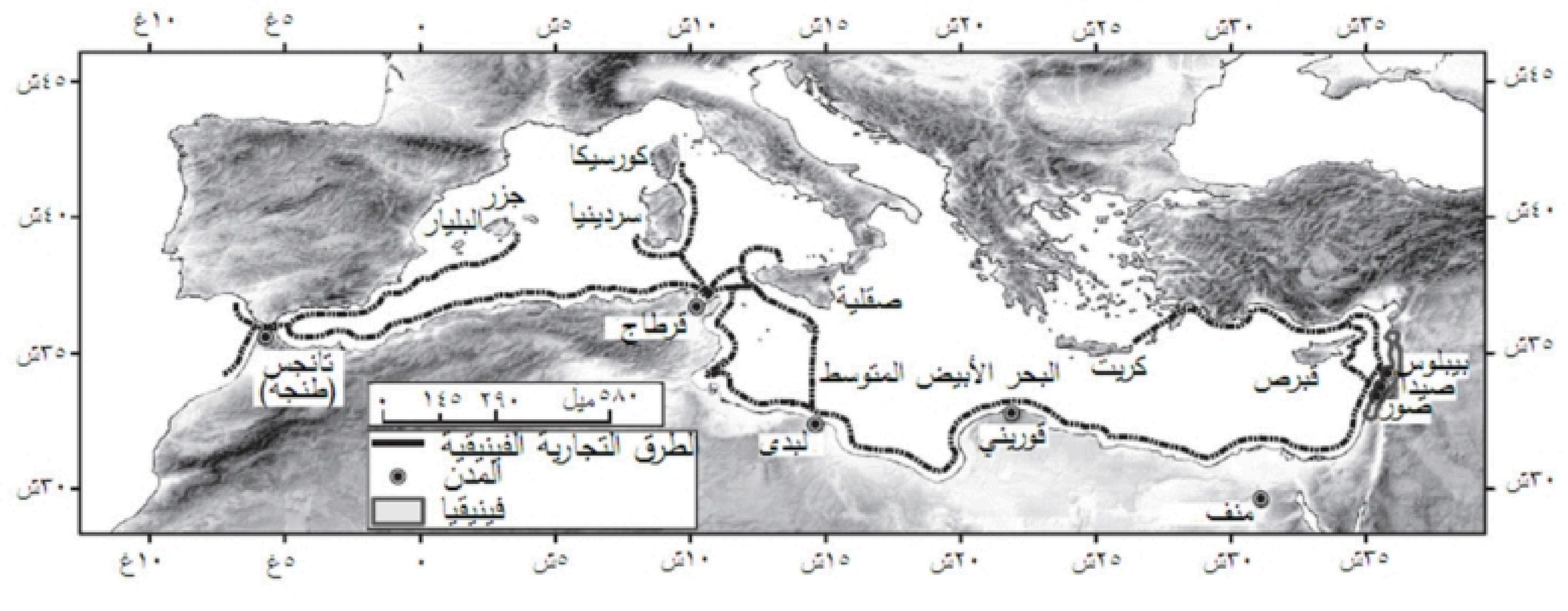
(١٩) بعل لقب تشريفي استخدم في المشرق السامي القديم بمعنى "السيد" أو الملك"، وهو كذلك اسم الإله المحارب لدى الكنعانيين (الفينيقيين)، والإشارة هنا على الأرجح إلى أمير صور. [المترجم]

الفلستيون Philistines شعب قديم ورد ذكره في السجلات المصرية وفي الكتاب المقدس على أنهم من شعوب البحر التي هاجرت من جزيرة كريت. تقول جدارية مصرية من عهد حتشبسوت إنهم نزلوا بساحل مريوط، فأجلاهم المصريون، فارتحلت غالبيتهم واستقرت بفلسطين التاريخية، وارتحلت أقلية منهم واستقرت بمدينة درنة الليبية ومحيطها. ربما من اسم الجماعة الأولى، جاء اسم فلسطين التي عرفت بالعبرية باسم بلشتيم، وبالأكدية باسم بالستو، وأطلق عليها هيردوت خلال القرن السادس قبل الحقبة المشتركة اسم فلسطين السورية للإشارة لكامل المنطقة الجنوبية الغربية من بلاد الشام. [المترجم]

(٢٠) على امتداد النص العربي، تشير كلمة "آشور" Assyria إلى الإمبراطورية الآشورية ككل، ولم يأت ذكر مدينة آشور Assur إلا الشكل (١٩) في الكتاب. [المترجم]

(٢١) دور Dor أو تل الدور Tel Dor (بالعبرية خربة البرج Khirbet el-Burj) موقع أثري على ساحل فلسطين المتوسطي على مسافة ٣٠ كيلومترا جنوب حيفا و٥ ,٢ كيلومتر غرب الخضيرة، تتطابق مع بلدة دير D-jr في المصادر المصرية، ودور Dor في الكتاب المقدس، ودور أو دورا Dora في المصادر اليونانية والرومانية. بدأ تاريخها الموثق إبان العصر البرونزي المتأخر، وإن كانت البلدة نفسها أسست في منتصف ذلك العصر، واندثرت خلال حقبة الحملات الصليبية. [المترجم]

وعلى ساحل البحر، وفي بيبلوس، وعبر لبنان إلى كل المدن في الجبال، وكل مدن آسرحدون ملك آشور، التي منحها آسرحدون ملك آشور لبعل وشعب صور في سفنهم أو كل أولئك الذين يعبرون في بلدات بعل وأراضيه وموانئه التي يقع الكثير منها في المناطق البعيدة، وكما كانت الحال في الماضي ... يحظر على الجميع إلحاق الأذى بسفنهم. وفي منطقته الداخلية، وفي أراضيه ... [٦٧].



الخريطة (١) الشبكات التجارية الفينيقية[٢٢]

كانت الدول الإمبراطورية (الإمبراطوريات الآشورية الحديثة [٩٣٤-٦١٠ ق.ح] والبابلية الحديثة [٦٢٥-٥٣٩ ق.ح] والأخمينية [٥٥٠-٣٣٠ ق.ح] والسلوقية [٣١٢-٦٣ ق.ح]) الشكل المهيمن للدولة في الشرق الأدنى على امتداد الألف الأول قبل الحقبة المشتركة. يقترح جورسا Jursa ثلاث مراحل رئيسة لتاريخ الشرق الأدنى القديم، هي (١) ثورة العصر الحجري الحديث، (٢) "الثورة الحضرية" urban revolution في بداية العصر البرونزي التي تميّزت بالدول المدينية والمزيد من التخصص في العمل وما يسمى التوسع الأوروكي Uruk expansion في نحو أعوام ٤٠٠٠-٣٢٠٠ ق.ح، وهي حالة مبكرة مهمة لتكوين الدولة المركزية وربما كانت أول "نظام عالمي"[٢٣]، (٣) الانتقال من العصر البرونزي إلى العصر الحديدي المبكر الذي شهد الاستخدام "المنتظم" للحديد وتدجين

(٢٢) في الخرائط والأشكال التالية، تشير "ش" على المحور العمودي إلى "شمال دائرة الاستواء"، وعلى المحور الأفقي إلى "شرق خط غرينتش"، و"غ" إلى غرب خط غرينتش. [المترجم]

(٢٣) "الأوروكي" نسبة إلى أوروك أو الوركاء Uruk، وهي مدينة قديمة في سومر ثم في بابل، تقع على نهر الفرات على مسافة ٣٥ كيلومترا من مدينة أور القديمة و٣٠ كيلومترا شرق مدينة السماوة العراقية الحديثة، لعبت دورا في بناء حضارة سومر في منتصف الألف الرابع قبل الحقبة المشتركة، وبلغت أوجها في نحو عام ٢٩٠٠ ق.ح. [المترجم]

البعير والابتكار في نظم الكتابة وتقنيات بناء جديدة[٦٨]. أحدثت الزراعة الأكثر إنتاجية وكثافة زيادة بنسبة ٢٤٪ بالمائة في المحصول، وأدت الحقول المصطبية وإنتاج الزيتون وإزالة الغابات إلى الإنتاج على مدار العام، بدلا من الإنتاج الموسمي[٦٩]. يتكشَّف تكثف الزراعة على مدار العام في الزيادة في عدد الآبار التي يمكن إرجاعها إلى الانتقال من العصر البرونزي إلى العصر الحديدي في مصر وفي آشور، كما مكّن تدجين البعير من زيادة تجارة المسافات الطويلة[٧٠]. ويلاحظ جورسا أن "إمكانية التغير البنيوي ضمن إطار اجتماعي–اقتصادي ومناخي وتقني مستقر في الأساس كانت أكبر كثيرا" منها في البحر الأبيض المتوسط[٧١]. كان الاقتصاد الإمبراطوري البابلي قائما على الأجور النقدية (الفضية) والتبادل السوقي من خلال المعابد[٧٢]. وتركز الازدهار البابلي إبان القرن السادس قبل الحقبة المشتركة حول منطقة بابل الحضرية الكبيرة ذاتها، التي كانت منافسا في الحجم وفي النشاط الفكري للعاصمة البطلمية اللاحقة في الإسكندرية. ويزودنا التوثيق المعاصر بتفاصيل النشاط التجاري والعقود الخاصة والصفقات السوقية، التي إن لم تكن تكشِف عن تاريخ مؤسسي طويل المدى للشرق الأدنى، فإنها تكشِف على الأقل عن بديل لأثينا الكلاسيكية باعتبارها المركز الأوحد للابتكار الاقتصادي في منتصف الألف قبل الحقبة المشتركة[٧٣].

كان ظهور التجار الفينيقيين في فجر الألف الأول قبل الحقبة المشتركة نقطة تحول حقيقية في التاريخ الاقتصادي للبحر الأبيض المتوسط، وإن لم تكن موثقة كما ينبغي[٧٤]. لم تنبثق التجارة الفينيقية فجأة، بقدر ما تسمح لنا الأدلة الصعبة من التيقن، بل كانت استمرارا للتجارة القوية لمدن بيبلوس وصور وصيدا، التي اكتسبت طاقة جديدة واتجاهاً جديداً للتوسع عبر البحر الأبيض المتوسط خارج السيطرة الإمبراطورية خلال العصر البرونزي[٧٥]. أبطل التجار الفينيقيون الأنماط التجارية القبرصية في البحر الأبيض المتوسط الأوسط إلى حد ما[٧٦]. ويكشف وجود الفينيقيين، أو السلع التي تاجروا فيها على الأقل، بعيدا أعلى النيل عن مدى نشاطهم[٧٧].

يكشف النص التوراتي المثير للنبي حزقيال ضد غطرسة صور المدرَكة عن أحد أسباب النظرة النمطية إلى المدن التجارية الفينيقية بين المؤرخين اللاحقين، وهو تحديدا أن حدة التنافس على السيطرة على الشبكات والمفاصل التجارية قد اشتدت بحلول أوائل الألف الأول قبل الحقبة المشتركة[٧٨].

"مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ قَدِ ارْتَفَعَ قَلْبُكَ

وَقُلْتَ: أَنَا إِلهٌ.

فِي مَجْلِسِ الآلِهَةِ أَجْلِسُ

فِي قَلْبِ الْبِحَارِ.

وَأَنْتَ إِنْسَانٌ لاَ إِلهٌ،

وَإِنْ جَعَلْتَ قَلْبَكَ كَقَلْبِ الآلِهَةِ!

هَا أَنْتَ أَحْكَمُ مِنْ دَانِيآلَ!

سِرٌّ مَا لاَ يَخْفَى عَلَيْكَ.

وَبِحِكْمَتِكَ وَبِفَهْمِكَ حَصَّلْتَ لِنَفْسِكَ ثَرْوَةً،

وَحَصَّلْتَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ

فِي خَزَائِنِكَ.

بِكَثْرَةِ حِكْمَتِكَ فِي تِجَارَتِكَ

كَثَّرْتَ ثَرْوَتَكَ،

فَارْتَفَعَ قَلْبُكَ بِسَبَبِ غِنَاكَ.

فَلِذلِكَ هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ:

مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ جَعَلْتَ قَلْبَكَ

كَقَلْبِ الآلِهَةِ،

لِذلِكَ هأَنَذَا أَجْلِبُ عَلَيْكَ غُرَبَاءَ،

عُتَاةَ الأُمَمِ،

فَيُجَرِّدُونَ سُيُوفَهُمْ عَلَى بَهْجَةِ حِكْمَتِكَ

وَيُدَنِّسُونَ جَمَالَكَ.

يُنَزِّلُونَكَ إِلَى الْحُفْرَةِ،

فَتَمُوتُ مَوْتَ الْقَتْلَى

فِي قَلْبِ الْبِحَارِ.

هَلْ تَقُولُ قَوْلًا

أَمَامَ قَاتِلِكَ: أَنَا إِلهٌ؟

وَأَنْتَ إِنْسَانٌ لاَ إِلهٌ

فِي يَدِ طَاعِنِكَ!

مَوْتَ الْغُلْفِ تَمُوتُ بِيَدِ الْغُرَبَاءِ،

لأَنِّي أَنَا تَكَلَّمْتُ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ

وَكَانَ إِلَيَّ كَلاَمُ الرَّبِّ قَائِلًا: يَا ابْنَ آدَمَ، ارْفَعْ مَرْثَاةً

عَلَى مَلِكِ صُورَ وَقُلْ لَهُ: هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ:

أَنْتَ خَاتِمُ الْكَمَالِ،

مَلآنٌ حِكْمَةً وَكَامِلُ الْجَمَالِ.

كُنْتَ فِي عَدْنٍ

جَنَّةِ اللهِ.

كُلُّ حَجَرٍ كَرِيمٍ سِتَارَتُكَ،

عَقِيقٌ أَحْمَرُ وَيَاقُوتٌ أَصْفَرُ

وَعَقِيقٌ أَبْيَضُ وَزَبَرْجَدٌ

وَجَزْعٌ وَيَشْبٌ وَيَاقُوتٌ أَزْرَقُ

وَبَهْرَمَانٌ وَزُمُرُّدٌ وَذَهَبٌ.

أَنْشَأُوا فِيكَ صَنْعَةَ صِيغَةِ الْفُصُوصِ وَتَرْصِيعِهَا

يَوْمَ خُلِقْتَ.

أَنْتَ الْكَرُوبُ الْمُنْبَسِطُ الْمُظَلِّلُ، وَأَقَمْتُكَ.

عَلَى جَبَلِ اللهِ الْمُقَدَّسِ كُنْتَ.

بَيْنَ حِجَارَةِ النَّارِ تَمَشَّيْتَ.

أَنْتَ كَامِلٌ فِي طُرُقِكَ

مِنْ يَوْمَ خُلِقْتَ

حَتَّى وُجِدَ فِيكَ إِثْمٌ.

بِكَثْرَةِ تِجَارَتِكَ

مَلأُوا جَوْفَكَ ظُلْمًا

فَأَخْطَأْتَ.

فَأَطْرَحُكَ مِنْ جَبَلِ اللهِ

وَأُبِيدُكَ أَيُّهَا الْكَرُوبُ الْمُظَلِّلُ

مِنْ بَيْنِ حِجَارَةِ النَّارِ.

قَدِ ارْتَفَعَ قَلْبُكَ لِبَهْجَتِكَ.

أَفْسَدْتَ حِكْمَتَكَ لأَجْلِ بَهَائِكَ.

سَأَطْرَحُكَ إِلَى الأَرْضِ،

وَأَجْعَلُكَ أَمَامَ الْمُلُوكِ لِيَنْظُرُوا إِلَيْكَ.

قَدْ نَجَّسْتَ مَقَادِسَكَ

بِكَثْرَةِ آثَامِكَ بِظُلْمِ تِجَارَتِكَ،

فَأُخْرِجُ نَارًا مِنْ وَسْطِكَ

فَتَأْكُلُكَ،

وَأُصَيِّرُكَ رَمَادًا عَلَى الأَرْضِ

أَمَامَ عَيْنَيْ كُلِّ مَنْ يَرَاكَ.

فَيَتَحَيَّرُ مِنْكَ

جَمِيعُ الَّذِينَ يَعْرِفُونَكَ بَيْنَ الشُّعُوبِ،

وَتَكُونُ أَهْوَالًا

وَلاَ تُوجَدُ بَعْدُ إِلَى الأَبَدِ". (حزقيال، ٢٨، ١-١٩)

حظي التفاعل بين التجار الفينيقيين والعالم اليوناني خلال أوائل الألف الأول قبل الحقبة المشتركة باهتمام بالغ، مع أنه لم يتبلور إجماع كافٍ بشأن الدور الذي لعبه الاتصال الفينيقي في تطور الحضارة اليونانية[٧٩]. ولا يقدم هوميروس صورة لطيفة للفينيقيين[٨٠]. غير أن الاتصال الفينيقي مع العالم اليوناني، بل والتفاعل اليوناني مع غير اليونانيين على امتداد هذه الفترة، كان بالغ الأهمية في فهم تطور المؤسسات اليونانية[٨١]. وتعد استعارة التقنية الملاحية، وبالطبع نظام الكتابة الأبجدية، مجالين كان للتلاقح الثقافي الفينيقي-اليوناني فيهما نتائج كبيرة على اليونان[٨٢]. كان ظهور المرحلة الكلاسيكية للدول المدينية اليونانية وظهور الإمبراطورية الأخمينية في منتصف الألف قبل الحقبة المشتركة إيذانا بانتقال سياسي رئيس في البحر الأبيض المتوسط. وكان للحكم الأخميني أيضا تأثيرات مباشرة على المراحل اللاحقة من تاريخ مصر، وتأثيرات على العالم اليوناني، من خلال النزاع العسكري المباشر، ومن خلال التجارة وانتقال أفكار الإمبراطورية والثقافة المادية[٨٣]. وإلى العصر الحديدي المبكر يرجع توسع إيطاليا جنوبا إلى تلك المنطقة التي سميت ماغنا غرايسيا أي "اليونان الكبرى"، وشمالا إلى

إتروريا. لم يكن الإتروسكانيون يختلفون عن الفينيقيين(٢٤)، إذ كان لهم حضور بحري قوي وشبكات تجارية أسسوها بعيدا حتى مارسيليا، وعملوا وسطاء بين جنوب إيطاليا وروما[٨٤].

تغيب مصر غالبا عن الرواج الحالي للسرديات التاريخية الكبرى[٨٥]، إذ تُستبعَد عادة لأنها لم تكن تعد جزءا من عالم البحر الأبيض المتوسط، على الرغم من أن النيل يصرِّف مياهه فيه، وعلى الرغم من الاتصال الثقافي الواسع بين مصر والجزر الإيجية والشرق الأدنى. ذهب فينلي إلى أن مصر (والشرق الأدنى) كانت منظمة بطريقة مختلفة تماما عن العالم الكلاسيكي، حتى إنه من غير الممكن تناولهما معا في نفس الكتاب حول الاقتصاد القديم. غير أن مصر التي لم تكن "جامدة" بحال من الأحوال تغيرت هي الأخرى بفعل اتجاهات العصر الحديدي التي أوجزتُها هنا.

في بداية العصر الحديدي، كانت مصر في أعقاب انهيار إمبراطورية الدولة الحديثة مقسمة سياسيا بين الحكم الليبي في الدلتا والسيطرة الثيوقراطية على معظم وادي النيل من جانب الكهنة في معبد آمون الكبير في طيبة. وكانت مصر خلال الألف الثالث قبل الحقبة المشتركة تصوب عينيها صوب الجنوب إلى الجندل الأول على النهر، وصوب الشرق إلى البحر الأحمر. وكذلك كان شمال أفريقيا يتوجه شرقا وغربا على طول الساحل وجنوبا[٨٦]. كانت المدينة الرعمسية الإمبراطورية في قنتير (بي-رمسيس(٢٥)) "أول كيان إمبراطوري يقام على حافة حوض النهر"، ربطت نهر النيل حتى الجندل الخامس والمناطق الساحلية المشرقية وأجزاء أخرى من البحر الأبيض المتوسط[٨٧]. بلغت مساحة قنتير نحو ستمائة هكتار(٢٦)، وربما تراوح عدد سكانها ما بين ثمانين ألفا ومائة ألف[٨٨]. لفترة ما في نهاية القرن الثامن قبل الحقبة المشتركة، سيطر النوبيون على الوادي النهري، وغزا الآشوريون مصر في نحو عام ٦٧١ ق.ح، ثم أفسح التجزؤ السياسي والفوضى السياسية العامة المجال لدولة مركزية جديدة مقرها سايس في الدلتا. جلبت إعادة

---

(٢٤) الإتروسكانيون Etruscans أصحاب حضارة قديمة نشأت في إيطاليا بداية من القرن السابع قبل الحقبة المشتركة حتى استوعبتها الجمهورية الرومانية، تمركزت في إقليم إتروريا Etruria في شمال وسط إيطاليا (توسكانيا Tuscania وأومبريا Umbria حاليا). [المترجم]

(٢٥) الرعمسية نسبة إلى الاسم رمسيس (أو رعمسيس) الذي يجمع إلى رعامسة. [المترجم]

كانت بي-رمسيس Piramesses (تعني "بيت رمسيس" أو "بر رمسيس") مقرا لقصر صيفي لسيتي الأول بالقرب من أواريس القديمة، اتخذتها الأسرة التاسعة عشرة المصرية عاصمة لها، يعتقد أنها كانت في موقع قرية قنتير الحالية التابعة لمركز فاقوس بمحافظة الشرقية. [المترجم]

(٢٦) الهكتار hectacre وحدة مساحة تساوي عشرة آلاف متر مربع. [المترجم]

تأسيس السلطة السياسية المركزية في عهد الملوك السايسيين في نحو عام ٦٥٠ ق.ح معها تأسيس نقراطيس كجيب تجاري يوناني رئيس يدفع الضرائب لأولئك الملوك(٢٧)، جذبت أيضا جنودا يونانيين وبحّارة فينيقيين إلى مصر. لكن هذه التطورات إبان القرن السابع قبل الحقبة المشتركة يمكن تعقبها إلى المراكز التجارية والسياسية الرئيسة في دلتا النيل المصرية خلال حقبة الرعامسة في نحو عام ١٢٠٠ ق.ح. وقد استمر هذا التوجه المصري نحو البحر الأبيض المتوسط إلى الحقبة السايسية، إذ شكّل أسطولٌ رجاله من اليونانيين قوة متوسطية حقيقية، كانت في الوقت عينه قوة تصل عن طريق النيل والبحر الأحمر إلى عمق أفريقيا. ولاحقا بنى الحكم الأخميني ثم البطلمي لمصر على عملية إعادة المركزية السياسية السايسية، ووسعوا ارتباطات الطرق التجارية التي جعلت مصر نقطة مركزية في طرق تجارة المسافات الطويلة التي ربطت البحر الأبيض المتوسط بالبحر الأحمر والهند.

لكن بحلول أوائل العصر الحديدي، أخذت الدلتا- مستفيدةً من "الدوائر التجارية الجديدة التي كانت تنبثق في شرق البحر الأبيض المتوسط والشرق الأدنى"- مساراً اقتصادياً مختلفاً عن الوادي النهري[٨٩]. وفي أوائل الألف الأول قبل الحقبة المشتركة، تبدو الدلتا المصرية أشبه بالشرق الأدنى، أي حضرية ومرتبطة بالشبكات التجارية الكثيفة في البحر الأبيض المتوسط.

يشدد مايكل مان في معالجته لظهور الدول المدينية اليونانية خلال العصر الحديدي المبكر على ثلاث خصائص مهمة، هي (١) الابتكارات التقنية للعصر الحديدي، (٢) وبيئة اليونان الفريدة، (٣) والوقوع "على طرق التجارة البحرية بين أراضي الحرث شبه البربرية والإمبراطوريات المتحضرة المهيمنة"[٩٠]. كان التحول من إيداع المواد الثمينة في المقابر إلى التبرع بها للمعابد، مع إمكانية "الاقتراض" منها، الذي حدث خلال القرنين التاسع والثامن قبل الحقبة المشتركة، تطورا مهما في المالية العامة للدول المدينية[٩١]. وكان صغر حجم معظم المدن اليونانية عاملا حاسما في تطور الديمقراطية، وكانت أثينا القيمة الشاذة(٢٨)، تماما كما كانت في الكثير من الأشياء الأخرى. تشكلت البيئة الثقافية اليونانية الواسعة من ألف دولة مدينية، وهو شيء فريد تاريخيا، إذ كانت "حضارة متعددة

---

(٢٧) كانت نقراطيس Naukratis (أو ناوكراتيس) مستوطنة يونانية تقع على الفرع الكانوبي البائد للنيل على مسافة عشرة أميال من فرع رشيد. [المترجم]

(٢٨) القيمة الشاذة outlier، في الإحصاء، هي عنصر شاذ أو خارج عن النسق المميّز لبقية عناصر المجموعة. [المترجم]

الفاعلين والقوى"، تميزت بثلاث شبكات قوة متنافسة غير متداخلة، هي الشبكة السياسية وشبكة الهوية الثقافية وفكرة "وحدة الجنس البشري"[٩٢]. وخلال القرنين الخامس والرابع قبل الحقبة المشتركة، كانت أثينا إمبراطورية السيماء، أي "الدولة الأثينية الكبرى" في رأي موريس (وليس "إمبراطورية" فعلية) الذي يؤكد على صغر حجم سكانها وعائداتها مقارنة بالإمبراطورية الأخمينية أو إمبراطوريتي روما والصين اللاحقتين[٩٣].

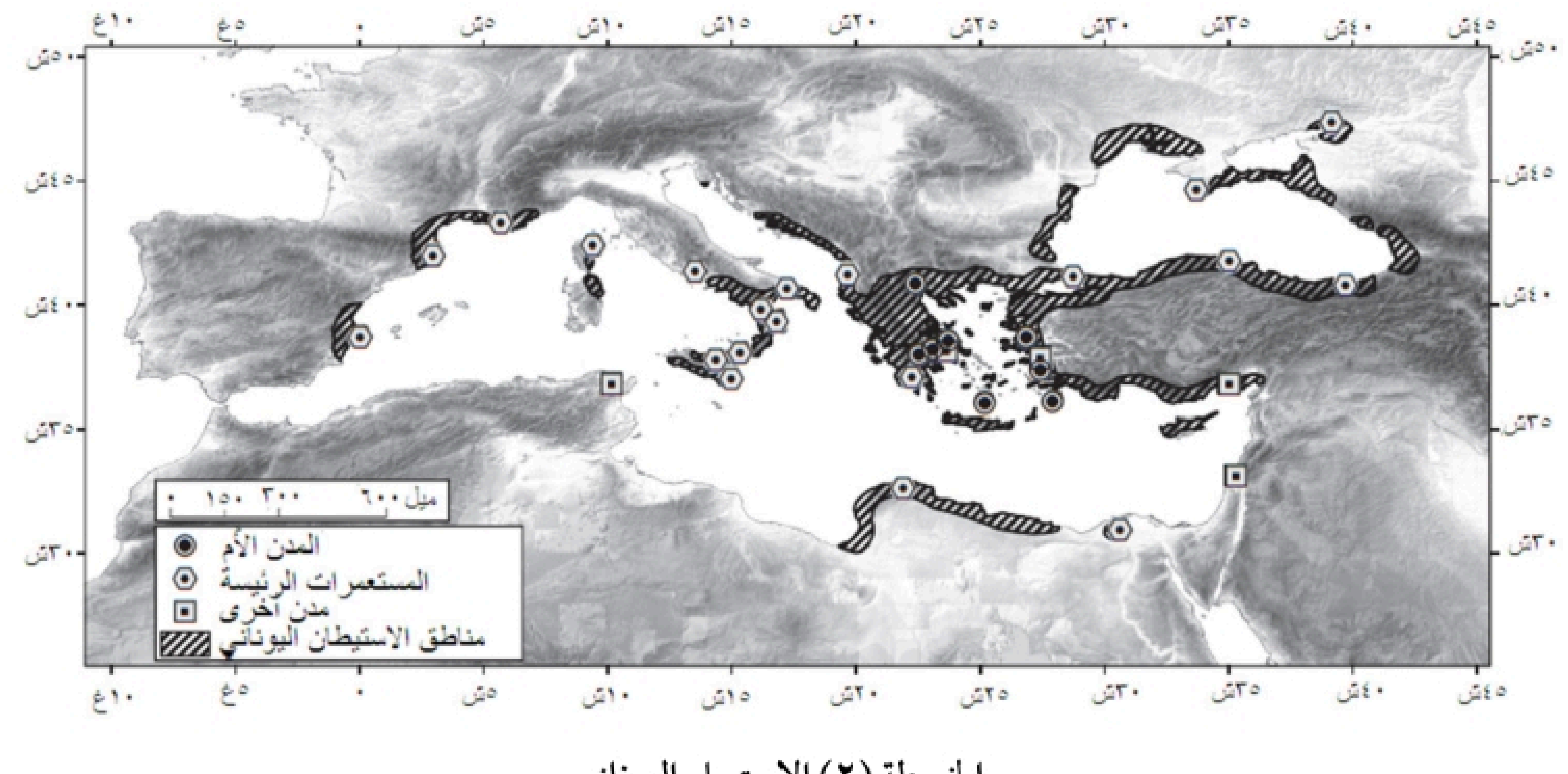
إن ملاحم هوميروس وهسيودوس Hesiod مع أنها ما تزال محل جدل كمصادر للعصر الحديدي المبكر، تقدم معلومات ثمينة حول البنية الاجتماعية. ويظل علم الآثار المصدر الرئيس لليونان المبكرة، وتكشِف دراسة جديدة متأنية أن تزايد الطلب أدى إلى تزايد الارتباط بين اليونان والشرق[٩٤]. وهناك من أكد بقوة مؤخرا أن نموا حقيقيا مستداما قد حدث في العالم اليوناني. تتمثل نقطة البداية لهذا النمو في انهيار السكان بين عامي ١٢٠٠ و١٠٠٠ ق.ح، ثم بدأ التعافي في نحو عام ٨٠٠ ق.ح، وتضاعف عدد السكان عبر اليونان كلها خلال القرن الثامن قبل الحقبة المشتركة. ومن عام ٧٥٠ إلى عام ٦٠٠ ق.ح، غادر ما بين اثنين وثلاثة بالمائة من الذكور اليونانيين البالغين (من عشرين إلى أربعين ألفاً) الجزر الإيجية إلى مواطن جديدة لأسباب كثيرة مختلفة، وكانت هذه النسبة أعلى في مدن تجارية مثل كورنث وميليتوس[٩٥][٢٩]. ليس مصادفة- إذن- أن أُنشئت "المستعمرات" اليونانية عموما في مناطق زراعية خصبة مطيرة (الخريطة ٢). كان لهذا التوسع اليوناني نتائج بالغة الأهمية على التاريخ الاقتصادي للعالم اليوناني والدور الحيوي الذي لعبه اليونانيون عبر البحر الأبيض المتوسط خلال النصف الثاني من الألف الأول قبل الحقبة المشتركة[٩٦][٣٠]. ومع نهاية العصر البرونزي، استوطن اليونانيون غرب الأناضول، وغدت مدن مثل ميليتوس على نهر مياندر Maeander مراكز رئيسة مزدهرة للعلم. وبين عامي ٦٥٠ و٥٠٠ ق.ح، كانت مساحة الإقليم التي أدمجت حول البحر الأبيض المتوسط قد زادت على نحو ملحوظ[٩٧].

---

(٢٩) كورنث Corinth دولة مدينية يونانية كانت تقع على البرزخ الذي يربط شبه جزيرة بيلوبونيز بشمال اليونان. [المترجم]

ميليتوس Miletus مدينة يونانية تقع أنقاضها حاليا في محافظة الأناضول التركية. [المترجم]

(٣٠) على خلاف الحال خلال الحقبة المشتركة، يشير النصف الثاني من أي ألف قبل الحقبة المشتركة ق.ح إلى الأعوام ٥٩٩-١ ق.ح، ويشير النصف الأول هو الأعوام ٩٩٩-٥٠٠ ق.ح. [المترجم]



الخريطة (٢) الاستعمار اليوناني

أكد بريسن على دور التجارة في الدول المدينية اليونانية[٩٨]. فقد بدأ عالم الدول المدينية اليونانية في الظهور في الوقت نفسه الذي بدأت فيه الهيمنة التجارية الفينيقية في الأفول في أعقاب سيطرة الإمبراطورية الآشورية الحديثة بطريقة مباشرة على بعض التجارة الفينيقية. ثارت صور في عام ٧٢٧ ق.ح، وحصلت في النهاية على علاقات تحكمها معاهدة مع الملوك الآشوريين، ثم دخلت في علاقة خضوع وإتاوة مع الإمبراطورية البابلية الحديثة، وأخيرا أصبحت ولاية بعد سنوات من الكفاح[٩٩]. ثم آلت السيطرة على الساحل الفينيقي إلى الإمبراطورية الأخمينية، وهي نفسها قوة متوسطية[١٠٠]. يمثل عام ٥٠٨-٥٠٧ ق.ح تاريخ التأسيس الشهير للديمقراطية الأثينية، لكن هناك جدلاً حول ما إذا كانت الديمقراطية ذاتها قد "تأسست" في وقت سابق في مدن يونانية أخرى[١٠١]. ثمة عوامل كثيرة وقفت وراء ما يسمى الإصلاحات الديمقراطية، وأيا كان فهمنا لعمليات التغير السياسي في العالم اليوناني، فإن المؤسسات الاقتصادية الأثينية هي التي شكلت التطورات اللاحقة في العالم الكلاسيكي.

من الكلاسيكي إلى الهلنستي إلى الروماني

في الوقت الذي كانت المؤسسات التجارية اليونانية، والأثينية تحديداً، تؤثر خلاله على التطورات الاقتصادية اللاحقة بداية من القرن الرابع قبل الحقبة المشتركة، كانت هناك قوى أخرى تنبثق على

محيط شرق البحر الأبيض المتوسط، هي قرطاج ومقدونيا القديمة وأخيرا روما[٣١]. ولاحقا ترك الإسكندر الأكبر بصمته على مدينة صور التجارية الكبيرة في أثناء حصاره للمدينة الذي دام سبعة أشهر. ومع أننا لا نعرف ما إذا كان هذا الحصار يرتبط من قريب أو بعيد بتأسيسه اللاحق للإسكندرية التي أصبحت الميناء التجاري الأكبر في البحر الأبيض المتوسط، فإن هناك ما يدفعنا للاعتقاد بأن أفعاله في صور لعبت دورا في مآلات الإسكندرية. فلم تكن إعادة ترتيب السيطرة السياسية على التجارة، والحرب كنشاط اقتصادي منتج، أوضح منها في حملات الإسكندر. وقد كانت نهاية صور نهاية رمزية للمدينة التجارية المستقلة في البحر الأبيض المتوسط ما قبل الحديث. وبذلك كان مركزان تجاريان فينيقيان كبيران قد دمرا في ذلك الوقت بالغزو العسكري، هما صور التي دمرها الإسكندر بقسوة في عام ٣٣٢ ق. م، وقرطاج التي سوتها روما بالأرض في عام ١٤٦ ق.ح.

ثمة ميل لاعتبار هذين الحدثين نقطتي تحول، واحدة كانت بداية الحقبة الهلنستية، والأخرى كانت فاتحة الإمبراطورية الرومانية باعتبارها القوة الوحيدة الباقية في البحر الأبيض المتوسط. كان "انفتاح" العالم الكلاسيكي على "الشرق" بعد غزو الإسكندر الأكبر للإمبراطورية الأخمينية في نهاية القرن الرابع قبل الحقبة المشتركة بداية مرحلة جديدة في تاريخ البحر الأبيض المتوسط، كثيراً ما تُعَدَّد سماتها "الحديثة"، لكن ما يبدو "حديثا" بالنسبة لنا في هذا العالم هو في حقيقة الأمر سماتنا القديمة. ولا شك أن هناك أسباباً وجيهة للحذر من التحقيب في التاريخ الاقتصادي، لكن لم يعد هناك- في اعتقادي- سوى قلة صغيرة ما تزال تؤيد إغفال فينلي للحقبة الهلنستية:

> كان المؤرخ الألماني الكبير جاي جي درويزن J. G. Droysen هو من سكَّ مصطلح Hellenistic [هلنستي] إبان العقد الرابع من القرن التاسع عشر للإشارة إلى الفترة من التاريخ اليوناني الممتدة بين وفاة الإسكندر الأكبر في عام ٣٢٣ ووفاة كليوباترا في عام ٣٠ ق.ح. وقد لقي المصطلح قبولا عاما، لكنه فيما يتعلق بدراسة الاقتصاد القديم مضلل تماما، لأنه في تلك الثلاثمائة سنة كان هناك مجتمعان "يونانيان" متمايزان تماما. فمن ناحية، كان هناك العالم اليوناني القديم، ومنه اليونانيون الغربيون، الذي لم يشهد تغيرات في الاقتصاد تستحق اعتبارا خاصا، على الرغم من كل التغيرات السياسية

(٣١) لاحظ أن قرطاج ومقدونيا وإيطاليا تقع في الحوض الشرقي من البحر الأبيض المتوسط، أي في شرق البحر الأبيض المتوسط. [المترجم]

والثقافية التي حدثت قطعا. ومن الناحية الأخرى، في المناطق الشرقية المدمجة حديثا (معظم آسيا الصغرى ومصر وسورية وبلاد ما بين النهرين[٣٢]) لم يتغير النظام الاجتماعي والاقتصادي الأساسي، لا بفعل الغزاة المقدونيين، ولا بفعل المهاجرين اليونانيين الذين تبعوا خطاهم، ولا بفعل الرومان لاحقا، كما أوضحتُ في موضع سابق. وعلى ذلك، فلم يكن هناك "اقتصاد هلنستي"، بل كان هناك منذ البداية اقتصادين: قطاع قديم وقطاع شرقي[١٠٢].

تمثل هذه الفقرة، كما خَلُص جون ديفيز، نوعا من "الانقطاع الفجائي المدهش"[١٠٣](٣٣). على أن إغفال فينلي للحقبة الهلنستية لم يحدث مصادفة أو حتى نتيجة للإهمال. ويمكن للمرء أن يتفق هنا مع فينلي في أن تقسيم التاريخ الاقتصادي للعصر القديم إلى حقب زمنية محكمة، حتى وإن رُبطت على نحو مريح بوفاة اثنين من أشهر الشخصيات في العصر القديم، لا يفسر الكثير في ذاته. ففي رأي فينلي لم يحدث تغير مهم قابل للملاحظة في البحر الأبيض المتوسط بعد عام ٣٢٣ ق.ح من شأنه أن يغير رؤية فينلي التاريخية للتاريخ الغربي ما قبل الحديث.

ففي رأي فينلي، لم يتغير شيء يستحق التأكيد في عالم ما بعد الإسكندر. لكن كانت هناك في حقيقة الأمر تغيرات كثيرة دفعتها الإصلاحات الحكومية والحرب والتحضر والاستخدام المتزايد للعملة.

يتمثل الموضوع الرئيس لدى المؤرخ الكبير للعصر الهلنستي بوليبيوس Polybius في "اللفق" symploke الذي يعني حرفيا "درز الأشياء معا"، أي الاندماج السياسي والاقتصادي لعالم البحر الأبيض المتوسط، من الدول المجزأة في أول الحقبة الهلنستية، إلى القوى التوحيدية التي كانت موجودة في أثناء الغزو الروماني للحوض خلال القرن الثاني قبل الحقبة المشتركة[١٠٤]. بل إن الحقبة الهلنستية وقعت بين إمبراطوريتين، هما الأخمينية والرومانية. ومع ذلك، وكما رأينا آنفا، فإن اندماج البحر الأبيض المتوسط كان مجموعة بطيئة وطويلة من العمليات التاريخية بدأت قبل وقت طويل من تربع روما باعتبارها القوة المهيمنة الوحيدة[١٠٥]. على أننا لا نستطيع أن نفهم ذلك إلا من خلال تحليل تاريخي

---

(٣٢) آسيا الصغرى Asia Minor اسم آخر للأناضول، وهي النتوء الغربي لقارة آسيا، يحدها شمالا البحر الأسود وجنوبا البحر الأبيض المتوسط وغربا بحر إيجة، ويفصلها بحر مرمرة ومضيقا البوسفور والدرنيل عن منطقة تراقيا على الجانب الأوروبي، تؤلف معظم إقليم دولة تركيا الحديثة. [المترجم]

(٣٣) الانقطاع الفجائي أو الإرتاج الفجائي aposiopesis حيلة بلاغية، يتوقف خلالها الأديب فجأة في وسط الكلام أو الجملة نتيجة لفورة الشعور أو عجز المتكلم عن مواصلة الحديث. [المترجم]

أكبر وأعمق[١٠٦]. فقد فتحت المدن التجارية الفينيقية البحر الأبيض المتوسط كاملا أمام التجارة والسوق والكتابة الأبجدية، ثم وسع الاستعمار اليوناني الشبكات التجارية[١٠٧]. وكان التغير الحقيقي في الشرق الأدنى سياسيا، وهو تأسيس ما يمكن تسميته بالممالك الارتجاعية retrokingdoms في المراكز الإمبراطورية القديمة، وهي ممالك كانت في السابق أجزاء من الإمبراطورية الأخمينية، أدارها ورثة الإسكندر متدثرين بمظاهر المُلك القديمة. وكما يذكّرنا جون ديفيز في مقالته، فإن بوليبيوس كان مُحِقّا في تشديده على أن السياسة كانت القوة الدافعة للتغير الاقتصادي خلال الحقبة الهلنستية[١٠٨].

في دراسة نُشرت مؤخرا حول التاريخ الاقتصادي العالمي، بدأ أنغس ماديسن روايته بالإمبراطورية الرومانية[١٠٩]. ولم تنل الحقبة الهلنستية بكاملها غير ثلث صفحة[١١٠]. لا ريب أن القياس الكمي للاقتصاد الإمبراطوري الروماني أكثر تقدما، فضلا عن توفر معلومات كثيرة للتحليلات الثانوية[١١١]. لكن ذلك يبدو مفاجئاً بالنظر إلى البيانات ميسورة الفهم، وإن لم تكن كمية، التي قدمها روستوفتسيف في كتابه "التاريخ الاجتماعي والاقتصادي للعالم الهلنستي" Social and Economic History of the Hellenistic World. ونتيجة لأن السردية الجامعة أقل وضوحا، فإن عمليات تكوين الدول الجديدة تضيع في غيوم الزمن، وتغيب أهم مدينة في تلك الفترة (الإسكندرية) لأغراض التاريخ الاقتصادي. ومع أنه يمكن إغفال الاقتصادات الهلنستية باعتبارها شكلا من "التقليد الصغير" little tradition باستعارة المفهوم الشهير من روبرت ريدفيلد Robert Redfield، مقارنة بـ"التقليد الكبير" great tradition ممثَّلا في الاقتصاد الإمبراطوري الروماني[١١٢]، فإن هذا الاتجاه يبخس التاريخ الهلنستي حقه ولا يعطي اعتبارا كافيا للتطورات الأطول أمدا في شرق البحر الأبيض المتوسط بين نحو عامي ٤٠٠ و٢٠٠ ق.ح.

لكن هل يعني ذلك أننا لا يجب أن نحتسب غير القرنين الرابع والثالث، أو حتى القرن الثالث قبل الحقبة المشتركة فقط، ضمن "الحقبة الهلنستية"، ونعتبر القرنين الأخيرين قبل الحقبة المشتركة ضمن الحقبة الرومانية؟ يشير مصطلح "هلنستي" عادة إلى مزيج[٣٤]، أي خليط فضفاض من المؤسسات اليونانية القديمة ومؤسسات الشرق الأدنى القديم، وليس أي شيء مميز أو جديد. فقد

---

(٣٤) المزيج أو التكرار أو المعارضة pastiche أثر أدبي أو فني أو موسيقي يحاكي صاحبه فيه أسلوب أثر سابق، أو يجمع فيه مختارات من ألحان أو آثار أدبية مختلفة. [المترجم]

شكلت الحقبة الهلنستية موجة ثانية من التوسع اليوناني خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة، هو "التوسع ما بعد الكلاسيكي"[١١٣]. وقد أُجريت أعمال كثيرة حول شرق البحر الأبيض المتوسط، لكن غرب البحر الأبيض المتوسط و"الشرق الأقصى" يستحقان اهتماما مماثلا[١١٤]. وهنا أيضا تكتسب مشكلات الحدود التاريخية بين الحقبتين الهلنستية والرومانية أهمية لفهم التغير المؤسسي. ويؤكد الدارسون عادة على المؤسسات الاقتصادية الجديدة للحقبة الهلنستية، مثل العملة، لكن كانت هناك أيضا استمرارية واضحة في المؤسسات الاقتصادية.

يغطي التاريخ الاجتماعي والسياسي والاقتصادي للتجارة اليونانية في البحر الأبيض المتوسط خلال القرون الأربعة الأخيرة قبل الحقبة المشتركة إقليما أكبر كثيرا، سواء من حيث الجغرافيا أو من حيث المؤسسات الاقتصادية، ويمتد أبعد كثيرا من الحدود التقليدية للتاريخ اليوناني الكلاسيكي. كما أن الإصلاحات الاقتصادية والقانونية الكثيرة في أثينا القرن الرابع قبل الحقبة المشتركة مهمة لفهم الاقتصادات الهلنستية. وثمة جانبان آخران شكلا المؤسسات الاقتصادية الهلنستية، هما استمرارية أنماط الشرق الأدنى القديم والارتباطات السياسية والتجارية المتزايدة بين البحر الأبيض المتوسط وغرب آسيا. كان هذا الترابط المتزايد، الذي لاحظه بوليبيوس كما هو معلوم، اتجاها رئيسا خلال هذه الحقبة. وقد قدم أندرو ويلسن Andrew Wilson مثالا ممتازا في دراسته الأثرية ليوسبيريديس في قورينائية (ليبيا)(٣٥). وقد كانت الارتباطات القوية المقاسة كميا من خلال البقايا الخزفية القابلة للقياس بين قورينائية والمناطق الأبعد غربا في شمال أفريقيا وحتى قرطاج "مقدمة لتدفقات تجارة المسافات الطويلة التي ميزت العالم الروماني"[١١٥].

فعل عالم الملوك الكثير لإعادة تشكيل عالم البحر الأبيض المتوسط قبل الغزو الروماني. ويكشف عمل براينت Briant حول الانتقال من الأخمينيين إلى السلوقيين (وهو ما ينطبق أيضا على الانتقال من الأخمينيين إلى البطالمة في مصر) أنه كانت هناك تغيرات كثيرة قبل وصول الإسكندر إلى الشرق الأدنى:

(٣٥) قورينائية Cyrenaica (أو كيرينايكي باليونانية، وسرينيكا باللاتينية) هي الجزء الشرقي الساحلي من ليبيا، اسمها مشتق من اسم مدينة قوريني أو قورينا Cyrene، كانت تعرف في العصر القديم أيضا باسم بينتابوليس Pentapolis بمعنى "المدن الخمس"، تسمى حاليا برقة على اسم أكبر مدنها. [المترجم]

يوسبيريديس Euesperides مدينة قديمة ضمن قورينائية، وقعت ضمن حدود بنغازي الحالية، كانت واحدة من "المدن الخمس"، إلى جانب قوريني وأبولونيا Appolonia وتوخيرا Taucheira (توكيرة) وبرقة Barca. [المترجم]

لقد تمحور التحقيب المحدد سلفا، والمحدد بصرامة تنطوي على شيء من المبالغة، حول عام ٣٣٤ ق.ح، ويتناول تاريخ الإسكندر كجزء من حقبة تاريخية لها حركيتها الخاصة، تشمل نصف القرن الرابع قبل الحقبة المشتركة كاملاً عبر منطقة تمتد من نهر السند إلى البلقان[١١٦].

وعلى ذلك فإن فترة القرنين الرابع والثالث قبل الحقبة المشتركة تشكل جسرا بين التاريخ السابق للشرق الأدنى ومصر، والعالم اليوناني الكلاسيكي، والاقتصاد الإمبراطوري الروماني الناضج خلال القرنين الأولين من الحقبة المشتركة.

عادة ما ينظر الدارسون إلى ظهور مقدونيا القديمة وحملات الإسكندر على الإمبراطورية الأخمينية باعتبارها فاصلاً رئيساً في تاريخ البحر الأبيض المتوسط بين الحقبتين الكلاسيكية والهلنستية. وبالفعل كان تاريخ البحر الأبيض المتوسط بعد عام ٤٠٠ ق.ح مرحلة جديدة من التطور والتغير. ويذهب روستوفتسيف إلى أنه يكفي للتدليل على ذلك دراسة شخص واحد هو زينون Zenon، وهو رجل يوناني من كاريا الواقعة في آسيا الصغرى عمل في خدمة أبولونيوس Apollonios صاحب خزانة بطليموس الثاني Ptolemy II، عاش في عالمي فينلي كليهما: "الكلاسيكي" و"الشرقي"[١١٧]. كان زينون بذلك جزءا من عالم جديد. ولكي نفهم ما كان جديدا، علينا بالطبع أن نتتبع النشاط الاقتصادي السابق، الحكومي والخاص، في الشرق الأدنى وفي مصر. وفي الحالتين، لا بد من الوقوف على الاقتصاد الأخميني. في حالة مصر، لا ينبغي أن نفهم الانتقالات التاريخية من وجهة نظر اليونانيين، بل من وجهة نظر مصر نفسها، وبداية من إصلاحات الأسرة السايسية خلال القرن السابع قبل الحقبة المشتركة. وفي حالة الشرق الأدنى، تتكشف أوجه استمرارية مهمة بين الإمبراطوريتين الآشورية الحديثة والبابلية الحديثة من ناحية والاقتصادين الأخميني والسلوقي من ناحية أخرى، وفي حالة مصر بين النظامين الأخميني والبطلمي[١١٨]. من ذلك على سبيل المثال أن الأطيان الكبيرة في مصر، التي كان يديرها مسؤولون فرس، كانت في نواحٍ عدة مقدمة وسابقة لأعمال زينون.

ثمة اتجاه مثير ومهم ميّز الحقبة الهلنستية في اليونان البرية[٣٦]، هو اصطفاف مجموعات من المدن اليونانية، الصغيرة عادة، ضمن "أحلاف" leagues أو "اتحادات" federations. لم يكن ذلك التكتل

---

(٣٦) تشير العبارة "اليونان البرية" mainland Greece إلى الأقاليم اليونانية الواقعة على البر الرئيس في مقابل "اليونان الجزيزية" island Greece التي تشير إلى الجزر اليونانية. [المترجم]

فكرة جديدة، إذ تجمعت المدن في السابق ضمن أحلاف، لكن ليس بالأعداد التي ظهرت بداية من القرن الرابع قبل الحقبة المشتركة. تعاونت هذه الأحلاف فيما بينها في إصدار العملة وفي التجارة وفي الأمور القانونية وفي الدفاع المشترك[١١٩]. فعلى سبيل المثال، كان خلق أسواق داخلية أكبر، تربط البلدات الساحلية بنظيراتها الداخلية، وتتبنى موازين ومقاييس موحدة، إحدى القوى الدافعة المهمة لتكوين الأحلاف، ومكّن- بدوره- من استمرار نمط الحكم اليوناني المتمثل في "السلطة المتناثرة"[١٢٠].

للمفارقة، وربما جزئيا من باب الرد على فينلي، شهدت الأعمال حول اقتصادات الحقبة الهلنستية انفجارا منذ العقد قبل الأخير من القرن العشرين. وقدمت الأعمال المكثفة في علم البرديات وعلم النُمّيّات والإبيغرافيا(٣٧)، لا سيما أعمال التنقيب والمسوح الأثرية، رؤى جديدة حول هذه الحقبة. تبرِز البيانات الكمية التوسع، ومنها عدد حطام السفن، وإنتاج الفضة من خلال القياس التمثيلي للرصاص في عينات لبية من جزيرة غرينلاند[١٢١](٣٨). وقد كشفت أدوار العبادة، والتحول النقدي(٣٩)، والأعمال البنكية، والجمعيات الخاصة، واندماج المادة الأثرية، ومنها المسوح المكثفة، عن نتائج ممتازة بالنسبة لبعض أجزاء العالم الهلنستي، مثل اليونان البرية. وانتعشت دراسة الاقتصاد السلوقي مؤخرا بعدة دراسات جيدة ظهرت خلال العشرين سنة الأخيرة[١٢٢].

إن تقييم ما حدث في التاريخ الاقتصادي الهلنستي يجب أن يبدأ بعمل جون ديفيز الذي وضع برنامجا بحثيا نُشر في عام ١٩٨٤. كانت هذه الدراسة، بتعبير ديفيز نفسه، نسخة مُحَدّثة من دراسة روستوفتسيف التي "كانت شيئا قديما عندما نُشرت" دراسة ديفيز[١٢٣]. وضع ديفيز جدول أعمال لعدد كبير من الدراسات حول الاقتصادات الهلنستية. وفي قسمين من مقالته، هما "مستوى التفاعل الاقتصادي" و"التغير

---

(٣٧) علم البرديات papyrology علم يختص بدراسة الأدب والمراسلات والأرشيفات القانونية القديمة المصرية وغيرها مما حفظ في مخطوطات كُتبت على ورق البردي. [المترجم]

الإبيغرافيا epigraphy هي النقوش القديمة وعلم دراستها. [المترجم]

(٣٨) بحسب تعريف البيانات التمثيلية الوراد في حاشية سابقة، يشير القياس التمثيلي proxy measure عموما إلى القياس غير المباشر، أي قياس وجود هذا الشيء أو ذاك في العالم القديم من خلال أشياء أخرى مرتبطة به أو ناتجة عنه. [المترجم]

غرينلاند Greenland هي أكبر جزيرة في العالم، تقع بين القطب المتجمد الشمالي والمحيط الأطلسي، شرق أرخبيل القطب الشمالي الكندي، تشكل جزءا من مملكة الدانمرك. [المترجم]

(٣٩) إلى جانب سكّ العملة، يشير التحول النقدي monetization إلى تحول الاقتصاد إلى النقد وسيلةً للتبادل بديلا عن وسائل التبادل السابقة مثل المقايضة. [المترجم]

والاستمرارية"، وصف ديفيز الحقبة بوضع الاتجاهات الاقتصادية ضمن إطار جغرافي أكبر كثيرا، جنبا إلى جنب مع القوى الاجتماعية شديدة التعقيد التي اعتملت بطرق كثيرة مختلفة عبر أوراسيا وأفريقيا وغرب البحر الأبيض المتوسط. يقر ديفيز بأن اقتصاداً "هلنستيا" واحداً، معرفا بأنه "التبادل المتواصل المُحَدِّد بقوى السوق لمدى كامل من السلع والخدمات على امتداد كامل شرق البحر الأبيض المتوسط"، لم يظهر إلى الوجود على الأرجح، لكنه أكد بدلا من ذلك على "نظم قطاعية من النشاطات"[١٢٤]. كانت دراسات "المناطق" والدراسات المحلية هي المهيمنة، على الرغم من صعوبة تعريف "المنطقة" region وعلى الرغم من الحاجة إلى عمل طويل لفهم نماذج أشغال الخزف وكيف تلقي الضوء على التدفقات التجارية المحلية وطويلة المسافات[١٢٥]. دفعت الاقتصادات السياسية الجديدة للممالك الهلنستية تغيرا مؤسسيا، ونظاما جبائيا جديدا (من ضمنه إدخال البطالمة العملة في نظامهم الجبائي)، واستصلاح الأراضي، وإعادة الاستيطان، وتأسيس مستوطنات جديدة، ومحاصيل جديدة، والحرب واسعة النطاق. كما تمثل المراكز الحضرية الجديدة الكبيرة، مثل الإسكندرية، تغيرا واسع النطاق[١٢٦]. كانت هذه كلها اتجاهات واسعة حدثت على امتداد شرق البحر الأبيض المتوسط، جنبا إلى جنب مع تجارة العبيد وتجارة المسافات الأطول عموما إلى المحيط الهندي والبحر الأسود.

منذ أن نشر ديفيز دراسته الرائدة، ظهرت ثلاثة مجلدات مهمة حول الاقتصادات الهلنستية، تقدم مجتمعة حالة المجال، إذ تؤكد على الحركية والتفاعل بين المناطق والتدفقات والتغير[١٢٧]. ويجمع جدول الأعمال التفصيلي الذي قدمه ديفيز مدى من الأدلة أكثر تنوعا واتساعا، جنبا إلى جنب مع محاولة فهم المواقف والسلوك من خلال "نموذج واقعي"[١٢٨].

المصادر المتباينة والأدلة المتلاطمة والتاريخ الاقتصادي

ثمة تحوُّطان رئيسان بشأن مصادر دراسة الاقتصادات القديمة، هما (١) أنه من الإنصاف أن نقول إن معظم البشر ومعظم الصفقات الاقتصادية ضاعت منا في ضباب الزمن، (٢) أن أفضل الأدلة لدينا تتجمع في فترات وأماكن يمكن أن نسميها اتباعا لجاك غولدستون Jack Goldstone "حالات إزهار"

efflorescent، هي بلاد بابل القرن السادس قبل الحقبة المشتركة[٤٠]، وأثينا القرنين الخامس والرابع قبل الحقبة المشتركة، ومصر البطلمية. وفي أغلب الحالات، تكون الوثائق محصورة في موقعها وزمنها، ومنها على سبيل المثال معبد ديلوس الذي أمدنا بسلسلة الأسعار الديلوسية Delian price series[٤١]، ومنها أيضا اليوميات الفلكية البابلية. كيف يمكننا- إذن- أن نكتب تاريخا اقتصاديا للعصر القديم؟ في مقالتين وضعتا برنامجا بحثيا، ناقش موزيس فينلي طبيعة المصادر القديمة وصعوبتها في التحليل التاريخي والاقتصادي[١٢٩]. إن "المشكلات" معروفة ومتنوعة، ومع أن فينلي كان معنياً بالأدلة من العالم الكلاسيكي، فإن معالجته تنطبق بالقدر نفسه على كامل عالم البحر الأبيض المتوسط خلال العصر الحديدي. وينبغي التمييز بعناية بين نوعين أساسيين من المصادر، هما الأولية والثانوية، ومصادرنا الأولية primary sources، ممثَّلة في النصوص المكتوبة والمادة الأثرية، تقدم عادة أنواعا كيفية وكمية من الأدلة مختلفة تماما، يمكنها أن تؤدي إلى استنتاجات مختلفة تماما. وفي حالة العصر الحديدي المبكر، تشكل المصادر الأثرية غالبية الأدلة التي بحوزتنا، وفي حالة العالم الكلاسيكي، تُعطى السرديات التاريخية الأدبية، لهيرودوت وثيوسيديديس وبوليبيوس وديودورس Diodorus، أولوية لأنها بطبيعتها تقدم نوعا من السرد للأحداث، لكن تغطيتها ليست مكتملة بحال من الأحوال، وتنطوي على انحيازات، وليس من السهل دائما تقييمها. لكن الحال مختلفة بالنسبة لمصر والشرق الأدنى، إذ لا توجد لهما سرديات تأطيرية تاريخية، بل وفرة من المادة الأثرية والتوثيق الذي كُتب لأغراض خاصة أو عامة. وفي حالة الألف الأول قبل الحقبة المشتركة، نجد مجددا أن الأعمال الأثرية متفاوِتة بشدة. ففي كل حضارة من الحضارات التي نتناولها هنا تميل الأدلة المكتوبة إلى تقديم معلومات حول الشرائح العليا من المجتمع، وهي مسألة ينبغي أخذها بنظر الاعتبار عندما نكون عرضة لإغراء الخروج باستنتاجات عامة حول "التماثل". وقد شهدت الأربعون سنة الأخيرة نموا مدهشا في نشر الوثائق، وفي الأعمال الأثرية قبل كل شيء.

---

(٤٠) بلاد بابل Babylonia دولة قديمة ومنطقة ثقافية لغتها الأكدية تمركزت في وسط جنوب بلاد ما بين النهرين، كانت مدينة بابل Babylon عاصمتها. تقع مدينة بابل على ضفتي نهر الفرات في موقع مدينة الحلة الحالية بمحافظة بابل، كانت في الأصل بلدة أكدية منذ نحو القرن الثالث والعشرين قبل الحقبة المشتركة، وأصبحت عاصمة مملكة حمورابي الآمورية (أو العمورية) منذ القرن التاسع عشر قبل الحقبة المشتركة، ثم انتقلت إلى الآشوريين ثم الكيشيين ثم العيلاميين. على أن اسم بلاد بابل يستخدم كثيرا في هذا الكتاب للإشارة إلى مدينة بابل تحديدا. [المترجم]

(٤١) ديلوس Delos واحدة من جزر كيكلاديس اليونانية (راجع حاشية لاحقة حولها)، تعد من أهم المواقع التاريخية والأسطورية. [المترجم]

لم يضع تقييم فينلي الدقيق للطرق المختلفة لاستخدام المصادر حدا للجدل. وما تزال هناك مقاربتان رئيستان إلى المصادر القديمة، تجمع الأولى كل الأدلة المتاحة وتبني صورة من أسفل إلى أعلى لجانب بعينه من السلوك الاقتصادي، مثل بنية عقود تأجير الأرض من مصر الفترة السايسية، أو دراسة أنواع أشغال الخزف من قبرص. تنتج هذه الطريقة حججا من الاستقراء أو من الأوصاف الدقيقة للمصادر. أما المقاربة الثانية التي يمثلها عدد أصغر كثيرا من مؤرخي التاريخ القديم، فتبني نماذج تفسيرية عامة تدرج الأدلة ضمنها، ويقال إن النموذج مفيد إذا أخذ في حسبانه معظم الأدلة، وهو ما ينتج حججا استدلالية[١٣٠]. ويظل ختام فينلي لمقالتيه الممتازتين مهما، وهو أن "الوثائق ذاتها لا تطرح أسئلة، وإن كانت أحيانا تقدم إجابات"[١٣١].

إن المقاربتين كلتيهما صالحتان، بل إنهما ضروريتان لدراسة الاقتصادات ما قبل الحديثة، وتقدمان لنا أنواعا مختلفة من المشكلات، لكنهما بلا سؤال أو إطار يمكن أن تأخذانا في اتجاهات شتى. ويمكن لمقارنة أثينا القرن الرابع قبل الحقبة المشتركة بمدينة بابل القرن الرابع قبل الحقبة المشتركة- على سبيل المثال- أن تبرز أن نوع الأدلة التي بقيت من مجتمعات البحر الأبيض المتوسط ما قبل الحديث ونوعيتها تختلفان في الدرجة وفي النوع. ويمكننا- على سبيل المثال - أن نتقصى أنماط مِلكية الأرض وتقارير المحاصيل من قرية واحدة في الفيوم المصرية على مدار عقد. لكننا للفترة نفسها، وهي نهاية القرن الثاني قبل الحقبة المشتركة، ولأغلب الأماكن الأخرى في الفترة نفسها، وحتى لأجزاء أخرى من مصر ذاتها، لا يتوفر لدينا شيء من قبيل السجلات القابلة للمقارنة على مستوى القرى[١٣٢]. وكذلك تختلف طبيعة المصادر الأدبية والمادة الإبيغرافية التي تستخدم كمصادر أولية لإعادة بناء الاقتصاد اليوناني الكلاسيكي جذريا عن مجموعة النصوص الأدبية ونقوش المعابد التي تستخدم لفهم الاقتصاد الفرعوني في مصر. تقدم لنا النوعية الأولى من الأدلة تفاصيل المؤسسات الديمقراطية والأفعال الفردية، في حين تقدم لنا النوعية الثانية من الأدلة في حالة مصر منظور الملك ودائرة صغيرة من النخبة التي بقيت قبورها. وحتى مقولة بسيطة ومباشرة على ما يبدو مثل "المدينة" يمكن فهمهما بطريقة مختلفة تماما في العالم الكلاسيكي وفي السياق المصري[١٣٣]. وتنحو المقارنات التي أجريت إلى استخدام المزج والمطابقة، بأن تأخذ- على سبيل المثال- الاقتصاد الأثيني في القرن الرابع قبل الحقبة المشتركة مع اقتصاد الدولة الحديثة المصرية في القرن الرابع عشر قبل الحقبة المشتركة كممثلين "للاقتصاد اليوناني"

و"الاقتصاد المصري". تميل هذه المقارنات الفجة وغير الصادقة في التسلسل الزمني إلى إيجاد تضادات حادة واصطناعية بين "أوروبا" و"آسيا"، مع تجاهل التغير على مر الزمن[١٣٤].

إن الأدلة من العالم القديم عندما تُستخدَم لنقاش أعم وأوسع للتاريخ الاقتصادي طويل المدى، كما فعلت أعمال ماديسن أو أيجموغلو وروبنسن المخصصة لتفسير سبب غنى بعض البلدان وفقر غيرها، فإن ما يُناقَش عادة هو الأدلة الاقتصادية من أثينا القرن الرابع قبل الحقبة المشتركة (الديمقراطية) أو روما (الإمبراطورية)، وفي الغالب بطريقة سطحية ومتعجلة[١٣٥]. ومن المبهج أن دراسة بريسن التي نُشرت في عام ٢٠٠٧ و٢٠٠٨، ثم أعيد نشرها في شكل منقح باللغة الإنجليزية في عام ٢٠١٦، تقدم تقييما تفصيليا للاقتصاد اليوناني خلال الحقبة الهلنستية. فمناقشة التطور والأداء الاقتصاديين الأطول أمدا نادرا ما تذكر مادة الحقبة الهلنستية، أو الأدلة من مصر أو الشرق الأدنى القديمين، أو التحليلات المدعومة خارج إطار تفسير النمو في الاقتصادات ما قبل الحديثة. تتعلق المشكلة جزئيا بالوصول إلى النتاج الأكاديمي المتفرق حول الاقتصادات القديمة الذي كُتب بلغات كثيرة ومتفرقة في مئات الدوريات ومجلدات المؤتمرات والدراسات وتقارير المواقع الأثرية. وترجع المشكلة جزئيا أيضا إلى أن قدرا كبيرا من النظرية الاقتصادية بُني على السقالات الهزيلة لتجربة الدولة القومية الحديثة خلال المئتي سنة الأخيرة أو حتى الخمسين سنة الأخيرة. من ذلك على سبيل المثال أن السؤال: كيف يمكن للدول النامية أن "تصل إلى مستوى الدانمرك"، بتعبير فوكوياما Fukuyama، يعد سؤالا أهم من السؤال: ماذا تخبرنا الخمسة آلاف سنة الأخيرة من التجربة التاريخية[١٣٦]. ربما تكون قيمة مقارنة الاقتصادات ما قبل الحديثة بالاقتصادات النامية أكبر من قيمة مقارنتها بالاقتصادات المتقدمة. وعلى أي حال من الأحوال فإن ربط النظرية بالتطور التاريخي ما يزال في مهده، ويمكن لدراسة الاقتصادات القديمة أن تكون جزءا مهما منه[١٣٧].

يعمل علم المصريات وعلم الآشوريات ضمن سرديات وصفية "كثيفة" وأطر ثقافية من نوعية سرديات كليفورد غيرتز Clifford Geertz ومارشال سالينز Marshall Sahlins[١٣٨]، منها على سبيل المثال لماذا نجحت أثينا ولم تنجح مصر القديمة؟ تكمن الإجابة عادة في الاختلافات الثقافية. وها هم دارسو علم المصريات وعلم الآشوريات قد بدأوا العمل في التحليل الاقتصادي، لكن التقدم بطيء، علاوة على أن تاريخ هذه التخصصات ينحو إلى عزلها، ومن ذلك أن التطور التاريخي لعلم المصريات خلال

القرن التاسع عشر ينحو إلى ربطه بأفكار رومانسية حول الماضي المثالي الذي فقدناه، وربطه بعلم آثار الكتاب المقدس، ويحصره في ثقافته البصرية[١٣٩](٤٢). كما أن علم المصريات مجال صغير نسبيا وأكثر عرضة لمقاربة علم المتاحف والفهرسة منه إلى التحليل الاجتماعي. وحتى عام ١٩٧٩ كان ما يزال من الممكن القول بأن "التاريخ الاقتصادي لمصر القديمة ما يزال في مهده"[١٤٠]. فقد كان علم المصريات وعلم الآشوريات كلاهما بطيئين في التطور خارج الإطار الفيلولوجي، وذلك لأن فك رموز الكتابة المصرية والمسمارية لم يُنجز إلا فيما بين منتصف القرن التاسع عشر وأواخره. وفيما يتعلق بمصر اليونانية-الرومانية، تُقدَم البرديات اليونانية على المصرية الديموطيقية للأسباب عينها[١٤١].

هل كان هناك شيء مميز في العالم الكلاسيكي، لا سيما أثينا الكلاسيكية، والجمهورية الرومانية والإمبراطورية المبكرة يستحق العزل؟ نعم، كما يقول الكثير من دارسي العصر الكلاسيكي. ستكون الديمقراطية والقانون الإجابات الأولى، يليهما مباشرة الفلسفة والخبرة السياسية للحرب والإمبراطورية، وميراث الاقتصادات الكلاسيكية للتطور الأوروبي اللاحق، ومؤخرا القول بأن المؤسسات السياسية الديمقراطية أو "السلطة المتناثرة" ربما أوجدت توزيعا أوسع للدخل[١٤٢]. ثمة سبب آخر للتأكيد على الاقتصادات الكلاسيكية، وإن كان يتعذر الدفاع عنه، هو حاجز اللغة. فلم تكن اللغة اليونانية واللغة اللاتينية لغات "مفقودة" قط، وأغلب النصوص متاحة وجيدة الترجمة. لذلك لم يواجه دارسو العصر الكلاسيكي وغيرهم من المهتمين بالاقتصادات الكلاسيكية مانع الوصول. في حين يحجم دارسو الشرق الأدنى ومصر عن الاشتباك في النقاش جزئيا بسبب صعوبات اللغات وطبيعة التوثيق. يقدم نقد أوبنهايم لعلم الآشوريات وحاجز اللغة فيه لمحة على الرؤية التي ما تزال مهيمنة في بعض الدوائر بين دارسي علم الآشوريات، وتوسعا دارسي علم المصريات، وهي أن علم الآشوريات وعلم المصريات تخصصان منعزلان أو منغلقان على أنفسهما تجنبا الاشتباك مع المجالات الأخرى[١٤٣]. وبدلا من ذلك، يجري التأكيد فيهما على المقاربات "النصية" أو الفيلولوجية، في مقابل المقاربات "السياقية" لدى دارسي الأنثروبولوجيا والآثار[١٤٤]. تمثلت نتيجة ذلك في تجزؤ

---

(٤٢) يتعلق علم آثار الكتاب المقدس biblical archaeology بالاكتشاف والتحليل العلمي للثقافات القديمة التي يمكن أن تلقي الضوء على فترات الكتاب المقدس وأوصافه، بشقيه العهد القديم (التناخ) والعهد الجديد، وتاريخ الدينين اليهودي والمسيحي وكزمولوجيتيهما. لذلك يتمثل ميدانه في الأرض المقدسة (من منظور الكتاب المقدس)، وتوسعا الشرق والشرق الأوسط. [المترجم]

مريع وافتراضات ما تزال باقية بأن مصر والشرق الأدنى كانا ساكنين وجامدين في الأساس على مدى الألفيات. ومع أن هذه الرؤى لم تعد قائمة، فإن هذا الواقع الجديد ما يزال غير معلوم للدارسين في المجالات المجاورة[١٤٥].

تناول مايكل جورسا وفريق من الدارسين في فيينا (مشروع فيينا لتاريخ بابل الاقتصادي Vienna Economic History of Babylonia project) الاقتصاد البابلي خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة حول قضايا أساسية، هي الجغرافيا والعقليات الاقتصادية والزراعة واستخدام النقد والنمو[١٤٦]. ركزت هذه المناقشة التفصيلية الثرية الناتجة عن عقد من التعاون، على مصادر جديدة، وأكدت على طبيعة الأدلة ومداها وتوزيعها:

> في علم الآشوريات، يشيع الشك عموما في "السرديات الكبيرة"، علاوة على أن البحوث ركزت عادة على الأبنية من منظور تزامني أكثر من تركيزها على تغير الأبنية الاجتماعية والأداء الاقتصادي على مر الزمن. أما المناقشة التي دارت على امتداد هذه الخطوط من جانب المؤرخين الذين يعملون على البيانات النصية، فقد ركزت على تأثير تلك الأبنية الاجتماعية على طبيعة الاقتصاد (وليس على الأداء أو التغير على مر الزمن). لذلك جاءت النماذج والقوالب التفسيرية المستخدمة ساكنة نسبيا ولم تترك متسعا للتغير البنيوي[١٤٧].

قدم جورسا نقدا مهما لنموذج شيرات وشيرات للاقتصاد البلاطي (الشكل ٦) الذي استُخدِم باعتباره خاصية تميز بين الاقتصاد الكلاسيكي واقتصاد الشرق الأدنى، وهو افتراق رئيس عن الأعمال السابقة في علم الآشوريات[١٤٨].

يشكو مؤرخو العصر القديم من أدلتهم بقدر ما يبجلونها، وكلما زادت الأدلة، قل الميل إلى التنظير. قد يتفاجأ المؤرخون الاقتصاديون للفترات اللاحقة بالقدر الكبير من الأدلة التي بحوزتنا، حتى وإن كنا نؤكد عادة على البيانات النوعية على حساب الكمية، مع أننا لا نفعل ذلك دائما. صحيح أن الأعمال الكمية في التاريخ القديم تكتسب زخما، لكن أي دراسة عامة أو مقارنة لبنية أداء الاقتصاد القديم، كما أحاول أن أفعل هنا، يمكن أن تتحطم على صخرة الاختلافات النوعية في أنواع وكميات الأدلة التي بقيت في الأماكن المختلفة التي تغطيها الدراسة. كما أن أغلب أدلتنا يصعب وضعها في السياق، ويصعب بناء فرضيات قابلة للتفنيد أو قابلة للاختبار. وهنا يتكشف أمامنا الكثير من مجرد

لمحة سريعة على مقالة فيبر الببليوغرافية التي كتبها في عام ١٩٠٩، وذلك لأسباب كثيرة. فأساس الأدلة التي بنى عليها فيبر تحليله للمجتمع القديم ضعيف تماما مقارنة بمعرفتنا الحالية، غير أن التحليل الاجتماعي الواسع ما يزال يستحق التفكير. ويظل التحدي الماثل أمامنا هو أن نجمع الأدلة معا ونتتج إطارا تحليليا. وهناك ميل بين الدارسين إلى فهم أن التغير الزمني أنتج مؤسسات اقتصادية أكثر تقدماً وتعقيداً، ومعها المزيد من التوثيق المكتوب. قد يكون ذلك تأملا مجاوزا للواقع، بالنظر إلى كم الأدلة المكتوبة التي فقدناها، لكنه يفسر الشكل العام للأدلة المكتوبة[١٤٩]. وعلى مدار الأربعين سنة الأخيرة، أُنتِج الكثير من الأدلة الجديدة، وتوفرت مجموعات أكبر وأفضل من المعلومات تجعل الوصول إلى المعلومات الجديدة أيسر، وكذلك أدى الكثير من المراجعات التاريخية إلى إتاحة المادة الأثرية المعقدة والمصادر متعددة اللغات لجمهور أوسع[١٥٠].

على أن مشكلة حدود التخصصات التي أوجدها علماء الآثار ودارسو العصر الكلاسيكي ودارسو مصر والشرق الأدنى القديمين ما تزال باقية[١٥١]. يعمل كل من هذه التخصصات بأنواع مختلفة من الأدلة وينتج تحليلات على نطاقات اجتماعية مختلفة، ولا ريب أن المصادر توجه المقاربة وتوجه "القصص" التي نسردها[١٥٢]. كما أن الأقسام الأكاديمية، وهي ابتكار آخر من ابتكارات القرن التاسع عشر، غير مهيأة لحل هذه المشكلات، بل إنها تنحو إلى حجب التلاقح الثقافي عبر آفاق زمنية أطول. وقد ذهبتُ في كتابات أخرى إلى أن إعادة تدريب طلاب الدراسات العليا صار مطلبا ملحا[١٥٣]. على أقل تقدير، تفرض علينا دراسة الاقتصاد القديم في سياق واسع أن نعمل في فرق تعاونية، كما هي الحال في مجال العلوم.

لكن الأدلة الاقتصادية ما قبل الحديثة مبعثرة ومتلاطمة. وقد أقيمت الحجج وأنواع التحليل الاقتصادي على طبيعة أنواع بعينها من الأدلة يستحيل التعميم منها على "اليونان" أو "بلاد ما بين النهرين" أو "مصر"[١٥٤]. فالبيانات غالبا ما تدمج عبر هذه الوحدات التحليلية المختلفة، ما يفرض صعوبة على مقارنة المؤسسات عبر الثقافات والتوصل إلى استنتاجات عامة[١٥٥]. ففي بعض المناطق، تكون المدن، والبلدات أحيانا، مُوَثَّقة جيدا، وفي أماكن أخرى، مثل مصر، تكون المناطق الريفية والقرى غالبا معروفة بدرجة أكبر

من المراكز الحضرية، وللمفارقة تكاد الإسكندرية تكون غير مُوَثَّقة مطلقا في سجلات اقتصادية. وتشيع "المغالطات الوضعية"، أي افتراض أن الأدلة التي بقيت تخبرنا أشياء مهمة[١٥٦](٤٣).

ترجع دراسة بيانات الأسعار إلى بداية دراسة الاقتصادات القديمة ذاتها، حيث بُذلت جهود مكثفة لجمع الإشارات إلى أسعار السلع. وهنا نجد أن الأسعار المذكورة في البرديات من مصر، التي تُؤرَّخ إلى الحقبتين الهلنستية والرومانية، معروفة لكنها إشكالية. فستون بالمائة من أسعار الحبوب من الحقبة البطلمية- على سبيل المثال- مأخوذة من الشروط الجزائية الواردة في العقود القانونية، وقد لا تعكس أسعار السوق الفعلية[١٥٧]. جاءت أهم سلسلتين من سلاسل الأسعار من ديلوس الهلنستية ومدينة بابل البابلية الحديثة-الهلنستية[١٥٨]. وقد استُخدِمت أساليب إحصائية جديدة مع السلسلة الأخيرة لاحتساب الأسعار المفقودة في التسلسل الزمني من عام ٣٨٥ إلى عام ٦١ ق.ح[١٥٩]. وتؤكد دراسة الأسعار في بلاد بابل أن المنطقة كانت سوقا مدمجا إلى حد معقول، يسره النقل عبر نهر الفرات، تماما كما فعل النيل في مصر[١٦٠].

أما المشكلة المقابلة، وهي التحليل التفصيلي للمصادر الباقية، فتخلق مجموعتها الخاصة من المشكلات. يركز دارسو البرديات- على سبيل المثال- على حقوق المِلكية وأنظمة مِلكية الأرض في مصر البطلمية والرومانية والبيزنطية، لأن نسبة كبيرة من البرديات تتعلق بذلك الموضوع. كما أن طبيعة بقاء البرديات تميل إلى محاباة مكاتب التسجيل المحلية من الفيوم والمناطق المحيطة في مصر، والصفقات الاقتصادية الخاصة (عقود البيع والتأجير والزواج) من الأرشيفات الأسرية من مصر العليا. وفي المقابل شغلت الاقتصادات السياسية للديمقراطية مؤرخي اليونان لأن ذلك النوع من الأدلة هو ما بقي من أثينا، وهي أدلة فريدة فعلا. فلا نستطيع أن نجري مقارنة مباشرة بين مكانين

---

(٤٣) من المغالطات الوضعية Positivist fallacies الافتراض- الضمني غالبا- بأن المصادر التاريخية والبقايا الأثرية توثق أحداثا مهمة من الماضي، ومن أمثلة ذلك القول بأن هزيمة الرومان أمام تحالف من القبائل الجرمانية في معركة غابة تيوتوبورغ Teutoburg Forest في عام ٩ ح.م كانت حاسمة في فرض نهر الراين كحد شمالي للإمبراطورية الرومانية، مع أن الرومان ظلوا نشطين لأربعة عقود تالية فيما وراء خط الراين، ومنها أيضا الخطأ المنطقي الذي يقع فيه بعض المؤرخين عندما يخلطون بين "ما حدث" و"ما تتوفر أدلة حوله"، ومن أمثلة ذلك تأكيد أن الحروب الفارسية انتهت بمعركة ميكالي Mycale أو بلاطيا Plataea في عام ٤٧٩ ق.ح لمجرد أن هيرودوت توقف عند هذه المعركة، مع أن الحرب تواصلت حتى طرد الفرس نهائيا من أراضي أوروبا. [المترجم]

مختلفين بنفس نوع الأدلة. وإذا أردنا أن نعرف شيئا عاما حول البحر الأبيض المتوسط القديم، فإن الأمر يصبح أصعب لأننا لا نمتلك أدلة واسعة بما يكفي عبر إقليم واسع لفترة زمنية طويلة. وحتى الفهرسة الموجزة لأنواع المصادر المستخدمة في تحليل الاقتصادات القديمة تكشِف عن تنوعها المدوّخ من حيث الأنواع وجودتها. من ذلك أن علم آثار المستوطنات والأنصاب يختلف كثيرا في الأجزاء المختلفة من العالم القديم. وفيما يتعلق بما قبل الحقبة الهلنستية على وجه التحديد، لا نعرف عادة إلا القليل حول التبادل الخاص، ويسود ميل إلى دراسة الاقتصاد الرسمي أو العام. وتؤدي أنواع الأدلة وكميتها بطريقة مباشرة إلى أنواع الحجج التي وُضعت حول الاقتصادات القديمة[١٦١].

من ذلك على سبيل المثال أنني عند دراسة ندرة مبيعات الحيوانات من الحقبة البطلمية مقارنة بالحقبة الرومانية ذهبت قبل فترة إلى أن التفسير السائد ربما لا يكون التفسير الصحيح، وهو أن السيطرة المركزية البطلمية على الاقتصاد منعت هذه المبيعات الخاصة، في حين شجعتها الإدارة الإقليمية الرومانية[١٦٢]. فلم يكن حفظ هذه العقود العابرة في الأرشيفات الأسرية أمرا ضروريا، لذلك كان ما بقي لنا من التوثيق الخاص في أغلبه نصوصا كانت تحمي حقوق المِلكية طويلة المدى، وهي مبيعات الأراضي والعقارات واتفاقات الزواج. وفي المقابل، لم تبقَ البرديات الرومانية عموما في سياقات أرشيفية خاصة، بل في سياقات أثرية متفرقة. لذلك تختلف المادة التي بقيت لنا من هاتين الحقبتين من التاريخ المصري عددا ونوعا. ولا شك أن الحجج التي تعتمد على التوزيع العشوائي للمادة يمكن أن تكون مضللة.

تستخدم المادة الأثرية على نحو متزايد لمناقشة التاريخ الاقتصادي، لكن ذلك لا يخلو من مشكلات أو خلافات شديدة حول التفسير[١٦٣]. وثمة قبول واسع قديم، حتى من جانب فينلي الذي لم يستخدم المادة الأثرية كثيرا، بأن هذه المادة أضافت معلومات مهمة حول مدى تجارة المسافات الطويلة وكميتها ونوعيتها، وقدمت شيئا حول الشبكات التجارية والنمو الاقتصادي[١٦٤]. لكن مناهج البحث الأثرية تختلف جذريا في البحر الأبيض المتوسط، فهناك على سبيل المثال نجد أن مسوح المناطق في الجزر الإيجية أفضل كثيرا مما في مصر التي تركز العمل فيها حتى وقت قريب على حفنة من المراكز الحضرية والمعابد والمقابر[١٦٥]. وبوجه عام، فإن الأدلة الأثرية، لا سيما حول تاريخ الاستيطان، شديدة التفاوت للألف الأول قبل الحقبة المشتركة. وقد خَلُص هذر بيكر Heather Baker إلى ما يلي فيما يتعلق ببلاد بابل:

بالنسبة لبلاد بابل خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة، تكاد لا توجد مستوطنة حضرية مكتشفة واحدة يمكن تقدير المساحة الكلية التي شغلها البشر فيها بشيء من الثقة، على الأقل ضمن إطار زمني مفيد تاريخيا[١٦٦].

وحتى الآن لم تُمسح مراكز حضرية هلنستية رئيسة مثل مدينة بطوليمايس في جنوب مصر أو مدينة سلوقية على نهر دجلة في بلاد ما بين النهرين(٤٤). ولا ريب أن السياسة لها دور في اختيار مواقع المسح[١٦٧]. لكن أحد أسباب عدم دراسة مدينة بطوليمايس أو حتى مسحها يكمن في الاعتقاد بأنها كانت مدينة يونانية "خالصة" في مصر العليا. فقد أُهمل الموقع لأن علماء الآثار اليونانية لا ينقبون في مصر لأنها ليست جزءا من التراث الوطني اليوناني، ولأن علماء الآثار المصرية لا يهتمون كثيرا بالثقافة اليونانية في مصر. كذلك أسهم الانفجار السكاني الحديث في مصر في إعاقة المسوح. ولم يحدث إلا مؤخرا فقط أن نالت الإسكندرية البطلمية اهتماما كافيا، مع أنها من أهم المراكز الحضرية في تاريخ البحر الأبيض المتوسط. وإجمالا، فإن وادي النيل مع أنه أحد أغنى المناطق الأثرية في العالم، فإن التغيرات على مر الزمن خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة، لا سيما في المستوطنات، ما تزال غير مفهومة جيدا[١٦٨].

على خلاف فينلي، أكد روستوفتسيف على أهمية المادة الأثرية، مع أنه أعلن في عام ١٩٣٠ أن النمو في المادة الأثرية الجديدة في ذلك الوقت كان من الصعب ملاحقته. فماذا كان سيقول عن الموقف الحالي؟ تساعد مشروعات قواعد البيانات الجديدة إلى حد ما في حل هذه المشكلة، لكن الكثير من الاكتشافات ما تزال غير منشورة. على أن المصادر الأثرية والمكتوبة لا تسرد عادة نفس القصة في نفس النطاق الزمني، ولا ينبغي أن نتوقع منها أن تفعل ذلك. قد يكون من الأسهل (لدارسي البرديات) في حقيقة الأمر أن يكتبوا التاريخ الاقتصادي من الصفر "كما كان حقا" بأدلة من البرديات، وليس من النقوش العامة أو النصوص الأدبية، لكن ذلك سيكون خطأ. فسمات الاقتصادات يمكن الاستدلال

---

(٤٤) بطوليمايس Ptolemais أو بطوليمايس هيرميو Ptolemais Hermiou (أي بطوليمايس الطيبية أو التي في طيبة) مدينة ومركز إداري وعاصمة إقليمية في مصر البطلمية والرومانية، يقع مكانها حاليا مدينة المنشأة في محافظة سوهاج بجنوب مصر. [المترجم]

سلوقية على نهر دجلة Seleukia-on-the-Tigris (أو سلوقية Seleucia وحسب) مدينة رئيسة في بلاد ما بين النهرين السلوقية ثم البارثية ثم الساسانية، تقع غرب نهر دجلة في مقابل قطسيفون في محافظة بغداد العراقية الحالية. [المترجم]

عليها بأسس منطقية دون الحاجة إلى أدلة إيجابية. ولا بد أن نطاق ما يسمى الاقتصاد الخفي invisible economy في أثينا كان ضخما تأسيسا على ثراء الأرستقراطيين[١٦٩].

كانت الإبيغرافيا، وهي دراسة النقوش، العمود الفقري لدراسة الاقتصادات الكلاسيكية لأكثر من قرن من الزمن[١٧٠]. ومع أن المصادر الإبيغرافية لم تستغل في مصر كما استغلت في مناطق أخرى، فإن نص التبرعات من إدفو يعد أحد أهم النصوص حول حيازة المعابد للأراضي في الحقبة من الأخمينية إلى البطلمية[١٧١](٤٥). وهناك الكثير من أنواع المصادر الأخرى، مثل المراسيم الشهيرة ثلاثية اللغات المنبثقة عن المجامع الكهنوتية في مصر البطلمية(٤٦)، أو النقوش من مدن آسيا الصغرى الهلنستية التي تخبرنا الكثير حول العلاقة السياسية بين النخب والحكام. تكشِف النقوش والبرديات عن تضاد مهم، وتفرض بعض التحديات التاريخية القوية على وضعها في السياق. ويقدم السياق الخاص للكثير من البرديات (رسائل وعقود) نوعا من الأدلة مختلفا عن الطبيعة العامة لأغلب النقوش اليونانية. إن ما يجمع مجموعتي المصادر هاتين هو أنهما متحيزتين، لكن بطرق مختلفة، إذ تأتي البرديات اليونانية في أغلبها من مناطق ريفية، والبرديات الديموطيقية من سياقات مرتبطة بالمعابد، والنقوش من مناطق حضرية. وقبل ظهور المدينة، كان للنقوش اليونانية التي بقيت طابع مختلف "تمحور ... حول الشؤون الفردية والخاصة"[١٧٢]. وقد استُغِّلت النقوش الكلاسيكية في إعادة بناء التاريخ الأسري، والتاريخ السكاني، وترتيبات استخدام الأرض وملكيتها، والأبنية السياسية المحلية، والتمويل العام، والتاريخ القانوني، فضلا عن استخدامات أخرى[١٧٣].

أسهم علم النُمّيّات بقوة خلال السنوات الأخيرة في مناقشة العلاقة بين النقد والعملة المعدنية، وكيف انتشرت العملات، وبأي حجم وسرعة، وتأثير العملة على السياسة وعلى مؤسسات اقتصادية مثل الأعمال البنكية والأسواق، وعلى السلوك البشري[١٧٤]. يمكننا أن نرى التأثيرات المتمايزة للعملة في النظم الجبائية الحكومية، وكيف ارتبطت الموارد المعدنية، وعلى رأسها الفضة، بالجغرافيا السياسية

(٤٥) نص التبرعات من إدفو Edfu donation text نص مسجل على الجانب الخارجي للحائط الباقي من معبد حورس في إدفو، يتألف من ٦٥ عمودا في ثمانية ألواح، يبدأ كل منها بمشهد قربان، كُتب بالخط الديموطيقي، وقليل من الهيراطيقية، يمثل قائمة ضريبية للأرض المزروعة، وفيه تحدد كل قطعة أرض بسماتها السطحية وحالة ملكيتها واسم زارعها ومساحتها وتقديرها الضريبي. [المترجم]

(٤٦) سيأتي المزيد حول هذه المراسيم الثلاثة في الفصل الخامس من الكتاب. [المترجم]

للبحر الأبيض المتوسط. وثمة نشاطان رئيسان، هما التجارة والتمويل العسكري، يمكنهما تتبع حركة النقد. فقد ساعدت العملة التجار الفرديين الذين كانوا يدفعون نقودا صغيرة وهم يسافرون، وفي الانتقالات الأوسع نطاقا بين المناطق، وفي عملية جمع الرسوم التجارية من جانب الدولة[١٧٥]. ولا شك في أن إصدار العملات المعدنية عالية الجودة، المُوَثَّق جيدا في أثينا والذي قُلِّد على نطاق واسع، ولاحقا العملة الباخترية-اليونانية (الشكل ٧)(٤٧)، قد ساعد في قبول العملة على نطاق أوسع من الدول التي أصدرتها، لكن من الصعب تتبع انتشارها في الأنماط التجارية بطريقة مباشرة[١٧٦]. وفي عالم المرتزقة في الدول الهلنستية، كان دفع أجور الجنود سببا مهما لسكّ العملة. ولذلك عززت حركة الجنود حول البحر الأبيض المتوسط انتشار العملة.





الشكل (٧) عملة فضية باخترية-يونانية لديميتريوس الأول، نحو أعوام ٢٠٠-١٨٠ ق.ح.

بإذن من American Numismatic Society.

في حالة اليونان، ثمة إجماع على أن المصادر الأدبية، وحتى مصادر مبكرة مثل هوميروس (نحو عام ٧٥٠ ق.ح) وهسيودوس (نحو عام ٧٠٠ ق.ح)، وبالطبع المصادر الشعرية عموما، قد "كُتبت غالبا من منظور أرستقراطي"[١٧٧]. على أن نظام التبادل عند هوميروس وملاحظات هسيودوس في ملحمته "أعمال وأيام" Works and Days حول الزراعة، مفيدة بعض الشيء، على الأقل باعتبارها نقطة بداية للاشتباك الفكري اليوناني مع العالم، الذي أحدث تقدما مدهشا في كل مجالات العلم بعد

(٤٧) باختر أو باختريا Bactria هو الاسم القديم للمنطقة التاريخية الواقعة بين جبل هندوكوش ونهر جيحون، التي عرفها العرب باسم بلاد ما وراء النهر، كانت عاصمتها تقع في مكان مدينة بلخ الحالية. [المترجم].

عام ٥٠٠ ق.ح. وعلى الرغم من الأدلة الأدبية المبكرة، ما يزال الجدل متواصلا حول كم تبادل السلع قبل القرن السادس قبل الحقبة المشتركة الذي أصبحت الأدلة المادية فيه أكثر وضوحا ووفرة. وأيا كان الحال، فقد كان هناك "جمهور" أرستقراطي للشعر، واتجاه سلبي نحو "تبادل السلع"[١٧٨]. ومن الشائع إغفال أن أرسطو أو زينوفون، وهما اثنان من عباقرة القرن الرابع قبل الحقبة المشتركة، قد فكرا "اقتصاديا"، وأنهما لا يمكن أن يكونا ممثِّلين للفكر الاقتصادي في زمانهما[١٧٩]، مع أن تأسيس مجال علم الاقتصاد الحديث لم يحدث على أيدي الأميين، ومع أن هذين المؤلفين اليونانيين لديهما الكثير مما كان مقدمة للفكر اللاحق، حتى في مجال السياسات العامة. وفي حالة الاقتصادات الكلاسيكية، قدمت النقوش والمعالجة الأدبية والفلسفية الإطار. ويعد هيرودوت وزينوفون دليلين مهمين على دور التلاقح الثقافي في العالم اليوناني، ويعد بوليبيوس مصدراً مهماً (وغير مستغل بالتأكيد) لكل من بنية الاقتصادات الحكومية الهلنستية ونطاقها، وحول المستوطنات والهجرات، وحول الحرب والغنائم، وحول الدول كفاعل اقتصادي[١٨٠].

قدمت أرشيفات المعابد البابلية الحديثة وفرة استثنائية من المعلومات، لكنها تأتي من حفنة قليلة من الأماكن. وتكشِف الأرشيفات الخاصة، مثل أرشيف أسرة إغيبي Egibi، عن نشاط تجاري ريادي في السلع الغذائية، جنبا إلى جنب مع التجارة المؤسسية ضمن شبكات جمعت المناطق[١٨١]. وتعد الأرشيفات البابلية الحديثة، قبل كل شيء، مصدرا شديد الثراء للمؤرخين الاقتصاديين الذين بدأوا للتو في استغلالها الاستغلال الأكمل. لكن ما يزال هناك الكثير مما يمكن فعله. فمن بين المائة ألف لوح مسماري الموجودة ضمن المجموعات الغربية، لم يُنشر غير ثمانية عشر ألفا. وترجم فريق جورسا خمسة آلاف نص أخرى غير منشورة في قواعد البيانات. على أنه توجد فهارس لأهم المجموعات، ما يمكّن من إعادة بناء الأرشيفات[١٨٢]. وتأتي النصوص من أرشيفي معبدين رئيسين، وتأتي أغلبية نصوص المادة الأرشيفية الخاصة لأسر النخبة من خمسة مواقع، هي بابل وبورسيبا ونيبور وسيبار وأوروك[١٨٣](٤٨). ومع ذلك فإن بلاد بابل في منتصف الألف الأول قبل الحقبة المشتركة تعد أحد أفضل

---

(٤٨) بورسيبا Borsippa مدينة سومرية أقيمت على جانبي بحيرة تبعد ١٧ كيلومترا جنوب مدينة بابل، تسمى حاليا برس نمرود تقع في محافظة بابل العراقية، تحتوي زقورة يُعتقد أنها برج بابل المذكور في التوراة. [المترجم]

نيبورا Nippura مدينة سومرية كانت تقع في مكان ناحية نفر الحالية بمحافظة القادسية العراقية، كانت مقرا خاصا لعبادة الإله السومري إنليل. [المترجم]

الأماكن توثيقا للنشاط الاقتصادي على امتداد العصر القديم كله. فاليوميات الفلكية البابلية التي يبلغ عددها نحو ألف ومئتي نص تُؤرَّخ من منتصف القرن السابع إلى عام ٦١ ق.ح، تسجل أسعار ست سلع والطقس والملاحظات الفلكية، وتعد أهم مجموعة بيانات من العصر القديم[١٨٤].

تعد البرديات المصرية اليونانية والديموطيقية المحفوظة غالبا في كرتون المومياوات(٤٩)، مصدرا فريدا للتاريخ الاقتصادي(٥٠)، تنشأ أهميتها من أسباب كثيرة، منها أنها تمدنا ببعض البيانات حول السلوك الاقتصادي لـ"غير النخبة"[١٨٥]. وتشكل وثائق إحصاء السكان من الحقبة البطلمية أهمية خاصة لدراسة البنية المنزلية، ومدى الوظائف المهنية، ودور إحصاء المنازل في النظام الجبائي[١٨٦]. وقد كان روستوفتسيف متبصرا في تحذيره من أن "الدارسين قد اعتادوا على قول إن مادة البرديات تصور الحياة الاقتصادية لمصر فقط، ولا أهمية لها بالنسبة لتطور بقية العالم القديم"[١٨٧]. صحيح أن مصر كانت فريدة في سماتها، ومن أهمها بيئتها الموسمية وشكلها الطويل الضيق، لكن أغلب هذه السمات، عندما نتمكن من مقارنتها، نجدها مشتركة بين مصر والممالك الهلنستية الأخرى. وقد بقيت برديات يونانية من أماكن أخرى، وتكشِف بنية هذه النصوص ولغتها عن تشابه كبير مع النصوص المصرية. تتمثل بعض المشكلات في البقاء المبعثر للنصوص، والتحيز لقرى الفيوم في البرديات اليونانية، والتشكيلة القديمة من النصوص التي بقيت في شكل كرتون أعيد استخدامه في مومياوات الحيوانات (الشكل ٨)، وأقنعة المومياوات البشرية في الأرشيفات الأسرية والرسمية[١٨٨]. يبيّن الشكل (١٠) عدد النصوص المؤرخة، ومن بينها تمثل الأرشيفات الكبيرة القمم، ومن ذلك على سبيل المثال أن القمة في عام ٢٥٧ ق.ح كانت لأرشيف زينون[١٨٩]. بيد أن بعض الصفقات الاقتصادية اليومية وعقود الإيجار ومبيعات الحيوانات لم تُكتب، أو لم تبق في الأرشيف، وهو أمر قد يكون مضللا في التحليل الاقتصادي[١٩٠]. وتعد أرشيفات زينون ومنخيس Menches وخيرونينوس Heroninus وأبيون Apion

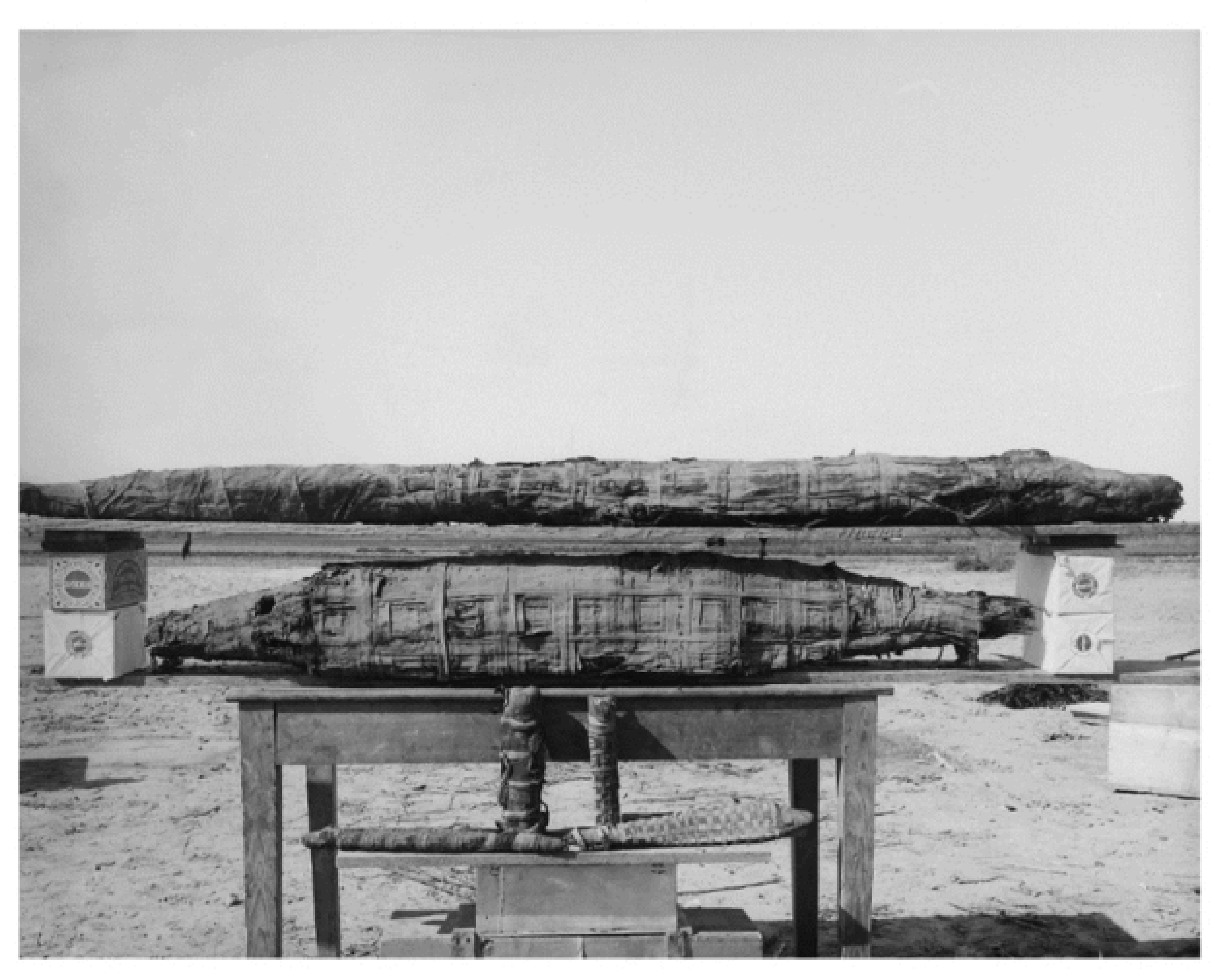
---

سيبار Sippar مدينة بابلية على الضفة الشرقية للفرات، كانت تقع في مكان تل أبو حبة بالقرب من اليوسفية في محافظة بغداد العراقية. [المترجم]

(٤٩) البرديات المصرية اليونانية والديموطيقية أي البرديات التي وجدت في مصر باللغة اليونانية أو الديموطيقية المصرية. [المترجم]

(٥٠) كانت الجثة بعد أن تمر بعملية التحنيط الطويلة، توضع داخل أغلفة من الكرتون أو الخشب، قبل أن توضع في التابوت الحجري. [المترجم]

أفضل المصادر لمدى واسع من القضايا حول إدارة الأراضي والزراعة في العالمين الهلنستي والروماني[١٩١]. وقد تركت لنا طبقة الكهنة الجنائزيين المعروفين باسم الكواكايت (حرفيا "مريقي الماء") الذين كانوا يمارسون قرابين الإراقة الجنائزية للموتى(٥١)، معلومات شاملة حول النشاط الاقتصادي لطبقة أواسط الناس خلال الحقبتين الأخمينية والبطلمية في عدة أرشيفات كبيرة تأتي بالدرجة الأولى من منف وطيبة وهوارة في الفيوم[١٩٢](٥٢).



الشكل (٨) مومياوات تماسيح من تبتونيس (الفيوم)، مصر(٥٣)، الحقبة البطلمية. بإذن من Egypt Exploration Society.

(٥١) رجع المترجم إلى المؤلف في نطق الكلمة المصرية القديمة choachytes إلى "كواكايت". [المترجم]

(٥٢) كان مصطلح "أواسط الناس" the middling sort of people أو "المكانة الوسط" middle station شائعا في أوروبا العصر الحديث المبكر للإشارة إلى الناس الذين يقعون في مكانة وسط بين الطبقة العليا المالكة المترفة والطبقة الدنيا التي تكد بيدها لتعيش. كان أواسط الناس يعملون، لكن ليس بأيديهم، مثل الرأسماليين التجاريين والصناعيين الذين ورثوا المال بشكل أو بآخر ويتربحون منه، واشتركت مع الطبقة العليا في تشغيل الطبقة اليدوية أو الحرفية التي لم تمتلك مخزونا من المال واعتمدت على الآخرين في قُوتها. تختلف هذه الطبقة بذلك عن مفهوم الطبقة الوسطى الحديثة التي يمكن أن تعمل عند الغير أو عند الدولة، وهو تمييز تؤكده الدراسات التي تذهب إلى أن مصر القديمة لم يكن فيها طبقة وسطى على خلاف اليونان الكلاسيكية. [المترجم]

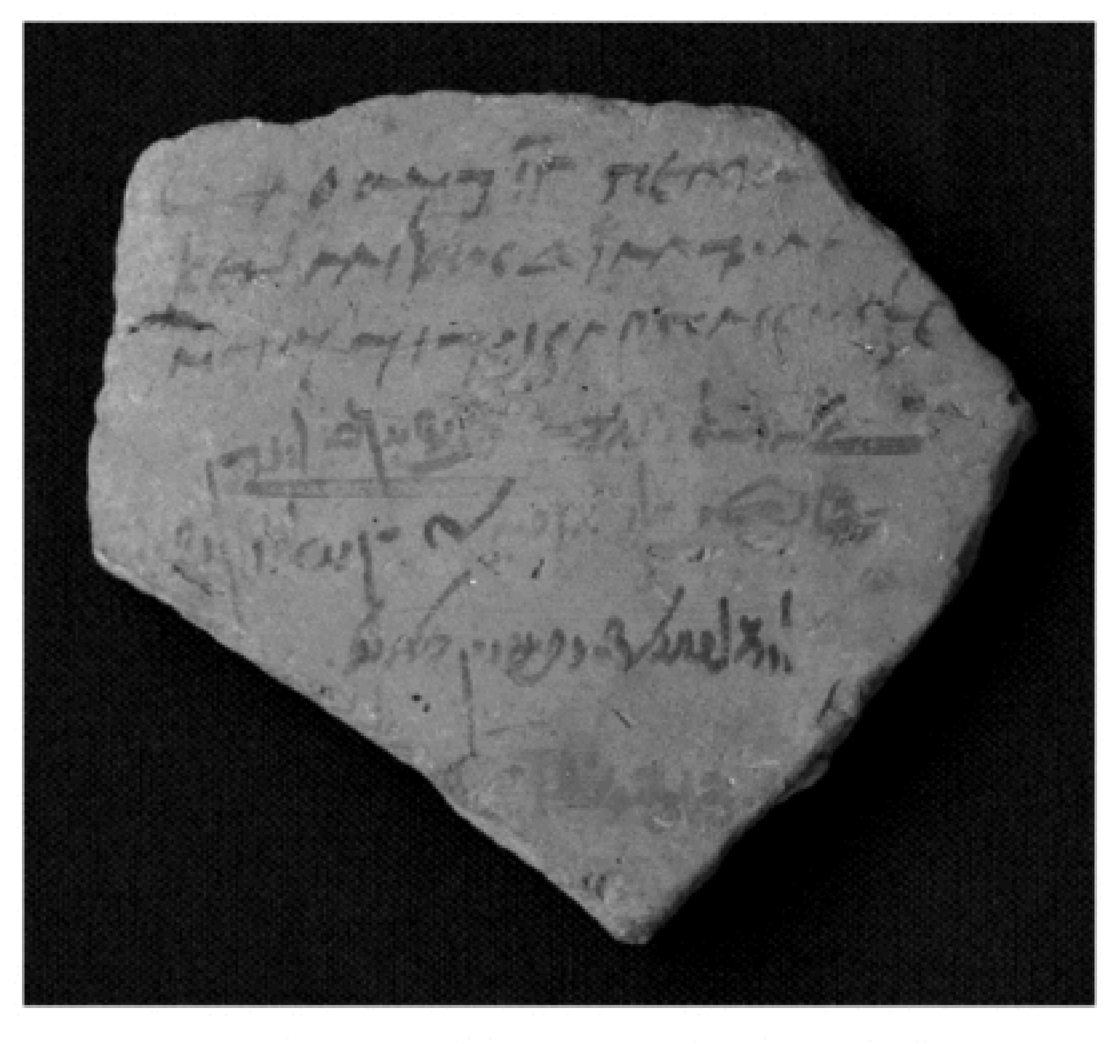
(٥٣) تبتونيس Tebtunis مدينة قديمة كانت تقع على الحافة الجنوبية لمدينة الفيوم الحالية، يعرف الموقع حاليا باسم أم البريجات. [المترجم]

على أن مدى تمثيل الأرشيفات لفهمنا للسلوك الاقتصادي في العالمين الهلنستي والروماني الأوسع ما يزال إشكاليا. على سبيل المثال، ذهب روستوفتسيف في تحليله الكلاسيكي للاقتصاد البطلمي، تأسيسا على مجموعة صغيرة من النصوص من أرشيف زينون، إلى أن النصوص تكشِف عن نظام اقتصادي جديد متخيل فُرِض على امتداد مصر، وعن جزء من اتجاهات هلنستية أكبر على امتداد شرق البحر الأبيض المتوسط، لكن اتضح أن ذلك خطأ[١٩٣]. كانت هناك أسباب وجيهة لاستخدام أرشيف زينون، منها أنه الأرشيف الأكبر من مصر البطلمية، وأنه يشكل نسبة جيدة من النصوص من القرن الثالث قبل الحقبة المشتركة (الشكل ١٠)، وأنه يوَثِّق أطيانا كبيرة يملكها أحد كبار الموظفين في فيلادلفيا بالقرب من الفيوم(٥٤).

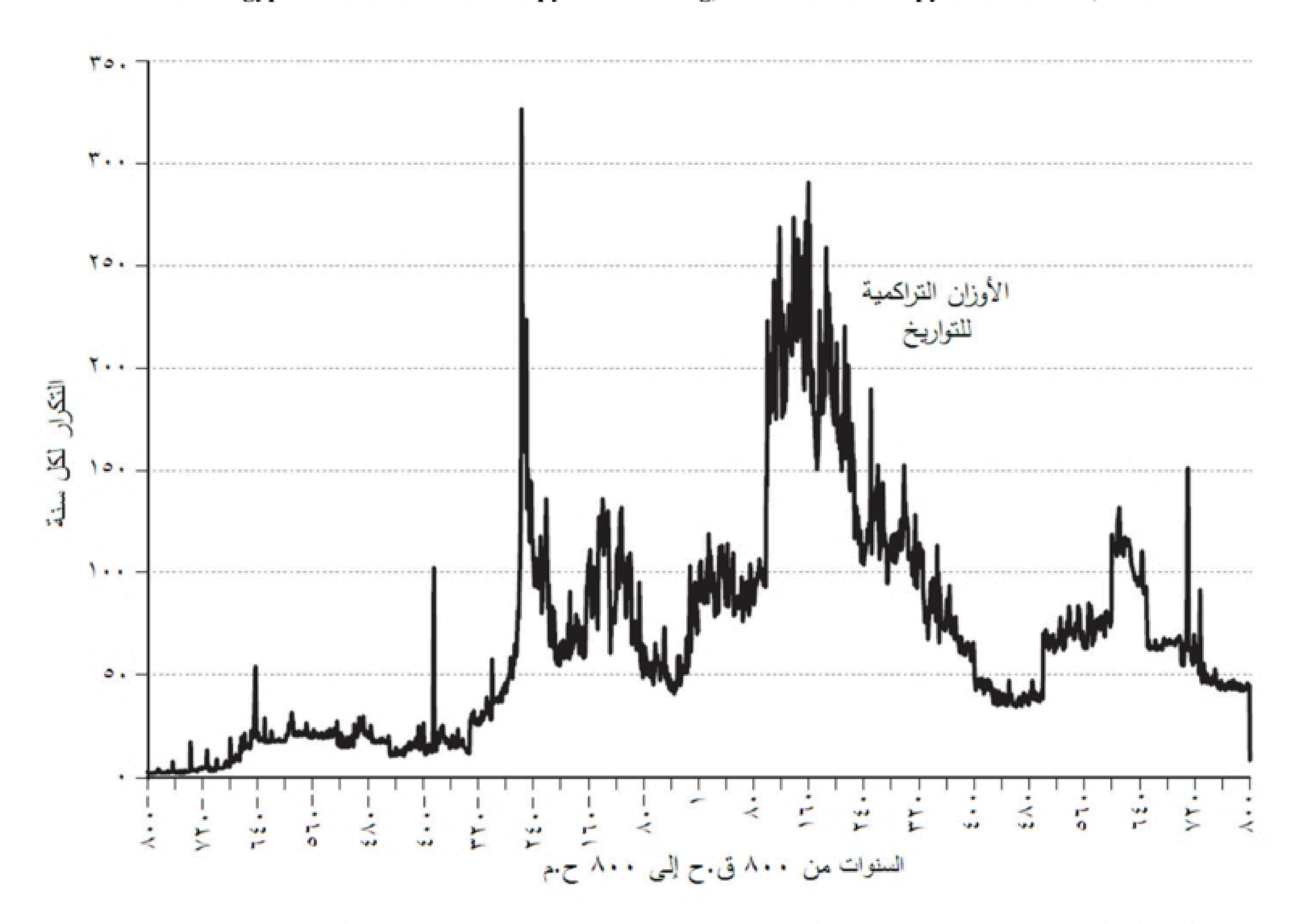
تعد الأوستراكا (الشكل ٩)(٥٥)، وهي شقفات صغيرة من الخزف أو حجر الكلس، سمة فريدة لمصر، على الأقل من حيث الكمية والمعلومات التي تقدمها. وهناك عشرات الآلاف من هذه الشقفات، مكتوبة باللغة اليونانية والمصرية الديموطيقية، تمثل - نظريا - أهمية كبيرة لقياس المعدلات الضريبية والإنتاج الزراعي[١٩٤]. ونظرا لأن أغلب هذه الشقفات عبارة عن إيصالات ضريبية، فإنها بذلك تقدم أدلة على الظروف الاقتصادية المحلية، على الأقل للأشياء الخاضعة للضريبة، والشبكات الاجتماعية وشبكات الكُتاب المرتبطة بمؤسسات مثل الأعمال البنكية[١٩٥]. لكنها تظل بالغة الصعوبة كمصادر للاقتصاد الأوسع، لأنها في أغلب الأحيان لا يمكن تأريخها إلى سنوات محددة.

(٥٤) فيلادلفيا Philadelphia موقع أثري على الجانب الشمالي الشرقي من مدينة الفيوم المصرية كان يشرف على طريق التجارة الذي يربط الفيوم بوادي النيل. [المترجم]

(٥٥) الأوستراكا ostraca (مفردها ostracon، من الكلمة اليونانية ostrakon وجمعها ostraka) شقفات خزفية من زهرية أو غيرها من الآنية الخزفية كتبت عادة بعد كسرها، وأي حجارة صغيرة منقوش عليها كتابة، اشتُقت منها كلمة ostracism [النفي] لأن نفي الأثيني كان يقتضي أن يكتب ستة آلاف مواطن اسم الضحية على شقفات خزفية. [المترجم]



الشكل (٩) إيصال ضريبي يوناني من الأوستراكا، عليه توقيع بالخط الديموطيقي. Copyright © Staatliche Museen zu Berlin—Ägyptisches Museum und Papyrussammlung, Scan: Berliner Papyrusdatenbank, P 4313.



الشكل (١٠) إجمالي النصوص الوثائقية المؤرخة من مصر، من القرن الثامن قبل الحقبة المشتركة إلى القرن الثامن من الحقبة المشتركة (ع = ٦٥٤ , ١١١)، باستخدام طريقة "أوزان التواريخ" لتوضيح الأوزان التراكمية سنويا.

من Van Beek and Depauw (2013).

ينحو دارسو البرديات، مثل أغلب الدارسين الذين يعملون على المادة المصرية ومادة الشرق الأدنى، إلى التقيد بالنصوص، ويحجمون عن تجاوز ما تقوله النصوص. يؤدي ذلك إلى تحليلات ضيقة للسلوك الاقتصادي، ويعني عادة تحليلا للمادة الأرشيفية يأتي من مكان وحيد، أو على الأقل من خبيئة وحيدة من النصوص[١٩٦]. وهناك أنواع أخرى من النصوص حظيت بشيء من الاهتمام، من أكثرها إثارة رسوم الغرافيتي، الشائعة في كل الأماكن الأخرى في البحر الأبيض المتوسط. وقد بدأت المادة الأثرية تهيمن على نقاشات التغير المؤسسي والأداء الاقتصادي.

تقدم الأرشيفات الأسرية والرسمية من مصر البطلمية والرومانية معلومات لا نظير لها حول البنية المنزلية والنشاط الاقتصادي المنزلي. وتضم قاعدة بيانات الأرشيفات في لوفان Leuven بلجيكا خمسمائة أرشيف واثنين تُؤرَّخ إلى الفترة الممتدة من الحقبة البطلمية حتى البيزنطية[١٩٧]. تقدم المعلومات الواردة فيها العديد من المعلومات الاقتصادية مختلفة النطاقات، من نشاط المنازل الفردية (بيع العقارات وتأجيرها واتفاقات الزواج)، إلى أشغال الدولة التي تتراوح من معلومات مسح أراضي القرى وجباية الضرائب إلى إدارة المعابد والمِلكيات الزراعية الكبيرة. وتعد البرديات مصدرا ثمينا للقانون الخاص وإقامة العدالة[١٩٨]. وكانت البروسوبوغرافيا prosopography، وهي جمع المعلومات حول الأفراد المذكورين في النصوص، إحدى الطرق المهيمنة للعمل على البرديات والأوستراكا، وتكشف دراسة للأسر البنكية في طيبة ما يمكن إنجازه من خلال هذه الدراسة المتأنية[١٩٩].

يوجد قدر كبير من الأدلة حول الاقتصادات القديمة، لكنها ليست سهلة الاستخدام، وقد أُهمِل أغلبها بسبب المعالجات العامة للاقتصادات القديمة. وقد شق روستوفتسيف وهايخلهايم مسارا تبعهما فيه الكثيرون حاليا، يركز على جمع الأدلة القابلة لتحديد تواريخها، وإعارة انتباه أقل إلى النظرية الاقتصادية في ذاتها أو عدم الرجوع إليها كثيراً. وقد كان من سمات الدراسات خلال العشرين سنة الأخيرة تقديم روايات أكثر اكتمالا، لمكان بعد آخر، وغالبا أرشيف بعد آخر، من المادة القديمة. ويوفر استخدام الأدلة من الحقبة الهلنستية حالياً مجموعة أعمق كثيراً من المادة يمكن أن يبنى بها تاريخ اقتصادي أكثر ثراء لعالم البحر الأبيض المتوسط خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة.

وعلى الرغم من أن الكثيرين يشتكون من طبيعة الأدلة الاقتصادية ما قبل الحديثة، فإن هناك الكثير مما يمكن فعله كميا. صحيح أنه من غير الممكن بالطبع مقارنتها مع البيانات الاقتصادية

الحديثة، وأن هناك الكثير من الفجوات والكثير من أوجه الغموض، من بينها مجال السكان الذي لا تسمح فيه السجلات المتاحة إلا بتخمينات مستنيرة حول السكان القدماء، إلا أن أفضل الطرق للتقدم هنا هي وضع مُحَدِّدات parameters واستخدام نماذج مقارنة. وقد تقدمت الدراسات خلال الأربعين سنة الأخيرة بخطى سريعة، وتقصت كل تفاصيل البنية والسلوك الاقتصاديين القديمين. ويوجد حاليا العشرات من الدراسات المتخصصة حول الخزف، وأمفورات نقل السوائل[٥٦]، ودراسات كمية لخبايا العملات وانتشار العملات والأسعار وتوزيع الأراضي والإنتاج الزراعي في بعض المناطق. كذلك أسهمت الأعمال الأثرية المكثفة باستخدام نظام المعلومات الجغرافية GIS وغيره من التقنيات، والقدرة على المسح والتنقيب تحت الماء، كما أوضحت النتائج المدهشة في أماكن مثل الإسكندرية، في توفير كمية ضخمة من المادة الجديدة وتسليط الضوء على تفاصيل دقيقة حول بعض الأماكن[٢٠٠]. على أن التعميم من هذه النتائج يظل صعبا. فما زلنا على الأغلب نركن إلى أمان التحدث حول شيء بعينه يتعلق بمكان بعينه، بدلا من التحدث حول الاقتصاد العام على مستوى الدولة. وعلى الرغم من النظر إلى الأدلة الوثائقية حول البلدات والقرى في مصر البطلمية والرومانية على أنها "ضيقة ومحدودة"، فإنها تعد من أفضل الأماكن، جنبا إلى جنب مع مدينة بابل، لإعادة بناء الأحوال الاقتصادية للأرض على النطاق المحلي ونطاق المنطقة، وبشيء من التفصيل.

كان القياس الكمي للبيانات أحد أهم الاتجاهات خلال الأربعين سنة الأخيرة، من خلال البناء على الجهود السابقة لهايخلهايم ودانكن-جونز Duncan-Jones وغيرهما[٢٠١]. كذلك يلعب علم الآثار دورا كبيرا ومركزيا في النقاش. من ذلك أن أندرو ويلسن، وكذلك ألن بومان Alan Bowman من مشروع أكسفورد للاقتصاد الروماني حول القياس الكمي للاقتصاد الروماني، يكرسان كل أعمالهما لدراسة "أصول الاقتصاد الإمبراطوري الروماني وتحليل كل النشاطات الاقتصادية الرئيسة (من بينها الزراعة والحرف والتجارة والانتزاع الضريبي)، مستفيدين من مجموعات الأدلة الأثرية والوثائقية القابلة للقياس ومن وضعها في السياق البنيوي الأوسع للتفاوت بين المناطق في الأسواق وتوزيعها وحجمها وطبيعتها وفي العرض والطلب"[٢٠٢]، وهو مشروع يمكن محاكاته للحقب السابقة. وكما

(٥٦) الأمفورة amphora (الجمع amphorae) قارورة ضيقة العنق ذات عروتين، كان الإغريق والرومان يضعون فيها الخمر والزيت وخلافه. [المترجم]

أذهبُ في الفصل الخامس، فإن دمج البيانات التمثيلية المناخية الكمية سيشكل جانبا مهما من كل دراسات الاقتصادات ما قبل الحديثة خلال السنوات القادمة.

وإذا كان تناول الأدلة التي يبنى منها التاريخ الاقتصادي للعالم القديم يثير مشكلات تتعلق بقدرتنا على التوصل إلى استنتاجات عامة بشأن التغير المؤسسي، فإن أحد التحديات المهمة هنا يتمثل في فهم كيفية وضع الأدلة النصية والأثرية التي بحوزتنا ضمن الحدود الزمنية–المكانية والاتجاهات الأطول أمدا لتاريخ الألف الأول قبل الحقبة المشتركة، وهو الموضوع الذي أتحول إلى مناقشته في الفصل التالي.

الفصل الثالث

البرونز والحديد والفضة: الزمان والمكان والجغرافيا واقتصادات البحر الأبيض المتوسط القديم

Bronze, Iron, and Silver Time, Space, and Geography and Ancient Mediterranean Economies

على امتداد التاريخ، أثر التلاقح الثقافي على حياة الناس وحظوظهم عبر حدود المجتمعات والمناطق الثقافية، بل إنه أثر بشدة على التطورات الداخلية.

—Bentley (1996: 769–70)

لا ينطوي البحر الأبيض المتوسط على وحدة، لكن هذه الوحدة تخلقت بفعل تحركات البشر والعلاقات التي توجدها والمسارات التي تتبعها.

—Braudel (1995[1949]: 276)

حدود الزمان والمكان

تخيل أنني أعطيك امتحانا شاملا نوعا ما في التاريخ القديم. سأطلب منك أن تلخص تاريخ الحضارة البشرية من ثورة العصر الحجري الحديث حتى كليوباترا، وهب أنني لست كريما، ولن أعطيك أي دليل للدراسة أو ببلوغرافيا للرجوع إليها. ماذا ستفعل؟ إلى جانب التوجه إلى المكتبة وطلب المساعدة من أمينها البحثي، قد تأخذك غريزتك الأولى إلى موقع أمازون Amazon.com وتبدأ البحث عن كتب دراسية تلخص الثورة الزراعية وتواريخ الصين المبكرة والشرق الأدنى ومصر واليونان وما إليها. وقد تجري بحثا على موقع

غوغل Google.com وتحصل على ملخصات قد يكون بعضها حديثا. قد تحصل على فكرة حول التاريخ والأحداث وصعود السلالات وانهيارها وما إليها، لكن هل سيكون بمقدورك لو وضعت الكتب أو صفحات الإنترنت بترتيب زمني أن تفسر التغير الاقتصادي أو الاجتماعي؟ سيكون ذلك صعبا. فما يبدو مسيرة منمقة ومُثْبَتة من الأسماء المضحكة والأماكن، وسلسلة محددة جغرافيا وزمنيا من الأحداث، وسلسلة لانهائية على ما يبدو من الحروب، يناقض الطبيعة الفوضوية للتاريخ البشري. كما أن العمليات التاريخية التي يندر معالجتها في الكتب الدراسية في التاريخ القديم أو على الإنترنت أصعب في معالجتها ويجب تفسيرها ضمن الحدود الزمنية والجغرافية. أحاول في الفصلين التاليين أن أضع إطارا لفهم هذه الفوضى. وأريد إلى جانب ذلك أن أتقصى بعض القوى الدافعة الحركية للتغير التاريخي من خلال الوقوف على الأدوار التي لعبها الزمان والمكان والبيئة.

يصنفني قسم التاريخ بجامعة يل التي أنتمي إليها عضوا ضمن مجموعة التاريخ الأوروبي، مع أن أعمالي التخصصية تتركز على مصر وغرب آسيا بالدرجة الأولى، والسبب وراء ذلك بسيط وقديم في آن معا، وهو السبب نفسه الذي جعل فينلي يكتب حول "الاقتصاد القديم" مع أنه كان مهتما باليونان وروما وحدهما. كان التاريخ القديم (ولا يزال في الكثير من الدوائر) يؤخذ على أنه يعني التاريخ الكلاسيكي، أي تاريخ اليونان وروما، الذي يبحث عن سردية تاريخية أوروبية مبكرة. في حين تُرك تاريخ الدول الهلنستية في مصر وغرب آسيا ووسطها للمتخصصين في اللغات والثقافات الأخرى. لكن توجد مشكلات ضمن هذا التصنيف نفسه. ففي حالة مجتمع مصر البطلمية ثنائي اللغة، نشر المتخصصون في اللغة اليونانية واللغة المصرية على نحو منفصل أرشيفات للبرديات المكتوبة باللغة اليونانية والمصرية الديموطيقية، تاركين التحليل الفعلي للأرشيف الكامل لوقت لاحق.

ينحو مؤرخو العصر القديم إلى التعامل مع كل مرحلة تاريخية على أنها كيانات سياسية منعزلة ومنفصلة، إذ تُعرَّف كل ثقافة عادة بحدودها اللغوية، مثل العالم اليوناني والحضارة اليونانية-الرومانية ومصر القديمة وما إليها. وكما رأينا في الفصل السابق، فإن هناك معايير مختلفة لتقسيم الحقب التاريخية بغير الثقافة، منها الاتجاهات العالمية الأوسع. ويختار المؤرخون عادة كيانا سياسيا محددا زمنيا ومكانيا، مثل أثينا القرن الرابع قبل الحقبة المشتركة أو بلاد بابل القرن السادس قبل الحقبة المشتركة، أو أحيانا الإمبراطورية الأخمينية على اتساعها، ثم يطابقونه بهذه الحدود الثقافية (ويمكن أن نضيف معايير

أخرى مثل الدِين). يرجع هذا النوع من التقسيم غالبا إلى العادة والاعتماد على أدلة بعينها يمكن توظيفها لتقصي السلوك الاقتصادي أو مؤسسة بعينها. لكن هذا التعامل لا يصلح مع تاريخ البحر الأبيض المتوسط. فالعالم اليوناني- على سبيل المثال- كان مرتبطا ومتفاعلا بقوة مع التجار الفينيقيين، ولاحقا مع الإمبراطورية الأخمينية. ولا نستطيع أن نفهم أثينا دون أن نأخذ في الحسبان العدد الكبير من العبيد المستوردين من الإمبراطورية الأخمينية[١]. وقد أخذ العالم اليوناني دروسا مهمة من الفينيقيين والأخمينيين. وفي حين يميل المؤرخون إلى التعامل مع الإمبراطورية الأخمينية والدول الهلنستية الشرقية التي خلفتها (المملكتان البطلمية والسلوقية) على أنها دول منفصلة تماما، فلا ريب أنه كانت هناك استمرارية أساسية بينها، ويمكننا أن نعتبر الدول الهلنستية التي خلفت الإمبراطورية الأخمينية "شظايا" لهذه الإمبراطورية، مع الاعتراف في الوقت عينه بحدوث بعض التغيرات في الحكم الإمبراطوري[٢]. على أنه ما يزال هناك الكثير من العمل الذي يجب القيام به للتمييز بين التغيرات المؤسسية، سواء اليونانية أو الفارسية أو غيرها، والقيود الجغرافية أو المناخية عبر الحدود السياسية.

تعد الحدود السياسية الجديدة لدول العصر الحديدي أحد الاعتبارات المهمة في الأداء الاقتصادي. فقد مكّن الفضاء الإمبراطوري من توسيع حركة السلع التجارية والبشر والحيوانات (فضلا عن المرض). وقد تقاطعت تجارة المسافات الطويلة مع الحدود السياسية، وفي بعض الحالات، منها المدن التجارية الفينيقية، امتدت القوة الاقتصادية أوسع كثيرا من الإقليم السياسي. لم يخضع المرض بالطبع للقيود السياسية. وكان التغير في الحاكم أو حتى السلالة الحاكمة مجرد تغير سطحي، وتحركت المجتمعات ذاتها بسرعة مختلفة، وكانت الهويات الإثنية والثقافية معقدة. وتعد مواقف اليهود المتباينة من الثقافة اليونانية خلال الحقبة الهلنستية مثالا على ذلك، وكذلك يعد جندي كريتي الأصل عاش في معسكر الجيش البطلمي في باثيريس في مصر العليا خلال القرن الثاني قبل الحقبة المشتركة مثالا آخر يصور المجموعة المتداخلة من الحدود والهويات الثقافية التي كان يمكن أن توجد داخل الأسرة الواحدة ضمن الأويكومن اليوناني الأوسع الذي أطلقته فتوحات الإسكندر[٣](١).

(١) باثيريس Pathyris (باليونانية، أو جبلين بالعربية، إنيرتي Inerty أو بر حتحور Per-Hathor بالمصرية القديمة) مدينة قديمة في مصر العليا على النيل جنوب طيبة بأربعين كيلومترا، تقع مكانها حاليا قرية الغريرة ضمن محافظة الوادي الجديد، تشتهر بجبّانتها التي ترجع إلى عصر ما قبل الأسرات. [المترجم]

إن الفاعلية البشرية إما تجد دعما أو إعاقة من الجغرافيا والبيئة في نواحٍ عدة مهمة. فالتخوم السهلية التي أسماها مارشال سالينز "حدودا إثنية" كانت مناطق للزخم التاريخي الكبير الذي "ولّد تقدما كبيرا" في المجتمعات[٤][٢]. وقد نشأت إمبراطوريات جديدة في مناطق تخومية تميّزت بتنافس شديد بين جماعات "متجاوزة للإثنية"[٣]. وقد ولّدت التخوم المتجاوزة للإثنية، وهي تكتل من الجماعات الإثنية ضمن كيان سياسي واحد، المزيد من التماسك الاجتماعي الداخلي من خلال التنافس الذي ينتج المزيد من التعاون الذي يؤدي بدوره إلى قدرة الجماعات على التوسع. ويعد التماسك الداخلي ضمن مقدونيا القديمة خلال القرن الرابع قبل الحقبة المشتركة وغزوها للعالمين اليوناني والأخميني وظهور روما على حافات العالم الهلنستي أمثلة جيدة لهذه العملية.

يواجه المؤرخون المعتمدون على النصوص شكلا من مشكلة الانتقاء يختلف عما يواجهه علماء الآثار الذين يعملون على موقع واحد أو منطقة واحدة، وهي المشكلة عينها التي تنتج عن الانتقال من الأدلة من موقع واحد أو اثنين، أو من أرشيف من الوثائق، إلى تحليل "الاقتصاد البطلمي" على سبيل المثال، وهي تحديدا مشكلة محاولة بناء جسر من الأدلة التاريخية الجزئية إلى الادعاءات الأوسع حول اقتصاد الدولة ما قبل الحديثة. كما أنه يمكن تناول تعريف المنطقة، وبالتالي التفاعل "بين المناطق"، من منظورات عدة، منها الاقتصاد السياسي أو السيطرة الجبائية على العملة، أو من خلال دراسة تدفق السلع عبر المكان والزمان[٥]. وقد أصبح تحليل الشبكات الاجتماعية خلال السنوات الأخيرة أسلوبا مهما لفهم زمن "المنطقة" ومكانها[٦].

عادة ما تكون الحدود الزمنية-المكانية للأرشيفات المكتوبة والمادة الأثرية مختلفة، ويمكن أن يكون الجمع بينها لتفسير الأداء أو الصعود والهبوط وما إليها إشكاليا[٧]. قد يبدو حجم أثينا وهيمنتها السياسية

الأويكومن oikoumenē (بمعنى "المعمور" في اليونانية القديمة، يقابلها ecumene وoecumene في الإنجليزية الحديثة) هو المصطلح اليوناني للعالم المعمور، ترجع جذوره إلى الكلمة اليونانية أويكوس oikos التي تعني "بيت" أو "مكان السكنى". [المترجم]

(٢) هو السهل الأوراسي أو السهل الكبير. راجع حاشية سابقة حوله. [المترجم]

(٣) جماعة "متجاوزة للإثنية" metaethnic أي جماعة تجمعها روابط ومشتركات أوسع من الإثنية وأعم منها، ولا تتطابق بالضرورة مع الأمة أو الجنسية، مثل الجماعة الكبيرة التي تتألف من جماعات إثنية تشعر بالترابط فيما بينها. راجع حاشية سابقة حول تعريف الإثنية. [المترجم]

استثناء لذلك، لكننا لا نستطيع أن نُغْفِل علاقاتها الخارجية، لا سيما واردات الحبوب إليها، ولا يمكن لأثينا أن تكون ممثِّلة لألف دولة مدينية شكلت العالم اليوناني. وتظهر المشكلة نفسها مع مدينة بابل في الشرق الأدنى التي كانت استثنائية في حجمها وفي توثيقها. كانت لأثينا وبابل بالطبع أدوار أكبر من حجمهما ثقافيا وبوصفهما مركزين إمبراطوريين. لكن السؤال الذي يطرح نفسه هو إلى أي مدى يمكن أن تكون المؤسسات الأثينية أو البابلية ممثِّلة لكل المدن اليونانية أو لكل مدن الشرق الأدنى. إن التحقيبات السياسية المتبعة من نوع "البابلية الحديثة" أو "الأخمينية" أو "الكلاسيكية" أو "الهلنستية" محدودة القيمة في تحليل الاتجاهات طويلة المدى، تحديدا لأنها تغفل تحولات مهمة وتغيرات قصيرة المدى، حدثت إما استجابةً لأزمة أو هزة، أو تغير مؤسسي كبير بإقناع من "رائد ثقافي" cultural entrepreneur. وتؤدي هذه التصنيفات بالطبع إلى غض الطرف عن الاستمرارية تماما[٨].

إن رسم حد حول الشيء يعني "تعريفه وتحليله وإعادة بنائه"[٩]. وثمة اعتراف بأن فهم انتقالات الحدود الزمنية-المكانية مسألة بالغة الأهمية للتحليل التاريخي[١٠]. لكن مؤرخي التاريخ القديم لم يعالجوا المشكلات المتضمنة في تعيين الحدود الزمنية-المكانية والانتقالات السياسية بما يكفي. يقر مفهوم القرن "الطويل" أو الألف سنة "الطويل" (هما دائما طويلان، ونادرا ما تظهر قرون "قصيرة") ضمنًا بالمشكلة بين الزمن المطوَّق زمنيا ومعدلات التغير الاجتماعي المتفاوِتة[١١]. وأنا هنا أتناول بعض القضايا الأساسية وكيف عولجت في الماضي، وفي فصول لاحقة أطور هذه الأفكار في السياق المحدد للتغير البيئي والمناخي والمؤسسي. لقد شهدت العشرون سنة الأخيرة تحدي كل الطرق التقليدية لتعيين الحدود الزمنية-المكانية في عالم البحر الأبيض المتوسط ما قبل الحديث.

تتضمن الجغرافيا التاريخية التعيين الواضح للحدود الزمنية-السياسية حول الإقليم المادي، وهو أمر ليس هينا بحال من الأحوال، إذ لا تتوقف المؤسسات أو تبدأ في لحظة زمنية محددة. كما أن الحدود الجيوسياسية أصعب في تعيينها لأن هذه الكيانات يمكن أن تُعيَّن عن طريق الثقافة أو السيطرة السياسية[١٢]. فإيطاليا الحديثة- على سبيل المثال- أسهل في تعيين حدودها على نحو دقيق، لا سيما تعيين الزمان والمكان، من الإمبراطورية الرومانية. فلم تكن الأمور ساكنة بحال من الأحوال، لكن محاولة تعيين الحدود الزمنية-المكانية مكون أساسي للتحليلات المقارنة. وقد تمثل أحد الحلول في العمل ضمن مناطق واضحة المعالم، كما فعل بوميرانز Pomeranz في تفسير "الافتراق الكبير" Great

Divergence بين أوروبا والصين من خلال التركيز على لانكشر Lancashire في إنجلترا ودلتا اليانغتسي الأدنى في الصين[١٣]. وقدم مشروع سشات لقاعدة بيانات المقارنة التاريخية Seshat comparative historical database project حلا آخر لهذه المشكلة الأساسية باستخدام نوعين من الوحدات الجغرافية لضبط البيانات التاريخية، هما (١) "المناطق الجغرافية الطبيعية" Natural Geographic Areas; NGAs، وهي منطقة جغرافية محددة وثابتة بطول وعرض مائة كيلومتر، (٢) "المناطق حرة الشكل" Free Form Areas; FFAs التي تعيِّن إقليما كان جزءا من كيان سياسي بعينه أو غير ذلك من الخصائص التعريفية، مثل مناطق التعدين[١٤]. ولأغراض الترميز والتحليل وفهم التغيرات الطبيعية في الحركية الداخلية للنظام السياسي، تغطي الحدود الزمنية للكيانات السياسية في مشروع سشات من مئتي سنة إلى ثلاثمائة. وثمة اتجاه للاعتراف بأن الشبكات الاجتماعية والتجارية العابرة للحدود الثقافية والجيوسياسية تشكل جزءاً مهماً من فهم التدفقات التجارية محدودة وواسعة النطاق، فضلا عن العديد من أنواع التبادل الأخرى التي دفعت التغير المؤسسي عبر الحدود الزمنية-المكانية الثابتة.

هناك عدة أنواع مهمة من التغير (وعدة أنواع مهمة من القوى الدافعة له) هي التغير المؤسسي والتغير البيئي والتغير المناخي والتغير في أنساق المعتقدات أو العقليات وما إليها. ويعمل أغلب المؤرخين على نطاقات زمنية بالغة القصر، هي العقود، وأحيانا القرن. وفي كثير من الحالات، يتقيد مؤرخو التاريخ القديم بالحدود الزمنية والجغرافية التي تحددها الأرشيفات التي يعملون عليها. لكن هناك الكثير من التغيرات التاريخية المهمة تحدث على نطاقات زمنية ألفية أو أطول. وبالنسبة لبعض الدارسين، مثل هوردن وبورسل Horden and Purcell اللذين يأتي المزيد حولهما في هذا الفصل، لم يحدث تغير مهم، بمعنى أنه لم يحدث اتجاه يمكن التعرف عليه في البحر الأبيض المتوسط، بل حدث تفاوت وحسب. معنى ذلك أن التاريخ كان مسيرة عشوائية. لكن تلك الرؤية تغفل- من بين أشياء أخرى- كيف لعبت الاقتصادات السياسية المختلفة أدوارا في زيادة حجم المدينة والدولة، وفي الحرب، وفي الاستجابة للتغيرات المناخية. لقد كانت الدول قوى دافعة مؤثرة في انتزاع الموارد وتكثيفها وتفريقها وتركيزها. ومن المعروف أن المدرسة التاريخية الألمانية وضعت نظريات للتغير في شكل مراحل خطية[١٥]. على أن هذه المقاربة الانتصارية الغائية المنحازة لأوروبا أبسط من أن تفسر كل تعقيدات التغير[١٦]. وقد قدمت أعمال مايكل مان المؤثرة ما أسماه نموذج القوة الأيديولوجية

والاقتصادية والعسكرية والسياسية Ideological, Economic, Military, Political Power; IEMP، الذي استلهمه من مجاز فيبر لقضيب السكة الحديدية الذي يتحرك عليه المجتمع حتى "يتحول" إلى قضيب مختلف. يذهب هذا النموذج إلى أن كل مجتمع يشمل أربع شبكات متداخلة من القوة الاجتماعية[١٧]، ومن خلال الفعل الجماعي للبشر ضمن هذه المصادر المتداخلة للقوة، تحدد اتجاه التغير الاجتماعي ومعدله، وكان التغير نفسه دوريا وليس خطيا. على أن فهم حركية الحث التبادلي بين البشر والتغير المناخي أصعب كثيرا بسبب تعقيد النطاقات الزمنية-المكانية للتغير المناخي التي لا يمكن تصنيفها ببساطة على أنها قوى "طويلة المدى"، لأنها تعمل على عدة نطاقات زمنية مختلفة[١٨].

فيما يتعلق بالحدود المكانية، ثمة حلول أخرى ممكنة لمشكلة الحدود، اِسْتُلِهِم الكثير منها من أعمال فون ثونن von Thünen (١٧٨٣-١٨٥٠)، منها على سبيل المثال دراسة منطقة بعينها. على أن هذا النوع من الحدود أصعب في تعيينه- على سبيل المثال- من النظم النهرية التي تقدم نظاما للتحليل له حدود طبيعية. ومن اللافت للانتباه- مع ذلك- أن هذا النوع من التحديد لم يطبق كثيرا في البحر الأبيض المتوسط، كأن يُدرَس- على سبيل المثال- تاريخ حوض نهر النيل كاملا، في مقابل النيل المصري الذي دُرِس جيدا بلا شك[١٩]. ومؤخرا، قدم بيتر ثونمان Peter Thonemann تاريخا ممتازا لوادي نهر مياندر على المدى الطويل، يبرز الصلات بين الجماعات البشرية وبيئة طبيعية بعينها[٢٠]. وعلى الرغم من أهمية هذه الصلات بين السواحل والجبال والأنهار، وبين البشر وبيئتهم، وبين أهداف الدول والاستجابات البشرية، فإنها أعقد من أن يتم تحديدها، كما أنها تغيرت بشدة على مر الزمن[٢١]. فليس من اليسير في التحليل التاريخي فهم حركية المناخ والبيئة، وتقلب هطول المطر والفيضانات النهرية، وتآكل التربة، والزلازل والثورانات البركانية التي غيرت الظروف فجأة لفترات زمنية قصيرة، وحركة البشر والحيوانات وتفاعلهم عبر إقليم شاسع أحيانا وخلال نطاقات زمنية أطول.

استخدم فينلي الجغرافيا لتعريف "عالمه اليوناني-الروماني" بأنه "أنماط السلوك المشتركة" "المرتبطة معا" في منطقة مناخية واحدة، هي البحر الأبيض المتوسط، من عام ١٠٠٠ ق.ح إلى عام ٥٠٠ ح.م[٢٢]. تشكل هذه الفترة زمنا طويلا من الحدود الإقليمية والزمنية "للاقتصاد القديم"، على الرغم من الاعتراف بأهمية شبكات تجارة المسافات الطويلة. غير أن الحدود السياسية للدول القديمة لم تكن دائماً واضحة المعالم، وتشير الدراسات المختلفة حول الاقتصاد "اليوناني" إلى أثينا أو أتيكا أو

"الإمبراطورية" الأثينية أو "الدولة الأثينية الكبرى" التي تشمل كيانات سياسية تفاعلت مع أثينا[٢٣](٤). وقد كانت أنماط التلاقح الثقافي وبناء الإمبراطوريات قوى دافعة مهمة في الاندماج الاقتصادي والإقليمي وفي التغير المؤسسي[٢٤]. لكن تقييم تأثير الإمبراطورية الأخمينية على الأقاليم التي إما حكمتها أو اتصلت بها- على سبيل المثال- ليست مهمة بسيطة.

كانت حضارات مصر والشرق الأدنى القديم على ما يبدو عالما آخر، فكانت على وجه التحديد جزءا من قارتي آسيا وأفريقيا قطنته جماعات استخدمت لغات سامية وأفريقية في التحدث والكتابة. تُعامَل هذه الحضارات غالبا على أنها ليست جزءا من أوروبا، وبالتالي ليست جزءاً من التاريخ الأوروبي، ابتُلِيَّت بجغرافياتها ووقوعها مناخيا خارج البحر الأبيض المتوسط، وبالنظر إلى التجربة الإمبراطورية المتواصلة في هذه المناطق، فإنها تُعامَل غالبا على أنها "لا زمنية". وقد دُرِست اقتصادات مصر والشرق الأدنى القديمين، كما رأينا، منفصلة عن الاقتصادات الكلاسيكية. وكان من الشائع خلال القرن التاسع عشر أن تُحلَّل المؤسسات وفقا للعائلات اللغوية، ولذلك جرى التأكيد على الحضارات الهندية-الأوروبية Indo-European civilizations في دراسات مثل دراسة هنري مين Henry Maine "القانون القديم" Ancient Law (يأتي المزيد حولها فيما يلي). كان التحقيب التاريخي الأساسي افتراضا أوروبيا بداية من منتصف القرن التاسع عشر حول "التقدم" الخطي العام من العصر القديم إلى الحداثة، وهو تقدم حدث على مراحل "في مجتمعات تقدمية"، كما ذهب مين. لكن بعض المجتمعات فقط تقدمت بحسب هذا التصور، وهو الانقسام الأساسي الذي يرجع في معظمه إلى ماركس الذي افترض مسارا أوروبيا غربيا ومسارا "آسيويا" تميز بنمط الإنتاج الآسيوي Asiatic mode of production، كما تجسد في "الحضارات الهيدروليكية" hydraulic civilization التي تطورت في الوديان النهرية في مصر وبلاد ما بين النهرين والصين.

تُعامَل حضارات مصر والشرق الأدنى في عدد كبير من الأعمال حول الاقتصادات ما قبل الحديثة على أنها مجرد مقدمة أو حتى مرحلة ما قبل تاريخية[٢٥]. ومع أن مصر وغرب آسيا كانت المركز

---

(٤) أتيكا Attica أو شبه الجزيرة الأتكية Attic peninsula منطقة تاريخية من اليونان شملت أثينا وشكلت قلب اليونان العتيقة والقديمة، تألفت من شبه الجزيرة المنبثق في بحر إيجة، تحدها بويوتيا Boeotia من الشمال وميغاريس Megaris من الغرب. [المترجم]

الحضاري للتطورات اللاحقة في البحر الأبيض المتوسط، فإن أغلب تحليل "الاقتصاد القديم" يُقدم من وجهة نظر أوروبا وأثينا الديمقراطية والإمبراطورية الرومانية (وميراثها). ولم يحظَ التاريخ المصري وتاريخ الشرق الأدنى القديمان بالمعالجة التاريخية نفسها باعتبارهما اقتصادات كلاسيكية ضمن مخطط التطورات التاريخية. على أن هناك أسباب وجيهة لذلك التوجه. فربما تمثل التحدي الأكبر لمؤرخي الشرق الأدنى خلال العصر الحديدي في تقدير التغير التاريخي مع التتابع الإمبراطوري المتواصل في غرب آسيا الذي شهد عدة دول إمبراطورية تحكم نفس الإقليم. فقد سيطرت الدولة البابلية الحديثة على معظم الإمبراطورية الآشورية التي سبقتها، و"تهَلْيَنت" الدولة الأخمينية على أيدي البطالمة والسلوقيين(٥). وكذلك أغفلت العلوم الاجتماعية التاريخية دول الشرق الأدنى غالبا لكونها- كما يقال- "استبدادية" سياسيا، وكونها بالتالي خارج الاتجاه العام للتطورات السياسية والفكرية الغربية، وتلك فجوة فكرية لافتة للانتباه ويتعذر الدفاع عنها، لأن الألف الأول قبل الحقبة المشتركة شهد انتقالات رئيسة من حضارات العصر البرونزي المتمركزة في الوديان النهرية الكبيرة والجزر الإيجية إلى منطقة البحر الأبيض المتوسط الاقتصادية البرية-البحرية الآخذة في الترابط[٢٦].

الانتقالات والتحولات وحالات الصعود

ينحو المؤرخون إلى العمل ضمن جغرافيات ثقافية ومادية، وليس جغرافيات اقتصادية، حتى وإن كانت ذات حدود واضحة. ومع أن هناك أسباب وجيهة للعمل ضمن هذا الإطار، فإنه لا يفيد في تحليل المؤسسات الاقتصادية على أي مستوى من النطاقات الزمنية التي من شأنها أن تسمح بفهم التغير على مر الزمن. كما أن الحدود الأفضل للتاريخ الاقتصادي هي التحولات في النطاق والكثافة، وفي الدول الأكبر، وفي المراكز الحضرية الأكبر، وفي الاستهلاك الأكبر للطاقة، وما إليها.

يقترح بنتلي ثلاثة تحولات رئيسة في تاريخ الحضارة، هي:

- المجتمعات المعقدة المبكرة، بين نحو عامي ٣٥٠٠-٢٠٠٠ ق.ح

---

(٥)" تهَلْيَنت" Hellenized أي أخذت الطابع الهلني، بمعنى التأثر بالثقافة اليونانية (الهلنية) في الحكم والإدارة والارتباطات والثقافة. [المترجم]

- الحضارات القديمة، بين نحو عامي ٢٠٠٠-٥٠٠ ق.ح
- المجتمعات الكلاسيكية، بين نحو عامي ٥٠٠ ق.ح ٥٠٠ ح.م[٢٧].

وثمة طريقة فعالة أخرى للتحقيب هي أن نفكر في التعقيد ومقدرة الدولة[٢٨]. وقد بدأت حالات "الصعود الإمبراطوري" خلال الألف الثاني قبل الحقبة المشتركة، عندما سيطرت الإمبراطوريات الأولى على أكثر من مليون كيلومتر مربع. ثم حدثت مرحلة ثانية من تكوين الدول الإمبراطورية خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة، عندما وصلت أكبر الدول إلى ما بين خمسة وعشرة ملايين كيلومتر مربع. وقد لعبت التحسنات في التقنية العسكرية و"الأديان العالمية" أدوارا رئيسة في تمكين الدول من السيطرة على أقاليم كبيرة ودمج عدد كبير من السكان. وعلى مدار الألف الأول قبل الحقبة المشتركة يمكننا أن نلاحظ التحول الواضح تماما من الفاعلين الحكوميين المتعددين إلى قوة مهيمنة واحدة، هي روما، بحلول القرن الثاني قبل الحقبة المشتركة. ونلاحظ إجمالا زيادة في النطاق الإقليمي للدولة ونقصا في عدد الفاعلين الحكوميين.

ويحَقِّب تيرتشن Turchin التاريخ على النحو التالي:[٢٩]

- الزعامات القَبَلية: بين نحو عامي ٧٥٠٠ و٥٥٠٠ ق.ح
- الدول والمدن الأولى: بين نحو عامي ٥٠٠٠ و٣٠٠٠ ق.ح
- الإمبراطوريات الضخمة: بين نحو عامي ٢٥٠٠ و٥٠٠ ق.ح

وينظم بروك Brooke التاريخ ما قبل الحديث من خلال عدسة التغير المناخي إلى ما يلي:[٣٠]

- الثورة الزراعية
- عصر الهولوسين الأوسط، والعصر الحجري الحديث المتأخر، وثورة الدول الحضرية
- الإمبراطوريات الزراعية
  - توسع العصر البرونزي وأزمته، ٣٠٠٠-١٠٠٠ ق.ح
  - أزمة ما قبل الحقبة الكلاسيكية والعصر الحديدي، ١٢٠٠-٣٠٠ ق.ح
  - العصر القديم العالمي، ٥٠٠ ق.ح-٥٤٢ ح.م
- عصر الظلام العالمي والعصور الوسطى، ٥٤٢-١٣٥٠ ح.م

ويمكن تحقيب الألف الأول قبل الحقبة المشتركة إلى جزأين، هما فترة "تعافي" العصر الحديدي Iron Age recovery و"الفترة المثلى الكلاسيكية" classical optimum[٣١]. كانت هاتان الفترتان مهمتين لبناء الدولة. وأنا أتفق مع من يذهبون إلى أنهما تركتا تأثيرات تراكمية على التطورات اللاحقة، ولعبتا دورا أساسيا في ظهور العالم الحديث[٣٢]. كان معظم جنوب غرب آسيا خاضعا لدول إمبراطورية، بينما تناوبت مصر بين التجزؤ السياسي والحكم الإقليمي الإمبراطوري والسيطرة المركزية. ونحن خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة نهتم بالتحقيبات المكانية-الزمنية التالية:

- جنوب غرب آسيا
  - الإمبراطورية الآشورية الحديثة، ٩٣٤-٦١٠ ق.ح
  - الإمبراطورية البابلية الحديثة، ٦٢٥-٥٣٩ ق.ح
  - الإمبراطورية الأخمينية ٥٥٠-٣٣٠ ق.ح
  - الإمبراطورية السلوقية ٣١٢-٦٣ ق.ح
- مصر
  - عصر الاضمحلال الثالث، ١٠٦٩-٦٦٤ ق.ح (مجزأة سياسيا)
  - الأسرة السايسية، ٦٦٤-٥٢٥ ق.ح (دولة مركزية)
  - السيطرة الإمبراطورية الأخمينية، ٥٢٥-٣٥٩ ق.ح (ولاية إمبراطورية)
  - ٤٠٤-٣٤٣ ق.ح (سيطرة محلية)
  - السيطرة الأخمينية الإمبراطورية، ٣٤٣-٣٣٢ ق.ح (ولاية إمبراطورية)
  - السلالة البطلمية، ٣٣٢-٣٠ ق.ح (دولة مركزية)
- فينيقيا
  - التوسع، بين نحو عامي ١٢٠٠-٨٠٠ ق.ح
  - الغزو الأخميني، ٥٣٩ ق.ح
- اليونان
  - العتيقة، من القرن الثامن قبل الحقبة المشتركة إلى عام ٤٨٠ ق.ح
  - الكلاسيكية، ٤٨٠-٣٢٣ ق.ح

- الهلنستية، ٣٢٣-١٤٦ ق.ح
- الغزو الروماني، ١٤٦ ق.ح

ينحو مؤرخو العصر القديم إلى تركيز النظر على بضعة أماكن على مر الزمان والمكان تتميز الأدلة فيها بأنها أفضل من غيرها. ويعمل علماء الآثار ودارسو النصوص على أماكن وحقب تاريخية مختلفة. وما يزال من الشائع أن يقسم علماء الآثار والمؤرخون المراحل التاريخية للبحر الأبيض المتوسط بحسب المعادن المهيمنة، أي إلى عصور حجرية ثم نحاسية ثم برونزية ثم حديدية. وقد وصف باركر Barker هذا النوع من التحقيب بأنه "سُلم التقدم الفيكتوري"، وفي الشرق الأدنى وفي مصر، يقسم المؤرخون الحقب إلى سلالات حاكمة أو ممالك[٣٣]. ومع أن التواريخ المحددة أفضل من الحدود الثقافية، فإن الاثنين يحجبان تغيرا مهما[٣٤].

يحجب التحقيب بالطبع حقيقة أنه لم تحدث، في نفس الوقت وعلى نحو موحد عبر إقليم معين، تغيرات من أي نوع، اقتصادية أو مناخية أو لغوية أو في الممارسة الدينية. من ذلك أن الإيقاع السنوي لفيضان نهر النيل في الصيف، أو في الربيع في حالة نهر الفرات، قد فرض استجابات مختلفة عن مناطق البحر الأبيض المتوسط المعتمدة على المطر. يصف مصطلح "الهلنستي" عادة حقبة من تاريخ البحر الأبيض المتوسط من الإسكندر الأكبر حتى وفاة كليوباترا. لكن إذا كان انتشار اليونانيين والمؤسسات اليونانية خارج اليونان البرية والإيجية إحدى القوى الدافعة لهذه الحقبة، فلا بد أن الحقبة "الهلنستية" قد بدأت في أوقات مختلفة في الأماكن المختلفة. وفي مصر على سبيل المثال، يمكن القول إن هذه الفترة هي الفترة السايسية التي شهدت الاستيطان والتأثير الثقافي اليونانيين اللذين أطلقا تحولا ثقافيا مهما في مصر. وقد كان التأثير الثقافي اليوناني أكبر كثيرا في مصر منه- على سبيل المثال- في الشرق الأدنى قبل وصول الإسكندر. معنى ذلك أن الإطار التاريخي السياسي التقليدي لتحليل التاريخ الاقتصادي غير كافٍ لفهم التغير والاستمرارية المؤسسيين.

إن فكرة المركز أو المناطق "المركزية" والمناطق المحيطية التي تؤخذ منها الموارد تُستخدَم عادة كإطار، وهي فكرة مأخوذة من نظرية النظم العالمية. وقد كان التلاقح الثقافي على الأرجح قوة فاعلة منذ ظهور الحضارات في الشرق الأدنى وفي مصر وغيرهما من الأماكن[٣٥]. لنأخذ مصر مثالا. يتحمل المؤرخون، وعلماء المصريات تحديدا، المسؤولية عن تجسيد كيان واحد "متماسك" ساكن يسمى "مصر

القديمة". في حين لم يكن هناك على الإطلاق ذلك الكيان السياسي الواحد المتماسك الذي نسميه "مصر"، بل أن الحضارة المصرية ظهرت إلى الوجود على أيدي عدة جماعات إثنية مختلفة. وكان تاريخ الدلتا الذي أصبحنا نفهمه أفضل كثيرا مما كنا قبل ربع قرن، عالما مختلفا، إذ كانت الدلتا بطابعها الحضري وارتباطاتها التجارية المباشرة جزءا من البحر الأبيض المتوسط بدرجة أقوى كثيرا من وادي النيل الأعلى الذي أعطانا الكثير من الأنصاب المَلكية. وكذلك كانت الفترة السايسية مختلفة تماما عن الدولة القديمة، على الرغم من الجهود المنسقة من جانب الثقافة السايسية لادعاء الاستمرارية السياسية والثقافية مع الدولة القديمة[٣٦]. وقد جلبت التجارة إلى الدلتا تلاقح الأفكار، ونظام كتابة جديد يعرف باسم المصرية الديموطيقية، تطور هنا في الدلتا، ربما استجابة لمطلب تسجيل الأعداد الكبيرة من الصفقات الاقتصادية، ثم انتشر لاحقا ليكون نظام الكتابة الرئيس على امتداد مصر. وعندما ننتقل خارج مصر، نجد أن المثال الكلاسيكي للتلاقح الثقافي الدافع للتغيير هو تقديم الفينيقيين الكتابة الأبجدية لليونان، الذي يفترض أنه حدث عن طريق قبرص ونشاط المرتزقة هناك[٣٧]. وكانت للإمبراطورية الأخمينية هي الأخرى تأثيرات شديدة على التطورات الاقتصادية اللاحقة في الشرق الأدنى وفي مصر، وأيضا على منافستها أثينا.

يقسم سي آر تشيس دان وآخرون C. R. Chase-Dunn et al. تحليلهم إلى خمس حقب رئيسة للصعود الإمبراطوري في "المركز"، هي:

١. الأكدية-المصرية

٢. غرب آسيا-البحر الأبيض المتوسط

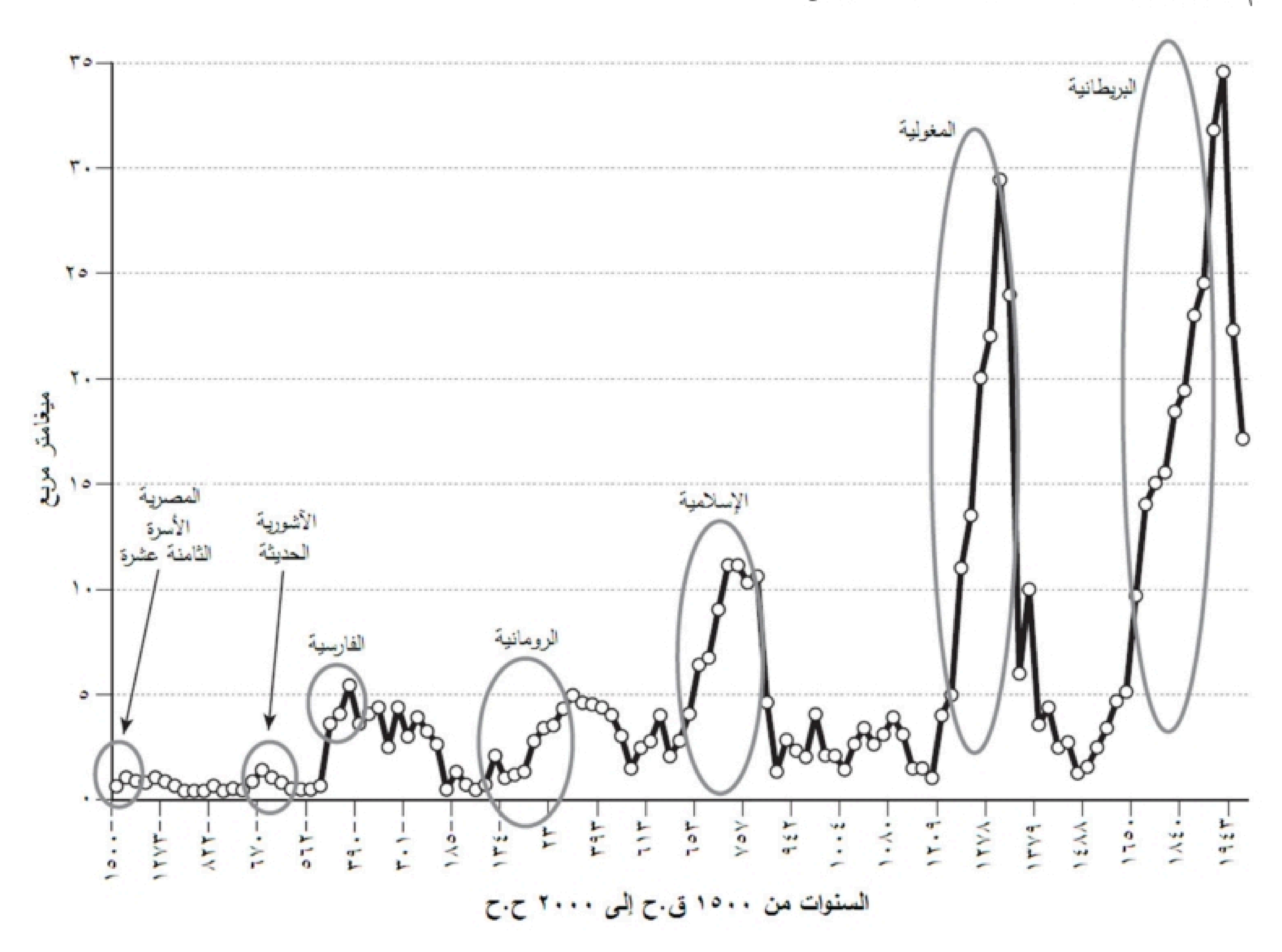
٣. الإسلامية

٤. المغولية

٥. الحديثة

يكشف منحنى صعود الإمبراطوريات (الشكل ١١) عن تباين وتفاصيل أكثر مما يوجد في منحنى النمو المعتاد الذي يتخذ شكل عصا الهوكي، فضلا عن شيء آخر لا يقل أهمية، هو السياق السياسي للتوسع الاقتصادي. بمعنى من المعاني، كانت مقدونيا القديمة وروما، مثل الآشوريين

والأخمينيين من قبلهما، "دولتين تخوميتين" على محيط نظم الدول الأقدم[٣٨]، إذ نشأتا على محيط دول أكبر، فيما يسميه تيرتشن "التخوم المتجاوزة للإثنية"[٣٩]. ومما تجدر الإشارة إليه أن بقاء الإمبراطوريات لم يظهر زيادة كبيرة على المدى الطويل[٤٠].



الشكل (١١) حالات الصعود الإمبراطوري. ChaseDunn et al., http://irows.ucr.edu/papers/irows34 /irows34.htm. تأسيسا على منحنيات النمو والتراجع في Taagepera's (1978, 1979)[٦].

التحقيب والنطاقات الزمنية

يوجد عدد من المقاربات لمشكلات التحقيب الأساسية وفهم التغير على مر الزمن. يتمثل جوهر التحدي في التعرف على نوع التغير الذي نفسره وموقع التغير وقوته الموجّهة. ومن المعروف أن برودل قسم الزمن التاريخي إلى ثلاثة نطاقات متمايزة، هي المدى القصير (الأحداث والخبرات البشرية

(٦) في الشكل، يشير الميغامتر megameter إلى وحدة لقياس الطول تساوي مليون متر. [المترجم]

الفردية) والمدى المتوسط (التاريخ السياسي والاجتماعي والاقتصادي والدورات الزراعية والسكانية) والمدى الطويل (longue durée، أي المناخ أو "التاريخ الجيولوجي"[٧]، أو النطاق الحضاري civilizational scale)[٤١]. وقد تجاهل برودل الإطار الأول، الفردي بالدرجة الأولى، أو قلل من أهميته لصالح القوى الدافعة الأطول أمدا للحضارة والمناخ.

غالبا ما يكون من الصعب تعيين الحدود المكانية-الزمنية بأي قدر من الدقة. ومؤخرا، طُرِحت فكرة اللازمنية timelessness ضمن نموذج هوردن وبورسل، لكن هذه المقاربة لا تفعل شيئا سوى إبراز معدلات التغير المختلفة، كما أن من شأنها أن تقضي تماماً على تفسيرات التغير على مر الزمن[٤٢].

إن بنية الزمن ضمن أي إقليم سياسي بعينه أحد الاعتبارات المهمة، مع أنها عادة لا تُفسَر أو تُعرَّف إجرائيا في دراسات الاقتصادات ما قبل الحديثة. كما أن دورات التوطيد السياسي الحركية، أو التناوب بين فترات المركزية والانهيار، والأحداث (الحروب والأوبئة القابلة للفهم في زمن ثابت لكن لها تأثيرات طويلة المدى)، وشبكات تجارة المسافات الطويلة، والهجرة، والتغير البيئي والمناخي (الناشئ عن البشر anthropogenic والناشئ عن الطبيعة natural)، والتحولات في الممارسات الدينية، و"القوى التوسعية" لتكوين الدول الإمبراطورية، كلها قوى عابرة للحدود المكانية، وينبغي أخذها جميعا في الحسبان عند التحقيب، وجميعها ظواهر تُلاحَظ بوضوح في النطاقات الزمنية العميقة[٤٣]. ويوجد هنا توتر بين المؤرخين الذين يعملون على وثائق مؤرخة غالبا إلى شهر أو سنة محددة والجيوفيزيائيين والجغرافيين الذين يعملون على نطاقات زمنية أطول كثيرا[٨].

يُقسَّم الزمن التاريخي عادة إلى "وحدات ثابتة" من الزمن الخطي تُحدَّد عن طريق مصادرنا القديمة. وقد لعبت البيئة والجغرافيا (تناولها بمزيد من التفصيل في الفصل الخامس) أدواراً مهمة في تواتر عمليات

---

(٧) مصطلح "التاريخ الجيولوجي" ترجمة للمصطلح الأجنبي geohistory، وهو مصطلح جديد ملتبس، يرده البعض إلى "الجغرافيا التاريخية" historical geography والبعض إلى "التاريخ الجغرافي" geographical history، بينما أفاد المؤلف في تواصل شخصي أنه ينصرف إلى التاريخ الجيولوجي geological history، وإن كان يشير في الوقت عينه إلى هذه الدلالات مجتمعة، فهو أقرب إلى تاريخ الأرض. [المترجم]

(٨) الفيزياء الجيولوجية أو فيزياء الأرض geophysics فرع من علوم الأرض يدرس العمليات والخصائص الفيزيائية للأرض والبيئة الجوية المحيطة بها. [المترجم]

التلاقح الثقافي، ويمكننا أن نتطلع إلى فهم أنماط التلاقح الحركي التي نشأت في الجزر الإيجية باعتبارها تضادا مهما مع التلاقح فيما يسميه برودبانك "الإمبراطوريات المتمركزة حول الغرين" Alluvium-focused empires[٤٤]. ومع إيقاع التغيرات البيئية، يمكننا أن نتوقع معدلات تغير متمايزة.

يُعنى التاريخ بتفسير الاستمرار والتغير على مر الزمن[٤٥]. يمكن حساب الزمن بطريقتين من منظور البشر، الأولى هي الزمن الخطي أو "الكوزمولوجي" cosmological time، أي مرور الحياة يوما بعد آخر على التوالي، والثانية هي الزمن "الفينومينولوجي" phenomenological time، وهو الزمن الذي يُعاش باعتباره حالة زمنية لغوية: ماضي ومضارع ومستقبل[٤٦]، والزمن الفينومينولوجي مهم- على سبيل المثال- في تصور أسعار الفائدة التي تربط الزمن الحاضر بالمستقبل. وينبغي أن ننبّه هنا إلى أن التغير يتقدم ببطء عادة، وعلى نحو غير ملحوظ، من خلال تكيفات "وابتكارات صغيرة"[٤٧]. ويمكن للتغير المؤسسي، والتغير في المعايير والعادات، والتغير المناخي، أن تُحدِث تأثيرا على عدة نطاقات زمنية[٤٨]. كما أن سرعة الحركة خلال الإقليم، والمدة التي تستغرقها المعلومات للوصول من النقطة "ب" إلى النقطة "أ"، والمدة التي تستغرقها للانتقال من مكان لآخر، كانت عاملا حاسما في أسواق تحديد الأسعار، أو عدم وجودها ابتداء، في العالم ما قبل الحديث[٤٩]. وقد كانت التضاريس، والبر في مقابل البحر، والفصل من السنة، أمورا مهمة لسرعة الانتقال.

أحدثت تأثيرات الطاعون على البشر والتغير التقني تفاعلات "عشوائية" على نطاقات زمنية طويلة المدى[٥٠]. وتتضح أهمية حساب الزمن المحلي بالنسبة للجماعات في حقيقة أن الدول الغازية كانت تمحوه، أو تحاول محوه على الأقل. ومن خلال الزمن الإمبراطوري أو السلالي المرتبط بالطقوس الدينية، جعل البطالمة أسرتهم الجديدة جزءا من تاريخ الأسرات المصرية في تاريخ مصر الذي كتبه مؤرخ القرن الثالث قبل الحقبة المشتركة مانيتون Manetho[٥١]. وقد حاول بطليموس الثالث (دون جدوى) إصلاح التقويم المصري بإدراج السلالة البطلمية ضمن الزمن الكوني من خلال تأسيس مهرجان لسلالته في اليوم المضاف إلى السنة الكبيسة في بداية السنة التقويمية المحددة بالبزوغ النجمي لنجم الشعرى[٥٢]. وكذلك تعامل الملوك السلوقيون مع الزمن التاريخي بطريقة مبتكرة، إذ حسبوا السنوات تراكميا لعهد كل ملك "في حقبة سلوقية"، وهي سرقة زمنية من التقويم البابلي[٥٣].

يمكن أن يقاس التغير المناخي على مدار آلاف السنين، ويمكن أن يقاس حاليا باستخدام البيانات التمثيلية عالية الوضوح على نطاقات تغطي عقدا أو سنة، لكن قياس التأثير المكاني للتغير المناخي، مثل الجفاف، ما يزال صعبا[٥٤]. تضع البنية المعقدة للزمن والنطاق الزمني مشكلات في طريق أي نوع من النظرية السببية، أو أي نظرية جامعة كبرى للتاريخ الاقتصادي[٥٥]. فالتغيرات السكانية البنيوية، والتغير التقني، والتغيرات الجبائية وغيرها من أنواع التغير المؤسسي، واتجاهات أسعار السلع، والتفضيلات الاستهلاكية، على سبيل المثال لا الحصر، تتحرك جميعها بمعدلات مختلفة[٥٦]. وثمة أشياء كثيرة يؤكد عليها برودبانك الذي يقدم سردية متجاوزة metanarrative لتاريخ البحر الأبيض المتوسط، تغطي العصر الحجري الحديث الذي استغرق انتشار تقنية الإنتاج الزراعي خلاله آلاف السنين، حتى العصر الحديدي الذي استغرقت التقنية فيه ثلاثة أشهر وحسب للانتقال من أحد طرفي الحوض إلى الطرف الآخر[٥٧].

دفع هذا التقلص للزمان/ المكان أو "انضغاطهما" تغيرات مؤسسية وابتكارات هائلة، وكذلك ردود أفعال عززت الهويات المحلية، وربما ساعدت- على سبيل المثال- في دفع التفكير اللازم لخلق المؤسسات السياسية للدولة المدينية[٥٨]. كان الإحساس بسرعة حركة الزمن خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة حقيقيا، وربما يتكشَّف في التقدم التقني في آلات معرفة الوقت التي نراها في الحقبة الهلنستية، ويتجلى بجرأة في ساعة أنتيكيثيرا[٥٩]. ومما لا يقل عن ذلك أهمية أن نشدد على العمليات والارتباطات التطورية المتلازمة عبر الثقافات المتمايزة في الحوض. لكننا يجب أن نشدد أيضا على أن معدل التغير في العالم ما قبل الحديث لم يقترب من مجاراة معدل التغير في العالم الحديث. وفي ذلك يذهب أنتوني غيدنز إلى أن معدل التغير وانضغاط الزمان/ المكان إحدى سمات "الحداثة"[٦٠]، وتلك فرصة لرسم بياني آخر من نوع عصا الهوكي(٩).

على أن المؤرخين ما يزالوا يفضلون الوحدات الزمنية-المكانية المتماسكة. ومن ذلك أننا نحقب التاريخ اليوناني إلى ثلاث مراحل رئيسة، هي العتيقة والكلاسيكية والهلنستية. لكن حتى مع هذا التقسيم البسيط، ثمة أدلة جديدة ومنظورات أوسع تعقّد الصورة. من ذلك على سبيل المثال أن المادة الأثرية أجبرتنا على عدم اعتبار القرن الثامن قبل الحقبة المشتركة عصر "ظلام"، بل "عصر نهضة"، أظهرت فيه أماكن

---

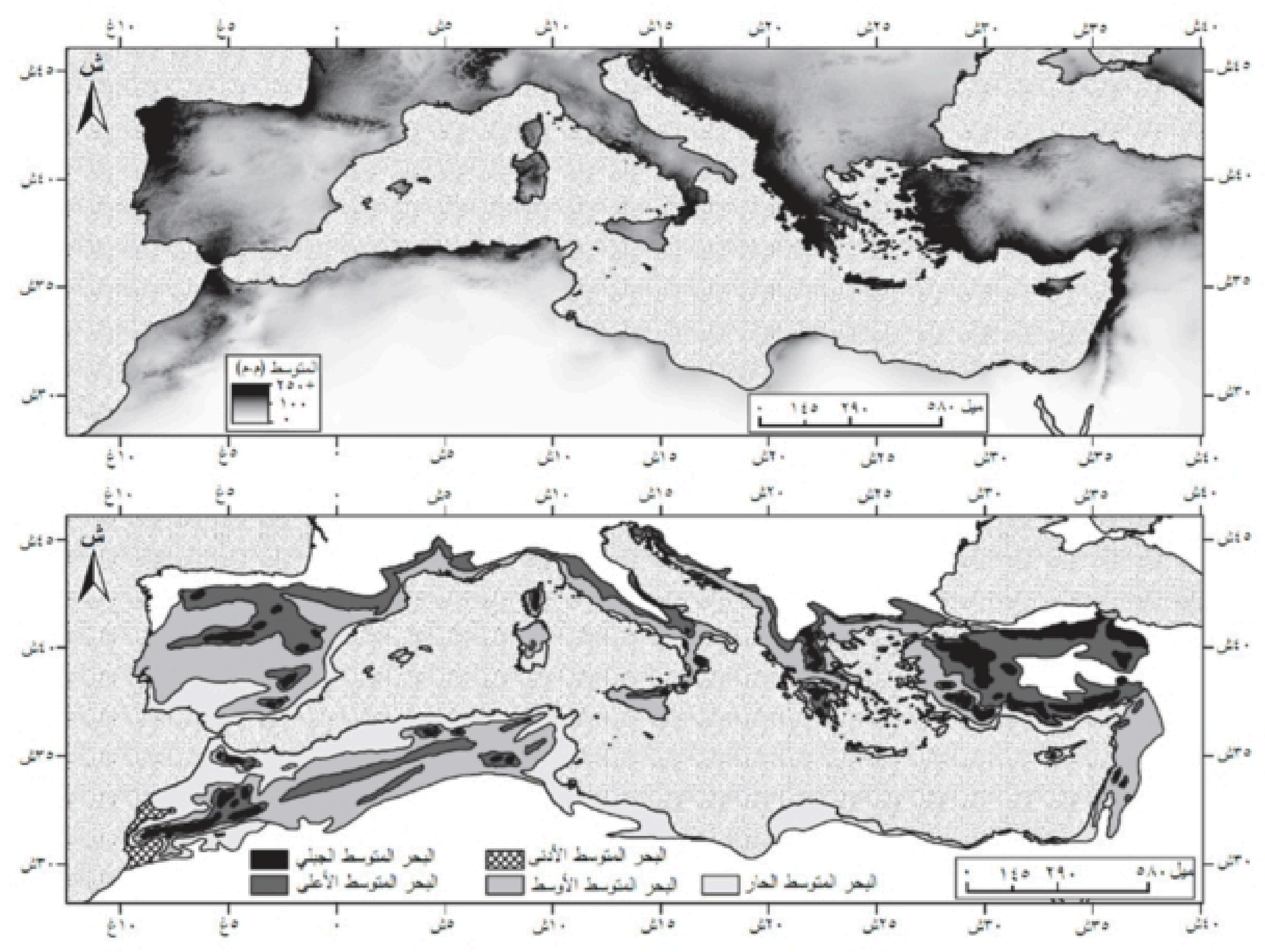
(٩) بمعنى رسم بياني لمعدل التغير يشبه عصا الهوكي، يبرز الجمود لفترة طويلة على السيار، ثم ارتفاعات ضئيلة في أقصى اليمين، يليها ارتفاع حاد وشاهق، انظر الشكل (٣٧) في الفصل السادس. [المترجم]

بعينها على الأقل من العالم اليوناني استمرارية ثقافية قوية مع الماضي[٦١]. كما أن المكان مهم وفارق، وقد حدثت دائما تغيرات فارقة نتيجة لقوى بنيوية محلية. فيقال- على سبيل المثال- إن الحقبة "الهلنستية" بدأت في مصر خلال القرن السابع قبل الحقبة المشتركة عندما استوطن اليونانيون في مصر لأول مرة، أو مع التعلم الجبائي من أثينا في منتصف القرن الرابع قبل الحقبة المشتركة، وليس مع الدولة البطلمية خلال أواخر القرن الرابع قبل الحقبة المشتركة[٦٢]. معنى ذلك أنه كان هناك تغير اجتماعي كبير يحدث قبل ظهور الإسكندر. وقد كانت الأحداث السياسية التي أكدتها مصادرنا الأدبية مثل بوليبيوس معالم التغير عادة. تنشأ إشكالية الحقبة الهلنستية عن أسباب مختلفة، وتنحو إلى الذوبان في التاريخ الروماني، لكن شرق البحر الأبيض المتوسط ظل متمايزا على امتداد الإمبراطورية الرومانية. وتغفل الحدود الثقافية/ الإقليمية الصارمة الاتجاهات والتطورات الأطول أمدا التي لا تظهر في التحقيبات العادية. وقد شدد مؤرخو التاريخ العالمي على الترابط الإقليمي واسع النطاق، من خلال التفكير- على سبيل المثال- في نظام عالمي أفرو-أوراسي انبثق خلال العصر البرونزي[٦٣]. وقد فهم هيكس التحول من "العادة" و"الأمر" إلى "ظهور السوق" على أنه "عملية واحدة" حتى الثورة الصناعية[٦٤]. لكنها كانت عملية بطيئة وتدريجية وبعيدة عن التجانس عبر العالم. وقد كانت الدول المدينية الفينيقية واليونانية خلال أعوام ٧٥٠-٥٥٠ ق.ح، وفق هذه الرؤية، البؤرة التي انبثق منها ظهور السوق[٦٥]. وحجتي هنا هي أن هذا التأطير يغفل الكثير من التطور السابق للتاريخ الاقتصادي للبحر الأبيض المتوسط.

حوض البحر الأبيض المتوسط

ظهرت خلال الأربعين سنة الماضية آراء كثيرة حول كيفية ربط "البحر الأبيض المتوسط" بالتاريخ الاقتصادي. انقسمت الآراء بين من يرون بحرا أبيَض متوسطا واحدا أو الكثير من البحار البيضاء المتوسطية، أو لا يرون بحراً أبيض متوسطاً على الإطلاق[٦٦]. ثمة نمط مناخي أساسي يبدو مشتركا عبر معظم أجزاء ساحل البحر الأبيض المتوسط الطويل، وهو الصيف الجاف الحار والشتاء المطير البارد والدورات المنتظمة والتفاوت الشديد في معدلات المطر والهزات الكارثية المفاجئة (الشكل ١٢). على أن "الوحدة" الفعلية لمنطقة البحر الأبيض المتوسط المناخية، التي تتشكل بفعل تأثيرات مثل الرياح الغربية الأطلسية، يمكن من الناحية الفنية أن تشمل "الهلال الخصيب" والبحر الأسود. لكن الوجود الواسع للثالوث الشهير الزيتون والحبوب والعنب، الذي "تأسس على الأرجح في يونان

العصر البرونزي"، يُستخدَم عادة في تطويق المنطقة ثقافيا[٦٧]. يستثني ذلك مصر وجزءاً كبيراً من غرب آسيا، التي تقع في مناطق مناخية مختلفة "غير متوسطية"، لكن يمكن اعتبار أنها "مرتبطة" بالبحر الأبيض المتوسط سياسيا واقتصاديا[٦٨]. وعندما تؤخذ الحدود المادية والمناخية معا، فإنها تكشِف عن "تخوم خرائطية" مختلفة[٦٩].



الشكل (١٢) الوحدة أم التنوع؟ كميات المطر (في الأعلى)، وأنواع الحياة النباتية في البحر الأبيض المتوسط (في الأدنى). يوضح الشكل الأعلى متوسط المطر في شهر ديسمبر عند وضوح ثلاثين ثانية قوسية[١٠]، خلال الفترة ١٩٥٠–٢٠٠٠، باستخدام البيانات المناخية العالمية من قاعدة البيانات Worldclim v.4.0 data. ويوضح الشكل الأدنى المناطق المناخية البيولوجية في البحر الأبيض المتوسط التي توضح متوسط درجة الحرارة للشهر الأبرد والتي تعد مؤشرا لأنواع النباتات. بتصرف من Quézel & Médail (2003).

---

(١٠) الثانية القوسية arc-second تساوي ١ من ٦٠ من الدقيقة القوسية التي تساوي ١ من ٦٠ من الدرجة التي تساوي ١ من ٣٦٠ من الدورة، وهي وحدات لقياس الزاوية، نشأت في علم الفلك البابلي، وتستخدم في المجالات التي تنطوي على زوايا بالغة الصغر كالفلك والبصريات. [المترجم]

مصطلحات الخريطة: منطقة البحر الأبيض المتوسط الجبلية mountain-Mediterranean، منطقة البحر الأبيض المتوسط العليا supra-Mediterranean، منطقة البحر الأبيض المتوسط الدنيا infra-Mediterranean، منطقة البحر الأبيض المتوسط الوسطى meso-Mediterranean، منطقة البحر الأبيض المتوسط الحارة thermo-Mediterranean. يشير الاختصار "م.م" mm في هذه الخريطة إلى ميليمتر. [المترجم]

ينقسم البحر الأبيض المتوسط إلى "حوضين فرعيين" على جانبي مضيق صقلية، مساحة الشرقي منهما ضعف مساحة الغربي. تواجه منطقة شرق البحر الأبيض المتوسط والمشرق "الظروف المناخية الأكثر تفاوتا وتطرفا في كامل منطقة البحر الأبيض المتوسط"، في حين كان النصف الغربي من البحر معتدلا بقربه من المحيط الأطلسي[٧٠]. ومن الواضح أنه كانت هناك علاقة هطول عكسية بين الشرق والغرب[٧١]. وفيما وراء "الثالوث" الثقافي، تتسم الحياة النباتية في منطقة البحر الأبيض المتوسط بأنها من أكثر نظيراتها تنوعا، إذ تشمل نحو خمسة وعشرين ألف نوع مُوَثَّق[٧٢].

تقدم تضاريس البحر الأبيض المتوسط ومناخه تضادات رئيسة مع حضارات الوديان النهرية الكبرى. فمناخ البحر الأبيض المتوسط ينطوي على نظامين أساسيين، هما الصيف الدافئ الجاف مع ظروف الجفاف، والشتاء المطير، بالدرجة الأولى بفعل الرياح الغربية الأطلسية والنشوء الإعصاري في البحر الأبيض المتوسط[٧٣](١١). كانت الزراعة الجافة (على المطر) لمحاصيل الحبوب الرئيسة (القمح والشعير) هي القاعدة، وظل الشعير محصولا مهما ويُزرع على نطاق واسع بفضل تحمله للتربة الجدباء وظروف الجفاف (الشكل ١٢). وكان تعقيد اليابسة والجبال و"الكتل الهوائية المتنافسة" والبحر القوة الدافعة للتفاوت بين المناطق، أي "التدرجات المناخية الأفقية والعمودية القوية" أو "المناخات الجزئية" micro climates[٧٤]. تمتد هذه المنطقة المناخية عبر كامل الحوض من الألب إلى شمال أفريقيا، على الرغم من وجود تدرج مناخي كبير[٧٥]. وتمتلك اليونان شريطا ساحليا طويلاً جداً (ضعف طول ساحل إيطاليا)، يبلغ تسعة آلاف وثلاثمائة ميل، ولم تبعد المستوطنات فيها أكثر من ثمانية وستين ميلا عن الساحل[٧٦]. وتتميز السلاسل الجبلية الكبيرة، ممثَّلة في جبال أطلس في المغرب وطوروس في الأناضول وبيندوس Pindos في وسط اليونان، وقمم أصغر في مقدونيا القديمة وجزيرة كريت، بنظم بيئية مختلفة[٧٧]. من ذلك على سبيل المثال أن المطر في غرب اليونان يبلغ نحو ضعفه في مناطقها الإيجية. لقد شكل هذا "العجز الهيدرولوجي" hydrologic deficit تطور المدن في الجزر الإيجية[٧٨]. وكانت أنماط المطر بين البر اليوناني الغربي والشرقي والجزر الإيجية قوية(١٢)، لكن التغيرات الدورية في استخدام

---

(١١) النشوء الإعصاري cyclogenesis هو تكون دوران إعصاري cyclonic circulation أو اشتداده في الغلاف الجوي (في منطقة ضغط منخفض). [المترجم]

(١٢) البر اليوناني تمييزا له عن الجزر اليونانية. [المترجم]

الأرض، حتى ضمن المنطقة الواحدة، تلفت الانتباه إلى مدى تعقيد التفاعلات بين القوى البشرية والجيوفيزيائية[٧٩]. وقد كانت جزر البحر الأبيض المتوسط، صقلية وقبرص ورودس ولاحقا مالطا، محاور عملت كتقاطعات طرق ثقافية واقتصادية بين الشرق والغرب والشمال والجنوب. وكانت محركات للتلاقح الثقافي خلال العصر الحديدي وقبله.

لا ريب أن "البحر الأبيض المتوسط" باعتباره وحدة للتحليل التاريخي "تكوين فرضي" construct وضعه بالدرجة الأولى أولئك المهتمون برؤية بحر أبيض متوسط موحد، وهم على وجه التحديد مؤرخو الإمبراطورية الرومانية[٨٠]. كان تصور فينلي مختلفا، إذ ذهب إلى أن البحر الأبيض المتوسط كان "ساكنا" بسبب تكاليف النقل والمعلومات والتبادل العالية التي حدّت من التبادل، وأنه كان "خلويا" لأن المنازل كانت مكتفية ذاتيا[٨١]. ترك ذلك أثرا على تاريخ التبادل في المنطقة. وهناك أمثلة أقدم تكشِف أن الشبكة التجارية التي تغطي البحر الأبيض المتوسط كاملا تتطلب منا أخذ البحر كاملا في الاعتبار في فترة بعينها، على أن ننظر في فترات أخرى عبر حدود طبيعية أخرى[٨٢]. وقد ربط شرق البحر الأبيض المتوسط خلال العصر البرونزي دول الشرق الأدنى ضمن "نظام ثقافي أوسع عابر للمناطق"[٨٣]. لكن يمكننا أن نرجع إلى عصر الهولوسين المبكر وأنماط التبادل المعروفة التي امتدت "من الفرات الأوسط إلى صحراء النقب"، وولّدت تدفقات تجارية من وسط الأناضول والبحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر[٨٤]. وقد كانت السيطرة على الموارد المعدنية إحدى القوى الدافعة لتأسيس طرق التجارة الأطول. وكانت السيطرة السياسية على المناطق المطيرة قوة أخرى، وأصبحت هذه المناطق موقع الاستعمار اليوناني، ولاحقا فضاء إمبراطوريا متنازعا عليه خلال الحقبة الهلنستية. تكشِف الرؤية القديمة لحوض البحر الأبيض المتوسط عن نمط متمايز من التكثيف ونقض التكثيف الزراعي حول ثلاثة محاصيل أيقونية، هي العنب والزيتون (المنطقة هي موطن الاثنين) والحبوب (الشعير والقمح)، أي "ثالوث البحر الأبيض المتوسط" الشهير.

أثبتت دراسة برودل "وحدة" البحر باعتباره "مُركّبا من البحار". وقد ذهب برودل إلى أن البحر الأبيض المتوسط الواحد أعطاه الإطار التاريخي الذي مكّنه من دمج الجغرافيا الاقتصادية مع معدلات التغير المختلفة[٨٥]. فحوض البحر الأبيض المتوسط منطقة معقدة من العالم، فيها الكثير من التنوع المحلي في المحاصيل والتربة والظروف المناخية والقوى الدافعة البنيوية كالفيضانات والبراكين وتآكل

التربة وما إليها، وهو المكان الأوحد على الكوكب الذي تتحد فيه ثلاث قارات في بحر واحد كان هو ذاته قوة فاعلة "للترابط" والتبادل[٨٦].

يتعقب عمل برودل الذي نُشر بعد وفاته حول البحر الأبيض المتوسط القديم قصة البحر بداية من العصر الحجري القديم[٨٧]. كان إطار برودل المبكر قوياً، وحتى لو كان أغلب المؤرخين قد تجاوزوه، فإنه لا يزال يلقي ظلاله على دراسات عالم البحر الأبيض المتوسط، ويُتخَذ نموذجا لدراسة بحار أخرى، بل والصحارى أيضاً[٨٨].

نُشر العديد من الكتب الضخمة منذ عام ٢٠٠٠، كانت استمرارا لتقليد برودل، بالدرجة الأولى لكونها ردا عليه، لكن باختلافات رئيسة ومهمة عن دراسة برودل الكبيرة، منها كتاب هوردن وبورسل "البحر المُفسِد" (Horden and Purcell, The Corrupting Sea, 2000)، وكتاب غروف وراكهام "طبيعة أوروبا المتوسطية: تاريخ بيئي" (Grove and Rackham, The Nature of Mediterranean Europe : An Ecological History, 2001)، وكتاب مايكل مكورميك "جذور الاقتصاد الأوروبي" (Michael McCormick, Origins of the European Economy, 2001)، وكتاب كرستوفر ويكهام "تأطير العصور الوسطى المبكرة" (Christopher Wickham, Framing the Early Middle Ages, 2005) وكتاب ديفيد أبولافيا "البحر الكبير" (David Abulafia, The Great Sea, 2011)، وأخيرا كتاب سبريان برودبانك "صنع البحر المتوسط" (Cyprian Broodbank, The Making of the Middle Sea, 2013)[٨٩]. على أن أحدا من هؤلاء المؤلفين لم يركز تحديداً على الألف الأول قبل الحقبة المشتركة، لكنهم جميعا يقدمون سياقا للعلاقة بين البيئة الطبيعية والاقتصاد، لا سيما التجارة.

قلَب هوردن وبورسل، في كتابهما المهم، عمل برودل على رأسه، إذ قالا بأنه لم يكن هناك بحر أبيض متوسط واحد، بل تجزؤ وغموض وترابط[٩٠]. ينظر هوردن وبورسل إلى الإطار المتوسطي باعتباره "نظاماً ضبابياً ... غير واضح المعالم". وعلى الرغم من ثلاثة آلاف سنة من التغطية، أو ربما بسببها، يغفل هذا النموذج الكثير من الأماكن المهمة، منها مصر وجنوب غرب آسيا. ينظر هوردن وبورسل إلى البحر من خلال عدسة "أربعة أماكن محددة"، هي سهل البقاع وجنوب إترووريا

وقورينائية وميلوس(١٣). وعلى الرغم من أن مصر لم تكن جزءا من البحر عند هوردن وبورسل، فإنهما يستخدمان الأدلة المصرية من حين لآخر. ولا شك في أن بناء صورة كاملة على مدى ثلاثة آلاف سنة ليس ممكنا في أي مكان في البحر الأبيض المتوسط، لأن الأدلة الأثرية والنصية لا تمكّن من ذلك.

كان هناك الكثير من الالتباس ضمن المناطق الجزئية في البحر الأبيض المتوسط. وقد انطبع التاريخ البشري ضمن حدود البحر بفعل التفاوت الشديد في سقوط المطر و"التجزؤ التضاريسي" والترابط الاجتماعي والحركة[٩١]. وكان "الخطر" ضمن هذه المنطقة الجزئية أو تلك دافعا أساسيا "للترابط" في البحر الأبيض المتوسط[٩٢]. لكن خطر فشل المحاصيل والجفاف يوجد بالطبع على مستوى العالم، كما أن الترابط بين الجماعات البشرية سمة مُوَثَّقة جيدا في العصر الحجري القديم العلوي الأوراسي، وكذلك في الأزمان التاريخية، وفي الوديان النهرية وعلى السواحل. وقد تعامل كل مجتمع مع الخطر بطرق مختلفة، وأثبتت هذه الاختلافات أنها فارقة[٩٣]. وقد ركز معظم تاريخ البحر الأبيض المتوسط ما قبل الحديث على البحر الأبيض المتوسط الشرقي والأوسط، لكن كتاب هوردن وبورسل ركز على التفاعلات والحركة. وشددت الأعمال الأخيرة حول الحقبة الهلنستية على تضمين البحر كاملا، لكن كما رأينا في حالة التوسع الفينيقي، قد يكون من الأجدى أن نتناول البحر كاملا من بداية العصر الحديدي[٩٤].

دعا إيفانز وروشماير وإسكوكبل Evans, Rueschemeyer, and Skocpol في عام ١٩٨٥ إلى "إعادة الدولة إلى المشهد". ودعا هوردن وبورسل إلى عكس ذلك، أي أننا يجب أن نستبعد "الدولة" باعتبارها مقولة تحليلية، وكذلك المدن، وأن نستعيض عنها بمفاهيم "الترابط" connectivity و"الهلامية" fluidity و"المناطق الجزئية" micro-regions و"أوجه الاستمرارية" continuities[٩٥]. وينتقل التركيز من تجارة المسافات الطويلة إلى إيقاعات الحياة العادية ضيقة النطاق. يجعل هوردن وبورسل الحد بين الحضري والريفي ضبابيا، ويفضلان متصلا بسيطا، وهو افتراق كبير عن نموذج فينلي، تأثر بلا شك بالاتجاهات الحالية في "نظرية العولمة"[٩٦]. ويؤكدان على الشبكات غير المقيدة بالقيود الزمنية والثقافية عند فينلي، والخصائص المتمايزة لقوى الطرد المركزية "للبحر الأبيض المتوسط الموحد"[٩٧]. لكن قوى الجذب المركزية تسحب في الاتجاه الآخر أيضا، نحو مركزيات جديدة، وهو ما يتجلى بوضوح في تاريخ الإمبراطورية في

(١٣) ميلوس Melos إحدى جزر مجموعة كيكلاديس اليونانية، راجع حاشية لاحقة حولها. [المترجم]

العالم ما قبل الحديث[٩٨]. يخرجنا هذا المنظور طويل المدى لبرودل، وهوردن وبورسل، وغروف وراكهام، وبرودبانك من مجالاتنا التخصصية لطرح أسئلة أوسع حول ما أسماه برودبانك "السمات المنبثقة" emergent properties أو ما أسميه أنا تعيين الحد الزمني-المكاني[٩٩]. يتضمن ذلك تطور المؤسسات، وتطور الدول، وتأثير البيئة والمناخ والتغير المناخي على البشر.

شدد غروف وراكهام على حركية البحر الأبيض المتوسط، والتأثير طويل المدى للبشر والتغير المناخي على الأرض. وركز برودبانك على التاريخ طويل المدى للبحر والقوى التي شكلت المنطقة قبل ظهور اليونان الكلاسيكية. على أن قياس تأثيرات البشر على بيئاتهم ليس أمرا سهلا، كما أنه من السهل المبالغة في تقدير الانهيار أو التدهور[١٠٠]. على سبيل المثال، يذهب بوتزر في دراسته التفصيلية لأنماط استخدام الأرض في إسبانيا وجنوب اليونان إلى أن فهم السبب والنتيجة لكل من التغير الناشئ عن البشر والتغير المناخي الطبيعي على المدى الطويل مسألة صعبة[١٠١]. وتعد حلقات التغذية الراجعة المعقدة والمدركات البشرية من الاعتبارات المهمة. فيما يلي أفصِّل القول في ذلك قليلا فيما يتعلق بمصر لاختتام هذا الفصل.

تشترك كل هذه الدراسات في سمة واحدة، هي فكرة "ترابط" البحر الأبيض المتوسط[١٠٢]. وبالمثل، كان النمو في "الترابط" في الحوض هو الموضوع الرئيس لمراجعة برودبانك التاريخية. ويعد المحيط الهندي بلا شك أحد هذه الأماكن، إذ ارتبط شيئا فشيئا باقتصادات البحر الأبيض المتوسط من خلال توسع الدولة بداية من الحقبة الهلنستية وانتهاء بظهور الإسلام خلال القرن السابع من الحقبة المشتركة[١٠٣].

ما تزال فكرة "اندماج البحر الأبيض المتوسط" mediterraneanization أو "وحدة البحر الأبيض المتوسط" mediterraneanism رائجة بين مؤرخي العصر الكلاسيكي[١٠٤]. يستخدم المفهوم فكرة دوائر التفاعل أو نظم التبادل، مع التأكيد على التبادل والحركة بين المناطق والثقافات. لكنه يقودنا أيضا بطبيعة الحال إلى ضرورة تأمل نطاق أكبر كثيرا لاقتصادات البحر الأبيض المتوسط القديم. على أن التغيرات على مر الزمن مهمة هنا، وأنا أنظر إلى التطور بداية من مركز شرق البحر الأبيض المتوسط وغرب آسيا خلال الألف الثالث قبل الحقبة المشتركة حتى البحر الأبيض المتوسط الأوسع خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة، وأخيرا إلى عالم من محيطين، هما البحر الأبيض المتوسط والمحيط

الهندي، مع نهاية الألف الأول قبل الحقبة المشتركة. وقد كشفت الأعمال الأثرية في الهند وحول البحر الأسود أن المنطقتين كانتا مرتبطتين بقوة بالعالمين الهلنستي والروماني. وقد كان مستكشفون هلنستيون، مثل بيثياس Pytheas، هم من فتحوا المحيط الأطلسي، وكذلك ساحل شرق أفريقيا ومناطقه الداخلية، لكن يبقى "الترابط" في ذاته شديد الغموض في النهاية[١٠٥]. وبإعادة صياغة إغفال جيمس مكفيرسن James McPherson المقتضب لمؤشر السكك الحديدية عند فوغل وإنغرمان، أقول إننا لا يجب أن نحلل "الترابط" وحسب، بل يجب أن نحلل إلى جانب ذلك كيف ربط البحر البشر والأماكن، ومن أجل أي أغراض، وإلى أي مدى[١٠٦].

ثمة مصطلحات كثيرة تستخدم لوصف كيف شكّل البحر الأبيض المتوسط تاريخا بشريا، هي "موحَّد" و"مترابط" و"مفسِد" و"مجزأ" و"شبه مغلق"، من بين مصطلحات أخرى. وقد رُسمت خطوط الحدود الثقافية بين الشمال والجنوب، وإلى حد ما بين الشرق والغرب. إن الشيء المميز بيئة البحر الأبيض المتوسط هو كثافة الاستيطان حول البحر، وقد قررت حركة البشر والأبنية السياسية والتجارة والحرب والتغير المناخي كيفية هذه الارتباطات ومكان حدوثها، وكانت الحركة وتدفق المعلومات عمليات مهمة.

تموضعت حضارات العصر الحديدي في البحر الأبيض المتوسط في واقع الأمر ضمن منطقة حركية معقدة اندمجت وتفسخت على مر الزمن. وتمثل رؤية بوليبيوس لفضاء الحقبة الهلنستية خارج البحر الأبيض المتوسط دليلا إرشاديا يمكن تبريره[١٠٧]. معنى ذلك أن نموذج "البحر الأبيض المتوسط" مفيد في التاريخ الكلاسيكي وتطور الإمبراطوريات البحرية المتمركزة في الحوض، من أثينا خلال القرن الخامس قبل الحقبة المشتركة، إلى قرطاج، وأخيرا روما. كانت مصر جزءا أصيلا من البحر الأبيض المتوسط بحلول الألف الأول قبل الحقبة المشتركة[١٠٨]، ومن أدلة ذلك مستوطنة نقراطيس، وقبل ذلك تدفق التجارة إلى هرقليون[١٤]، واستخدام السلالة السايسية لجنود مرتزقة يونانيين، وقبل كل شيء ضم مصر من جانب البطالمة ثم الرومان. وقد تكثف التحضر في مصر في عهد البطالمة،

(١٤) هرقليون Herakleion (ثونيس Thonis باللغة المصرية القديمة) أو ثونيس-هرقليون، مدينة مصرية قديمة كانت تقع بالقرب من الفرع الكانوبي للنيل على مسافة ٣٢ كيلومترا شمال شرق الإسكندرية، تقع أطلالها في خليج أبي قير، على عمق عشرة أمتار تحت الماء ومسافة كيلومترين ونصف من الشاطئ. [المترجم]

واتسعت عواصم الأنوام (أي المقاطعات)(١٥). لكن يمكننا بالطبع أن نكتب التاريخ المصري من منظور حوض نهر النيل والتاريخ المتمركز حول أفريقيا للبحر الأبيض المتوسط الذي سيكون نوعا مختلفا تماما من أنواع التاريخ. وتكشِف الأعمال الأثرية الأخيرة في وسط آسيا والهند والأعمال حول تجارة المسافات الطويلة كيف أننا فيما يتعلق بالتاريخ الهلنستي والروماني على الأقل نحتاج إلى إطار أكبر كثيرا يتضمن المحيط الهندي، وكذلك آسيا الوسطى. ويذهب مؤرخو التاريخ العالمي ومُنَظِّرو "النظام العالمي" إلى أننا يجب أن "نُعَوّلِم التاريخ القديم"، اتباعا لدارسين مثل فرانك Frank(١٠٩).

لقد ذهب هوردن وبورسل إلى أن تأثيرات الزلازل والبراكين لا تتجاوز المدى القصير. غير أن البراكين على وجه التحديد يمكن أن تمارس تأثيرات أطول أمدا على المناخ، ويمكن للبراكين المحلية أن تؤثر على أشياء بعيدة(١١٠). يقدم وصف بليني الأصغر لثوران بركان فيزوف في عام ٧٩ ح.م سردية شهيرة لثوران بركان كانت له تأثيرات محلية جذرية(١٦):

> كان خالي متمركزا في ميزينوم Misenum في قيادة الأسطول، وفي الرابع والعشرين من أغسطس، في أول الظهيرة، لفتت أمي انتباهه إلى غيمة غير عادية في حجمها وشكلها. كان خالي يجلس خارج البيت في الشمس، بعد أن أخذ حماما باردا، وتغدى وهو مضطجع، ثم أخذ يعمل في كتبه. وأخيرا، طلب حذاءه وتسلق إلى مكان أعطاه رؤية أفضل للظاهرة. لم يكن واضحا في تلك المسافة من أي الجبال تتصاعد الغيمة (عُرِف الجبل فيما بعد باسم فيزوف). يمكن وصف الغيمة من حيث الشكل العام بأنها كانت أشبه بشجرة صنوبر مظلية، لأن الدخان كان يصعد إلى ارتفاعات شديدة في شكل جذع ثم يتشعب إلى فروع، وظني أن ذلك ناتج عن أنه دُفع للأعلى

---

(١٥) الأنوام جمع نوم nome (من الكلمة اليونانية نوموس nomós) هو اسم وحدة التقسيم الإداري في مصر القديمة، كان حاكمها يسمى النومارخ Nomarchs، استخدمه المؤرخون بديلا عن الاسم المصري القديم "سبات" sepat، ثم استخدم العرب اسم "الكورة" بديلا عنه. [المترجم]

(١٦) بليني الأصغر Pliny the Younger أو غايوس بلينيوس كاسيليوس اسكوندوس Gaius Plinius Caecilius Secundus (٦١ ح.م إلى نحو ١١٣ ح.م) قاضي ومؤلف من روما القديمة، كتب مئات الرسائل ذات القيمة التاريخة الكبيرة، بقي منها الكثير، خاله هو بليني الكبير Pliny the Elder أو كايوس بلينيوس اسكوندوس Gaius Plinius Secundus (٢٣ ح.م إلى ٢٥ أغسطس ٧٩ ح.م) عالم طبيعي وكاتب وقائد عسكري روماني، له مصنفات كثيرة في التاريخ والطبيعة منها كتابه "التاريخ الطبيعي" Naturalis Historia. [المترجم]

بفعل الثوران الأول، ثم تُرك بغير دفع مع انحسار الضغط، أو أنه انخفض بسبب وزنه، لذلك انتشر أفقيا وأخذ يتفرق. وفي بعض الأماكن، بدا أبيض، وفي أماكن أخرى بدا مبقعاً ومترباً، بحسب كمية التراب والرماد التي حملها معه[١١١](١٧).

كان هذا الوصف من جانب بليني السبب وراء إطلاق اسمه على نوع معين من الثوران البركاني، هو البليني Plinian الذي يمكن أن ينقل الكبريتات إلى طبقة الاستراتوسفير، ويؤثر بالتالي على المناخ على المستوى العالمي. ويعد ثوران بركان كراكاتوا (١٨٨٣) وبركان نوفاروبتا في ألاسكا (١٩١٢) مثالين حديثين لهذا النوع من البراكين(١٨). أما بركان جبل إتنا Etna Mount الطبقي الواقع في صقلية (الشكل ١٣)(١٩)، الذي يعد عملاق البحر الأبيض المتوسط، فإنه كان أكثر وأطول نشاطا مقارنة بفيزوف، وما يزال نشطا، وقد وقع أحدث ثوران له في أثناء كتابة هذا الفصل، في مايو ٢٠١٥[١١٢].



الشكل (١٣) بركان جبل إتنا، ارتفاعه ٣٣٣٠ مترا (١٠٩٢٢ قدما)، في مايو ٢٠١٥.

---

(١٧) راجع حاشية سابقة حول مدينة بومبي وما فعله بركان فيزوف فيها. [المترجم]

(١٨) كراكاتوا Krakatoa جزيرة بركانية تقع في مضيق سوندا بين جزيرتي جاوة وسومطرة في إندونيسيا. [المترجم]

نوفاروبتا Novarupta بركان يقع في شبه حزيرة ألاسكا بالقرب من بركان كاتماي. [المترجم]

(١٩) البركان الطبقي stratovolcano أو البركان المركب composite volcano بركان مخروطي يتألف من عدة طبقات من الحمم المتصلبة والتفرا tephra والحفاف والرماد، يتميز بفوهة عالية وفواصل دورية من الثورانات الانفجارية والتدفقية (راجع حاشية لاحقة حولها). [المترجم]

لقد أنتجت الامتدادات الساحلية المجزأة أنماط تبادل من نوع تبادل المسافات القصيرة، وكان هناك تنوع كبير في مكان مطوق صغير نسبيا[١١٣].

بإيجاز، لا يعد الإطار المتوسطي الصارم لتاريخ البحر الأبيض المتوسط خلال العصر الحديدي واسعا بما يكفي. وبالنسبة للألف الأول قبل الحقبة المشتركة، يجب أن ندرج البحر الأسود والمحيط الهندي، وأضيف إليها شمال أفريقيا أيضا وغرب آسيا ووسطها، وهي منطقة من العالم كانت محركا عالميا مهما منذ ثورة العصر الحجري الحديث[١١٤]. وتكشِف القوى الدافعة العالمية المناخية مثل الرياح الغربية الأطلسية والدفع البركاني الناتج عن ثورانات انفجارية بعيدة عن البحر الأبيض المتوسط، التي أتناولها في الفصل الخامس(٢٠)، أن الإطار العالمي يقدم سياقاً مبشراً للتاريخ الاقتصادي ما قبل الحديث للبحر الأبيض المتوسط.

شمال أفريقيا والبحر الأسود وآسيا الصغرى

إن وصف البحر الأبيض المتوسط بكل من "الترابط" و"التجزؤ" ينطبق بالدرجة عينها على شمال أفريقيا الذي كان منطقة بالغة الأهمية خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة[١١٥]. توجد هنا ثلاث مناطق بيئية متمايزة، هي قورينائية والمغرب ومراكش التي تقع بحسب وصف شو بين "أكبر بحر داخلي في العالم (أي البحر الأبيض المتوسط)(٢١) ... وأكبر صحراء في العالم"[١١٦]. ويذهب شو إلى أن شمال أفريقيا اتبع

---

(٢٠) يشير مصطلح الدفع forcing، في مفاهيم الدفع البركاني volanic forcing والدفع الشمسي solar forcing والدفع الإشعاعي radiative forcing والدفع المداري orbital forcing وغيرها، إلى دور تلك الظواهر الطبيعية- البراكين والشمس والإشعاع الشمسي ومدار الأرض على التوالي- في دفع أو إحداث تغييرات في نظم بيئية أخرى مثل الرياح الموسمية، وما ينتج عنها من تغيرات في مستويات الأمطار، وبالتالي مستوى فيضان النيل مثلا. [المترجم]
الثوران البركاني الانفجاري explosive volcanic eruptions هو النوع الأقوى من الثورانات البركانية، يصاحبه اندفاع الصخور المنصهرة (الحمم) والغازات والرماد، التي قد تندفع لأكثر من عشرين كيلومترا من فوهة البركان، يختلف عن الثوران التدفقي effusive eruption الذي يكون أهدأ في ثورته. [المترجم]

(٢١) يشير مصطلح المغرب Maghrib إلى شمال غرب أفريقيا الأكبر الذي أسماه العرب بهذا الاسم، ويشير مصطلح مراكش إلى أسلاف المملكة المغربية الحالية التي عرفت في الغرب باسم موروكو Morocco المحرف عن اسم عاصمة المرابطين: مراكش، وعرفت به أيضا في الكتابات العربية حتى منتصف القرن العشرين. [المترجم]

مسارا تطوريا مختلفا عن الأجزاء الأخرى من البحر الأبيض المتوسط، وأن له نمط متمايز للتجارة وللتحضر. وقد ارتبطت قرطاج بإتروريا منذ القرن السابع قبل الحقبة المشتركة، وكانت قورينائية أيضا جزءا رئيسا من منطقة البحر الأبيض المتوسط متمايزا عن أغلب بقية شمال أفريقيا ومهما في التدفقات التجارية مع قرطاج والمناطق الأخرى من الجزء الغربي من شمال أفريقيا[١١٧]. وقد تدفقت التجارة عبر الصحراء من مصر في الشرق، ومن فزان في جنوب ليبيا، إلى الساحل. وقد ألمح هيرودوت، وهو يكتب خلال القرن الخامس قبل الحقبة المشتركة، إلى وجود هذه التجارة[١١٨]. وذهب ليفراني إلى أن الملح كان يُبادَل بالذهب والعبيد خلال شبكة تبادل واسعة وصلت حتى غانا جنوبا.

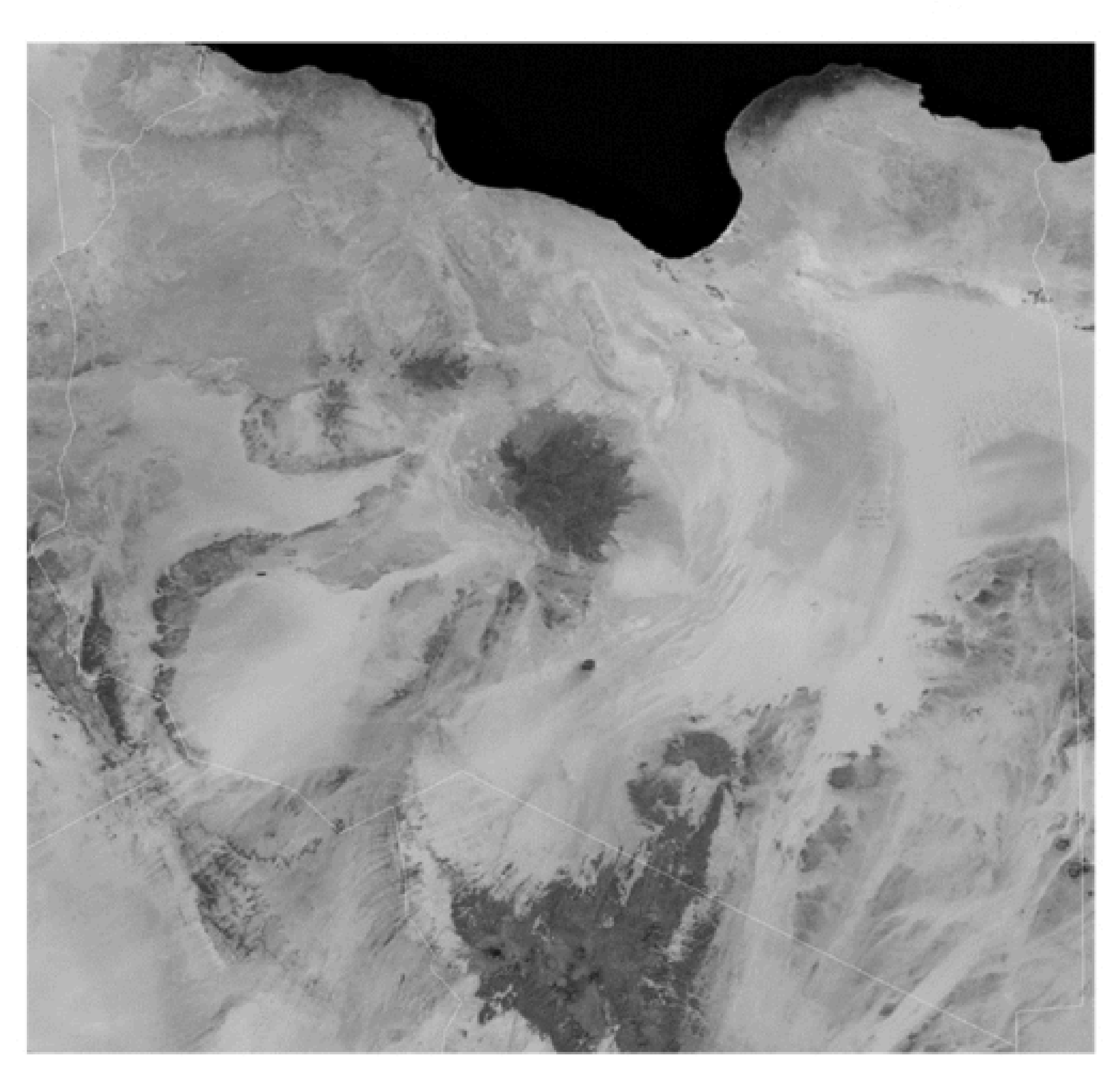
يكشف السهل الساحلي للجبل الأخضر في قورينائية (الشكل ١٤) عن تضادات مع الصحراء الليبية المحيطة وجارتها إلى الشرق- مصر- في تمتعه بمناخ البحر الأبيض المتوسط[٢٢]. استعمر اليونانيون قورينائية، لا سيما قوريني[٢٣]، بداية من أواخر القرن السابع قبل الحقبة المشتركة، إذ جذبتهم إليها الإمكانية الزراعية الغنية على المطر[١١٩]. وأصبحت قورينائية لاحقا ولاية مهمة ضمن الدولة البطلمية مع نهاية القرن الرابع قبل الحقبة المشتركة، ثم سلمها بطليموس الثامن لروما في عام ١٥٥ ق.ح، ونُقلت لها رسميا في عام ٩٦ ق.ح مع وفاة ابنه أبيون Apion، وأصبحت ولاية رومانية في عام ٧٤/ ٧٥ ق.ح[١٢٠].

أسس التوسع الاستعماري اليوناني محطات تجارية على البحر الأسود ربطت هذه المنطقة الزراعية الغنية بأثينا بداية من أواخر القرن الخامس قبل الحقبة المشتركة، على الرغم من أن نطاق تجارة الحبوب ما يزال محل جدل[١٢١]. كانت منطقة البحر الأسود أيضاً مصدراً مهماً للعبيد الذين دخلوا أسواق البحر الأبيض المتوسط، وكانت كذلك مصدرا للخشب[١٢٢]. وخلال العشرين سنة الأخيرة أو نحوها، تكاثرت الأعمال حول آسيا الوسطى والمحيط الهندي خلال الحقبتين الهلنستية والرومانية[١٢٣]. تُناقَش التجارة المدفوعة

(٢٢) الجبل الأخضر منطقة جبلية في شمال شرق ليبيا تتميز بمناخ البحر الأبيض المتوسط، مثل المطر والغابات، من أهم مدنها حاليا البيضاء والمرج ودرنة والقبة، ومن أهم مدنها التاريخية قوريني (حاليا شحات) وأبولونيا Apololonia (حاليا سوسة). [المترجم]

(٢٣) قوريني Cyrene (أو قورينا أو سريني، حاليا شحات) مدينة قديمة تقع في وادي الجبل الأخضر شرق ليبيا على بعد عشرة كيلومترات من مدينة البيضاء، شيدها اليونانيون وكرسوها لعبادة أبولو، عُرفت بفضل حضارتها وأهميتها باسم "أثينا الأفريقية". [المترجم]

بالطلب بمزيد من التفصيل في الفصل الثامن، ويكفي هنا أن نقول إن التجارة بدأت في التسارع في عالمي المحيط الهندي والبحر الأبيض المتوسط خلال الحقبتين الهلنستية والرومانية، لكن الارتباطات بين المحيط الهندي والبحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط والطرق البرية ميراث من الإمبراطوريات المتعاقبة في الشرق الأدنى، يرجع إلى الألف الثاني قبل الحقبة المشتركة. وترجع علاقة مصر بالبحر الأحمر إلى الألف الثالث قبل الحقبة المشتركة على أقل تقدير[١٢٤]. وبحلول العصر البطلمي المتأخر، ربط "نظام المحيط الهندي" Indian Ocean system البحر الأبيض المتوسط والمحيط الهندي عن طريق مصر والبحر الأحمر[١٢٥]. وشكلت جماعات الشتات التجارية، مثل التجارة اليونانية في البحر الأبيض المتوسط المبكر، جانبا مهما من انتشار الثقافة والهوية، وكانت فاعل توحيد وتنميط عبر منطقة واسعة[١٢٦].



الشكل (١٤) الصحراء الليبية وسهل الجبل الأخضر.

وتماماً كما كانت مصر ونهرها جسرا ربط أفريقيا والمحيط الهندي بالبحر الأبيض المتوسط، كانت آسيا الصغرى بوابة بين آسيا وأوروبا[١٢٧]. كانت آسيا الصغرى تخوما شديدة الازدحام عبَرها الكثير من طرق

التجارة المهمة. فلم يأتِ اختراع العملة في ليديا اعتباطا[٢٤]. ويكشف التناول العابر للتواريخ لوادي نهر مياندر في آسيا الصغرى الذي أجراه ثونهان عن تضاد مهم مع نهر النيل، ويقدم مثالا حديثا ممتازا للكتابة الجغرافية التاريخية[١٢٨]. يشمل النشاط البشري التدخلات في البيئة التي خلقها النهر والتكيفات معها والاستجابات لها، بل إنه يشمل أحيانا المقاومة التي يظهرها البشر لهذه البيئة. من اسم هذا النهر أخذنا الكلمة "يتعرج عشوائيا"[٢٥]. إن الاختلافات واضحة، فنهر مياندر طوله ٣٢٩ ميلا، ويصرِّف عشرة آلاف ميل مربع[٢٦]، ويجري من الشرق إلى الغرب. يعبر النهران- مياندر والنيل- خلال تنوع ثقافي كبير، ويربطان مدنا ومناطق داخلية ريفية، ويرسّبان غرينا خصبا من الأمطار الشتوية، ويربطان نمطي الإنتاج الرعوي والزراعي، وضما بحلول الحقبة الهلنستية على الأقل مدنا يونانية رئيسة. ربط مياندر آسيا بأوروبا عن طريق البحر الأبيض المتوسط، تماما كما ربط النيل المناطق الداخلية الأفريقية بالبحر. لكن بعيدا عن هذه التشابهات الأساسية، يكشف الفحص المقارن لوادي نهري النيل ومياندر عن اختلافات واسعة ومهمة، شكلت البنية الاجتماعية والإنتاج الزراعي والحياة الاقتصادية في حوضيهما. وعلى الرغم من الاختلافات المناخية، كان النهران جزءا مهما من تاريخ البحر الأبيض المتوسط.

النيل

يشغل وصف هيرودوت لمصر الذي كُتب في منتصف القرن الخامس قبل الحقبة المشتركة المجلد الثاني كاملاً من كتابه "التواريخ" Histories، ويعد أول سردية مُثْبَتة للمجتمع والتاريخ المصريين القديمين، ويعد أيضا، جنبا إلى جنب مع قصة يوسف في سفر التكوين، أقدم وصف لمصر، كما شكلتها بيئتها.

(٢٤) ليديا Lydia اسم منطقة تاريخية في غرب آسيا الصغرى، تتطابق حاليا مع المحافظات التركية أوشاك Usak ومانيسة Manisa وإزمير Izmir، شهدت مملكة مؤثرة، كانت عاصمتها ساردس (أو سارد) Sardis. [المترجم]

(٢٥) من اسم نهر مياندر Maeander (أو Meander)، أُخذت كلمة Meander التي تستخدم لوصف النمط المتمعج to wander randomly، وقد صحَّح المترجم خطأ إملائيا في كلمة wonder بالرجوع إلى المؤلف. [المترجم]

(٢٦) تصريف النهر هو مصطلح آخر لحوض النهر عموما أو حوض تصريف النهر drainage basin أو المستجمع المائي أو مسقط المياه، وهو المساحة من الأرض تسقط فيها الأمطار أو تذوب فيها الثلوج وتتجمع في شكل روافد وأنهار حتى مصبها الأخير، وهو كامل المنطقة التي تستفيد من مياه النهر. [المترجم]

و"مصر"- بحسب أشهر جملة عند هيرودوت- "هبة النيل"[١٢٩]. ومع أن هيرودوت كان يشير بذلك إلى حقيقة أن الدلتا تشكلت عن طريق الرواسب الغرينية، فإن مقولته تنطبق بدرجة أو بأخرى على الواحات والصحارى، ذلك أن مصر كلها كانت هبة النيل[١٣٠]، حتى إن المصريين ربطوا الفيضان السنوي- ونوعيته- بشرعية الحاكم، وقدسوا الفيضان في شكل الإله حابي(٢٧).

دار الكثير من الجدل خلال السنوات الأخيرة حول الحالة المتوسطية لمصر[١٣١]. وخلاصة الجدل أن مصر لا تندرج بسهولة ضمن المعايير العادية للحالة المتوسطية التي وصفتها للتو. ومؤخرا ذهبت إحدى الدراسات إلى أن النيل يشكل "الحافات الغائمة" للبحر الأبيض المتوسط[١٣٢]. فمصر تقع بين البحر الأبيض المتوسط والمحيط الهندي. وهي بذلك، تماما مثل إسبانيا وفرنسا، تتمتع بـ"تعرض بحري مزدوج" يربطه النيل[١٣٣]. والنيل من الأنهار الرئيسة القليلة التي تصرِّف مياهها في البحر الأبيض المتوسط، والنهر الرئيس الوحيد الذي يصب فيه من أفريقيا، وأحد أطول الأنهار في العالم، ويشذ عن أغلب أنهار العالم في أنه يجري من الجنوب إلى الشمال لأربعة آلاف ومائة واثنين وثلاثين ميلا (ستة آلاف وستمائة وخمسين كيلومترا)، من أفريقيا الاستوائية والمرتفعات الإثيوبية إلى البحر الأبيض المتوسط، ويصرِّف نحو مليون ومئتين وثلاثة وتسعين ألف ميل مربع(٢٨)، أي نحو عُشر مساحة اليابسة الأفريقية (الخريطة ٣). يتغذى الفيضان السنوي للنيل على الأمطار الصيفية في الهضبة الاستوائية (بالدرجة الأولى عن طريق النيل الأبيض) والمرتفعات الإثيوبية (بالدرجة الأولى عن طريق النيل الأزرق وعطبرة). وعلى الرغم من أهمية النيل الزراعية الهائلة، فإن حجم فيضانه صغير نسبيا مقارنة بأنهار العالم الكبيرة الأخرى[١٣٤]. وقبل إكمال سد أسوان في عام ١٩٠٢، كان الفيضان السنوي يبدأ بملاحظة ارتفاع المياه أولا عند الجندل الأول (في أسوان) في شهر يونيو، ثم كانت المياه تبلغ ذروتها في أواخر الصيف (من أغسطس إلى سبتمبر)، وتنحسر عموما بحلول شهر أكتوبر، وعندها كان يبدأ بذر المحاصيل الرئيسة.

---

(٢٧) حابي Hapy (حعبي في اللغة المصرية القديمة) هو إله النيل لدى المصريين القدماء، يُصوَّر في الأدبيات الجنائزية وهو يحمي عرش أوزيريس في العالم الآخر. [المترجم]

(٢٨) جاء في حاشية سابقة أن تصريف النهر هو حوضه كاملا من المنبع إلى المصب. [المترجم]

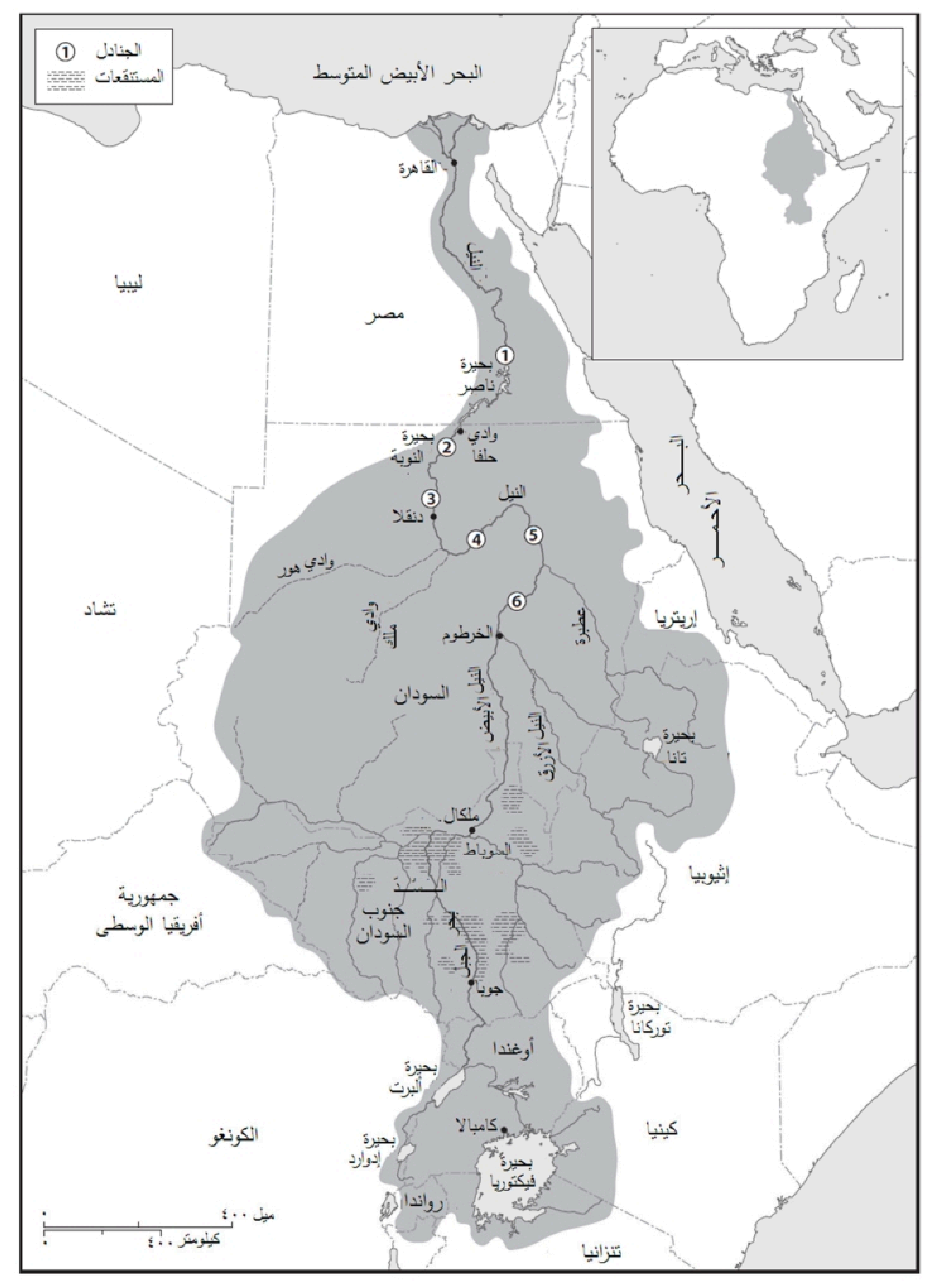
في التاريخ الاقتصادي لمصر، أصبحت الرابطة السببية المباشرة بين الجغرافيا الطبيعية لمصر وسلطة الدولة المركزية أحد البديهيات. ولا شك في أن أصول الدولة المصرية القديمة يمكن إرجاعها إلى ما أسماه مايكل مان "القفص الاجتماعي" الذي أوجده نهر النيل والسهل الفيضي الضيق القابل للزراعة الذي يجري شمالا خلال بيئة صحراوية قاسية لولا النيل[١٣٥](٢٩). يسرّ هذا القفص الاجتماعي البيئي قدرة الحاكم على السيطرة على السكان، واحتكار الاتصال على طول الممر النهري، والوصول إلى فائض الإنتاج[١٣٦].

كان اندفاع الفيضان السنوي، الذي كان أعجوبة في أعين الجغرافيين القدماء، ينتج بالدرجة الأولى عن أمطار موسمية في المرتفعات الإثيوبية. يأتي ثلاثة وثمانون بالمائة من الفيضان الذي يتدفق في النيل المصري من الأمطار الموسمية في المرتفعات الإثيوبية حول بحيرة تانا التي أوجدت النيل الأزرق، ويأتي ثلاثة عشر وثمانية أعشار بالمائة من نهر عطبرة، وثلاثة عشر وثلاثة أعشار بالمائة من نهر السوباط (الخريطة ٣) (الشكل ٢٩)، ويأتي ستة عشر ونصف بالمائة من المياه من منطقة البحيرات العظمى، يتبخر نصفها في منطقة السُدّ في السودان الحديث[١٣٧](٣٠). حتى وقت متأخر، ظلت سمات النيل الفريدة تفرض الإنتاج الزراعي، وهي أن خمسة وتسعون بالمائة من الإنتاج يحدث في الأرض المروية، وأن مصادر الماء توجد خارج حدود مصر تماماً[١٣٨].

---

(٢٩) "القفص الاجتماعي" social cage مجاز للمركز الحضاري، وبالمثل يعرف رنفرو Renfrew الحضارة بأنها "العزل ضد الطبيعة" insulation from nature، وتتمثل في المراكز الطقوسية (العزل ضد المجهول) والكتابة (العزل ضد الزمن) والمدينة (العزل ضد الغرباء). وإلى جانب الحماية من الطبيعة ومن الغير، يشير مفهوم العزل أو التقفيص (القفص الاجتماعي) إلى انفراد النخبة الحاكمة باستغلال هذه الجماعة المعزولة أو حبيسة القفص، إذ لا مهرب لهم (في القفص) من الإذعان للنظم التي تضعها النخبة الحاكمة. توفرت هذه الآلية في الحالة المصرية بالصحراء المحيطة بالنيل، وتوفرت في حالات أخرى بأسوار المدن التي كانت للحماية من الخارج، وبالقدر نفسه لحبس الداخل. [المترجم]

(٣٠) السُدّ Sudd منطقة مستنقعات شاسعة في جنوب السودان تتشكل من الجزء من النيل الأبيض المعروف باسم بحر الجبل، وتُعرَف عموما باسم بحر الجبل. [المترجم]



الخريطة (٣). يصرِّف حوض نهر النيل مليونا ومئتين وثلاثة وتسعين ألف ميل مربع، أي ما يعادل نحو عُشر مساحة اليابسة الأفريقية. من (2015) Macklin et al.

كانت الإنتاجية الزراعية العالية في السنوات الجيدة تتحقق من خلال تسخير الفيضان عبر إدارة شبكة من الحواجز والسدود والقنوات والمناطق المطوقة لتعظيم إعادة شحن المياه الجوفية والرواسب الغرينية على طول وادي النيل المصري لمسافة نحو سبعمائة وخمسة وأربعين ميلاً (ألف ومئتي كيلومترا). كان من السمات الرئيسة للفيضان تفاوته من سنة إلى أخرى. وتكشف النصوص القديمة أن تفاوت الفيضان كان دائما موضع اهتمام المجتمع المصري، لأن نقص مياه الفيضان كان يعني عادة المجاعة والفناء. ينتج تفاوت جريان النيل (الشكل ١٥) والتفاوت المكاني في توزيع المياه على الأراضي عن عوامل فيزيائية معقدة[١٣٩]. على أن الرطوبة القادمة بالدرجة الأولى من المحيط الهندي من الهجرة الشمالية لنطاق التقارب بين المدارين في صيف نصف الكرة الأرضية الشمالي (الشكل ١٦.أ) تسهم أكثر من غيرها في مياه الفيضان السنوي التي تصل مصر (الشكل ١٦.ب)(٣١). ويتسبب التذبذب الجنوبي إل نينيو في خمسة وعشرين بالمائة من التفاوت[١٤٠](٣٢). أما القوى الدافعة المهمة للتفاوت طويل المدى في جريان النيل الأزرق، فهي تذبذب شمال الأطلسي(٣٣)، وشذوذ مستويات الضغط عند مستوى سطح البحر على شبه الجزيرة العربية، والدفع البركاني والشمسي والمداري[١٤١](٣٤).

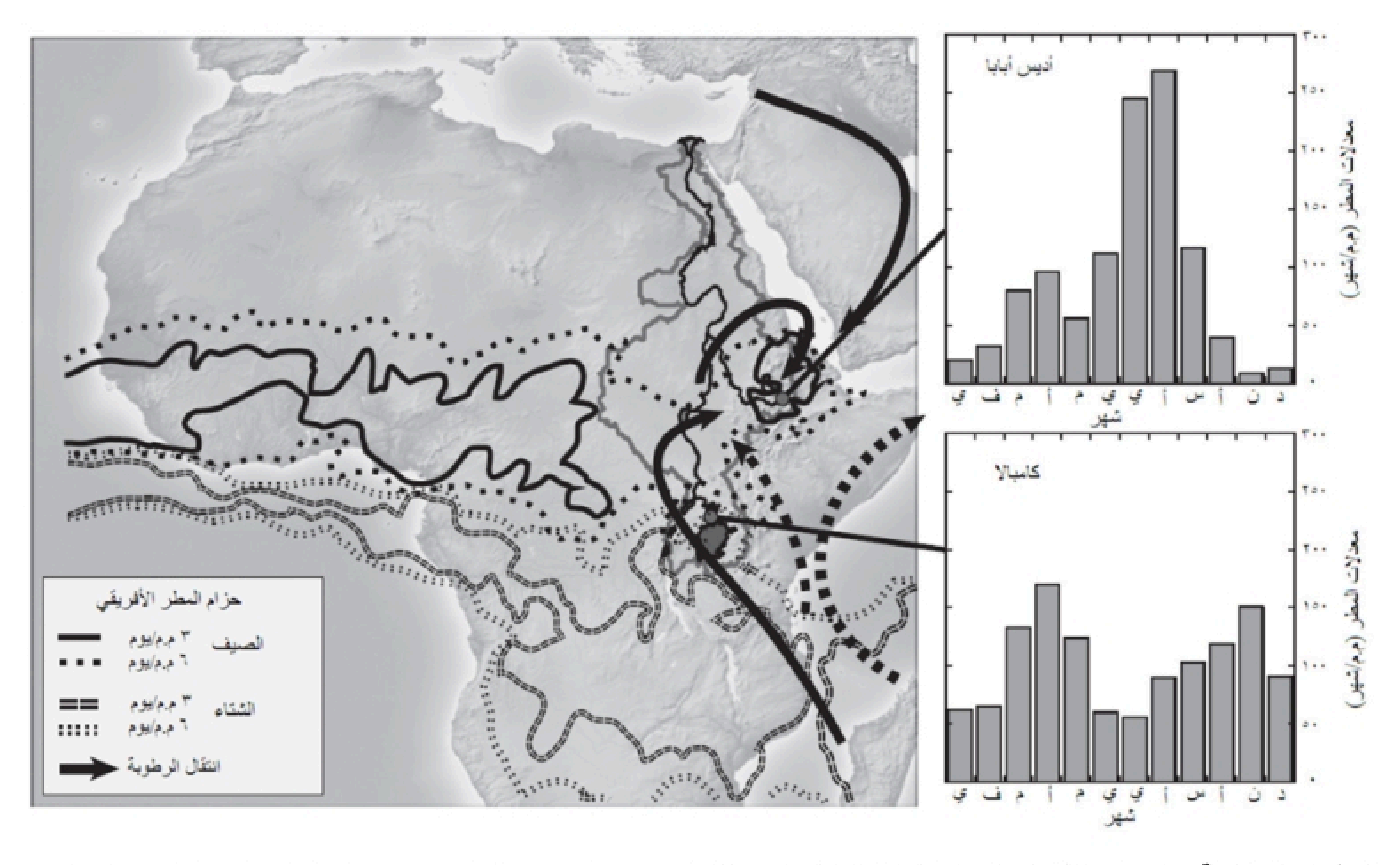
---

(٣١) نطاق التقارب بين المدارين Intertropical Convergence Zone; ITCZ منطقة ضغط منخفض تمتد حول خط الاستواء على امتداد الكرة الأرضية، تجذب الرياح التجارية الشمالية الشرقية من نصف الكرة الأرضية الشمالي والرياح الجنوبية الشرقية من نصف الكرة الأرضية الجنوبي، تؤدي إلى تصاعد الرطوبة وتكون السحب الركامية وسقوط الأمطار. [المترجم]

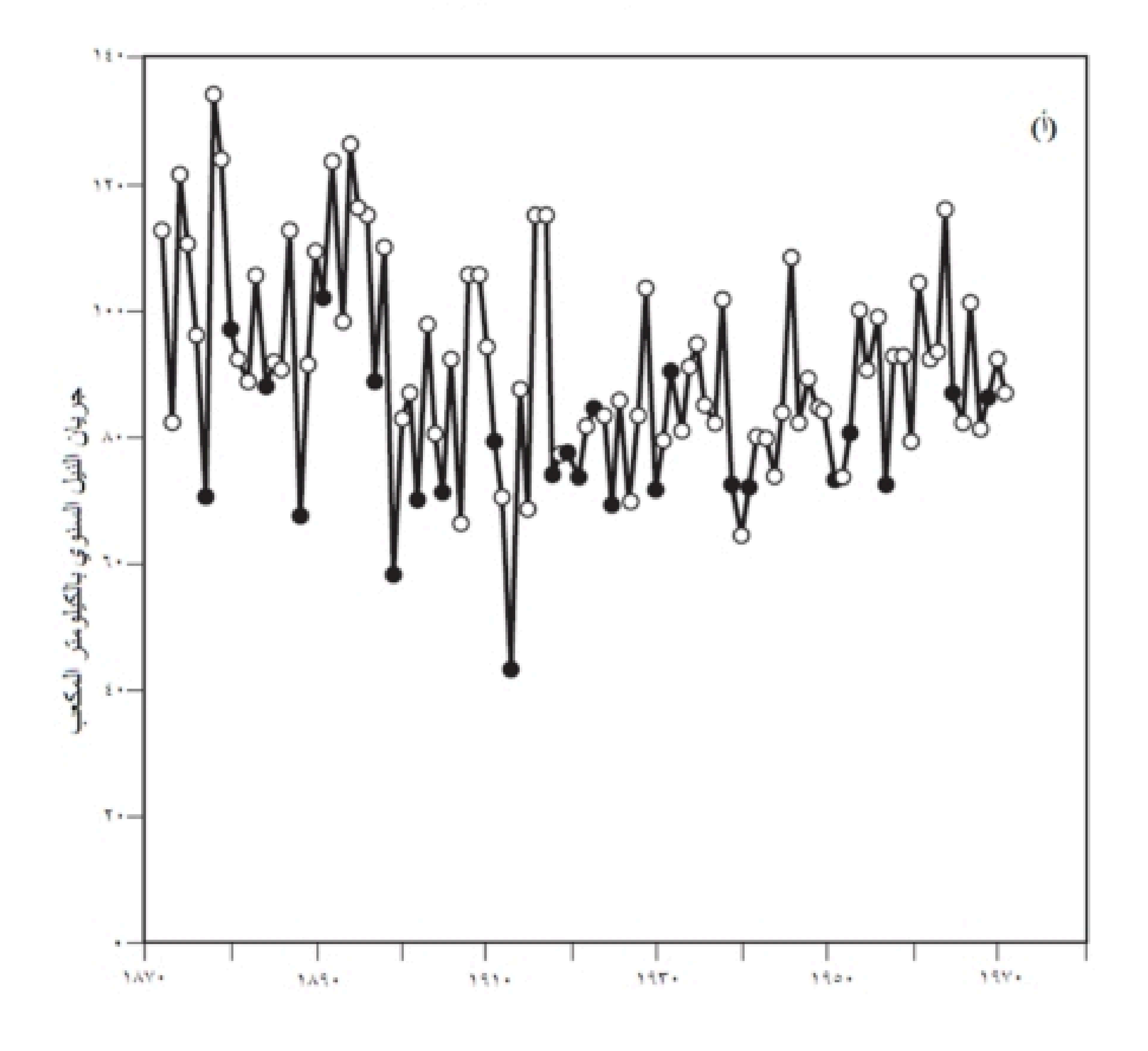
(٣٢) التذبذب الجنوبي إل نينيو El-Niño Southern Oscillation; ENSO تباين في درجة حرارة الرياح والمياه السطحية فوق شرق المحيط الهادي الاستوائي، يؤثر على مناخ المنطقة الاستوائية وشبه الاستوائية، تسمى المرحلة الحارة منه إل نينيو El Niño والمرحلة الباردة لا نينيا La Niña. [المترجم]

(٣٣) تذبذب شمال الأطلسي North Atlantic Oscillation; NAO ظاهرة من التقلبات في الضغط الجوي عند مستوى سطح البحر في شمال المحيط الأطلسي بين منخفض أيسلندا الجوي ومرتفع الأزور الجوي، تؤثر على سرعة الرياح الغربية وشدتها. [المترجم]

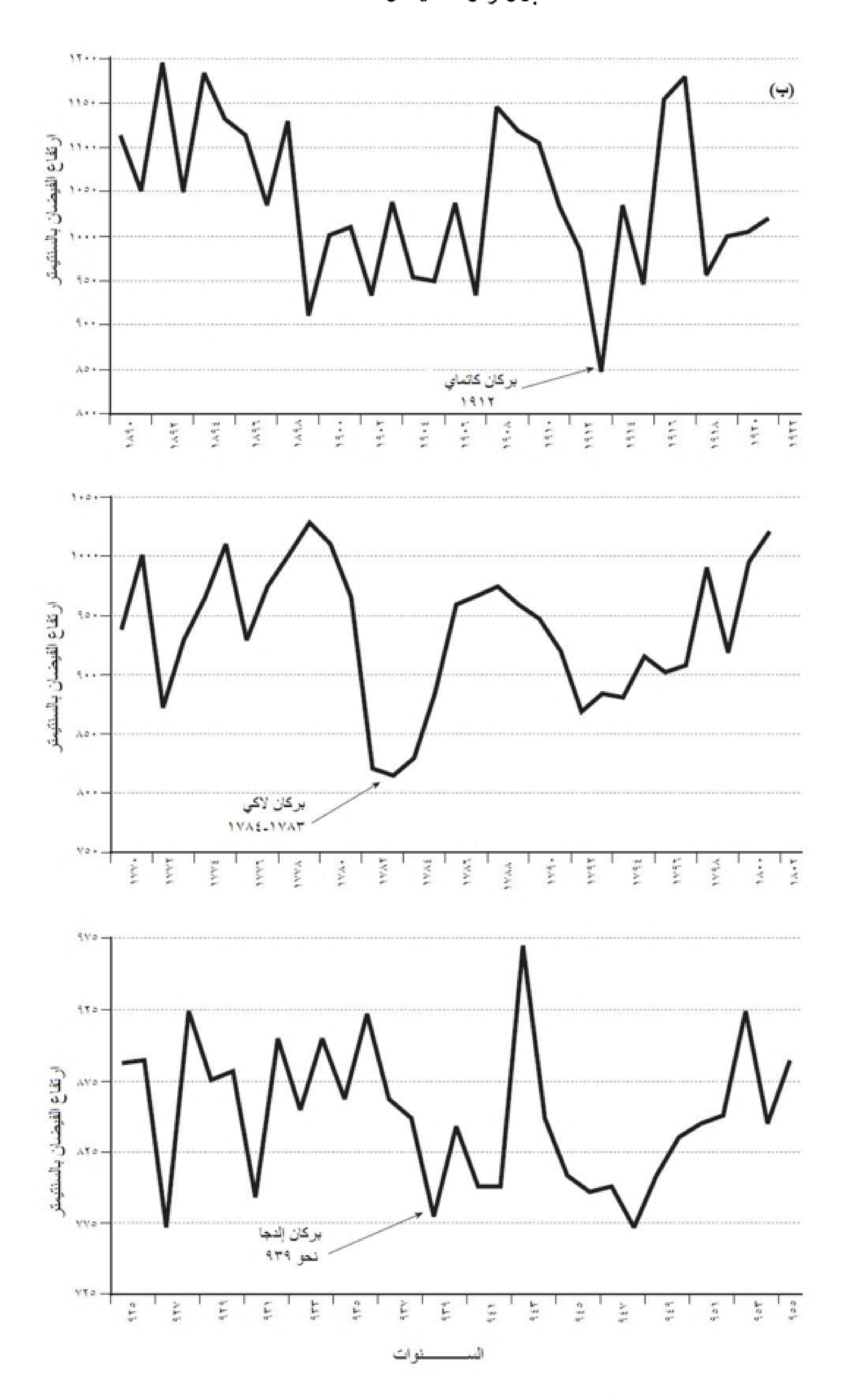
(٣٤) راجع معنى الدفع البركاني والشمسي والمداري في حاشية سابقة: سيأتي شرح لها في مواضع تالية من الفصل والكتاب. [المترجم]



الشكل (١٥) اتجاهات انتقال الرطوبة والفيضان السنوي للنيل. من From Blanchet, Contoux, and Leduc (2015). تشير الخطوط السميكة إلى خط تساوي هطول المطر لستة مليمترات يوميا، والخطوط المنقطة إلى خط تساوي هطول المطر لثلاثة مليمترات يومياً[٣٥].



(٣٥) في الخريطة، الحروف المسجلة تحت القضبان اليمنى هي الحروف الأولى من الشهور الميلادية بداية من شهر يناير على اليسار، ويشير الاختصار "م.م" mm إلى مليمتر. [المترجم]



الشكل (١٦) تقلبات النيل من سنة إلى أخرى عبر ثلاث فترات مختلفة. لاحظ انخفاض الفيضان المسجل بعد الثورانات البركانية إلدجا ولاكي وكاتماي[٣٦]، ربما تلطفت تأثيرات الأخير بعض الشيء بفعل السد الذي أنشيء في أسوان في عام ١٩٠٢ . بتصرف من Oman et al. (2006).

(٣٦) إلدجا Eldgja بركان في أيسلندا، يشكل جزءا من النظام البركاني في جنوب البلاد، وقد صحَّح المترجم كتابة اسم البركان الذي كُتب خطأ في هذا الموضع من الكتاب Edjga، بعد الرجوع إلى المؤلف. [المترجم]

إن مستويات الفيضان السنوية المسجلة في الأزمان الفرعونية، مع أنها غير مكتملة، تكفي لإبراز هذا التفاوت الذي فرض الإنتاجية الزراعية ومستويات الضرائب في مناطق مصر المختلفة (الشكل ١٦)[١٤٢]. تتجلى هذه الحالة- على سبيل المثال- في مصر الوسطى التي يتسع فيها السهل الفيضي لكنه يكون أكثر عرضة لهزات الفيضان لأن مياه الفيضان المنخفض لا تصل السهل الفيضي. وتكشِف هذه المنطقة عن نمط دوري من الاستيطان والهَجر[١٤٣]. وقد كان التكيف مع هذا التفاوت أو الاستجابة الاجتماعية له إحدى أهم القوى الدافعة للتاريخ المصري، إن لم يكن أهمها على الإطلاق، وكان الفيضان السيئ عاملاً في تراجع السيطرة السياسية المركزية، وما يصاحبه من تراجع اقتصادي وسكاني[١٤٤].

تثير الأنهار قضية الحدود بطريقة مميزة. فالنيل، تماما كما هي الحال مع نهر مياندر في آسيا الصغرى، لا "يتطابق مع وحدة سياسية أو إثنية أو ثقافية واحدة"[١٤٥]. وتعد الدلتا المنطقة الأهم لفهم التاريخ الثري والعميق للتبادل بين مصر والأجزاء الأخرى من عالم البحر الأبيض المتوسط[١٤٦]. كانت مصر مع نهاية العصر البرونزي جزءا من شبكة ضخمة شملت قبرص والساحل المشرقي، كما يثبت حطام سفينة أولوبرن Uluburun الشهير[١٤٧]. وظلت الدلتا مهمة على امتداد الألف الأول قبل الحقبة المشتركة، ولها اتصالات تجارية مع الشرق الأدنى.

توجد عدة نطاقات بيئية eco-zones متمايزة في مصر. تشمل التقسيمات الرئيسة الوادي النهري والدلتا ومنخفض الفيوم والواحات الغربية والصحارى[١٤٨]. كانت الدلتا الجسر الرئيس بين وادي النيل والبحر الأبيض المتوسط خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة، وتضم مساحة من الأرض المزروعة ضعف ما يحتويه وادي النيل[١٤٩].

وقد وفر النيل أربعة أشياء رئيسة:

(١) المياه من الفيضان، والتربة الغرينية الغنية

(٢) الأسماك

لاكي Laki بركان صدعي في جنوب أيسلندا قريب من بركان إلدجا، وقد صحَّح المترجم كتابة اسم البركان الذي كُتب خطأً في هذا الموضع من الكتاب Lake، بعد الرجوع إلى المؤلف. [المترجم]

كاتماي Katmai (يسمى أيضا بركان جبل كاتماي Mount Katmai) بركان طبقي على شبه جزيرة ألاسكا في جنوب ألاسكا. [المترجم]

(٣) "ممر اتصال" رائع

(٤) إيقاع الحياة، ووحدة المشهد الطبيعي والبشر، وحس الاستقرار والخصوبة اللذان استغلهما الحكام بشدة، وتعبيراتها الثقافية البصرية الفريدة عن الأيديولوجية السياسية.

كان النيل ممر نقل طبيعي يجري من الجنوب إلى الشمال، في حين تهب الرياح السائدة المعروفة باسم الرياح الإيتزية من مايو إلى سبتمبر صوب الجنوب من بحر إيجة[٣٧]، وقد يسرت الإبحار في عكس اتجاه جريان النيل[١٥٠].

ليس مصادفة- إذن- أن دولة مبكرة طبقية اجتماعيا ظهرت في مصر في نحو عام ٣٠٠٠ ق.ح. وقد مكّن غياب المعارضة السياسية على المستوى المحلي في مصر الملك من تأكيد سلطته الاحتكارية على الاتصالات على طول النهر، وكذلك على المواد الأولية (في الأساس الأحجار والمعادن التي استخدمت في صنع الأدوات)، وأعطت إنتاجية التربة المصرية فائضا كبيرا ومكّنت من ظهور "طرق دائمة لجباية الضرائب"[١٥١]. تعطي الزراعة على انحسار الفيضان ناتجا عاليا لكل وحدة عمل، لكنها لا تتطلب تدخلا ملكيا مباشرا في إدارة المياه.

في كل مكان وجد فيه الري، تبعته دول شديدة المركزية، حتى في المناطق وفيرة المطر مثل روما القديمة أو جزر هاواي على سبيل المثال[١٥٢]. كان الري "سبب" المركزية والصرامة السياسية. لكن كما ذهب بوتزر على نحو مقنع، فإن هذه النظرية تبالغ في تقدير أهمية أبنية السلطة العمودية وتقلل من شأن نظيراتها الأفقية[١٥٣]. ومن الواضح، كما يخْلُص بوتزر، أن "المشكلة تكمن في الافتراض العنيد القائل بأن أشكال التكثيف المبكرة نتجت عن مطالب اجتماعية تراتبية وليس عن عملية صنع قرار محلية تراكمية محدودة النطاق"[١٥٤].

كانت السيطرة على الماء تدار دائما على المستوى المحلي، وتركزت حول أحواض الفيضان الطبيعية، لأن الظروف المحلية للأرض والماء كانت مختلفة، وبسبب الحاجة إلى إدارة شبكات الري وقوة العمل المحلية المطلوبة لصيانتها على المستوى المحلي[١٥٥]. على خلاف بلاد ما بين النهرين، لم يسمح انحدار النهر بقيام شبكة قنوات شعاعية ممتدة، إلا في الفيوم، ولذلك كان لزاما إدارة نظام ري الحياض

---

(٣٧) اسم الرياح الإيتزية Etesians مأخوذ من الكلمة اليونانية etos التي تعني "سنة" في إشارة إلى دوريتها السنوية، وهي رياح شمالية غربية تهب فوق بحر إيجة في فصل الصيف. [المترجم]

على المستوى المحلي[١٥٦]. ويكشف عدم وجود بيروقراطية مركزية للري، ولا ألقاب رسمية مرتبطة بهذه السيطرة المركزية أن السيطرة على الماء كانت تدار دائما على مستوى غير مركزي:

> تحدّت إدارته- أي الماء- المركزية، وأدير محليا. فعلى خلاف الحال في نموذج كارل فيتفوغل، لم ينطوِ الري على بيروقراطية إدارية، ولم يصبح أداة للسيطرة الاستبدادية[١٥٧].

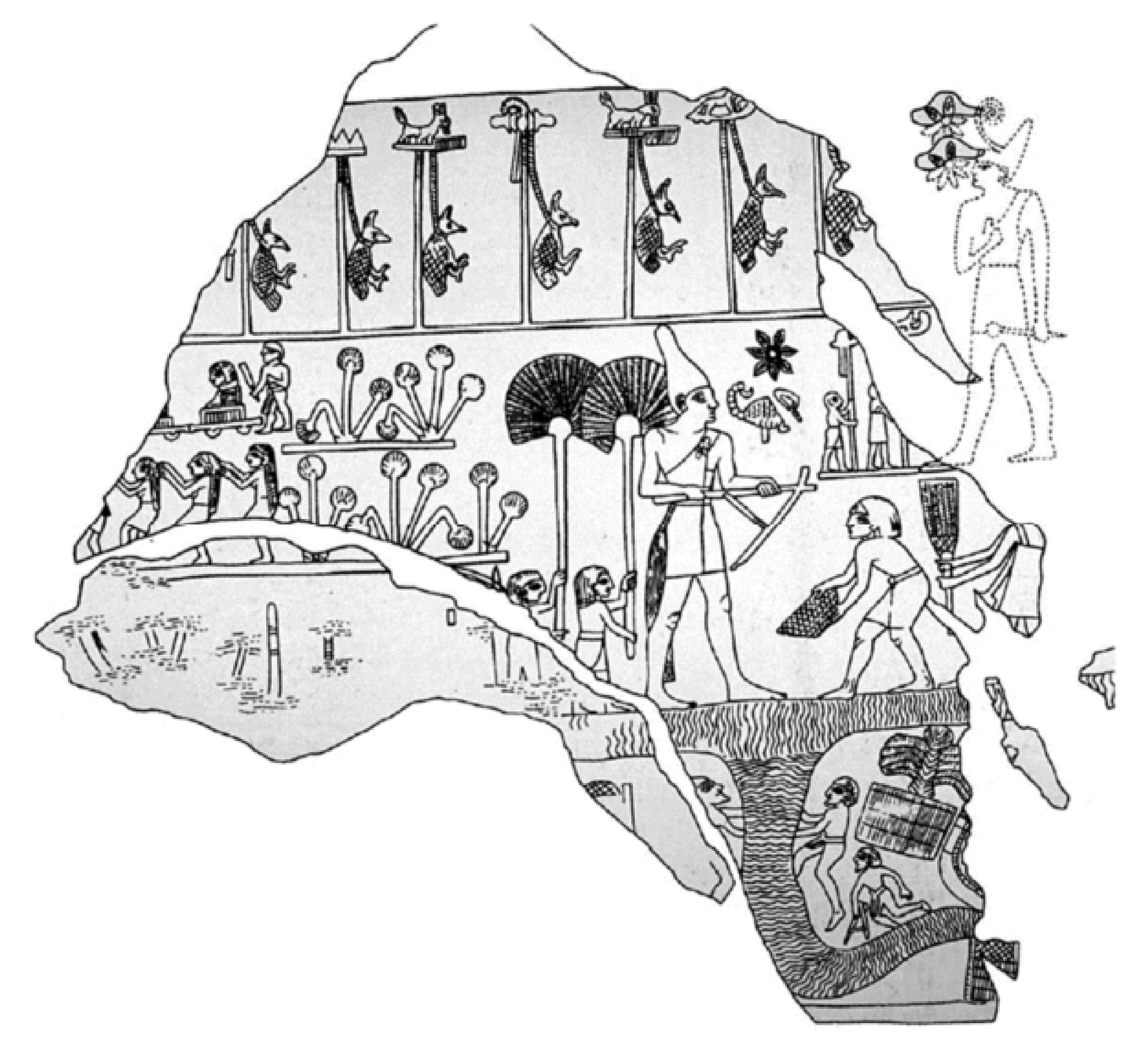
وفي الاتجاه عينه، كانت المعابد تاريخيا على الأقل تسيطر على تخزين الحبوب على المستوى المحلي، على الرغم من أن التأكيد على "الشُوَن المَلكية" والسخاء المَلكي في عهد البطالمة في أوقات الأزمات قد يكشف عن بعض التحولات المؤسسية بعيدا عن الإدارة المحلية[٣٨]، كما أن نقص الأدلة هنا يستلزم بعض الحذر.

يمكن التمييز بين نوعين من ري الأرض[١٥٨]، الأول هو الري الطبيعي أو "بالطرق القديمة" الذي كان استجابة اجتماعية بسيطة للإيقاع السنوي للفيضان وانحسار النيل، وذلك ببذر الأرض في أحواض فيضية منخفضة على طول الوادي النهري المحدب. كان الفيضان السنوي يجدد المواد المغذية في التربة، وكان في السنوات الجيدة يعطي عائدات عالية. وكانت هناك حاجة إلى الانتباه الحذر لتوقيت دخول المياه إلى الأحواض وخروجها منها، وهو عمل أدير على مستوى التنظيم المحلي، لكنه كان بالطبع أحد شواغل الملك، ونرى موظفين يأخذون التعليمات بشأن هذه الأمور على امتداد التاريخ المصري. وقد أدت التحسينات في هذا النظام الطبيعي إلى النوع الثاني من الري، وهو الري الاصطناعي، وتمثلت هذه التحسينات في بناء قنوات مغذية وقنوات صرف، وبناء حواجز مستعرضة لتقسيم الأحواض الطبيعية من الأرض إلى وحدات إنتاج أصغر. وتوجد أدلة على هذا الري الاصطناعي للحقول منذ بداية التاريخ المصري الموحد (أي ما يسمى مقبض صولجان العقرب الذي يصوِّر الملك وهو يطهر قناة في نحو عام ٣١٠٠ ق.ح، الشكل ١٧[٣٩])، كما أن القنوات الاصطناعية

(٣٨) الشُوَن granaries جمع شَونة وهو الاسم التقليدي لمخازن الحبوب الحكومية في مصر. [المترجم]

(٣٩) يتخذ مقبض صولجان العقرب Scorpion Macehead الشكل الكمثري، ويُنسب إلى الملك العقرب السابق على توحيد مصر، إذ تظهر عليه صورة العقرب بالقرب من ملك يرتدي التاج الأبيض لمصر العليا. [المترجم]

جيدة التوثيق التي استخدمت لبناء الأهرام خلال الدولة القديمة تدحض حجج "ثورة الري" المفترضة في مصر خلال عصر الاضمحلال الأول (٢١٦٠-٢٠٥٥ ق.ح)[١٥٩][٤٠].



الشكل (١٧) مقبض صولجان العقرب. Ashmolean Museum, Oxford University AN1896–1908. E3632.

ذهب بوتزر إلى وجود نموذجين متعارضين ولا يجتمعان معا لتطور الري الاصطناعي[١٦٠]. يفترض النموذج الأول أن التحسينات في ضبط الفيضان والانحسار الطبيعيين للنهر حدثت استجابة لضغط بيئي، إذ دفع الفيضان المنخفض المزارعين المحليين إلى حفر قنوات في الحواجز الطبيعية لتمكين الماء من دخول الأحواض، وربما أدى ذلك بدوره إلى أبنية دائمة للسيطرة على مياه الفيضان وتقسيم

(٤٠) عصر الاضمحلال intermediate period في التاريخ المصري فترة انتقالية انهارت خلالها الدولة المركزية، وقد شهدت مصر ثلاثة عصور منها، هي عصر الاضمحلال الأول (٢١٦٠-٢٠٥٥ ق.ح) الذي فصل بين الدولة القديمة والوسطى ونتج عن أسباب طبيعية، وعصر الاضمحلال الثاني (١٦٥٠-١٥٥٠ ق.ح) الذي فصل بين الدولة الوسطى والحديثة ونتج عن غزو الهكسوس لمصر، وعصر الاضمحلال الثالث (١٠٦٩-٦٦٤ ق.ح) الذي تزامن مع انهيار العصر البرونزي الذي طال حضارات مصر والشرق الأدنى واليونان. [المترجم]

الأرض إلى وحدات صغيرة. ويُربَط النموذج الثاني بالتقسيم الطبقي الاجتماعي المُوَثَّق جيداً منذ تاريخ مصر المبكر. وقد أدى التنظيم الاجتماعي التراتبي في مصر إلى العمل في الأرض ضمن الأسر وغيرها من الجماعات الاجتماعية وتقسيم حيازة الأرض على نحو متناثر جغرافيا للحد من خطر فشل المحاصيل على المستوى المحلي. أدت هذه الطريقة لاستغلال المياه والأرض- بدورها- إلى المزيد من الاستقرار في الإنتاج وإلى زيادة مصاحبة في السكان. وأحدث الطلب الزائد للسكان المتزايدين ضغطا أكبر على الأرض، أدى إلى الحاجة إلى توسيع قاعدة الأرض المزروعة، وهي الحاجة التي أدت إلى تطوير المزيد من شبكات الري. يفترض النموذجان كلاهما استجابة واسعة لتفاوت النهر من سنة إلى أخرى بسيطرة وإشراف محليين، وتدخلا محدودا فقط من الدولة المركزية.

ويذهب مايكل مان إلى أن مصر بمجرد أن أصبحت دولة مركزية إقليميا صارت "مؤهلة للاستمرارية"[١٦١]. لكن تناوب السلالات المركزية مع فترات من الدول الأصغر يمثل إحدى السمات المميزة للتاريخ المصري. يترافق ما يسمى عصر الاضمحلال بين دورتين سلاليتين مركزيتين مع تراجع سكاني وغياب المؤسسات المركزية، وبالتالي التجزؤ السياسي وقلة البنايات النُصبية. لكن ينبغي أن نلاحظ أيضا أن استيطان وادي النيل والدلتا المصريين لم يكن متماثلا، إذ تمثلت إحدى السمات المهمة لأنماط الاستيطان في مصر، لا سيما في منتصف الوادي النهري، في التناوب بين استيطان المواقع الجديدة وهجرها، بسبب الفشل- الجزئي على الأقل- في القدرة على السيطرة على شبكات الري وصيانتها.

بمجرد أن تشكلت الدولة المصرية، كان الفرعون في مركز أيديولوجية الدولة والسلطة السياسية، طالما وجدت الدولة المركزية. وقد صُنف الحكم المصري على أنه "شمولي". لكن ذلك القول ينطوي على تبسيط مُخِلّ، ذلك أن الطبيعة الاستبدادية لأيديولوجية الدولة كانت على الأرجح ناتجة عن الطابع المحلي للنظام المصري، ومطلب رفع الملك فوق أبنية السلطة المحلية المنتشرة والتراتبية اجتماعيا[١٦٢]. وحتى البطالمة الذين كان لتدخلهم في مصر خلال أواخر القرن الرابع قبل الحقبة المشتركة خصائص فريدة حافظوا على هذه الأيديولوجية الفرعونية. ومع أن الكثير من الدراسات حول المُلك المصري ركزت على هذه الأيديولوجية التي تتجلى في صور المُلك وطقوسه المصورة على جدران المعابد على امتداد التاريخ المصري، فإن وظيفة المُلك المصري ظلت جبائية بالدرجة الأولى[١٦٣].

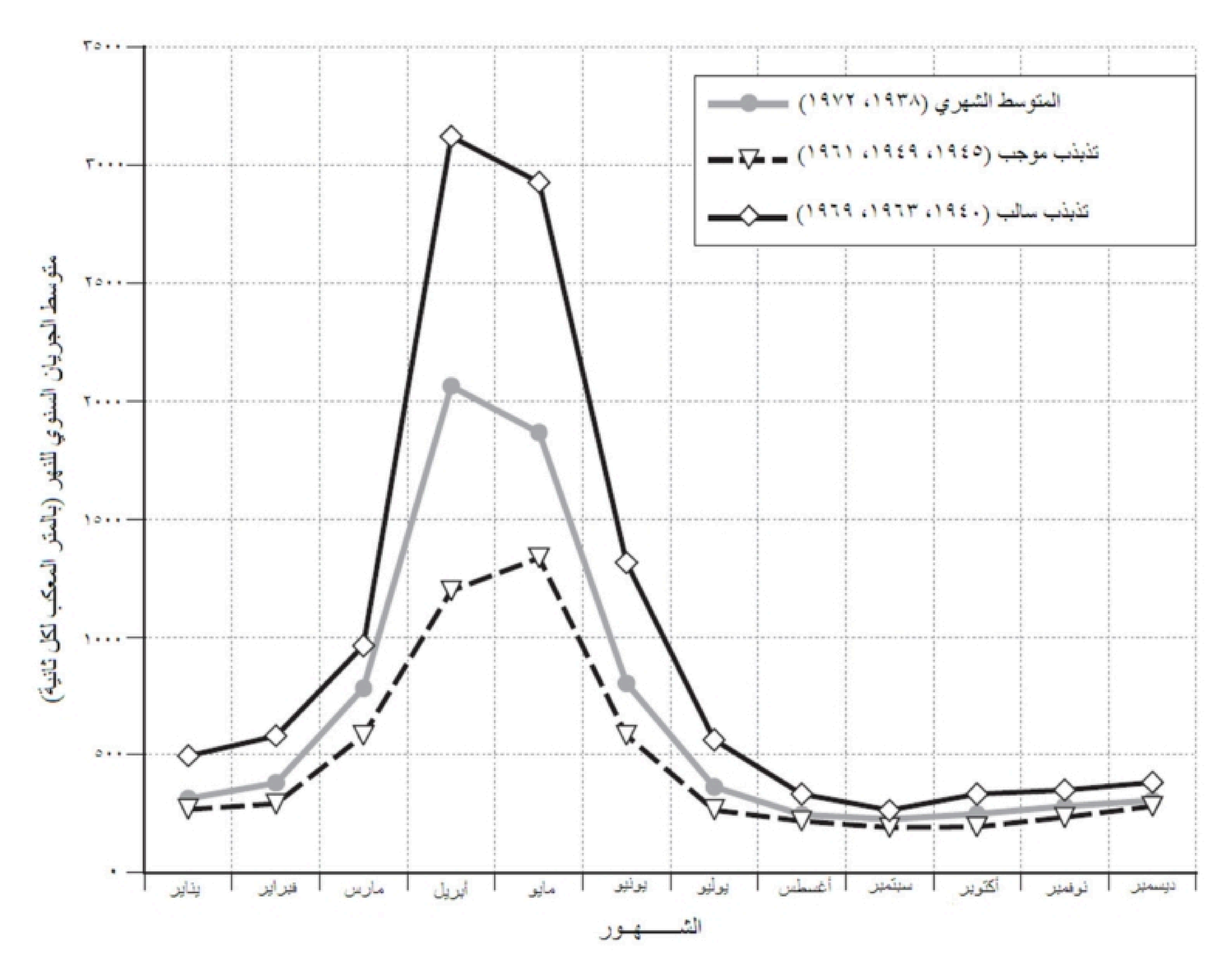
من الواضح أن حالة مصر بتقليدها القديم من الملوك الأقوياء والبيروقراطية التراتبية تبدو استثناء للنموذج الاجتماعي "للدولة الزراعية التي استخدمت القراءة والكتابة" agro-literate polity عند إيرنست غيلنر Ernest Gellner الذي ذهب إلى أن "الجماعات المعزولة ضمن المجتمعات الزراعية" كانت النمط السائد[١٦٤]. فـ"تأثير القفص" الناتج عن الوادي النهري الذي أنجز "نظاما اجتماعيا توحيديا" في حالة مصر قد أضعف هذا الميل الطبيعي للتجزؤ السياسي ورفع تكاليفه[١٦٥]. وكانت البيروقراطية مقيَّدة في تأثيرها، واعتمد الفرعون على تشجيع الولاء لدى النخبة المحلية ووجهاء القرى والكهنة والجنود من خلال نظام سياسي أعطاهم الريع في مقابل الولاء للتاج ومطلب حشد العمالة المحلية في حال الاحتياج إليها. كان الأساس للسلطة المركزية في مصر في حقيقة الأمر هو قدرة الملك من خلال هذه النخبة على حشد العمالة المحلية، للحملات العسكرية (قبل تنظيم الجيش الدائم في أثناء الدولة الحديثة)، وتطهير القنوات، وبعثات اقتطاع الحجارة، وبالطبع لجمع الضرائب على الإنتاج الزراعي وإعادة توزيعها من خلال المعابد المحلية. لكن في فترات ضعف فيضان النيل، كانت البنية السياسية التي تربط القرى بعواصم المقاطعات (الأنوام) ثم بالمركز السياسي عبر "التراتبية المتشابكة" للمراكز السكانية تتمزق[١٦٦]. وثمة "مبدأ داعم للمركزية" يتكشَّف في عبارات مثل "مياه الفرعون" (أي "قناة عامة")، يوضح نطاق الأيديولوجية المَلكية، لكنه لا يقيس التدخل الملكي في الاقتصادات المحلية. ولا بد أن تفويض الحقوق في الأرض، لا سيما الأرض الجديدة، كان امتيازا ملكيا، وكانت الآلية الطبيعية لتنفيذه هي هِبات الأراضي للموظفين والجنود.

أنتجت هذه الاستجابة السياسية، تماما كما هي الحال في مجتمعات الري الأخرى، تنظيما اجتماعيا ثقيلا في القاع أو "إقطاعيا". فقد نُظِّم ري الحقول حول أحواض فيضية. وكان تطهير القنوات، وحماية الحواجز والسدود، وقياس الفيضان، وإقراض البذور، ومسوح الحقول، ودفع الإيجار والضرائب على الأرض، تُنَظم جميعها على المستوى المحلي من خلال المؤسسات المحلية (المعابد)، مع اهتمام كبير واضح من الملك وأعضاء الدولة المركزية. وقد مكّن "القفص الاجتماعي" للنهر الدولة المركزية من السيطرة على الاقتصاد، من خلال التوزيع والتجارة، وكانت النخب مرادفا "للدولة". ولم تواجه الدولة منافسين داخليين، ولم تكن هناك دول مدينية قوية كما في بلاد ما بين النهرين لتكون ثقلا موازنا للسلطة المَلكية[١٦٧].

"كان نظام فيضان النيل ذاته هو المستبد الحقيقي"، أي تلك الآلية الدافعة الرئيسة التي أوجدتها التربة الخصبة للسهل الفيضي التي تراكمت فوق البيئة الصحراوية القاسية على جانبي النيل. كان على الدولة ومؤسساتها والمزارعين الفرديين أن يتجاوبوا مع القوى الأساسية للفيضان السنوي وانحساره وأن يتكيفوا معها. ولم يكن من الممكن تعديل الفيضان، بل احتواءه وحسب، وكان السكان "محبوسين في القفص" بالمعنى الحرفي للكلمة، داخل الممر النهري، ما يسَّرَ فرض الضرائب عليهم[١٦٨]. وقد انتظم السكان الريفيون حول بنية قروية تراتبية، وضمن شبكات اجتماعية معقدة حول مِلكية الأرض والالتزامات الضريبية، وتكافل جماعي تركز على الإنتاج في بيئة مروية[١٦٩]. فالحاجة إلى السيطرة على مشهد الري "المنتشر" لم تنتج ملوكا استبداديين زعموا مِلكية كامل الدولة وجهازها، بل أدت إلى تطور البيروقراطية و"مبدأ داعم للمركزية"[١٧٠]. فلم يكن هناك أي ارتباط بين الري وسلطة الدولة المركزية غير الاهتمام بالدخل[١٧١]. فإن كان من الممكن النظر إلى الملك على أنه المُخْرِج، فإن النخب المحلية والبيروقراطية المتنامية كانت الممثِّلين الفاعلين على مسرح نظام بيئي حركي ومتفاوِت. وكان من الوارد أن تأتي النتيجة مختلفة عن نص المسرحية[١٧٢].

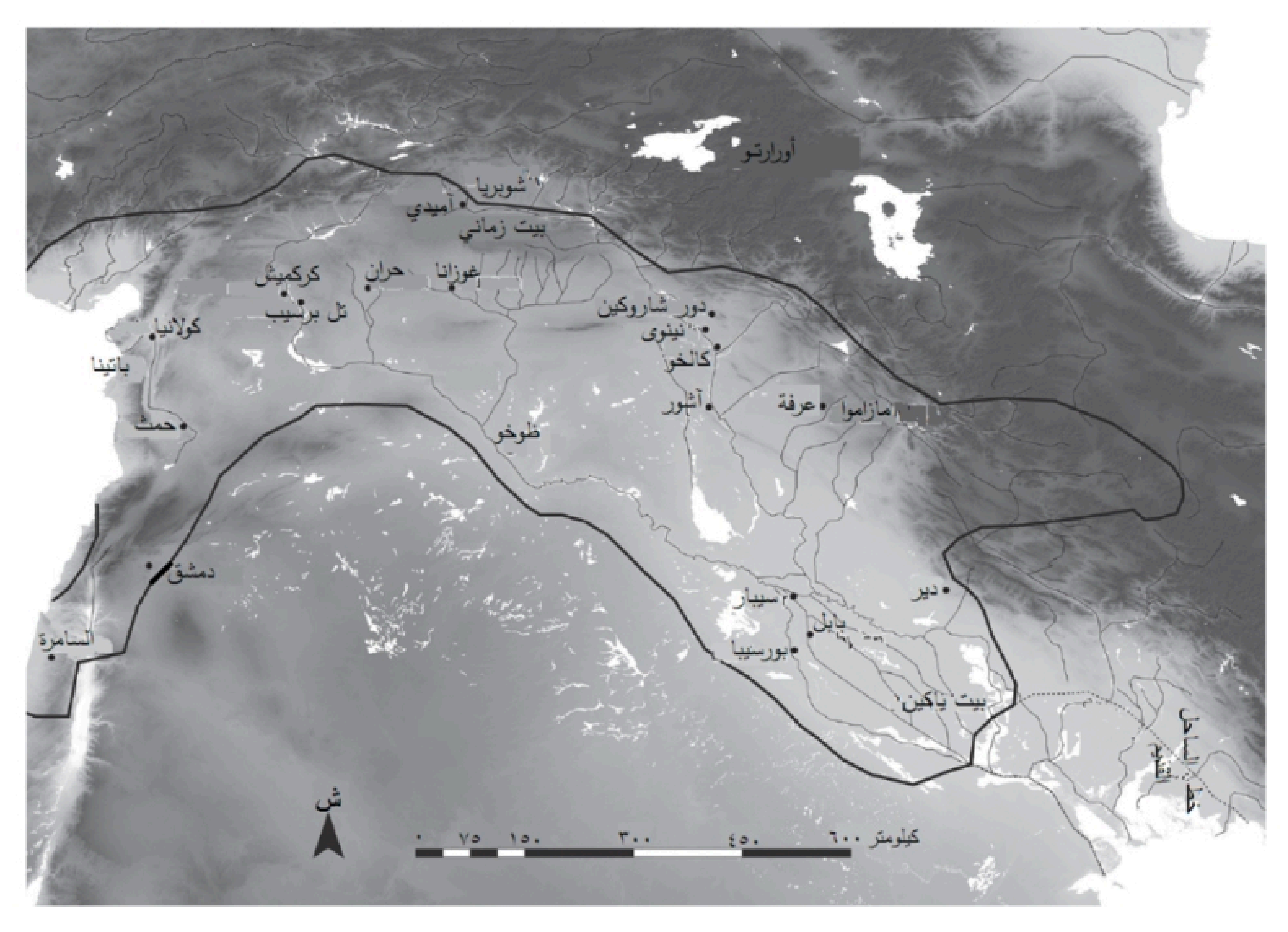
دجلة والفرات

تأتي مياه نهري دجلة والفرات اللذين يصرِّفان مائة وثمانية وخمسين ألفا وثلاثمائة ميل مربع واثنين، من هطول المطر السنوي على سلسلة جبال طوروس. وقد كان النهران المصدر الرئيس للماء لبلاد ما بين النهرين والأساس لإنتاجية الاقتصادات الآشورية الحديثة والبابلية الحديثة والأخمينية والسلوقية. وعلى خلاف نهر النيل الذي خففت الصحراء والمستنقعات سرعته، فجعلت فيضانه بطيء الحركة، وجعلت استغلاله يحدث بالدرجة الأولى من خلال الزراعة على انحسار الفيضان، كان دجلة والفرات يتغذيان بالمياه عن طريق الأعاصير الشتوية الغربية من البحر الأبيض المتوسط التي أنتجت فيضانا أشد حركية. وقد انطوى النهران على عنصرين من التفاوت، أولهما أن معدل المطر الموسمي (من ديسمبر إلى مارس) وتفاوت جريان النهرين نتجا بالدرجة الأولى عن تذبذب شمال الأطلسي (الشكل ١٨)، وثانيهما أن نصف مياه النهرين كانت تنتج عن ذوبان الجليد بين شهري أبريل ويونيه. وكان النهران يحتاجان من الصيانة والسيطرة أكثر مما احتاجه النيل. وقد اِستُخدِم الفرات "مَعْلما لتمييز نطاق البحر الأبيض المتوسط عن المركز الآشوري"، وهو تصور قديم للأنهار باعتبارها علامات حدود مهمة[١٧٤].



الشكل (١٨) تأثير شمال الأطلسي على جريان نهر الفرات. من Cullen, de Menocal, et al. (2000).

يكشف تاريخ الإمبراطوريات في غرب آسيا عن ارتباط ملحوظ بين التفاوت الهيدرولوجي والاستقرار السياسي[١٧٥]. كان مركز الإمبراطورية الآشورية الحديثة يقع في السهل الصحراوي، وهو مثلث بين نينوى وآشور وأربيل (الشكل ١٩). ويعد "مستوى التفاوت العالي من سنة إلى أخرى" والجفاف المتكرر وفترات الجفاف لسنوات متعددة من السمات البارزة للنهرين[١٧٦]. وخلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة، كان معدل المطر عاليا، لكن أشد تفاوتا[١٧٧]. وقد شكّل نمط المطر في شمال بلاد ما بين النهرين قيدا على كثافة السكان، وكانت بلاد بابل على الأرجح غنية بالموارد الزراعية، وكان بوسعها أن تعول عددا أكبر من السكان، لكنها بسبب الافتقار إلى مصادر محلية للمعادن أو الأخشاب، كانت مضطرة للاعتماد على الواردات[١٧٨]. ومن الملاحظ هنا أن سقوط المطر في الصحارى أعال جماعات بدوية، على خلاف الحال في مصر، وقد كانت لذلك أهمية تاريخية كبيرة بالنسبة للحركية التاريخية طويلة المدى في الشرق الأدنى[١٧٩].



الشكل (١٩) مركز الإمبراطورية الآشورية الحديثة. من From Radner (2016).[٤١]

كان الري في جنوب بلاد ما بين النهرين (بلاد بابل) يدار بطريقة مختلفة عنه في مصر، لأن شبكة القنوات الشعاعية كانت ممكنة ويمكن السيطرة عليها مركزيا بمزيد من السهولة. تنتج الأمطار الشتوية المدفوعة بالرياح الغربية القادمة من البحر الأبيض المتوسط المطر والثلوج في المرتفعات الأناضولية والإيرانية التي ينشأ منها نهرا دجلة والفرات[١٨٠]. إن مشهد غرب آسيا أكثر تنوعا من مصر بكثير، وذلك أحد الأسباب وراء "الافتراقات" التاريخية بين مصر والشرق الأدنى[١٨١]. وقد شهدت إمبراطوريات الألف الأول قبل الحقبة المشتركة فترات من تكثيف شبكات الري، وفترات من الانكماش، تعقبها تحولات سكانية. وكان مزيج النهرين (اللذين تغير مجراهما باستمرار) ونظام

(٤١) الأسماء الواردة في الخريطة: كولانيا Kullania، باتينا Patina، حمث Hamath (حماة)، السامرة Samaria، بيت ياكين Bit Yakin، دير Der، بورسيبا Borsippa، سيبار Sippar، مازاموا Mazamua، عرفة Arrapha، آشور Assur، كالخو Kalhu، نينوى Nineveh، دور شاركوين Dur-Sarrukin، أورارتو Urartu، شوبريا Subria، بيت زماني Bit-Zamani، آميدي Amedi (العمادية)، حران Harran، غوزانا Guzana (تل حلف)، كركميش Carchemish، تل برسيب Tel Barsip، ظوخو Suhu. [المترجم]

القنوات، هو ما شكّل الشبكة المادية الأساسية التي شكّلت- بدورها- الشبكات الاجتماعية للاتصال والتبادل في الاقتصاد الآشوري والبابلي خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة[١٨٢].

كانت التغيرات في المناخ، وما تبعها من نوبات جفاف عرضي وملوحة التربة، عاملا أساسيا في ظهور إمبراطوريات الشرق الأدنى وأفولها. من ذلك على سبيل المثال أن نوبة جفاف شديدة حدثت في عام ٤,٢ أ.س، أطلقت هجرة هائلة أسهمت في الانهيار المفاجئ المفترض للإمبراطورية الأكدية ("أ.س" ka تعني "ألف سنة" kiloannus، وعلى ذلك فإن عام ٤,٢ أ.س = عام ٢٢٠٠ ق.ح على وجه التقريب)[١٨٣]. وفي نحو عام ١٢٠٠ ق.ح، بدأت فترة جفاف رئيسة دامت نحو مئتي سنة، وفي منتصف القرن السابع قبل الحقبة المشتركة، كانت زيادة السكان والجفاف الشديد عاملا في أفول الإمبراطورية الآشورية الحديثة التي تمركزت على طول نهر دجلة الأعلى[١٨٤]. على أن الارتباطات السببية بين التغيرات المناخية والمؤسسات السياسية والاقتصادية معقدة، وسوف أتقصاها بمزيد من التفصيل في الفصل الخامس.

وضعت الفصول الثلاثة الأولى من الكتاب المعالم الأساسية للتاريخ الاقتصادي للبحر الأبيض المتوسط خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة. حاولتُ فيها أن أوضح كيف تشكل فهمنا لاقتصادات البحر الأبيض المتوسط ما قبل الحديث بفعل تعقيدات قضايا الحدود الزمنية-المكانية والتحقيب وبفعل التفاوت الجغرافي والمناخي والتلاقح الثقافي. وأكدتُ أن فهم التدفقات بين المناطق وداخلها على نحو أفضل يتطلب جغرافيا أكبر من جغرافية البحر الأبيض المتوسط. وبالفعل كان المحيط الهندي وغرب آسيا وأنهار دجلة الفرات والنيل عوامل بالغة الأهمية خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة. وفي النصف الثاني من الكتاب الذي أتحول إليه فيما يلي، أتقصى العلاقة بين المؤسسات والبيئة. ذهبتُ في موضع سابق إلى أن حركية نظام الحث التبادلي الطبيعي-البشري تمثل إطارا مهما لفهم الأداء الاقتصادي ما قبل الحديث على نحو أفضل. وأتحول فيما يلي إلى هذا الإطار بمزيد من التفصيل. يناقش الفصلان التاليان النظام الطبيعي، حيث أبدأ بالزراعة والعمل، وهما أساس كل الاقتصادات ما قبل الحديثة، ثم أنتقلُ لتأثير البيئة والمناخ والتغير المناخي على النطاقات الزمنية المختلفة باعتبارها قوى دافعة للاستجابات البشرية. وتتناول الفصول الثلاثة الأخيرة من الكتاب النظم البشرية من خلال مناقشة المؤسسات الاقتصادية بمزيد من التفصيل.

الباب الثاني

البيئة والمؤسسات
Environment & Institutions

الفصل الرابع

الزراعة والعمل
Agriculture and Labor

تقدم حضارات العصر القديم، على الرغم من زراعتها المتطورة، نقطة بداية وحسب، إذ لم تؤدِ واحدة منها، سواء في الشرق الأوسط أو روما أو الصين أو أمريكا الوسطى، لا في عصور ما قبل التاريخ ولا في العصور التاريخية المبكرة، إلى اقتصاد صناعي.

—E. Jones and Woolf (1969: 1)

تحصد الثيران الشعير والإيمر، ويأكله الحمار[1].

21،—The Wisdom of Onchsheshonqy 23

كان الإنتاج والتوزيع الزراعيان يقعان في صميم كل الاقتصادات ما قبل الحديثة. على أن هناك ثلاثة أسئلة رئيسة تتعلق بالإنتاج الزراعي، هي مَنْ الذين امتلكوا الأرض، ومَنْ الذين عملوا فيها، وكيف تمت السيطرة على العمل[1]. كان البحر الأبيض المتوسط شديد التفاوت في تنوع المشهد الطبيعي، ومصدر الماء (المطر في مقابل الري)، وخصوبة التربة، وأنواع المحاصيل والماشية وممارسات الرعي، ونطاق الوحدات الزراعية. وكانت الاقتصادات ما قبل الحديثة اقتصادات "عضوية"، وكان

(١) قمح الإيمر emmer wheat أو القمح ذو القشرة hulled wheat أو القمح ثنائي الحبة، نوع من القمح له حسكة، كان إلى جانب القمح أحادي الحبة einkorn wheat من أوائل المحاصيل التي أستأنسها الإنسان أو المحاصيل صانعة الحضارة. [المترجم]

العمل يُنجَز عن طريق البشر والحيوانات، وكانت "الأرض مصدر الغذاء، وكذلك المصدر المباشر أو غير المباشر لكل المنتجات المادية النافعة للإنسان"[٢]. وقد أظهرت كل الثقافات في العالم ما قبل الحديث انتباها حذرا لظروف التربة والماء والمحاصيل، إذ شكلت هذه الظروف قيدا ثقيلا على وظيفة الإنتاج، لأن الإنتاج كان في أغلب الأماكن محصورا في دورة زراعية واحدة في السنة.

إن التضاد المعتاد بين المِلكيات الصغيرة ضمن الأسر النووية في العالم اليوناني والأطيان الكبيرة التي تديرها الدولة في غرب آسيا ومصر في حاجة إلى تعديل جذري. وهناك حاجة أيضا إلى إبراز أشكال توزيع الأرض وملكيتها، والمطالب الجبائية من جانب الدولة، والتفاوت في الظروف البيئية وفي تنظيم العمل وعرضه وفي إنتاجية التربة وفي مصادر الماء وفي تفاوت المدخلات والغلة من سنة إلى أخرى. ومن الواضح أن الظروف السياسية المتغيرة، والاتجاه نحو التتجير[٢]، وزيادة صفقات السوق بداية من القرن الرابع قبل الحقبة المشتركة، ضمن مراكز حضرية كبيرة جديدة، كان لها جميعا تأثيرات قوية على الإنتاج الزراعي. قدمتُ في مواضع سابقة متفرقة صورة تفصيلية للزراعة في لحظات مهمة من التغير الاقتصادي، وهنا أقدم مثالا توضيحيا من أشهر أرشيف من الحقبة الهلنستية.

في نهاية شهر مارس ٢٥٦ ق.ح، جلس رجل يدعى سوسوس Sosos كان وكيلا لزينون، على متن مركب فوق صفحة النيل، ينتظر التعليمات بلهفة، وفي يده ورقة بردي وقلموس، ثم خطّ الرسالة التالية (الشكل ٢٠)[٣]:

التحية من سوسوس إلى زينون. وصلتني رسالتك التي طلبت مني فيها أن احتفظ بمائة أردب من القمح الذي لدينا على السفينة، وأن أبيع الباقي بأعلى سعر يمكن الحصول عليه[٤]. فيما يتعلق

---

(٢) تتجير commercializing المجتمع أو الاقتصاد يعني تحويله إلى التجارة عموما أو إشراكه في عملية التجارة. [المترجم]

(٣) قلموس Kalamos كلمة يونانية تعني "القلم القصبي"، وتوجد في اللغات اليونانية القديمة (clamus) واللاتينية (Kalamos) والسنكسريتية والعبرية والعربية (قلم). [المترجم]

(٤) الأردب artab مكيال للحبوب استخدم في مصر عبر العصور، ولا يزال، يختلف وزنه من نوع لآخر من الحبوب، يساوي حاليا ١٥٠ كيلوغراما من القمح والفول، ١٤٠ كيلوغراما من الذرة الحبوب، كان في مصر الرومانية يساوي ٣٨،٨ لترا، وكان أردب القمح المطحون يساوي ٣٠،٢ كيلوغراما، ويعتقد أن الأردب المصري البطلمي كان أكبر من ذلك بثلاثين بالمائة. [المترجم]

بالاحتفاظ بالقمح، اعلم أنه لم يعد ممكنا، فلعدم علمنا بأنك ستحتاجه، فقد بعنا حمولة القمح كاملة في الميناء قبالة أفروديتوبوليس[٥]، بإجمالي مئتين وواحد وأربعين أردبا بسعر استاتر ذهبي واحد لكل سبعة أرادب[٦]، بيعت من خلال بطليمايوس Ptolemaios الذي يعمل إبيستاتيس في خدمة أرخيبياديس Archibiades[٧]، وأعطينا المشترين ثلاثة أرادب إضافية فوق كل مائة أردب لموازنة المصاريف النثرية. وقد سلمني خارموس Charmos رسالة تطلبُ فيها إعطاء المال إلى بيريخوس Pyrrhichos لشراء الجلود في هرقليوبوليس[٨]. وأود أن أحيطكم علما بأننا حاليا ليس معنا الكثير من المال الذي يمكّننا من إعطاء بيريخوس ما يكفيه لذلك الغرض. فمن بين سعر القمح، ما يزال بطليمايوس مدينا لنا بمئتين وثمان وثمانين دراخمة[٩]، أخذتُ لك بها كتاب ضمان يؤكد أننا سوف نتسلمها في العاشر من أمشير[١٠]، ومعي حاليا أربعمائة دراخمة نقدا. لذا أرجو التكرم بأن تكتب لي وتخبرني من أين أدبر المال لأعطيه لبيريخوس، وإذا كان بوسعنا أن نرسل

---

(٥) أفروديتوبوليس Aphroditopolis (تعني مدينة أفروديت) اسم أطلقه اليونانيون على مدينتين مصريتين، الأولى تسمى بالمصرية تبيحوت Tpyhwt وبالقبطية بتبح Petpeh، وتسمى حاليا أطفيح بمحافظة الجيزة، والثانية تسمى بالمصرية القديمة بر حتحتور (تعني بيت حتحتور) أو باثيريس Pathyris أو أفروديتوبوليس خلال الحقبة اليونانة الرومانية، وتُعرَف حاليا باسم باسم جبلين أو الغريرة بمحافظة قنا. [المترجم]

(٦) الاستاتر stater قطعة نقدية معدينة قديمة استخدمت في أنحاء مختلفة من العالم اليوناني، واستخدم الاسم أيضا للعملات التي قلدت الاستاتر اليوناني في أوروبا القديمة، . [المترجم]

(٧) الإبيستاتيس epistates، في اليونان القديمة، مشرف أو مراقب، ارتبط خلال الممالك الهلنستية بمقاطعة تابعة (مجلس تشريعي محلي)، عمل فيه ممثّلا مقيما للملك، مارس السيطرة وجباية الضرائب. وهو في العسكرية، الشخص الذي يقف في الخلف وراء البروتوستاتيس protostates (الرجل الذي يقف في الصدارة) في التشكيل السُلّامي phalanx. [المترجم]

(٨) هرقليوبوليس Heracleopolis أو هرقليوبوليس ماغنا Heracleopolis Magna (تعني مدينة هرقل الكبرى) هو الاسم الروماني لعاصمة النوم العشرين في مصر العليا، تقع على مسافة نحو ١٥ كيلومتراً غرب مدينة بني سويف الحالية، تعرف حاليا باسم أهناسيا في محافظة بني سويف. [المترجم]

(٩) الدراخمة Drachma هو اسم العملة في اليونان في فترات مختلفة، منها اليونان القديمة، واستخدم مؤخرا في اليونان إلى أن حل اليورو محله. [المترجم]

(١٠) أمشير Mecheir هو الشهر السادس في التقويم المصري القديم، يقابل في التقويم الجريجوري من ٨ فبراير إلى ٩ مارس، اسمه مشتق من "ميشير" إله الريح عند قدماء المصريين. [المترجم]

معه إستيراكس Styrax ليكون عيننا على الأسعار، لأننا نعرف أنه أمين في هذه الأمور. وقد أحضرنا أيضا الكثير من النبيذ الذي كان في بطوليمايس. واكتب لي من أين أحصل على الذرة لأمونيوس Ammonios الطحان، وكم أعطيه لتحضير الطحين. كذلك أعطينا بيريخوس عشر دراخمات لنفقات الانتقال. وداعا. السنة ٢٩، الخامس من أمشير[٣].



الشكل (٢٠) البردية ميشيغان، المجلد ١، النص ٢٨ (P. Mich 1 28) (تاريخها ٢٩ مارس، ٢٥٦ ق.ح). نسخت بإذن من University of Michigan Library،Papyrology Collection .

ما الذي تكشِفه لنا الرسالة؟ حمولة بكمية كبيرة من القمح، جنبا إلى جنب مع النبيذ، بيعت بسعر كبير نقدا في بلدة على الجانب الآخر من النهر[٤]. جاء القمح من الفيوم، وهي منطقة في مصر أعيد استصلاحها واستيطانها واستغلالها على نطاق واسع من جانب النظام البطلمي الجديد الذي أُسس في الإسكندرية قبل نحو أربعين سنة. ومن الواضح أن زينون، المرسل إليه هنا، لم يكن قد عُيِّن بعد في منصب ناظر الأطيان لدى أبولونيوس صاحب الخزانة لدى الملك بطليموس الثاني، وهي الوظيفة

التي نالها خلال شهر أو اثنين، مع نهاية شهر أبريل أو أوائل شهر مايو عام ٢٥٦ ق.ح، ونال الخلود بذلك من خلال بقاء الأرشيف الواسع لنشاطه التجاري[٥].

بحسب هذه الرسالة، يعمل زينون وكيلا لأبولونيوس في بيع السلع في الأسواق المحلية، ومن الواضح أنه كانت لديه شبكة شخصية واسعة، ووعي باتجاهات الأسعار، ومعرفة عميقة بالأسواق والخدمات المحلية. تنتمي الرسالة إلى أكبر أرشيف من الحقبة البطلمية، هو أرشيف زينون، الذي احتفظ بزهاء ألف وسبعمائة وثيقة قابلة للاستخدام، تكشِف عن عالم تجاري مدهش في عِزْبَة كبيرة أدارها زينون نيابة عن صاحب الخزانة[١١]. توثِّق النصوص التجريب الزراعي، والاقتصاد النقدي، والصفقات السوقية بالعملة، وخطابات الاعتماد لشراء الجلود، والروح الريادية، التي لا ريب أنها جميعا كانت تدار مركزيا من جانب الملوك. كانت مصر قد اجتازت تحولا جذريا بفعل اليونانيين الذين توافدوا عليها بحثا عن الفرص التي أتاحها الملوك البطالمة. وتكشِف البرديات عن نظام اقتصادي جديد أدهش روستوفتسيف والكثير من المؤرخين. وقد ذهب روستوفتسيف إلى أن أرشيف زينون، والاقتصاد الزراعي المصوَّر في النصوص، جنبا إلى جنب مع الاقتصاد النقدي الواسع، والتجريب الزراعي، والزراعة واسعة النطاق في العِزْبَ، والسيطرة المركزية المحكمة على الإنتاج، كانت بمثابة "مصر مُصَغَّرة". يضعنا ذلك أمام مشكلة التفسير، فإلى أي مدى كانت هذه الصفقات السوقية ممثِّلة للاقتصاد المصري؟ وفي الخط ذاته، اعتُبرت بيانات الأسعار من جزيرة ديلوس في بحر إيجة ممثِّلة "لسوق تحديد الأسعار العام" خلال الحقبة الهلنستية[٦].

إن الحذر مطلوب في الحالتين، فأطيان أبولونيوس كانت منطقة اقتصادية خاصة، طورها الملوك البطالمة الأوائل قبل وقت قصير، ولا يغطي أرشيف زينون إلا جيلا واحدا فقط. صحيح أن زينون ربما لم يكن فريدا، لكن يظل منتصف القرن الثالث قبل الحقبة المشتركة فترة من النشاط الاقتصادي الكبير في البحر الأبيض المتوسط، دفعها التنافس بين الدول الكبيرة التي تشكلت في أعقاب فتوحات الإسكندر الأكبر، وانتقال اليونانيين إلى أماكن مثل مصر، وفترة مستوطنات جديدة، وأراضٍ جديدة،

---

(١١) العِزْبَة هو الاسم التقليدي لملكيات الأطيان الكبيرة في مصر، كانت حتى عصر محمد علي تخصصها الدولة لأفراد النخبة الحاكمة والمحلية في شكل التزامات ضريبية، بأسماء مختلفة منها الأبعديات والجفالك، كان الفلاحون فيها أقرب إلى وضعية الأقنان في أوروبا القرون الوسطى. [المترجم]

وتجارة أوسع عبر شرق البحر الأبيض المتوسط. وعلى الرغم من الصور المعتادة لاقتصاد قوي موجه مركزيا، كان الإنتاج الزراعي المصري خلال الحقبة البطلمية، تماما كما كان دائما، نظاما زراعيا شديد التفاوت، إذ بقيت المعابد وأطيان المعابد الكبيرة والأطيان الخاصة مبدأ تنظيميا في مناطق وادي النيل القديمة. وقد غيّرت المطالب الجبائية للدولة الجديدة العلاقات الاجتماعية والأسواق والإنتاج. ومن الواضح أن القمح سهل الدَرْس الذي كان قمح الخبز المفضل لدى اليونانيين وكان الملوك البطالمة يبيعونه في أسواق البحر الأبيض المتوسط، قد اكتسب رواجا في مقابل الإيمر القديم مع نهاية القرن الثالث قبل الحقبة المشتركة، وهو جزء من تحول أوسع عبر البحر الأبيض المتوسط خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة، من الحبوب ذات القشرة إلى الحبوب سهلة الدرس (الجدول ٣)[١٢].

أعتقد أننا يمكن أن نفترض أن الصفقة المسجلة في البردية، وإن كانت كبيرة، قد نُفِّذت كصفقة خاصة نيابة عن أبولونيوس رئيس زينون. كان هذا النوع من الصفقات على الأرجح هو الطريقة التي عمل بها أصحاب المناصب العالية. وكانت هذه العِزْبَة الكبيرة التي بلغت نحو ستة آلاف وستمائة هكتار هِبة لأبولونيوس لتكون مصدر دخل له. وقد كان لزاما أن تُطوَّر الأرض وتدار. كانت هذه الهِبات من الأطيان سمة قديمة لِملكية الأرض في مصر، على أن السكان اليونانيين الجدد الذين جاءوا إلى مصر خلال الحقبة البطلمية المبكرة شكلوا شبكات ومؤسسات اقتصادية، وشكلوا حتى المحاصيل والحيوانات. فالهجرة وأنماط الاستيطان الجديدة، لا سيما في الفيوم ومدينة الإسكندرية الجديدة، فرضت تغييرات في مِلكية الأرض وفي تربية الحيوانات.

التغيرات في الأرض

على مدار التاريخ، اشتغل أغلب الناس في أغلب الأماكن في الإنتاج الزراعي الذي ظل القاعدة الرئيسة للثروة. وحتى في "المدينة اليونانية العادية"، كان ما يقدر بنحو ثمانين بالمائة من "السكان

---

(١٢) على خلاف أنواع القمح الأقدم مثل الإيمر، يتميز القمح سهل الدَرْس free-threshing wheat أو القمح غير ذي القشرة naked wheat مثل القمح الطري common wheat والقمح الصلب Durum wheat بعصافات هشة وعنق سنبلة قاسي، عند درسه تتهشم العصافات منفصلة عن الحبوب. [المترجم]

يعملون بطريقة مباشرة في الإنتاج الزراعي"، لكن هذا التقدير لا يراعي التغيرات والاختلافات بين المناطق[٧]. وقد ذهب أحد التقديرات- على سبيل المثال- إلى أن الزراعة لم تكن النشاط الرئيس لأغلبية السكان في المنطقة المحيطة بأثينا خلال القرن الرابع قبل الحقبة المشتركة[٨].

إن البيانات متفاوِتة عبر العالم القديم، ففي بعض الأماكن، كما هي الحال في كيركيوسيريس في الجزء الجنوبي من الفيوم في مصر خلال أواخر القرن الثاني قبل الحقبة المشتركة(١٣)، التي نعرف الكثير حول كل الأراضي المحيطة بالقرية لنحو عقد من الزمن[٩]. كان استخدام الأدلة المقارنة الأداة الشائعة، لكنها تنطوي على مخاطر. وبسبب عجزنا عن إجراء مقابلات مع مزارعين قدماء حول ما كانوا يفعلونه وكيف كانوا يفعلونه، فقد أصبح من الشائع استخدام الدراسات الإثنوغرافية الحديثة باعتبارها تمثيلا للعقليات الزراعية القديمة(١٤). ولو سبق لك أن قمت برحلة على طول نهر النيل، لربما كان في مشهد المزارع وجاموسته وهما يحرثان قطعة أرض صغيرة بالقرب من النهر، وآلات رفع الماء القديمة التي ما تزال قيد الاستخدام، إغراء لك للاعتقاد بأن شيئا كثيرا لم يتغير، وربما تقول لنفسك ها هي مصر القديمة تمتد أمام عينيي. لكن هذا الفهم- لا ريب- مضلل لأبعد الحدود. لقد تغيرت أشياء كثيرة بالفعل، منها أنواع المحاصيل، والبذرة، وغياب الفيضان السنوي للنهر، والتكافل القروي الناتج عن نظام ري الحياض القديم، والأهم من ذلك العقلية والثقافة والمعتقدات الدينية والعلاقة بين المزارع والسوق، وبين السكان الريفيين والسياحة الحديثة[١٠].

ينطبق القول نفسه على العالم الكلاسيكي، إذ أوجدت هناك الدراسات الإثنوغرافية الرائجة حول مناطق اليونان الريفية إغراء لرؤية اقتصاد ريفي متوسطي "تقليدي" لازمني، ربما ما يزال يعكس الحياة القديمة إلى حد ما[١١]. على أن الأعمال الإثنوغرافية الحذرة، مثل تلك التي أجراها بول هالستيد Paul Halstead، قد حفظت لنا بعض الجوانب المهمة للحياة الزراعية القديمة، ومنها العزيمة والمرونة الفائقتان للبقاء فيما كان بالتأكيد في أغلب الأحيان صراعا بين المزارع والبيئة وجابي

---

(١٣) كيركيوسيريس Kerkeosiris قرية يونانية في الفيوم المصرية كانت قريبة من مدينة تبتونيس (أم البريجات حاليا)، راجع حاشية سابقة حول تبتونيس. [المترجم]

(١٤) تُعنى الإثنوغراغيا ethnography بدراسة الناس والثقافة والظاهرة الثقافية عموما من منظور الجماعة الخاضعة للدراسة. [المترجم]

الضرائب[١٢]. لقد بُذلت جهود منسقة في الأعمال الأخيرة لاستعادة التوازن بين المدينة والريف، ولبناء العالم اليوناني كاملا، وليس فقط المؤسسات الديمقراطية لبعض المدن، مع التأكيد على التنوع بين المناطق[١٣]. فالافتراضات حول دورة إراحة الأرض الجرداء لسنتين في حقول القمح والشعير والرعي الموسمي قد لا تصف الحال دائما[١٥]. فخلال العصر القديم، كان السكان الريفيون يعيشون قريبا من الحقول، وكانت أغلب الفلاحة محدودة النطاق، تتناوب فيها الحبوب والبقوليات. وكانت مِلكية الأرض المتناثرة شائعة للحد من خطر فشل المحاصيل في مكان واحد. وقد أدى اندماج زراعة المحاصيل وتربية الماشية إلى زيادة وفرة السماد، ما شجع بدوره الزراعة المكثفة للأرض، وإن كانت هذه الصورة لا تنطبق على البحر الأبيض المتوسط كاملا.

كان عالم البحر الأبيض المتوسط القديم أكثر تنوعا من الثالوث المتوسطي المتمثل في القمح والزيتون والعنب، وإن كانت هذه المحاصيل تزرع هنا وهناك حول البحر. فكان إنتاج الشعير، ذلك المحصول شديد التحمل في الظروف الجافة والمالحة، مهما كذلك، وكانت النسبة بين القمح والشعير متفاوِتة من منطقة إلى أخرى ومن سنة إلى أخرى[١٤]. وكانت نوعية سقيا الأرض بالمطر في مقابل سقياها بالري تقرر الكثير حول التنظيم الاجتماعي والعمل في الأرض. كما ترافق الرعي مع الزراعة، وإن كان هذا الجانب من الزراعة القديمة لم يُدْرَس جيدا بسبب الأدلة الأصعب التي يحتاجها[١٥]. وقد أوجد التنظيم السياسي، والإمبراطورية الإقليمية في مقابل الدولة المدينية، والمطر في مقابل الري، اختلافا كبيرا في نظم مِلكية الأرض والإنتاج الزراعي.

وهناك عدد كبير من القضايا الأخرى التي يجب فهمها، من بينها السيطرة السياسية على إمداد الحبوب، لا سيما المتدفق منها إلى المناطق الحضرية الكبيرة خلال الحقبة الهلنستية والرومانية، والتوازن بين المناطق الريفية والأهمية المتنامية للمناطق الحضرية خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة على امتداد البحر الأبيض المتوسط، والغلة النسبية والغلة من سنة إلى أخرى. على أنه ليس من الممكن تقديم نظرية جامعة عدا القول- كما فعل آخرون- بأن التفاوت كان أحد الثوابت. فالتفاوت بين

(١٥) في دورة إراحة الأرض الجرداء لسنتين two-year bare fallow cycle، كانت حقول القمح والشعير تراح لسنتين، وكانت الأرض المراحة تحرث لمنع نمو الحشائش (ومن هنا جاء وصف "الجرداء") وللحفاظ على رطوبة سنتين لمحصول الحبوب التالي، وكان المزارعون خلال سنتي إراحة التربية يعملون في رعي الأغنام والماعز. المصدر: Scheidel، W and von Reden، S (eds.) (2002). Ehe Ancient Econoy. Routledge، New York. [المترجم]

المناطق، والتغير عبر الزمن، والتغيرات السياسية، ووفرة العمالة، ونوع المحاصيل والتغيرات فيها، وأنماط إراحة الأرض، والتغير المناخي، دفعت تفاوتات في الممارسات الزراعية. وقد كانت أنماط مِلكية الأرض ونظمها وتوزيعها شديدة الهلامية في كل النظم التي نتقصاها، وعملت كل النظم على تحقيق التوازن بين احتياجات المنازل ومتطلبات الدولة من الدخل، ومن ضمن ذلك استخدام هِبات الأراضي التي رُبطت بإمداد الدولة بالجنود. يوفر التقدم المتواصل في نمذجة المحاصيل طريقة مبشرة لشق الطريق المسدود الذي نواجهه عادة ببياناتنا المباشرة المرقعة حول معدل الإنتاج والسكان والتفاوت واختيار المحاصيل، ومن ضمن ذلك أساليب تقدير القدرة الاستيعابية باستقلالية عن السكان[١٦](١٦). كان فشل المحاصيل على المستوى المحلي واردا حتى في السنوات "العادية". وفي إحدى الدراسات حول إنتاج القمح والشعير في البحر الأبيض المتوسط خلال أزمنة أحدث، كان فشل القمح يحدث بمعدل مرتفع (الجدول ١). وفي ظروف الجفاف في مصر، لا بد أن احتمال الفشل، أو النقص الكبير في الإنتاج، كان أعلى من ذلك.

الجدول (١) النسبة المئوية لاحتمال فشل المحاصيل في لاريسا وأثينا وأوديسا[١٧]

	سنة واحدة	سنتان متعاقبتان
لاريسا		
القمح	٢٨,٥	٨,١
الشعير	٩,٧	٠,٩
أثينا		
القمح	٢٨,٠	٧,٨
الشعير	٥,٥	٠,٣
أوديسا		
القمح	٤٦,٠	٢١,١
الشعير	١٥,٦	٢,٤

المصدر: بتصرف من Peter K. Garnsey (1988: 17)

(١٦) القدرة الاستيعابية carrying capacity في البيولوجيا هي العدد الأقصى من أفراد النوع الواحد الذي تقدر بيئة معينة على استيعابه، أي توفير المأكل له والمسكن والمشرب ومثلها من ضروريات البقاء. [المترجم]

(١٧) في الجدول: لاريسا Larisa مدينة تقع في شمال وسط اليونان، أوديسا Odessa مدينة تتبع حاليا جمهورية أوكرانيا، تقع على البحر الأسود. [المترجم]

إن الأرض ثابتة من حيث الموقع، وغير مرنة من حيث العرض، ومتفاوِتة من حيث نوعية التربة، والظروف المناخية الجزئية microclimatic conditions، ومدخلات الماء[١٧]. لكن المشهد الطبيعي التاريخي على امتداد البحر الأبيض المتوسط كان دائم التغير، ويمكن أن تتضح التغيرات الكبيرة على أفضل نحو في المناطق التي جاء إليها سكان جدد وأسسوا مستوطنات جديدة واستصلحوا أراضٍ جديدة. ويمكن للتحركات ضيقة النطاق بين تكثف استيطان المواقع وهجرها أن تتعقب التغيرات في حجم المنازل وبنيتها السكانية، أو "دورات الحياة المنزلية"[١٨][١٨]. ويكشف دور الدولة، ومطالبها من الجباية والعمالة، واستخدام عقود الإيجار والعمل، ومبيعات الأطيان الخاصة جميعها أن العلاقات الاجتماعية المرتبطة بالأرض تغيرت بشدة على مدار الألف الأول قبل الحقبة المشتركة. حدث ذلك في تجفيف الأراضي واستصلاحها حول بحيرة كوبايس خلال أواخر القرن الرابع قبل الحقبة المشتركة وأجزاء أخرى من اليونان[١٩][١٩]. وفي مصر والشرق الأدنى، كان دور المعابد والأطيان التي سيطرت عليها سمة دائمة لِلكية الأرض وإدارتها. وكذلك لعب نمو السكان وحركتهم دورا مهما في العلاقات الاجتماعية المرتبطة بالأرض، لكننا لا نستطيع تتبعها بالتفصيل. وقد أثرت حركة السكان خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة على الأرض بطريقة مباشرة من خلال إدخال أراضٍ جديدة في الزراعة، وهو أمر مُثْبَت جيدا في مصر، لا سيما في الفيوم، وكذلك في كل مكان بدأ فيه اليونانيون مستوطنات جديدة، مثل صقلية[٢٠].

إن الادعاء الشائع بأن الملوك كانوا يملكون كل الأراضي وكانوا القوة الدافعة الأساسية للتغيير قول أيديولوجي، ويجب التعامل معه بحذر. فقد حدثت تغيرات في الأراضي أيضا بفعل الاستجابات المحلية للظروف. وقد أعطتنا المسوح الأثرية في الشرق الأدنى وفي مصر فكرة أفضل حول التحولات في مجرى الأنهار والتغيرات الزمنية في أنماط الاستيطان[٢١]. ويمكن دمج بيانات المناخ القديم مع

---

(١٨) دورة الحياة المنزلية household life-cycles أو دورة الحياة الأسرية family life cycle سلسلة من المراحل يمكن أن تمر خلالها الأسرة عبر الزمن، تشمل عادة فترة الشاب/ الشابة الأعزب/ العزباء، ثم الزوج حديث الزواج، ثم الأسرة ذات الأطفال الصغار، وهكذا حتى الأسرة في آخر حياتها، يبرز المفهوم تأثيرات الزواج والطلاق والإنجاب والوفاة على الأسر، فضلا عن التغيرات في الدخل والنفقات والأصول. [المترجم]

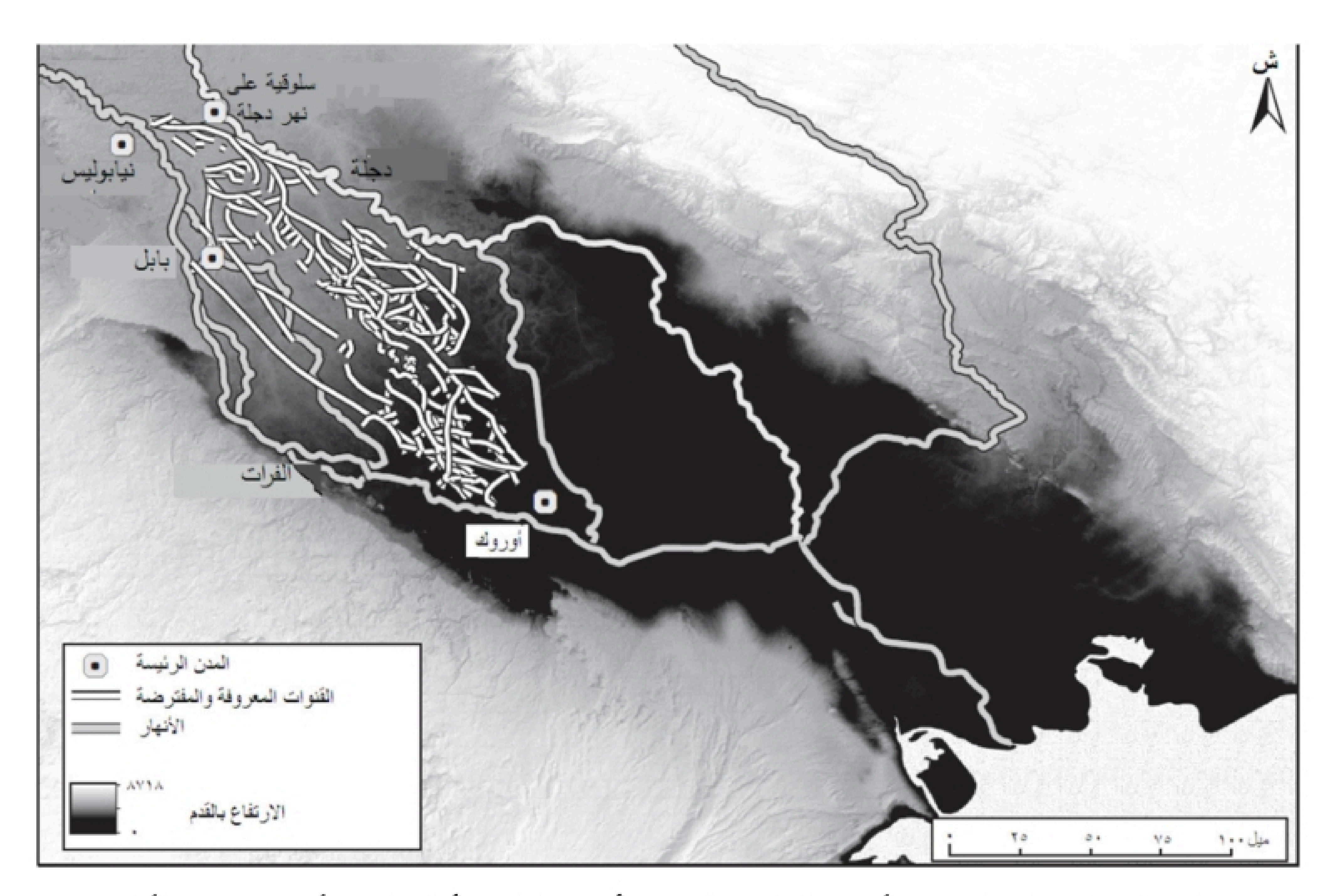
(١٩) كانت بحيرة كوبايس Copais توجد في وسط بويوتيا في اليونان، وقد جُفِّفت في أواخر القرن التاسع عشر من الحقبة المشتركة. [المترجم]

السجلات الوثائقية والبدء في القياس الكمي للتفاوت في فيضان النيل والفرات من سنة إلى أخرى (راجع الفصل الخامس). سيعطينا ذلك فهما أصفى للتفاعلات بين البيئة والبشر.

كان استعراض السلطة السياسية من خلال تغيير المشهد الطبيعي، بغرض فرض أبنية اصطناعية وتغيير الأرض ذاتها، سمة قديمة لعالم البحر الأبيض المتوسط. وفي الفيوم، أدى الاستصلاح وتوطين سكان جدد في عهد بطليموس الثاني والثالث إلى تحويل المنطقة إلى منطقة خاصة للسلطة المَلكية. كان استصلاح الأراضي البطلمي في هذا الموقع إبان منتصف القرن الثالث قبل الحقبة المشتركة مشروعا فذا ضاعف مساحة الأرض المزروعة المتاحة ثلاثة أضعاف[٢٢]، ولهذه الممارسة القديمة نظائر في أجزاء أخرى من العالم الهلنستي[٢٣].

تعد الحالة البطلمية مثالا مثيرا للارتباط الوثيق أحيانا بين التغيرات البيئية والاقتصاد السياسي القديم. فقد كان إنتاج الحبوب الأساس لثروة السلالة الحاكمة، وارتبط بالسخاء المَلكي، وارتبط مباشرة بالنجاح العسكري. وعلى مدار الألف الأول قبل الحقبة المشتركة، أزاح القمح سهل الدَرْس، وهو قمح الخبز المفضل لدى اليونانيين، القمح ذا القشرة مثل الإيمر، وهي عملية الإزاحة التي انطوت على مزيج من التغير الطبيعي والطلب واستراتيجيات المحصول الواحد الإمبراطورية (انظر ما يلي). كما أن استصلاح الأراضي للزراعة وشق القنوات المكثف مُوَثَّق في بلاد ما بين النهرين الهلنستية، بالدرجة الأولى استجابة لتأسيس العاصمة السلوقية الجديدة في مدينة سلوقية على نهر دجلة. وقد كشفت أعمال روبرت أدامز Robert Adams المسحية أن نهر دجلة اكتسب أهمية بداية من الحقبة السلوقية، امتدت إلى زمن البارثيين(٢٠)، وكان من نتيجة ذلك تكثف الري وتغير أنماط الاستيطان (الشكل ٢١، والجدول ٢).

(٢٠) البارثيون نسبة إلى الإمبراطورية البارثية Parthian Empire (تعرف أيضا باسم الإمبراطورية الأرشكية Arsacid Empire نسبة إلى سلالتها الحاكمة) التي قامت بين عامي ٢٤٧ ق.ح و٢٢٤ ح.م في منطقة بارثيا أو فرثيا Parthia الواقعة في شمال شرق إيران الحالية. [المترجم]



الشكل (٢١) شبكات الري كما أعيد بناؤها من المسوح الأثرية (باللون الأبيض) التي أجراها روبرت أدامز (Adams، 1981). الرسم لفرانك لودلو Frank Ludlow.[٢١]

حدثت في أواخر القرن الرابع قبل الحقبة المشتركة محاولات لاستصلاح الأراضي حول بحيرة كوبايس في وسط بويوتيا[٢٢]، وهي حوض طبيعي كانت تتجمع فيه مياه الأمطار الشتوية، وهو ما حدث أيضا في بحيرة بتشاي Ptechai في إريتريا وفي أماكن أخرى[٢٣][٢٤]. على أننا لا نعرف إن كانت هذه المشروعات استثمارات من جانب مقدونيين أغنياء، كما كانت الحال على ما يعتقد مع شخص يدعى خايريفانيس Chairephanes حصل في مقابل الاستصلاح في إريتريا على الأراضي الجديدة لتأجيرها بأسعار عالية، أو ربما نتيجة لتغيرات سكانية، أو لمزيج من الاثنين[٢٥].

---

(٢١) الأسماء على الخريطة: نيابوليس Neaplois. [المترجم]

(٢٢) بويوتيا Boeotia إقليم بوسط اليونان. [المترجم]

(٢٣) إريتريا Eretria مدينة ومنطقة في جزيرة وابية اليونانية. [المترجم]

الجدول (٢) مقارنة للتغيرات في أنماط الاستيطان في ديالى ومناطق الفرات الأوسط بالشرق الأدنى[٢٤]

	ديالى الدنيا		الفرات الأوسط	
الفترة	العدد المُقَدَّر لهكتارات الاستيطان	النسبة المئوية المُقَدَّرة للحضر (أكبر من ١٠ هكتارات)	العدد المُقَدَّر لهكتارات الاستيطان	النسبة المئوية المُقَدَّرة للحضر (أكبر من ١٠ هكتارات)
سلالة أور الثالثة، إيسن، لارسا	٦٠٢	٣٥	٢،٧٢٥	٧٥
البابلية الحديثة- الأخمينية	١٣٤	٧	١،٧٦٩	٥١
السلوقية-البارثية	١،٨٥٧	٦٩	٣،٢٠١	٥٥
الساسانية	٣،٤٨٩	٧٥	٣،٧٩٢	٥٨
المصدر: Adams (1981)				

مصر

إن الزراعة التي وصلت مصر بعد فترة طويلة من وصولها الشرق الأدنى، مُوَثَّقة بداية من الألف الخامس قبل الحقبة المشتركة[٢٦]. تميز الإنتاج في مصر بالزراعة على انحسار الفيضان، الموقوتة بتدفق الماء إلى الأحواض الطبيعية في أثناء الفيضان السنوي للنهر. وتماما كما هي الحال في الشرق الأدنى، كانت الأرض من خلال الحيازة المؤسسية للمعابد توهب في مقابل خدمة الدولة والجيش وغيرها. وكانت الأرض إما يزرعها موظفو المعابد أو تُؤَجَّر للغير. وكانت المُزارعة الشكل المعياري لِلكية

(٢٤) في الجدول: إيسن Isin (تسمى حاليا إيشان البحريات) موقع أثري في محافظة القادسية العراقية يعتقد أنها كانت دولة مدينية مهمة. [المترجم]

لارسا Larsa (تسمى حاليا تل السنكرة أو سنكرة) مدينة سومرية قديمة تقع على مسافة ٢٥ كيلومترا جنوب شرق الوركاء بمحافظة ذي قار العراقية، كانت مركز عبادة إله الشمس أوتو Utu. [المترجم]

تُعرف سلالة أور الثالثة Ur III أيضا باسم الإمبراطورية السومرية الحديثة، وتشير إلى السلالة الحاكمة السومرية خلال القرنين الثاني والعشرين والحادي والعشرين قبل الحقبة المشتركة من مركزها في مدينة أور Ur، وأيضا إلى دولة ناشئة قصيرة العمر. [المترجم]

الأرض[٢٥]، وهو النمط الأساسي الذي استمر خلال العصر البطلمي. ونادرا ما نصادف مزارعين فرديين بطريقة مباشرة في مصادرنا (تعد رسائل حيكاناخت التي تُناقَش في الفصل السادس استثناء لذلك)، لكن الزراعة صغيرة ومتوسطة النطاق المنظمة حول المنازل كانت على الأرجح أقرب إلى القاعدة. ومع أن حجم منزل حيكاناخت وملكيته الأكبر من المتوسط قد تعكس مكانته الجنائزية ككاهن، فإن رسائله تعكس بلا شك عقلية أوسع في مصر العصر البرونزي. وعلى الرغم من أيديولوجية الأطيان الكبيرة التي تتكشَّف في رسوم مقابر النخبة، فإن زراعة الكفاف ضيقة النطاق المتمركزة حول الأسرة تختفي عن الأنظار عادة وراء هيمنة السجل الرسمي التي أنتجه الملوك والنخبة في مقابرهم[٢٧]. لكن أنماط مِلكية الأرض تعكس أيضا المصالح المتداخلة للأفراد ومؤسسات الدولة، إذ كان هناك دائما اهتمام مؤسسي بالأراضي المنتجة للحبوب في شكل ضرائب الحصاد. ولا توجد أدلة وافية حول الأطيان الكبيرة في الأيدي الخاصة قبل الحقبة الرومانية. فقبل تلك الحقبة، كانت المعابد المالك والمدير الرئيس لحيازات الأرض، وكانت الدولة تجري مسوحا للحقول بانتظام، وكان الإيمر والشعير مجتمعان محصولي الحبوب الرئيسين خلال الأزمنة القديمة[٢٨]. وربما أسهمت عملية التطور البطيئة لنوع الإيمر في جعل التضاد بين التفضيل المصري لقمح الإيمر والإنتاج المتزايد للقمح غير ذي القشرة أقل حدة مما يُفترَض عادة[٢٩].

ثمة قبول واسع للتاريخ الريفي لمصر، وإن لم يُدْرَس بعناية، إذ يظهر تصوير الحياة الريفية والنخب المحلية تزرع حقولها في "الغرب المبارك" في كل كتاب دراسي حول مصر القديمة[٢٦]. على أن المسوح المكثفة للمناطق خلال السنوات الأخيرة كشفت النقاب عن أنماط استيطان واستراتيجيات زراعية معقدة. وقد تحسنت معرفتنا بالدلتا كثيرا، وصار فهمنا أفضل للتاريخ البيئي لوادي النيل، وأنماط الجماعات الزراعية المتوطنة، والتقسيم الطبقي الاجتماعي الريفي، وتقاطعات الاقتصادات الرعوية مع الجماعات المتوطنة[٣٠]. وكما أكدتُ في موضع سابق، فإن نهر النيل، وفيضانه السنوي،

(٢٥) تشير المُزارعة sharecropping أو المحاصصة إلى فلاحة الأرض لصالح المالك في مقابل نصيب متفق عليه مما تغله الأرض. [المترجم]

(٢٦) كان الغرب، أو الغرب المبارك، عند قدماء المصريين مجازا للحياة الآخرة أو العالم الآخر، والمقصود هنا هو رسوم المقابر التي تصور الناس وهم يزرعون الحقول في العالم الآخر. [المترجم]

وتفاوته من سنة إلى أخرى، والاستجابات الاجتماعية لهذا التفاوت، كانت العامل الأهم في تاريخ مصر الاقتصادي حتى اكتمال بناء السد العالي في أسوان في عام ١٩٧٠.

بلغت المعابد أهميتها القصوى بحلول الدولة الحديثة (نحو ١٥٥٠-١٠٦٩ ق.ح)، إذ سيطرت على أراضٍ واسعة، وكانت "مراكز لشبكات من الرعاية"، وكانت المستفيد الأول من الحملات العسكرية للملوك المحاربين خلال الدولة الحديثة[٣١]. ليس غريبا إذن أن الدولة الحديثة كانت الذروة في عدد السكان القديم قبل الحقبة البطلمية، وكانت كذلك فترة من التكثيف الزراعي. وبحلول منتصف الألف الثاني قبل الحقبة المشتركة، يبدأ ظهور استخدام الشادوف، وهو آلة ري تتكون من سطل يتدلى من عاتق يحمل ثقلا موازنا في الجهة الأخرى من محور ارتكاز[٣٢]. وقد احتفظت المعابد بأطيانها خلال الحقبة البطلمية. وعلى مدار الألف الأول قبل الحقبة المشتركة، عُرِف القمح سهل الدَرْس وتكثفت زراعته في عهد البطالمة. على أن المصادر الوثائقية الغنية من تلك الحقبة توضح أن العدس والكتان وأشجار الفاكهة، في الأساس نخيل التمر في جنوب مصر بالدرجة الأولى، وإنتاج دوم طيبة وزراعة العنب، لم تفقد أهميتها[٢٧]. وتكثَّف صنع النبيذ في عهد البطالمة، جزئيا بسبب التفضيل الثقافي لدى اليونانيين وبدفع من الاقتصاد النقدي. وقد وُجِدت الأراضي الخاضعة للسيطرة الخاصة في كل الحقب التاريخية، وإن ظلت هناك دائما ادعاءات مؤسسية متداخلة (من جانب الملك أو المعابد). وتمثل الضرائب الحكومية على الإنتاج الزراعي سمة مبكرة للدولة المصرية. وكذلك كان تسجيل مسوح الأراضي وإنتاج المحاصيل، وإحصاء الماشية كل سنتين، والمراقبة المدققة للإنتاج الزراعي ومستويات الفيضان، من السمات التي رسختها الدولة القديمة، في نحو عام ٢٦٠٠ ق.ح. كما تعد معالجة الحبوب وتخزينها وتوزيعها من خلال المعابد على الموظفين أتباع المعابد من السمات القديمة للاقتصاد المصري التي بقيت وانتقلت إلى الحقبة البطلمية. توجد هنا إشارات إلى نموذج بولاني المسمى "إعادة التوزيع" الذي ذكرته في الفصل الأول، لكن على مستوى المناطق وحسب، وليس على مستوى الدولة، وحتى حينذاك، لم يشمل ذلك النظام النشاط الاقتصادي برمته[٣٣].

(٢٧) دوم طيبة dom plam شجرة من جنس الدوم تنمو في صعيد مصر والسودان وإريتيريا، ثمارها لها استخدامات طبية. [المترجم]

لا ريب أن المعابد، لا سيما بداية من الدولة الحديثة، أصبحت مؤسسات اقتصادية مهمة وجزءاً من النظام الاقتصادي للدولة، وأدارت مساحات كبيرة من الأرض وأعدادا كبيرة من القوى العاملة، جنبا إلى جنب مع إجراء الأعمال التجارية. وقد كانت هناك دائما ادعاءات مِلكية مؤسسية في الأراضي الزراعية المنظمة في أحواض فيضية، حتى وإن كانت توجد على الأراضي ذاتها ادعاءات مِلكية خاصة. كانت هذه حالة الأرض على الأغلب في مصر العليا. وكانت شروط مِلكية الأرض ونظمها معقدة ومتطورة إلى حد كبير على مدار الأكثر من ثلاثة آلاف سنة من التاريخ المصري القديم، وكانت أشد تعقيدا من وصف فيبر لها[٣٤]. وقد وفر الإنتاج من الأرض الدخل للدولة، وكان الوسيلة لتمويل البيروقراطية، ثم لتمويل الخدمة العسكرية بداية من الدولة الحديثة. توفرت هذه الملاحظات بفضل النشر العلمي الواسع وبفضل بعض التحليلات الرائعة للوثائق المصرية واليونانية خلال القرن الأخير. وينبغي التأكيد على أن تناول فيبر كان جيدا ومتأنيا، لا سيما فيما يتعلق بالحقبة الهلنستية، علاوة على أن المادة الديموطيقية التي لم تكن معروفة جيدا في زمن فيبر توفر حاليا سجلات واسعة للمِلكية الخاصة للأرض ونقلها وبيعها وتأجيرها وكذلك للعمل المأجور. وكما هي الحال دائما مع التوثيق، يمكن أن يؤدي تحيز الوثائق للدولة إلى مبالغة في تقدير السيطرة المركزية وإلى الجدل حول مدى "خنق" التطور الرأسمالي بفعل النشاط الحكومي[٣٥].

تفتح رسائل حيكاناخت التي تُناقَش بإيجاز في الفصل السادس نافذة على عالم الإنتاج والاستهلاك المنزليين، الذي لم ترد تلميحات حوله قبل الحقبة الهلنستية إلا نادراً، وهي أنماط مِلكية الأرض المتداخلة، وقطع الأراضي المتناثرة، والتوتر بين المطالب المَلكية من الضرائب والسلطة الكبيرة التي تمتعت بها المعابد ومدى ظروف التربة (التي تفاوتت من سنة إلى أخرى)، وتحول هِبات الأراضي إلى مِلكية خاصة قابلة للنقل في شكل "أنصبة تُوَرَّث"[٣٦]. كان استمرار زراعة الأرض مشكلة دائمة. ومع نهاية الدولة الحديثة على أقل تقدير، في نحو عام ١١٠٠ ق.ح، ومع توقف تدفق أسرى الحرب من الحملات العسكرية الواسعة لملوك الدولة الحديثة، ومع اندماج مصر في شبكات التبادل الأوسع في شرق البحر الأبيض المتوسط، حدث تحول مؤسسي في أطيان المعابد الكبيرة بعيداً عن الإدارة المركزية والعمل القسري نحو استخدام "المستأجرين الأحرار" واستخدام تأجير الأرض والعمل المأجور[٣٧].

لقد تطور مفهوم المِلكية الخاصة من حق الوصول إلى حق النقل بأداة قانونية خاصة، وهو التحول الذي توضحه مبيعات الأراضي خلال الحقبة البطلمية. كانت "الأراضي الخاصة" يملكها مدى واسع من التراتبية الاجتماعية خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة، ولا تشكل الكمية الكبيرة من الوثائق التي بقيت من الحقبة البطلمية على الأرجح إلا انعكاسا لبقاء الأرشيفات من هذه الحقبة، وليس تغيرا رئيسا في ترتيبات مِلكية الأرض في عهد البطالمة[٣٨]. وثمة صورة أوضح لأنماط مِلكية الأرض المعقدة في مصر تبدأ في التبلور مع وثائق الدولة الحديثة في نحو عام ١٥٠٠ ق.ح. نلاحظ هنا تعقيدات القوة الاقتصادية ومِلكية الأرض، ومَنح إعفاءات ضريبية عرضية، ومعدلات ضريبية متفاوِتة، واستراتيجيات مختلفة للأراضي المَلكية وأطيان المعابد. وربما بسبب النمو السكاني الإيجابي وكثافة السكان في وادي النيل الضيق في مصر العليا، كانت مساحة الأراضي الخاصة في مصر العليا على الأرجح أعلى منها في أي مكان آخر، إذ قُدِّرت باثنين وسبعين بالمائة من الأراضي الزراعية في هذه المنطقة خلال الحقبة البطلمية[٣٩].

في سنوات الفيضان الجيد، كانت غلة الأراضي المروية في وادي النيل عالية مقارنة بالمناطق الأخرى في البحر الأبيض المتوسط، إذ كانت ١ : ١٠ للحبوب بحسب التقدير المنخفض، وكانت الغلة ١ : ١٢ حتى ١ : ١٥ "شائعة"[٤٠][٢٨]. على أن الحفاظ على هذا المعدل سنة بعد أخرى لم يكن ممكنا بسبب تفاوت فيضان النيل. وتماما كما كانت الحال في الشرق الأدنى، كانت أسعار الأراضي منخفضة عموما، إذا كانت تساوي إنتاجها في سنة على وجه التقريب. ومع أن الأدلة انطباعية، فإنها توحي بأن العمالة لم تكن مستغلة بالكامل[٤١].

اتباعا للاتجاه العام خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة نحو استخدام الوثائق المكتوبة، الذي أشرنا إليه في الفصل السابق، فإن أوائل عقود تأجير الأراضي المعروفة تُؤرَّخ إلى الفترة السايسية (بين نحو عامي ٦٧٠-٥٢٥ ق.ح). كانت هذه العقود في غالبها عقود إيجار سنوية، استجابةً لتفاوت النيل من سنة إلى أخرى، وبسبب الحاجة إلى ترتيبات تأجير مرنة[٤٢]. على أن عقود الإيجار المكتوبة لم تكن مطلوبة، وكانت الحال على الأرجح هي شيوع عقود الإيجار غير المكتوبة للأراضي.

(٢٨) يشير معدل الغلة ١ : ١٠، على سبيل المثال، إلى أن الحبة الواحدة من البذرة تنتج عشر حبوب في الحصاد. [المترجم]

أمدتنا مصر البطلمية والرومانية بأفضل المصادر الوثائقية[٤٣]. كانت الدراسات التاريخية لمصر البطلمية والرومانية تعتمد بشدة في السابق على مصادر البرديات، وهذه المصادر تأتي عادة من المنطقة الطيبية في مصر العليا ومن الفيوم[٢٩]. وحتى لو كان الدارس واعيا لهذا التحيز، فلم يكن ثمة بديل عنها حتى خمس وعشرين سنة خلت أو نحوها. لكن حاليا أمدتنا البيانات الأثرية ومناهج البحث المُحَسَّنة كثيرا واستخدام تقنيات جديدة مثل التصوير بالأقمار الصناعية بسياق أفضل كثيرا لفهم المصادر الوثائقية الغنية[٤٤].

إن التمييز بين الاستمرارية والتغير ليس أمرا هينا. وقد بلغ الإنتاج الزراعي والنمو السكاني أوجهما خلال الحقبة البطلمية والرومانية المبكرة، على نحو لم يتكرر ثانية على الأرجح قبل أوائل القرن التاسع عشر[٤٥]. ولا شك أن غلة مصر الزراعية المعتمدة على النيل كانت استثنائية، لكن لا مناص من تقييد المقولة: "لم يحدث في أي وقت من الحقبتين البطلمية أو الرومانية، على حد معرفتي، أن اقترب الطلب الداخلي الإجمالي من مضاهاة العرض أو تجاوزه" بالعبارة: "المتوسطات تقاربت على مدار الحقبة"[٤٦]. لقد أصبحنا حاليا مؤهلين لفهم هذا التفاوت من سنة إلى أخرى الذي يعد عاملا حاسما في فهم معدل الإنتاج والعرض والتوزيع الداخليين والاستجابة الاجتماعية للأزمات، مع أننا ما زلنا في حاجة إلى الكثير من العمل. وكما سيأتي في الفصل الخامس، فإننا حاليا نعرف قدرا كبيرا حول تفاوت النيل وارتباطه بالضغوط الجبائية على الجماعات المحلية، والاضطراب الاجتماعي، وربما أيضا بحالات نقص الغذاء، ما يكشف أن تربة مصر المنتجة نفسها كانت تتبدد بفعل فشل النيل.

من الواضح أن البيع الخاص للأراضي ارتبط بهزات فيضان النيل. وقد دخل المزاد العلني public auction مصر من العالم اليوناني في أوائل الحقبة البطلمية، وتوجد أدلة جيدة على أن الأراضي كانت تُشترى وتُباع بهذه الآلية[٤٧]. ومع أننا لا نعرف مدى شيوع هذه الممارسة، فإنها ارتبطت بلا شك بالجوانب الأخرى للاقتصاد البطلمي التي أدخلت المزيد من الصفقات السوقية. وتوحي الأمثلة

---

(٢٩) المنطقة الطيبية Thebaid (أو سيبايس Thebais، استمدت اسمها من قربها من عاصمة طيبة القديمة Thebes) كانت منطقة من مصر القديمة تألفت من الثلاثة عشر نومًا الواقعة في أقصى جنوب مصر العليا، من أبيدوس (مدينة البلينا حاليا بمحافظة سوهاج) إلى أسوان، كانت عاصمتها خلال الحقبتين البطلمية واليونانية بطوليمايس Ptolemais. [المترجم]

الباقية حول استخدام المزاد العلني بأن هذه الأداة استُخدِمت تحديدا مع الأراضي التي هُجِرت في أثناء فترات الاضطراب الاجتماعي الشديد أو عمليات الإزاحة السكانية[٤٨].

كانت الأطيان الكبيرة سمة تجريبية للقرن الثالث قبل الحقبة المشتركة على وجه التحديد. وتعد أطيان أبولونيوس التي نعرف عنها أكثر مما نعرف عن غيرها، مثالا جيدا للحقبة الهلنستية، وربما تكون من أفضل الأمثلة لهذه الحقبة، التي تصور التكيف بين المُلاك، وهم في هذه الحالة بطليموس الثاني، والمدراء والمزارعين الذين حولوا الأرض من خلال التكثيف والتجريب الزراعي[٤٩]. وخلال الفترة عينها، كان الملوك السلوقيون يحولون الأرض حول مدينة سلوقية على نهر دجلة، ولو بقي لنا المزيد من الوثائق من هذه المنطقة، لربما رأينا عمليات مماثلة. كانت الفيوم البطلمية منطقة للسلطة المَلكية، أُدْخِلت فيها محاصيل وأشجار فاكهة جديدة وماشية جديدة، لكنها كانت نوعا خاصا من الأطيان الكبيرة التابعة لمسؤول كبير في الدولة، وليس من المرجح أن تكون "مصر مُصَغَّرة"، كما ذهب روستوفتسيف[٥٠]. وربما كانت أعمال زينون أكثر تمثيلا للعقلية اليونانية خلال القرن الثالث قبل الحقبة المشتركة[٥١]. وتعد المُسْتَنْبَتات الجديدة وتكثيف زراعة العنب المرتبط بالاقتصاد النقدي الجديد من شواهد التأثير اليوناني[٥٢][٣٠]، التي كان من بينها كذلك التحول الهائل إلى محصول القمح غير ذي القشرة أو سهل الدَرْس (الجدول ٣) الذي يبدو أنه أزاح الإيمر الأشد تحملا، وكان أحد أهم التغيرات في الإنتاج الزراعي في التاريخ المصري القديم.

الجدول (٣) تقرير محاصيل من الفيوم في مصر، يناير ٢٣٥ ق.ح

المحاصيل	الأرض المزروعة في طور الإنتاج (بالأرورا*)	مجموع الأرض المزروعة (٪)
القمح	١٣٥,٣١٥,٥	٧٤,٦
العدس	٨٨٠,٣٤	٠,٧
الفاصوليا	----	----
الشعير	٢٦,٢٦٠	١٤,٥
الحنطة (الإيمر)	٣,١١٨,٦٩	١,٧

(٣٠) المُسْتَنْبَت cultivar نبات أو صنف من النباتات له خصائص مميزة يمكن الحفاظ عليها عن طريق التكاثر، تنشأ أغلبها عن طريق الزراعة، والقليل منها عن طريق اصطفاءات خاصة في الحياة البرية. [المترجم]

تابع الجدول (٣)

المحاصيل	الأرض المزروعة في طور الإنتاج (بالأرورا*)	مجموع الأرض المزروعة (٪)
العشب	٤,٦١٢١,٥ +	٢,٥
البيقية (الأراكوس)[٣١]	١٠,١٠٩,٥ +	٥,٦
السمسم	٢٦١	٠,٢
الخروع	٥٥	٠,٠٤
الخشخاش	١٠٠	٠,٠٦
(ثلاثة محاصيل أخرى)	٢٠١,٥	٠,١٠
المصدر: P. Petrie III 75. Adopted from D. Thompson (1999b: 129)		
الأرورا aroura الواحدة = ٠،٦٦ أكر[٣٢]		

في نظام الميراث التقسيمي[٣٣]، يحصل كل طفل من الجنسين على نصيب متساوٍ من ممتلكات الأسرة[٥٣]. وقد ظلت المعابد والتاج تبدي اهتماما بكل الأراضي الزراعية المنتجة، لكن نظام هِبات الأراضي لموظفي الدولة ومسؤوليها وجنودها كان نظاماً قديماً، وقد سيطرت المعابد على قطع كبيرة من الأراضي باسمها وأجرتها للآخرين. كما أن الأشخاص الذين حازوا الأراضي من خلال خدمة الدولة تعاملوا مع هذه الأراضي على أنها مِلكية خاصة. وكان توطين الجنود في هِبات الأراضي في مقابل الخدمة العامة، الذي يعرف باسم أراضي التوطين[٣٤]، يتحدد بحسب رتبهم العسكرية. وكانت الأراضي قابلة للتأجير، وكانت تُمنح هبةً مدى الحياة، وتدريجيا أصبحت هِبات الأراضي تنقل إلى الأبناء، وبحلول نهاية القرن الثاني قبل الحقبة المشتركة، أصبحت الهِبات مِلكية خاصة تنقل إلى أي أحد.

(٣١) البيقية نبات علفي من الفصيلة البقولية. [المترجم]

(٣٢) الأكر acre مقياس للمساحة يساوي ٤٨٤٠ ياردة مربعة أو نحو أربعة آلاف متر، أي قريب من مساحة الفدان (أربعة آلاف ومئتي متر). [المترجم]

(٣٣) نظام الميراث التقسيمي partible inheritance system في مقابل نظم الميراث غير التقسيمية التي تعطي- على سبيل المثال- الابن الذكر الأكبر كل الميراث. [المترجم]

(٣٤) في عبارة "أراضي التوطين" kleruchy plot، كانت كلمة cleruchy (من اليونانية كليروخيا klēroukhia) في اليونان الكلاسيكية تشير إلى نوع متخصص من المستوطنات تنشئه أثينا، والكلمة مشتقة من الكلمة اليونانية klērouchos (كليروخوس) التي تعني حرفيا حائز الأرض أو مالك الأرض. [المترجم]

يثير الجدل حول وجود المِلكية الخاصة مسألة نوع الأدلة المستخدمة، إذ تؤكد السجلات الرسمية (مثل مسوح الأراضي) السيطرة المؤسسية على الأراضي، في حين تؤكد أدوات البيع الخاص، من الحقبة البطلمية على وجه التحديد، بوضوح شديد وبتفصيل وافٍ ما كانت تستلزمه المِلكية الخاصة للأرض بالضبط. وتتعلق معظم مبيعات الأراضي من الحقبة البطلمية التي تتوفر بشأنها أفضل الأدلة خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة، بقطع أراضي شديدة الصغر، وإن كنا نعرف أيضا عن بيع بعض قطع الأراضي الأكبر بالمزاد العلني[٥٤].

إن مِلكية الأراضي الخاصة مُوَثَّقة جيدا في الأرشيفات الأسرية، وتقدم عقود البيع والتأجير المكتوبة باللغتين اليونانية والمصرية الديموطيقية مصدرا ثريا لفهم الظروف المتفاوِتة لحالة الأراضي والمحاصيل والمنازعات على حقوق المِلكية. ومن ذلك أنه في المنازعة الأسرية التي أناقشها في الفصل السادس، يتعلق النزاع بمِلكية قطعة أرض مساحتها زهاء ستة أكرات أمريكية. وفي هذا النزاع، كان بيتيتوم Petetum كاهنا في المعبد المحلي، تزوج مرتين، ورُزِق ابنا وابنة من كل زيجة، وكان على شفى الموت في عام ١٨١ ق.ح، وقبل أن يموت قسم أملاكه بين ابنيه اللذين كانا أخين غير شقيقين بنسبة الثلثين والثلث. ونشأ النزاع عن أن الأخ الأصغر أراد أن يبسط سيطرته كاملة على ثلثه من الأرض، وادعى أنه تعرض للغش في التأجير المشترك لأرض الأسرة، وطلب تقسيما حقيقيا للأرض. كتب الأخ الأكبر صك تقسيم لأخيه الأصغر غير الشقيق، وأقرت المدعية زوجة الأخ الأكبر كراتيانخ Chratianch ذلك في المحاكمة[٥٥].

تماما كما كانت الحال في الفيوم، كانت الدلتا أقل في كثافة الاستيطان من الوادي النهري[٥٦]. كانت الدلتا مهمة على مدار أغلب الألف الأول قبل الحقبة المشتركة، إذ احتوت أكثر من نصف الأرض المزروعة في مصر، ولم تقدم في الماضي الكثير من المعلومات الاقتصادية. وثمة دراسة نُشرت مؤخراً حول النوم المنديسي الواقع في شرق الدلتا خلال الحقبة الرومانية المبكرة تأسيسا على برديات أُرِّخت بالكربون وعلى المسح الأثري[٣٥]، كشفت معلومات زراعية جديدة مهمة حول هذه المنطقة[٥٧]. تضع

---

(٣٥) المدنيسي Mendesian نسبة إلى منديس Mendes وهو الاسم اليوناني لمدينة جدت Djedet في اللغة المصرية القديمة التي كانت تعرف أيضا باسم بر بانبجدت Per-Banebdjedet وأنبت Anpet، يقع مكانها حاليا بلدة تل الربع الواقعة

الدراسة التفاوت بين المناطق والطبيعة المعقدة لعلاقات البشر مع البيئة ومع مطالب الدولة في مقابل الثورة والفرار من الأرض. فالنص الرئيس الذي يعرف باسم بردية ثمويس ١ (P. Thmouis 1)، ويُؤرَّخ إلى عام ١٧٠/ ١٧١ ح.م(٣٦)، يوَثِّق أزمة عامة خلا النصف الثاني من القرن الثاني من الحقبة المشتركة(٣٧)، عُلِّقت خلالها المسؤولية الضريبية على معظم الأراضي، تحديدا الأراضي الخاصة، بسبب نقص الماء، وبدأ فرار هائل من الأراضي (أناكورسيس anachoresis) "في وقت ما قبل" عام ١٥٩، وانتهى في عام ١٧١ ح.م[٥٨].

هيمن القمح على الإنتاج في الدلتا، في حين كان الشعير يزرع عموما في الأراضي الحدّية(٣٨). وكانت هناك أيضا أراضٍ تزرع عنبا، واستُخدِمت أراضي الرعي لتربية الماشية على نطاق واسع. إجمالا، يتجلى استخدام تكيفي ومتنوع للأرض، فرضته الظروف البيئية لشرق الدلتا ومستنقعاتها. يجتمع التفاعل بين التغير البيئي طويل المدى الناتج عن حساسية المنطقة لمستويات الفيضان المنخفضة، والإزاحة البشرية، ورد فعل الدولة ممثَّلا في المسؤولية الجماعية عن ضرائب الأرض المحلية، والهزة المرضية (وباء الجدري)، لترسم صورة قاسية للمنطقة من منتصف القرن الثاني من الحقبة المشتركة حتى أواخره. من شواهد ذلك أن أشهر ثورة ريفية واسعة النطاق في ولاية مصر الرومانية وقعت في عام ١٦٧ ح.م، وهي الثورة التي سُميت ثورة الرعاة Boukoloi uprising. ولّدت هذه الثورة نقاشا واسعا، بالدرجة الأولى تأسيسا على نصوص أدبية تشير إليها، وقد لُخِّصت جيدا مؤخرا[٥٩]. وتعد البردية ثمويس ١ (P. Thmouis 1) الدليل الوثائقي الوحيد على الثورة. تضع كاثرين بلوين Katherine Blouin النص- كما ينبغي- في قلب سياق "الضغوط الاجتماعية-الهيدرولوجية طويلة المدى والحركية

على مسافة ٣٥ كيلومترا شرق مدينة المنصورة. كانت عاصمة نوم خا Kha، وإليها ينسب الفرع المنديسي البائد للنيل. [المترجم]

(٣٦) ثمويس Thmuis مدينة مصرية قديمة في شرق الدلتا بين الفرعين البائدين للنيل التانيتي والمنديسي، تلت مدينة جدت (منديس، تل الربع حاليا) عاصمةً للنوم السادس عشر خا في الدلتا، يقع مكانها حاليا مدينة تمي الأمديد وتل تماي وتل الربع بمحافظة الدقهلية. [المترجم]

(٣٧) على خلاف الحال خلال الحقبة المشتركة ح.م، يشير النصف الثاني من أي قرن قبل الحقبة المشتركة إلى الأعوام ٤٩- ١ ق.ح، ويشير النصف الأول إلى الأعوام ٩٩-٥٠ ق.ح. [المترجم]

(٣٨) الأرض الحدّية هي الأرض التي يكون ناتجها مساويا لما ينفق عليها، مثل الأراضي حديثة الاستصلاح. [المترجم]

الجبائية-الزراعية خلال الحقبة الرومانية" التي أشرنا إليها في عجالة في موضع سابق[٦٠]. فعلى خلاف المعالجة الأدبية "للرعاة" التي تعتبرهم أشرارا من مناطق المستنقعات النائية الخطرة في مصر، تقترب بلوين من الحقيقة- في رأيي- عندما تؤطِّر النقاش بمصطلحات بيئية. وهنا أيضا ما يزال هناك المزيد مما يمكن قوله. فمن الواضح أن هؤلاء "الرعاة"، إن كانوا رعاة فعلا، كانوا مختلفين تماما عن أولئك الذين يسمون "رعاة [الإله] حورس وخدمه" في إدفو خلال القرن الثالث قبل الحقبة المشتركة[٦١][٣٩]. لكن ذلك يكشف وحسب عن تصنيف أشد تعقيدا لحقيقة الرعاة في مصر، وكذلك تعقيدات العلاقات بين الأرض والإنسان والحيوان في الزراعة المصرية.

الشرق الأدنى القديم

تقدم الزراعة في الشرق الأدنى صورة أشد تعقيدا منها في مصر، بسبب المناخ الأكثر تنوعا[٦٢]. ظهرت الزراعة هنا خلال العصر الحجري الحديث، قبل وقت طويل من ظهورها في مصر، كما أن الشرق الأدنى هو موطن الحبوب الرئيسة: القمح والشعير[٦٣]. هيمنت الزراعة على المطر أو الزراعة "الجافة" في شمال بلاد ما بين النهرين، في حين كانت الزراعة بالري المهيمنة في الجنوب. وتعد النصوص البابلية المصادر الرئيسة حول ممارسة الزراعة خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة. وتماما كما كانت الحال في مصر، كانت ترتيبات المُزارعة هي القاعدة في جنوب بلاد ما بين النهرين. وكان الشعير والتمر المحصولين الرئيسين، وكان القمح ينتج على المطر في المناطق الشمالية في الشتاء، ومن الواضح أن نمط "المزارعين-المُلاك" كان القاعدة في هذه المنطقة على خلاف الجنوب[٦٤]. كانت السيطرة المؤسسية على الإنتاج أكثر وضوحا في المناطق المروية، وساد الإنتاج الأسري في الشمال[٦٥]. كانت استمرارية المؤسسات قوية، وحدث التغير بسبب التحضر المتزايد في أثناء الألف الأول قبل الحقبة المشتركة، والتكوين الإمبراطوري للدول البابلية الحديثة ثم الآشورية الحديثة ثم الأخمينية ثم السلوقية، وبسبب الضرائب والتحول إلى النقود. يمكن تمييز أربعة "نطاقات بيئية" حول بابل وحدها، هي السهل

(٣٩) حورس Horus، في الديانة المصرية القديمة، ابن أوزوريس وإيزيس، وإله الشمس، وأحد عناصر تاسوع أون المقدس، صوَّره المصريون في هيئة صقر أو إنسان له رأس صقر، كانت إدفو (في شمال محافظة أسوان الحالية) مركز عبادته. [المترجم]

الغريني الأوسط بقنوات الري التي ميزته، ومناطق المستنقعات، وغابات القصب التي استغلها صيادو الحيوانات والأسماك، والأراضي السهلية للرعي والمستوطنات[٦٦].

على امتداد الألف الأول قبل الحقبة المشتركة، اتبع التكثف في الري وزراعة التمور الزيادات السكانية[٦٧]. في حالة الزراعة، استُخدِم المحراث البزّار، وهو "أداة ابتكارية مكّنت من الحصول على عائدات عالية من البذور"[٦٨]. هيمن إنتاج الشعير على أراضي الري البابلية، جنبا إلى جنب مع إنتاج التمور المكثف. ويعد التكثيف في إنتاج التمور في بعض المناطق والتحول من إنتاج البيرة واستهلاكها من الشعير إلى إنتاجها من التمور مقياسا تمثيليا للاستخدام المكثف للأرض والتوسع السكاني[٦٩](٤٠). كذلك توجد أدلة وافية على "البستنة بغرض البيع" في المناطق الداخلية الحضرية الأكبر المرتبطة ببابل.

وتماما كما حدث في مصر، كانت المِلكية المتداخلة للأرض بين المَلك والمعابد والنخب وصغار المزارعين النمط المعياري. وثمة تفاوت كبير بين الأطيان الكبيرة التي استغلتها المعابد وقطع الأراضي الصغيرة التي استغلها مُلاك الأراضي الخاصون. ارتبطت مِلكية الأرض بخدمة الدولة، وامتلكت المعابد أطيانا كبيرة، كانت أحيانا تقع في أماكن بعيدة عن مراكز المعابد التي تملكها. كان ذلك على الأرجح طريقة للحدّ من مخاطر التقلبات المناخية المحلية، وربما النزاع أيضا. وبالنظر إلى أن المعابد كانت نظريا مؤسسات دائمة، فإنها كانت في الوقت عينه أبنية مستقرة لإدارة الموارد الزراعية المحلية. كان أتباع المعابد يقومون على فلاحة أطيان المعابد، وكانت هذه الأراضي تؤجر إلى أطراف خاصة، منهم "رواد" سيطروا على حيازات كبيرة من الأراضي، كما تؤكد الأدلة بداية من القرن السادس قبل الحقبة المشتركة. من ذلك على سبيل المثال أن أسرة إغيبي المُوَثَّقة من القرن السادس إلى أوائل القرن الخامس قبل الحقبة المشتركة، امتلكت مساحة كبيرة من الأرض، وأن توزيع السلع الزراعية كان عماد تجارة هذه الأسرة، وكذلك تطوير بساتين التمور حول بابل على نطاق واسع[٧٠]. وُثِّقت خمسة أجيال من هذه أسرة أغيبي على مدار أكثر من قرن. ومع أن هذا الأرشيف للنشاط التجاري الأسري الخاص استثنائي لا ريب، فإن هذه الأسرة لم تكن فريدة، وتوجد أرشيفات أخرى لأسر مماثلة، وإن لم تكشِف عن نفس النطاق من النشاط. كانت أسرة إغيبي جزءاً من الطبقة التجارية التي كانت مستقلة عن المعابد، وتعيش في مراكز حضرية، وتدير أطيانا فسيحة، وتسوق الإنتاج الفائض. تشبِّه كورنيليا ونش

---

(٤٠) راجع حاشية سابقة حول القياس التمثيلي. [المترجم]

Cornelia Wunsch هذا النشاط التجاري بعقود الكوميندا اللاحقة في إيطاليا العصور الوسطى(٤١). فقد شُكِّلت شراكات، وقُدِّمت سلف للمزارعين في شكل بذور وحيوانات، كانت تُسدَّد مع الحصاد، إذ كان الحصاد يُجمَع ويُشحَن ويُخزَّن ويُسوَّق، ثم يتقاسمون الربح بحسب الاتفاق. وكان التاج يجمع رسوما على استخدام القنوات والتخزين[٧١].

تكشِف الصورة الجديدة تماما التي تنبثق عن الأعمال الأخيرة حول الزراعة في الشرق الأدنى خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة أنها كانت متنوعة ومرنة. وتماما كما كانت الحال في مصر، لا يمكن وصف الاقتصادات الزراعية هنا بأنها مركزية وحسب، أو قائمة على إعادة التوزيع وحسب. كانت المعابد- وظلت- المؤسسة الرئيسة، جنبا إلى جنب مع الرابطة الإدارية المكونة من الشبكات الاجتماعية المعقدة التي ربطت التاج والنخبة بالعمل والإنتاج. وكما كانت الحال في مصر أيضا، تكشِف بلاد بابل عن تغيرات مماثلة في أنماط التحضر، والتكثف الزراعي، وتركيزا متناميا على المحاصيل النقدية، والتحول النقدي للاقتصاد خلال الحقبة الهلنستية[٧٢]. كان الأبناء الذكور وحدهم يرثون الأرض، خلافا للحال في مصر التي كان كل الأبناء فيها يرثون، الذكور والإناث[٧٣].

اليونان

كانت مِلكية الأراضي الأساس لخدمة الدولة في مصر والشرق الأدنى، وكانت الأساس للمواطنة في الدول المدينية اليونانية. لقد دُرِس الإنتاج الزراعي في العالم اليوناني على نطاق واسع، ومع ذلك فما يزال هناك الكثير من الأسئلة الأساسية[٧٤]. هيمنت الزراعة الجافة هنا، وهو تضاد رئيس مع الأراضي المروية في مصر وجنوب بلاد ما بين النهرين. وتفاوَتت أنماط المطر وأخطاره بشدة عبر اليونان والجزر الإيجية، وكذلك تفاوَت توزيع الأراضي بشدة. وليس من السهل أن نقارن الزراعة اليونانية مع النظام المصري أو نظام الشرق الأدنى أبعد من العموميات، ولا توجد أنواع مماثلة من الأدلة الوثائقية في حالة اليونان. ولا ريب أنه كان هناك تفاوت كبير في غلة المحاصيل[٧٥].

---

(٤١) عقد الكوميندا commenda contract عقد شراكة بين اثنين أو أكثر، يقدم أحدهما مالاً والآخر عملاً، ويكون توزيع الربح بينهما بحسب الاتفاق أو العقد. [المترجم]

إن المصادر الأدبية مهمة لفهم عقلية الزراعة اليونانية. وتعطينا ملحمة هسيودوس "أعمال وأيام" منظورا لمزارع صغير مكتفٍ ذاتيا، وللإيقاع التقويمي للسنة الزراعية، واستخدام العمل الموسمي في الأوقات الأساسية للدورة الزراعية، وهي أمور لا تختلف عما كان يفعله صديقنا المصري حيكاناخت من العصر البرونزي. تشدد القصيدة على العلاقات الاجتماعية "الأفقية"، في مقابل علاقات القوة العمودية للتراتبية الاجتماعية أو مطالب الدولة. ومع أن هسيودوس لا يقدم لنا كتيبا إرشاديا تفصيليا للزراعة، فإننا نخرج من قصيدته بحس جيد باتجاهات النخبة نحو الزراعة[٧٦]. وتعد محاورة "أويكونوميكوس" لزينوفون مصدراً مماثلاً للقرن الرابع قبل الحقبة المشتركة[٧٧]، ويزودنا ديموسثينيس Demosthenes بمادة ثرية حول الأطيان الكبيرة والمسائل القانونية المتعلقة بحيازة المِلكية في علاقتها بخدمة الدولة (الأنتيدوسيس antidosis)[٧٨]، ويقدم عمل ثيوفراستوس Theophrastus المعنون "حول النباتات" On Plants مصدرا جيدا حول زراعة العنب والزيتون.

تقدم المسوح الأثرية معلومات مهمة حول أنماط مِلكية الأراضي في مناطق العالم اليوناني[٧٩]. كانت أنماط الإنتاج الزراعي وحيازة الأراضي وتربية الحيوانات المختلفة من منطقة إلى أخرى تتأثر بمعدل المطر والتضاريس[٨٠]. وما يزال توزيع الأراضي محل جدل حامٍ واستنتاجات شديدة التفاوت. كان توزيع الأراضي أقل تساويا في غرب اليونان وشمالها، وأكثر تساويا في جنوبها وفي الجزر الإيجية[٨١]. وكانت الأراضي المحيطة بأثينا في أيدي نخبة غنية صغيرة، لكن خلال القرن الرابع وجد موريس Morris أن التوزيع بين هذه الأسر من المواطنين كان متساويا "نسبيا"[٨٢]. وكان الميراث النمط الرئيس لامتلاك الأراضي، وكان هناك ميل إلى تجزؤ المِلكيات بسبب نظم الميراث التقسيمية.

بعد الإسكندر الأكبر، غيّر الملوك الهلنستيون التوازن السياسي والاقتصادي في كل مكان، ويمكن أن نلمس تأثيرات ذلك في اليونان، وهو مجال تفيدنا فيه مسوح الحقول بقوة[٨٣]. فهناك توثيق لمؤسسات جديدة وهِبات الأراضي وتحركات السكان، لكن كما كانت الحال في كل الأماكن الأخرى خلال الحقبة الهلنستية، حدثت زيادة في تركيز مِلكية الأراضي، وحدث نمو في مساحة مِلكيات الأغنياء، وظهرت في أثينا نظم جديدة لحقوق المواطنين تأسيسا على الثروة[٨٤]. وكذلك حدث نمو في مساحة المِلكيات في مقدونيا القديمة الهلنستية، وتوطدت المِلكيات الكبيرة في خيرسون (القرم) خلال

الحقبة الهلنستية[٨٥](٤٢). كانت هذه المِلكيات تُحدد وتُعيَّن بشبكات من الخطوط، تشبه ما كان يحدث حول فيلادلفيا في الفيوم، على النحو المُوَثَّق جيدا في أرشيف زينون الذي بدأتُ به هذا الفصل[٨٦].

حدث "تحسن كبير" في حجم الماشية[٨٧]، حتى إن التحسن الإجمالي الواضح في حجم الماشية يعد أحد الإنجازات التقنية للعصر القديم التي لم تحظَ باهتمام كافٍ. ربما وصل البرسيم إلى اليونان مع الغزوات الفارسية، وربما ارتبط بتحسن تغذية الماشية وزيادة حجمها[٨٨].

كان القمح حبوب الخبز المفضلة لدى الأغنياء، وهيمن على الإنتاج الزراعي، جنبا إلى جنب مع الشعير. وكان الشعير مفضلا حتى في أتيكا وفي شرق اليونان بسبب طبيعته الأشد تحملا. وفي غرب اليونان وشمالها، كان إنتاج القمح مفضلا[٨٩]. كانت القاعدة دورة إنتاج من سنتين وإراحة الأرض. وإجمالا، كانت الغلة في أغلب الأماكن منخفضة في حالة أراضي زراعة الحبوب، ربما بين ١ : ٣ و١ : ٧، على الرغم من عدم وجود أرقام موثوقة من العصر القديم[٩٠]. وكانت زراعة الزيتون معروفة في اليونان خلال العصر البرونزي المتأخر، وفي قبرص وكريت، وانتشرت بحلول القرن السابع قبل الحقبة المشتركة[٩١]. وكانت بساتين الفاكهة والعنب منتشرة.

ما يزال الجدل متواصلا بشأن طبيعة تربية الحيوانات في علاقته بالأراضي الزراعية. وما تزال هناك خلافات بشأن الإنتاجية الإجمالية، وبالتالي إمداد الغذاء[٩٢]. يدور أحد الجدالات حول توفر السماد من الحيوانات بسبب ممارسة الارتحال الموسمي في الكثير من أجزاء اليونان. ومع أن السماد المختلط كان يستخدم هو الآخر(٤٣)، فإن قلة السماد ربما أعاقت ما كان يمكن أن يكون إنتاجية أعلى كثيرا من التربة[٩٣]. وينتج الجدل في غالبه عن غياب الأدلة القوية وعن التفسيرات المختلفة للنصوص الأدبية التي بحوزتنا.

كانت ترتيبات مِلكية الأرض معقدة، إذ لم تتألف من "مزارع أسرية" وحسب، بل "عكست مبادلات بين العمل الزراعي والاحتياج العسكري وسلطة الجماعة"[٩٤]. وكان الرجل إما يفلح

(٤٢) خيرسون Chersonesos (أيضا Chersonesus وChersinese، وفي يونانية العصور الوسطى Cherson) هو الاسم القديم لمستعمرة يونانية في شبه جزيرة القرم على ساحل البحر الأسود، يوجد مكانها حاليا مدينة سيفاستوبول. [المترجم]

(٤٣) السماد المختلط compost مزيج من الروث وأوراق الشجر الميتة تُسَمَّد به الأرض. [المترجم]

الأرض بنفسه، أو يستخدم مديرا، أو يؤجر الأرض[٩٥]. وقد قُدِّر متوسط الوحدات الإنتاجية بنحو خمسة هكتارات أو زهاء اثني عشر أكرا ونصف الأكر. وكان هناك تفضيل ثقافي للأسر كوحدات إنتاجية، لكن المطالب العسكرية غيرت الحركية، وثمة تشابه بين تعقيدات أنماط السلطة المتداخلة على الأرض في اليونان والنظام المصري. وكانت مِلكية الجماعة من الأرض يُعهَد بها إلى رعاية الإله المحلي، ما ساعد في تحقيق التوازن بين المصلحة الشخصية والجماعية في إنتاجية الأرض[٩٦]. وعلى غرار الحال في مصر أيضا، كان هذا النظام وسيلة لمنع تفتيت المِلكية من خلال نظم الميراث التقسيمي، وكان أحد مقتضيات النمو السكاني. وقد أفسح مَنح الأراضي في مقابل الخدمة العسكرية المجال في الكثير من الأماكن إلى ظهور الجندي المرتزق المحترف الذي يحصل على أجره في شكل عملة.

كان خطر فشل القمح حول أثينا مرتفعا، إذ بلغ زهاء ثمانية وعشرين بالمائة في أي سنة (الجدول ١)[٩٧]. وهنا كان الشعير مفضلا، ومن المعروف أن أثينا اعتمدت على استيراد القمح من خارج منطقتها، بالدرجة الأولى من البحر الأسود وشمال أفريقيا وصقلية، مع أن التحديد الكمي للتمييز بين الإنتاج الداخلي في أتيكا وحجم الواردات من الخارج ما يزال محل نزاع[٩٨].

العمل والعبودية

كان هناك مصدران للعمل في الأراضي الزراعية، هما الحيوانات والبشر، وهنا أركزُ على البشر. لقد تراوح العمل الزراعي البشري في كل حضارات البحر الأبيض المتوسط بين تأجير الأرض والعمل المأجور وعمل العبيد. أظهرت هذه المجتمعات جميعا تفضيلا ثقافيا لتجنب عمل النساء في الحقول، لكننا يجب أن نترك الباب مفتوحا لهذه الإمكانية[٩٩]. ضمت كل مجتمعات البحر الأبيض المتوسط ما قبل الحديث، ومنها المجتمعات البدوية، شكلا أو آخر من أشكال العبودية، على أن شكل العمل القسري وأنواعه وموقع عمل العبيد ضمن القطاعات الإنتاجية للمجتمعات ما قبل الحديثة تتفاوَت بشدة[١٠٠]. جاء العبيد في أغلب الحالات من جماعات إثنية خارجية، وكانت هناك أنماط عدة للاسترقاق، من أبرزها الأَسْر في الحرب والاختطاف. وفي كل نظم البحر الأبيض المتوسط، وُجد العبيد في العمل الزراعي والتعدين وغيرها من بيئات العمل غير الماهر مثل العمل الحرفي وفي السياق الأسري. على أنه قد يكون من الصعب تمييز تعريفات العبودية والحدود بين العامل العبد والعامل

التابع(٤٤)، جزئيا بسبب نقص الأدلة، وجزئيا بسبب طبيعة الأدلة التي تعطينا نقاط استشراف عدة. كانت التصنيفات القديمة، باستثناء القانون الروماني، هلامية فيما يتعلق بالأنواع المختلفة من العمل التابع والعبودية[١٠١]. ثم بدأت العبودية تتخذ شكلا رسميا على نحو متزايد، كما يتكشَّف في العلاقات القانونية وعلاقات المِلكية في حوارات أرسطو[١٠٢]. وتتفاوَت مصالح الدولة والتعريفات القانونية في مقابل الأوصاف الأدبية، ومنها النسخ الهزلية "للعبد المضحك" comic slave. وقد ظهرت خلال العشرين سنة الماضية خلاصات كثيرة حول العبودية في مجتمعات بعينها، لكن لم يحدث تقدم حقيقي مدفوعا بمادة جديدة. وقد أسهمت القياسات التمثيلية التي أجراها شايدل Scheidel والأعمال المقارنة في إبراز العبودية القديمة ووضعها في سياقها. وقدم دارسو الاقتصاد إسهامات مهمة لفهم آليات العبودية، مثل إعتاق العبيد، من منظور مقارن[١٠٣]. وخَلُصت دراسة داري ماتياتشي Dari-Mattiacci الأخيرة حول إعتاق العبيد إلى:

> عدم اتساق المعلومات بين العبيد والأسياد، التي تحدد بدورها ما إذا كان إعتاق العبيد قد استُخدِم من جانب الأسياد كحافز للأداء الجيد[١٠٤].

كان توفر العمالة جزءا مهما من تفسيرات نشأة العبودية، وهو جانب شديد التعقيد من الاقتصادات القديمة، لأنه من الصعب تقدير الأعداد الفعلية، ولأن التصنيفات كانت شديدة الهلامية، لا سيما في المجتمعات ما قبل الكلاسيكية. وبعيدا عن مفهوم "مجتمع العبيد"، تُفْهَم العبودية عادة على أنها أحد طرفي طيف من علاقات القوة ضمن التراتبية الاجتماعية في كل المجتمعات البشرية[١٠٥]. كانت العبودية مؤسسة واسعة الانتشار في العالمين اليوناني والروماني، دافع عنها الأدب وبرر وجودها بذرائع فلسفية واعتبرها من طبائع الأمور. وكانت العبودية عاملا رئيسا في الديمقراطية الأثينية، ووُجِدت في كل مكان، من بينها الإنتاج الزراعي[١٠٦].

كان لدى السومريين في منتصف الألف الثالث قبل الحقبة المشتركة مفهوم مجرد للعمل وقابل للقياس الكمي في شكل "أيام عمل"[١٠٧]. وأصبحت الكلمة ذاتها تعني "أجر وأجرة وإيجار"، وبذلك تحولت إلى نقد. لم تلعب العبودية دورا رئيسا في الإنتاج الزراعي في مصر أو الشرق الأدنى القديمين

(٤٤) العمل التابع dependent labor شكل من العمل القسري لحساب الغير، في الغالب في شكل تسخير الضعفاء سياسا في خدمة الأغنياء، وُجد في كل المجالات، من المنزل إلى السوق والحكومة. [المترجم]

اللذين كانت العبودية المنزلية فيهما أكثر شيوعا. وكان العبيد في الحالتين من أسرى الحرب الأجانب[١٠٨]. أدى نقص العمالة إلى ضرورة الإكراه. وفي البداية كانت عبودية الدَين[٤٥]، وهي "سمة مميِّزة لمجتمعات الشرق الأدنى القديم"، الشكل الرئيس للعبودية في الشرق الأدنى وفي مصر[١٠٩]. ونادرا ما يظهر إعتاق العبيد في مصادر الشرق الأدنى أو مصر القديمين[١١٠].

تُستدعى نظرية "نمط الإنتاج الآسيوي" عادة لتفسير السيطرة على العمل. تذهب هذه النظرية إلى أن نظم الري ولّدت بيروقراطية إدارية أدت بدورها إلى نظم سياسية أشد مركزية وتبعية واسعة الانتشار. معنى ذلك أن هناك علاقة متبادلة بين البيئة والإنتاج الزراعي ومطالب الدولة ومطالب المنازل. فقد تطلب نظام العمل المنظم في أحواض الري تعاونا على نطاق واسع، كما يتجلى في أوضح صوره في جنوب بلاد ما بين النهرين وفي مصر. وكانت الأنهار ذاتها المستبد الحقيقي، وكانت الادعاءات المَلكية بالسيطرة على العمل ثانوية بالنسبة إلى احتياجات الزراعة في الأراضي المروية.

كانت التزامات العمل الموسمية لدى الدولة شائعة في كل من الشرق الأدنى ومصر بداية من الألف الثالث قبل الحقبة المشتركة حتى الحقبة الرومانية[١١١]. وكانت بالتأكيد أقدم شكل للضرائب التي تُدفع للدولة، ولا ريب أن جباية الضرائب على الأشخاص أسهل من جبايتها على الإنتاج الزراعي الذي يمكن إخفاءه أو التستر عليه. على أننا يجب أن نميز بين الأنواع المختلفة من العمل القسري، وهي العمل الموسمي والعمل المأجور والعمل القسري الدائم. وقد انتشر العمل الموسمي في تطهير قنوات الري وإصلاح السدود والحواجز وما إليها. وهنا أيضا غالبا ما يكون استخدام كلمة "السخرة" corvée مضلِّلا، إذ يستدعي الاستخدام الأصلي للسخرة في نظم أشد قسرية مثل التزامات العمل في مصر القرن التاسع عشر في عهد محمد علي، وهي المؤسسة التي أبطلها البريطانيون في عام ١٨٨٢. لكن حتى في مصر القرن التاسع عشر كان العمل المأجور شائعا كذلك في أشغال القنوات والسدود والحواجز[١١٢]. استخدم فيبر مصطلح "المستعمرة" coloni للإشارة إلى كل الأشخاص الذين عملوا في الأرض، أي كل العمل الذي فُرِض باعتباره التزاما نحو الدولة، ومن ضمنه الخدمة

---

(٤٥) عبودية الدَين debt slavery، عُرفت حديثا باسم العمل المُسْتَرَّق bonded labor أو العمل المرتهن debt bondage، وهو شكل من العمالة الملزمة يُرْتَهن فيه عمل العامل سدادا لدَين أو التزام آخر، ويمكن أن يكون العمل نفسه ومدته مفتوحة، ويمكن أن ينتقل من جيل إلى آخر. [المترجم]

العسكرية، لكنني أفضل النظر إليه على أنه كان التزاما بالخدمة العامة فُرض على مستوى القرية على العمل الحر أو الموسمي أو غير المتخصص تحت إشراف موظفي الدولة. ولا ريب أنه كان مختلفا في طبيعته عن العمل الموسمي الخاص.

كان العمل المأجور، جنبا إلى جنب مع نظم العمل بالسخرة، شائعا على امتداد الحقبتين الأخمينية والسلوقية في الشرق الأدنى[١١٣]. وكانت "الفائدة" على القروض يمكن أن تسدد بالعمل، وهي ممارسة ممثَّلة جيدا في الوثائق بداية من سلالة أور الثالثة في نحو عام ٢٠٠٠ ق.ح. لكن كان من الممكن أيضا دفع مقابل العمل المأجور بالفضة والحبوب. وتوثِّق السجلات الآشورية الحديثة نوعي العمل غير المتخصص (الزراعي) والمتخصص (مثل صياغة الحُلي وتجارة القوافل). وكانت مدد عقود العمل ما بين شهر واحد وسنة، وتكشِف عن حركة العمالة. على أن سجل الإمبراطورية البابلية الحديثة للعبودية كان أكثر اتساعا[١١٤]. كانت تكلفة العبيد مرتفعة، وكانت ملكيتهم مقصورة على الأغنياء. وشغل العبيد الذكور عددا من الأدوار، من الخدمة المنزلية، إلى الإنتاج الزراعي والحرفي، إلى إدارة الممتلكات نيابة عن أسيادهم. وكان من الشائع أن يعمل العبيد الخاصون خبازين. وكان من الممكن إعتاق العبيد الخاصين في بلاد بابل الحديثة بعقد. وفي بعض الحالات، كان العبد المعتق ملزما بالبقاء في خدمة المالك، ولدى وفاة الأخير، كان العبد "يُنْذَر" للإله ويصبح من أتباع المعبد (شيركو sirku أي عبد المعبد)، وكان من حق أتباع المعبد أن يتزوجوا ويتملكوا[١١٥].

ذهب فيبر إلى أن سكان مصر جميعا كانوا "أداة لسلطة الفرعون"[١١٦]. غير أن عمالة العبيد الفعلية في الإنتاج الزراعي كانت نادرة في مصر في كل العصور. تكشِف كلمة "بك" b3k عن المشكلة الأساسية في اللغة غير الفنية، إذ كانت تعني في آن معا العبد و"الخادم" و"العامل"، وتوسعا "الضريبة"[٤٦]. ويمكن تشبيه لقب "بك" ("عبد" أو "خادم") الإله بالشيركو البابلي و"العبيد

(٤٦) لم تكن اللغة المصرية القديمة تحتوي صوائت، لذلك يُكتب المقابل اللاتيني لهذه الكلمة المصرية القديمة في شكل b3k أو bek أو bak، وهي منزلة ملتبسة بين العامل والموظف والخادم والعبد، وكانت الكلمة نفسها اسم علم، مثل اسم كبير النحاتين المَلكيين في عهد الفرعون إخناتون. [المترجم]

المقدسين" (الهيرودولوي[٤٧]) المعروفين في أماكن أخرى من العالم الهلنستي. كان جذر الكلمة يعني شيئا مثل "التزام". فلم تميز اللغة المصرية بين العبد والخادم. ومن غير الواضح ما إذا كان البك والهيرودولوي مصطلحين مرتبطين أم لا، لكنهم في كل الأحوال لم يكونوا عبيدا بالمعنى الضيق، بل عمالا ملحقين بالخدمة في أطيان المعابد. ويظهر البك في العديد من العقود الخاصة أطرافًا في مبيعات الأراضي[١١٧]. وإجمالا، فإننا نُغْفِل دقائق العلاقات التراتبية القسرية المعيارية، ولا يجب أن نقلل من شأن القوة القسرية "للقفص الاجتماعي" الذي شكله النهر نفسه[١١٨].

في الشرق الأدنى وفي مصر كليهما خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة، تطورت التزامات العمل من الأجر بالإعالة subsistence wage إلى الأجور المدفوعة نقدا، عادة في شكل فضة. وفيما يتعلق بالعمل الزراعي، حدث تطور من الألف الثاني إلى الأول قبل الحقبة المشتركة. ففي الفترات الأقدم، كان الشائع وجود مدى واسع من العمال الزراعيين الملزمين في أراضي الدولة، لكننا نجد في نصوص الألف الأول قبل الحقبة المشتركة "طبقة فلاحين مقسمة طبقيا" و"مزارعين أحرار" واستخدام لعقود العمل المكتوبة[١١٩]. وهنا كانت استبصارات فيبر رائعة وما تزال صادقة:

لذلك تظهر العقود المكتوبة باللغة الديموطيقية لأول مرة في زمن بوخوريس، لا سيما العقود المرتبطة بانتقالات الأرض[٤٨]. ومن الواضح أن القانون التجاري كان قد تغير، لا سيما فيما يتعلق بالأرض، وأن برنامجا للتحول العلماني كان قيد التنفيذ[٤٩][١٢٠].

(٤٧) الهيرودولوي hierodouloi هم العبيد المقدسون الذين كانوا مِلكية للإله وعاشوا في أراضٍ تملكها المعابد، التحقوا بخدمة الإله إما هبة من البعض أو بمرسوم مدني أو بالعتق من العبودية الخاصة والبيع الافتراضي للإله، كانوا بذلك "عبيد الإله" أو "خدم الإله"، وهي ممارسة انتشرت في آسيا الصغرى الحثية واستمرت خلال الإمبراطورية الرومانية. [المترجم]

(٤٨) بوخوريس Bocchoris هو الاسم اليوناني للفرعون المصري با كن رع نف من الأسرة المصرية الرابعة والعشرين، حكم مصر الدنيا بين نحو عامي ٧٢٥ و٧٢٠ ق.ح. [المترجم]

(٤٩) يشير التحول العلماني secularization هنا إلى تحرير الاقتصاد من قبضة المعابد. [المترجم]

وتماما كما كانت الحال في كل الأماكن الأخرى، كان مفهوم العمل المصري "هلاميا"، ولم يكن الحد الفاصل بين النشاط الحكومي والخاص صارما، وكان أغلب الناس في حالة وسط بين العمال الأحرار وغير الأحرار[١٢١].

ثمة أشكال أخرى من العمل القسري مُوَثَّقة في أطيان المعابد في أثناء الدولة الحديثة وفي مشروعات التشييد الحكومية الكبيرة. لكن صورة العمال العبيد الذين استخدمهم ملوك قساة في بناء أهرامات الدولة القديمة، تلك الصورة التي ما تزال موجودة في وصف هيرودوت لمصر وربما شكلت فهمنا للعمل البطلمي، تناقض نظام العمل الأشد تعقيدا حتى في مصر المبكرة. ويكشف تحليل لينر Lehner الأخير لنظام العمل في بناء الأهرام، الذي استرشد بالأعمال الأثرية الرائعة على هضبة الجيزة، بوضوح كافٍ أن النظام كان شديد التعقيد، وأن العمال تراوحوا من العمال الأحرار تماما إلى عمال كانوا موظفين تابعين في منازل النخبة وفي أطيان المعابد، ومن عمال الحجارة المتخصصين إلى العمال من الأسرى[١٢٢]. وتحتفظ بردية من الدولة الوسطى المصرية بسجل مكتب حكومي تتبَّع التزامات العمل الحكومي بعناية، وفرض عقوبات شديدة على من يفرون من التزامات العمل بإلزامهم هم أو أتباعهم بالعمل في الخدمة القسرية في أراضي الدولة[١٢٣]. وقد كان بوسع الدولة أن تسخِّر أعدادا ضخمة من العمال في المشروعات الحكومية، ولا بد أن العمل في اقتلاع الحجارة كان مضنيا وخطرا غالبا[١٢٤]. لكننا نعرف أيضا أن هذه البعثات التي كانت تنظم من خلال التجنيد المحلي للشباب، كانت تجد دافعا لها في الفخر والأجر ووعد الوليمة بعد انتهاء العمل[١٢٥].

اتخذ العمل الإلزامي في الأرض أبعادا مختلفة ونطاقا مختلفا خلال الدولة المصرية الحديثة، مع تدفق أسرى الحرب على مصر من الحملات العسكرية، وإلزامهم بالعمل في الأراضي الزراعية وفي المحاجر. كان لهؤلاء الأسرى "حضور دائم" في الأراضي، تماما مثل "السجناء المدانين" وكبار السن من الجنود[١٢٦]. وكان الجنود يُوهَبون أراضٍ ضمن أطيان المعابد، وهي الممارسة التي انتقلت إلى الألف الأول قبل الحقبة المشتركة[١٢٧]. وبدأ مصطلح "الأرض الحرة أو الخاصة" و"الشخص الحر أو الخاص" في الظهور في مصادرنا، في نحو عام ١٠٠٠ ق.ح، في دفع الضرائب للدولة، وفي الوقت نفسه اختفى العمل القسري، ربما بسبب تقلص أسرى الحرب مع نهاية الدولة الحديثة[١٢٨]. ويظهر "العمال الزراعيون" وهم يُباعون ويُشترون في عقود البيع خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة. من

الواضح أن ذلك يعكس تحولا في الإنتاج الزراعي خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة بعيدا عن العمل الإلزامي المؤسسي (من خلال المعابد) إلى استخدام العمل بالسخرة والعمال الخاصين[١٢٩]. يدور جدل حول مكانة الأشخاص الذين وُهِبوا أراضٍ في مقابل خدمة الدولة، الذين تراوحوا من كبار العسكريين إلى الحرفيين ورعاة الماشية المقدسة(٥٠). صحيح أن من تملكوا الأراضي ضمن أطيان المعابد خلال الحقبة البطلمية كانوا يحملون لقب مكانة تُتَرجم إما إلى "خادم" أو "عبد الإله"، لكن هذا اللقب الشائع في العقود الخاصة من الحقبة البطلمية والرومانية المبكرة لا يحمل من المعنى شيئاً أكثر من شخص يعمل لحساب المعبد[١٣٠].

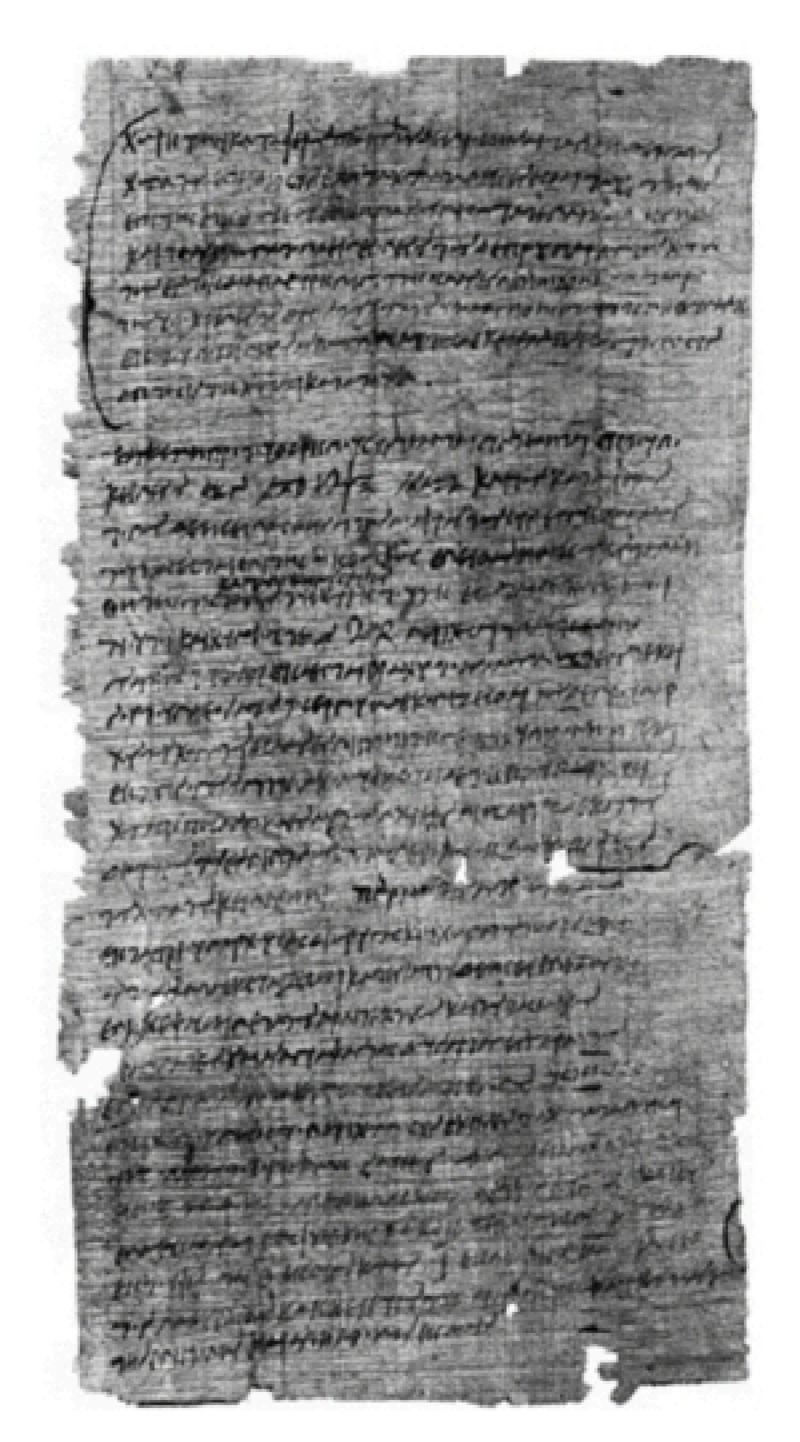
وعلى مدار الألف الأول قبل الحقبة المشتركة، انتقلت الدولة المصرية من فرض الضرائب على العمل والسيطرة عليه إلى نظام ازدادت فيه أهمية الضرائب النقدية. وبلغ النظام آفاقا جديدة بعد عام ٣٠٠ ق.ح. فخلال الحقبتين البطلمية والرومانية، عومل العمل بالسخرة معاملة الضريبة، إذ كان يحتسب كمساحة من الأرض تُنقل للعامل بإيصالات تُصْدَر له. وكانت الضريبة تُعامَل على أنها حق مَلكي في العمل، لكنها راوحت مكانها لآلاف السنين كقاعدة[١٣١]. استخدم العمل المأجور في مشروع الاستصلاح الكبير في الفيوم[١٣٢]. ويذكر عقد في إحدى البرديات تفاصيل الاستصلاح وكمية العمل المتضمن، وهي واحد وخمسون ألفا وستمائة يوم عمل، فضلا عن تكلفة العمل (الشكل ٢٢)[١٣٣].

كانت أغلب أشكال العمل خارج السياق المنزلي من نوع العمل المأجور، وعقود العمل المأجور مُوَثَّقة جيدا في البرديات المصرية[١٣٤]. يتضمن الكثير من هذه العقود العمل الزراعي، واتفاقات تأجير الأراضي، لكن ظهرت بعض الصور الجديدة للعقود، منها عقود للقيام بأنواع محددة من الأعمال ضمن ما يسمى الاحتكارات المَلكية، وهي عقود تسمى الباراموني(٥١). وبوجه عام، لم يكن العبيد خلال الحقبة البطلمية يُستخدَمون في الإنتاج الزراعي، بل في المنازل بالدرجة الأولى[١٣٥].

---

(٥٠) تشير الماشية المقدسة إلى الحيوانات التي كانت جزءا من عبادة المصريين القدماء، مثل الثور أبيس، وإلى ماشية المعابد. [المترجم]

(٥١) باراموني paramone كلمة يونانية تعني "الالتزام"، ويشير عقد الباراموني بذلك إلى "عقد الخدمة" أو "عقد التزام الطرف الأول بالبقاء في خدمة الطرف الثاني". وفي العالم اليوناني، كان عتق العبد يحدث بطرق عدة، لكنه كان غالبا ملزما قانونا بأن يظل خادما حرا لسيده السابق لفترة من الوقت، كانت تسمى فترة أو عقد الباراموني، أي الالتزام،





الشكل (٢٢) وجه البردية ليل ١ (P. Lille I) وظهرها، التي تحتوي مخططا بيانيا وميزانية عمل لمشروع جديد لتطوير الأراضي خلال القرن الثالث قبل الحقبة المشتركة، من الفيوم في مصر. تتضمن حسابات تكاليف العمل بالفضة لكل وحدة تُنقَل من الأرض، وتوضح أن الأراضي، وهي عشرة آلاف أرورا، قد قُسِّمت إلى قطع متساوية المساحة، تسمى بيريخوماتا perichomata، مساحة الواحدة منها مئتين وخمسين أرورا، وتوضح القنوات والحواجز[٥٢].

انظر ترجمة للبردية في D. Thompson، (1999a: 118–20) . الصورتان بإذن من Institute of Papyrology at the Sorbonne.

تقصت لين فوكسهول Lin Foxhall طبيعة تبعية المستأجرين خلال العصر القديم الكلاسيكي[١٣٦]. وقد شكّلت الجماعات الريفية المحيطة من غير المواطنين المصدر الرئيس للعمل في أغلب أجزاء العالم اليوناني[١٣٧]. وكان هناك تنوع شديد في أشكال العمل التابع في العالم اليوناني، وسوق عمل شديد التجزؤ[١٣٨]. كان العمل شحيحا، وإلى جانب العبودية، وُجِد نظام الأجانب

وهي الفكرة التي أخذها عنهم الأوروبيون الحديثون عند تحرير العبيد الأفارقة إبان القرن التاسع عشر، وإن أطلقوا عليها فترة "التمهن" apprenticeship، كانت مدتها ثماني سنوات، بُررت كفترة إعداد للعبيد السابقين على الحياة الحرة. [المترجم]

(٥٢) راجع الجدول (٣) حول مساحة الأرورا. [المترجم]

المقيمين (المتيك metic) الذي كان الشخص فيه يرتبط بالدولة المدينية، بدون مواطنة، لكن كانت لهم بعض الحقوق الأساسية.

كان لأسبرطة نظام مميز للعمال العبيد، هو طبقة الهيلوت helot التي كانت تعيد إنتاج نفسها[١٣٩]. وفي جزيرة كريت وأماكن أخرى، كانت هناك طبقة مماثلة من العبيد تسمى الكلاروتاي klarotai، كانت لهم بعض الحقوق[١٤٠]. وبحلول القرن السادس قبل الحقبة المشتركة، كانت العبودية قد أصبحت نمطا مهيمنا للعمل في أثينا، وبحلول القرن الرابع قبل الحقبة المشتركة، ربما بلغت أعداد العبيد ما بين ثمانين ألفا ومائة ألف، أي نحو أربعين بالمائة من إجمالي سكان أثينا، كان "جزء كبير" منهم يعملون في مناجم الفضة[١٤١]. وتكشِف سجلات إحصاء السكان أن أعداد العبيد بلغت ذروتها بحلول النصف الثاني من ذلك القرن، في الوقت نفسه الذي بلغت فيه مؤسسة العبودية أوجها في الدراسات الفلسفية[١٤٢]. وكان العمل المأجور والعمال الموسميون معروفين أيضا، وإن ظلا أقل توثيقا. وقد تغيرت المكانة الاجتماعية لهؤلاء العبيد، فكان الثيتس thetes عمالاً عرضيين بلا أملاك، اختفوا بعد الإصلاحات الديمقراطية في أثينا، وتمتعوا بمكانة المواطن التي جعلت أشكال العمل القسري صعبة، وكذلك استعداد الثيتس أنفسهم للعمل[١٤٣].

إن العبودية في العالم اليوناني، المُوَثَّقة منذ زمن هوميروس، استُخدِمت عبر مدى من أشكال العمل، منها الزراعة، على الرغم من أن مدى استخدام العبيد، لا سيما في السياق الزراعي، ما يزال محل جدل[١٤٤]. ومع أن الكثير من مصادرنا أدبية في طبيعتها[١٤٥]، فإننا نعرف الأبعاد الأساسية للعبودية اليونانية، كما أنها مُوَثَّقة جيدا في حالة أثينا. وقد ظهرت العبودية المنقولة وتوسعت مع الاستخدام المتزايد للعملة والتجارة[٥٣]، وهي شكل من العبودية كان ينظر فيه إلى العبيد على أنهم مِلكية تُباع وتُشترى في أسواق العبيد[١٤٦]. وقد تمتع العبيد بعدد من المهارات، فعملوا جنودا وحرفيين متخصصين، إلى جانب تلك الأرواح المسكينة التي كانت حبيسة المناجم. كان العبيد يأتون بالدرجة الأولى كنتاج عرضي للحرب، لا سيما النساء والأطفال من الجانب المهزوم. لكن هناك حجة مؤداها أن دافع الحرب كان جزئيا أسر العبيد كجزء من غنائم الحرب[١٤٧]. ومن المؤكد أن الأسرى المباعين

---

(٥٣) العبودية المنقولة chattel slavery بمعنى أن العبد يشكل مِلكية منقولة تُباع وتُشترى وتُوَرّث، وكذلك نسل العبد. [المترجم]

عبيدا كانوا نتاجا عرضيا للحرب، وأن استرقاق البرابرة لم يثر هاجسا أخلاقيا[١٤٨]. وثمة ميل بين الدارسين لتقليل تناسل العبيد[١٤٩]. وقد فرض نقص العمالة أشكالا أكثر قسرية من العمل. ودفعت التطورات الديمقراطية في أثينا والمدن الأخرى التحرك نحو العبيد[١٥٠]. ومن الواضح أن مِلكية العبيد كانت شائعة، وأن السعر النسبي للعبيد في أثينا كان منخفضا، نتيجة لانخفاض تكاليف النقل وللإمداد المتواصل[١٥١]. لكن المواقف من العبودية تغيرت في أثناء الحقبة الهلنستية.

كان الفلاحون في مصر أحرارا دائما من الناحية الفنية، وكان هناك تقليد طويل من استئجار الأرض. وكان عمل العبيد المنقولين في الأرض نادرا في مصر، إن وجد أصلا. وكانت طبقة الفلاحين المحليين في مصر البطلمية والمملكة السلوقية تسمى اللاوي laoi في النصوص اليونانية، وشكلت على الأرجح درجات مختلفة من التبعية فيما يتعلق بالأرض. وكانوا هؤلاء الفلاحون أحرارا قانونا في سورية وحماهم القانون من البيع مستقبلا[١٥٢]. على أن الحرية- لا ريب- كانت مفهوما إشكاليا في هذه الحالات، لأن السكان الريفيين كانوا في الواقع مرتبطين فعليا بالأرض بفعل ظروف عملية، إذ كان أغلب الناس لا يبتعدون كثيرا عن مسقط رأسهم، وكانوا عادة مكبلين ضمن شبكات من الرعاية، كانت ترتبط غالبا بأطيان المعابد[١٥٣]. لكن ذلك تركهم عرضة للحرب والأَسْر والبيع عبيدا في الأماكن التي وقعت فيها حروب كثيرة. وقد ظلت مصر آمنة فعليا من هذه الأعمال، لكن ذلك لم يكن القاعدة في العالم الهلنستي. وقد تعزز ذلك الواقع بفعل النظام الجبائي البطلمي وإحصائه للسكان الذي ربط الناس والجماعات قانونا بالمكان. فكان "المزارعون المَلكيون"، كما أسمتهم النصوص اليونانية، يفلحون الأراضي المَلكية بالتأجير، وكانت لهم بعض الامتيازات والضمانات القانونية الناتجة عن هذه المكانة. وكان "العبيد المقدسون" موجودين أيضا[١٥٤]. على أن الأشخاص حاملي هذه الألقاب لم يكونوا عبيدا، بل كانوا أشخاصا مرتبطين بأطيان المعابد في الشرق الأدنى وفي مصر، وخدموا الأطيان في أعمال أخرى، منها رعاية الماشية والعمل مومسات وغيرها من أنواع الوظائف المتخصصة غير الدينية. وفي مصر العليا خلال القرن الثالث قبل الحقبة المشتركة، وُجد هؤلاء الأشخاص رعاةً للماشية يبيعون ويشترون قطعا صغيرة من الأراضي بعقود بيع مصرية[١٥٥].

كان انتشار العبودية المنقولة اليونانية إلى الممالك الهلنستية اتجاها مهما في تلك الفترة، مع أن هذه العبودية كانت موجودة فعلا في أماكن مثل بلاد بابل[١٥٦]. وفي أجزاء أخرى من العالم الهلنستي، نقابل العبيد في بيئات المصانع الكبيرة (الإرغاستريا ergasteria)، ويظهرون بالدرجة الأولى في صنع المعدات

العسكرية في مناطق حضرية مثل بيرغاموم وميليتوس[١٥٧][٥٤]. وانتقل تقليد العبيد المنزليين مع اليونانيين الذين انتقلوا شرقا في خدمة الملوك الجدد للدول الهلنستية، كجنود في الأساس. وهنا في منازل المهاجرين اليونانيين، وجد أغلب العبيد المنزليين[١٥٨]. وفي حالة مصر، نجد أنه من الصعب أن نعرف المقصود بأقوال في أدب الحكمة العالمية المصرية من نوع "لا تتقاعس عن شراء خادم وخادمة متى كنت قادرا على ذلك"[١٥٩]. وإذا انتقلنا إلى المادة الوثائقية غير الأدبية[١٦٠]، نجد أن العبودية مُوَثَّقة في الأطيان الكبيرة في مصر (برديات زينون)، والعمل نسّاجين في الأطيان، وأيضا العمل وكلاءً لمدراء الأطيان في المنازل. وكان إعتاق العبيد بالوصية "الشكل المعتاد لإعتاق العبيد"[١٦١]. وكان العبيد المولودون في البيت يُسجَلون عادة ضمن مسوح المنازل[١٦٢]، وكذلك يظهرون في تقارير إحصاء السكان[١٦٣]. وتقدم تجارة العبيد من خلال تجار عبيد مختلفين، وبعض مبيعات العبيد الباقية في البرديات اليونانية، تفاصيل جيدة حول أصول العبيد في مصر، وهي تحديدا من خلال البيع في المزادات العلنية وتنظيم الدولة. ومن المرجح أن نشاط أسواق العبيد قد ازداد، وكانت ديلوس مركزها الأساسي خلال القرن الثاني قبل الحقبة المشتركة، مع زيادة الطلب الروماني في أعقاب الهزيمة الساحقة لقرطاج وكورنث[١٦٤]. وكان ضعف الأطفال، لا سيما البنات، مصدرا للعبيد، مع الحرب شبه المتواصلة خلال الحقبة الهلنستية، جنبا إلى جنب مع القرصنة، فضلا عن مؤسسة قديمة، استمرت بدرجة ما، هي عبودية الدَين.

كان الإنتاج الزراعي الأساس للأمن والثروة المنزليين. وكانت الضرائب وتوزيع الحبوب جزءا أساسيا من سياسة البحر الأبيض المتوسط خلال العصر الحديدي، مع أن الأبنية الجبائية خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة اختلفت جذريا، تماما كما اختلفت مِلكية الأرض ونظم العمل. وثمة عامل آخر أسهم في تفاوت النظم الزراعية، هو المناخ والتغيرات المناخية التي حدثت على نطاقات عدة. يقدم علم المناخ القديم لمؤرخي اقتصادات البحر الأبيض المتوسط ما قبل الحديث أرشيفات طبيعية جديدة ومتنامية لهذه التغيرات. لذلك يتمثل التحدي خلال السنوات القادمة في الجمع بين توثيق النشاط البشري من النصوص وعلم الآثار مع هذه الأرشيفات الطبيعية، وهي مهمة لن تكون سهلة بحال من الأحوال، لكن هذا الجمع يزودنا بمقاربة جديدة مثيرة للزراعة القديمة وللاقتصادات ما قبل الحديثة عموماً.

---

(٥٤) بيرغاموم Pergamum أو بيرغامون Pergamon مدينة يونانية قديمة كانت تقع ضمن منطقة أيوليس Aeolis، تقع حاليا ضمن دولة تركيا بالقرب من ساحل بحر إيجة. [المترجم]

الفصل الخامس

حدود الاقتصادات ما قبل الحديثة
البيئة والمناخ والتغير المناخي
The Boundaries of Premodern Economies Ecology, Climate, and Climate Change

عندما عرفوا أن اليونان كلها تعتمد على المطر في ري الأراضي، وليس على أنهارها، كما هي الحال في مصر، قالوا إن اليونانيين ستتحطم آمالهم الكبيرة يوما ويتكبدون أهوال المجاعة.

—Herodotus 2.13 trans. Waterfield (1998)

كانت السمة المذهلة لتاريخ آسيا الاقتصادي هي التطابق بين نطاق الرياح الموسمية وحدود زراعة الحبوب .... فقد تنوع توزيع المطر في أحزمة الرياح الموسمية بآسيا بحسب نمط معروف مسبقا وقابل للملاحظة ضمن الدورة السنوية.

—Chaudhuri (1990: 106)

كان القدماء ملاحظين متبصرين للطبيعة، كما يتجلى في الشعر المصري، وفي أساطير الفيضان في بلاد ما بين النهرين، وفي أدبيات الكتاب المقدس[1]، ولدى كُتاب مثل ثيوفراستوس الذي لاحظ- من

(١) أدبيات الكتاب المقدس bibilical literature مبحث يتناول بالدراسة الأكاديمية الكتاب المقدس وتفسيره وتأويله وكذلك الأدبيات القديمة ذات الصلة بالكتاب المقدس. [المترجم]

بين أشياء كثيرة أخرى- التغيرات المناخية الناشئة عن البشر في ثيسالي[١][٢]. كانت للرؤية الشمولية للعالم الطبيعي المترابط التي عبّر عنها ألسكندر فون هومبولت Alexander von Humboldt تأثير قوي على مخيلة القرن التاسع عشر[٢]. وكان من المعروف، بفضل علماء نابليون والدارسين الإثنوغرافيين اللاحقين، أن المجتمع المصري قام على الزراعة على انحسار الفيضان، وأن سماته كانت مختلفة عن المناطق التي اعتمدت على المطر في الإنتاج الزراعي[٣]. وقد كرَّست مدرسة مؤرخي الحوليات في فرنسا الكثير من الانتباه للعلاقة بين المناخ والتاريخ[٤].

ثمة تاريخ طويل للتفكير في علاقة البشر بالبيئة الطبيعية. لكن كيف يرتبطان على وجه التحديد؟ تتبنى بعض الأعمال الجديدة التي أقوم بها أنا وغيري من الزملاء الموضوع القديم المتمثل في الارتباط بين فيضان النيل وتاريخ مصر السياسي، ونبيّن من خلال التحليل الإحصائي المتأني أن الارتباط بين الثورانات البركانية الانفجارية المرتبطة بانخفاض المطر في حوض النيل من ناحية وانخفاض فيضان النيل من ناحية أخرى مؤكد بنسبة احتمال تفوق ثمانية وتسعين بالمائة[٥]. لكن يمكن أن تكون الإحصاءات من حين لآخر مجرد أكاذيب لعينة، ولا يكشف الاحتمال عن علاقة سببية. غير أن العلاقة ارتباطية قوية إلى حد يوحي بأنه لا بد أن يكون هناك ارتباطا قويا. كما أننا وجدنا أن ثمانٍ من فترات الاضطراب الاجتماعي التسع المُوَثَّقة وقعت في أوقات هذه الثورانات البركانية على وجه التقريب. على أن فيضان النيل السيئ لم يكن السبب الوحيد للاضطراب، ولم تكن الثورانات البركانية الكبيرة السبب الوحيد لتفاوت فيضان النيل. لكن هذا النوع من الهزات المناخية يمكن أن يكشف عن ضعف بنيوي في المجتمع. ويتمثل التحدي الملقى على كاهل مؤرخي العصر القديم في أن يبنوا نماذج اجتماعية أشد تعقيدا. وأتمنى أن تتمكن الأعمال المستقبلية من تحسين فهمنا للارتباط بين التفاوت المناخي وتأثيراته على الإنتاج الزراعي ومصادر المياه[٦].

أثر المناخ على الزراعة وعلى غيرها من جوانب الحياة القديمة، لكن على الرغم من أهمية المناخ والتغير المناخي، فإن فهم كل من إعادة بناء المناخ القديم والتغير المناخي يفرض تحديات هائلة، فما يزال علم المناخ القديم وعلم المناخ التاريخي historical climatology مجالين جديدين نسبيا يعملان

---

(٢) ثيسالي Thessaly أو ثيساليا Thessalia إحدى المناطق التقليدية في اليونان القديم، عُرفت خلال الحقبة الموكناوية باسم أيوليا Aeolia، لكن بقي اسمها في نسبة اليونانيين الأيوليين واللهجة الأيولية اليونانية. [المترجم]

ببيانات شديدة التعقيد ونماذج رياضية وينطويان على شيء من الغموض في تقدير التأثيرات المكانية والزمنية للتغير المناخي. ومما يزيد الأمر صعوبة أن أغلب البيانات المناخية جديدة في حالة عالم البحر الأبيض المتوسط ما قبل الحديث. ولا ريب أن الافتراض المعتاد بأن التغيرات في نظام المناخ دفعت تغيرات اجتماعية افتراض مفرط في التبسيط. وعوضا عن ذلك، ينبغي أن نفكر في مدخلات المناخ والتغير المناخي باعتبارها مكونات ضمن نظام الحث التبادلي الطبيعي-البشري (الشكل ٢٣).

تقر أغلب الدراسات السابقة لاقتصادات البحر الأبيض المتوسط ما قبل الحديث بطريقة أو بأخرى بدور الجغرافيا والمناخ، لكن لم تُنفذ حتى الآن أعمال موسعة لدمج البيانات المناخية والتغير المناخي في التحليل التاريخي للاقتصاد القديم فيما يتعلق بالأداء أو النمو داخل المناطق أو عبرها[٧]. وقد تراوح الجدل حول تأثير التغير المناخي على الأداء الاقتصادي من اعتباره غير مهم على أحد طرفي الطيف إلى اعتباره السبب الأساسي للضيق والتدهور الاجتماعيين الاقتصاديين على الطرف الآخر[٨]. ويتمثل التحدي الكبير الماثل أمام المؤرخين في دمج البيانات المناخية شديدة التعقيد وفهم تأثيرات التغير المناخي مع البيانات الأرشيفية البشرية التي جُمعت من النصوص والمادة الأثرية[٩].

ما يزال أمامنا الكثير من العمل، وهناك الكثير من الفجوات في معرفتنا. من ذلك على سبيل المثال أن فهمنا للبنية السكانية ومجمع الأمراض في مجتمعات البحر الأبيض المتوسط قبل عام ٢٠٠ق.ح ما يزال غير دقيق بالمرة، لكن الدراسات الأخيرة لحقب تاريخية لاحقة تثبت أن دمج الأرشيفات الطبيعية والبشرية يقدم إمكانات كبيرة[١٠].

توفرت خلال السنوات الأخيرة كمية كبيرة من البيانات التمثيلية الجديدة للمناخ القديم. وتقدم البيانات الأدق، ذات مستوى الوضوح السنوي أو العشري[٣]، للمؤرخين فرصة الاشتباك الفكري مع البيانات على النطاقات البشرية. كان التغير المناخي مؤثرا على نطاقات عدة، من اتجاهات الاحترار warming والابتراد cooling طويلة المدى ونوبات الجفاف الشديد megadroughts التي استمرت من

(٣) يوصف مستوى وضوح البيانات المناخية التمثيلية بأنه سنوي إذا كان يمكن إرجاع الأحداث المناخية وتأثيراتها إلى سنة واحدة (كمستوى لدقة البيانات)، كأن يتم ربط ثوران بركاني بحدث تاريخي في سنة بعينها، ويوصف بأنه عشري إذا كان يمكن إرجاع الأحداث وتأثيراتها إلى عشر سنوات، وبالمثل يوصف مستوى وضوح هذه البيانات بأنه مئوي وألفي. [المترجم]

عقود كثيرة إلى قرون عدة، إلى الهزات قصيرة المدى مثل الثورانات البركانية الانفجارية التي تركت تأثيرات على النطاق الزمني السنوي (من سنة واحدة إلى سنتين في الغالب). كان التوزيع المكاني للتغير المناخي، وبالتالي تأثيراته، متفاوِتا. وكذلك اعتمدت الاستجابات البشرية للأنواع المختلفة من التغيرات المناخية على مرونة المجتمع وتكيفه هذه الهزات. وسوف أوضحُ في نهاية هذا الفصل أن عوامل مناخية بعيدة تماما عن البحر الأبيض المتوسط، تحديدا ثورانات انفجارية لبراكين عند دوائر عرض شمالية بعيدة[٤]، قد كبحت فيضان النيل. تمكّننا البيانات المناخية من بناء نظام للحث التبادلي الطبيعي-البشري يتضمن التغذية الراجعة (الشكلان ٢٤، ٣٦)[١١]. لقد كانت مصر- وحكامها- تفيض بالحبوب خلال السنوات الجيدة، لكن بسبب اعتماد مصر على فيضان النيل السنوي، تفاوَت الإنتاج الزراعي بشدة بسبب تفاوت الفيضان من سنة إلى أخرى المدفوع بحركية المناخ.

الحتمية والسببية

ثمة ارتباط بين تفاعل البشر والحيوانات ضمن بيئاتهم وتكيفهم استجابةً للظروف المتغيرة. وقد أُطِّرت أغلب الأدبيات الأقدم ضمن مقولات الحتمية الجغرافية geographical determinism أو الحتمية البيئية environmental determinism، وهي "افتراض أن الطبيعة قادرة على كفّ النشاطات البشرية أو حثها"[١٢]. على أن هذا النموذج أحادي السبب لا يأخذ في حسبانه قدرة البشر على التكيف، كما أنه يجب التعامل مع مدى تقييد البيئة والمناخ لسلوك الفرد أو الدولة على نطاقات عدة. وقد أوضحت السجلات المناخية التمثيلية المُحَسَّنة كثيرا من مختلف أنحاء العالم أن "الظروف البيئية" كانت دائما شديدة التفاوت[١٣]. وعلى ذلك فإنه بدلا من العلاقة الخطية أو أحادية السبب التي تقترحها النماذج الحتمية البسيطة، يجب فهم العلاقة بين البشر والظروف البيئية والهزات المناخية باعتبارها نظاما معقدا يقوم على الحث التبادلي والتغذية الراجعة. فقد لعبت القيود الجغرافية

---

(٤) تشير دوائر العرض "البعيدة" high latitudes إلى دوائر العرض البعيدة عموما عن دائرة الاستواء، شمالا أو جنوبا، وتوصف دوائر العرض بأنها "أبعد" higher latitude كلما بعدت عن دائرة الاستواء، شمالا أو جنوبا، وتوصف بأنها أدنى low latitude كلما قربت منها. [المترجم]

والظروف المناخية أدوارا مهمة في تشكيل الأبنية المحفِّزة للمجتمعات، وفي الحركة، وفي طرق التجارة، وفي النظم الجبائية وغيرها[١٤].

إن استخدام "المناخ" في التفسيرات التاريخية للتغير أمر إشكالي، لأنه ينطوي على افتراض أن القوى الدافعة البيئية والمناخية "حتمت" الحظوظ البشرية أو قيدتها. ومع ذلك فإن ما يسمى المغالطة البيئية كانت "مفهوما أساسيا" في علم الاجتماع إبان العقد السادس من القرن العشرين، وكانت "رائجة" بين بعض علماء الآثار إبان العقد التالي[١٥](٥). وقد كان النقاد مُحِقّين عندما أبرزوا مشكلة عزل "البيئة" باعتبارها سببا أوليا، في حين أن التفاعل بين البشر وبيئتهم شديد التعقيد. فالمسألة ليست "الانهيار" المجتمعي وحسب، بل تنطوي القصة عادة على مستويات مختلفة من التكيف البشري، وقد اكتسب تأثير النشاط البشري على البيئات حاليا وزنا أكبر في مقابل القوى الدافعة الطبيعية للتغير المناخي[١٦].

ثمة نموذج آخر سُمي نموذج "العامل الداخلي"(٦)، ظهر كناتج عرضي لأول تسجيل مناخي بالآلات في أوروبا في القرن التاسع عشر(٧)، افترض أن المناخ أحد الثوابت الداخلية ضمن عملية التغير وليس إحدى القوى الدافعة للتغير[١٧]. وكان ذلك هو الاستنتاج عينه الذي خَلُصت إليه دراسة حديثة نسبيا حول الزراعة اليونانية القديمة، من "أننا ينبغي أن نخْلُص إلى أنه لا تتوفر طرق لقياس التغيرات في المناخ، وأن نقبل بالتالي بأن المناخ على الأرجح لم يتغير على نحو جذري"[١٨]. لكن التقدم العلمي الحالي يوفر لنا طرقا ممتازة لإعادة بناء المناخات القديمة والتفاوت المناخي والتأثيرات البشرية على

---

(٥) المغالطة البيئية ecological fallacy مغالطة صورية في تفسير البيانات الإحصائية، تحدث عندما يتوصل الباحث إلى استنتاجات حول طبيعة الأفراد من استنتاجات حول الجماعة التي ينتمي إليها هؤلاء الأفراد، تسمى أيضا مغالطة التفكيك fallacy of division. [المترجم]

(٦) نموذج "العامل الداخلي" endogenous model أي العامل الذي يشكل جزءا داخليا من عملية التغير، يؤثر في العوامل الأخرى ويتأثر بها، وليس جزءا أو عاملا من خارج النظام exogenous يؤثر على التغير دون أن يتأثر به. [المترجم]

(٧) التسجيل المناخي بالآلات instrumental record keeping (والسجلات المناخية الناتجة عن التسجيل بالآلات instrumental records) تسجيل التغير المناخي القريب، مثل العناصر المناخية الشائعة كدرجة الحرارة وسقوط المطر والرطوبة والرياح والضغط الجوي وسطوع الشمس وغيرها باستخدام آلات القياس measuring istruments المعيارية وتركيبها بالطريقة الصحيحة وفي الأماكن الصحيحة، وهو عمل علمي شرع فيه الباحثون بداية من القرن التاسع عشر. [المترجم]

البيئة. من ذلك على سبيل المثال أن الأعمال حول المناخ القديم في البحر الأبيض المتوسط تقترح أن الفعل البشري كان أقل تأثيرا على تآكل التربة من الصفائح التكتونية plate tectonics والتغير المناخي التدريجي خلال منتصف عصر الهولوسين (٤٠٠٠-٣٠٠٠ ق.ح)[١٩].

ثمة نموذج يربط البيئة بالاقتصاد قُدِّم في دراسة فيتفوغل "الاستبداد الشرقي". بُني هذا النموذج على خط فكري طويل، يرجع إلى الفلسفة الإغريقية، يضع خطوط فصل واضحة بين بيئات المطر الكلاسيكية وبيئات الري في مصر والشرق الأدنى والهند والصين. لكنه أثار سؤالا بالغ الأهمية حول الاختلافات في الأداء الاقتصادي بين الإنتاج الزراعي المعتمد على الري والمطر. يميل الدارسون إلى الكتابة عن أنفسهم بطريقة أو بأخرى، وفيتفوغل الذي عمل في معسكر الاعتقال النازي في إسترويغن Esterwegen في عام ١٩٣٣، "عايش بنفسه الجانب الاستبدادي والقاتل للهندسة الهيدروليكية"[٢٠]. وفي الوقت الذي نشر فيه كتابه في عام ١٩٥٧، كان الكتاب قد أصبح هجوما موسعا على الشيوعية، وكانت أطروحته الأساسية هي أن إدارة الري أدت إلى نمو متطرف في السلطة البيروقراطية التي أخضعت كل جوانب المجتمع الأخرى لسيطرتها وأدت إلى "السلطة الشمولية" للدولة المركزية.

وهناك اعتقاد قديم بأن الري هو الأساس لشكل الدولة الاستبدادية شديدة المركزية[٢١]. وقد ذهب كارل بوتزر إلى أن نظرية فيتفوغل التي تربط الري بالسياسة تظهر عشوائيا في أماكن غير متوقعة[٢٢]. وقد لقيت هذه النظرية رفضا عاما باعتبارها تفسيرا عاما للإنتاج الزراعي، ومن ضمنه العمل. إن الأدبيات حول الاستبداد الشرقي ضخمة إلى حد أنني لو أردتُ أن أجمعها، لجاء الهامش في طول هذا الكتاب. ترجع هذه النظرية الهيدرولوجية حول المجتمعات الآسيوية إلى القرن الثامن عشر وإلى أعمال مونتسكيو Montesquieu وغيره[٢٣]. بإيجاز، يفترض هذا النموذج ارتباطا سببيا بين الري والبيروقراطية الإدارية وسلطة الحاكم الشمولية. وقد ربط الكثير من المراقبين بين بيئات الري ومشروعات البناء الهائلة وقوة العمل القسري الضخمة[٨]. كذلك افترضت نظرية "نمط الإنتاج الآسيوي" لكارل ماركس ونظرية "البيروقراطية الهيدروليكية" hydraulic bureaucracy لماكس فيبر ارتباطاً قوياً بين مجتمعات الري والتعقيد الاجتماعي والسلطة السياسية المركزية.

---

(٨) كما هي الحال في بناء أهرامات الدولة المصرية القديمة على سبيل المثال. [المترجم]

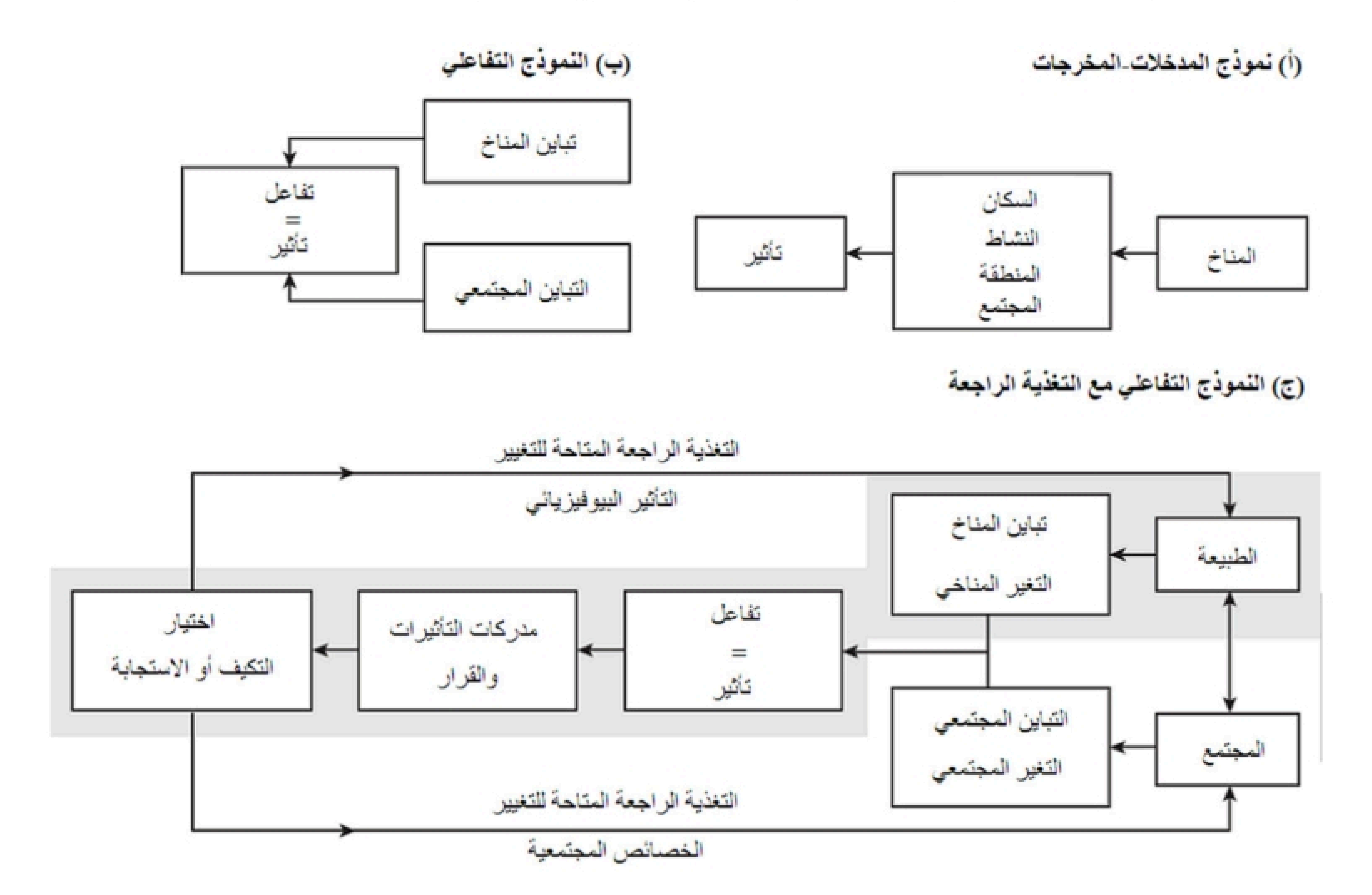
أوجز كتاب "الاستبداد الشرقي" الكثير من التفكير التاريخي الذي هيمن خلال القرن التاسع عشر حول الاقتصاد السياسي للدول المبكرة، لا سيما الدول الآسيوية التي ارتبطت بالزراعة بالري. تتسم حجة الكتاب بالتعقيد، وجاءت محاولة فيتفوغل للربط بين إدارة الماء ومستويات التقنية وحقوق المِلكية وبنية سلطة الدولة والسلطة الاجتماعية رائعة. وقد كان النموذج الاستبدادي في مصر في بنيته الأساسية تجسيدا "لنموذج السببية الخطية" الذي ربط الضغط البيئي بالري، إذ أدت الحاجة إلى السيطرة على شبكات الري إلى تشكيل بيروقراطية هيدروليكية، أدت بدورها إلى السيطرة المركزية على الموارد الاقتصادية. إنها نظرية مثيرة وأخاذة، لكنها تنطوي على تعميم وتوسيع زائدين. فمع أنها تبرز الاختلافات بين الشرق والغرب، فإنها تبالغ في تبسيط تعقيدات مجتمعات الري من منظور المقارنات بين هذه المجتمعات، إذ أخضع فيتفوغل مصر وبلاد ما بين النهرين والصين لنفس المعالجة، وكذلك من منظور مجتمع بعينه مثل مصر التي كانت بنيتها الاجتماعية المحلية في علاقتها بالري أشد تعقيدا.

أكدت نظرية فيتفوغل كذلك على النطاق، ذلك أن الدول الاستبدادية نتجت عن أشغال ري واسعة النطاق تطلبت بيروقراطية إدارية كبيرة لصيانتها. على أن هاتين النقطتين لا تنطبقان على مصر القديمة[٢٤]. فالعلاقة السببية يمكن بالقدر نفسه أن تكون في الاتجاه المعاكس، بمعنى أن مخططات الري المدارة محليا مكّنت النخب من انتزاع الفائض الزراعي[٢٥].

لكن في حين تفشل نظرية فيتفوغل العامة في الإلمام بالتعقيدات الكاملة المتضمنة في الارتباط بين الري والسياسة، فإن أعمالا جديدة وسعَّت الجدل من خلال تقصي المسارات طويلة المدى للتطور الاقتصادي في بيئات مختلفة[٢٦]. ربما كان الاختلاف بين أراضي الزراعة بالري والزراعة على المطر عاملا حاسما فعلا في أداء الدولة. تنبثق في هذه الأعمال ثلاثة أنواع من الدول، هي نموذج الدولة القائمة على الصفقات transactional state ونموذج الدولة القائمة على التأمين insurance state ونموذج الدولة الهشة fragile state. في الدولة الأولى أدت "المستويات العالية من رأس المال البشري واتساع نطاق توزيعه" إلى الدول الحديثة، وفي الدولة الثانية أدت "المستويات العالية من رأس المال البشري وضيق نطاق توزيعه" إلى "مستويات معتدلة من التطور الاقتصادي"، وأخيرا تتسم "الدولة الهشة" بـ"مستويات استثمار منخفضة في رأس المال البشري" أدت إلى مستويات نمو منخفضة ودول ضعيفة. إن جوهر هذه النظرية هو أن "الديمقراطية والتطور الاقتصادي كانا أكثر ترجيحاً" في حالة "التوزيع الواسع لرأس المال البشري ومستويات التحضر العالية، ونظم المِلكية وقانون العقود الأكثر

تطورا"[٢٧]. تفسر هذه النظرية العالم بعد عام ١٧٥٠، لكن لها مضامين على العالم القديم، وتبرز الصلات المهمة بين الجغرافيا والمناخ والأداء الاقتصادي، وفي الوقت عينه تضع تضادا ضمنيا بين تطور العالم الحديث وما قبل الحديث.

إن دراسة العلاقة بين البيئة والسياسة في مواقع بعينها أمر كاشف لأنه يبرز حقيقة أن الكيانات السياسية التي نتناولها خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة كانت نظما تكيفية معقدة. وهناك "سلسلة" من الأحداث والهزات المناخية والحروب والأمراض والأزمات السياسية ربما أدت إلى تأثيرات مجتمعية كارثية أو إلى استجابات مرنة إيجابية. يتمثل المدخل إلى ذلك في تقصي "نقاط الضغط" المجتمعي، وهو المجال الذي حقق فيه علم المناخ القديم تقدما كبيرا في فهمنا للمجتمعات ما قبل الحديثة[٢٨]. وعلى ذلك فإن الهدف لا يتمثل في بناء نموذج حتمي أحادي السبب يتقدم من التغير المناخي أو الهزات المناخية إلى الاستجابة المجتمعية، بل بالأحرى فهم تعقيدات المجتمعات ما قبل الحديثة بإضافة القيود والهزات البيئية كمكون إضافي إلى حركية نظام الحث التبادلي الطبيعي-البشري (الشكل ٢٣).



الشكل (٢٣) نماذج مختلفة، من نموذج المدخلات-المخرجات أحادي السبب (أ) إلى نموذج نظام الحث التبادلي الطبيعي-البشري مع التغذية الراجعة (ج). من Hannaford (2014).

تعتمد التوازنات السياسية والاقتصادية على الصلة بين الإنتاج الزراعي والضرائب. لذلك كانت القيود البيئية وتفاوت المناخ حاسمين في التوازنات السياسية في العالم ما قبل الحديث، وذلك اختلاف مهم بين العالمين ما قبل الحديث والحديث[٢٩]. وما تزال طرق تكيف المجتمعات البشرية وتوافقها مع الظروف المتغيرة ومدى ذلك التكيف والتوافق محل جدل محتدم. كما أن بناء الإمبراطوريات وأفولها، وهي أهم ظاهرة سياسية في عالم البحر الأبيض المتوسط خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة، حدثا جزئيا بفعل هذه القيود المفروضة وطرق التعامل مع مشكلة حشد الموارد والسيطرة على الإقليم. وقد انتشرت حركة الحضارات المبكرة من الوديان النهرية في مصر وبلاد ما بين النهرين إلى "محيط بحر هائل"[٣٠].

كذلك برز دور القيود البيئية عند جيرد دايموند Jared Diamond، الفسيولوجي في إعداده لكنه صار حاليا أستاذا للجغرافيا بجامعة كاليفورنيا في لوس أنجلوس، الذي كان كتابه الصادر في عام ١٩٩٧ "البنادق والجراثيم والفولاذ" Guns، Germs and Steel محل اهتمام واسع، وما يزال. قدم دايموند حجة لتفسير كيف ولّد تفاعل الجغرافيا والمرض والقيود البيئية في المركز الأوراسي "حلقات من التغذية الراجعة الإيجابية"، كانت عوامل مهمة في تفسيرات الأداء الاقتصادي التاريخي. ترك هذا الكتاب أثرا هائلا، وفاز بجائزة بوليتزر لعام ١٩٩٨. ومع أن بعض النقاد هاجموا دايموند بأنه لم يفعل شيئا غير إحياء "الحتمية الجغرافية"، فإن أطروحته أشد تعقيدا من ذلك، إذ جمع هِبات العوامل الطبيعية والجغرافية مع التغير التقني ودور المرض لتفسير مسار الحضارات المبكرة[٣١].

كان هذا الكتاب درسا مفيدا لعالمنا المُتْخَم الذي ينسى كثيرا أن حياتنا ما تزال مرتبطة بالعالم الطبيعي. فنحن نعيش في عالم معولم، تمتلئ فيه متاجر البقالة بمنتجات من حول العالم، جنباً إلى جنب مع المنتجين العضويين المحليين، وتحتوي متاجر المعدات كل شيء يحتاجه المرء لبناء بيته، ويوفر موقع يوتيوب التعليمات، وأصبحت أسعار السلع والأسهم والسندات مترابطة ضمن سوق عالمي واحد، مدمج وحركي ومتواصل. ويذهب البعض إلى أننا قد أنجزنا وجودا خارج الطبيعة ومعزولا عن الهزات التي قد تعرقل إمدادات الغذاء والماء، وأصبحنا نسيطر على مصيرنا. لكن ذلك وهم لا أكثر، وهو وهم يقتصر على من يعيشون في حفنة من الدول المحظوظة.

فمن حين لآخر، يحدث ما يذكّرنا بأن "الطبيعة الأم" ما تزال صاحبة السطوة على البشر[٩]، ومن الواضح أن ذلك التذكير أكثر بروزا في اللحظة الحاضرة، ذلك أن ظواهر مثل زلزال نيبال الهائل في شهر أبريل ٢٠١٥ (بقوة ٧,٨ د.ع، وزلزال تابع رئيس بقوة ٧,٣ د.ع في مايو ٢٠١٥[١٠])، والدمار الذي سببه في بانغلادش إعصار سدر Cyclone Sidr في عام ٢٠٠٧، والجفاف الحالي في غرب آسيا، وإعصار هارفي Hurricane Harvey الذي يضرب جنوب تكساس وأنا أراجع هذه المخطوطة، من بين ظواهر كثيرة أخرى، توضح لنا، أو يجب أن توضح لنا، أن البشر ما زالوا ضعفاء أمام القوى الطبيعية والعواصف والزلازل والتفاوت البيئي وما إليها[٣٢]. وحتى مع الأدلة الجيدة على التغير المناخي الناشئ عن البشر anthropogenic climate change، وعلى رأسها اتجاهات الاحترار العالمي global warming الناتجة بالدرجة الأولى عن انبعاثات ثاني أكسيد الكربون من النشاط البشري، ما تزال بعض الدوائر تنكر التغير أو تتجاهله، جزئيا بسبب طبيعته البطيئة والمتمايزة في تأثيرها العالمي، التي تدفع عمليات تراكمية، لكنها غير خطية. ولذلك فإنه على خلاف أحداث مثل الزلازل والفيضانات والجفاف المفاجئ، يصعب إدراك الطبيعة المتواصلة لهذه التغيرات.

يمكن أن يبدو التغير المناخي وتفاوت المناخ والقيود البيئية والتضاريس أقل تأثيرا من معركة حربية رئيسة، لكنها كانت قوى دافعة قوية في العالم ما قبل الحديث[٣٣]. لذلك يجب أن تبدأ دراسات الاقتصادات ما قبل الحديثة في دمج هذه النظرة في تحليلات المؤسسات الاقتصادية والتغير المؤسسي. كما أن مفهوم العقلانية المقيدة يجب أن يتسع ليشمل القيود الطبيعية التي فرضتها العوامل الطبيعية على البشر الذين عاشوا في المجتمعات ما قبل الحديثة[٣٤]. ويعد البحث عن نماذج حركية للتغير أحد أهم الاتجاهات في فهم الاقتصادات ما قبل الحديثة.

(٩) الطبيعة الأم Mother Nature تجسيد يوناني-روماني للطبيعة يبرز خصائصها المانحة للحياة والمقدمة للرعاية من خلال تصويرها في صورة أم تتعهد مختلف الكائنات بالرعاية. [المترجم]

(١٠) "د.ع" أي درجة العزم moment magnitude scale; MMS) Mw)، هو مقياس لشدة الزلازل بكمية الطاقة الصادرة عنها، يساوي صلابة الأرض مضروبة في متوسط كمية الانزلاق على الفالق وحجم المساحة التي انزلقت. [المترجم]

إن فكرة الحث التبادلي بين البيئة والنشاط البشري فكرة قديمة بالتأكيد، إذ ترجع على الأقل إلى الجغرافيين الإيونيين والفلسفة الصينية المبكرة[١١]. من ذلك على سبيل المثال أن هيرودوت في نهاية كتابه "التاريخ" (History، 122 :book 9)، في آخر كلامه عن الحروب اليونانية-الفارسية التي شكلت التاريخ اللاحق في كل من اليونان والشرق الأدنى، يقول ما يلي حول تشكيل البيئة للحضارة البشرية:

كان اقتراحنا كالتالي: "طالما أن زيوس أعطى السيادة للفرس وإياك يا قورش[١٢]، وها أنت قد تخلصت من أستياغيس[١٣]، فلنهاجر من البلد الذي نملكه حاليا، ذلك البلد الصغير والوعر، ونسيطر على مكان آخر. هناك الكثير من البلدان على حدودنا، والكثير من البلدان الأبعد، التي يجعلنا امتلاك أحدها أوسع شهرة بين أناس أكثر".

لم يعجب هذا الاقتراح قورش الذي قال افعلوا، لكنه نصحهم أيضاً بأن يكونوا مستعدين في هذه الحالة لأن يصبحوا خاضعين وليسوا حكاماً، على أساس أن الأراضي الناعمة تربي أناساً ناعمين. وقال إنه يستحيل أن ينتج البلد الواحد محاصيل جيدة ومقاتلين أشداء[٣٥].

إن ذلك إقرار واضح من القرن الخامس قبل الحقبة المشتركة بما نشير إليه حاليا باسم الحتمية البيئية. بحسب هذا الفهم أحادي السبب للعالم، تحتم "البيئة" "الثقافة"[٣٦]، وهي فكرة ترجع، بقدر ما نستطيع تتبعها، إلى فلاسفة إيونية ما قبل السقراطيين. وهناك خط فكري واضح بداية من محاورتي أفلاطون كريتياس وطيمايوس وقصة أطلنطس الشهيرة[١٤]، إلى كتاب أرسطو "علم الأرصاد الجوية" Meteorologica، إلى بعض ملاحظات غيبون Gibbon حول البرابرة، هو أن الارتباط بين التغير المناخي

(١١) الإيونيون نسبة إلى إيونية Ionia، وهي منطقة تاريخية في وسط الساحل الغربي للأناضول قرب مدينة إزمير التركية، كانت موطنا لمدرسة ما قبل سقراطية في الفلسفة بمعناها القديم الشامل، تمحورت حول مدينة ميليتوس. [المترجم]

(١٢) احتل الفرس إيونية وكاريا التي ينتمي إليها هيرودوت (من هاليكارناسوس تحديدا)، وكانت الثورة الإيونية على الحكم الفارسي أحد الأسباب المباشرة للحروب اليونانية-الفارسية، ومن هنا حديث هيرودوت عن سيادة الفرس والدعوة إلى استعمار مكان جديد. [المترجم]

(١٣) أستياغيس Astyages (يسمى بالفارسية أشتويكو، حكم ٥٨٥-٥٥٠ ق.ح) هو آخر ملك للإمبراطورية الميدية أطاح به وبدولته الغزو الفارسي بقيادة قورش الكبير Cyrus the Great. [المترجم]

(١٤) أطلنطس Atlantis قارة أسطورية قال أفلاطون في محاورتيه كريتياس Critias وطيمايوس Timaeus إنها كانت مثبتة في السجلات المصرية، شغلت خيال الكتاب والمفكرين. [المترجم]

والهزات المفاجئة كانت من القوى الدافعة للحضارات البشرية[٣٧]. من أمثلة ذلك الفقرة التالية من الجزء الثاني من مجموعة أبقراط "الأجواء والمياه والأماكن" Airs، Waters and Places :

على وجه التحديد، فإنه مع مضي الفصل والسنة، يمكنه أن يحدد ما هي الأمراض الوبائية التي ستهاجم المدينة، سواء في الصيف أو في الشتاء، وما الخطر الذي سيكون كل فرد عرضة له نتيجة لتغيير نظام التغذية. ومن خلال معرفة تغيرات الفصول، وبزوغ النجوم وأفولها، وكيف يحدث كل منها، يستطيع أن يعرف مسبقا كيف ستكون السنة التالية[٣٨].

الجغرافيا والمنطقة

يعد الموقع على الخريطة جزءا مهما من فهم الاقتصادات ما قبل الحديثة. من ذلك على سبيل المثال أن الظروف البيئية للفيوم أو جنوب مصر أو شمال بلاد ما بين النهرين وجنوبها ومناطق الزراعة على المطر مثل اليونان البرية، شكلت مساراتها السياسية والتاريخية المختلفة[٣٩]. يوضح شو هذه النقطة جيداً بالقول: "كان المكان الذي وُجدت فيه النظم الاجتماعية والاقتصادية وتطورت ... مهما في ذاته"[٤٠]. فيمكن- على سبيل المثال- إرجاع ظهور الدول المدينية اليونانية ونجاحها التجاري جزئيا إلى "الاجتماع التاريخي لابتكارات العصر الحديدي مع الموقع البيئي والجيوسياسي الفريد عبر الطرق البحرية بين أراضي الحرث شبه البربرية والإمبراطوريات المتحضرة المهيمنة"[٤١](١٥). وقد كانت دراسة مناطق بعينها من البحر الأبيض المتوسط مجالا خصبا خلال السنوات الأخيرة، على الرغم من أن المنطقة الواحدة تظل إشكالية كوحدة للتحليل[٤٢]. يعرِّف ريغر Reger المنطقة بثلاثة معايير مختلفة للحدود، هي الجغرافيا والإثنية والكيان السياسي، وباستخدام العملة باعتبارها مَعْلَم حدود لأنماط التبادل داخل المنطقة وبين المناطق[٤٣]. وقد كانت الشبكات والتجارة والجغرافيا مرتبطة بشدة فيما بينها[٤٤]. وفي العصر البرونزي، أي بحلول نحو عام ١٨٠٠ ق.ح، كانت الحدود بين ما نميل إلى تسميته الحضارة والثقافات الكلاسيكية أو الإيجية في آسيا الصغرى وآسيا الوسطى تشارك في "تبادل واسع" مع الجزر الإيجية[٤٥].

---

(١٥) تشير أراضي الحرث شبه البربرية إلى شمال أوروبا وغربها وشرقها التي كانت تحيط اليونان من الشمال والغرب والشرق، في مقابل الإمبراطوريات المتحضرة المهيمنة التي كانت تقع جنوب اليونان وشرقها في الشرق الأدنى والمشرق ومصر. [المترجم]

لكن يظل من الصعب دمج البيئة والمناخ والتغير المناخي في التاريخ الاقتصادي، وكثيرا ما يُختزَل الارتباط إلى وصف سببي ساكن لسمات رئيسة مثل الجبال والأنهار وكمية المطر وما إليها ضمن الإقليم الذي تغطيه الدراسة "ببضع فقرات منمقة"[٤٦]. وتأتي التحولات في أنماط الاستيطان، والتحولات في مجرى الأنهار، والبراكين، والتغيرات في درجة الحرارة، وانتشار الأمراض، والتكيف البشري مع الظروف البيئية، بين الكثير من الموضوعات الأخرى التي تضيف مكونا حركيا مهما لأي فهم للتغير على مر الزمن[٤٧]. لكن هذا الموضوع تغير جذريا خلال ربع القرن الأخير، إذ وفر عدد من الأعمال أساسا- يمكن البناء عليه- من المعلومات حول الجغرافيا والمناخ والتغير المناخي والبيئات، أثبت أنه بالغ الأهمية لدراسة الاقتصادات. فقد أبرز وليام كرونن William Cronon أن "النظم البيئية الطبيعية natural ecosystems هي التي توفر السياق" للمؤسسات البشرية، لكنها مع ذلك تظل على "هامش التحليل التاريخي"[٤٨]. فعلى الرغم من الاعتراف العام بأهمية البيئة والمناخ والتغير المناخي، فإن طريقة تشكيلها للتاريخ الاقتصادي للعالم القديم لم تدخل بعد الخط المهيمن على الدراسة التاريخية[٤٩]. وما تزال القاعدة بين المؤرخين هي أن المناخ مؤثر مفترض لكنه غير محدد، والاعتقاد بأن المناخ والبيئة كانا ساكنين تقريبا عبر النطاقات الزمنية العشرية أو حتى المئوية[٥٠]. وعلى الرغم من أن التاريخ البيئي والاقتصادي وجهين للعملة نفسها، فإن النماذج التي تبرز الدور الحركي للمناخ والتغير المناخي على نطاقات متعددة ما تزال في مرحلة أولية في حالة الاقتصادات ما قبل الحديثة[٥١].

يأتي حوض البحر الأبيض المتوسط بين مناطق الكرة الأرضية التي شهدت أكبر تأثير بشري على المشهد الطبيعي. فكل منطقة في البحر الأبيض المتوسط خلقت ظروفا فريدة في المناخ والتربة والمحاصيل والأمراض وناقلات الأمراض والنقل (مثل مواقع الموانئ) وكثافة السكان. وكذلك اختلف استخدام الأرض والتصريف وإدارة الأرض واستصلاح الأراضي والرعي وحصاد الحبوب وأسعارها على نحو ملحوظ[٥٢]. وقد توانى المؤرخون عن دمج هذا الفهم في الروايات السردية. لكن السياق البيئي مهم لفهم نمو المناطق الحضرية الكبيرة وغيرها عن الأشياء. من ذلك أن انتقادات فينلي الحادة لدراسة فريزر Fraser لمدينة الإسكندرية بأنها افتقرت إلى حس الحركية الحضرية لم تكن بلا أساس تماما. ولا ريب أنه يمكن إجراء المزيد من الدراسات حول تأثيرات "تحضر" الإسكندرية على مناطقها الداخلية الريفية على غرار دراسة كرونن لتأثير نمو شيكاغو القرن التاسع عشر على مناطقها الداخلية الواسعة[٥٣].

علم المناخ القديم والاقتصادات القديمة

ما تزال دراسة العلاقة التبادلية وغير الخطية بين النظم البشرية والطبيعية موضوعا خلافيا، وذلك لأن دمج البيانات المناخية الكمية في التحليل التاريخي يتسم بصعوبة بالغة، كما أنه لا يزال هناك الكثير من أوجه الغموض في السجل المناخي. في عام ١٩٧٩، نشر المؤرخ الفرنسي البارز إيمانويل لو روي لادوري Emmanuel Le Roy Ladurie عملين مؤثرين باللغة الإنجليزية حول العلاقة بين المناخ والتاريخ[٥٤]، جاءت الدراسة الأولى بعنوان "كتابة تاريخ المناخ" Writing the History of the Climate، ووضعت معالم على طريق التقدم للأمام في بضع صفحات وجيزة، وإن لم تذكر البيانات التمثيلية للمناخ القديم إلا قليلا. أطلق لادوري على هذا النوع من الأعمال اسم التاريخ الجيولوجي(١٦)، وأكد على "التقلبات" المناخية التي حددها في تقدم المجالد الأوروبية وتراجعها[٥٥](١٧). لكنه شدد أيضا على قيمة البيانات العلمية، وذكر الحلقات الشجرية وعلم المجالد والدراسات الفينولوجية لإزهار النباتات باعتبارها مقاييس تمثيلية لتفاوت درجة الحرارة(١٨). لقد تغير الحال بشدة، بل بدرجة جذرية، منذ أن كتب لادوري هذه الدراسة[٥٦]. ومع أن تحليل السجلات التمثيلية للعينات اللبية الجليدية بدأ

---

(١٦) راجع حاشية سابقة حول دلالة مصطلح التاريخ الجيولوجي. [المترجم]

(١٧) المُجَلَّدة glacier (الجمع مجالد) كتلة دائمة سمكية من الجليد تتحرك باستمرار بسبب ثقلها، تتشكل في المناطق التي يزيد فيها معدل التجليد عن معدل الذوبان على مدار سنوات كثيرة، غالبا قرون، يوجد أغلبها في المناطق القطبية. [المترجم]

(١٨) الحلقات الشجرية tree rings (تسمى أيضا حلقات النمو growth rings) عبارة عن قَطع عرضي في جذع شجرة يبيّن نمو الخشب خلال فترة نمو growth period واحدة. وفي حالة الأشجار النامية في المناطق المعتدلة، تكون فترة النمو سنة واحدة، وهنا يمكن تسمية حلقة النمو "الحلقة السنوية" annual ring، وهو ما لا يكون واضحا بالقدر نفسه في الأشجار النامية في المناطق الاستوائية. تستخدم الحلقات الشجرية في تحديد أعمار الأشجار dentrochronology بإرجاعها إلى السنة المحددة التي تكونت فيها الحلقات، وكذلك في تحديد الظروف المناخية القديمة التي أثرت على هذا النمو، من جفاف ومطر زائد وحرائق وحشرات وأمراض وتلوث وغيرها. [المترجم]

يهتم علم المجالد glaciogy بدراسة المجالد وتكوينها وتأثيراتها من خلال التعويل على علوم مغذية منها علوم الأرض كالجيولوجيا والجيوفيزياء وغيرها. [المترجم]

الفينولوجيا phenology علم يبحث العلاقة بين المناخ وظواهر دورات الحياة النباتية والحيوانية الدورية، وعوامل الموطن الطبيعي للكائنات مثل الارتفاع. [المترجم]

في عام ١٩٥٧-١٩٥٨، فإن التقدم العلمي في تحليل النظائر لم يحقق تقدما فارقا إلا خلال العقد قبل الأخير من القرن العشرين[٥٧](١٩). وقد تكاثرت البيانات المناخية، تحديدا ذات مستوى الوضوح السنوي أو العشري، بكميات فلكية منذ أن نشر لو روي لادوري دراسته (الجدول ٤).

لا يكمن التحدي حاليا في التعارض بين مجموعات البيانات، بل بالأحرى كما أوضح إزدبسكي Izdebski وزملاؤه في الاختلافات في مناهج البحث وطريقة بناء السرديات من جانب علماء الجيوفيزياء وعلماء الآثار والمؤرخين[٥٨]. ومنذ دراستي لو روي لادوري الرائدتين في العقدين السابع والثامن من القرن العشرين، حدث تقدم كبير في الربط بين إعادة بناء المناخ والتفاوت والتغير المناخيين وتأثير التغير المناخي على المجتمعات البشرية القديمة[٥٩]. فقبل العقد السابع من القرن العشرين، كانت أعمال المناخ التاريخي نوعية بالدرجة الأولى[٦٠]. وفي يناير ١٩٨٠، صار بوسع ديفريس DeVries أن يكتب بثقة أن "الأزمات المناخية قصيرة المدى في علاقتها بالتاريخ الاقتصادي لا تختلف عن سرقات البنوك في علاقتها بتاريخ البنوك"[٦١]. كان ديفريس عندما كتب هذه الكلمات مُحِقّا في قوله إن تلك "البيانات المناخية" كانت "شديدة الصغر"[٦٢]. وحتى مع وجود سجلات مناخية أكبر وأفضل تأريخا في الوقت الحالي، فإن التمييز بين الارتباط والسببية ما يزال إشكاليا، وكذلك قدرتنا على التمييز بين التأثيرات طويلة المدى للتغير المناخي والهزات قصيرة المدى. ولا تزال هناك مشكلة الميل إلى المبالغة في تبسيط العمليات الطبيعية والمجتمعية شديدة التعقيد[٦٣]. يشير هذان الجانبان إلى أننا يجب أن نضع نماذج مكانية وزمنية متقنة للنظم المناخية-البشرية. كما أن التقدم الأخير في علم المناخ القديم عالي الوضوح يمكّن المؤرخين من مقارنة الأرشيفات التاريخية والطبيعية في نفس النطاق الزمني.

تزودنا المصادر القديمة غالبا بإشارات إلى الظروف المناخية، وأحداث مناخية غريبة مثل تجمد الأنهار، بل إنها تزودنا أحيانا بالاتجاهات المناخية، في أجزاء مختلفة من عالم البحر الأبيض المتوسط[٦٤]. ويعد التاريخ المناخي climate history، بمعنى تصنيف السجلات التاريخية للظروف المناخية (زيادات

---

(١٩) تحليل النظائر isotope analysis عملية تُحدد من خلالها نسبة النظائر المستقرة والعناصر الكيميائية في المادة العضوية وغير العضوية، تُستخدم للتعرف على عمر المعدن في مجال علم الزمن الجيولولوجي والتأريخ الإشعاعي، وفي تحليل العينات اللبية الجليدية والعينات الرسوبية لمعرفة متوسط درجة الحرارة والسجل التاريخي للاحترار العالمي في الماضي، ويقاس التفاوت في النظائر من التجزئة النظيرية باستخدام جهاز المطياف الكتلي. [المترجم]

الفيضان، والمطر، وتوسع المجالد وتقلصها، وتواريخ الحصاد، والسلاسل الزمنية لأسعار الحبوب وما إليها)، فرعا قديما للتاريخ. على أن علماء الآثار لهم سجل أطول في الاهتمام بإعادة بناء الظروف المناخية في مواقع التنقيب، ودراسة الارتباطات بين البيئة والحضارة، وفهم تأثيرات المناخ على التاريخ البشري[٦٥]. وقد حدث تقدم حقيقي مع اللقاء الذي رعته دورية التاريخ متعدد التخصصات Journal of Interdisciplinary History في عام ١٩٧٩ الذي ناقش كلا من مناهج البحث والأنواع المختلفة من السجلات التمثيلية (الغبار ورواسب البحيرات) والقوى الجيوفيزيائية التي أسهمت في التغير المناخي[٦٦]. حقق علم المناخ تقدما كبيرا خلال الأربعين سنة الماضية، وتزايدت وفرة النماذج والبيانات المناخية وإتقانها خلال السنوات القليلة الماضية[٦٧]. وقد نقلتنا إعادة بناء المناخ القديم على مدار القرنين الماضيين من استخدام السجلات المناخية الناتجة عن التسجيل بالآلات والنظرية الجليدية في بداية القرن التاسع عشر إلى ما يعد حالياً عملاً علمياً متعدد التخصصات[٢٠]، يدمج فروعا من الكيمياء والفيزياء والجيولوجيا وعلم الآثار وعلم المحيطات وعلم الحاسوب والبيولوجيا والأدوات العلمية شديدة التعقيد التي تستطيع حاليا أن تقيس وجود النظائر المشعة بأجزاء من الكوادريليون[٢١][٦٨]. أوجد ذلك نطاقات زمنية أعمق كثيرا وبيانات أشد إحكاما لتقصي الارتباطات بين المناخ والتاريخ البشري.

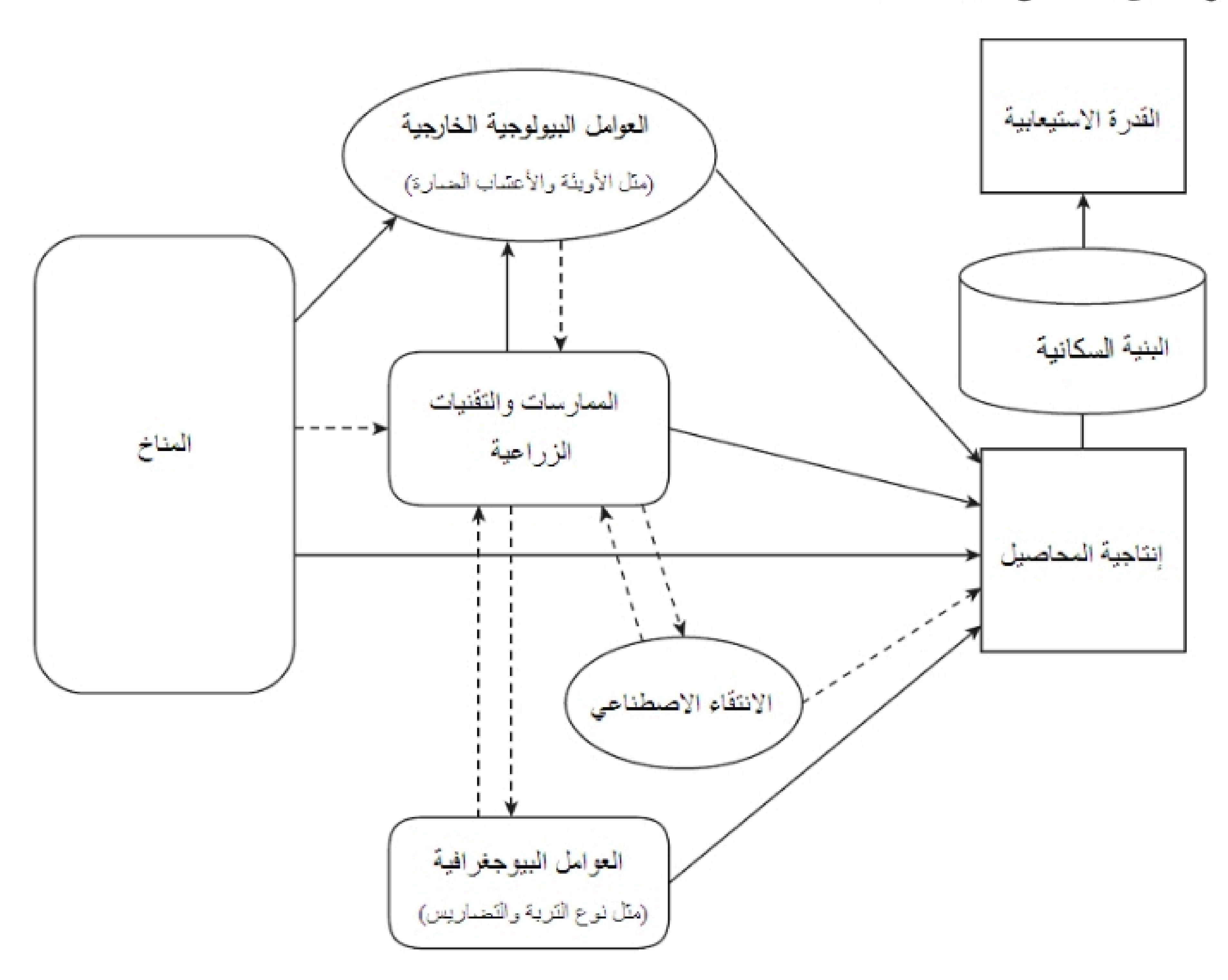
بدأ المؤرخون في استخدام البيانات العلمية المولّدة من علم المناخ باعتبارها أرشيفا جديدا وشديد الثراء. سيشكل هذا الدمج بلا ريب جزءا رئيسا من التاريخ القديم خلال العقد القادم وما بعده. لكن حتى عندما تكون لدينا سلاسل زمنية جيدة لأسعار الحبوب لبضعة أماكن فقط خلال

---

(٢٠) راجع حاشية سابقة حول التسجيل المناخي بالآلات والسجلات المناخية الناتجة عن التسجيل بالآلات. [المترجم] ترجع النظرية الجليدية glacial theory إلى أوائل القرن التاسع عشر، عندما ذهب جنس إسمارك Jens Esmark (١٣ يناير ١٧٦٣ إلى ٢٦ يناير ١٨٣٩) والكثير من علماء الطبيعة إلى أن المجالد كانت في السابق تغطي مناطق أكبر مما تغطيه حاليا، وفي العقدين الرابع والخامس من القرن نفسه ذهب إغناز فينيتز Iganz Venetz (١٧٨٨-١٨٥٩) وجان دي شربونتيه Jean de Charpentier (٨ ديسمبر ١٧٨٦ إلى ١٢ ديسمبر ١٨٥٥) ولويس أغاسيز Louis Agassiz (٢٨ مايو ١٨٠٧ إلى ١٤ ديسمبر ١٨٧٣) إلى أن أغلب شمال أوروبا وأمريكا الشمالية وشمال آسيا كان مغطى بصفائح جليدية خلال العصر الذي سُمي لاحقا البليستوسين Pleistocene. استُخدِمت هذه النظرية في تفسير التآكل والترسيب اللاحق للطين والصلصال الصخري وانقراض أنواع مثل الماموث. [المترجم]

(٢١) أجزاء من الكوادريليون parts per quadrillion; ppq، والكوادريليون واحد على يمينه خمسة عشر صفرا. [المترجم]

العصر القديم، فإن هناك الكثير من العوامل، منها المناخ، يجب أخذها بنظر الاعتبار عند محاولة تفسير تقلبات الأسعار. ومع أن تقدير التغذية الراجعة بين الحركية الاجتماعية المعقدة والمناخ والسكان والبيئة ما يزال في مرحلة مبكرة، فإن المخطط المقدم في الشكل (٢٤) يعد نموذجا جيدا للتفكير من خلال الربط بين المناخ، وإنتاجية المحاصيل، والقدرة الاستيعابية للأرض، والتقنية، والتأثيرات البشرية على الأرض، والسكان[٦٩].



الشكل (٢٤) العوامل المُحَدِّدة لإنتاجية المحاصيل والقدرة الاستيعابية للأرض الزراعية.

من Currie et al. (2015). والشكل من إعداد T. Currie.

كان المؤرخون عادة يتناولون التفاوت المناخي، ومن ضمنه الجغرافيا، باعتباره "مسلمة"، واتخذوه خلفية للتغير الاجتماعي أو للأداء الاقتصادي، وليس القوة الدافعة لهما. وبالفعل يمكن إغفال التغير المناخي بشكل أو بآخر باعتباره إحدى القوى الدافعة التاريخية للتغير، وذلك بسبب نقص البيانات المحددة التي يمكن ربطها بأحداث بعينها أو بتغير اجتماعي بذاته[٧٠]. لكن المؤرخين لم يعودوا ينظرون إلى البيئة والمناخ على أنهما خلفية ساكنة للفاعلية البشرية، بل على أنهما في حالة تفاعل

مع هذه الفاعلية، بل إن المؤرخين صاروا يفهمون تفاوت المناخ والتغير المناخي والمرض حاليا على أنها من القوى الدافعة الحاسمة في التاريخ الاقتصادي، وذلك لأن التغير المناخي- من بين أشياء أخرى- يؤثر مباشرة على إنتاج الغذاء[٧١]. وفي الوقت الحالي، تحسن فهم الاتجاهات السكانية والهجرة وفشل المحاصيل والقدرة الجبائية للدولة، من بين قضايا أخرى، ضمن إطار استجابات التغذية الراجعة على البيئة، وهو شيء أقره علماء البيولوجيا والعلماء الاجتماعيون وعلماء الآثار، ويقره المؤرخون حاليا ببطء[٧٢]. تتمثل المشكلة في أن "المناخ كان في آن معا مُحَدِّدا parameter ومتغيرا variable"[٧٣]. وكما يقترح الشكل (٢٥)، فلا مناص من دمج مجالات عدة وأنواع مختلفة من الأدلة لفهم التأثيرات المتعاقبة والاستجابات البشرية للتغير المناخي عبر نطاقات زمنية مختلفة، وهي طريقة جيدة للتفكير في العمل ضمن فرق في المشروعات المستقبلية في علم المناخ التاريخي. لقد بدأنا للتو وحسب في فهم كيف يمكننا قياس التأثيرات المتفاوِتة مكانيا وزمنيا للهزات قصيرة المدى، مثل الثورانات البركانية، واتجاهات الاحترار أو الابتراد طويلي المدى، وكذلك الاستجابات البشرية لها.



الشكل (٢٥) نموذج لتفاوت المناخ والاستجابات البشرية ومستويات الاشتباك الفكري في تقييم التأثير.

من Luterbacher and Pfister (2015).

وفي دراسة نُشرت مؤخراً حول الارتباط بين التغير المناخي والصراع البشري، يلاحظ المؤلفون أن:

المجتمعات دائما ما تعايش المتغيرات المناخية، مثل درجة الحرارة والمطر ووفرة الماء، التي يمكن الحصول على متوسطات لها عبر فترات ملاحظة طويلة أو قصيرة .... وتتجاوب مع كل من التغيرات قصيرة وطويلة المدى، ما يجعل تكرار الأحداث قصيرة المدى سمة للمناخ ذات صلة اجتماعيا[٧٤].

يتمثل التحدي الصعب الواقع على كاهل المؤرخين في بناء نماذج اجتماعية تعكس تعقيدا اجتماعيا كافيا، ثم دمج البيانات البيئية والمناخية في تلك النماذج لكي تعكس حركية نظام الحث التبادلي الطبيعي-البشري كاملةً قدر الإمكان وتبحث عن تفسيرات متعددة الأسباب للاستجابات البشرية والتغير الاجتماعي.

الجدول (٤) خصائص الأرشيفات الطبيعية

الأرشيف	نطاق الوضوح	المعلومات الممكنة
السجلات التاريخية	اليوم والساعة	ح، م، ك، ث، ب، ش
الحلقات الشجرية	السنوي والموسمي	ح، م، ك، ث، ش
رواسب البحيرات	الطين الحولي حتى عشرين سنة	ح، ك، ج، م، ث، ت م
الشعاب المرجانية	سنوي	ت ل، ب، ح، م
اللب الجليدي	سنوي وموسمي	ح، م، ت هـ، ث، ج، ش
الغبار	٣٠ سنة	ح، م، ك
رواسب الكهوف	سنوي	ت م، ح، م، ث، ك
التربة الأحفورية	قرن	ح، م، ك
الرواسب الطفالية	قرن	م، ك، ج
السمات الجيومورفية	قرن	ح، م، ث، ب، م
الرواسب البحرية	قرن	ح، ت م، ك، ج، ب، م، ش

المصدر: R. Bradley (2015: table 1.2)

ملحوظة: في العمود الثالث، ح = درجة الحرارة، م = المطر أو الرطوبة أو توازن الماء، ت = التركيب الكيميائي للهواء (ت هـ) أو الماء (ت م)، ك = معلومات حول الكتلة الحيوية أو أنماط الحياة النباتية، ث = الثورانات البركانية، ج = تفاوتات المجال الجيومغناطيسي، ب = مستوى البحر، ش = النشاط الشمسي.

يقدم علم المناخ القديم حاليا كمية متواصلة النمو من البيانات التمثيلية عالية الوضوح تمكّننا من إعادة بناء التفاوت المناخي والتغير المناخي الماضيين. وفي الوقت الحالي، تبلغ البيانات التمثيلية المناخية مثل السجلات اللبية الجليدية ورواسب الكهوف (الشكل ٢٦) درجة عالية من الوضوح، تصل إلى نطاقات زمنية عشرية أو سنوية، في مقابل النطاقات الزمنية الألفية والأكبر التي جعلت استخدام البيانات المناخية غير مفيد للمؤرخين في السابق[٧٥]. ومع أنه تُجرى منذ وقت طويل دراسات جيدة حول الظروف البيئية في الشرق الأدنى والبحر الأبيض المتوسط، فإن الاهتمام المتزايد بالمناخ والتغير المناخي والاستجابات البشرية لهما تستند حاليا على بيانات أدق من حيث التأريخ وعلى النمذجة المتقنة (الشكل ٢٦)[٧٦].



الشكل (٢٦) المعادن الحية. مقطع عرضي لرواسب الكهوف يبيّن حلقات شجرية سنوية[٢٢]، تشبه حلقات النمو في الأشجار. الصورة للمؤلف من مختبر رواسب الكهوف بمركز بحوث النظام المناخي Climate System Research Center في جامعة ماستشوستس في أمهيرست U Mass-Amherst، في صيف عام ٢٠١٥.

---

(٢٢) تستخدم فكرة الحلقات الشجرية عينها مع رواسب الكهوف، راجع حاشية سابقة حول الحلقات الشجرية. [المترجم]

إن السجلات التاريخية تكون عظيمة القيمة عندما تُجمع مع الأرشيفات الطبيعية الأخرى لأغراض دراسة المناخ القديم والاستجابات البشرية القديمة[٧٧]. وربما تقدم اليوميات الفلكية البابلية وسلاسل أسعار السلع المستمدة منها أفضل سجل للمناخ والأسعار من البحر الأبيض المتوسط القديم. فلا تسجل هذه النصوص أسعار السلع وحسب، بل تسجل أيضا ملاحظات حالة الطقس وقياسات فيضان نهر الفرات. وتقدم مصر أقدم السجلات المناخية في قياسات جريان النيل السنوية[٧٨].

ومن شأن سجلات المناخ القديم عالية الوضوح أن تنتج فهما حركيا للاقتصادات ما قبل الحديثة، ويمكننا باستخدام البيانات الأعلى وضوحا لمناطق محددة والمسوح الأثرية الجيدة أن نبدأ في فهم الاستجابات البشرية على النطاق المحلي ونطاق المنطقة. وقد بدأ دمج هذه البيانات في روايات التاريخ الروماني والبيزنطي، وأُنجِز الكثير فعلا في ربط المناخ والسجلات التاريخية في هاتين الحقبتين[٧٩]. لكن ما يزال أمامنا الكثير مما ينبغي القيام به، وأكثر من ذلك بالنسبة للتاريخ الكلاسيكي والحقبة الهلنستية والشرق الأدنى القديم. ويتمثل أحد التحديات في أن وفرة البيانات التمثيلية عالية الوضوح ليست موزعة بالتساوي مكانيا[٨٠]، وتعد مصر خارج منخفض الفيوم والدلتا، أحد الأماكن المهمة التي لم تُخدم جيدا ببيانات تمثيلية مباشرة[٨١]، وقد أجريت أغلب الأعمال حتى الآن على نطاق من أعلى لأسفل وعلى نطاق عالمي[٨٢].

تفاوت المناخ والدفع المناخي والتغير المناخي المفاجئ

ثمة قوى دافعة جيوفيزيائية عدة تدفع النظام المناخي العالمي. تأتي التفاوتات في ميل الأرض بالنسبة للشمس، وشكل مدار الأرض (الدفع المداري orbital forcing)، بين القوى الدافعة طويلة المدى المهمة لدورات العصر الجليدي[٢٣]. ويتمثل مصدر الطاقة الأساسي الذي يدفع نظام الغلاف الجوي للأرض في الإشعاع الشمسي solar irradiance (بمعنى التعرض للشمس insolation) الذي

(٢٣) العصر الجليدي ice age فترة طويلة من انخفاض درجة حرار سطح الأرض والغلاف الجوي، تنتج عن وجود أو اتساع الصفائح الجليدية القارية أو القطبية والمجالد الألبية، تعيش الأرض حاليا الغمر الجليدي الرباعي Quaternary glaciation الذي بدأ قبل ٢,٥٨ مليون سنة، وتشيع تسميته بالعصر الجليدي، مع أنه جزء منه وحسب. [المترجم]

يعني كمية الإشعاع الشمسي الواصلة إلى سطح الأرض. ومع أن دورات الإشعاع الشمسي، كما يمكن أن تقاس من خلال نشاط البقع الشمسية sunspot activity وغيرها من المُحَدِّدات الأخرى، معروفة جيدا بوجه عام، فإن تأثير دورات التفاوت الشمسي في دفع التغير المناخي ما يزال محل جدل (الشكل ٢٧). وقد اقتُرِحت آليات معقدة للتغذية الراجعة من الغلاف الجوي والمحيطات لتفسير الارتباطات بين التغيرات المناخية وما يلاحَظ عموما باعتباره تغيرات صغيرة (بالقيم المطلقة[٢٤]) في الإشعاع الشمسي، كما يحدث في أثناء دورة البقعة الشمسية كل إحدى عشرة سنة على وجه التقريب[٢٥]. ولعل الأوسع شهرة بين هذه الظواهر هي البقعة الشمسية الدنيا (تعرف باسم ظاهرة دورة موندر الشمسية الدنيا، حدثت في الفترة ١٦٤٥-١٧١٥ ح.م) التي رُبطت بفصول الشتاء الأبرد في أوروبا خلال "العصر الجليدي الصغير"[٢٦]، وقد افتُرِض أن الانخفاضات الأطول أمدا في الإشعاع الشمسي، كما لوحظت في أثناء "الدورة الشمسية الدنيا الكبرى" مثل دورة موندر الشمسية الدنيا[٢٧]، يمكن أن تؤدي إلى تأثيرات أوضح على المناخ.

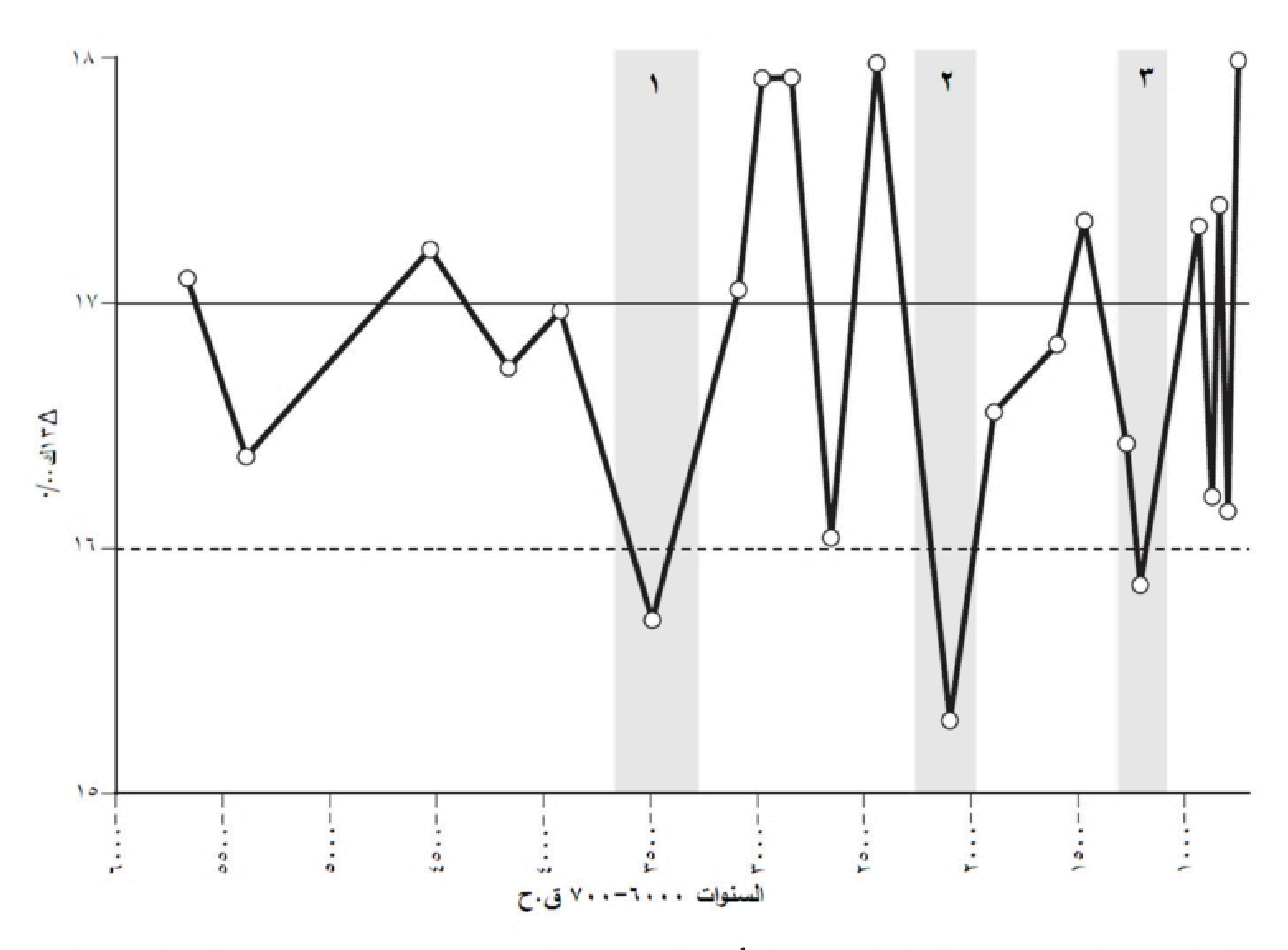
---

(٢٤) القيمة المطلقة absolute term هي القيمة التي تقاس وحدها وفي ذاتها، وليس مقارنة بقيم أو أشياء أخرى. [المترجم]

(٢٥) دورة البقعة الشمسية كل إحدى عشرة سنة eleven year sunspot cycle أو البقعة الشمسية الدنيا solar sunspot minimum أو الدورة الشمسية solar minimum وحسب، هي فترة النشاط الشمسي الأضعف خلال الدورة الشمسية المنتظمة التي تستغرق إحدى عشرة سنة، تتضاءل خلالها البقع الشمسية وتضعف التوهجات الشمسية، وقد لا تحدث لعدة أيام، منها دورة موندر الشمسية الدنيا Maunder minimum التي حدثت في الفترة ١٦٤٥-١٧١٥ ح.م. [المترجم]

(٢٦) العصر الجليدي الصغير Little Ice Age فترة من الابتراد حدثت بعد فترة الاحترار الوسيطة Medieval Warm Period (نسبة إلى العصور الوسطى)، ما بين القرن السادس عشر والتاسع عشر، لم تكن عصرا جليديا بالمعنى الحرفي للكلمة. [المترجم]

(٢٧) الدورة الشمسية الدنيا الكبرى grand minima اسم آخر للبقعة الشمسية الدنيا solar sunspot minimum شديدة الانخفاض في الإشعاع الشمسي. [المترجم]



الشكل (٢٧) نمط تفاوت الجفاف في الشرق الأدنى القديم. من From Riehl et al. (2014). يوجد تحت الخط المتقطع احتمال أعلى لظروف الجفاف الحاد، وتوجد فوق الخط المتصل ظروف مواتية[٢٨].

إن تذبذب شمال الأطلسي[٢٩]، بمرحلته الموجبة أو السالبة، مهم لدوران الغلاف الجوي في نصف الكرة الأرضية الشمالي في الشتاء (بالدرجة الأولى)، "وله تأثيرات كبيرة على درجة الحرارة والمطر ومسارات العواصف"[٨٣]. يؤثر هذا التذبذب على تفاوت المناخ في شمال البحر الأبيض المتوسط. فعندما يكون تذبذب شمال الأطلسي في حالة موجبة قوية على سبيل المثال، تنحرف مسارات العواصف الأطلسية الشمالية شمالا، ما يؤدي إلى تقليل الرياح الغربية التي تجلب الهواء المحيطي الرطب إلى منطقة البحر الأبيض المتوسط، ما يتسبب في خفض الأمطار الشتوية اللازمة للزراعة على المطر[٨٤].

---

(٢٨) في الشكل (٢٧): في الجيوكيمياء وعلم المناخ القديم وعلم المحيطات القديمة، تعبر العبارة Δ١٣ك (تُقرأ دلتا ك١٣، و"ك" اختصار لكلمة الكربون) عن نسبة النظائر isotopic signature، وهي مقياس لنسبة النظائر المستقرة ك١٣ : ك١٢، ويُعبَّر عنها بالجزء من الألف، و١٣ك ^{13}c أحد نظيرين مستقرين للكربون. [المترجم]

(٢٩) راجع حاشية سابقة حول تذبذب شمال الأطلسي. [المترجم]

أما النظام الثاني، وهو التذبذب الجنوبي إل نينيو، فيحتوي مرحلتين، واحدة دافئة (إل نينيو)، وواحدة باردة (لا نينيا)[٣٠]، ويدفع تغيرات في دوران الغلاف الجوي من خلال التغيرات في درجة حرارة سطح البحر، ويقاس باختلافات ضغط الهواء في شرق المحيط الهادي وغربه. وثمة ارتباط بعيد قوي بين التذبذب الجنوبي إل نينيو ودورة الرياح الموسمية على أفريقيا والمحيط الهندي[٣١]، يؤثر- بين أشياء أخرى- على جريان نهر النيل[٨٥]. ولعل الأغرب من ذلك أن الثورانات البركانية الانفجارية قد لعبت دورا مهما في الهزات المناخية قصيرة المدى (انظر الملحق). وكما أوضحُ فيما يلي، فربما كان لهذه الثورانات تأثيرات جذرية قصيرة المدى على فيضان النيل السنوي (وعلى أنهار أخرى كذلك)، وهي تأثيرات استحثت- بدورها- استجابات اجتماعية. مؤدى ما سبق أننا نستطيع حاليا للمرة الأولى، بفضل التحسينات الأخيرة في دقة تأريخ الثورانات البركانية المعتمد على العينات اللبية الجليدية، جنبا إلى جنب مع البيانات التاريخية، أن نلاحظ مجتمعا في حالة حركة.

تعد ثورة العصر الحجري الحديث، أي الثورة الزراعية، التي ربما كانت تطورا أكثر منها ثورة، أحد أهم التحولات في التاريخ البشري، إذ أنتجت الزراعة، ومعها أيضا "ثورة المنتجات الثانوية" التي تلتها[٣٢][٨٦]. وسرعان ما ظهرت الجماعات المتوطنة والتراتبية الاجتماعية والدول والضرائب والأمراض الجديدة في إثر الزراعة. ارتبطت هذه الثورة بتحول عالمي مفاجئ في المناخ يعرف باسم

---

(٣٠) راجع حاشية سابقة حول التذبذب الجنوبي إل نينيو. [المترجم]

(٣١) تشير الارتباطات البعيدة teleconnection في علم الغلاف الجوي إلى ارتباط حالات الشذوذ المناخي ببعضها بعضا عبر مسافات هائلة (عادة آلاف الكيلومترات)، من أبرزها الارتباط البعيد بين الضغط عند مستوى سطح البحر في تاهيتي ومدينة دارون في أستراليا، الذي يحدد التذبذب الجنوبي. [المترجم]

(٣٢) ثورة المنتجات الثانوية secondary products revolution فكرة قال بها عالم الآثار أندرو شيرات (يُرجع إليه كثيرا في الكتاب الحالي) مؤداها أنه بالتزامن مع الثورة الزراعية أو نتيجة لها، حدثت مجموعة من الابتكارات في طرق الزراعة، قامت على التحول من إنتاج المواد الأولية من تربية الحيوانات (أي اللحوم وحسب) إلى استغلال منتجات حيوانية ثانوية مثل الحليب والصوف والحرث والركوب، واستغلال تقنيات جديدة مثل العجلة والمحراث، بدأت في حضارات الشرق الأوسط القديم وانتقلت إلى بقية العالم. [المترجم]

درایاس الأصغر[٣٣]، وهو الحدث الذي سبق عصر الهولوسين، تلك الفترة الدافئة بين العصرين الجليديين الحديثين[٣٤][٨٧]. قد توحي الأعمال الأخيرة بنموذج جديد للانتقال إلى الزراعة من خلال لفت انتباهنا إلى آسيا الوسطى[٨٨]. تعمل المعلومات القادمة من هذه المنطقة شيئا فشيئا على إعادة تشكيل قصة الحضارة المبكرة والدور الرئيس الذي لعبه هذا الجزء من العالم في انتشار التقنية وتجارة المسافات الطويلة، فضلا عن المرض[٨٩]. كما أن التطورات الاقتصادية الكبيرة تُربَط بهذا الاتجاه الاحتراري. ومع أن المِلكية الخاصة تطورت جنبا إلى جنب مع ظهور الزراعة بحلول نحو عام ٣١٠٠ ق.ح، فإن التكثيف الزراعي والإنتاج الفائض في عصر الهولوسين المبكر قد أنتجا مجتمعات أكبر وأشد تعقيدا. وجاءت نتيجة ذلك في شكل مؤسسات انتزاعية قسرية، وتبادل المزيد من الأشياء عبر مسافات أطول، والتخصص الحرفي، والمدن.

يشكل فهم التغير المناخي جزءا من قصة النمو والتراجع والترابط والتغير التقني وأنماط تجارة المسافات الطويلة في مصر وجنوب بلاد ما بين النهرين ووادي نهر السند من عام ٣١٠٠ حتى عام ١٥٠٠ ق.ح[٩٠]. وثمة تغير مناخي مفاجئ بدأ في عام ٤,٢ أ.س (أ.س = ألف سنة، أي نحو عام ٢٢٠٠ ق.ح)، وهو حدث الابتراد والجفاف الشديد لثلاثة قرون، الذي "رُبط بتغير في دوران الغلاف الجوي المحيطي ocean-atmosphere circulation في شمال الأطلسي"، وإن كانت الحركية المناخية لهذا الحدث ما تزال غير مفسرة بالكامل[٩١]. وقد وُثِّق تأثير هذا الحدث في شكل الجفاف الواسع في شرق حوض البحر الأبيض المتوسط، وتأثيرات عالمية متمايزة وواسعة الانتشار[٩٢]. وثمة تقدير يذهب إلى أن المطر الناتج عن الرياح الغربية الأطلسية انخفض بما بين ثلاثين بالمائة وخمسين بالمائة، وكذلك ضعفت الرياح الموسمية المهمة لمصر والهند وشرق آسيا[٩٣].

---

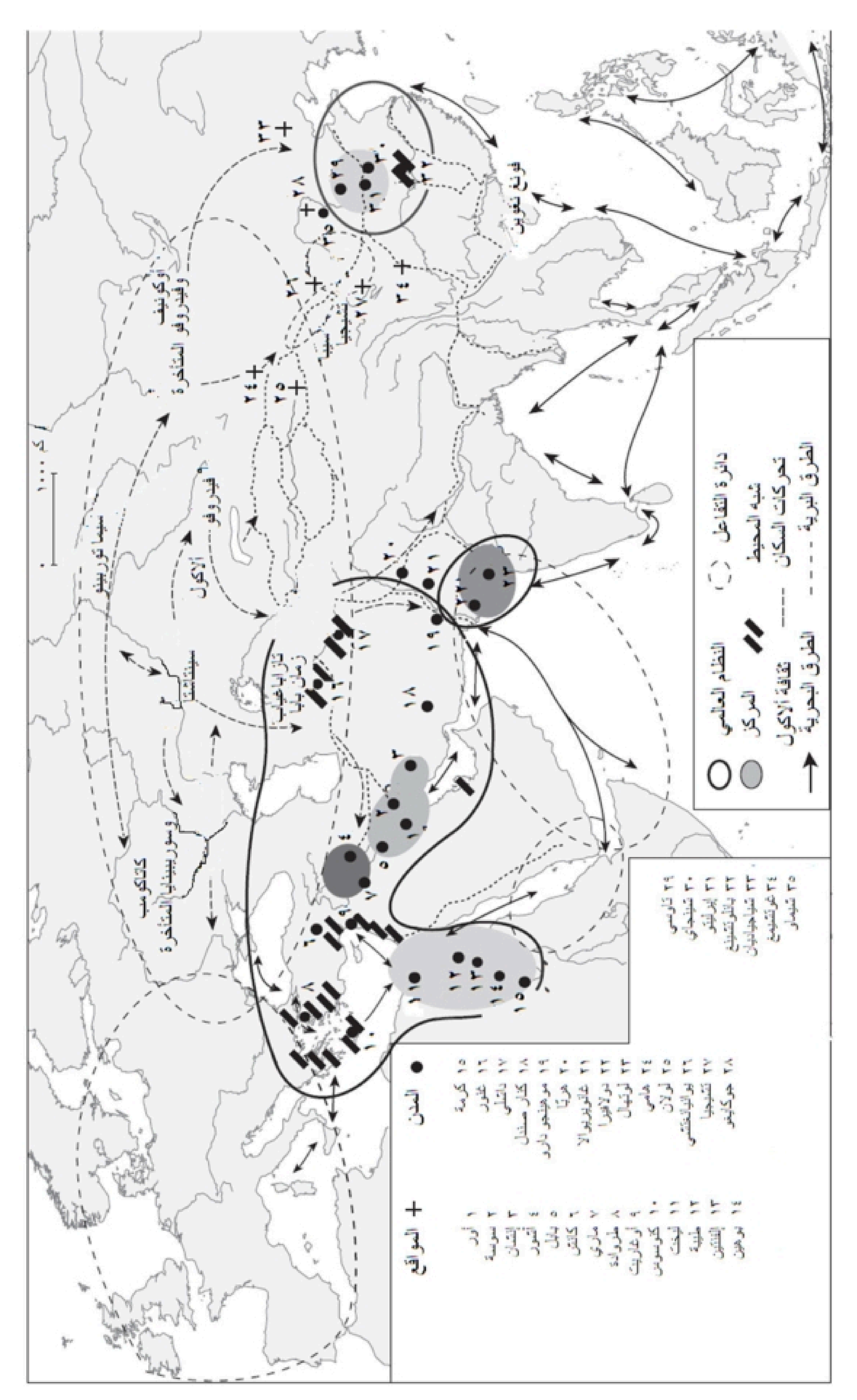
(٣٣) درایاس الأصغر Younger Dryas فترة عودة للظروف الجليدية بين نحو عامي ١٢٩٠٠ و١١٧٠٠ قبل الحاضر، انقلب خلالها المناخ مؤقتا إلى الاحترار التدريجي بعد التعاظم الجليدي الأخير Last Glacial Maximum الذي بدأ الانحسار في نحو عام ٢٠٠٠٠ قبل الحاضر. [المترجم]

(٣٤) فترة ما بين الجليدين interglacial period فترة فاصلة جيولوجية من المناخ العالمي الأدفأ بين فترتين جليديتين، هما العصران الجليديان الحديثان. [المترجم]

إن هذا التغير المناخي المفاجئ مُوَثَّق في بيانات تمثيلية مناخية عدة في شرق البحر الأبيض المتوسط في نحو عام ٢٢٠٠ ق.ح وفي أماكن أخرى (الملحق، الشكل ٤٣)[٩٤]. بيد أنه ليس من اليسير- لا ريب- ربط التغيرات المفاجئة في المناخ بالتغيرات المؤسسية وغيرها من أنواع الاستجابات البشرية، بالدرجة الأولى بسبب المشكلات المكانية والزمنية في تعيين الارتباط السببي بين التحولات العالمية في النظام المناخي والسجلات الأثرية المحلية وسجلات المناطق. غير أن هناك مجموعة كاشفة من الأحداث التاريخية. فمن المُثْبَت- على سبيل المثال- أن الشبكات التجارية الواسعة الراسخة قد تمزقت، فضلا عن ظهور جماعات بدوية مثل "العموريين" في الشرق الأدنى(٣٥)، وظهور استجابات سياسية جديدة. شملت هذه الاستجابات ظهور دولة إدارية، هي الدولة الوسطى في مصر، وانفجار الحضارة المينوسية على جزيرة كريت، وزيادة ملحوظة في التحضر عبر شرق البحر الأبيض المتوسط ومصر والشرق الأدنى. كانت الحركة، وبناء الموانئ، والتجارة واسعة النطاق بين المناطق، والشحن البحري (بالدرجة الأولى في سفن صغيرة)، إلى جانب الطرق البرية، وظهور "التاجر"، واستخراج المعادن وصهرها وتجارتها، من خصائص عالم شرق البحر الأبيض المتوسط خلال الألف الثاني قبل الحقبة المشتركة. وكان من خصائصه كذلك تزايد قدرة النخب على تنظيم القوة العسكرية وإظهارها عبر إقليم أوسع. وهذه القوى الدافعة مُوَثَّقة جيدا في الإمبراطوريات الأولى، وهي الدولة الحديثة المصرية والإمبراطوريتين الحثية والبابلية القديمة في الشرق الأدنى[٩٥]. ومما تجدر ملاحظته أن الارتباطات بين تطور الدولة والسيطرة على طرق التجارة كانت قوية.

---

(٣٥) العموريون Amorites شعب سامي من سورية القديمة، حكم أجزاء كبيرة من بلاد ما بين النهرين من بداية القرن الحادي والعشرين حتى القرن السابع عشر قبل الحقبة المشتركة، من أشهر دولهم المدينية بابل. [المترجم]



الشكل (٢٨) أوراسيا وأفريقيا في أواخر الألف الثالث وأوائل الألف الثاني قبل الحقبة المشتركة.

من Beaujard (2011: 18، figure 3.9).[٣٦]

(٣٦) أسماء المدن والمناطق على الخريطة بالترتيب: أور Ur، سوسة Susa، آنشان Anshan، آشور Ashur، بابل Babylon، كانش Kanesh، ماري Mari، طروادة Troy، أوغاريت Ugarit، كنوسوس Knossos، ليخت Licht، طيبة Thebes،

تماما كما هي الحال مع حدث عام ٤،٢ أ.س[٣٧]، وقع "انهيار" العصر البرونزي في نحو عام ٣،٢ أ.س (بداية من نحو عام ١٢٠٠ ق.ح) بفعل سلسلة معقدة من العوامل "الداخلية" ضمن دول العصر البرونزي (التراجع السكاني، أزمات الإنتاجية، الهجرة، النظم الجبائية القائمة على المصادرة)، فضلا عن هزات خارجية[٩٦]. ظهرت على مر السنين تفسيرات كثيرة للانهيار المنظومي لنظام دول شرق البحر الأبيض المتوسط خلال العصر البرونزي، لكنه مع ذلك ما يزال غير مفهوم بالكامل[٩٧]. وقد استُخدُم ثوران بركان هيكلا الثالث في أيسلندا[٣٨]، والتغير في التقنية، تحديدا التقنية العسكرية، والعراقيل الاجتماعية الداخلية، ضمن تفسيرات العراقيل واسعة النطاق التي حدثت في ذلك الوقت[٩٨]. وتذهب الأعمال الأخيرة إلى أن قحطا مفاجئا، يشبه حدث عام ٤،٢ أ.س، قد أطلق جفافا واسع النطاق دام زهاء ثلاثمائة سنة (بين نحو عام ١٢٠٠ ق.ح وعام ٨٥٠ ق.ح) (الملحق، الشكل ٤٤)، أسهم على الأرجح في دفع النظام على مستوى المناطق نحو الانهيار[٩٩]. وقد وُثِّق في هذه الفترة عجز النيل وأزمات غذائية في مصر وجفاف ونقص غذاء في الأناضول وفلسطين وسورية واليونان، ما يعكس تأثيرا على نظامين مناخيين مختلفين[١٠٠]. وتماما كما هي الحال مع حدث عام ٤،٢ أ.س، نجد أن التغير المناخي المفاجئ في عام ٣،٢ أ.س مُوَثَّق في أماكن عدة في العالم، منها شرق أفريقيا، وحوض الأمازون، والإكوادور، ومنطقة الكاريبي وبرمودا، ما يوحي بحدث عالمي. يُربَط هذا التغير المناخي

إلفنتين Elephantine، بوهين Buhen، كرمة Kerma، غنور Gnour، داشلي Dashly، كنار صندل Konar Sandal، موهنجو دارو Mohenjo-daro، هَرَبا Harappa، غانويريوالا Gaweriwala، دولافيرا Dholavira، لوتهال Lothal، هامي Hami، لولان Loulan، يوانيانغتشي Yuanyangchi، تشيجيا Qijia، جوكايغو Zhukaigou، تاوسي Taosi، شينجاي Xinzhai، إيرليتو Erlitou، بانلونغتشينغ Panlongcheng، شياجياديان Xiajiadian، غوتشينغ Gucheng، شيماو Shomao، سيما توربينو Seima Turbino، سينتاشتا Sintashta، كاتاكومب Catacomb، سروبنايا Srubnaya، ألاكول Alakul، فيدروفو Fedrovo، أوكونيف Okunev، تزاباغياب Tazabgyab، زمان بابا Zaman Baba، سيبا Siba، فاكش Vaksh، فونغ نغوين Phung Nuguyen. [المترجم]

(٣٧) حدث عام ٤،٢ أ.س هو نوبة الجفاف الشديد التي أطلقت هجرة هائلة أسهمت في الانهيار المفاجئ المفترض للإمبراطورية الأكدية. [المترجم]

(٣٨) بركان هيكلا الثالث (Hekla-3) هو أحدث ثوران لبركان هيكلا الطبقي الواقع في جنوب أيسلندا، ثار في عصر الهولوسين. [المترجم]

المفاجئ أيضا بـ"أزمة أطول" مُوَثَّقة في الأنقاض المجروفة في الجليد في شمال الأطلسي[٣٩]، وفي الدورات الشمسية الدنيا لعام ١٤٥٠ ق.ح وعام ١٠٠٠ ق.ح ونحو عام ٧٦٥ ق.ح (الشكل ٤٥)، وفي الدفع البركاني، التي اجتمعت كلها لإنتاج مناخ أبرد وأكثر جفافا[١٠١]. ومن المفترض أن الدورة الشمسية الدنيا تطلق فترات من التوسع، وتُربط أيضا بنهاية أزمات[١٠٢].

بدأت أمارات الضيق الاجتماعي تظهر على الدول على امتداد شرق البحر الأبيض المتوسط وغرب آسيا في الفترة ١٢٠٠/ ١١٠٠ ق.ح، وتأثيرات الجفاف مُوَثَّقة على نطاق واسع، ومن الواضح أن الصلات بين المناطق قد عُرقِّلت بشدة، وحدثت هجرات واسعة النطاق على امتداد شرق البحر الأبيض المتوسط. وتمثل "شعوب البحر" المذكورة في النقوش المصرية و"حراس البحر" المذكورون في نصوص نظام الكتابة الثاني من بيلوس إشارات على الهجرة والعرقلة وانعدام الأمان على نطاقات عدة[١٠٣][٤٠]. وبسبب هذه الهجرات واسعة النطاق، وقعت تغيرات قابلة للملاحظة، من أبرزها زيادة نشاط التجار الخاصين المشاركين في التبادل محدود النطاق. وقد كان ذلك عاملا مهما في "ظهور" التجارة الخاصة على نطاق أوسع خلال العصر الحديدي، وإن كان ينبغي التشديد على أن هناك أدلة متزايدة على أن التجارة الخاصة لم تتقلص

(٣٩) الأنقاض المجروفة في الجليد ice rafted debris أشياء محفوظة بين طبقات الجليد، عندما تتحرك الصفائح الجليدية وتذوب بعيدا عن أماكن تشكلها، تترسب هذه الأشياء في قاع المسطح المائي، تُتخذ دليلا على أنماط انجراف الجليد من خلال مطابقة الرواسب المجروفة بمناطق منشأها، كما تُتخذ إزاحة المنتجات الأثرية دليلا في علم الآثار والتاريخ. [المترجم]

(٤٠) راجع حاشية سابقة حول شعوب البحر. [المترجم]

بيلوس Pylos مدينة يونانية قديمة في ميسينيا Messenia في جنوب غرب شبه جزيرة بيلوبونيز (المورة)، يرجع تاريخها إلى الحقبة الموكناوية وما قبلها، تُعرف في اللغة الإيطالية باسم نافارين Navarino، وإليها تنسب معركة نوارين البحرية التي هزم فيها الأسطول العثماني-المصري-الجزائري المشترك أمام تحالف من القوى الأوروبية في أثناء حرب الاستقلال اليونانية في عام ١٨٢٧. [المترجم]

نظام الكتابة الثاني Linear B texts هو نظام الكتابة المقطعية الذي استخدم في كتابة اللغة اليونانية الموكناوية، وهي أول كتابة مثبتة للغة اليونانية، سبقت الأبجدية اليونانية بعدة قرون، وانحدرت من نظام الكتابة الأول Linear A، وُجد بالدرجة الأولى في كنوسوس وكيدونيا Cydonia وبيلوس وثيفا Thebes وموكناي. [المترجم]

حراس البحر watchers of the sea هو الاسم الذي أطلقته نصوص نظام الكتابة الثاني البيلوسية على "شعوب البحر" الذين حمّلتهم النقوش المصرية مسؤولية الفوضى التي أدت إلى انهيار العصر البرونزي. [المترجم]

بشدة بين العصر البرونزي المتأخر والعصر الحديدي المبكر، وأن "نماذج الاقتصاد البلاطي" قد قللت في السابق من دور التجار الخاصين خلال العصر البرونزي[١٠٤].

وُصِف المناخ بين نحو عامي ٧٠٠ ق.ح و١٤٠٠ ح.م بأنه "مثالي"[١٠٥]. وكانت الفترة من منتصف القرن الرابع قبل الحقبة المشتركة إلى نحو عام ٦٨٥ ح.م مستقرة مناخيا في البحر الأبيض المتوسط، إذ وقعت بين اثنتين من الدورات الشمسية الدنيا الكبرى[١٠٦]. وثمة اثنتان من الدورات الشمسية الدنيا الكبرى (الشكل ٤٥) مسجلتان في عام ١٠٠٠ ق.ح وفي نحو عام ٧٦٥ ق.ح ("الدورة الدنيا الهومرية" Homeric Minimum). وقد كانت الدورة الشمسية الدنيا الأخيرة "الأكبر خلال الثلاثة آلاف سنة الأخيرة"، وقد أطلقت ظروفا زراعية مواتية عموما، وربما دفعت توسعا سكانيا وربما "استعمارا" يونانيا، لكن هناك من استنتجوا عكس ذلك، ولا بد من الحذر في استنتاج صلات بين التغيرات المناخية الواسعة والتاريخ[١٠٧].

بالنسبة للنيل، يعطي تحليل الرواسب النهرية في مصر والسودان التسلسل التاريخي الأساسي التالي (الجدول ٥) لأحداث جريان النهر[١٠٨]. ومع أن هناك إجماعاً عاماً على أن نظام التذبذب الجنوبي إل نينيو يلعب دوراً في كل من جريان النيل والرياح الموسمية الآسيوية الجنوبية، فإنه في حالة أحداث إل نينيو القوية والفترات المرتبطة بالجفاف في الهند وانخفاض جريان النيل، يتعقد جريان النيل بفعل تضاريس شرق أفريقيا وإمكانية التحولات الطورية التي تفرضها الظروف المتغيرة في المحيط الأطلسي[١٠٩]. يوحي أحدث تحليل لجريان النيل بأن جريانه بدأ يتراجع وأن السهل الفيضي بدأ ينكمش، في نحو عام ٨٠٠ ق.ح، وأن الجريان المنخفض استمر خلال الحقبتين البطلمية والرومانية المبكرة، تلاه ارتفاع للفيضان لثلاثمائة سنة، بين عامي ٢٠٠ و٥٠٠ ح.م، وهي الفترة التي أصبحت مصر خلالها مصدرا مهما للقمح للإمبراطورية الرومانية. وعلى نطاق أوسع في جنوب شرق البحر الأبيض المتوسط، أحدثت نوبة موجبة من تذبذب شمال الأطلسي ظروفا أكثر رطوبة قليلا، يمكن التعرف عليها من عملية "تذبذب البحر الأبيض المتوسط"[١١٠](٤١).

(٤١) تذبذب البحر الأبيض المتوسط Mediterranean Oscillation مؤشر يقيس الاختلاف في الضغط الجوي القياسي عند نقاط مختلفة للتعرف على الارتباطات البعيدة بين حالات الشذوذ المناخي كبديل عن تذبذب شمال الأطلسي NAO لدراسة التفاوت في كميات المطر وغيرها من الظروف المناخية. [المترجم]

الجدول (٥) تسلسل أحداث جريان نهر النيل خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة

عام ٩٠٠ ق.ح، تُسجل مستويات مياه عالية ومتصاعدة نسبيا في بحيرة فيكتوريا وبحيرة تانا، مع ارتفاع جريان النهر في دلتا النيل واتساع الفيضان على الضفتين والرواسب الفيضية في وادي النيل.
تقلُص أفرع النيل والسهل الفيضي الذي ربما بدأ في نحو عام ٨٠٠ ق.ح، واستمر حتى عام ٥٠٠ ق.ح على الأقل[٤٢]، وتقلُص مستويات البحيرات وجريان النهر. بلغ هذا التقلص ذروته في تحول هيدروليكي-مناخي رئيس في النيل الأدنى في نحو عام ٤٥٠ ق.ح، انعكس في هبوط مستويات المياه في بحيرة الفيوم وانخفاض جريان النهر في الدلتا.
تكشِف الحقبتان البطلمية والرومانية المبكرة عن انخفاض تكرار الفيضان على ضفتي النهر، وهو ما يتأكد من الانخفاض الملحوظ في مستوى الماء في النيل الأدنى في بحيرة الفيوم وانخفاض جريان النهر في دلتا النيل خلال النصف الثاني من الألف الأول قبل الحقبة المشتركة. كانت هناك مع ذلك فترة من الفيضان الاستثنائي في نحو عام ١٠٠ ق.ح.

المصدر: Macklin et al. (2015).

إن ما يسمى "الفترة الدفيئة الرومانية" أو "فترة المناخ الأمثل الرومانية"[٤٣]، أو ما يمكن تسميته على نحو أفضل باسم "فترة الشذوذ الدافئ الروماني" Roman Warm Anomaly، التي تعززت بعد عام ١ ح.م بفعل "الفترة الهادئة الرومانية" Roman Quiet Period في النشاط البركاني الانفجاري، تتطابق مع توسع الحضارة السلتية في أوروبا الوسطى (ثقافة لاتين[٤٤]) في نحو عام ٢٠٠ ق.ح،

(٤٢) كانت للنيل في زمن الفراعنة سبعة أفرع، كان أبعدها إلى الشرق (البيلوزي) يصل إلى سيناء، وأبعدها إلى الغرب (الكانوبي) يصب عند مدينة كانوب القديمة الواقعة شرق الإسكندرية، لم يبق للنيل حاليا غير فرعا دمياط إلى الشرق ورشيد إلى الغرب. [المترجم]

(٤٣) الفترة الدفيئة الرومانية Roman Warm Period أو فترة المناخ الأمثل الرومانية Roman Climate Optimum فترة من المناخ الأدفأ غير المعتاد في أوروبا وشمال الأطلسي امتدت بين نحو عامي ٢٥٠ ق.ح و٤٠٠ ح.م. [المترجم]

(٤٤) السلتيون أو الكلتيون Celts واحدة من الجماعات الإثنية اللغوية القَبَلية بالعصر الحديدي والعصور الوسطى، عاشت على الساحل الأطلسي لغرب أوروبا الذي عرف لذلك باسم الحافة السلتية، يقال إنهم سلف الغال Gaul الذين استوطنوا فرنسا وبلجيكا وإيطاليا والجزر البريطانية. [المترجم]

ثقافة لاتين La Tène culture ثقافة من العصر الحديدي الأوروبي، تطورت وازدهرت خلال العصر الحديدي المتأخر، من نحو عام ٤٥٠ ق.ح حتى الغزو الروماني خلال القرن الأول قبل الحقبة المشتركة، تبعت ثقافة هالستات Hallstatt culture بدون انقطاع ثقافي، بتأثير متوسطي كبير من اليونانيين في بلاد الغال ما قبل الرومانية والإتروسكانيين وثقافة غولاسيكا Golasecca culture في شمال إيطاليا. [المترجم]

والإمبراطورية الرومانية، وأوج السلام الروماني بين نحو عامي ٢٠٠ ق.ح و١٥٠ ح.م[١١١](٤٥). لكن تماما كما هي الحال مع التغيرات المناخية المفاجئة السابقة، كان تأثير هذا الاتجاه الدافئ متفاوِتا مكانيا وزمنيا[١١٢]. وثمة "فترة هادئة" مُوَثَّقة في الإشارات البركانية التي تم التعرف عليها في العينات اللبية الجليدية للقرنين الأولين من الحقبة المشتركة (انظر "الفترة الهادئة الرومانية"، الشكل ٣٠)، أسهمت على الأرجح، جنبا إلى جنب مع المناخ الأدفأ والأكثر مطرا، في الأداء الاقتصادي للإمبراطورية الرومانية في أوجها. ومع أنه لا يمكن وصف تأثير الهدوء البركاني بأنه ظاهرة غطت الإمبراطورية برمتها، فإن هذا الهدوء ربما أسهم بقوة فيما وصفه الكاتب الزراعي الروماني سازيرنا Saserna (أوائل القرن الأول قبل الحقبة المشتركة) بأنه "تحسن في الطقس" جعل التربة الرومانية أكثر إنتاجية:

> من الواضح أن سازيرنا، وهو مرجعية لا يستهان بها في الفلاحة، أعلن تصديقه لهذا التحول، لأنه في ذلك الكتاب الذي تركه حول الزراعة يستنتج أن موقع السماوات قد تغير من هذا الدليل، وهو أن تلك المناطق التي كانت في السابق بسبب شدة برودة الشتاء المتواصلة غير قادرة على حماية أي نبتة كرم أو زيتون كانت تُزرَع فيها، أصبحت حاليا بعد تراجع البرودة السابقة وبعد أن أصبح الطقس أكثر اعتدالا تنتج الزيتون وعنب باخوس بوفرة كبيرة(٤٦). لكن بغض النظر عن صحة هذه النظرية من عدمها، فلا مناص من أن نتركها لنتحول إلى الكتابات حول الفلك[١١٣].

ربما لم تنتج الزيادة التي لوحظت في الإنتاجية عن التحسن في ظروف الأرض في ذاتها، بل عن التحسن في الظروف المناخية خلال فترة كانت أهدأ في النشاط البركاني.

يوحي الكثير من البيانات التمثيلية المناخية بأن التغيرات المناخية في عام ٤،٢ أ.س وعام ٣،٢ أ.س ربما كانت أحد عوامل التغير الاجتماعي والاقتصادي[١١٤]. يعمل التفاوت المناخي ومعدل التغير

---

(٤٥) تشير عبارة "السلام الروماني" Pax Romana إلى تأثيرات الغزو الروماني الداعمة للاستقرار والسلام على الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية في حوض البحر الأبيض المتوسط وغرب أوروبا خلال القرنين الأولين من الحقبة المشتركة. وعلى منوال هذا المصطلح، صيغت مصطلحات السلام المغولي Pax Mongolica والسلام البريطاني Pax Britannica والسلام الأمريكي Pax Americana وغيرها. [المترجم]

(٤٦) باخوس Bacchus هو إله الخمر عند الرومان، ومن هنا ارتباطه بالكرم والعنب. [المترجم]

على نطاقات زمنية عدة، من التقلبات والاتجاهات الأقل تكرارا والأطول أمدا ممثَّلة في الناتج الشمسي ودورات التوسع والانكماش الجليديين، إلى التفاوت مرتفع التكرار والأحداث "المتطرفة" قصيرة المدى. وقد تكون هذه التفاوتات "دورية" أو "غير دورية"، ولها تأثيرات على المستوى المحلي أو على مستوى المنطقة أو على المستوى العالمي[١١٥]. وتنتج التغيرات في درجة الحرارة تأثيرات أوسع من التغيرات في معدل المطر التي تكون في جوهرها متفاوِتة مكانياً ويتوسطها ارتفاع الموقع وخصائص تضاريسية أخرى. وعلى نطاق مكاني أوسع، كانت الكمية المختلفة التي تستقبلها المنطقة من الإشعاع و"مناخها القاري" من العوامل المهمة التي تتوسط طريقة التكشف الممكنة لأي تغير مناخي طويل المدى وطريقة تأثير هذه التغيرات المتكشفة على المجتمعات البشرية[٤٧]. ومن المفترض أن التغيرات المناخية طويلة المدى التي تدوم قرونا قد شكلت عالم البحر الأبيض المتوسط الكلاسيكي[١١٦]. وفي الوقت الحالي يعكف الباحثون على دراسة التغيرات الأقصر أمدا التي يطال تأثيرها سنة واحدة أو اثنتين (وربما الأطول أمدا عندما تُدرَس من منظور تأثيراتها التراكمية) بفضل توفر بيانات مناخية قديمة وتاريخية ذات درجة وضوح سنوية وعشرية.

يقر الباحثون أن الدفع الشمسي والبركاني كان من القوى الدافعة المهمة للتغير المناخي المفاجئ خلال النطاقات الزمنية القصيرة. وقد رُبِطت هذه التغيرات السريعة نسبيا بالاضطراب والعنف الاجتماعيين. ومن ذلك على سبيل المثال أن الهزات في فيضان النيل السنوي المدفوعة بالثورانات البركانية الانفجارية قد رُبطت بإمداد الماء المتفاوِت، ويمكن ربطهما معا بالاضطراب الاجتماعي وهجر الأراضي وغيرها من الضغوط والاستجابات الاجتماعية-الاقتصادية[١١٧]. فالتغيرات في الظروف المناخية تُحْدِث أحوالا اقتصادية، لا سيما الإنتاج الزراعي، من خلال إحداث تغييرات في متوسط حالة المناخ السائدة (درجة الحرارة وتوفر الماء) التي تُحْدِث- بدورها- إنتاجا زراعيا وتطلق استجابات ثانوية، نظريا على الأقل، في الممارسات الزراعية وفي انتشار الأمراض والأوبئة[١١٨]. على أن أفضل طريقة لتناول الارتباط بين البشر والمناخ هي تناوله على أنه نظام للحث التبادلي الطبيعي-البشري يتضمن التأثيرات المتعاقبة وحلقات التغذية الراجعة[١١٩].

---

(٤٧) المناخ القاري continentality هو مناخ المناطق الحبيسة المقطوعة عن البحار وتأثيراتها، في مقابل المناخ الساحلي. [المترجم]

البراكين

إن ثورانات بركان جبل إتنا في أعوام ٤٤-٤٢ ق.ح وجبل فيزوف في عام ٧٩ ح.م (دمر الأخير مدينتي بومبي وهركولانيوم Herculaneum) معروفة جيدا لمؤرخي التاريخ القديم، وتعد أمثلة كلاسيكية للسرعة العنيفة أحيانا لحدوث تغير المشهد الطبيعي في البحر الأبيض المتوسط[١٢٠]. ومع أن هذه الثورانات أحدثت تأثيرات محلية مؤكدة، فإن الثورانات البركانية الانفجارية الكبيرة في أجزاء أخرى من العالم أحدثت تأثيرات أهم في الظروف المناخية العالمية[١٢١]. فنحن نعرف- على سبيل المثال- أن الثورانات البركانية الكبيرة "ارتبطت عن بعد" مع معدل المطر الموسمي الذي يشكل المصدر لفيضان النيل السنوي(٤٨)، ومن المرجح أن انفجارا بركانيا استوائيا هائلا وقع في عام ٤٤ ق.ح (يعد ثالث أكبر ثوران بركاني خلال الألفين وخمسمائة سنة الأخيرة وكان يعتقد في السابق أنه انفجار إتنا في أعوام ٤٤-٤٢ ق.ح) قد أحدث تأثيرا كبيرا على النيل، وبالتالي على مصر، وأثر كذلك على أماكن أخرى[١٢٢]. ومن المؤكد أن ثورانا بركانيا في عام ٤٢٦ ق.ح، في موقع غير معلوم (كان الأكبر خلال الألفين وخمسمائة سنة الأخيرة) قد أحدث تأثيرات جذرية. ولا ريب أن الاتسونامي الهائل في خليج مليان Malian Gulf الذي ذكره ثيوسيديديس والزلازل التي وقعت في السنة ذاتها قد غيرت مسار الحرب البيلوبونيزية(٤٩)، ويمكن ربطها بالاقتصاد[١٢٣].

---

(٤٨) راجع حاشية سابقة حول الارتباطات البعيدة. [المترجم]

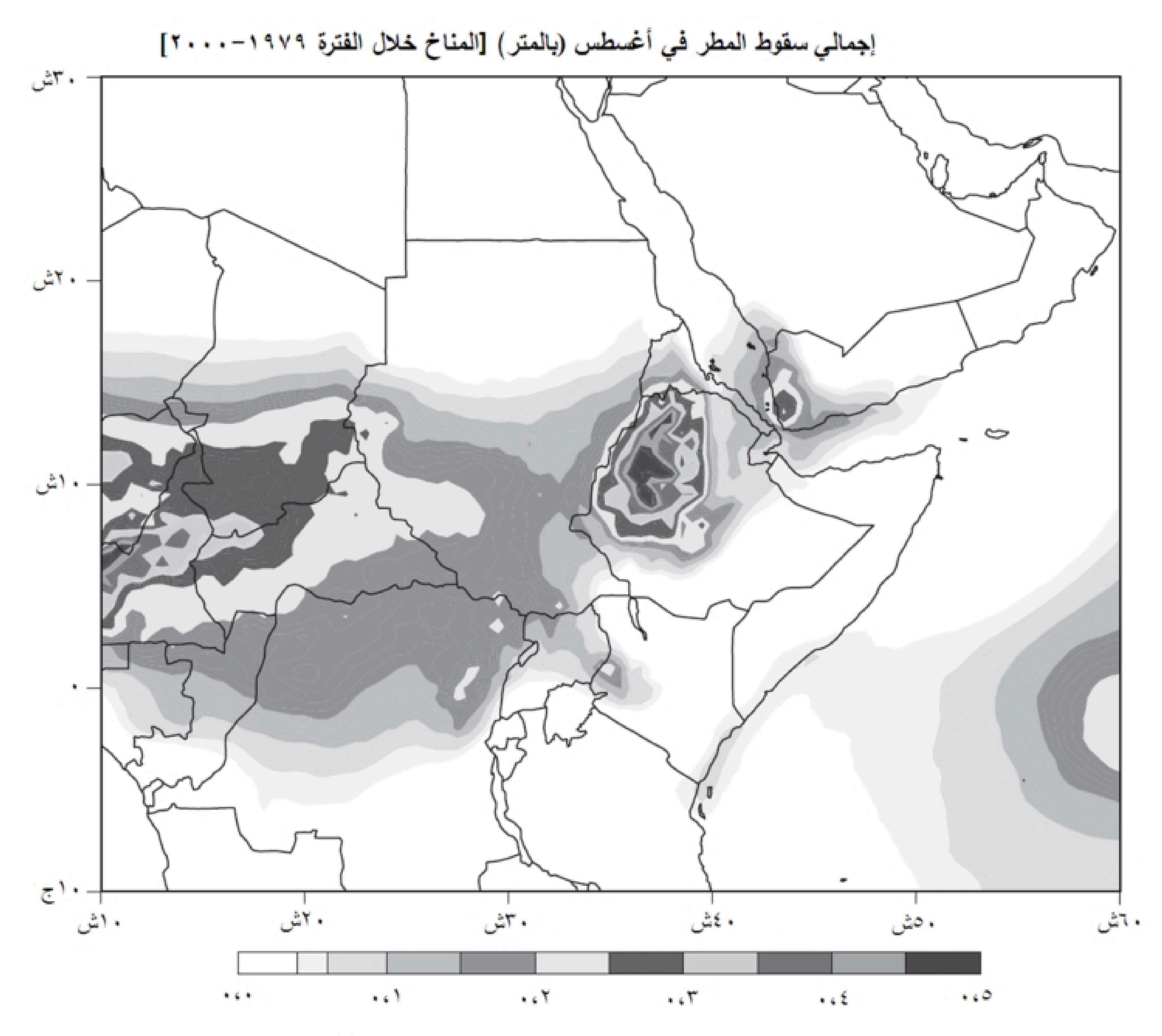
(٤٩) الاتسونامي tsunami (كلمة يابانية تعني "أمواج الميناء) أو أمواج المد tidal wave أو الأمواج البحرية الزلزالية seismic sea waves سلسلة من الأمواج في مسطح مائي تنتج عن إزاحة كمية ضخمة من الماء، عادة في محيط أو بحيرة كبيرة، تنتج بدورها عن زلازل أو ثورانات بركانية وانفجارات تحت الماء، تُحْدِث آثارا مدمرة في المدن الساحلية القريبة. [المترجم

الحرب البيلوبونيزية Peloponnesian War (٤٣١ - ٤٠٤ ق.ح) حرب خاضتها أثينا وإمبراطوريتها ضد التحالف البيلوبونيزي بقيادة أسبرطة، قسمها المؤرخون إلى ثلاث مراحل انتقل النصر فيها بين الطرفين، لكنها انتهت بهزيمة إمبراطورية أثينا وتدمير أسطولها واستسلامها. أدت هذه الحرب إلى إعادة تشكيل العالم اليوناني القديم، حيث تحولت أثينا من أقوى دولة مدينية قبل الحرب إلى دولة شبه خاضعة، فيما أصبحت أسبرطة القوة الأولى في العالم اليوناني، كما أدت هذه الحرب إلى انتصار الحكم الأوليجاركي الأسبرطي على الحكم الديمقراطي الأثيني. [المترجم]

إن الآليات الأساسية للدفع البركاني للمناخ مفهومة جيدا، وقد دُرِست باستخدام الآلات ومن خلال ملاحظات الأقمار الصناعية خلال الثوران الأخير لبركان جبل بيناتوبو Mount Pinatubo (الفلبين) في عام ١٩٩١[١٢٤]. وقد وُجد أن الأهباء الكبريتية sulfate aerosols التي تُحْقَن انفجاريا في طبقة الاستراتوسفير تُحْدِث تأثيرات مناخية قصيرة المدى، عادة من سنة واحدة إلى ثلاث سنوات، وذلك من خلال خلق "عمق بصري" أكبر في الغلاف الجوي، يتفرق فيه الإشعاع الشمسي القادم قصير الموجات عائدا إلى الفضاء، وهو ما يتسبب بدوره في خفض درجات الحرارة سطح الأرض وكبح الدورة الهيدرولوجية(٥٠). وفي بعض الأحيان تكون هذه التأثيرات عالمية، تأسيسا على حجم الثوران البركاني وموقعه[١٢٥]. وكذلك يمكن "للشذوذ الكبير في درجة الحرارة" في بعض أجزاء العالم أن يطلق أحداث إل نينيو في دوائر العرض الاستوائية. وتوجد أدبيات متزايدة تكشِف العلاقات البينية المعقدة بين الثورانات البركانية الانفجارية والحدوث اللاحق لأحداث إل نينيو أو تقوية هذه الأحداث[١٢٦]. وقد تعرضت فترات تاريخية بعينها، منها الحقبة الهلنستية، لثورانات بركانية كبيرة، لم تحدث فرادى وحسب، بل تزامنا مع ثورانات أخرى، كبيرة وصغيرة، في المنطقة الاستوائية وخارجها. أحدثت هذه المجموعات من الثورانات البركانية تأثيرات أطول أمدا على الإنتاج الزراعي في مصر وغيرها من المناطق المعتمدة على الرياح الموسمية، مثل منابع النيل الأزرق في إثيوبيا، الذي يعد المصدر الرئيس لفيضان النيل المصري في الصيف (الخريطة ٣) (الشكل ٢٩).

---

(٥٠) تشير الدورة الهيدرولوجية hydrological cycle أو دورة الماء water cycle إلى الحركة المتواصلة للماء فوق سطح الأرض أو تحته، وتغير أشكاله من السائلة إلى الغازية ثم المتجمدة ثم السائلة، بفعل أشعة الشمس التي تبدأ بتبخير مياه المحيطات التي تتحول إلى مطر أو ثليج، ثم تبدأ الدورة من جديد. [المترجم]



الشكل (٢٩) هجرة نطاق التقارب بين المدارين. قيم سقوط المطر عبارة عن متوسط من أبرز نماذج إعادة تحليل المناخ climate reanalysis models (نموذج إعادة التحليل بحسب نظام التنبؤ بالمناخ Climate Forwcast System Reanalysis; CFSR، ونموذج إعادة التحليل على فواصل للمركز الأوروبي للتنبؤ بالطقس في المدى المتوسط ECMWF Re-Analysis-Interim: ERA-Interim، والمشروع الياباني لإعادة التحليل لفترة ٥٥ سنة Japanese 55-year Reanalysis; JRA، والتحليل الاستعادي للحقبة الحديثة لغرض البحوث والتطبيقات Modern Era Retrospective-Analysis for Research and Applications; MERRA). مأخوذ من Climate Reanalyzer (http://ccireanalyzer.org)، Climate Change Institute، University of Maine، USA. Image and data processing courtesy of Dr. Sean Birkel، Climate Change Institute، University of Maine.

أخضع الباحثون ثوران بركان جبل تمبورا Mount Tambora لعام ١٨١٥ الذي يعد من أكبر الثورانات البركانية المسجلة، لدراسة وافية من حيث تأثيره على المناخ العالمي والاستجابات الثقافية التي لوحظت في الفن والأدب المعاصرين[١٢٧]. كما أن تأثير ثوران بركان لاكي (أيسلندا) في عامي

١٧٨٣-١٧٨٤ مُوَثَّق جيدا في السجلات العثمانية[١٢٨]. وفي أعمال نُشرت مؤخرا، فُصِّلت التأثيرات المدمرة لهذا الثوران الأخير على مصر، التي ربما تفاقمت فيها بفعل عدة ثورانات بركانية أخرى وقعت في نفس الوقت، إذ وُثِّقت تأثيرات منها انخفاض جريان النيل بثمانية عشرة بالمائة عن المتوسط، والطاعون، والمجاعة، وانخفاض غلة المحاصيل، وانتشار وفيات البشر والحيوانات والسرقة. وظلت تأثيرات هذا الثوران البركاني ملموسة في مصر حتى العقد الأخير من القرن الثامن عشر[١٢٩]. قد يكشف فحص سلسلة الثورانات البركانية أن الأحداث المجمعة (كما هي الحال في النصف الثاني من القرن الثالث عشر، ومرة أخرى حول عام ١٦٠٠، منها الثوران الشهير لبركان واينابوتينا Huaynaputina البيروفي في عام ١٦٠٠، وكذلك في النصف الأول من القرن التاسع عشر[٥١]) قد تركت تأثيرا تراكميا على جريان النيل، وبالتالي تأثيرا أطول أمدا على النهر[١٣٠]

الدفع البركاني والهزات قصيرة المدى والنيل

قُدِّمت فرضيات كثيرة لتفسير مسار تاريخ مصر البطلمية، ومن ضمن ذلك نجاحها المبكر، والثورات الداخلية لاحقا، والحرب مع الدول، وأفولها التدريجي أمام الطموحات الإمبراطورية الرومانية المتصاعدة، ونهايتها أخيرا مع هزيمة أنطونيو وكليوباترا أمام روما في معركة أكتيوم Actium في عام ٣١ ق.ح. كانت الدولة البطلمية من أقوى الدول الهلنستية وأطولها عمرا، ولذلك تكتسب أهمية كبيرة في تاريخ شرق البحر الأبيض المتوسط بعد عام ٣٠٠ ق.ح. استغل البطالمة، من مركزهم في الإسكندرية، غرين مصر الخصب حتى أصبحوا منتجا تجاريا رئيسا للقمح. وقد أُغْفِل دور الهزات المناخية المفاجئة في هذه القصة، وهو إغفال غير متوقع بالنظر إلى أن حظوظ مصر ارتبطت بشدة بفيضان النيل السنوي[١٣١]. وتذكر النصوص القديمة من حين لآخر نقصا في الغذاء أو مجاعة أو جفافا أو أزمات في فيضان النيل. لكن من الصعب أن نلاحظ نمطا بعينه تأسيسا على النصوص وحدها.

---

(٥١) واينابوتينا Huaynaputina بركان طبقي في بيرو، وقد صحَّح المترجم اسم البركان الذي كُتب خطأ في الكتاب Huaynapuinta، بعد الرجوع إلى المؤلف. [المترجم]

كنا في السابق نفهم تأثير التغير المناخي على المجتمعات ضمن نطاقات مئوية أو ألفية، وها نحن من خلال البيانات عالية الوضوح نستطيع من حين لآخر أن نلاحظ التأثيرات والاستجابات ضمن نطاقات زمنية أقصر. يقدم نهر النيل مختبرا ممتازا لرؤية تلك التأثيرات. يهتم الباحثون عادة بالارتباط بين التغيرات طويلة المدى في تفاوت فيضان النهر من سنة إلى أخرى والحكم المركزي المستقر[١٣٢]. وقد سُجِل الهبوط في حجم الفيضان بين الأسرتين الأولى والثالثة (بنحو ثلاثين بالمائة على وجه التقريب)، وفي الأسرتين السابعة والثامنة وعصر الاضمحلال الأول والأسرة الثالثة عشرة وعصر الاضمحلال الثاني والأسرة العشرين وعصر الاضمحلال الثالث المبكر[٥٢]. من المؤكد أن هناك عوامل أخرى، مثل النزاعات السلالية ومشكلات الخلافة والضعف المؤسسي والتهديدات الخارجية، لعبت دورها في انهيار الدولة المركزية. لكن من الواضح من سجلات الفيضان أن هناك ارتباطاً بين المراحل المركزية للتاريخ السياسي المصري والفيضان الأمثل للنهر، وبالتالي ترتبط فترات التجزؤ السياسي في التاريخ المصري هي الأخرى بدرجة ما بنقص فيضان النيل.

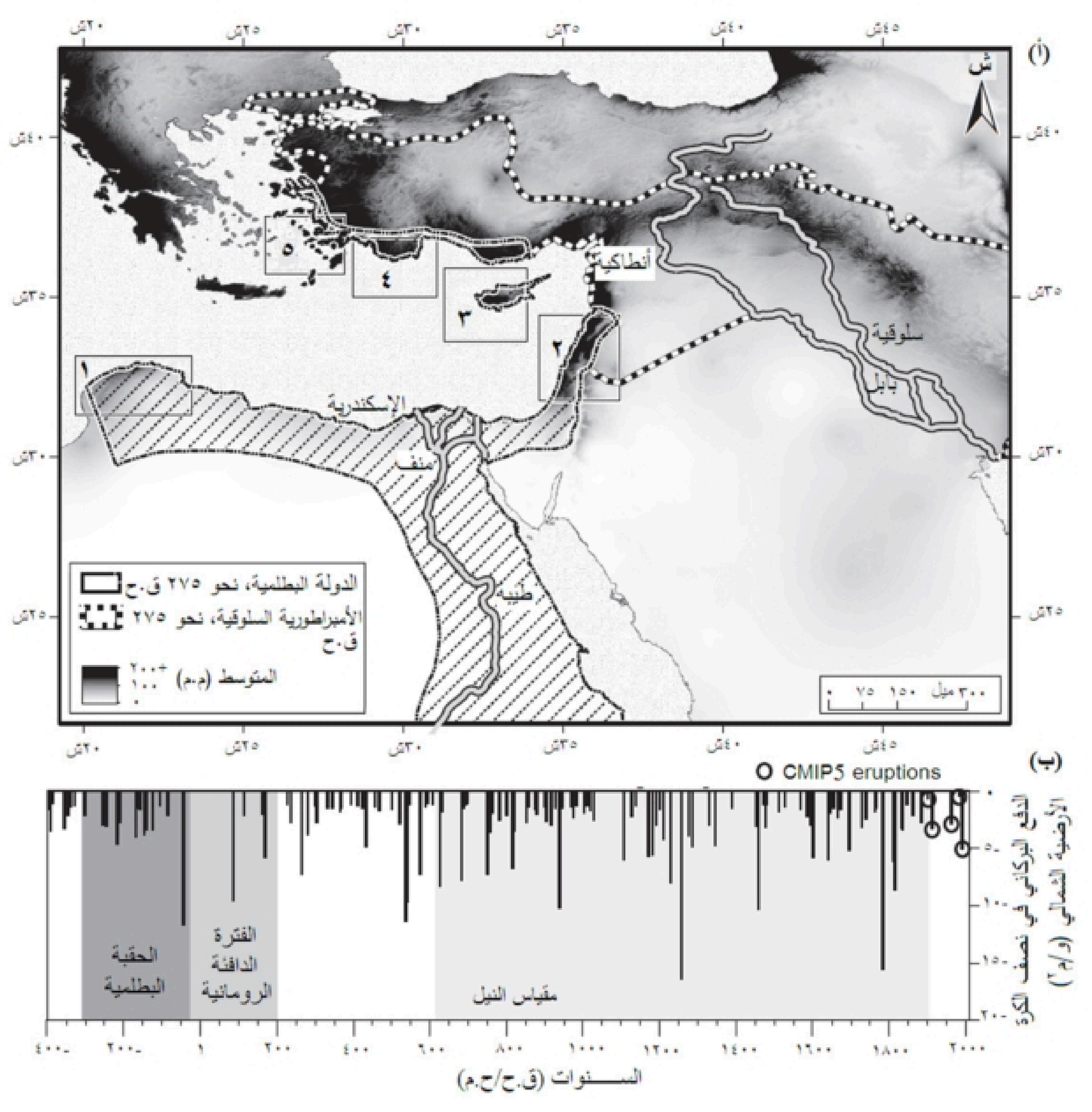
كان سكان مصر بحلول الحقبة البطلمية (٣٠٥-٣٠ ق.ح) قد تكيفوا جيدا مع تنوع النطاقات البيئية في مصر، وهي وادي النيل، والدلتا، والفيوم، والواحات في الصحراء الغربية. لكن الملوك البطالمة عدلوا البيئة جذريا في بعض المناطق (منها الفيوم كما جاء في موضع سابق) ورفعوا الطلب على القمح سهل الدَرْس، وغيروا نظم الجباية، وفرضوا سيطرة بيروقراطية أشد صرامة على الضرائب، واهتموا بدرجة أكبر بالتعبئة العسكرية. على أن هذه التغيرات الأساسية في المؤسسات السياسية والاقتصادية عن فترة الولاية الفارسية السابقة يجب أن تُفهَم في مقابل الخلفية البيئية التي بتنا حاليا نمتلك فهما أفضل لها.

يتطلب فهم تأثيرات الثورانات البركانية الانفجارية التحول أولا إلى البيانات المحفوظة في العينات اللبية الجليدية في جزيرة غرينلاند وفي القارة القطبية الجنوبية. ويأتي تحديد تواريخ سلسلة الثورانات البركانية التي جرى التعرف عليها في مستويات الكبريت المرتفعة في الجليد بين التطورات المثيرة خلال السنوات الأخيرة[١٣٣]. ونستطيع حاليا أن نربط سلسلة الثورانات بالسجلات التاريخية بمزيد من الدقة، ونتعرف على مواقع البراكين على أنها وقعت إما عند دوائر عرض بعيدة شمالا أو جنوبا أو "استوائية" (دائرة عرض قريبة)، فضلا عن استنتاج نطاق حقن الكبريت الناتج عن الثوران في طبقة الاستراتوسفير، الذي يؤدي إلى تغيير المناخ.

(٥٢) راجع حاشية سابقة حول عصر الاضمحلال. [المترجم]

حدثت ثورانات بركانية انفجارية متعددة حول العالم خلال الحقبة البطلمية، من بينها، يرجح أن الثورانات الستة عشر التي وقعت في دوائر عرض بعيدة في نصف الكرة الأرضية الشمالي والثورانات الثمانية الاستوائية (الشكل ٣٠) قد أحدثت الانخفاضات الأشد ضررا في نطاق فيضان النيل الصيفي. تسببت أربعة من هذه الثورانات في إنقاص وصول الإشعاع الشمسي عن النسبة المُقَدَّرة -٦،٥ و/ م٢ (واط لكل متر مربع) للدفع الإشعاعي العالمي لثوران بركان بيناتوبو (الفلبين ١٩٩١)، وهو الثوران البركاني الأشد في تأثيره المناخي خلال القرن العشرين، في حين كان الدفع الإشعاعي لأربعة ثورانات أخرى هو -٤،٠ و/ م٢ على أقل تقدير. وكذلك اختُتِمت الحقبة البطلمية بثالث أكبر ثوران بركاني خلال الألفين وخمسمائة سنة الماضية، بلغ دفعه الإشعاعي -٢٣،٢ و/ م٢، في نحو عام ٤٤ ق.ح. إن تأثير هذه الثورانات مسجل في ملاحظات حجاب الغبار/ سديم الهباء التاريخي من البحر الأبيض المتوسط والشرق الأدنى(٥٣)، ومسجل أيضا في انحفاضات النمو في الحلقات الشجرية في نصف الكرة الأرضية الشمالي الحساسة لدرجة الحرارة (الشكل ٣٢)، لكن لا توجد بيانات تمثيلية ذات وضوح سنوي لفحص تأثيرها المناخي على مصر بطريقة مباشرة[١٣٤]. ولا تمتد إعادة بناء الرياح الموسمية ذات الوضوح السنوي إلى هذه الفترة. في حين أن البرديات من حين لآخر تسجل الظروف المحلية للفيضان في الرسائل وعقود تأجير الأراضي وغيرها من الوثائق التي جمعها بونو Bonneau[١٣٥]. ويمكننا حاليا أن نصنف نوعية الفيضان ونختبرها في مقابل السجل البركاني بغية فحص مدى دقة هذه السجلات النوعية للفيضان القديم[١٣٦].

(٥٣) حجاب الغبار dust veil (أو سديم الهباء أو السديم الهبائي aeorol haze) جزيئات دقيقة من الرماد والغبار وثاني أكسيد الكبريت تدخل طبقة الاستراتوسفير بسبب الثورانات البركانية، يمكن أن تعمل كنويات تكاثف للأهباء الكبريتية. [المترجم]



الشكل (٣٠) الوضع السياسي والبيئي في شرق البحر الأبيض المتوسط الهلنستي وتاريخ الدفع البركاني. (أ) المطر في أوج الموسم المطير (متوسط شهر ديسمبر بالمليمتر) خلال الفترة ١٩٥٠-٢٠٠٠ (worldclim.org)، مع حدود الدولتين البطلمية (الخط المنقط) والسلوقية (الخط المتقطع) في نحو عام ٢٧٥ ق.ح. تظهر الأقاليم الأساسية التي تنازعت عليها الدولتان مرقمةً (١ قورينائية، ٢ "كويلي" في سورية[٥٤]، ٣ قبرص، ٤ ليقيا، ٥ كاريا[٥٥])، وتوضح المستطيلات المناطق القادرة على الزراعة على المطر. تبيّن الخريطة أيضا مراكز السلطة الحضرية (بابل، أنطاكية، سلوقية، الإسكندرية، منف، طيبة). (ب) الدفع البركاني من عام ٤٠٠ ق.ح حتى الوقت الحاضر. بإذن من Francis Ludlow and Michael Sigl.

(٥٤) كويلي Koile (أو Coele) أو كويلي سورية Coele-Syria منطقة من سورية خلال العصر القديم الكلاسيكي، اشتق اسمها على الأرجح من الاسم الآرامي "كل سورية" الذي استخدم في اليونانية بمعنى سورية الجوفاء Hollow Syria، يشير تحديدا إلى وادي البقاع بين جبل لبنان وجبال لبنان الشرقية. [المترجم]

(٥٥) ليقيا Lycia منطقة جغرافية في الأناضول تتطابق حاليا مع المحافظات التركية أنطاليا Antalya وموغلا Muğla وبوردور Burdur. [المترجم]

إننا ما زلنا في أول عهدنا بفهم التأثيرات الاجتماعية للارتباطات البعيدة بين الثورانات البركانية الانفجارية واضطراب جريان النيل(٥٦). وإذا اتخذنا تأثيرات ثوران بركان لاكي على مصر موجِّها لنا، يمكن أن نقول إن سلسلة الثورانات التي نلاحظها خلال الحقبة الهلنستية ربما تركت تأثيرات في أربعة مجالات مترابطة: (١) الإنتاج الزراعي، (٢) إمداد الغذاء، (٣) الاضطراب الاجتماعي، (٤) المرض. ومن المتفق عليه عموما أن المجاعة في البحر الأبيض المتوسط ما قبل الحديث كانت نادرة، لكن أزمات نقص الغذاء كانت شائعة[١٣٧]. على أننا يجب أن نكون حذرين، لأن هذا الاستنتاج يعتمد على الأدلة الباقية التي تأتي على الأغلب من المراكز السياسية المهمة، وليس من المناطق الأكثر عرضة لهزات إمداد الغذاء. وقد كانت هزات إمداد الحبوب أحد الاهتمامات الأولى لكل دول البحر الأبيض المتوسط ما قبل الحديث. وقد سادت ظروف مناخية مستقرة عموما في البحر الأبيض المتوسط، وحتى في مصر الرومانية، لكن الدفع البركاني يمكن أن يُحْدِث هزات مفاجئة للمجتمعات الهشة[١٣٨]. على أن هذه الهزات لا تنتج دائما نقصا في الغذاء بالطبع، لكن في حالة النظام الزراعي المعتمد تماما على الري، ربما كان لفشل النهر، على أقل تقدير، تأثيرات نفسية على السكان، ومن ذلك أن البيانات التاريخية المقارنة توحي بأن الهزات ربما دفعت ثورات[١٣٩].

كما هو متوقع، أبدت المراكز الحضرية اهتماما كبيرا بإمدادات الحبوب. من ذلك على سبيل المثال أن أثينا التي اعتمدت طويلا على واردات الحبوب في غذائها اشتهرت بنظم قيّدت شحنات الحبوب بين المناطق، ولم تسمح إلا بالشحنات المتجهة إليها[١٤٠]. ومن أمثلة ذلك أيضا أن مرسوما ملكيا في عهد كليوباترا الذي شهد انخفاضا شديدا في فيضان النيل ومجاعة وتفشي الأمراض، أعلن حظر شحن الحبوب إلا إلى المدينة التي يتهددها الموت[١٤١]. وثمة نقش من خيرسون في القرم يُؤرَّخ إلى نحو عام ٣٠٠ ق.ح (تأسيسا على البليوغرافيا) يتعلق بنظم نقل الحبوب، يحظر شحن الحبوب إلى أي مكان غير خيرسون ذاتها بغية الحفاظ على حرية المدينة[١٤٢]. كما أن استراتيجية الزراعة القائمة على خلط القمح والشعير (زراعة المَصْلين(٥٧)) مُوَثَّقة في أعمال التنقيب الأثري، وكذلك إدخال الجاودار rye (ربما خلال

---

(٥٦) راجع حاشية سابقة حول الارتباطات البعيدة. [المترجم]

(٥٧) المَصْلين maslin كلمة من العصور الوسطى تشير إلى محصول القمح والشعير أو القمح والجاودار عندما يزرعان معا في نفس الحقل. [المترجم]

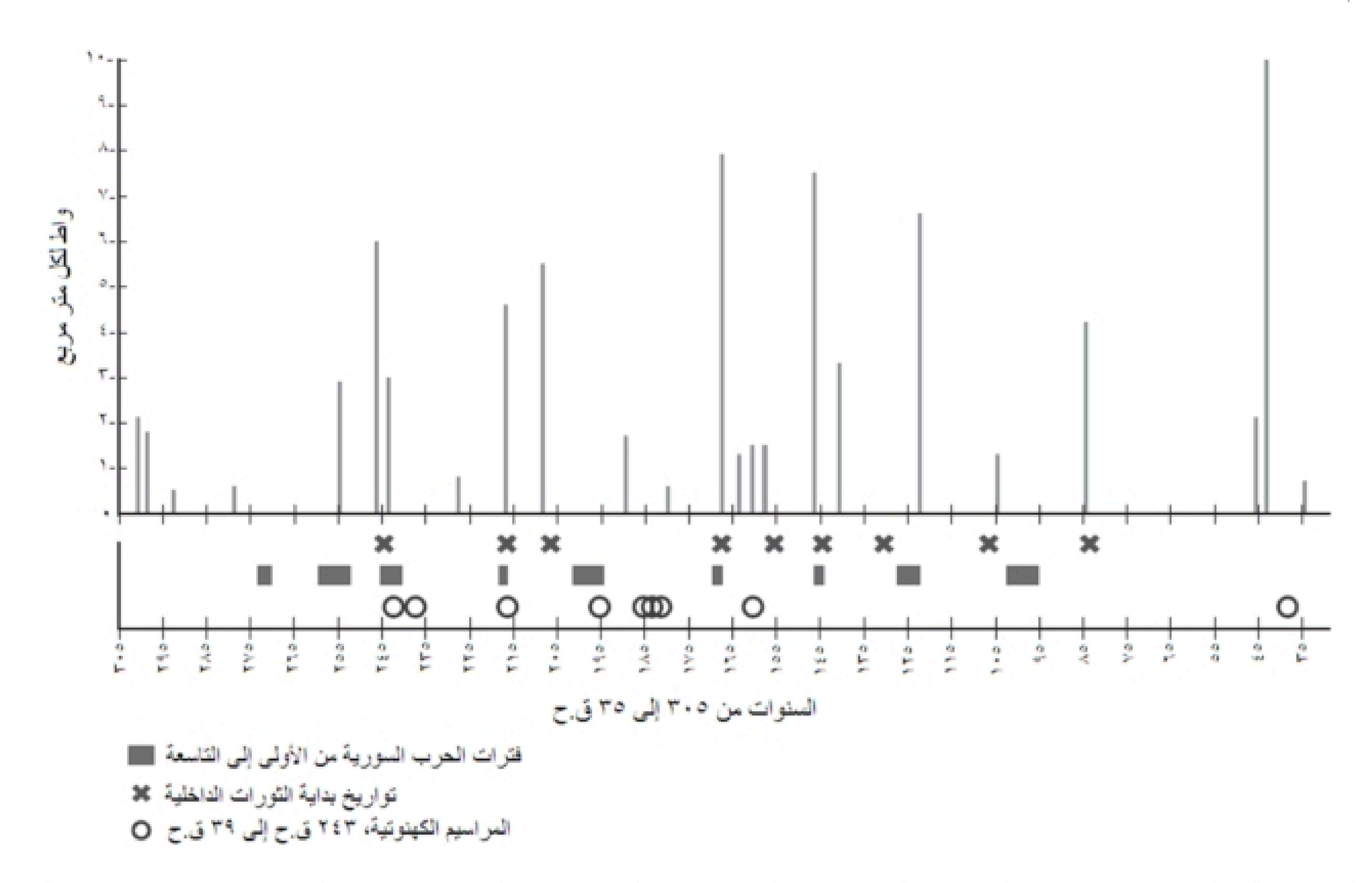
القرن الثالث قبل الحقبة المشتركة؟) والهجرة مُوَثَّقان في النقوش، وهي كلها استجابات غير مفاجئة للخطر الناتج عن "التدهور المناخي" climatic deterioration مُمَثَّلا في الجفاف[١٤٣]. إننا لا نعرف سبب هذا الجفاف الذي يبدو أنه كان واسعا. وقد اجتاحت جماعات بدوية المنطقة في نحو عام ٢٧٠ ق.ح وقضت على خيرسون. لكننا في حالات أخرى نعرف سبب الجفاف. توثِّق البرديات والنقوش القديمة ثورات متكررة في مصر البطلمية (الشكل ٣١). وقد فُسِّرت أسباب هذه الثورات غالبا بالمشاعر "القومية" بين المصريين الساخطين على الحكم البطلمي (أي اليوناني) و/ أو الضغوط الناتجة عن المطالب الجبائية الحكومية (للحفاظ على التعبئة العسكرية). لكن سلسلة العينات اللبية الجديدة تبيّن أن ثورانات بركانية وقعت بالقرب- زمنيا- من تواريخ بداية الكثير من الثورات (الشكل ٣١). ونجد على وجه التحديد أن ثورانات بركانية حدثت خلال سنتين أو ثلاث من تواريخ بداية الثورات في نحو ثماني ثورات من تسع، بمعنى أن الثورانات البركانية تُؤرَّخ إلى ما قبل ثلاث سنوات من تواريخ بداية الثورات وحتى سنتين بعد بدايتها[١٤٤].

على الرغم من بعض الغموض الباقي في تحديد التواريخ اعتمادا على العينات اللبية الجليدية، فإن السلسلة البركانية الجديدة تقدم نطاقا زمنيا جيد التحديد لهذه الأحداث الطبيعية الرئيسة[٥٨]، العشوائية في حدوثها، وإن كانت قد أصبحت حاليا أداة معروفة للتغير الاقتصادي والاضطراب والمجاعة، وربما أيضا انتشار الأمراض. على أن الارتباط لا يعني السببية بالطبع، وأمامنا حاليا المزيد من الأعمال التاريخية التي يجب أن تجرى على المجتمع البطلمي وطبيعة هذه "الثورات" ذاتها.

إن الجمع- من ناحية- بين التأريخ البركاني الجديد للأحداث باستخدام العينات اللبية الجليدية، الذي يتم التحقق من أساسياته عن طريق ربطه بنمو الحلقات الشجرية (الشكل ٣٢)، ومن ناحية أخرى السجلات التاريخية التفصيلية، يلقي الضوء على العديد من الظواهر التاريخية الأخرى في هذه الفترة، منها مثلا وظيفة الإقليم الإمبراطوري، والحرب بين البطالمة والسلوقيين، وتتابع الاضطراب الاجتماعي الداخلي، وتأثير إنتاج القمح سهل الدَّرْس، فضلا عن الاستجابات التكيفية والعوامل

(٥٨) السلسلة البركانية volcanic sequence أو السلسلة البركانية الرسوبية volcano-sedimentary sequence سلسلة من طبقات الأرض stratigraphic sequence ناتجة عن تعاقب وامتزاج الأحداث الرسوبية والبركانية، قد تشمل المواد البركانية في هذه السلاسل مواد مثل تدفقات الحمم والتفرا والبازلت والحصى. [المترجم]

التلطيفية الممكنة التي تشمل الابتكار التقني. كان الإقليم الخارجي البطلمي "سياجا" دفاعيا، يمكن- كما يخبرنا بوليبيوس- حماية مصر من حوله، وكان في الوقت عينه مناطق للاستغلال الاقتصادي. وقد كان ذلك في حقيقته استمرارية للأنماط السياسية والاجتماعية للتاريخ السياسي المصري، واستغلالا للحالة السياسية لورثة الإسكندر الآخرين وعثراتهم أو نزاعاتهم[١٤٥]. وقد وفرت الأقاليم الإمبراطورية واليونان البرية القوة البشرية والموارد وكذلك الأسواق للحبوب المصرية[١٤٦].



الشكل (٣١) الدفع البركاني بالواط لكل متر مربع. يبيّن هذا الشكل انخفاض الإشعاع الشمسي على المحور الصادي بعد الثورانات البركانية. وقد شهدت الحقبة البطلمية (٣٠٥-٣٠ ق.ح) العديد من الثورانات البركانية (ستة عشر ثورانا في دوائر عرض بعيدة في نصف الكرة الأرضية الشمالي، وثمانية ثورانات استوائية، أربعة منها تتجاوز الدفع العالمي -٦،٥ و/ م٢ لبركان بيناتوبو (الفلبين، ١٩٩١)[٥٩]، وهو الثوران البركاني الأشد تأثيرا على المناخ خلال القرن العشرين، في حين كان دفع أربعة ثورانات أخرى -٤،٠ و/ م٢ على الأقل (Sigl et al.، 2015). وقد اُخْتُتِمت الحقبة البطلمية بثالث أكبر ثوران بركاني خلال الألفين وخمسمائة سنة الماضية بدفع قدره -٢٣،٢ و/ م٢ في نحو عام ٤٤ ق.ح (لاحظ أنه ليس موضح ضمن هذا النطاق الزمني). فترات الاضطراب الاجتماعي والحروب السورية مبيّنة في الأسفل[٦٠]. بإذن من Francis Ludlow.

---

(٥٩) اتساقا مع مفهوم الدفع بأنواعه المختلفة (البركاني، الشمسي، الإشعاعي، المداري وغيرها)، كما جاء في حاشية سابقة، يشير مصطلح الدفع العالمي global forcing إلى التأثير العالمي لهذا النوع أو ذاك من الدفع، أو إلى أحداث الدفع ذات التأثير العالمي. [المترجم]

(٦٠) في الشكل (٣١): المراسيم الكهونتية ثلاثة مراسيم فخرية أصدرتها المجامع الكهنوتية المصرية بالتنسيق مع الحاكم البطلمي، هي المرسوم الكانوبي الصادر في عام ٢٣٩ ق.ح في عهد بطليموس الثالث (حكم ٢٤٧-٢٢١ ق.ح)،

ربما دفع نقص الفيضان الصيفي للنيل، سواء كان مدفوعا بالبراكين أم لا، البطالمة إلى تقليل اعتمادهم الزراعي على فيضان النيل من خلال الحفاظ على السيطرة على أقاليم الزراعة على المطر الخارجية في البحر الأبيض المتوسط المتنازع عليه (قورينائية وتركيا وسورية) (الشكل ٣٠). كان بطليموس الثالث Ptolemy III المعتدي في الحرب السورية الثالثة التي بدأت في عام ٢٤٦ ق.ح في أوج قوة الدولة البطلمية. بدأت هذه الأحداث في السياق البيئي لثوران بركاني استوائي كبير يُؤرَّخ إلى عام ٢٤٧ ق.ح، مع وجود أدلة على نقص فيضان النيل مُوَثَّقة لعام ٢٤٦ وعام ٢٤٥ ق.ح. وعلى الرغم من نجاح حملة بلاد ما بين النهرين، اضطر بطليموس الثالث للعودة لقمع "ثورة وطنية" في نحو عام ٢٤٥ ق.ح(٦١)، وتوقفت الحرب نهائيا في عام ٢٤١ ق.ح بعد ثوران بركاني آخر (في دائرة عرض بعيدة في نصف الكرة الأرضية الشمالي) يُؤرَّخ إلى عام ٢٤٤ ق.ح (الشكل ٣٣)[١٤٧]. كما أننا نعرف من الأدلة

ومرسوم منف الأول الصادر في عام ٢١٧ ق.ح في عهد بطليموس الرابع (حكم ٢٢١-٢٠٣ ق.ح)، ومرسوم منف الثاني الصادر في عام ١٩٦ ق.ح في عهد بطليموس الخامس (حكم ٢٠٣-١٩٨ ق.ح)، كان الغرض منها الإشادة بانتصارات الحاكم وإنجازاته وإحسانه، لا سيما على طبقة الكهنة، أريد بها دمج البطالمة في تقليد الحكم المصري الطويل ودعم شرعية حكمهم واسترضاء المصريين في فترات الثورات الوطنية والشدائد الاجتماعية مثل نقص الفيضان ونقص الغذاء، كما هي الحال مع مرسوم منف الثاني (وُجدت منه نسخة على بلاطة في مدينة رشيد ولذلك عُرِف باسم حجر رشيد Rosetta Stone وكان له الفضل في فكّ رموز الكتابة المصرية القديمة على يد الفرنسي جان فرانسوا شامبليون، لأن المرسوم كُتب بالهيروغليفية والديموطيقية واليونانية) الذي تزامن مع ثورة كبرى أطاحت بالبطالمة من حكم مصر العليا لعشرين عاما (٢٠٦-١٨٦ ق.ح)، ونصَّبت فرعونين وطنيين. [المترجم]

في الشكل (٣١): الحروب السورية Syrian Wars سلسلة من ست حروب وقعت بين الإمبراطورية السلوقية والدولة البطلمية المصرية خلال القرنين الثالث والثاني قبل الحقبة المشتركة على حكم منطقة كويلي سورية التي كانت أحد الطرق القليلة إلى مصر، استنزفت هذه الحروب الدولتين ماديا وبشريا، ما سهّل انهيارهما لاحقا أمام روما (البطالمة) والبارثيين (السلوقيين). [المترجم]

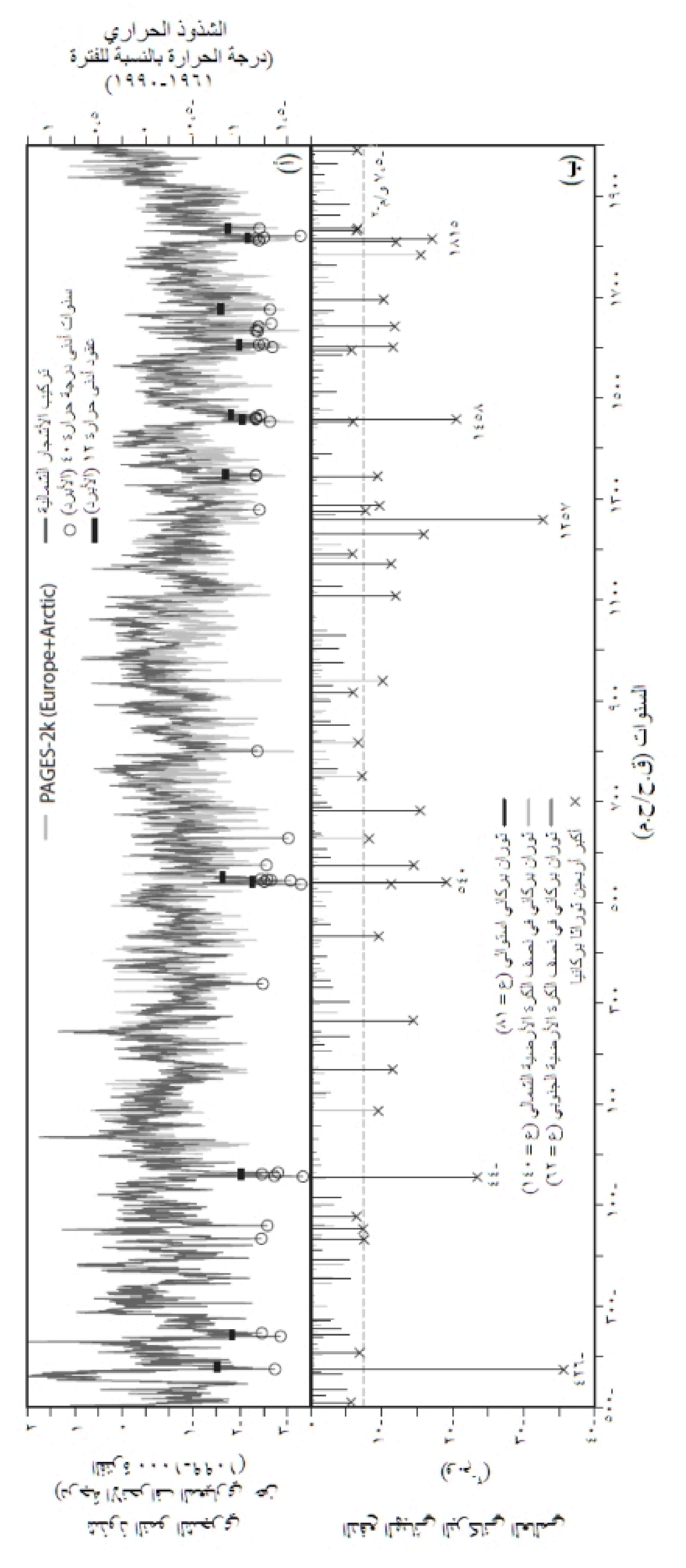
(٦١) في خضم صراع بين أرملتي أنطيوخوس الثاني السلوقي لوديكي الأولى Laodice I وبرنيكي Berenice شقيقة بطليموس الثالث على خلافة ابن كل منهما لأبيه، قُتِلت الأخيرة، ما جعل بطليموس يغزو الإمبراطورية السلوقية (الحرب السورية الثالثة)، لكنه عاد سريعا بعد اشتعال ثورة في مصر دامت في طيبة عشرين عاما، تزامنت مع نقصان النيل، في أثناء هذه الثورة، كُتب في عام ٢٠١٧ ق.ح مرسوم منف الأول الذي يُعرَّف أيضا باسم مرسوم رافيا Raphia Decree لأنه خلَّد انتصار بطليموس الثالث في معركة رافيا Battle of Raphia، التي وقعت في رفح الفلسطينية في ٢٢ يونيو ٢١٧ ق.ح وتعرف أيضا باسم معركة غزة Battle of Gaza. [المترجم]

الواردة في المرسوم الكانوبي أنه في حال هزات النيل الحادة(٦٢)، كما حدث على الأرجح خلال العقد السادس من القرن الثالث قبل الحقبة المشتركة(٦٣)، استورد بطليموس الثالث الحبوب من أقاليم خارجية[١٤٨]. ومع أن قوريني كانت منتِجا رئيسا للحبوب، فإننا لا نعرف إن كانت مَصدَرا مباشرا للحبوب إلى مصر أم لا. ويخبرنا المرسوم الكانوبي أن الحبوب المستوردة لإنقاذ مصر من نقص فيضان النيل جاءت من "سورية وفينيقيا وقبرص والكثير من الأماكن الأخرى بنفقة كبيرة، أنقذوا بها سكان مصر"[١٤٩]. ومن اللافت للانتباه، دون أي مبالغة، أن مُصدِّر الحبوب الكبير في الأوقات العادية- مصر- كان يضطر لاستيراد القمح في أثناء ما كان بالتأكيد هزة شديدة في فيضان النيل. ومن اللافت للانتباه أيضا أن بطليموس الثالث زعم أنه اشترى الحبوب بنفقة كبيرة، وهو ما يوضح شيئا مهما حول العلاقات بين الإسكندرية وممتلكاتها الخارجية. وفي السنوات الجيدة، كان وادي النيل غزير الإنتاجية، فبعد عقد من هزات أواخر العقد السادس من القرن الثالث قبل الحقبة المشتركة على سبيل المثال، تبرع بطليموس الثالث بثلاثين ألف طن (مليون أردب) من القمح المصري لجزيرة رودس بعد أن ضربها زلزال مدمر[١٥٠]. كان تخزين الحبوب أحد العوامل المهمة في مرونة المجتمع والدولة، لكنه غير مُوَثَّق جيدا. ودون إجراء المزيد من الأعمال، سيظل فهمنا محدودا لتأثير كل هزة في فيضان النيل على التفاوت المكاني في وفرة فيضان الماء، ومن المرجح أنه كان هناك تفاوت كبير وفقا للتضاريس المتغيرة لوادي النيل على امتداد مصر. ولا ريب أن حالات نقصان النيل لم تؤدِ جميعها إلى كوارث بنفس الحجم، ولا بد أن الضيق الاجتماعي قد انحصر في مناطق بعينها. ويمكن بلوغ فهم أفضل لهذا الجانب من خلال النمذجة المكانية لارتفاعات الفيضان بحسب التضاريس المحلية.

---

(٦٢) المرسوم الكانوبي Canopus Decree هو المرسوم الأول بين المراسيم الكهنوتية الثلاثة، نُقش بثلاثة نظم كتابة (الهيروغليفية المصرية، الديوطيقية، اليونانية) كتب على العديد من الأحجار النُصبية والألواح المصرية القديمة، يسجل اجتماعا كبيرا للكهنة عقد في كانوب تكريما للفرعون بطليموس الثالث يوارجيتيس وزوجته الملكة برنيكي الخيّرة والأميرة برنيكي، يُنسب المرسوم إلى مدينة كانوب Canopus المصرية القديمة الواقعة على ساحل الدلتا على الضفة الغربية للفرع الكانوبي البائد لنهر النيل على مسافة ٢٥ كيلومترا شرق مركز مدينة الإسكندرية. [المترجم]

(٦٣) لأن ترتيب العقود في أي قرن يتقدم من الأقدم زمنيا إلى الأحدث، فإن هذا الترتيب قبل الحقبة المشتركة يكون عكسه خلالها. فقبل الحقبة المشتركة، تكون السنوات ٩٩-٩٠ (بهذا الترتيب العكسي) هي العقد الأول من أي قرن، والسنوات ٨٩-٨٠ هي العقد الثاني، وهكذا وصولا إلى السنوات ٠٩-٠٠، وهي العقد الأخير من القرن، وعلى عكس ذلك خلال الحقبة المشتركة تشير السنوات ٠٠-٩ إلى العقد الأول من أي قرن، والسنوات ١٠-١٩ إلى العقد الثاني، وهكذا وصولا إلى العقد الأخير: ٩٠-٩٩. [المترجم]



الشكل (٣٢) إعادة بناء بركانية كاملة جديدة (في الأسفل)، مع سلسلة حلقات شجرية مركبة (في الأعلى) للألفين وخمسمائة سنة الأخيرة. من Sigl et al. (2015).

يوجد مثال للاستجابات المرنة لأزمة فيضان النيل مُوَثَّق في التماس يوناني شهير (الشكل ٣٤)، ربما بشكل مسودة، يُؤرِّخه الكثير من الدارسين إلى منتصف القرن الثالث قبل الحقبة المشتركة على وجه التقريب. ولذلك يتطابق مع سياق أزمة وقعت إبان العقد السادس من القرن الثالث قبل الحقبة المشتركة، والنص الذي يطلب مقابلة مَلكية ويشير إلى وجود نوع جديد من آلة للري، كتبه رجل (على الأرجح جندي بالنظر إلى اسمه ولقبه) يعيش في إدفو، وهي بلدة بها أحد المعابد الرئيسة في مصر العليا. يذكر النص نقصان النيل لمدة ثلاث سنوات و"آلة" ري جديدة يمكن أن "تنقذ" مصر من المجاعة:

> التحيات إلى الملك بطليموس من فيلوتاس Philotas مُطْلِق إشارة النار(٦٤)، أحد الكليروخات في أبولينوبوليس الكبرى(٦٥). بالنظر إلى أن الغمر أصبح غير كافٍ في الوقت الحاضر ومنذ فترة طويلة، أود أن أخبركم أيها الملك عن آلة معينة لا يتسبب استخدامها في أي ضرر، يمكن بواسطتها إنقاذ البلاد. فنظرا إلى أن النهر لم يفض خلال الثلاث سنوات الأخيرة، فإن الجفاف سيتسبب في مجاعة ... لكن إن أردتم، فإن هذه السنة سيكون فيضانها جيدا.
>
> ألتمس منكم أيها الملك إذا رأيتم أنها مفيدة لكم أن تأمروا الاستراتيجوس أريستون Ariston أن يمنحني مؤنة ثلاثين يوما وأن يرسل إليّ بأسرع ما يمكن لأمثل بين يديكم أو يرسل ... استدعاء إن واقفتم، حتى تنمو البذور فورا(٦٦). شكرا على قراركم، خلال خمسين يوما سيأتي حصاد وفير على امتداد المنطقة الطيبية قاطبة(٦٧). وداعا[١٥١]

---

(٦٤) مُطْلِق إشارة النار fire-signaller جندي كان يشعل النار بدرجات متفق عليها لإرسال إشارات إلى جيشه المتأخر أو البعيد عنه. [المترجم]

(٦٥) الكليروخ Kleruch كلمة يونانية تعني حرفيا "مالك قطعة أرض"، اشتقت منها الكلمة اليونانية كليروخيا klēroukhia التي كانت تشير في اليونان الكلاسيكية إلى نوع متخصص من المستوطنات تنشئه أثينا. [المترجم]

كانت أبولينوبوليس الكبرى Apollinopolis-the-Great عاصمة نوم كان يقع في مكان مدينة إدفو الحالية في مصر العليا. [المترجم]

(٦٦) الاستراتيجوس strategos (بمعنى الجنرال العسكري في اليونانية) كان لقب الحاكم العسكري في العالم الهلنستي والإمبراطورية البيزنطية. [المترجم]

(٦٧) راجع حاشية سابقة حول المنطقة الطيبية. [المترجم]

إننا لا نعرف على وجه التحديد ذلك الشيء الذي اكتشفه صاحب الالتماس (هل كان واحدا من "الرواد الثقافيين" عند جويل موكير؟)[١٥٢](٦٨). هل كان اختراعا جديدا أم تحسينا "تزايديا" لآلة معروفة فعلا؟ لكننا نعرف أن آلة رفع الماء المعروفة باسم الساقية saqiya مُوَثَّقة في نحو عام ٢٤٠ ق.ح، وذلك تأسيسا على ذكر فيلو البيزنطي Philo of Byzantium لها في كتابه "خلاصة وافية في الميكانيكا" Pneumatics. ويذهب مايكل لويس Michael Lewis إلى أن الكثير من آلات رفع الماء والآلات الدوّارة الجديدة قد اخترعت في الإسكندرية بين عامي ٢٦٠ و٢٣٠ ق.ح، وأن النمو والتوسع الزراعيين، لا سيما في الفيوم، ربما دفعا الابتكار[١٥٣]. ويمكن النظر إلى هذه الاختراعات على أنها جزء من "ثورة" أوسع في التطور التقني[١٥٤]. ومع أن الالتماس ليس مؤرخاً بدقة، فإن سياقه كما أوضحنا آنفا يلائم منتصف القرن الثالث قبل الحقبة المشتركة[١٥٥]. ويمكن إرجاع منحة كبيرة من الحبوب إلى مصر من ملك سرقوسة هيرو الثاني Hieron II of Syracuse إلى هذه السنوات "في أثناء نقص الحبوب في مصر"، وهو ما يعزز الشك في أن العقد السادس من القرن الثالث قبل الحقبة المشتركة كان فترة نقص في فيضان النيل، تماما كما اقترحت البيانات التمثيلية البركانية والحلقات الشجرية (الشكل ٣٣)[١٥٦].

خاض بطليموس السادس حربا دفاعية بداية من عام ١٧٠ ق.ح (الحرب السورية السادسة)، لكنه غُلِب في عام ١٦٨ ق.ح، وغزا الملك السلوقي أنطيوخوس الرابع Antiochus IV مصر. حدث ذلك في سياق ثوران بركاني استوائي هائل يُؤرَّخ إلى عام ١٦٨ ق.ح، كان ثاني أقوى ثوران من حيث الدفع العالمي (-٧،٩ و/ م٢) خلال الحقبة البطلمية. وفي منتصف العقد الرابع من القرن الثاني قبل الحقبة المشتركة، كما هو مسجل في الأرشيف الشهير لمفسر الأحلام حور من سقارة Hor from Sakkara، نسمع إساءات من الأفراد إلى عبادة أبو منجل المقدسة وأن الغذاء المسروق كان للحيوانات المقدسة[١٥٧](٦٩). من الواضح أن حمولة كبيرة من البرسيم للطيور المقدسة قد وُضِعت في غير مكانها

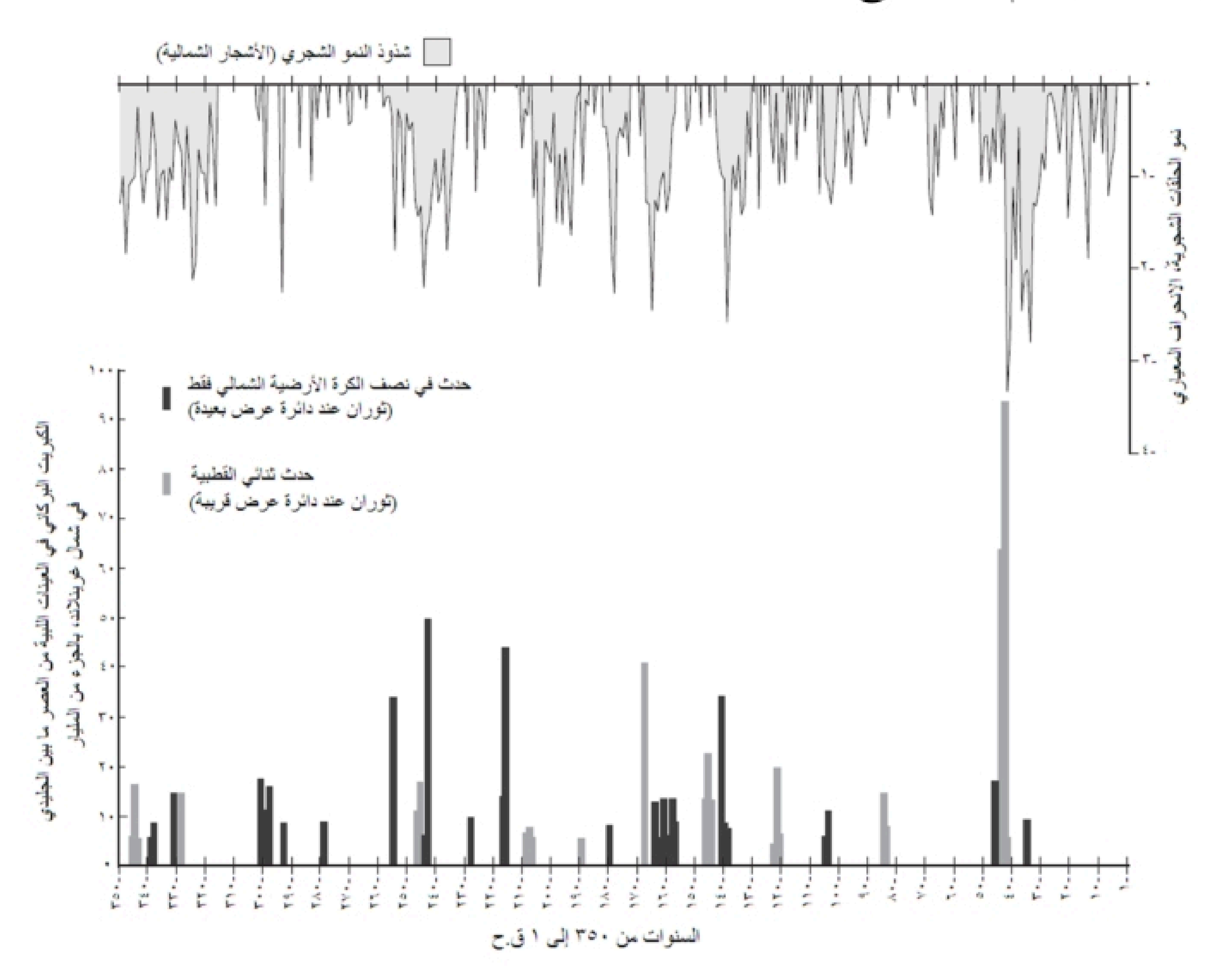
---

(٦٨) في مقالة بعنوان "الرواد الثقافيون وأصول النمو الاقتصادي الحديث" Cultural entrepreneurs and the origins of modern economic growth، يوسع جويل موكير Joel Mokyr تعريف "الرائد" الأساسي للتاريخ الاقتصادي ليشمل "الرواد الثقافيين" الذين كانوا فاعلين أسهموا في تغيير معتقدات الآخرين، ويعطي أمثلة لهم الإنجليزيين فرانسيس بيكون Francis Bacon وإسحاق نيوتن Issac Newton. [المترجم]

(٦٩) راجع حاشية سابقة حول الماشية المقدسة. [المترجم]

أبو منجل Ibis طائر قدسه المصريون القدماء، ارتبط بالإله تحوت Thoth الذي صُوِّر في هيئة إنسان له رأس أبي منجل. [المترجم]

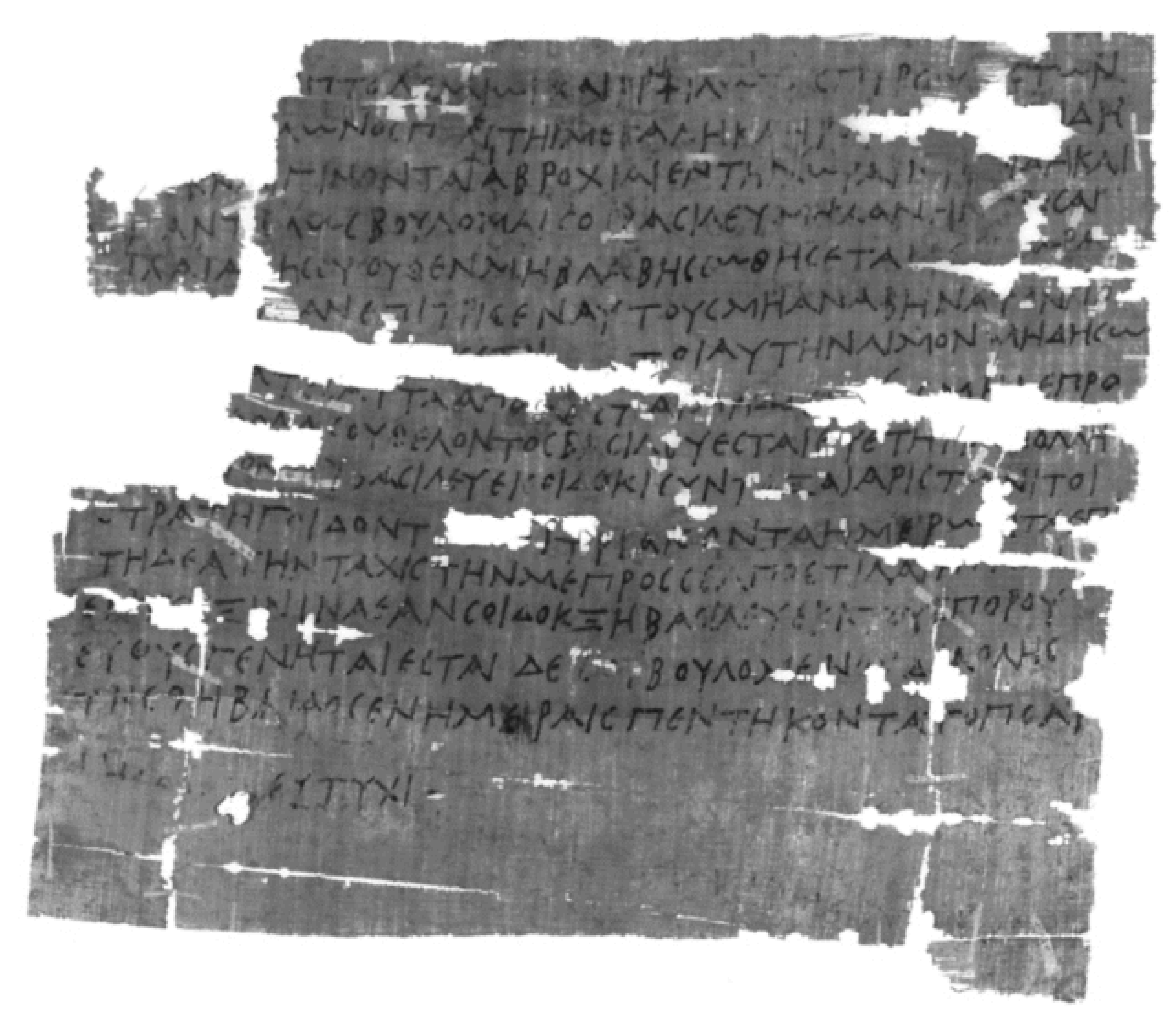
(أو سُرِقت؟). كما أن الاضطراب الداخلي مُوَثَّق من عام ١٦٨ إلى عام ١٦٤ ق.ح، ونقص فيضان النيل مسجل في عام ١٦٦ ق.ح.



الشكل (٣٣) مستويات ترسيب الكبريتات البركانية (جزيرة غرينلاند) من العينات اللبية الجليدية من مشروع الحفر الجليدي في العصر ما بين الجليدي في شمال غرينلاند NEEM Ice Core Greenland[٧٠]، لمستويات الترسيب ٣٥٠-١ ق.ح، مظللة بحسب ما إذا كان الترسيب ثنائي القطبية (أي يشير إلى ثورانات بركانية عند دوائر عرض قريبة أي استوائية) أو شمالي بعيد (في نصف الكرة الأرضية الشمالي) على التوالي، يعلوها شذوذ نمو الحلقات الشجرية السالب (تمثل سنوات النمو السيئ قياسا على الفترة ١٠٠٠-١٠٩٩ ح.م) من حيث تأريخ كثافة تركيب الأشجار الشمالية الحساسة لدرجة الحرارة واتساع حلقاتها (Sigl et al. 2015). بإذن من Francis Ludlow.

---

(٧٠) يعرف مشروع الحفر الجليدي في العصر ما بين الجليدي في شمال غرينلاند North Greenland Eemian Ice Drilling اختصارا باسم NEEM، وهو مشروع لاستعادة عينات جليدية من شمال غرب جزيرة غرينلاند ترجع زمنيا حتى العصر ما بين الجليدي السابق المعروف باسم إيميان Eemian، الذي بدأ قبل ١٣٠٠٠٠ سنة مع نهاية العصر الجليدي ما قبل الأخير Penultimate Glacial Period; PGP (بين أكثر من ١٩٤٠٠٠ سنة و١٣٥٠٠٠ سنة مضت) وانتهى قبل ١١٥٠٠٠ سنة مع بداية العصر الجليدي الأخير Last Glacial Period; LGP (بين نحو ١١٥٠٠٠ و١١٧٠٠ سنة مضت). [المترجم]



الشكل (٣٤) البردية إدفو ٨ (P. Edfu 8). بإذن من University of Warsaw،Department of Papyrology .

إن السلطة السياسية البطلمية التي كانت في البداية غنية وقوية، لا سيما في عهد بطليموس الثاني (٢٨٣-٢٤٦ ق.ح)، أخذت تتراجع سريعا بعد عام ٢٠٠ ق.ح. على أن سرد بوليبيوس لسيطرة روما خلال ثلاث وخمسين سنة (٢٢٠-١٦٧ ق.ح) على عالم البحر الأبيض المتوسط لا تقدم إلا صورة جزئية. وقد تشكلت نظرية بوليبيوس عن التراجع بتأثير من رؤاه حول التراجع الأخلاقي اليوناني بداية من القرن الرابع قبل الحقبة المشتركة، والسلوك الأخلاقي للملوك البطالمة بعد بطليموس الثالث. وفي الوقت نفسه، يسجل بوليبيوس التأثيرات السكانية والمناخية للتراجع، دون الإقرار بأنها قوى دافعة للأحداث[١٥٨].

نتج نجاح البطالمة جزئيا عن إنتاج القمح عالي الغلة المعتمد على النيل (القمح الصلب بالدرجة الأولى[٧١]) الذي أخذ يحل محل الإيمر ويمد اليونانيين الحضريين وغيرهم داخل مصر وخارجها

(٧١) القمح الصلب T. durum (أو Durum wheat) أحد أنواع القمح سهل الدَرْس، راجع حاشية سابقة حوله، وراجع متن الكتاب حول إدخال القمح الصلب إلى مصر وتفضيل اليونانيين له. [المترجم]

بحبوبهم المفضلة[١٥٩]. ربما قلل هذا التحول إلى القمح غير ذي القشرة من التنوع الزراعي، وزاد خطر "تأثيرات الحقيبة" السلبية بالنسبة للقمح[١٦٠](٧٢). وعلى النقيض من ذلك كانت الإمبراطورية السلوقية أكثر تنوعا من الناحية المناخية. غير أننا لسوء الحظ لا نستطيع أن نحدد إنتاج الحبوب السنوي كميا بطريقة مباشرة، ومن المأمول أن تساعد الإيصالات الضريبية من الأوستراكا على حصاد الحبوب في هذا السبيل(٧٣)، وهو عمل مازال علينا إنجازه.

ربما أثبت القمح سهل الدَرْس أنه مكلف مع تكرار نقص فيضان النيل المدفوع بركانيا، الذي أضيف إلى نهر كان مرتفعا فعلا في تفاوته الطبيعي. وتكشِف بيانات العينات اللبية الجليدية أن فترة النجاح البطلمي الأولي كانت هادئة بركانيا قياسا إلى السنوات اللاحقة التي يمكن أن نوضح فيها الدور الحركي لنقص فيضان النيل المدفوع بركانيا في الثورات المتكررة. وكذلك أوضحت أعمال نُشرت مؤخرا أنه يمكن إثبات الارتباط بين توقف الحرب واضطرابات فيضان النيل، الذي يتضح إبان العقد السادس من القرن الثالث قبل الحقبة المشتركة، وكذلك على امتداد الفترة كاملة[١٦١]. وقد تفاقم تأثير الثورانات البركانية بفعل خسارة الأقاليم الزراعية المستقلة عن النيل بعد عام ١٩٥ ق.ح، التي شكلت في السابق واقيا للدولة في أثناء نقص فيضان النيل(٧٤)، وبفعل عبء التعبئة العسكرية المتواصلة بتكلفة أكبر كثيرا من منافسيهم السلوقيين. وقد حدثت استجابات على مستوى الدولة، شملت التوزيع الحكومي للحبوب، وتوطين المزيد من الجنود في وادي النيل بعد ثورة طيبية كبيرة (بدأت في نحو عام ٢٠٧ ق.ح)، لم تُخمَد إلا في العقد الثاني من القرن الثاني قبل الحقبة المشتركة. على أن العقد الرابع من القرن الثاني قبل الحقبة المشتركة النشط بركانيا كان نقطة تحول رئيسة، إذ شهد غزوين لمصر من جانب أنطيوخوس الرابع في أعوام ١٧٠-١٦٨ ق.ح. وبعد الثوران البركاني الاستوائي الكبير في عام ١٦٨ ق.ح، واجه الملك السلوقي تحديات أشغلته، تمثلت في ثورة المكابيين

(٧٢) في علم الاقتصاد، تشير تأثيرات الحقيبة portfolio effects إلى مبدأ إضافة المزيد من الأصول إلى الحقيبة لجعل الاستثمار الكلي أقل عرضة للخطر، وهو ما يحدث عندما تكون الاستثمارات رابحة، لكنه يقلل التنوع، ويجعل الاستثمار كاملا عرضة للخطر. [المترجم]

(٧٣) راجع حاشية سابقة حول الأوستراكا، وانظر الشكل (٩) في متن الكتاب. [المترجم]

(٧٤) مثل قورينائية التي سلمها بطليموس الثامن لروما في عام ١٥٥ ق.ح، وبعض مناطق الزراعة على المطر في المشرق. [المترجم]

(١٦٧-١٦٠ ق.ح) في أورشليم[٧٥]، وحدث اضطراب في مصر. ومع أن السلالة البطلمية زالت رسميا مع هزيمة كليوباترا أمام روما في معركة أكتيوم البحرية في عام ٣١ ق.ح، فإن هناك انقطاعاً لا يحظى باعتراف واسع حدث مع ثالث أكبر ثوران بركاني خلال الألفين وخمسمائة سنة الماضية، في عام ٤٤ ق.ح، زاد من تأثيرات ثوران بركاني آخر في خطوط عرض بعيدة في نصف الكرة الأرضية الشمالي وقع في عام ٤٦ ق.ح. كما أن نقص فيضان النيل والمجاعة والطاعون مسجلة في مصادرنا خلال العقد الخامس من القرن الأول قبل الحقبة المشتركة[١٦٢].

يمكن تفسير "الأفول" المفترض للدول الهلنستية في شرق البحر الأبيض المتوسط بعد عام ٢٢٠ ق.ح جزئيا بالتأثيرات الفارقة للضغط البيئي جنبا إلى جنب مع عدم الاستقرار السلالي المتطاول والحرب المتواصلة، وهي حالة الدولة التي أصاب فلوطرخس (Plutarch، Life of Pyrrhus، 12) في وصفها بأنها نظام جبائي كان يجمع ضرائب على الإنتاج الزراعي، وكان من حين لآخر يترك السكان بلا حماية. ربما كانت الفترة الهادئة الرومانية التي بدأت في نحو عام ٢٠٠ ق.ح، جنبا إلى جنب مع فترة استقرار في النشاط الشمسي، مفيدة لبعض أجزاء البحر الأبيض المتوسط، لكن ذلك التأثير لم يطال مصر التي تركها اعتمادها على المطر الموسمي عرضة لهزات النيل التي استعرضناها بالتفصيل. لذلك لا يعد "أفول" البطالمة الطريقة الصحيحة للنظر إلى أزمات منتصف القرن الثاني قبل الحقبة المشتركة. وعلى الرغم من ذلك فإن التفسيرات الثقافية أو المؤسسية البسيطة نسبيا، مثل الإفراط في انتزاع الموارد، والسخط الإثني، والقومية، وضعف الملوك، تكاد تهيمن تماماً على الأدبيات العلمية حول الثورات والاضطرابات وغيرها من أشكال النزاع الاجتماعي خلال الحقبة الهلنستية[١٦٣]. تأمل- على سبيل المثال- تلك الاستنتاجات التي خَلُص إليها متخصص في الحقبة البطلمية بعد مراجعة للتاريخ البطلمي خلال القرن الأول قبل الحقبة المشتركة:

---

(٧٥) تنسب ثورة المكابيين Maccabean revolt إلى جماعة يهودية مقاتلة بهذا الاسم، انتزعوا يهوذا من الإمبراطورية السلوقية، وأسسوا السلالة الحشمونية Hasmonean التي حكمت من عام ١٦٧ إلى عام ٣٧ ق.ح،، كانت مستقلة تماما بين عامي ١١٠ و٦٣ ق.ح، وتوسعت خلالها وأعادت تأكيد الديانة اليهودية، ثم فقدت استقلاليتها في عام ٦٣ ق.ح، عندما تدخل الجنرال الروماني بومبيوس Pompeus في حرب أهلية حشمونية، ثم زال حكم السلالة تماما في عام ٣٧ ق.ح، عندما عيّن مجلس الشيوخ الروماني الإدومي هيرودس الأول الكبير Herod I the Great ملكا لإسرائيل باسم "ملك اليهود"، وأصبحت المملكة تعرف باسم "المملكة الهيرودسية" كدولة تابعة للرومان. [المترجم]

من الواضح أن البلاد عادت إلى الحالة الطبيعية بعد نهاية القرن الثاني قبل الحقبة المشتركة. ففد وقعت انتكاسات، منها أننا في عام ٨٣ ظللنا نسمع عن التمزق وتناقص السكان، ولا بد أن السنوات العشرة الأخيرة من عهد أوليتس كانت بالغة الصعوبة(٧٦). لكن من الإنصاف أن نقول إن الصعوبات لم تكن (أو لم تكن بالدرجة الأولى) من صنعه، ومن الصعب رؤية كيف كان بوسعه أن يتحدى القوة العظمى الرومانية. وفي عهد كليوباترا، تمتعت مصر بالسلام والازدهار، وشاب الإدارة القدْر العادي من العجز والفساد، لكن إجمالا لم يصل إلى حد الظلم والاضطهاد[١٦٤].

لكن الأمور كانت أشد تعقيدا من ذلك بكثير. ولعل الظاهرة الطبيعية التي لم تدرس بما يكفي حتى الآن، وهي الثورانات البركانية الانفجارية التي أدت إلى تفاوت جريان نهر النيل، تقدم نافذة جديدة على الاستجابات المجتمعية للهزات المناخية قصيرة المدى. فقد أصبح بمقدورنا أن نبدأ في فهم الصلات بين الهزات في الفيضان السنوي وحالة الذعر، وفي بعض الحالات المجاعة وتفشي الأمراض. أما فيما يتعلق بالضغط الاقتصادي، فإننا لسوء الحظ لا تتوفر لدينا إلا معلومات محدودة حول أسعار الحبوب خلال الحقبة البطلمية[١٦٥]، إلا أننا مع ذلك يمكن أن نجد مؤشرا على زيادة الأسعار في عقود تأجير الأراضي من قرية ثولثيس التي تُؤرَّخ إلى أعوام ٢١٨-٢١٤ ق.ح، وفيها(٧٧)

[لوحظت] غرامات باهظة بالقمح والحنطة (الإيمر) على عدم دفع الإيجار. خلال أغلب القرن الثالث قبل الحقبة المشتركة، تراوحت الغرامات epitima عادة حول أربع دراخمات لأردب القمح ودراخمتين لأردب الحنطة، لكنها بلغت في عقود ثولثيس عشر دراخمات للقمح وأربعا

(٧٦) تولى بطليموس الثاني عشر الملقب بالزمار (أوليتس Auletes) الحكم في عام ٨٠ ق.ح بعد مقتل بطليموس الحادي عشر، وعندما أعلن مجلس الشيوخ الروماني في عام ٥٨ ق.ح ضم جزيرة قبرص التي كانت تابعة لمصر، لم يفعل أوليتس شيئا، ما أطلق ثورة ضده في الإسكندرية، ففرّ إلى روما في عام ٥٨ ق.ح، وهناك اشترى بالمال سلام يوليوس قيصر الذي أعاده ملكا لمصر عام ٥٥ ق.ح حتى وفاته عام ٥١ ق.ح، خلفه أبناه كليوباترا السابعة وبطليموس الثالث عشر شريكين في الحكم حتى غزو الرومان لمصر في عام ٣٠ ق.ح. [المترجم]

(٧٧) ثولثيس Tholthis بلدة مصرية قديمة كانت جزءا من النوم التاسع عشر الذي كانت أوكسيرينخوس Oxyrhynchus عاصمته. كانت تقع في مكان القرى الحالية البهنسا وتلت والقلعية بمركز الفشن، محافظة بني سويف. [المترجم]

للحنطة ... ربما كانت مستويات الغرامات حساسة لتقلبات الأسعار الفعلية، لكنها توضح أن أسعار الحنطة ارتفعت إلى الضعف وأسعار القمح بنسبة مائة وخمسين بالمائة[١٦٦].

لا يمكن وصف عهد كليوباترا بأنه فترة من "السلام والازدهار" الخالصين. وحتى وإن لم يكن لدينا سجلات تاريخية على الإطلاق، فإن حجم الثوران البركاني في عام ٤٤ ق.ح يوضح أن مصر شهدت بالتأكيد سنوات بالغة الصعوبة. تقف الحقبة البطلمية على طرف النقيض من القرنين الأولين من الحكم الروماني في مصر اللذين كانت البراكين فيهما أكثر هدوءاً، والنيل أكثر استقرارا، والضرائب على الإنتاج الزراعي أخف، ووفرت أراضي زراعة القمح خلالها إحدى أهم سلال القمح لروما[١٦٧].

يكشف المثال البطلمي الذي ناقشته للتو أن إغفال دور الدولة والإصرار على أن بيئة البحر الأبيض المتوسط لم تشهد "كوارث" كبيرة يقلل من أهمية تأثير الهزات المناخية الأقصر أمدا[١٦٨]. فمن الواضح أن أداء مصر الاقتصادي والسياسي اعتمد كليا على الفيضان الصيفي السنوي للنهر المدفوع بأمطار بعيدة جدا في شرق أفريقيا ووسطها، اعتمدت بدورها على الرياح الموسمية. ويمكن ربط الثورانات البركانية خارج منطقة البحر الأبيض المتوسط، في أيسلندا وألاسكا وإندونيسيا ونيكاراغوا وأماكن أخرى، بانخفاض مياه نهر النيل، وبالتالي إمكانية الضغوط الاجتماعية الاقتصادية على أقل تقدير. على أن هذه التغيرات لم تكن "عمليات"، بل "أحداثا" منفصلة. ويمكن القول إن مصر عموما تعافت من هذه الأحداث، بل إنني أشدد أيضا على مرونة مصر البطلمية، وفي الوقت عينه على تكرار الاضطراب الاجتماعي.

على الرغم من المرونة "المستدمجة" بعض الشيء في بيئة تميزت بتفاوت سنوي مرتفع، ربما كان للهزات المتكررة تأثير تراكمي وتأثير أوسع على الاقتصادات السياسية في البحر الأبيض المتوسط، وتحوُّطًا أضيف أننا حتى الآن لا نعرف إلا القليل حول تاريخ الأمراض في مصر خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة[١٦٩]. فهناك حاجة إلى المزيد من العمل لبناء دراسة كاملة النضج لمجتمع معقد وكيف جابه التغير المناخي. ومن الوارد أن يكون الطلب على القمح سهل الدَرْس من جانب الملوك والمراكز الحضرية الكبيرة الجديدة مثل الإسكندرية، والضرائب الباهظة على الإنتاج، وتزايد عدد السكان، ونقص إنتاج قمح الإيمر الأشد تحملا، قد اجتمعت معا لخلق مستويات أعلى من الخطر.



الشكل (٣٥) نموذج لنظام الحث التبادلي الطبيعي-البشري لمصر البطلمية (٣٢٠-٣٠ ق.ح).

كان اختراع آلات رفع المياه أو إدخالها في منتصف القرن الثالث قبل الحقبة المشتركة، ومنها الساقية، على الأرجح نتيجة لأزمات حقيقية، أي حالات نقص فيضان النيل التي دفعت استجابات تقنية "للكارثة"، سواء كانت قد وقعت فعلا أو كانت متوقعة وحسب. ويعد الابتكار التقني استجابةً لندرة المياه أحد أنواع الاستجابات للتغير المناخي. لكن كانت هناك بلا شك أنواع أخرى من الاستجابات لم تُدْرَس في علاقتها بالتغيرات المناخية، وربما كانت زيادة التواجد العسكري في مصر العليا أحد الاستجابات على مستوى الدولة، وربما كانت محاصيل المَصْلين التي تظهر في بعض مسوح الأراضي إحدى الاستجابات التكيفية على المستوى المحلي[١٧٠].



الشكل (٣٦) الساقية، أُدخلت إلى مصر والشرق الأدنى في منتصف القرن الثالث قبل الحقبة المشتركة، ربما كانت استجابة تقنية لظروف مناخية متغيرة.

ثمة نوع آخر من هذه الاستجابات يكمن في عالم المعتقد الديني والمواقف الاجتماعية من الطبيعة ومن التغيرات الطبيعية. يبْرُز الربط القديم بين النيل وشرعية المُلك- على سبيل المثال- بوضوح في نصوص نبوئية كُتبت خلال الحقبة البطلمية. وربما كانت "نبوءة الخزاف" أشهر ما كُتب ضمن هذا النوع(٧٨)، وتعبر عن الصلة المباشرة بين نقص فيضان النيل وانعدام شرعية الحكم الذي يجب أن يحل محله الملك "المنقذ"[١٧١]. يمكن قراءة النص كاملا باعتباره سردية لكارثة بيئية تعكس، إذا ما أمكن تأريخ النص إلى أواخر القرن الثاني قبل الحقبة المشتركة كما أرجحُ، تدهورا في الظروف البيئية، أحدثته سلسلة من نوبات نقص فيضان النيل، والحرب الأهلية، وتوالي الأزمات السياسية. تتطلب إعادة بناء المناخ التاريخي أن نفهم المجتمعات القديمة على أنها نظم تكيفية معقدة. فقد دفعت الهزات المناخية

(٧٨) كُتبت "نبوءة الخزاف" Oracle of the Potter في الأصل بالحروف الديموطيقية، ووجدت منها عدة نسخ على برديات باللغة اليونانية، وفيها يتقمص البطل الخزَّاف شخصية الإله خنوم إله النيل وعجلة الخزَّافين، ليقدم دعاية معادية للبطالمة، إذ يخبر أمنحتب الذي يكتب كل شيء ويوحيه لكل البشر، عن الفوضى والدمار القادمين بسبب الحكم الأجنبي الظالم من جانب لابسي الأحزمة (اليونانيين) عبدة التيفون (الشيطان، راجع حاشية لاحقة حوله) الذين ستبيد مدينتهم الإسكندرية عندما يتقاتلون في أوقات عصيبة، وبعدها سيعود بتاح Ptah إلى منف ومعه إله الحظ أغاثيس دايمون Aghathis Daemon أو شاي Shai بعد أن يتخلى عن مدينة لابسي الأحزمة. [المترجم]

المتكررة استجابات تكيفية للتغيرات في ظروف المناخ السائد. لكن تأثير التغيرات المناخية اعتمد على المؤسسات التي كانت تحمي المجتمع من هذه الهزات.

لا يزيد ما قدمته هنا عن خطوة أولى في عملية أطول كثيراً لدمج الأرشيفات التاريخية والطبيعية. وكما نبّه آخرون، فإننا في حاجة إلى سجلات أدق من نوع البيانات التمثيلية المناخية، وإلى المزيد من دراسات المناطق لحركية نظام الحث التبادلي الطبيعي-البشري[١٧٢]. وبالنظر إلى الأهمية المركزية للزراعة، وبالتالي الماء، لكل المجتمعات ما قبل الحديثة، فإن إمكانات النماذج الأكثر إحكاماً للاقتصادات القديمة تعد التطور الأهم في دراسة هذه الاقتصادات خلال الأربعين سنة الأخيرة. أناقشُ في الفصلين الأخيرين الزراعة والعمل والبيئات التي ظهرت فيها أبهة حضارة البحر الأبيض المتوسط خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة. لكنني أتحولُ في الفصل التالي إلى المكون الثالث من النموذج المقدم في الشكل (٢٤)، وهو السكان الذي لا يشكل أحد عوامل الإنتاج الزراعي وحسب، بل يعد الأساس لفهم مدى السلوكيات الاقتصادية، من الاستهلاك المنزلي إلى التجارة ونظم العمل والقدرة على خوض الحروب.

الفصل السادس

مَوْلِد "الإنسان الاقتصادي"
السكان والدولة والمنزل والفرد
The Birth of “Economic Man”
Demography, the State, the Household, and the Individual

إن الطريق الطويل للبحث التاريخي مفروش بعظام نظريات الدولة.

—North (1986: 248)

عاش المصريون من أمثال حيكاناخت علم الاقتصاد بدل أن يُنَظِّروا له. ونظرا لعدم وجود كلمة يمكننا أن نترجمها إلى "ربح"، فإنهم لم يسعوا وراءه باعتباره مقياسا مجردا للنجاح في التجارة أو صنع الأشياء. لكن ذلك لم يمنعهم عن تمييز السعر الجيد عن السعر السيئ، ولا ينبغي أن يمنعنا عن تقدير حسهم التجاري الوافي.

—Kemp (2006: 323)

بحسب إحصاء السكان الأمريكي لعام ٢٠١٠، كان هناك مائة وستة عشر وسبعة أعشار مليون منزل[1]، بمتوسط اثنين وثمانية وخمسين من مائة شخص في كل منزل. ما يزال المنزل يشكل الوحدة الأساسية لإحصاء السكان الحديث، وكان الوحدة الاقتصادية الأهم على مدى آلاف السنين. على أن الأسرة النووية الحديثة المكونة من اثنين وثمانية وخمسين من مائة شخص، وتعيش تحت سقف واحد، تقف على طرف النقيض من المنازل ما قبل الحديثة التي كانت أكبر وتتألف عادة من الأقارب وغير

(١) راجع حاشية سابقة حول تعريف المنزل household. [المترجم]

الأقارب. وقد ميّز ماكس فيبر بين الفعل الاقتصادي الذي يشبع "الاحتياجات" عن ذلك الذي يسعى وراء الربح[١]. كان المنزل وحدة الإنتاج وإعادة الإنتاج في كل الاقتصادات ما قبل الحديثة، والبؤرة الرئيسة للتربية، وبالتالي إعادة الإنتاج الاجتماعي social reproduction. ويُفهم المنزل ما قبل الحديث عادة على أنه كان منعزلا ومكتفيا ذاتيا ولا يتبادل الكثير خارج حدوده، ولم يكن هناك إنتاج فائض غير قسري[٢]. لكن المنازل كانت دائما تنتج فائضا، إن استطاعت، ببساطة لأنه لم تكن هناك طريقة للتنبؤ بالإنتاج مقدما، وكان إنتاج ما يكفي الاقتيات وحسب عملا انتحاريا[٣].

يعد المنزل وحدة تحليل بالغة الأهمية للاقتصادات ما قبل الحديثة، وسواء كان المنزل مكتفيا ذاتيا أم لا، فإن استراتيجيات المنازل للحدّ من الأخطار وسلوك المنازل وتخزين الغذاء وتنويع حقيبة الأراضي (بمعنى حيازة أراضي متناثرة) وتنويع المحاصيل المزروعة، كانت عوامل أساسية في الأداء الإجمالي للاقتصادات على مستوى الدولة[٤]. من المنظور المقارن، يجب أن تركز البنية والسلوك المنزليان على العمر عند الزواج، وأنماط الميراث، والإنتاج الزراعي، وإن كان أحد من هذه العوامل لم يوثَّق عبر البحر الأبيض المتوسط خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة إلى الحد الذي يمكّن من إجراء مقارنة منظمة. وقد تميّزت الأعمال المقارنة بالإبداع في توظيف مدى واسع من أنواع المصادر والأساطير والقصص والنصوص والآثار، فضلا عن الأعمال المقارنة والنظرية لإعادة بناء ما نعرفه فعلا[٥]. ومن الواضح أنه لم يحدث تطور في بنية المنزل على مر الزمن، وإن كانت الأدلة تؤكد إجمالا أن منازل البحر الأبيض المتوسط ما قبل الحديث كانت تكيفية مع الظروف الاقتصادية والبيئية والسياسية المحددة[٦].

في كتاب مهم حول مصر القديمة، خصص بيري كِمب فصلا لـ"مَوْلِد الإنسان الاقتصادي"[٧]، قدم فيه توثيقا للدولة المصرية الحديثة (نحو عام ١٣٠٠ ق.ح)، لكن الصورة التي قدمها تنطبق في بعض النواحي على أغلب الألف الأول قبل الحقبة المشتركة، وليس مصر وحسب. كان الطلب الخاص مرتبطا بالقطاع "المُوَجَه" administered sector من الاقتصاد، وهناك أسباب لحدوث ذلك في مصر وفي جنوب بلاد ما بين النهرين على امتداد كامل التاريخ ما قبل الحديث، هي تحديدا أن المنطقتين اعتمدتا حصرا تقريبا على الإنتاج الزراعي بالري من الأنهار. ومن الواضح أن نظم "إعادة التوزيع" التي كانت قد تأسست وربطت المنازل بمؤسسات الدولة من خلال الخدمة في المعابد والأضرحة، كانت جزءا أساسيا من التوازنات السياسية المستقرة التي استهدفت تلبية احتياجات الدولة من

الإنفاق من خلال فرض الضرائب على إنتاج الحبوب، وكذلك تلبية احتياجات الأفراد الذين توفرت لهم- نظريا- الوقاية من هزات إمداد الغذاء. كان هذا النظام مرنا وتكيفيا، لأنه كان لزاما عليه أن يكون كذلك. وفي مصر، كما رأينا مع كهنة الكواكايت، كان الاستهلاك المنزلي في شكل البيت الجيد والدفن الجيد جزأين مهمين من الاستهلاك الخاص. وفيما يلي سنصادف فردا، هو حيكاناخت، يُؤرَّخ إلى نحو عام ٢٠٠٠ ق.ح، كان كاهنا جنائزيا لدى مسؤول كبير، يمكن أن نرى فيه "إنسانا اقتصاديا" يكتب رسائل لأهله (مع أنها ربما لم تُقرأ على الإطلاق)، ويتخذ قرارات استراتيجية، ويضع ميزانيات منزلية، ربما بفعل ضغط مجاعة قادمة[٨]. وبعد عام ٣٠٠ ق.ح، لا بد أن النظام الجبائي البطلمي الذي اشتمل مطلب دفع بعض الضرائب بالعملة، والمزيد من التدقيق لدفع ضرائب الحصاد، ووجود اليونانيين، وإنشاء مراكز حضرية كبيرة، قد غيّر طريقة الحياة القديمة بعض الشيء، وإن لم يكن من السهل أن نتعرف على تفاصيل ذلك.

وتماما كما فعلت المعابد في مصر، لعبت المعابد البابلية أدوارا رئيسة في الحياة الاقتصادية. فكان أتباع المعابد على اختلاف أنواعهم، من العمال الزراعيين إلى الخبازين وصناع الخمور والكهنة، يخدمون معابدهم المحلية في مقابل الإعالة. وتماما كما فعلت المعابد في مصر أيضا، كانت معابد الشرق الأدنى مؤسسات دائمة بُنيت على غرار مفهوم "المنزل"، واتُخِذت مراكز إدارية سيطرت على قطعان الماشية والأراضي الزراعية ووفرت لها الصيانة، ووظفت العمال توظيفا دائما أو مؤقتا. كانت هذه القوة العاملة ضخمة في المدن الكبيرة، مثل طيبة في جنوب مصر أو مدن بلاد بابل. فقد كانت المعابد فاعلا اقتصاديا مهما، وكانت المؤسسة التي أوضح بعض الدارسين أنها ميّزت اقتصاد "إعادة التوزيع" في مصر والشرق الأدنى عن الاقتصاد القائم على السوق بدرجة أكبر في العالم اليوناني. لكن التحليل الدقيق الذي نُشر مؤخرا لوثائق من الشرق الأدنى من القرن السادس قبل الحقبة المشتركة يكشف أنه كان هناك قدر كبير من النشاط الاقتصادي الخاص. فاقتصادات المعابد كانت معتمدة على نشاط اقتصادي "خارجي" لتجار وغيرهم من الفاعلين الخاصين[٩]. كانت الحال مماثلة في مصر في نفس الوقت، إذ وُجِد فيها النشاط الريادي الذي ربط الدافع الفردي للربح باقتصادات المعابد والاقتصادات المَلكية[١٠].

نَظَّر اليونانيون لبنية المنزل، وهنا تبرز الأدلة الأثينية، ومنها أرسطو في كتابه "السياسة" Politics، وزينوفون في كتابه "أويكونوميكوس"، وخطب المحاكم العدلية الأثينية، التي تعد نصوصا رئيسة من

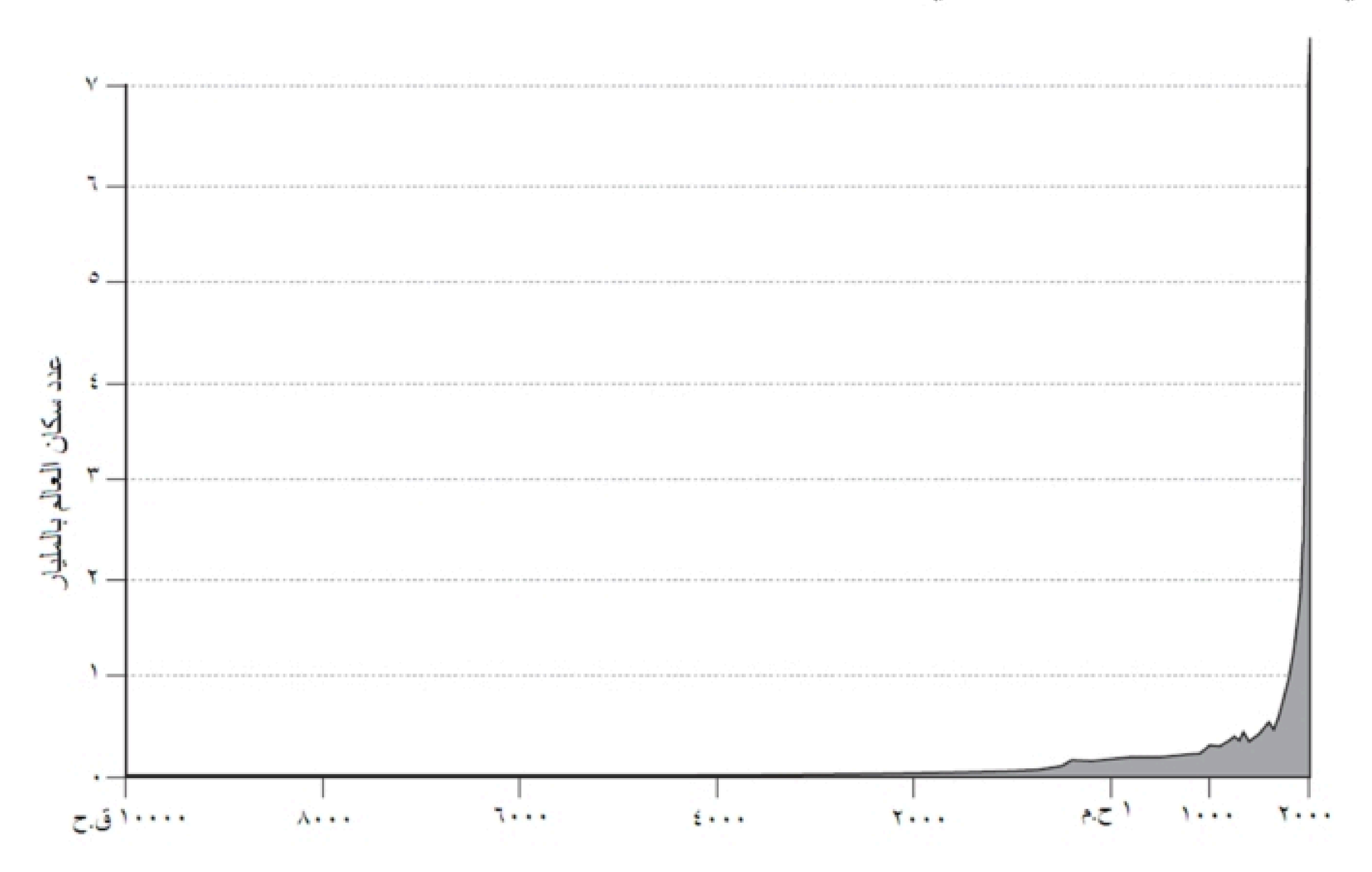
القرن الرابع قبل الحقبة المشتركة. وقد أجرى بوميروي وكوكس Pomeroy and Cox تحليلا جيدا لنص زينوفون. لكن هذه الأعمال تصور منازل النخبة، لذلك يجب أن نعيد بناء المنازل والبنية الأسرية بالدرجة الأولى من النصوص الوثائقية الخاصة، مع أن بعض النصوص الأدبية تقدم استبصارا حول المفاهيم الثقافية للأسرة والميراث[١١]. وتعد دراسة الوثائق التي أنتجها إحصاء السكان البطلمي مصدرا ثمينا[١٢]. أدخل البطالمة إحصاء المنازل، لكننا لا نعرف مدى دوريته أو انتظامه. وكانت المنازل المذكورة في سجلات إحصاء السكان "منازل ضريبية" tax-households. ويوضح ويلي كلاريس ودورثي تومسن Willy Clarysse and Dorothy Thompson أن هذه الأسر تألفت من "كل البالغين الذين عاشوا معا في وحدة مميزة (ليس بالضرورة بيتا تاما)، وكل من أفراد الأسرة المباشرة وغير الأقارب الذين قد يكونوا أحرارا أو عبيدا من أتباع تلك الأسرة"[١٣]. تمكننا هذه السجلات التي تعد من أروع مثيلاتها من عالم البحر الأبيض المتوسط ما قبل الحديث، من مقارنة المنازل اليونانية والمصرية جنبا إلى جنب[١٤].

السكان

كان عدد سكان الولايات المتحدة وأنا أكتب هذه الجملة، كما نشره مكتب إحصاء السكان الأمريكي (www.census.gov/popclock)، ثلاثمائة وعشرين مليونا وخمسمائة وسبعة وتسعين ألفا ومئتين وخمسين نسمة، بزيادة صافية قدرها شخص واحد (المواليد مطروحا منها الوفيات) كل خمس عشرة ثانية. وقد كان إجمالي عدد سكان الكوكب في عام ٩٠٠٠ ق.ح سبعة ملايين، أي أقل بمليون ونصف المليون عن سكان مدينة نيويورك حاليا، ثم نما العدد إلى ثمانية وثلاثين مليونا بحلول عام ٣٠٠٠ ق.ح (بمعدل نمو سنوي قدره ثمانية وعشرين من مائة بالمائة)، ثم إلى مئتين واثنين وخمسين مليونا بحلول عام ١ ح.م (بمعدل نمو قدره ثلاثة وستين من مائة بالمائة)، ثم إلى أربعمائة وسبعة وسبعين مليونا في عام ١٥٠٠ ح.م (بمعدل نمو قدره ثلاثة وأربعين من مائة بالمائة)، ثم إلى سبعة مليارات في عام ٢٠١١ ح.م (بمعدل نمو قدره خمسمائة وستة وعشرين من ألف بالمائة)[١٥]، ويتضاعف عدد سكان العالم حاليا كل أربعين سنة على وجه التقريب. يعد نطاق عدد سكان العالم القديم ومعدل نموه رسالة تذكير بسيطة، وإن كانت مهمة، حول الاختلافات بين العصر القديم والعالم الحديث. ومن المفترض أن معدلات النمو السنوية طويلة المدى خلال القرنين الأخيرين قبل الحقبة المشتركة في العالم الروماني

كانت عُشر بالمائة، وكان عدد سكان أثينا ما بين مئتين وخمسين ألفا وثلاثمائة ألف (منهم عشرون ألف مواطن من الذكور البالغين، ونحو خمسين ألفا من العبيد)[١٦]. وربما بلغت مصر في أوجها خلال إمبراطورية الدولة الحديثة ثلاثة ملايين، وربما كانت أكثر قليلا من ذلك العدد خلال الحقبة البطلمية[١٧]. وكانت الإمبراطورية الأخمينية، كأكبر دولة إمبراطورية قبل روما، ما بين خمسة عشر وخمسة وعشرين مليونا[١٨]. وبلغ عدد سكان البحر الأبيض المتوسط خلال أوج الإمبراطورية الرومانية ما بين ستين وسبعين مليونا. ولإبراز التضاد، نقول إن نصف النمو في عدد البشر منذ عام ١٠٠٠٠ ق.ح حدث خلال الثلاثين سنة الأخيرة، جنبا إلى جنب مع زيادة قدرها خمسة عشر ضعفا في استهلاك الطاقة السنوي منذ عام ١٩٠٠[١٩].

على هذا النطاق، ومن المنظور المعاصر لعدد سكان العالم الذي يبلغ مليارات، يبدو أنه لم يحدث الكثير قبل عام ١٨٠٠، مع أن الزيادة في عدد السكان خلال النصف الثاني من الألف الأول قبل الحقبة المشتركة واضحة حتى ضمن هذا النطاق (الشكل ٣٧). تنشأ أهمية هذه النقطة من أن العالم ما قبل الحديث كان صغيرا مقارنة بعالمنا، وأن النطاق والحركية السكانيين كانا القيد الأهم على الطلب الكلي وعلى إمكانية النمو الحقيقي.



الشكل (٣٧) النمو السكاني العالمي. من Christian (2004: figure 8.2).

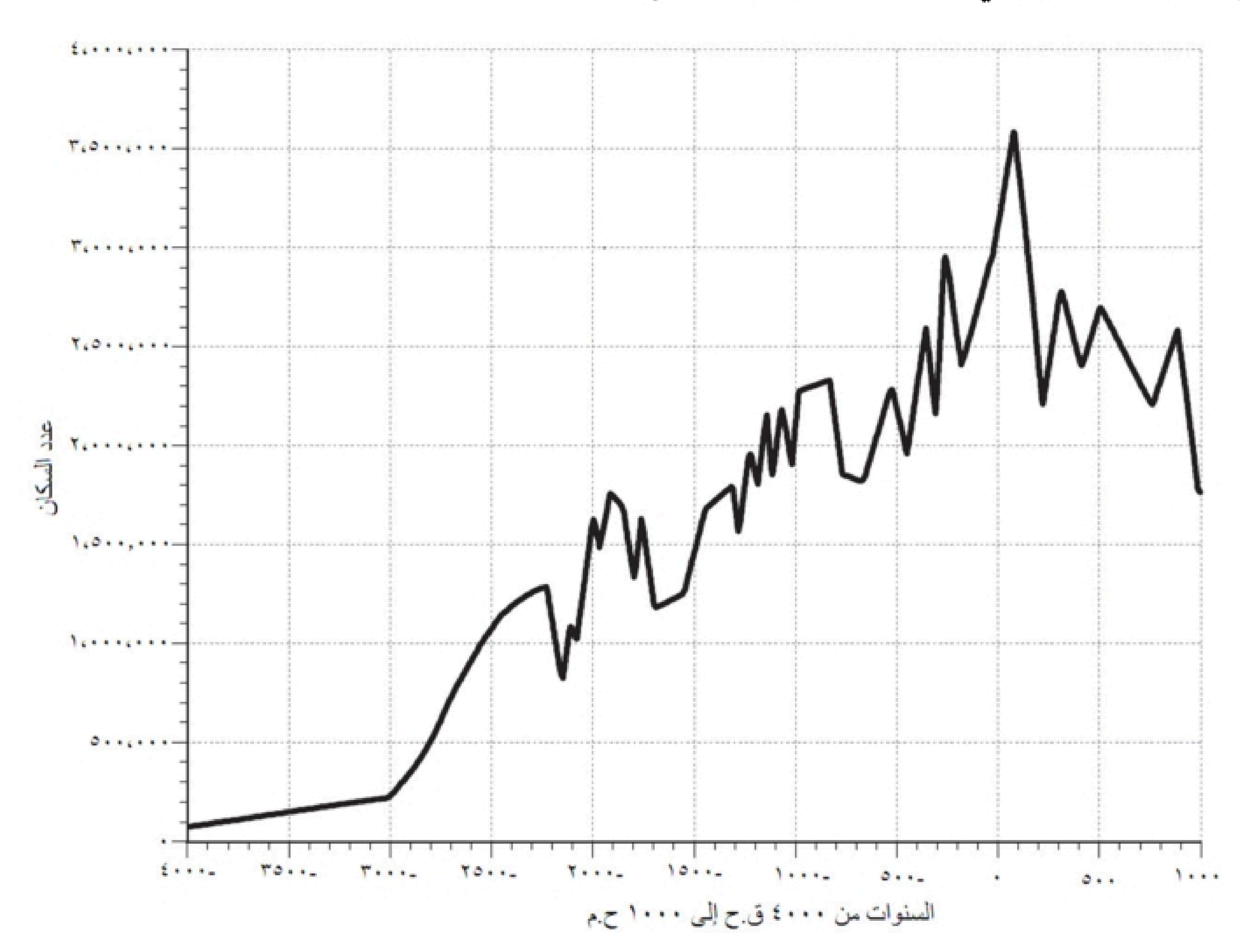
إن دراسة السكان، التي يجب أن نضمن فيها كلا من السكان البشريين والحيوانيين والنسبة بينهما، تعد متغيرا أساسيا في الاقتصادات القديمة، كما أنها مهمة لفهم الطلب ومستويات المعيشة والأجور والأداء الاقتصادي ككل، وكذلك- من المنظور المقارن- الحركية الاجتماعية والتغير المؤسسي[٢٠]. كما أن التغير السكاني مهم في التعامل مع مسائل العرض والطلب على الحبوب وغيرها من السلع، وفي فهم "دوران" cycling توسع الدولة وانكماشها[٢١]. على أن الأعداد الإجمالية ومتوسط العمر المتوقع ونوعية الحياة ما تزال كلها محل جدل في الوقت الحاضر، بالدرجة الأولى بسبب عدم اكتمال مجموعات البيانات واختلاف طرق التحليل الإحصائي. لا بد أن نظامي الخصوبة العالية والوفيات العالية كانا القاعدة، ولا بد أن متوسط العمر المتوقع عند الولادة كان دون الثلاثين[٢٢]. يقتصر ذلك في غالبه على اليونان وروما الكلاسيكيتين ومصر الهلنستية، وبالأخص مصر الرومانية، التي توفر تقارير إحصاء المنازل فيها بعض البيانات الكمية[٢٣]. وحيث إنه لا توجد لدينا أرقام موثوقة لعدد سكان أغلب الأماكن والفترات الزمنية، فلا مفر من أن تكون حججنا استدلالية، وسوف تتفاوَت التقديرات بشدة. أما الأدوات المستخدمة، فهي مزيج من جداول متوسط الحياة القياسي والمسح الأثري(٢)، كما تقدم النقوش الجنائزية وتذاكر المومياوات من مصر نافذة على الوفيات والأمراض الموسمية[٢٤](٣). على أن كثافة السكان تفرض عادة صعوبة أكبر في التوصل إلى استنتاجات بشأنها. وينبغي أن نأخذ في الحسبان أن السكان البشريين لم يكونوا هم المهمين وحسب، بل السكان الحيوانيين أيضا، لكي نحصل على النموذج الصحيح لمحاصيل الحبوب/ العلف، مع أن الأخيرة لم تُدْرَس على نطاق واسع حتى الآن. وبالنظر إلى أن كل من حيوانات العمل، مثل الخيل والبعير والحمير، وفي مصر الأعداد الكبيرة من الحيوانات المقدسة، كانت تستهلك كميات كبيرة من محاصيل العلف، فلا مناص من أخذها بنظر الاعتبار في الإنتاج الزراعي.

---

(٢) جداول متوسط الحياة القياسي model life tables سلسلة من جداول الحياة تصور الأنماط العمرية القياسية أو المعتادة للوفيات والتغيرات في تلك الأنماط على مستويات إجمالية مختلفة للوفيات، تعتمد على الملاحظة لعدم كفاية البيانات. [المترجم]

(٣) تذاكر المومياوات mummy tickets أو بطاقات تعريف المومياوات mummy labels وسيلة استُخدِمت للتعرف على جثث الموتى في حال نقلهم إلى مدينة الموتى necropolis، كانت تكتب بالديموطيقية أو اليونانية أو كليهما وأحيانا بالهيراطيقية أو الهيروغليفية، على الخشب وأحيانا على الحجارة أو الفايسنة أو حتى العاج وتربط في المومياء. تقدم معلومات مثل اسم المتوفي وأبويه ومكان إقامته ووجهة الجثة، وأحيانا شحن الجثة أو نقلها برا، وكانت التذاكر المكتوبة بالديموطيقية تحتوي صيغة قصيرة لضمان سعادة المتوفي في الآخرة. [المترجم]

حظيت الدراسة التاريخية للسكان في البحر الأبيض المتوسط ما قبل الحديث باهتمام كبير خلال ربع القرن الأخير، وقدمت سيناريوهات مختلفة تأسيسا على النمذجة السكانية ومنطق الحركية السكانية[٢٥]. وفي حالة مصر البطلمية والرومانية، توفر دراسة سجلات إحصاء السكان حاليا أساسا قويا لفهم البنية المنزلية[٢٦]. وقد جاءت التقديرات المعتمدة على إحصاء المنازل البطلمي أدنى مما كان يُقترَح عادة، إذ يذهب أحد التقديرات إلى أن عدد سكان مصر بلغ مليونا ونصف المليون نسمة في عام ٢٥٠ ق.ح. وهناك تقديرات أخرى لإجمالي عدد سكان مصر البطلمية تتراوح بين أربعة ملايين ونصف المليون نسمة وثمانية ملايين نسمة[٢٧]، وأنا أؤيد التقدير الذي توصل إليه حسن Hassan، وهو ثلاثة ملايين وثلاثة وعشرين من مائة مليون نسمة، واعتبره أفضل تقدير لذروة السكان خلال الحقبة البطلمية (الشكل ٣٨)[٢٨]. بيد أن الحجم الإجمالي للدول والمدن الرئيسة ما يزال محل جدل. وحاليا يُقدِّر الحجم الإجمالي للعالم اليوناني، تأسيسا على دراسة موغنز هيرمان هانسن Mogens Herman Hansen، ما بين سبعة ملايين وتسعة ملايين نسمة، واليونان البرية وحدها في أواخر القرن الرابع قبل الحقبة المشتركة ما بين ثلاثة ملايين وثلاثة ملايين ونصف المليون نسمة، أي في حجم عدد سكان مصر في نفس الفترة[٢٩]. وشملت الإمبراطورية الأخمينية في أوجها ما بين سبعة عشر مليوناً وخمسة وثلاثين مليوناً[٣٠].



الشكل (٣٨) النمو السكاني لمصر، من Hassan (1994).

بوجه عام، يُفهم متوسط العمر المتوقع عند الميلاد Life expectancy at birth; e0 ضمن سياق جداول متوسط الحياة القياسي والتقديرات المقارنة. وتقترح أغلب الدراسات أن متوسط العمر المتوقع عند الميلاد في البحر الأبيض المتوسط ما قبل الحديث كان ما بين عشرين وثلاثين سنة[٣١]. وعند وصول الفرد عمر سنتين، كان متوسط عمره المتوقع يرتفع، لكن وفيات الأطفال الرضع (السنة الأولى من العمر) كانت عالية هي الأخرى[٣٢]. ولم يصل عدد سكان مصر إلى مستواه خلال الحقبة الرومانية المبكرة مجددا إلا خلال القرن التاسع عشر[٣٣].

بقيت تذاكر المومياوات المصرية التي تُعْرَف أيضا باسم بطاقات تعريف المومياوات، بالآلاف حتى القرن الثالث من الحقبة المشتركة. تسجل هذه المجموعة المهمة التي كُتبت باللغة اليونانية أو المصرية الديموطيقية أو كليهما، اسم الشخص الذي أصبح مُحَنَّطا، وأحيانا تذكر ألقابه المهنية وعمره عند الوفاة[٣٤]. ومن المرجح أن الأنماط الموسمية للوفيات ونظم المرض في مصر الرومانية التي درسها شايدل تنسحب على فترات سابقة[٣٥].

يعد الحث التبادلي بين السكان البشريين والحيوانيين وكل من البيئة المبنية والطبيعية أحد الموضوعات المهمة في التاريخ الاقتصادي، وقد قطعنا خطوات واسعة خلال السنوات القليلة الماضية في فهم هذا الجانب، وإن ظلت الدراسات السكانية الحيوانية متأخرة عن الدراسات البشرية. يأتي التقدم من الأعمال الأثرية وعلم الأوبئة القديمة paleoepidemiology وعلم الأمراض القديمة paleopathology والتحليلات الإحصائية وتحليلات الحمض النووي. لا ريب أن التأثير السلبي والإيجابي للأمراض على الأداء الاقتصادي معروف منذ وقت طويل، وقد حقق مؤرخو التاريخ القديم مؤخرا تقدما كبيرا في فهم الأمراض ومعدلاتها والوفيات في البحر الأبيض المتوسط القديم، وإن كانت أغلب الأعمال مخصصة للعالم الروماني[٣٦]. ربما شكلت الملاريا المُوَثَّقة بداية من القرن الثامن قبل الحقبة المشتركة والبلهارسيا المُوَثَّقة في المومياوات المصرية قيّدا موهِنا ومعيقا لإنتاجية العمل وللنمو الاقتصادي[٣٧]. وقد لعبت الإمبراطوريات وحركة البشر والحيوانات دورا في انتشار الأمراض، إذ أدى التكوين السياسي لأقاليم أكبر واندماجها المتزايد بحلول نحو عام ٥٠٠ ق.ح إلى التقاء "مجمعات الأمراض" disease pools في أوراسيا[٣٨]. كما أن الطاعون، بالاستخدام المبهم للكلمة، مُوَثَّق في أثينا خلال السنوات الأولى للحرب البيلوبونيزية بين عامي ٤٣٠ و٤٢٥ ق.ح، إذ يخبرنا

ثيوسيديديس بأن الطاعون نشأ في إثيوبيا، وإن كنا لا نعلم مدى انتشار الطاعون. يصف ثيوسيديديس الطاعون بشيء من التفصيل[٣٩]، لكن من المرجح أن هذا المرض كان إما التيفوس typhos أو الجدري smallbox، ولا شك أنه الحدوث المعروف أكثر من غيره لتفشي المرض خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة. كان تأثير هذا الوباء كبيرا، إذ اقترب معدل الوفيات بسببه من خمسة وعشرين بالمائة[٤٠]. وهناك سلسلة من نوبات تفشي الطاعون مُوَثَّقة من العقد الثامن من القرن الخامس إلى العقد السادس من القرن الرابع قبل الحقبة المشتركة، وإن ظل طاعون جستنيان (الذي كان بالتأكيد اليرسينيا الطاعونية Yersinia pestis) الذي اندلع في عام ٥٤١ ح.م أول وباء مسجل[٤١][٤].

كانت الحملات العسكرية والتجارة من القوى الدافعة لهذا التفشي للأمراض، وكان منها أيضا حجم السكان وكثافتهم المتزايدان أو الاستيطان الحضري. وقد نُمْذِجت تحركات الهجرة والأوبئة الأطول أمدا ودُرِست على نطاق واسع من خلال تحليل الحمض النووي، وهو أحد أهم التطورات في دراسة الاقتصادات القديمة. غير أن أسباب حالات تفشي الأوبئة معقدة، وهناك أعمال كثيرة متواصلة حول هذا الموضوع، ولا ريب أن التغير المناخي والجفاف قد لعبا أدوارا في هذه العملية. لكننا ما زلنا في حاجة إلى دراسة ما إذا كان هناك ارتباط بين تفشي الطاعون في مصر خلال العقد السادس من القرن الأول قبل الحقبة المشتركة والثوران البركاني الهائل في عام ٤٤ ق.ح ونوبات نقص فيضان النيل في أواخر ذلك العقد. يأتي بين أهم نتائج الدراسات التي استخدمت تحليل الحمض النووي حتى الآن إثبات أن أصل الإتروسكانيين يرجع إلى الشرق الأدنى[٤٢]. وثمة إمكانات مبشرة تقدمها هذه الأعمال، منها الحاجة إلى تقدير التأثير الأطول أمداً للأمراض على السكان خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة.

لا تتوفر لدينا- لسوء الحظ- أدلة كافية عن التاريخ السكاني للشرق الأدنى خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة[٤٣]. على أنه يمكن تقدير النمو السكاني في وسط بلاد ما بين النهرين خلال النصف

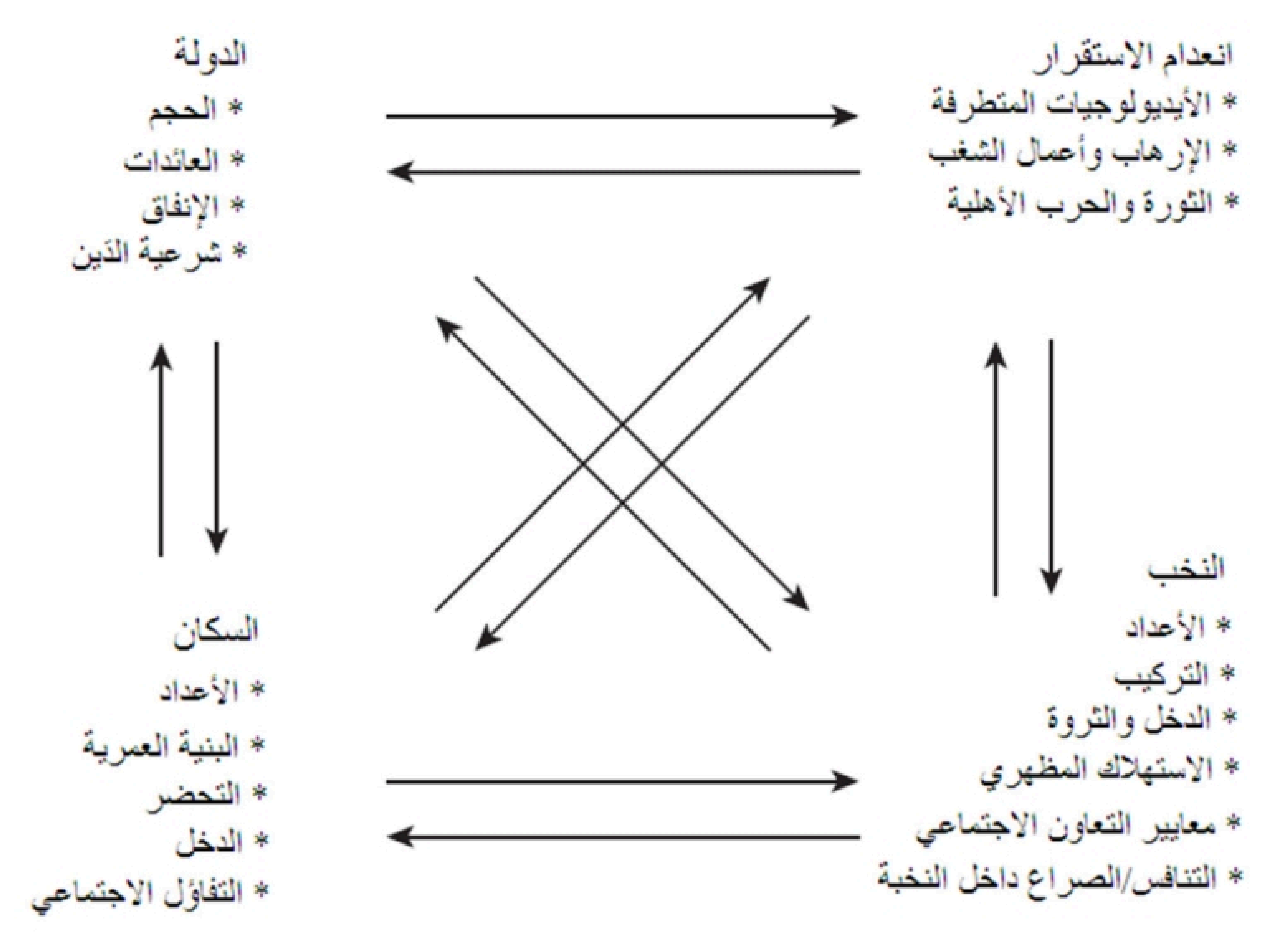
(٤) طاعون جستنيان Justinian plague (٥٤١-٥٤٢ ح.م) وباء تفشى في الإمبراطورية الرومانية الشرقية (البيزنطية)، لا سيما عاصمتها القسطنطينية والإمبراطورية الساسانية والمدن المينائية حول البحر الأبيض المتوسط في عهد الإمبراطور جستنيان الأول Justinian I (حكم ٥٢٤-٥٦٥ ح.م)، قتل في بدايته نحو ٤٠٪ من سكان شرق البحر الأبيض المتوسط، وفي ذروته كان يقتل حتى خمسة آلاف من سكان القسطنطينية يومياً. [المترجم]

الأول من الألف الأول قبل الحقبة المشتركة من خلال المسح الأثري. ويوحي عدد المستوطنات ومتوسط حجمها باتجاه صاعد في حجم السكان والكثافة الزراعية، لكن أغلب المعلومات التي بحوزتنا تعتمد حتى الآن على المسح القصير الذي أجراه أدامز في أواخر العقد السابع والعقد الثامن من القرن العشرين[٤٤].

في حالة سكان اليونان، تركزت أغلب الأعمال على أثينا، وحتى مع توفر سجلات جيدة نسبيا هناك، ما يزال كل شيء تقريبا محل جدل وغير مؤكد[٤٥]. تؤخذ أعداد المواطنين عموما من ثيوسيديديس (Thucydides, II.13.6–7)، وما نستطيع أن نقوله عن يقين هو أنه حدثت "زيادة كبيرة في أعداد المواطنين بداية من عام ٥٠٨/ ٥٠٧ ق.ح"[٤٦]. ولا تزال أعداد غير المواطنين والأجانب المقيمين metics والعبيد مراوغة، وإن كان ذلك عاملا حاسما في فهم الحركية الاقتصادية في أثينا[٤٧]. كانت الهجرة عنصرا مهما في النمو في أثينا، وتألفت من مزيج من واردات العبيد وغيرهم ممن جاءوا عبر الارتباطات التجارية العميقة مع الجزر الإيجية ومع نقاط أبعد إلى الشرق. وقد أعاد قانون المواطنة الشهير الذي أصدره بيريكليس Pericles (٤٥١/ ١ ق.ح) تأكيد قرارات سابقة حول حدود المواطنة الصارمة في ضوء تزايد عدد السكان[٤٨]. وقد كان لهذا النمو السكاني والاستجابة السياسية تأثيرات واسعة على السلوك الاقتصادي[٤٩].

النظرية السكانية البنيوية

تجمع النظرية السكانية البنيوية structural-demographic theory الحث التبادلي بين أحجام السكان الإجمالية وغيرها من المتغيرات السكانية من ناحية وأداء الدولة والاستقرار السياسي والتنافس داخل النخبة ضمن اتجاهات أطول أمدا من ناحية أخرى (الشكل ٣٩). وتقدم هذه النظرية أداة قوية لفهم النزاع الداخلي في المجتمعات، ويمكن للمزيد من الأعمال على المادة ما قبل الحديثة أن تلقي المزيد من الضوء على هذا الجانب. ويقدم تيرتشن ونيفيدوف Turchin and Nefedov حجة قوية مؤداها أن الاتجاهات السكانية الاندماجية والتفسخية في روما الجمهورية والإمبراطورية الرومانية تعد أمثلة جيدة للرابطة بين التنافس داخل النخبة وانعدام الاستقرار الاجتماعي[٥٠].



الشكل (٣٩) حركية الحث التبادلي السكاني بحسب النظرية السكانية البنيوية. من Turchin (2016).

المنزل

إن المنزل (أويكوس oikos في باللغة اليونانية) بالطبع هو أصل تخصص علم الاقتصاد، كما أنه من نواحٍ عدة الأساس لدراسة الاقتصادات ما قبل الحديثة. تقوم دراسة المنازل في عالم البحر الأبيض المتوسط قبل عام ٢٠٠ ق.ح بالدرجة الأولى على أدلة من اليونان القديمة التي نَظَّرت للمنزل وتركت لنا الكثير من الأدلة. يعني "المنزل" عند زينوفون كلا من الأسرة النووية والبيت المادي وممتلكات الأسرة[٥١]. وتقدم التحليلات الأثرية للبيوت اليونانية إمكانية كبيرة لزيادة معرفتنا بالبنية المنزلية والحجم المادي للبيوت وتطور تصميم البيوت والتغيرات في مستويات المعيشة على مر الزمن. لكن حتى في العالم اليوناني، تكبلنا قيود، منها أن أغلب الأدلة تأتي من مواقع بعينها مثل أثينا

وأولينثوس[٥٢](٥). وبعد أعمال سابقة حاولت تعريف الظاهرة على امتداد البحر الأبيض المتوسط وتتبعت الحدود المناخية للبحر الأبيض المتوسط، أجريت محاولات للتعرف على نمط واحد ضمن البنية المنزلية في البحر الأبيض المتوسط.

أكدت دراسة نُشرت مؤخرا على هلامية البنية المنزلية وتنوعها ضمن البحر الأبيض المتوسط، لتحل محل الأعمال السابقة المؤثرة التي سعت إلى تحديد "نوع" المنزل المتوسطي[٥٣]. وحاليا توحي الأدلة بأن الأسرة النووية كانت خلال الحقبة الرومانية ذاتها مجرد نوع واحد مما ينبغي أن نعتبره طيفا من الحلول التنظيمية المنزلية. كانت النساء والأطفال مهمين لكونهم من "المصادر المحتملة للعمل، وفي بعض النظم القانونية لكونهم من حائزي المِلكية الأساسيين"[٥٤]. وما يبدو مشتركا عبر البحر الأبيض المتوسط، في المقابل، هو خط النسب الأبوي، لكن ذلك التمييز ليس دقيقا بما يكفي[٥٥]، إذ يعد موقع المنزل عبر البيئة المتنوعة لعالم البحر الأبيض المتوسط أحد الاعتبارات المهمة الأخرى، ولا بد أن البنية المنزلية الحضرية قد كشفت عن افتراق كبير عن نظيرتها الريفية.

إن صورة المنزل المكتفي ذاتيا والمستقل الذي لا ينتج فائضا يذكر ولا يتبادل في السوق، مستمدة بالدرجة الأولى من نصوص أدبية مثل ملحمة "أعمال وأيام" لهسيودوس وكتابات هوميروس وأرسطو (Politics 1.3.1256a1–1258b8)، وعززها التنظير المعاصر حول المنازل ما قبل الحديثة[٥٦]. لكن في مقابل هذه الرؤية المكتفية ذاتيا للمنزل اليوناني القديم، تكشِف الأعمال الجديدة في جنوب أتيكا ومنطقة أثينا عن نشاط السوق، في هذه الحالة في "الأسواق البلدية" deme المحلية[٥٧]. ويمكن توسيع قوائم السلع المستوردة المذكورة في الكوميديا الأثينية بالمادة الأثرية للتوصل إلى أنه كانت هناك بعد عام ٦٠٠ ق.ح دائرة واسعة من التجارة ثنائية الاتجاه بين الجزر الإيجية والمشرق، كانت وراء نشأة "الثقافة الاستهلاكية" في اليونان[٥٨]. لم يميّز اليونانيون بين الأويكوس (المنزل) والعمل التجاري (الإرغاستريون ergasterion) لصالح المشروعات العامة، و"كان المواطنون والمقيمون الأجانب والعبيد يعملون عادة جنبا إلى جنب، وكانوا يحصلون على الأجور اليومية نفسها"[٥٩]. وكانت صناعات بعينها في العالم اليوناني، مثل إنتاج المنسوجات، تُنفَّذ عموما داخل البيوت. غير أنه ما يزال هناك الكثير من الغموض حول نطاق الإنتاج،

(٥) أولينثوس Olynthos مدينة يونانية قديمة على شبه جزيرة خالكيذيكي Chalidice، بُنيت فوق تلين مسطحين، قرب ساحل بحر إيجة. [المترجم]

والارتباط بين المنزل والسوق، والتوزيع بين المنسوجات المحلية والمستوردة، ومن المرجح أن مزيج العبيد والمقيمين الأجانب والعمال المواطنين الأحرار قد اختلف من منطقة إلى أخرى ومن فترة إلى أخرى. مؤدى ذلك أن الاقتصاد المنزلي في اليونان، وأماكن أخرى بالتأكيد، كان أقرب إلى نموذج الاقتصاد "الجمعي" plural economic model[٦٠].

كان المنزل اليوناني، تماما مثل منزل حيكاناخت وغيره من المنازل جيدة التوثيق في الأرشيفات من مصر البطلمية، معقدا وهلاميا، وضم غالبا أسرة نووية وأفرادا من الأسرة الممتدة وأفرادا من غير الأسرة[٦١]. تأتي أغلب معلوماتنا من النصوص القانونية المتعلقة بانتقال المِلكية داخل الأسرة[٦٢]. ويشكل هذا التأكيد على النظم القانونية للزواج والمِلكية ونزاعات المِلكية أغلب الأدلة التي بحوزتنا حول الأسر في اليونان ومصر والشرق الأدنى، ما يعني أننا بالطبع أمام الانحياز المعتاد للمنازل الغنية.

بيد أن النشاط الاقتصادي الخاص داخل المنازل، سواء كان للاستهلاك المنزلي أو للبيع خارج المنزل، لم يُدْرَس جيدا، بالدرجة الأولى بسبب تفرق التوثيق الأثري. وفي حالة المنازل الغنية، يمكن دراسة استهلاكها للسلع المنزلية وغيرها من المواد في السوق من خلال الأدلة الإبيغرافية التي تسجل المزادات العلنية للممتلكات المصادرة من الأشخاص المدانين بإثارة الاضطراب العام في عام ٤١٥ ق.ح[٦٣]. كان هؤلاء الأشخاص أصحاب منازل غنية، وذلك قيد معيق آخر لمعرفتنا، لأننا في كل الأماكن لا نستطيع أن نستمد حسا بالطلب أو الاستهلاك المنزليين. وتماما كما هي الحال دائما، يظل من الصعب دراسة المستويات الوسطى أو الدنيا من المجتمع دراسة مباشرة، لكن وجود ساحة السوق (الأغورا agora) في البلدات اليونانية وقوائم السلع المذكورة في النصوص الأدبية توحي بعمليات شراء سوقية واسعة[٦٤]. ويمكننا أن نقارن هذه السلع بقائمة ممتلكات النساء المسجلة في عقود الزواج المصرية الديموطيقية[٦٥]. على أن الافتقار إلى معلومات متماسكة عبر مجتمعات البحر الأبيض المتوسط خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة يُعْجِزنا عن إجراء مقارنة مؤكدة، لكن لدينا بعض المعلومات حول مختلف الأماكن، وفي حالة الشرق الأدنى ومصر والعالم الكلاسيكي، نرى أن المنازل كانت أيضا مراكز للإنتاج الحرفي، والمعالجة الزراعية، ونسج المنسوجات، وتصنيع محدود النطاق. وفي بعض الحالات تعطينا الأعمال الأثرية القدرة على دراسة "الصناعات المنزلية"[٦٦].

ذكرتُ في الفصل الأول من الكتاب أن الجدل ما يزال متواصلا حول وحدة التحليل الأمثل في علم الاقتصاد التاريخي بين الفرد أو المنزل أو المجتمع، وأفضل طريقة للتقدم في هذا الجانب هي تلك التي قدمها جون ديفيز الذي يقترح أن نتناول المسألة من منظور نموذج الصفقات متعدد المستويات multilevel transactional model الذي يضم هذه المستويات الثلاثة جميعها:

١. صفقات المنازل المكتفية ذاتيا: التخزين
٢. التبادل بين المنازل: الإعارة والإرجاع
٣. التبادل بين المنازل من خلال عمل أفراد من خارج المنزل أو العبيد أو العمل المأجور
٤. الصفقات بين المنازل والسوق من خلال أنواع متنوعة من التبادل السوقي
٥. التبادل بين المنازل والمناطق
٦. التبادل السوقي والتبادل "خارج المنطقة"[٦٧].

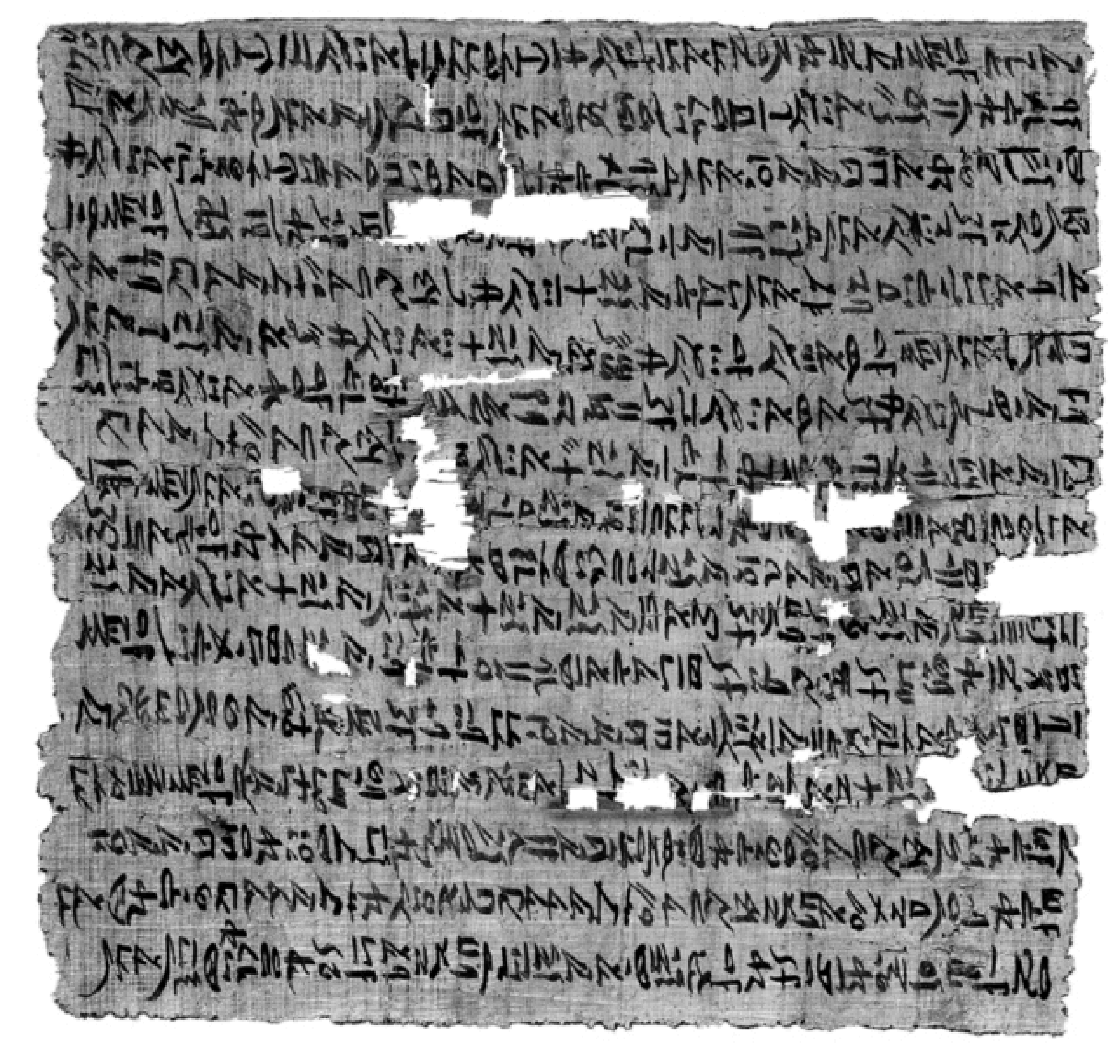
ويمكن تعديل هذا النموذج الأساسي للتدفق وتأطيره اعتمادا على حجم الإقليم، ويمكن إكساب النموذج شيء من التعقيد من خلال تجاوز التركيز على المنازل، بالتعامل مع كبار مُلاك الأراضي والمعابد والملاجئ والشراكات التجارية والدولة وما إليها. ويمكن تعديل هذا النوع من تخطيط التدفق بغرض دراسة الدول الإقليمية الكبيرة والإمبراطوريات.

يلازمنا الجدل حول طبيعة صنع القرار العقلاني البشري وأفضل نوع من الدول وأفضل دور لها منذ القرن الخامس قبل الحقبة المشتركة على أقل تقدير، عندما بدأ هيرودوت تقصيه لجذور الحروب اليونانية-الفارسية. وعندما تطلع المُنَظِّرون الاجتماعيون إلى إثبات صواب افتراضاتهم خلال القرن التاسع عشر، تحولوا إلى عالم البحر الأبيض المتوسط ما قبل الصناعي، ووجدوا ما كانوا يبحثون عنه. فذهب فيبر، مثل بوخر من قبله، إلى أن المنزل المكتفي ذاتيا يقف على طرف النقيض من ظهور السوق. لكن تاريخ منازل البحر الأبيض المتوسط ما قبل الحديث، كما سنرى، أشد تعقيدا من ذلك. فلا يشكل المنزل الوحدة الاجتماعية الأساسية وحسب، بل إنه في الشرق الأدنى وفي مصر كان نموذجا للأبنية التي تغطي الدولة ككل، إذ كانت الدولة المصرية كاملة "منزل" الملك، والمعابد "منازل" الإله[٦٨]. ومثلما كانت الحال في الشرق الأدنى، لم تكن الدولة المنزل الوحيد، بل الأكبر وحسب. لكن نموذج

"الأويكوس" الذي يشكل الأساس لنموذج إعادة التوزيع في اقتصادات الشرق الأدنى ومصر يغفل الكثير من النشاط الاقتصادي للمعابد والمنازل الخاصة[٦٩].

لا ريب أن الاقتصادات البلاطية في مصر والشرق الأدنى جمعت الضرائب وخزنت الفائض الزراعي ووزعته أو أعادت توزيعه، وذلك تأسيسا على مسوح المنازل التي كانت الأساس لنظم العمل الحكومية منذ الألف الثاني قبل الحقبة المشتركة على أقل تقدير، وتقدم هذه السجلات بعض اللمحات حول البنية المنزلية[٧٠]. كانت هذه الوظيفة "الإدارية" للدولة والمعابد الكبيرة واقيا من تفاوت حصاد الحبوب من سنة إلى أخرى. ومع أن هذه الوظيفة جيدة التوثيق، فمن الواضح أنها لم تسيطر على الإنتاج الزراعي كاملا.

كان المنزل الفلاحي peasant household الشائع محل تنظير واسع في سياق البحر الأبيض المتوسط، لكن طاله الشك مؤخراً بفعل مجموعة من الرسائل المبكرة- والمُهمَلة للمفارقة- الموجودة في ركن هادئ وقاتم من صالات عرض الآثار المصرية القديمة في متحف متروبوليتان في نيويورك Metropolitan Museum in New York، تُعرَض فيه ثلاثة نصوص خلف ألواح زجاجية في صناديق العرض، وبالقرب منها توجد بطاقة تعريف تشرح محتوى هذه النصوص[٧١]. تُعرَف هذه النصوص معا باسم رسائل حيكاناخت، وتعطي تفاصيل مدهشة حول السلوك الاقتصادي والاستراتيجيات المنزلية لمنزل "فلاحي" واحد من العصر البرونزي الأوسط (الشكل ٤٠)[٧٢]. لا يوجد مثيل لهذه الرسائل لألف سنة أخرى، كما أنها معاصرة على وجه التقريب للمستوطنة التجارية الآشورية القديمة في كانش. شُبِّهت هذه الرسائل بكتابة الشاعر اليوناني هسيودوس حول الإدارة المنزلية[٧٣]. وتزودنا هذه الرسائل بنافذة على فرد تصرف وفق مصلحته الشخصية نيابة عن منزله. تُؤرَّخ الرسائل إلى الدولة الوسطى، نحو عام ١٩٥٠ ق.ح، وتتعلق بإدارة الأراضي في مصر الوسطى، في مكان قريب من الفيوم[٧٤]. كان اكتشاف هذه النصوص في أثناء التنقيب في المقابر في طيبة الغربية إلهاما لأجاثا كرستي لكتابة روايتها "في النهاية يأتي الموت" Death Comes as the End، إذ استخدمت الرسائل القديمة أساسا لقصتها. من المفاجئ إذن أن هذه النصوص لم تحظَ باهتمام كبير خارج الدائرة الصغيرة لعلماء المصريات.



الشكل (٤٠) الرسالة الأولى من رسائل حيكاناخت، Metropolitan Museum of Art.

كتبَ هذه الرسائل (أو ربما أملاها) رجلٌ يدعى حيكاناخت Hekanakhte بقصد أن تُسلم إلى بيته، وقد وُجِدت في مقبرة أحد المسؤولين أعلى الدير البحري في طيبة الغربية. كان حيكاناخت عضواً في طبقة "الوجهاء الريفية المتوسطة"، والكاهن الجنائزي للوزير، والمدير الرئيس للعِزْبَة[٧٥]. وكان منزله كثير العدد، إذ شمل تسعة عشر شخصا في المجمل، منهم أمه وعمته وأبناؤه المتزوجون، ومزارع وعماله الثلاثة، وثلاث جوارٍ منزليات[٧٦]. كانت الاستراتيجية الاقتصادية معقدة إلى حد لافت للنظر، إذ تلح الرسائل على استخدام العمل المأجور المؤقت ومِلكية الماشية وتأجير الأراضي (بالنحاس وسيطا للتبادل) في قرى أخرى إن أمكن، وتعترف بتكاليف تأجير الأراضي والهوامش في إعداد الميزانية[٦]. وهنا تعد الحسابات نقدا باستخدام السلع وسيطا للتبادل قابلا للتحويل بين الشعير والمنسوجات والنحاس.

---

(٦) الهوامش margins في إعداد الميزانية هي الفروق بين العوائد المخططة وأسعار البيع والشراء الفعلية. [المترجم]

إن التفاصيل الزراعية المقدمة في الرسائل لافتة للانتباه، بل مدهشة. امتلك حيكاناخت أكثر من سبعين أرورا (نحوا من أربعين أكرا)، أعالت منزله، وكانت تغل أكثر من ذلك بكثير في السنوات الجيدة. كان ثلاث وعشرون أرورا تؤجر للغير. كانت الأسر تمتلك الأراضي عادة في حقائب(٧)، وهو نمط ظل شائعا خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة(٧٧). وكانت المحاصيل الأساسية هي الشعير والإيمر، وكان القماش يُنسج في المنزل ويباع، وكان فائض الحبوب يُستخدَم لشراء المواد الأخرى. وتخبرنا الرسائل أيضا أنه في سنوات نقص فيضان النيل، التي يقول النص إن اثنتين منها وقعتا متتابعتين، كانت أسر أواسط الناس هي الأخرى تتعرض لخطر المجاعة، ويتضح أن هذا الخوف عينه كان أحد دوافع حيكاناخت(٨). وتخبرنا الرسائل أيضا أنه في منطقة مصر الوسطى خلال هذه الفترة، كان نصف السهل الفيضي لوادي النيل يُستخدَم مرعى غير مُحَسَّن للماشية أو أراضٍ بديلة لإراحة التربة (الجدول ٦).

الجدول (٦) دخل منزل حيكاناخت ونفقاته

الدخل			
الحصاد @ ١٥ كيسا/ أرورا	٣٨٢,٥	١٢٧,٥	٥١٠
النفقات			
ضرائب الحبوب @ ١٠٪	٣٨,٢٥	١٢,٧٥	٥١
البذور @ ١,٥ كيسا/ أرورا	٣٨,٢٥	١٢,٧٥	٥١
ضرائب الماشية	٤	١٠,٥	١٤,٥
غذاء سنة	٢٥,٨	٩٠	١١٥,٨
أجور سنة			١٣٦,٢
المجموع	٢٤٢,٥	١٢٦	٣٦٨,٥
(الفائض)	(١٤٠)	(١,٥)	(١٤١,٥)

المصدر: J. Allen (2002: 166).

ملحوظة: الأرورا الواحدة = ٦,٦ أكرا. وفي الأربع وثلاثين أرورا المزروعة، زُرع في خمس وسبعين بالمائة منها شعير، وفي الخمسة وعشرين بالمائة الباقية قمح الإيمر.

(٧) كما جاء في مواضع سابقة، تشير ملكية الأرض في حقائب إلى تنويع الأراضي المملوكة بتوزيعها على أماكن متفرقة للحد من أخطار نقص المياه وفشل المحاصيل. [المترجم]

حتى اليوم ما يزال الفلاح المصري يمتلك أكثر من قطعة أرض (صغيرة عادة) متفرقة، غالبا في نطاق نفس القرية أو الزمام. [المترجم]

(٨) راجع حاشية سابقة حول مفهوم "أواسط الناس" في مصر القديمة في مقابل الطبقة الوسطى في العالم الكلاسيكي. [المترجم]

كأننا هنا أمام مثال لاقتصاد الأويكوس الخالص، وهو وحدة التحليل المثالية عند أرسطو ورودبيرتس Rodbertus وسالينز والكثير من المُنَظِّرين الاقتصاديين من بعدهم. لكن الرسائل توضح أننا لسنا أمام منزل "فلاحي" مكتفٍ ذاتيا يتطابق مع "نمط الإنتاج الفلاحي" peasant mode of production عند تشاينوف Chayanov أو نمط الإنتاج المنزلي domestic mode of production عند سالينز، اللذين يعيلان الأسرة وحسب، وذلك لأن ضرائب الحبوب تلوح هنا في خلفية الإنتاج المنزلي. لا حاجة إذن إلى "نمط الإنتاج الفلاحي" باعتباره مرحلة متمايزة في العالم الزراعي ما قبل الحديث[٧٨].

كان حيكاناخت فرداً يتخذ قرارات عقلانية لأسرته الممتدة كاملة، وليس أسرته النووية وحسب، لكن مما لا يقل عن ذلك أهمية أنه كان يؤجر الأرض للغير ويبيع المنسوجات ويأخذ قروضا. كان الرجل يملك أراضٍ في أجزاء مختلفة من مصر، وربما كانت أراضيه في النوم الثيني في الجنوب، القريب من أبيدوس، تنتج دخلا يرتبط بواجباته ككاهن جنائزي[٩]. تميّز الرسائل بين مؤنة المنزل ورواتب العمل. على أن حيكاناخت- لا ريب- لم يكن فريدا في تدبيره، ولو أتيح لنا المزيد من هذه الرسائل لأمكننا أن نقول بمزيد من الثقة إن السلوك العقلاني الذي تكشَّف في هذه الرسائل المثيرة كان معتادا بين المنازل المصرية، ويمكن اعتبار ذلك السلوك لمحة مبكرة للشركة الأسرية المُوَثَّقة على نحو أفضل في منتصف الألف الأول قبل الحقبة المشتركة، فضلا عن كونه جزءا مهما في تاريخ ظهور الشركة[٧٩].

تكشِف هذه الرسائل بديعة الكتابة أن المصريين كانوا يصنعون قرارات عقلانية لوضع الميزانية، فضلا عن قرارات أنواع المحاصيل التي تُزرَع، وبدلات الغذاء[١٠]، ورواتب العمل، واستراتيجيات التأجير. كان الرجل يعرف ما تغله المحاصيل وظروف التربة، وكان يتربح من تأجير الأراضي ومن بيع المنسوجات.

---

(٩) الثيني Thinite نسبة إلى اتحاد قبلي في جنوب مصر، يفترض علماء المصريات أنه سبق التوحيد الكامل لمصر العليا، كانت عاصمته ثينيس Thinis (أو تجينو Tjenu في المصرية القديمة)، التي أصبحت عاصمة الأسرات الأولى، لم يُستَدل على مكانها، لكنها موثقة جيدا في كتابات القدماء، ومنهم المؤرخ الكلاسيكي مانيتون Manentho. [المترجم]

أبيدوس Abydos (أو أبدجو Abdju في المصرية القديمة) واحدة من أقدم المدن المصرية القديمة، كانت أحد الأنوام الثمانية عشر ضمن مصر العليا وعاصمة لها، تقع على مسافة ١١ كيلومترا غرب النيل بالقرب من المدينة الحديثة العرابة المدفونة أو البلينا، يوجد بها معبد سيتي الأول ورمسيس الثاني، وكانت مقر عبادة أوزوريس. [المترجم]

(١٠) بدل الغذاء food allowances بدل نقدي يعطى للعامل نظير غذائه في أثناء ساعات العمل، يكون أحيانا جزءا من عقد العمل. [المترجم]

وتقدم الرسائل أيضاً مثالاً لطيفاً لإعادة الإنتاج الاجتماعي، هو "الانتقال العمودي" للمعرفة من جيل إلى آخر[٨٠]. تعد هذه الرسائل في آن معا صورة لمنزل مكتفٍ ذاتيا من النوع الذي أضفى عليه المؤلفون اليونانيون طابعا مثاليا وأخلاقيا، وكذلك الطرق المعقدة لارتباط المنزل بالمنازل الأخرى من خلال تأجير الأراضي وتصنيع المنسوجات وبيعها، وغيرها من النشاطات[٨١]. على أننا يجب أن نحتاط من التوصل إلى استنتاجات عامة، لأن طبيعة رسائل حيكاناخت تحول دون إعادة بناء عالمه كاملا.

يطرح علينا هذا الأرشيف الصغير المكون من ثمانية نصوص كاملة وخمسة نصوص مجزأة مشكلات مهمة للتفكير فيها، منها على وجه التحديد وحدة التحليل في دراسة الاقتصادات القديمة. ينبغي علينا أن ندمج السلوك الفردي والبنية المنزلية في الأنماط الاقتصادية للمناطق والمطالب الحكومية، لكن الأدلة لا تمكننا من ذلك عادة. ومما يزيد الأمر صعوبة أن هذه النصوص فريدة في حالة مصر حتى فترة طويلة لاحقة، وكذلك في الحقبة اليونانية-الرومانية على الأقل فيما يتعلق بالتوثيق الاقتصادي للسلوك المنزلي. وعلى ذلك فإن السؤال الذي يطرح نفسه هو: هل كانت هذه الممارسات فريدة أم معتادة بين المنازل المصرية التي كانت تنتمي إلى مستوى اجتماعي معين في نحو عام ٢٠٠٠ ق.ح؟ وهل هي ممثِّلة للمنازل على امتداد التاريخ المصري القديم؟ توحي الأدلة كلها بالتأكيد بأن المنازل المصرية، تماما كما كانت الحال مع الأسر في اليونان والشرق الأدنى، كانت شديدة المرونة في تركيبها وحجمها اعتمادا على دورات الحياة الأسرية[١١]، وأنها كانت مرتبطة بأسر ممتدة وشبكات رعاية أكبر[٨٢].

عاش حيكاناخت وأسرته في عالم قرية صغيرة، لا ريب أنها كانت ممثِّلة لمصر في تلك الفترة[٨٣]. كانت حقيبة الأراضي لديه متنوعة، وكان الرجل واعيا تماما إلى درء الأخطار. وكان هذا النمط من العِزْبَة الأسرية الصغيرة التي تستغلها أسرة ممتدة معتادا على الأرجح على امتداد العالم ما قبل الحديث، حتى وإن لم يكن مُوَثَّقا جيدا دائما. يرجع سياق حيكاناخت إلى منتصف العصر البرونزي، لكنني استخدمه لإثارة نقطة مهمة، هي أن النماذج المعممة أو نظريات المراحل لا تلم بالحقائق التاريخية بالدقة الكفاية، وغالبا ما تقوم على افتراضات سرعان ما تنهار في حال العثور على وثيقة واحدة. عاش حيكاناخت في منتصف العصر البرونزي، وتكشِف الأدلة حول السلوك المنزلي خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة عن تغيرات كبيرة.

---

(١١) راجع حاشية سابقة حول "دورة الحياة المنزلية". [المترجم]

تقدم مصر الألف الأول قبل الحقبة المشتركة تفاصيل أفضل حول النشاط الاقتصادي الفردي من الأرشيفات الأسرية التي بقيت لنا. تعطينا سجلات المِلكية التي حُفِظت في الأرشيف المتعلق بنزاعات المِلكية الأسرية التي أناقشها في الفصل التالي حسا بحيازة المِلكية لدى أسرة كهنوتية من أواسط الناس تابعة لمعبد صغير في أسيوط إبان القرن الثاني قبل الحقبة المشتركة[٨٤]. تشمل قائمة ممتلكات الأسرة مِلكية أنصبة موروثة في عدة مستودعات وبيت وبنايات بعيدة وأنصبة موروثة في أراضٍ زراعية (موضوع النزاع في المحكمة) وأراضي بساتين وأنصبة موروثة في دخل كهنوتي من معبد محلي، فضلا عن الخبز والزيت وغيرها من المواد الغذائية باعتبارها أجورا عينية، وأنصبة موروثة في وظائف كهنوتية، وواحد من اثني عشر نصيبا في وظيفة كاتب[٨٥]. إن قائمة الممتلكات هنا كاملة على الأرجح، وتعطينا لمحة حول أرزاق أسرة كهنوتية من أواسط الناس ومسارب دخلها التي تعكس الأنصبة الموروثة فيه ممارسات الميراث التقسيمي في مصر.

كانت البنية الاقتصادية المبكرة في الشرق الأدنى، تماما كما كانت الحال في مصر وفي الاقتصادات البلاطية الأخرى بالعصر البرونزي، تقوم على تراتبيات اجتماعية متداخلة ربطت المنازل الفردية بالمعابد و"منازل الخدمة العامة" service households تحت سلطة الملك. وكان الألف الثاني وأوائل الألف الأول قبل الحقبة المشتركة فترة تكيفات سياسية وتحولات في الهيمنة الإمبراطورية الإقليمية، شهدت تحولات من الأويكوس إلى اقتصاد "الاتاوة" tributary economy، إذ نجد كلا من "المدراء المنزليين المؤسسيين الكبار" والأراضي التي يفلحها مزارعون فرديون أو "نخبة الدولة"[٨٦]. تقدم أدلة الشرق الأدنى صورة جيدة للمنازل الحضرية للنخبة[٨٧]. وتوثِّق سجلات بيع العبيد من الإمبراطورية الآشورية الحديثة العديد من أحجام المنازل. كانت أنماط خط النسب الأبوي خاصية لكل من منازل الشرائح الدنيا والعليا[٨٨]. وتنحو الدراسات إلى التركيز على أصول أسماء الأعلام onomastics التي تُعنى بدراسة ممارسات التسمية وتتعقب النسل الأسري من خلال ممارسات التسمية. وتوحي الأدلة من الإمبراطورية البابلية الحديثة بعمر مبكر لزواج كل من الذكور والإناث، حيث كان الذكور في المتوسط دون عمر العشرين عند الزواج والإناث بين عمر الثالثة عشر والرابعة عشر، لكن من الصعب الحصول على صورة لأنماط الاستهلاك المنزلي. لقد تحسن علم الآثار المنزلي domestic archaeology

الذي يحمل إمكانات مبشرة، لكن مما ذُكر حتى الآن، يمكن القول إنه لم يكن هناك حجم منزل أو بيت ممثل لكل المنازل والبيوت الأخرى[٨٩].

أرجع فينلي ظهور "رواد الأعمال" entrepreneurs إلى الشعر الغنائي اليوناني في نحو عام ٦٥٠ ق.ح، وهو شكل أدبي مميَّز لليونان[٩٠]. لكن في الحقيقة يمكن إرجاع ظهور رواد الأعمال إلى بداية العصر الحديدي والتجار الفينيقيين. كما أن "الشركات" الأسرية مُوَثَّقة جيدا منذ منتصف الألف الأول قبل الحقبة المشتركة في الشرق الأدنى. ومن ذلك أن أرشيفات أسرة إغيبي من حقبة الإمبراطورية البابلية الحديثة التي يبلغ عددها ألفي نص (كانت أكبر من ذلك عندما اكتشفت، لكن فُقِد الكثير منها بسبب ممارسات التنقيب الرعناء) توثِّق خمسة أجيال من مِلكية الأسرة للأراضي وتأجيرها وإقراض المال ونشاط الالتزام الضريبي[٩١][١٢]. وكذلك يوَثِّق أرشيف أسرة موراشو Murashu من الحقبة الأخمينية المبكرة ثلاثة أجيال من أسرة واحدة في نيبور قاموا بعمليات تجارية مماثلة[٩٢].

دور الدولة

يثير دور الدولة في الاقتصادات ما قبل الحديثة جدلا كبيرا، وتتراوح الآراء من دور "ضئيل" إلى دور "شمولي". صاغ وليام هاريس المشكلة بهذا الاختصار المُحْكَم: "هل كان للدولة أي وجود مستقل أم كانت سلطة الدولة تعبيرا مباشرا عن إرادة الطبقة الاجتماعية المهيمنة؟"[٩٣] لقد دُرِس الاقتصاد السياسي والأداء الاقتصادي جيدا في سياقات أخرى، لكنهما لم ينالا الاهتمام المستحق في حالة دراسة العالم القديم. يمكن القول إن عملية تكوين الدول، وبناء الإمبراطوريات، والارتباط بين الدولة والتعبئة العسكرية (ومن ضمن ذلك التحسينات التقنية في الأسلحة والتكتيكات)، وبين الدول والأسواق، والتوزيع، والدوافع للحركة، كما يمكن أن تُلاحَظ في الكثير من أجزاء العالم الهلنستي،

---

(١٢) في نظام الالتزام الضريبي خلال الفترات الأحدث، كان يعقد مزاد علني لبيع جمارك أو ضرائب منطقة بعينها، يسمى من يكسب المزاد ملتزما لأنه يلتزم بدفع الضرائب مقدما للدولة ثم يجبيها من الأهالي بعد ذلك باستخدام سلطة الدولة. [المترجم]

كانت من أقوى القوى الدافعة للتاريخ الاقتصادي في البحر الأبيض المتوسط خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة، إن لم تكن أقواها على الإطلاق[٩٤]. ويرى بعض الدارسين، في المقابل، أن الدول أو الأسواق لم تكن اعتبارات مهمة على الإطلاق[٩٥]. من الواضح- إذن- أننا في حاجة إلى نظرية أفضل تتولد عن دراسات حالة متأنية. وكما اقترحتُ في موضع سابق، فإنه لا يمكن وصف مصر ببساطة بأنها "استبدادية"، حتى إنها في عهد البطالمة كانت دولة "مجزأة"، وكانت السلطة فيها موزعة بين ملوك تبنوا أيديولوجية المركزية والسيطرة القوية والنخب المحلية وطبقة الكهنة والمدن والجيش. وقد كانت لذلك نتائج بعينها على تطور الأسواق[٩٦].

إن التنوع في حجم الدولة وتنظيم الحكم ومقدرته وامتداده ونوعه سمة بارزة لدول البحر الأبيض المتوسط ما قبل الحديث. كانت الدولة، أيا كان تعريفنا لها، مهمة في الاقتصادات ما قبل الحديثة، تماما كما كانت في الاقتصادات الحديثة[٩٧]. وقد أثرت الدول على السلوك الاقتصادي بطريقتين أساسيتين، إذ (١) أوجدت الدول "إطارا معرفيا" كجزء من عملية تكوين الدولة، وذلك بغرض (٢) انتزاع العوائد[٩٨]. وثمة أشياء بعينها تنتج عن التأثير الثاني للدولة، وهي على وجه التحديد دور الدولة في توفير السلع العامة و"الحماية"[١٣]. كانت القدرة على شن الحرب في الدول ما قبل الحديثة بالغة الأهمية بالنسبة لحجم الدولة وبقائها وسلطتها الانتزاعية، وكانت الحرب قوة دافعة بالغة الأهمية للتغير الاقتصادي والأداء الإمبراطوري خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة[٩٩]. وكان جمع العوائد أحد الشواغل الرئيسة لكل دول الألف الأول قبل الحقبة المشتركة، وكانت هناك اختلافات قوية بين العالم اليوناني الذي فضل الضرائب غير المباشرة (وإن كانت ضريبة الآيسفورا **eisphora** على رأس

(١٣) السلعة العامة public good، في الاقتصاد، هي السلعة غير التنافسية وغير الإقصائية، بمعنى أن استهلاك البعض لها لا يقلل من الكمية المتوفرة منها لاستهلاك الآخرين، وأنه لا يمكن إقصاء أحد من استخدامها، كالصحة والتعليم والأمن. [المترجم]

المال شائعة هناك كإجراء طارئ[١٤]) ودول الشرق الأدنى ومصر التي كانت الضرائب المباشرة على الأفراد والصفقات والإنتاج الزراعي القاعدة فيها[١٠٠][١٥].

كانت قدرة الدول ما قبل الحديثة على خوض الحروب بالغة الأهمية للأداء الاقتصادي، وهو ما تجلى بوضوح في تطور الألف الأول قبل الحقبة المشتركة. وقد غابت الحرب والأعمال الحربية على غير المتوقع عن عمل روستوفتسيف المؤثر حول الحقبة الهلنستية، مع أن الحرب والقدرة على التعبئة للحرب استهلكت أغلب ميزانيات الدول، وكانت بالتالي من الأهداف الرئيسة للسياسة الجبائية للممالك الهلنستية[١٠١]. كانت الحرب "نمطا للاكتساب mode of acquisition"، إذ كانت جزءا "بنيويا" من الاقتصادات ما قبل الحديثة عموما، وطريقة لانتزاع العوائد، وأسلوبا للحكم (الحكام باعتبارهم زعماء حرب). وفي هذا الجانب التكسبي للحرب، استفادت روما كثيرا من الفاعلين الهلنستيين الآخرين[١٠٢]. كما اكتسب المرتزقة أهمية متزايدة في جيوش الألف الأول قبل الحقبة المشتركة، لا سيما في العالم الهلنستي.

كان الألف الأول قبل الحقبة المشتركة فترة انتقالية أساسية في طبيعة سلطة الدولة. توجد نظريتان واسعتان لما كانت الدول تفعله[١٠٣]. فقد طُبِّقت نظرية الاختيار العقلاني rational choice theory على الدول القديمة بغرض فهم كيف تشكلت الدول وكيف بقيت. وتعد مصادر العوائد أحد الاعتبارات الأساسية في فهم سلوك الحكام والسلع العامة التي قدموها، وتبني البيروقراطية، وقدرة المساومة لدى الجماعات المكونة للدولة[١٠٤]. كما أن القيود البيئية مهمة هي الأخرى، كما أكدنا فيما سبق، وكذلك كانت

(١٤) الآيسفورا eisphora (تعني باليونانية "الدفع" أو "التبرع") ضريبة استثنائية كانت المدينة اليونانية (أثينا أولا) تجمعها لمجابهة نفقات الحرب. [المترجم]

(١٥) الضريبة غير المباشرة هي الضريبة التي تُجمع من خلال وسيط ويتحمل عبئها المستهلك الأخير، من أنواعها الحديثة ضريبة المبيعات وضريبة القيمة المضافة وضريبة السلع والخدمات، التي تجمع كلها من خلال وسيط مثل تجار التجزئة وتضاف إلى ثمن السلعة أو الخدمة الذي يتحمله المشتري النهائي. وفي المقابل، تُجمع الضريبة المباشرة من الأشخاص الطبيعيين أو الاعتباريين المفروضة عليهم مباشرةً وليس عبر وسيط، مثل ضريبة الرأس وضريبة المحاصيل الزراعية قديما. [المترجم]

"تأثيرات القفص" للوديان النهرية، ووجود الجماعات البدوية ضمن إقليم الدولة، والتعبئة العسكرية، من الاعتبارات المهمة لبقاء الدول.

ولَّد موضوع الارتباط بين الزراعة بالري وبنية الدولة جدلا عنيفا حول تنظيم السلطة وتكثيفها في مجتمعات الري. وغالبا ما تخرج الدراسات الأقدم حول آسيا والشرق الأدنى بوجود صلات سببية بين الزراعة "الهيدروليكية" والسلطة المركزية. وتعد مصر دراسة حالة ممتازة للطريقة التي تخلق بها مجتمعات الري بيئات ري محلية تعاونية مكثفة. وقد صوَّر اير Eyre في مقالة مهمة الارتباطات المعقدة بين الري والمجتمع المحلي في التاريخ المصري[١٠٥]، ويقدم صورة مركبة لمصر ابتداء من الدولة القديمة حتى الحقبة البطلمية. وقد وجد أن الدولة المركزية أكدت بشدة على امتداد التاريخ المصري على النظام وعلى قياس فيضان النيل الذي كانت تراقبه بعناية من خلال مقاييس النيل التي احتوت علامة لإشارة الحياة، وهي مؤشر على أن مياه الفيضان ستكون كافية في تلك السنة[١٦]. غير أن هذا التنظيم البيروقراطي يحجب التعقيدات المحلية وتفاوت مشهد الزراعة بالري. وعلى خلاف الري بعد عام ١٨٢٠ الذي أنشئ فيه نظام أكبر كثيرا من الأحواض المترابطة، كان النظام القديم محليا ومحدود النطاق تماما في عمله. ولم يتطلب النظام القديم إدارة أو تنسيقا، وتطلب القليل من العمل القسري لصيانة النظام[١٠٦]. وحتى خلال الحقبة البطلمية التي يفترض أنها شهدت دولة مركزية قوية تدخلت بقوة في الاقتصادات المحلية وإدارة الأراضي وما إليها، كان هناك توازن بين المصلحة الاقتصادية للدولة والإدارة المحلية. وفي الفيوم، تلك المنطقة ذات الحضور الأقوى والأوضح للدولة التي ضوعفت مساحة الأرض المزروعة فيها ثلاثة أضعاف واستُوطنت خلال الحقبة البطلمية المبكرة، ظل الطابع المحلي للري والإنتاج الزراعي مهيمنا.

لقد تغافل الدارسون، كما أذهبُ فيما يلي، عن دور الدولة في توفير السلع العامة، ومنها القانون والمؤسسات القانونية، لا سيما في دول الشرق الأدنى وفي مصر، إذ ذهبوا إلى أن هذه النظم كانت أقرب إلى "اقتصادات فخ الذباب" fly trap economies، بمعنى أن العوائد فيها كانت تتدفق في اتجاه واحد فقط، أي

---

(١٦) مقاييس النيل Nilometers أبنية لقياس صفاء مياه النيل ومستواها خلال موسم الفيضان، وجد ثلاثة أنواع منها مرقمة بالمكعبات المصرية، هي الأعمدة الرأسية، والدرج النازل إلى النهر، والبئر العميق الموصل بالنيل. كانت هناك علامة محددة تشير إلى مستوى الفيضان الذي يجلب تربة جيدة. شُيِّد على غرار مقاييس النيل الفرعونية مقياس النيل الواقع على الطرف الجنوبي لجزيرة الروضة بالقاهرة الذي بُني بأمر الخليفة العباسي المتوكل في عام ٨٦١. [المترجم]

إلى الحكام والنخب[١٠٧][١٧]. كانت هذه الرؤية الغالبة لدى الدارسين عن إمبراطوريات الشرق الأدنى. لكن من الواضح حاليا من البيانات من بلاد بابل القرن السادس قبل الحقبة المشتركة ومصر البطلمية المبكرة، وعلى الأرجح في عهد الملوك السايسيين كذلك، أن الحكام اصطفوا مع "النخب السياسية" في المعابد والمراكز الحضرية، في تشجيع النشاطات التجارية، وفي تأسيس نظام قانوني حول حقوق المِلكية والتبادل السوقي[١٠٨]. وقد تزامنت هذه التكيفات المؤسسية مع زيادة السكان وظروف مناخية مواتية.

كان اتحاد "المشروع الحكومي والخاص"، كما أوضح شو، أحد "سمات التطور في البحر الأبيض المتوسط"[١٠٩]، وسوف نرى ذلك بوضوح في تجارة الألف الأول قبل الحقبة المشتركة التي تُناقَش في الفصل التالي، وفي تجارة عائلتي إغيبي وماراشو في الشرق الأدنى البابلي والأخميني. كان هذا الاتحاد بين العام والخاص جزئيا دالة للبنية الجبائية للدولة. وقد كان علم الاجتماع الجبائي و"التاريخ الجبائي الجديد" New Fiscal History موضوعا رائجا في عدة مجالات من العلم الاجتماعي، ويبرِز مجلد نُشر مؤخرا الإسهام المهم الذي يمكن أن تقدمه دول البحر الأبيض المتوسط ما قبل الحديث للأدبيات في هذا المجال[١١٠].

ثمة تقديرات مختلفة لتعريف ما هي الدول وما الدور الذي لعبته في الاقتصادات القديمة. فقد ذهب فينلي إلى أن الدولة كانت "كل شيء". وعلى النقيض من ذلك تماما، تغيب الدولة كليا عن البحر الأبيض المتوسط في تحليل هوردن وبورسل. على أن الدول نمت من حيث الحجم والتعقيد على امتداد العصر الحديدي، وبلغت أوجها بالطبع مع الإمبراطورية الرومانية. كانت دول العصر الحديدي أحد نوعين أساسيين، هما الإمبراطوريات الإقليمية و"الدول المدينية التجارية"[١١١]. وقد بقيت الدول المدينية، لأنها تنتج نظما أفضل للنمو، واتسمت بالمرونة، وكان يمكن للإمبراطوريات أن تمتص الدول المدينية مع احتفاظ الأخيرة بتماسكها الداخلي[١١٢].

يشكل دور الدول في التبادل، والسيطرة على الإقليم، والحماية التي خفضت التكاليف، وشق الطرق وبناء الموانئ، والرفاه العام، جزءا بالغ الأهمية من التغير الاقتصادي. وقد وقفت وراء التوسع الإمبراطوري خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة في غرب آسيا وفي البحر الأبيض المتوسط قوى دافعة عدة، من بينها السيطرة على تدفق التجارة، وكما رأينا في حالة مصر البطلمية، السيطرة على حقيبة موارد متنوعة في الأقاليم الإمبراطورية خلال القرن الثالث قبل الحقبة المشتركة. وبحسب صياغة

---

(١٧) بمعنى أن العوائد كانت تتدفق في اتجاه الحكام والنخب، ولا تتدفق ثانية في الاتجاه المعاكس في شكل سلع عامة، مثل الأمن والقانون وغيرها. [المترجم]

وليام هاريس المُحْكَمة في حالة روما المبكرة، فإن غزو كامل البحر الأبيض المتوسط كان "من نتيجته أن جعل الاقتصاد الروماني عملا ضخما ينتشر من المحيط الأطلسي إلى الهند"[١١٣]. لكن روما فعلت ما هو أكثر من مجرد الكسب وحماية فضاء إمبراطوري تحرك فيه التجار أحرارا ولمسافات طويلة، إذ كان لزاما توفير القانون، وعقد البيع القائم على التراضي (مثل الإمبتيو فينديتيو[١٨])، وضمان الغذاء وتوزيعه، وربما بناء الموانئ، كما تكشَّف في حالة أثينا القرن الرابع والإسكندرية البطلمية.

أدى غزو الإسكندر خلال أواخر القرن الرابع قبل الحقبة المشتركة إلى تدمير الإطار الإمبراطوري القديم الذي ميّز القرن الخامس قبل الحقبة المشتركة، بين أثينا وبلاد فارس. فتشكلت دول جديدة، وتبنت الدول الأقدم، تحديدا المدن اليونانية، تكيفات كبيرة في طريقة عملها، وتبدلت النظم المؤسسية للمجتمعات حول عالم البحر الأبيض المتوسط. وتنافست الدول بعنف فيما بينها على الموارد. كان الإطار الفوري هو القرن الرابع قبل الحقبة المشتركة، مُمَثَّلا في انهيار إطارين إمبراطوريين مهيمنين، هما أثينا وبلاد فارس، وظهور مقدونيا القديمة على المحيط اليوناني. كان من الصعب تحقيق التوازنات السياسية، إذ تمحورت الاهتمامات الفورية حول خلق ما أسماه أيزنشتات Eisenstadt "الموارد حرة الطفو" free-floating resources المحصورة ضمن رابطة الحرب-الموارد-العملة war-resources-coinage[١١٤]. وقد كانت الممالك الإقليمية الجديدة التي ظهرت ثم سيطرت على المشهد مختلفة "جذريا" عن المفهوم اليوناني القديم للدولة المدينية[١١٥]. فلم يفتح الإسكندر الإمبراطورية الأخمينية على العالم اليوناني وحسب، بل إن هذه الدول الجديدة تمتعت بوفورات حجم أكبر[١٩]. وكان مستوى التقنية العسكرية في الدول الهلنستية، وإنتاجية قاعدة مواردها، وتكاليفها الإدارية، عوامل قررت الحجم النسبي لكل دولة منها[١١٦].

أدى انتشار اللغة اليونانية بين النخب في الشرق الأدنى وفي مصر إلى خلق هويات جديدة وشبكات اجتماعية جديدة. على أنه ليس من اليسير قياس تأثير ذلك على النمو والأداء الاقتصاديين. فيما يتعلق بالمؤسسات الاقتصادية، كان الكثير منها قد تقادم مع وصول الإسكندر إلى مصر وبلاد ما بين النهرين. وفي حالة مصر، يجب أن نبدأ من القرن السابع قبل الحقبة المشتركة، وهي فترة تميزت

---

(١٨) الإمبتيو فينديتيو emptio-venditio عقد قائم على التراضي بين طرفين، ميّز القانون الروماني. [المترجم]

(١٩) تشير وفورات الحجم economies of scale إلى خفض التكلفة لكل وحدة بفضل زيادة الناتج الإجمالي أو زيادة حجم التعامل الإنتاجي أو التجاري. [المترجم]. [المترجم]

بإعادة الدولة المركزية على أيدي الملوك السايسيين، وأن تتوفر لدينا نوعية مختلفة من الأدلة، وأن نتعقب الاتجاهات عبر سبعة قرون بغرض قياس تأثيرات بناء الدولة. وبالنسبة للأجزاء الأخرى من العالم الهلنستي، حدث التغير السياسي بمعدلات مختلفة. وقد لعبت الجغرافيا والحرب والحظ، من بين متغيرات أخرى، دورا في عمليات بناء الدولة. على أن الدول الهلنستية الجديدة عندما ظهرت إلى الوجود، أحدثت تأثيرات عميقة في المجال العام/ المَلكي، وفي النشاط الاقتصادي الخاص من خلال مطالب الضرائب، وفي دوران العملة.

استأنفت الممالك اللوياثانية الثلاث الأنتيغونية والسلوقية والبطلمية الأشكال الإمبراطورية للدولة التي تتخذ من الأسرة المَلكية مبدأ سياسيا تنظيميا[٢٠]. وعلى البر اليوناني (بالدرجة الأولى)، تكتلت المدن في وحدات تعاونية أكبر (تسمى كوينون والجمع كوينا[٢١]) لإنجاز بعض الاحتياجات المركزية، وذلك أيضا استمرارية للعادات السياسية اليونانية[٢٢]. وقد اختلفت طبيعة الحكم الملكي لدى النظامين البطلمي والسلوقي جذريا عن النظام الأنتيغوني في أن الدولتين الأوليين كانتا نظامين

(٢٠) اللوياثان Levathian، أو التنين كما يترجمه البعض، اسم كائن بحري ضخم ورد ذكره في الكتاب المقدس، يستخدم للدلالة على قوة الدولة وسطوتها وشموليتها، وهي الدلالة التي نالها من اسم الكتاب الأساسي الذي وضع فيه توماس هوبز Thomas Hobbes (١٥٨٨-١٦٧٩) فلسفته السياسية التي أرساها على فكرة القانون الطبيعي والعقد الاجتماعي، لكنها جاءت- رغم ذلك- دعوة للحكم المطلق وتبريراً له، تأسيساً على إيمان هوبز بالطبيعة البشرية الشريرة وقوله إن حالة الطبيعة تميزت بحرب الكل ضد الكل، لذلك ذهب هوبز إلى أن الناس تنازلوا للسلطة، بمقتضى العقد الاجتماعي، عن كل حقوقهم في مقابل حفظها للأمن والحياة، ويعتبر هوبز بذلك من دعاة الحكم المطلق، وإن كان على أرضية سلطة الشعب والعقد الاجتماعي، وليس الحق الإلهي المقدس للملوك. لذلك تشير الصفة "لوياثانية" إلى الدولة الشمولية ذات السلطة المطلقة القوية. [المترجم]

ينسب الأنتيغونيون Antigonides إلى أنتيغونوس الأول الأعور Antigunus I Monophthalmus (٣٨٢-٣٠١ ق.ح)، حكمت دولتهم لبعض الوقت مقدونيا ومعظم آسيا الصغرى وشمال سورية، من عام ٣٠٦ ق.ح إلى عام ١٦٨ ق.ح. [المترجم]

(٢١) كوينون koinon (والجمع كوينا koina) كلمة يونانية تعني العام أو المشترك، لها تفسيرات كثيرة اجتماعية وسياسية، استُخدِمت للإشارة إلى حكومة الدولة المدينية، وكذلك الأحلاف السياسية التي نشأت بين الدول المدينية اليونانية مثل الحلف الإيوني والحلف الديلوسي، ويأتي في الفصل التاسع من الكتاب الحالي أيضا أنها استُخدِمت للإشارة إلى اتحادات التجار. [المترجم]

(٢٢) أي شكلت استمرارية لعادة الأحلاف السياسية بين الدول المدينية اليونانية مثل الحلف الإيوني والحلف الديلوسي. [المترجم]

شخصيين جديدين مقارنة بتقليد "المُلك الوطني" المقدوني[١١٧]. لكن أبعد من قضايا التعريف، توجد مشكلات في التقدير (أعداد السكان الموثوقة، والعائد السنوي المحدد للدول)، والجغرافيا الطبيعية والنطاقات البيئية المعقدة التي أدمجتها الدول الهلنستية، ودرجة الاندماج الاقتصادي بين الدول، وتفاوت المياه من سنة إلى أخرى (مياه المطر في شمال البحر الأبيض المتوسط والفيضان السنوي للأنهار في بلاد ما بين النهرين وفي مصر)، وبالتالي الإنتاج، وتأثير حركة السكان بين المناطق (مثل انتقال السلتيين/ "الغاليين" إلى العالم الهلنستي(٢٣)، والاستعمار الداخلي لأراضٍ جديدة، وتأسيس الملوك مراكز سكانية جديدة)، ونقل السكان من منطقة إلى أخرى[١١٨].

كانت رؤى أنصار دور الدولة statist views للاقتصاد البطلمي في مصر التعبير الأقوى عن دور الدولة القوية في إعادة تشكيل كامل الاقتصاد. فقد فهموا ما يسمى "الاقتصاد الملكي" economie royale على أنه النشاط الاقتصادي كاملا[١١٩]. لكن هذه الرواية جزئية وحسب، وتعتمد على السجلات الحكومية لوصف الاقتصاد "العام" أو الحكومي فقط[١٢٠]. غير أن البرديات عندما تُفهم معا، تقدم لنا عالما مختلفا تماما خارج النشاطات الاقتصادية الحكومية، وتذكّرنا بأن النشاطات الاقتصادية الخاصة في كل مكان في البحر الأبيض المتوسط لم تكن تسجل عادة، أو أنها فُقِدت[١٢١]. أما المؤسستان اللتان تركتا لنا قدرا كبيرا من المعلومات، وشهدتا تطورا كبيرا في كل مكان خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة، وارتبطتا بكل من الدول والاقتصادات العامة، فهما القانون والنقد، وهما ما أتناوله في الفصل التالي.

---

(٢٣) راجع حاشية سابقة حول السلتيين والغاليين. [المترجم]

الفصل السابع

تطور الفكر الاقتصادي في العالم القديم
النقد والقانون والمؤسسات القانونية
The Evolution of Economic Thought in the Ancient World Money, Law, and Legal Institutions

كيف يمكننا أن نقارن اقتصادات الثقافات المختلفة، ونقر في الوقت نفسه بأن كل جماعة متفردة من الناس تعرِّف الاقتصاد بطريقة مختلفة؟

—Wilk and Cliggett (2007: 34)

في الكثير من السياقات، لا يكون القانون أساسيا لصون النظام الاجتماعي.

—Ellickson (1991: 280)

يتقصى هذا الفصل العمليات التطورية التي ربطت مفاهيم التبادل والمؤسسات القانونية بالتغير المؤسسي. يقدم الألف الأول قبل الحقبة المشتركة مصادر ثرية لفهم التطورات الرئيسة في الفكر الاقتصادي، التي رُبِطت بالتغيرات في الاقتصاد السياسي وتطور المؤسسات الاقتصادية. ويثبت تقصي مؤسستين رئيستين، هما النقد والقانون، أهمية دور كل من الثقافة والدولة. وقد عملت هاتان المؤسستان على نحو شديد الاختلاف في المجتمعات التي نناقشها، لكن في كل الحالات لعبت الدولة دورا حاسما في التغير الثقافي والاقتصادي. وكانت حركة السكان هي الأخرى قوة دافعة قوية للتغيير. وبوجه عام تكشِف الاختلافات الثقافية في الزواج ونظم الميراث ومفهوم المِلكية الخاصة والمؤسسات

القانونية عن اختلاف وتفاوت عبر عالم البحر الأبيض المتوسط خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة، مع التأكيد في الوقت عينه على أن الثقافات القانونية المصرية والبابلية والكلاسيكية تشترك جميعها في بعض السمات الأساسية التي تدحض طريقة التفكير من منظور قسمة "الشرق-الغرب"[١].

يتجلى ذلك في أوضح صوره في حالة الحقبة الهلنستية التي جاءت خلالها الجماعات اليونانية واليهودية إلى موطنهم الجديد في مصر ومعهم تقاليدهم القانونية الخاصة التي حافظت عليها الدولة الجديدة. وكذلك عمل تكوين أنماط الهيمنة السياسية الجديدة خلال الحقبة الهلنستية على إعادة تشكيل المؤسسات القانونية والاقتصادية. كان مفهوم المِلكية الخاصة، تحديدا الممتلكات غير المنقولة real property، على الرغم من تفاوته الواسع، موجودا في كل مجتمعات البحر الأبيض المتوسط ما قبل الحديث. وكان من السمات المميِّزة في الشرق الأدنى وفي مصر أن الأرض كانت مرتبطة بخدمة الدولة، وأن الحقوق الشخصية كانت منضوية ضمن إطار مؤسسي أكبر تميّز بادعاءات متداخلة، وأن الحقوق عموما كانت تحوزها الأسر. ومع أن البيع الخاص للأرض مُوَثَّق في الحالتين، فإن مدى الصفقات السوقية ودرجة عدم انضواء الحقوق الشخصية في الأرض ما تزال محل جدل. وربما لم تكن المِلكية الخاصة الشخصية في مناطق الري حلا مثاليا على أي حال من الأحوال.

إنه تضاد مهم بين الشرق الأدنى ومصر من جانب ومن جانب آخر العالم الكلاسيكي الذي يبدو أن الفرد فيه- في مقابل جماعة القرابة- كان مركزيا في كتابات زينوفون وأفلاطون وأرسطو خلال القرن الرابع قبل الحقبة المشتركة[٢]. كان "علم الاقتصاد" بالنسبة لليونانيين، كما رأينا، يعني الإدارة المنزلية بالمعنى الحرفي للكلمة. ومع أن اليونانيين ربما كانوا أول من فصَّل القول في الاختلافات الأساسية بين القرارات الاقتصادية المنزلية أو المحلية والقرارات على مستوى الدولة، فإن هذه الاختلافات وُجِدت أيضا في مجتمعات الشرق الأدنى ومصر.

تبيّن الكتابة التحليلية لزينوفون وأرسطو أن الكثير من المفاهيم التي طُورت في كتابات لاحقة وأصبحت جزءا من علم الاقتصاد الحديث كانت حاضرة، منها تقسيم العمل، والمنفعة الحدّية، والتبادل السوقي، وخصائص النقد، والتوازنات السياسية القصوى[٣]. على أن ذلك، كما يقال كثيرا، لا يعني بالطبع أن علم الاقتصاد كمجال للتحليل قد وُجِد خلال العصر القديم، أو أن الفكر المجرد قد طُبِّق على اهتمامات البشر اليومية[٤].

بيد أنه لا يتوفر لدينا شيء غير بعض الحِكَم والأمثال العامة من أدب الحكمة حول النظرة إلى العالم لدى المصريين أو الآشوريين أو البابليين، ولا يتوفر لدينا أي نوع من التنظير المنظم حول القانون أو الاقتصاد لديهم. على أن المعابد وطبقة الكهنة لكونهم المدراء المحليين للموارد الاقتصادية ربما أنتجوا تفكيرا مجردا ضمن ما نعده اليوم "علم الاقتصاد"، لكنه كما ذهب كِمب قد يكون "مدى من الممارسات الفردية أكسبها القِدم قيمة"[٥]. وينبغي التنبيه إلى أن الرهبان الأوروبيين وغيرهم لم ينتبهوا إلى هذا الإرث بسبب احتباس النصوص المصرية والبابلية حتى القرن التاسع عشر(١). غير أن هناك الكثير مما يمكن إعادة بنائه حول المعايير والمعتقدات الثقافية المتعلقة بالحياة الأسرية والتبادل والعديد من القضايا في مصر والشرق الأدنى القديمين، التي يمكن أن نتناولها من منظور اقتصادي، مع أنهم تناولوها من منظور الحياة اليومية أو حل المشكلات. فحيكاناخت الذي قابلناه في موضع سابق، عندما حسب ميزانيات الاستهلاك لصنع القرار بشأن تأجير الأرض وبيع ثور لأن الأسعار ارتفعت، "كان يعيش علم الاقتصاد بدلا أن يُنَظِّر لهذا العلم"[٦]. وقد كان الأدب وسيطا شائعا لنقل الحكمة العامة التي تراكمت بلا شك من قرون من سرد الحكايات ليلا حول النيران، وهو إرث لا يختلف عن هسيودوس. ويأتي بين أمثلة ذلك الأدب "حِكَم أونخششونقي" The Wisdom of Onchsheshonqy، وهو نص مصري كُتب خلال الحقبة البطلمية، تضمن حِكَما يتعلق نحو عُشرها بالزراعة، وترجع على الأرجح إلى فترات أقدم كثيرا[٧]. كان للأدب التعليمي شعبية واسعة، وكان وسيلة جذابة لنشر المعايير الثقافية، وظل موجودا حتى استخدمه البطالمة في مصر لتعليم الموظفين حول واجبات وظائفهم وتوقعاتها، وكذلك استخدموه لنشر غايات الدولة من الاقتصاد العام[٨].

النقد والعملة

يعد تطور النقد ونمو استخدام العملة في الاقتصادات عبر البحر الأبيض المتوسط خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة أحد أهم الموضوعات في دراسة الاقتصادات ما قبل الحديثة. ومن اللافت للانتباه أن هذا التطور مُثْبَت في نفس الوقت في أجزاء أخرى من العالم[٩]. على أن النقد الذي قد يكون

(١) أي احتباسها إلى أن فُكّت رموز الكتابة المصرية الهيروغليفية والديموطيقية في عام ١٧٩٩، ورموز الكتابة المسمارية السومرية في عام ١٨١٥. [المترجم]

أبعد جوانب الاقتصادات ما قبل الحديثة عن اكتمال فهمه، يعد موضوعا شديد التعقيد تاريخيا ونظريا، وقد دُرِس من زوايا كثيرة مختلفة. وقد أكد ميكل Meikle على دور النقد في العالم القديم باعتباره الموشور الرئيس الذي يمكن أن نفهم من خلاله الاختلافات بين الاقتصادات القديمة والحديثة[١٠]. تتراوح الأعمال التي نُشرت مؤخرا من فهم "القيمة التبادلية" وأصول النقد وعلم اجتماع النقد والتاريخ الثقافي للنقد إلى الدراسات الكمية التفصيلية لخبايا العملات[١١](٢). أما الجانب الذي قد يكون أكثر عطاء، فهو دراسة النقد في سياق علم الاقتصاد العصبي، وفهم النقد على أنه "مُعَزِّز" وجزء من نفس الآلية العصبية لنشاط طلب اللذة، ويأتي بعد ذلك الفهم المعياري للنقد على أنه "وسيط تبادل للأغراض العامة"[١٢]. كان النقد "الأساس للمجتمعات الأولى واسعة النطاق في العالم في الشرق الأدنى القديم خلال الألف الثالث قبل الحقبة المشتركة"[١٣]. وإلى جانب تعريفات الكتب الدراسية الكلاسيكية للنقد money (كونه وسيطا للتبادل ومخزنا للقيمة ووسيلة للدفع ووحدة للحساب)، انشغل المُنَظِّرون الاقتصاديون منذ وقت بعيد بتعريف "السمة النقدية" moneyness، أي السمة المميّزة وظيفيا للنقد[١٤]. وقد ذهب سيفورد Seaford إلى أن النقد يتميز بسبع خصائص أساسية هي:

١. له قيمة تتمثل في قدرته على تلبية الالتزامات
٢. ينحو إلى القياس الكمي
٣. يمكن أن يوفر مقياسا للقيمة
٤. يتمتع بالقبول العام
٥. يتمتع بالقبول الحصري
٦. يعتمد على الائتمان
٧. يمكن أن تشارك الدولة في إصدار النقد وضبطه وضمانه[١٥].

وفي معرض شرح هذه الخصائص، أبرز تحليل سيفورد دور العملة في العالم اليوناني، وأنكر أن الفضة في الشرق الأدنى خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة تمتعت بالخصائص المميِّزة للنقد. لكن دراسة جورسا التفصيلية لاستخدام كل من الفضة والسلع في نظام التبادل في الإمبراطورية البابلية الحديثة تقترح أن الاثنين هنا، والفضة في حالة مصر، قاما بوظيفة النقد بداية من منتصف الألف الأول قبل الحقبة

(٢) راجع حاشية سابقة، حول القيمة التبادلية. [المترجم]

المشتركة، إن لم يكن قبل ذلك، وأن الفضة لعبت دورا في اقتصادات الشرق الأدنى خلال العصر البرونزي أهم كثيرا من دورها في مصر، وهو ما يرجع يقيناً إلى افتقار مصر إلى مصادر للفضة[١٦].

لم يكن النقد موضوعا أقل تعقيدا بالنسبة لمؤرخي العصر القديم، إذ يرجع الجدل حول طبيعة النقد إلى حركة "جدل مناهج" في العلوم الاجتماعية التاريخية في ألمانيا. وكذلك كان النقد (وارتباطه بالبنوك) أحد نقاط الخلاف الرئيسة في الجدل حول وجود رأسمالية ما قبل حديثة[١٧].

يتميز النقد بـ"طبيعة مزدوجة"، فهو في آن معا شيء مادي وتجريد، ويخدم الأفراد، لكن يمكن للمجتمع عموما أن يستولي عليه، كما أنه أداة للسلطة السياسية ورمزا للسيادة[١٨]. يُفهم النقد عموما في النظرية الاقتصادية باعتباره وسيطا للتبادل، بمعنى أنه سلعة قابلة للتبادل، أو رمز لتلك السلعة، أو رمز لمعيار سلعي[١٩]. لكن النقد أكبر من ذلك. فللنقد بحسب هيرمان بيلاث Herrmann-Pillath مكون وجداني. ويمكن إرجاع نظرية النقد في علم الاقتصاد إلى النظرية السلعية commodity theory عند أرسطو التي كانت في جوهرها حجة أخلاقية حول الاستخدام السليم للنقد. وقد بحث كارل مينغر عن أصول النقد في التبادل السلعي commodity exchange[٢٠]. وعلى ذلك فإن النقد يعبر في الوقت عينه عن "علاقات اجتماعية"، بمعنى أنه "دَين قابل للتحويل"، تأسيسا على دوره الأساسي باعتباره وحدة حسابية[٢١]، أي وسيط تبادل قابل للتحويل بطريقة مباشرة، لكنه أيضاً "تمثيل رمزي لمعيار سلعي"[٢٢]. لكن هذا التناول يترك العديد من الأسئلة الأساسية مفتوحة، منها على سبيل المثال "ما النقد؟ وما الذي يفعله النقد؟ وكيف يُنتَج، وكيف يتقبله المجتمع، وكيف تتحدد قيمته"؟[٢٣] إن النقد تعهد، وينطوي على الثقة، ولا ينشأ من التبادل، بل من فكرة الدَين ومن مفهوم النقد الحسابي[٢٤](٣). وقد كان الفيرغيلد شكلا مبكرا للنقد، وهو تحديد مجرد "للقيمة" للتعويض عن الإصابات(٤). وقد لعبت الدول بقدرتها على خوض الحروب دورا مهما في تطور النقد والعملة وتنظيمها[٢٥].

---

(٣) النقد الحسابي money of account وحدة نقدية تُستخدَم في إمساك الحسابات، قد يوجد أو لا يوجد عملة مكافئة لها. [المترجم]

(٤) كان الفيرغيلد Wergeld أو "سعر الإنسان" قيمة محددة لكل كائن حي وكل نوع من الممتلكات في القانون الصالي الفرنكي Frankish Salic Code، فإذا سُرقت ممتلكات أو أُصيب إنسان أو قُتل، فإن المدان كان عليه أن يدفع الفيرغيلد ديةً أو تعويضا للمالك أو أسرة الضحية. [المترجم]

أما دور النقد في الاقتصادات القديمة، فهو موضوع آخر أثار جدلا حاميا على مدار قرن من الزمن[٢٦]. ذهب فينلي إلى أن النقد لعب دورا ضئيلا في الاقتصادات القديمة، ذلك أن انتشار العملة كان مقصورا بالدرجة الأولى على المدن، وكانت في الغالب في شكل عملة معدنية، ولم تؤثر على عرض السلع أو طلبها، ولم يكن لها قيمة ائتمانية، ولم تؤثر على الأسعار السوقية، لأن العملات كانت متداولة ضمن إقليم سياسي بعينه، ما جعل التبادل النقدي عبر الحدود السياسية صعبا[٢٧]. لكن فون ريدن von Reden يرى أن الاتجاه المعاكس نال القسط الأكبر من التركيز خلال السنوات الأخيرة، إذ تكاثرت الدراسات حول تأثيرات العملة والتحول النقدي في اقتصادات البحر الأبيض المتوسط، من إدخال العملة إلى اليونان، إلى تأثيرات الاستخدام المتزايد للعملة في النظم الجبائية للدول الهلنستية[٢٨]. وكذلك تكاثرت الدراسات التقنية للعملة والوحدات النقدية وإنتاج العملة ودورانها[٢٩].

إن استخدام النقد الحسابي مُوَثَّق جيدا في نصوص الشرق الأدنى ومصر. وقد كانت المعادن النفيسة رموزا للسلطة والهيبة في الدوائر المَلكية ودوائر المعابد منذ الألف الثالث قبل الحقبة المشتركة. وتكفي نظرة على القناع الذهبي للملك توت غنخ آمون لفهم أن الذهب في مصر كان معدنا عظيم القيمة، وأن الفراعنة بذلوا طاقة كبيرة وعمل العبيد لاستخراجه من المناجم الواقعة في الصحراء الواقعة شرق النوبة، و"النوبة" كلمة مصرية مشتقة من الكلمة التي تعني "الذهب". ويعد الذهب مثالا آخر للموارد المعدنية التي لعبت دورا في التوسع الإمبراطوري والتجارة. وحتى في مصر نفسها، كانت الفضة شكلا للنقد جنباً إلى جنب مع الذهب خلال الألف الثاني قبل الحقبة المشتركة[٣٠]. كما لعبت الحبوب دورا رئيسا باعتبارها وسيطا للتبادل ووحدة حسابية في كل من الشرق الأدنى ومصر. وبحلول الألف الأول قبل الحقبة المشتركة، كانت الفضة قد أصبحت شكلا دوليا لمعيار القيمة بغرض التبادل، إذ كانت تستخدم باعتبارها سلعة ونقدا. وقد كان لذلك تأثيرات سياسية محددة، منها على سبيل المثال أن مصر ودول الشرق الأدنى افتقرت إلى مصادر الفضة، وكان عليها بالتالي أن تتاجر من أجلها، وهو ما لعب دورا في التبادل بين الدول، وفي النهاية خلال الحقبة البطلمية في سياسة العملة المغلقة إبان القرن الثالث قبل الحقبة المشتركة، ومع الوقت تركيزها على العملات البرونزية[٣١](٥).

(٥) العملة المغلقة closed currency هي العملة غير المتاحة للشراء في البلاد الأخرى غير بلد منشأها. [المترجم]

وجد الاستخدام المتزايد للفضة باعتبارها نقدا في التجارة والأجور والضرائب، أو ما يسميه فان دير اشبيك van der Spek التعامل بالفضة silverization[٣٢]، قوة دافعة له في طلب الدولة للضرائب وفي التجارة. كان ذلك جزءا من اتجاه واسع نحو مؤسسات جبائية جديدة خلال العصر الحديدي، ومن الواضح أن هذه الإصلاحات حدثت في الشرق الأدنى وفي مصر وفي العالم اليوناني خلال القرن السادس قبل الحقبة المشتركة. لكن الفضة كانت تستخدم في مبيعات الأراضي منذ الألف الثالث قبل الحقبة المشتركة، وكان النحاس والشعير يستخدمان باعتبارهما قيمة ثابتة لمبادلة الأشياء الأخرى. وهناك أدلة كافية على أن التحول النقدي لاقتصادات الشرق الأدنى قد حدث منذ تاريخ مبكر:

> تثبت الخبايا التي سبق ذكرها أنه بداية من العصر البرونزي المبكر حتى العصر الحديدي كانت اللفات coils وكسور اللفات fractioned coils مُثْبَّتة جنبا إلى جنب مع قوالب فضية مختلفة الأنواع ومعادن خردة. من الواضح أن كل أدلة الكتل الفضية المكتشفة في الشرق الأدنى توضح أن توحيد القوالب، إن وجد فعلا، قد طُبِّق لأسباب عملية، هي تحديداً تيسير إجراءات الوزن وتسريعها، والسماح بعملية الكسور والنقل. ويمكننا أن نتحدث عن استخدام الفضة باعتبارها نقداً عندما يكون لها دوران عادي تستخدم فيه باعتبارها وسيلة للدفع، وعندما تستخدم باعتبارها معيارا للقيمة أو باعتبارها تراكما للثروة. ومن الواضح أن هذه "الوظائف النقدية" مُثْبَتة جيدا في بلاد ما بين النهرين في نهاية عصر فجر السلالات، كما يؤكد تحليل الفضة في محتويات الخبايا[٣٣](٦).

كان القرنان السابع والسادس قبل الحقبة المشتركة في عالم البحر الأبيض المتوسط فترة مهمة لتاريخ النقد[٣٤]. فقد كانت فترة انتقالية، أو ما أسميه فترة تطورية evolutionary period، بين النقد المعدني الموزون وظهور العملة وانتشارها. كانت العملة مؤسسة تحويلية في التاريخ الاقتصادي، ومثالا جيدا لما أسماه آرثر Arthur "تقنية جديدة" نشأت من "الجمع بين تقنيات سابقة أو دمجها معا"[٣٥]. كان هذان القرنان فترة التفاعل بين الشرق الأدنى والعالم اليوناني، التي لعب الفينيقيون

(٦) عصر فجر السلالات ED period ثقافة أثرية في بلاد ما بين النهرين القديمة تُؤرّخ عموما للفترة ٢٩٠٠-٢٣٥٠ ق.ح، تلت فترتي أوروك وجمدة نصر، شهدت تطور نظام الكتابة وتكوّن المدن والدول الأولى. [المترجم]

خلالها دورا بالغ الأهمية في هذه المرحلة "التَشَرُّقية" من التاريخ اليوناني المبكر(٧). وفي مصر، ثمة مقابل لهذه السرعة المتزايدة في التبادل التي تتكشَّف في هذا التاريخ النقدي، هو انتشار الكتابة الديموطيقية الجديدة خلال القرنين السابع والسادس قبل الحقبة المشتركة، وهي نظام كتابة سريع في كتابته، أريد به جزئيا على الأقل تسجيل العقود الخاصة بمزيد من السرعة. فقد كانت السرعة الاقتصادية للتبادل في العالم القديم تتزايد.

يناقش جورسا تحول الشرق الأدنى خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة[٣٦]. تغطي مناقشته التفصيلية للنقد، تحديدا استخدام الفضة في الإمبراطورية البابلية الحديثة، كلا من النشاط المؤسسي والنشاط الاقتصادي للقطاع الخاص، وفي النظام الجبائي الحكومي، وفي عمل العبيد والعمل المأجور[٣٧]. تثبت الأجور الفضية "التحول النقدي المتزايد لاقتصادات المعابد"[٣٨]. وقد كان اقتصاد الإمبراطورية البابلية الحديثة "مزدوجا"، إذ قام على كل من التبادلات العينية والتبادل بالفضة[٣٩]، إذ ظلت التمور والأصواف تستخدم وسيطا للتبادل، ومن الواضح أن الفضة كانت تستخدم باعتبارها "نقدا حسابيا"[٤٠]. نسفت مراجعة جورسا التفصيلية للأدلة البابلية الفكرة القديمة عن نموذج إعادة التوزيع الذي يمثل كل النمط الاقتصادي في الشرق الأدنى القديم كما افترض بولاني وأيده فينلي. وكذلك لعبت الإمبراطورية الأخمينية التالية دوراً تدخلياً أقوى مما كان يُعتقَد في السابق في ضمان الدولة لجودة الفضة وضبط أسعار الفائدة[٤١]. كما يتضح أن الفضة كانت تستخدم في التبادلات اليومية "صغيرة القيمة"، وبالتالي انتشرت أوسع كثيرا مما كان يُعتقد في السابق. فقد كان التبادل النقدي بين المعابد والمؤسسات الأخرى سمة مميزة لاقتصادات المعابد، كما أن الفضة مُوَثَّقة جيدا في التبادلات الخاصة.

---

(٧) المرحلة التَشَرُّقية orientalizing phase فترة تاريخية في تطور الثقافة والفن في اليونان العتيقة بدأت في أواخر القرن الثامن قبل الحقبة المشتركة مع تعاظم تأثير حضارات شرق البحر الأبيض المتوسط والشرق الأدنى الأكثر تطورا وتعقيدا على الثقافة والفن اليونانيين، ومن ضمن ذلك أخذ الأبجدية اليونانية والأبجدية الكارية عن الأبجدية الفينيقية. [المترجم]

بدأت الفضة تلعب دورا أهم في التبادل الخاص في مصر بحلول القرن السادس قبل الحقبة المشتركة. وقد كانت المعابد، وعلى رأسها معبد الإله بتاح في منف(٨)، بالغة الأهمية في وضع معايير الأوزان وفي ضمان الجودة[٤٢]. وتكتسب دراسات خبايا العملات في مصر أهمية خاصة، لا سيما ما يسمى الخبايا المختلطة التي احتوت عملات وقطعا مكسورة من الفضة. تثبت هذه الأدلة أن مصر قد "تحولت إلى النقد"، بمعنى أنه كان هناك مفهوم للنقد في شكل فضة موزونة يضمنها معيار المعبد، وذلك قبل وقت طويل من الاستخدام الأوسع للنقد المسكوك خلال الحقبة البطلمية[٤٣]. على أنه من الصعب معرفة مستوى "التحول النقدي" بناء على خبايا العملات وذكر الفضة في عدد من البرديات الوثائقية. لكن المبيعات الخاصة والقروض المعروفة خلال القرن الثامن قبل الحقبة المشتركة تبيّن أنهم تعاملوا مع الفضة الموزونة باعتبارها سعراً[٤٤]. وبدأت الخبايا المختلطة الظهور في السجل المصري خلال القرن السادس قبل الحقبة المشتركة[٤٥].

كانت عملية التحول النقدي لاقتصادات البحر الأبيض المتوسط موضوعاً رئيساً للتحليل خلال السنوات الأخيرة[٤٦]. وقد فُهمت عموما في سياق ظهور العملة وانتشار استخدامها، لكن ثمة تاريخ أطول جدير بالتقصي. فقد كان دور الدولة هنا بالغ الأهمية. ففي حالة اليونان، ذهب بعض الدارسين إلى أن التحول النقدي كانت له تأثيرات عميقة على العلاقات الاجتماعية، إذ فصم العلاقات الأسرية، ومكّن الدولة من التدخل في العلاقات الاجتماعية وفي كل الفكر اليوناني[٤٧]. وقد حدثت عملية مماثلة في شريعة حمورابي Hammurabi Law (راجع ما يلي). وفي أثينا، أدت مطالب الدولة المتعلقة بدفع الضرائب والغرامات والمستحقات بالعملة إلى انتشار الأخيرة، وبالتالي عملية التحول النقدي[٤٨]. كان ذلك هو القصد أيضا في مصر البطلمية التي عرفت بعض الضرائب التي تحتسب وتطلب بالعملة. على أن الجدل ما يزال يحيط بمدى عمق اختراق التحول النقدي للمجتمع التقليدي المحلي. غير أن القصة اليونانية مختلفة، فالتحول من عالم ما قبل العملة إلى عالم العملة، والوحدات المعدنية المختومة موحدة الحجم التي تحتوي رمزا تفويضيا يضمن القبول الواسع، والانتشار في الدول المدينية اليونانية، كانت كما يذهب البعض ثورة ونقطة تحول رئيسة في التاريخ الاقتصادي الأوسع لعالم

---

(٨) بتاح ptah، في الميثولوجيا المصرية، هو خالق منف وإله الحرفيين والمهندسين، كان واحدا من ثالوث منف، وزوج سخمت Sekhmet ووالد نفرتم Nefertum. [المترجم]

البحر الأبيض المتوسط[٤٩]. فقد حدث تطور متلازم للنقد المسكوك والدولة، وارتبط هذا التطور المتلازم أيضا بتطور القانون (راجع ما يلي).

إن فهم العلاقة بين المعدن الموزون الموحد والعملة المختومة، وتأثير التبادل غير الشخصي على البنية الاجتماعية وعلى الفكر البشري، يستلزم تعيين السبب والنتيجة في عالم الألف الأول قبل الحقبة المشتركة سريع التغير. هل كانت العملة سبب التحول الاجتماعي أم كانت نتيجة له؟ فلم يكن تطور الأسواق هو ما تطلب ظهور النقد، بل إن ما حدث هو عكس ذلك تماما، ذلك أن "الظهور التطوري لشيء مصنوع له السمات المبكرة للنقد جعل ظهور الأسواق ونموها ممكنين، وهو ما حدث أيضا في التحول نحو الوظائف الاشتقاقية للنقد"[٥٠](٩).

"اختُرِعت" العملة في ليديا التي كانت تقع في غرب تركيا الحالية في وقت ما من القرن السابع قبل الحقبة المشتركة. ويأتي الدليل الأول على ذلك من معبد آرتيميس في إفسوس(١٠). لكن الأسباب وراء "اختراع" العملة، وتأثير العملة على الاقتصادات المحلية، ما يزالان محل جدل[٥١]. يكتسب موقع الاختراع أهميته من جانبين، أولهما أن ليديا تقع في مكان وسط بين عالمي الشرق الأدنى واليونان، وثانيهما أن أقدم العملات سُكَّت من الإلكتروم(١١)، وهي سبيكة طبيعية من الفضة والذهب، موطنها ذلك الجزء من الأناضول. فقد اجتمع موقع ليديا ووسيط العملة الأقدم لييسرا التلاقح الثقافي:

كانت العملات الأصلية الأولى التي نشأت في ليديا تصنع من الإلكتروم، وهو سبيكة من الفضة والذهب. لذلك يمكن تفسيرها بطريقة مختلفة في المجتمعين، وهو ما يسرّ تبادل العلامات

(٩) إلى جانب الوظائف الأولية للنقد، وهي كونه وسيطا للتبادل ومقياسا للقيمة، للنقد وظائف اشتقاقية derivative functions مثل كونه مخزنا للقيمة ونقل القيمة أو القوة الشرائية. [المترجم]

(١٠) راجع حاشية سابقة حول مملكة ليديا. [المترجم]

إفسوس Ephesos مدينة يونانية قديمة على ساحل إيونية في محافظة إزمير التركية الحالية، اشتهرت بمعبد آرتيميس Artemis إلهة الصيد والبرية والإنجاب والخصوبة وحامية الأطفال في الميثولوجيا اليونانية، الذي كان أحد عجائب العالم القديم السبع . [المترجم]

(١١) الإلكتروم أو الكهرمان المعدني electrum سبيكة مصفرة طبيعية المنشأ من الذهب والفضة والقليل من النحاس والمعادن الأخرى، وكانت تنتج اصطناعيا، تعرف عادة باسم الذهب الأخضر، وأسماها اليونانيون الذهب أو الذهب الأبيض. [المترجم]

والسلع عبر الثقافات. علاوة على أن الناس بغرض اختبار جودة العملات، كانوا يصنعون فيها حزوزا، ما أدى إلى الحزوز punchmarks التي ظهرت لأول مرة دون قصد. وعندما انتشرت العملات، اكتشف الناس الاستخدام الممكن للحزوز باعتبارها علامات على أصالتها، وبداية من هذه اللحظة، بدأت عادة سكّ العملة، مع الاستخدام الأولي للحزوز باعتبارها علامات. يتحدث هوتر Hutter عن تأرجح بين فكرتي "المعدن المُعَّلم" signed metal و"العلامة المعدنية" metal sign. وسرعان ما أعيد دمج العملات الجديدة في العالم السياسي والديني عندما تبنى الحكام المحليون مؤسسة سكّ العملة[٥٢].

ربما لعبت طبيعة الإلكتروم ذاته، ومحتواه المعدني المتباين، دوراً في إيجاد مؤسسة موحدة تضمنها الدولة تتجنب وزن المعدن واختباره في كل صفقة. وقد كان كرويسوس Croesus الشهير (حكم ٥٦٠-٥٤٧ ق.ح) هو من اتخذ الخطوة الأخيرة في تطوير العملة الأولى بالاستعاضة عن الإلكتروم والمعدن الموزون بعملة فضية وذهبية[٥٣]. ثانيا، لعب موقع مناجم خام الفضة دورا بالغ الأهمية في تلك التطورات. فلا شك أن اكتشاف (أو إعادة اكتشاف) منجم الفضة في لاوريون Laurion الواقعة في أتيكا خلال أواخر القرن السادس قبل الحقبة المشتركة، كانت له تأثيرات قوية في المجال العسكري (بناء السفن) وفي مجمل الحياة الاقتصادية لأثينا، وبالتالي في مكانة أثينا الفريدة ضمن العالم اليوناني[٥٤]. وأصبح استخدام العملة شائعا في صقلية بحلول منتصف القرن السادس قبل الحقبة المشتركة[٥٥].

إن خبايا قوالب المعادن النفيسة والحُلي التي شملت أكياسا من القطع المعدنية موحدة الوزن، التي وجدت في قيليقية وشمال بلاد ما بين النهرين وجنوب سورية وفي أماكن أخرى تثير تساؤلات حول "اختراع" العملة في ليديا خلال القرن السابع قبل الحقبة المشتركة[٥٦](١٢)، علاوة على أنها اختُرِعت على نحو مستقل في مكان آخر أو ربما مكانين في التاريخ العالمي، هما الصين والهند، في نفس الوقت على وجه التقريب[٥٧]. تكمن الأسباب وراء هذا الاختراع، وهو فعلا اختراع تقني، في أنماط التبادل بين الشرق الأدنى ومصر والعالم اليوناني وإرث الفضة الموزونة الطويل في الشرق الأدنى الذي ربما استلزم اختراع مؤسسة مماثلة في العالم اليوناني[٥٨].

---

(١٢) قيليقية Cilicia منطقة تاريخية على الساحل الجنوبي للأناضول، تتطابق مع المحافظات التركية الحالية مرسين Mersin وأضنة Adana وعثمانية Osmaniye وهاتاي Hatay. [المترجم]

رأينا في أماكن أخرى أن التلاقح الثقافي كان قوة دافعة مهمة للابتكار والانتشار. وقد كانت السبائك الموزونة كذلك سمة لاقتصاد اليونان العتيقة وما تلاها[٥٩]. على أن أصول العملة يمكن تتبعها أعمق من ذلك كثيرا في الماضي إلى مصر والشرق الأدنى القديمين. فالتتجير واسع النطاق مُوَثَّق جيدا في اقتصادات المعابد، لا سيما في الإنتاج الزراعي وفي التجارة محدودة النطاق، كما أن الوحدات المعدنية الكسرية الموزونة التي تسمى الفضة المجزأة أو المعدن "المجزأ" والفضة الموزونة المعيارية معروفة في الدولة الحديثة المصرية[٦٠](١٣). لكن العملة الفعلية في البحر الأبيض المتوسط، وكذلك في الهند والصين، بدأت تلعب دورا أهم في الاقتصادات الحكومية خلال القرن الرابع قبل الحقبة المشتركة. وفي الإمبراطورية الأخمينية، لم تكن هناك عملات معدنية قبل القرن الرابع قبل الحقبة المشتركة، لكن الفضة المختومة الأولى في عهد داريوس الأول Darius I التي تسمى السيغلوس قامت بوظيفة العملة[٦١](١٤). ومن الكاشف أن أول عملة تظهر في مصر كانت التترادراخمة الأثينية التي عُرِفت بداية من نهاية القرن الخامس قبل الحقبة المشتركة، لكن يرجح أنها انتشرت قبل ذلك[٦٢](١٥).

أنتجت الأعمال حول النظام النقدي في الشرق الأدنى القديم خلال السنوات الأخيرة حججا مضادة "للاختراع" الفردي اليوناني للعملة[٦٣](١٦). من ذلك على سبيل المثال أن فارغياس Vargyas يذهب إلى أن اقتصاد السوق النقدي في بلاد بابل خلال القرن السادس قبل الحقبة المشتركة كان يتطور في الوقت نفسه الذي كانت العملة فيه تمارس تأثيرها على العالم اليوناني، بل إن "الفضة مسبقة الوزن" preweighed silver الموضوعة في أكياس مختومة المُثْبَتة في أوائل الألف الثاني قبل الحقبة المشتركة، واستخدام الأوزان المعيارية المنقوشة، كانت أجزاء مهمة في تطور النقد المسكوك[٦٤]. وينتهي الجدل

(١٣) الفضة المجزأة hacksilber (بالألمانية، وبالإنجليزية Hacksilver) قطع من الفضة المجزأة والمثنية، استخدمت كسبائك وعملة بالوزن في العصر القديم. [المترجم]

(١٤) السيغلوس siglos (والجمع سيغلوي sigloi في اليونانية القديمة، ربما تكون مأخوذة من العبرانية شيكل shekel التي أخذت بدورها من الأكدية شيكلو šiqlu) عملة فضية في بلاد فارس الأخمينية كانت تساوي واحدا من عشرين من الدريك الفارسي draic وتزن نحو ٦ , ٥ غراما. [المترجم]

(١٥) التترادراخمة tetradrachm (تعني الأربع دراخمات) عملة يونانية قديمة تساوي أربع دراخمات، انتشرت بين نحو عامي ٥١٠ و٣٨ ق.ح. [المترجم]

(١٦) لاحظ أن ليديا التي يقال إن العملة اخترعت فيها كانت مملكة يونانية في الأناضول. [المترجم]

حول ما إذا كانت الأوزان المعيارية نقدا أم لا إلى مدى "قبولها العام" ونطاق صفقات السوق. وتظهر العملات الأثينية الأولى في الوقت نفسه في منتصف القرن السادس قبل الحقبة المشتركة للمساعدة في التبادل عبر المسافات الطويلة بحسب أرسطو[٦٥]. وكذلك كانت العملة واسعة الاستخدام في الغرب اليوناني (إيطاليا وصقلية) بحلول منتصف القرن السادس قبل الحقبة المشتركة[٦٦].

ليس مصادفة- إذن- كما لاحظ جوناثان هول Jonathan Hall، أن هذه الفترة شهدت توسع التجارة اليونانية خلال نقراطيس في مصر، وأن الاستخدام الأول للعملة في العالم اليوناني كان في مدينة أجانيطس التي كانت فاعلا نشطا في هذا الميناء المصري[٦٧](١٧). وما يزال انتشار الفضة إشكاليا، لكن من الواضح أنه كان شكلاً مبكراً من النقد في العالم اليوناني.

ازدهرت أثينا بفضل مواردها المحلية من الفضة. وكانوا قبل ذلك يستخدمون الفضة الموزونة، ثم جاءت نقطة التحول في أثينا القرن الخامس قبل الحقبة المشتركة، إذ لعبت المدينة اليونانية الدور الرئيس في تحويل المسكوكات إلى رموز للسيادة. ففي أثينا القرن الخامس قبل الحقبة المشتركة، وبدرجة أكبر خلال القرن الرابع قبل الحقبة المشتركة، أصبح النقد "مرنا"، وبات يستخدم للدفع في الكثير من مناحي الحياة العامة، وفي التمويل البحري، وفي دفع أجور المُحَلّفين، وفي أشغال البناء العامة، وفي صفقات الاقتصاد الخاص في الريوع والقروض وتأجير الأراضي والمهور[٦٨]. وقد أكدت دراسة جون ديفيز "للخبرة الجبائية الأثينية" على نمط الدفع للدولة ومن الدولة. وانتقلت هذه الخبرة إلى أماكن مثل مصر خلال القرن الرابع قبل الحقبة المشتركة. وقد يسّرت العملات، من بين أشياء أخرى، الحساب والعد وحساب تكاليف الصفقات، التي كانت منضوية في فكرة العملة ذاتها. وأدى استخدام الدولة للعملة إلى مساعدتها في دفع أجور الجيش، والسلع العامة مثل بناء المدن والموانئ، فضلا عن كونها علامة على السيادة[٦٩].

ما يزال دور الإقراض والأعمال البنكية فيما قبل الحقبة الهلنستية "محل جدل"[٧٠]. ولا بد أن السبائك المخزنة في المعابد وفي الخبايا، كما كانت الحال في الشرق الأدنى، قد قيّدت عرض النقد. وقد شكلت العملة أهمية خاصة للاقتصادات الهلنستية والرومانية. فقد يسّرت العملة التجارة، ونال الاستخدام الواسع للعملة العامة الاعتراف باعتباره عنصرا مهما من عناصر السلطة السياسية[٧١].

---

(١٧) أجانيطس Aegina واحدة من الجزر السارونية Saronic Islands اليونانية الواقعة في الخليج الساروني أو خليج أجانيطس. [المترجم]

وتوسع استخدام النقد المسكوك خلال الحقبة الهلنستية، جنبا إلى جنب مع المؤسسات البنكية[٧٢]. فأسس البطالمة بنوكا في مصر خلال القرن الثالث قبل الحقبة المشتركة، وهناك مارسوا تأثيرا كبيرا، لا سيما في جباية الضرائب نقدا[٧٣]. وفي الشرق الأدنى، وإلى حد ما في مصر حتى بعد إدخال العملة في النظام الجبائي الحكومي، ظلت العملات توزن عادة كسبائك بدلا من عدها كوحدات نقدية فردية. على أن العملة في النهاية "لم تتجاوز النقد من النوع الأول (مقدار العملة المتداولة في أي وقت)"[٧٤](١٨). وكان إمداد الفضة أحد القيود الرئيسة.

من المعتقد عموماً أن ظهور النقد الائتماني خلال أوروبا القرن الخامس عشر يعد خاصية فارقة بين النظام الرأسمالي الحديث والاقتصادات ما قبل الرأسمالية ما قبل الحديثة[٧٥](١٩). على أن النقد الائتماني في شكل "الدَين القابل للاسترداد" recoverable debt كان "ذا أهمية استراتيجية" في العالم الروماني. وكما أكد مايكل هدسون، فإن تاريخ أدوات الدَين بفائدة interest-bearing debt instruments باعتبارها "نقدا للأغراض العامة" يرجع إلى ماضي بعيد في الشرق الأدنى، وكذلك تكشف الأدوات الائتمانية في شكل الرهونات وعقود التأجير بدفع الإيجار مقدما قبل الحصاد المعروفة في البرديات المصرية عن تاريخ أطول لكل من الدَين والائتمان[٧٦].

القانون والمؤسسات القانونية

إن النظم القانونية وما تولّده من قوانين تشكل المجتمعات وتكبلها وتأخذها في اتجاهات شتى. كان الألف الأول قبل الحقبة المشتركة فترة تغيرات هائلة في النظم القانونية على امتداد شرق البحر الأبيض المتوسط. وقد حدثت هذه التغيرات بالتوازي مع تطورات سياسية واقتصادية يمكن النظر إليها على

---

(١٨) بحسب النظام الاحتياطي الفيدرالي الأمريكي، يشير مصطلح النقد من النوع الأول M1 إلى أضيق مقياس للنقد، وهو الأصول السائلة أو الأشد سيولة، أي النقد القابل للتحويل بسهولة إلى دفع للسلع والخدمات، وكلما زاد العدد التالي لحرف M (الذي يشير إلى النقد money) كان قياس النقد أوسع وكان النقد أقل سيولة، فيشمل النقد من النوع الثاني M2 النقد من النوع الأول إضافة إلى أصول أخرى أقل سيولة مثل حسابات الادخار وأرصدة سوق النقد، ويشمل النقد من النوع الثالث M3 النقد من النوع الثاني إضافة إلى أصول أخرى أقل سيولة، وهكذا. [المترجم]

(١٩) يشير مفهوم النقد الائتماني credit-money إلى أي مطالبة مالية مستقبلية ضد الفرد يمكن أن تستخدم لشراء السلع والخدمات مثل سندات الدَين وأرصدة سوق النقد Money market accounts. [المترجم]

مستويين، هما (١) تحقيق التوازن على مستوى الدولة بين النخب وبقية المجتمع، الذي حدث في شكل وضع القوانين العامة، (٢) على المستوى المحلي الزيادة في التعاقدات الخاصة. وفي الحالة الأخيرة، كان هناك العديد من الصفقات، من عقود العمل الحكومية وتجارة المسافات الطويلة، إلى الاتفاقات الخاصة على البيع والتأجير وما إليها. ويوجد عدد كبير من الوثائق من مصر والشرق الأدنى القديمين ذات طبيعة قانونية، تتضمن عقودا ونزاعات والتماسات وما إليها، يتعلق الكثير منها بحقوق المِلكية وتنظيم الدَين. ويمكن النظر إلى تطور القانون خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة على أنه مرتبط بالتعقيد المتزايد في اقتصادات العصر الحديدي، وتحديدا في التجارة والتبادل.

لم يوضع القانون والنظم القانونية في حوار مباشر مع الاقتصادات ما قبل الحديثة إلا نادرا، على الرغم من الترابط القوي بينهما، وعلى الرغم من أن أحد جوانب القوة المفترضة لعلم الاقتصاد المؤسسي الجديد تتمثل في إمكانية ربط القانون بالأداء الاقتصادي[٧٧]. ومن الواضح أن الافتراض السائد هو أن الدول ما قبل الحديثة كانت أضعف من أن تفرض النظم القانونية، لكن مع نهاية الفترة التي يغطيها الكتاب الحالي كانت الدول قد طورت مؤسسات أقوى كثيرا، منها تسجيل الاتفاقات الذي حسّن عملية إنفاذ الاتفاقات. إن أهم ما قدمه عمل مين Maine للتطور اللاحق للتاريخ القانوني، هو أنه أثبت أن العلاقة "التطورية" ("التقدمية" بمصطلحاته) بين القانون والمجتمع كانت عميقة ومهمة. أما عبارته الأشهر، وهي أن "حركة المجتمعات التقدمية كانت حتى الآن انتقالا من المكانة إلى العقد"، فقد أثبتت ذلك الارتباط وصارت جزءا أساسيا من العلوم الاجتماعية التاريخية منذ ذلك الحين[٧٨].

حدث تطور كبير في المؤسسات القانونية خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة. وأصبحت التقاليد الرئيسة في شرق البحر الأبيض المتوسط أكثر تنظيما وتخصصا ومنطقية[٧٩]. وفي التقاليد المصرية وتقاليد الشرق الأدنى، لعب "المهنيون" القانونيون والكُتاب الذين وضعوا الأدوات القانونية، دوراً مركزياً في هذا التطور. على أن الكتابة ذاتها لم تكن قوة دافعة للتغيير، بل إن الاستخدام المتزايد للأدوات القانونية المكتوبة الذي يمكن ملاحظته في الكثير من الأماكن، والابتكار في أنواع العقود، أو على الأقل إدخال بنود جديدة، هو الذي تلقى دفعة من جانب التغيرات الاجتماعية الأساسية والتوسع السكاني والتجارة المتزايدة[٨٠].

لعب القانون دورا رئيسا في تطوير اقتصادات العالم القديم الآخذة في التعقد من خلال تنظيم توزيع الثروة[٨١]. وقد ذهب أرسطو في كتابه "الأخلاق النيقوماخية" Nichomachean Ethics الذي كتبه خلال القرن الرابع قبل الحقبة المشتركة إلى أن النقد لا ينفصل عن الجماعة. ويوضح اشتقاق الكلمة اليونانية نوميسما nomisma التي تعني النقد أو العملة، من الكلمة اليونانية نوموس nomos التي تعني القانون، الرابطة بين السلطة والجماعة والتبادل الاجتماعي. وقد عملت النوميسما على مستويين، الأول هو علاقة الدولة بالنخب، وذلك في شكل مجموعات القوانين العامة التي أضفت الشرعية على التراتبية الاجتماعية، والثاني على المستوى المحلي، وهو الارتباط بين النظام القانوني الحكومي والخاص. ومن الواضح أن دور نظام التعاقدات الخاصة كان مهما في "تخفيف النزاع"، وأنه تطور مع الزيادة في استخدام الاتفاقات المكتوبة في فترتنا، لكن لا توجد طريقة لقياس ذلك كميا على نحو موثوق[٨٢].

يتجلى الحث التبادلي بين الدولة والمؤسسات الاقتصادية والقانونية في إعلان مجموعات القوانين الأولى في الشرق الأدنى القديم[٨٣]. لكن المعايير القانونية غير الرسمية و"التنظيم الخاص" للعلاقات الاجتماعية كانت- هكذا يفترض- أهم لأغلب سكان العالم ما قبل الحديث[٨٤]. ومع أن العرف الاجتماعي والعقود غير المكتوبة والتحكيم غير الرسمي في القرى غير مُوَثَّقة جيدا بالطبع في العالم القديم، فإننا يجب أن نتذكر هذه "المؤسسات البديلة"، كما يسميها ديكست Dixit، عندما نناقش المادة القانونية المكتوبة الرسمية[٨٥]. فقد كان التبادل الشخصي، وليس اللاشخصي، هو القاعدة في كل مكان خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة (وقبله)، وكانت أغلب الصفقات خاصة وصغيرة ومحلية، وإما غير مُوَثَّقة، أو لم تحفظ في أرشيفات خاصة، لأن الصفقات كانت عابرة، كما أكدتُ في موضع سابق في حالة مبيعات الحيوانات في مصر. وفي الشرق الأدنى القديم أيضا، لم تكن هناك حاجة إلى التوثيق المكتوب لمبيعات الغذاء أو السلع المصنعة الصغيرة[٨٦].

أعطى فيبر الذي تمتع بفهم واسع للقانون الروماني، اهتماما كبيرا لدور القانون في الاقتصادات، كما أبدى اهتماما خاصا بالطبع بظهور الرأسمالية، وهي السمة التي رأيناها لدى أغلب الدارسين الذين كتبوا حول الاقتصادات القديمة خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين[٨٧]. ويمكن حاليا النظر إلى الرؤية الفيبرية للقانون من منظور "الافتراق الكبير" أو من منظور التمييز الذي يضعه نورث

وزملاؤه بين مجتمعات "الوصول المفتوح" ومجتمعات "الحالة الطبيعية"[٨٨][٢٠]. من المعتاد النظر إلى القانون على أنه تقليد غربي متفرد، بدأ مع القانون الروماني الناضج (في نحو القرن الأول قبل الحقبة المشتركة) الذي أدى إلى ظهور الرأسمالية. وقد ربط فيبر أنواع السيطرة بالنظم القانونية، وذهب إلى أن الطريق إلى الرأسمالية كانت له ثلاثة متطلبات أساسية، هي (١) "العقود التجارية المتقدمة" التي "سمحت بنشوء "علاقات اقتصادية جديدة"[٨٩]، (٢) المفهوم القانوني للشركة الحديثة، (٣) النظام القانوني الموثوق. فالقانون يجب أن يكون قابلا للتنبؤ ويديره خبراء قانونيون. ومؤخراً، استُخدِمت النظم القانونية "غير الغربية" في بلورة منظور أكثر عالمية وأطول أمدا للتاريخ القانوني وتباين المؤسسات القانونية عبر الزمان والمكان، وهو ما يقدم لمؤرخي العصر القديم فرصة للمشاركة في الجدل حول كل من الثقافات القانونية المحلية وتأثير الفرض الاستعماري أو شبه الاستعماري للنظم الجديدة على التقاليد القديمة. ولا ريب أن التفاعل أو التطور المتلازم لسياسة الدولة والمعايير والمعتقدات الثقافية الأساسية قد شكلا المؤسسات القانونية[٩٠].

لكن فيبر أبدى اهتماماً كبيراً كذلك بالتطورات التاريخية[٩١]. ورأى أربع مراحل في التطور التاريخي للقانون، هي (١) الوحي التشريعي من خلال أنبياء الشرائع، (٢) الإنشاء التجريبي ووضع القانون من جانب وجهاء القانون، (٣) فرض القانون من جانب سلطة علمانية أو ثيوقراطية، وأخيرا (٤) القانون الحديث كما في التطبيق المهني للعدالة على أيدي أناس مدربين رسميا[٩٢]. وعلى ذلك، فمع أن فيبر تقصى مدى واسع من النظم القانونية القديمة، منها بعض جوانب قانون بلاد ما بين النهرين، فإن اهتمامه الرئيس بدور القانون في تطور الرأسمالية الحديثة قد حصر انتباهه في القانون الروماني واليهودي، وذهب في ذلك إلى أن القانون الروماني يعد التطور الأهم الذي وضع "الأساس للموقف الصوري من القانون في الغرب"[٩٣].

لكن على الرغم من اهتمامات فيبر الضيقة، على الأقل من منظور النظم القانونية ما قبل الحديثة، فإننا لا نستطيع تجنب دراسة القانون القديم جنبا إلى جنب مع الاقتصاد. وثمة اتجاه مهم لتقصي النظم

(٢٠) راجع الفصل الأول والثالث حول مفهوم "الافتراق الكبير" great divergence الذي سكَّه بوميرانز Pomeranz لتفسير مسار النمو والتقدم المتمايز لكل من الغرب والشرق، والتمييز الذي وضعه نورث وزملاؤه بين مجتمعات "الوصول المفتوح" ومجتمعات "الحالة الطبيعية". [المترجم]

القانونية غير الغربية يتجاوز ثنائية القانون العادي/ المدني[٢١]، يمثل تطورا مشجعا في الدراسات، وأودُّ أن أسجل هنا أنه سيشجع رؤية أوسع للنظم القانونية ما قبل الحديثة[٩٤]. يشكل تطبيق القانون جزءا مهما من الموضوع الأكبر المتمثل في دراسة التفاعل المعقد بين الدول والفاعلين المحليين في تنظيم القانون وتطبيقه وفي الحكم في النزاعات الخاصة. على أن "التحليل الاقتصادي السليم للمؤسسات القديمة، لا سيما القانون، ما يزال في مهده"[٩٥]. كيف يمكننا أن نضع القانون في مجتمعات البحر الأبيض المتوسط ما قبل الحديث السابق زمنيا على القانون الروماني في السياق؟

باستثناء القانون الروماني الناضج كما تطور في عهد الإمبراطورية، تُعامَل النظم القانونية ما قبل الحديثة عموما باعتبارها مجالاً منفصلاً عن الأدلة الاقتصادية[٩٦]. وتتمثل إحدى المشكلات الرئيسة التي لا يمكن تناولها هنا في فهم العلاقة بين النظام القانوني الروماني والنظم القانونية ما قبل الرومانية، فما مقدار ما أخذه القانون الروماني عن الممارسات القانونية المتنوعة التي وجدها الرومان في شرق البحر الأبيض المتوسط وتطورت على مدار قرون كثيرة؟ وإلى أي مدى أسهم القانون الروماني في تغيير التقاليد المحلية؟

ثمة ارتباط قوي بين النظم الاقتصادية والقانونية، وهو أمر مفهوم منذ أرسطو في منتصف القرن الرابع قبل الحقبة المشتركة على أقل تقدير. فقد تطورت المؤسسات الاقتصادية والقانونية على نحو متلازم، وكانت دائما متداخلة إلى حد يجعل التمييز بينها غير ممكن. وحددت المؤسسات القانونية توزيع الثروة عن طريق حقوق المِلكية وتنظيم النشاط الاقتصادي[٩٧]. ليس مصادفة- إذن- أن الوثائق القانونية والاقتصادية بقيت بأعداد كبيرة في مجتمعات البحر الأبيض المتوسط. وتقدم البرديات المصرية اليونانية والديموطيقية أفضل وأوسع مجموعة من المادة القانونية لتطبيق القانون على أرض الواقع، وتوثِّق طريقة تعامل الناس "خلال حياتهم اليومية"[٩٨]. لكن هناك مصادر ثرية في أماكن أخرى.

(٢١) القانون العادي common law (يعرف أيضا بنظام السوابق أو القانون المستمد من السوابق case law أو القانون الأنغلوسكسوني) هو القانون الذي يطوره القضاة من خلال قرارات المحاكم وليس من خلال القوانين التشريعية التي تسنها مجالس أو هيئات تشريعية، كان سمة للتطور التشريعي في إنجلترا ميّزتها عن بقية القارة الأوروبية. [المترجم]
القانون المدني civil law هو النظام القانوني الذي تطور في أوروبا (ما عدا إنجلترا) عن القانون الروماني، ويشير تحديدا إلى ميراث القانون التشريعي الذي تسنه هيئات تشريعية. [المترجم]

تدوين القانون العام

لحضارة الشرق الأدنى والحضارة المصرية القديمتين تاريخ طويل مع القانون المدون، الذي يتجلى بالدرجة الأولى في مجموعتيهما الشهيرتين من القوانين[٩٩]. على أننا لا يجب أن نقف أمام مصطلح "مجموعة القوانين" code باعتبارها بيانا شاملا بالنظم القانونية التي تعد مجموعة القوانين النابليونية مثالا لها[١٠٠]. فمصر- على سبيل المثال- لم تنتج، على حد علمنا، نقوشا معلنة على الجمهور من نوع شريعة حمورابي، لكن كان لها تقليد قديم في الجمع المكتوب المصنف للنظم القانونية، مع العلم بأن مجموعات القوانين في الشرق الأدنى كانت خاصية لـ"علم بلاد ما بين النهرين" Mesopotamian science[١٠١]. ولعل الشيء اللافت للانتباه بدرجة أكبر من ذلك هو ظهور مجموعات القوانين في منتصف الألف الأول قبل الحقبة المشتركة على امتداد شرق البحر الأبيض المتوسط. تكشِف هذه القوانين، الآتية من أماكن وأزمان مختلفة، عن شيء من التشابهات البنيوية، تحديدا الرغبة في النظام كما تجسد في التراتبيات الاجتماعية، وفي "النظام الكوزمولوجي" كما تجلى في تقديم الأضاحي الدينية، وفي الأسواق كما تبدت في تنظيم بتر أعضاء الجسم والعقوبات المالية[١٠٢]. ومن الواضح أن هناك ارتباطاً قوياً بين الدول مختلفة الأنواع وجمع النظم القانونية. فقد كان نظام الدولة وشرعيتها، أو مظهرهما على الأقل، والسيادة سمات مهمة لكل مجموعات القانون العام ما قبل الحديثة.

انبثق "القانون العام المكتوب" لأول مرة، أو انبثق مجدداً، خلال أواخر القرن الثامن والقرن السابع قبل الحقبة المشتركة، وبين القرنين السابع والرابع قبل الحقبة المشتركة، حدث انتشار مجموعات القوانين عبر عالم شرق البحر الأبيض المتوسط[١٠٣]. وتعد مجموعة هيرموبوليس القانونية من مصر التي بقيت في نص من القرن الثالث قبل الحقبة المشتركة من أوائل مجموعات القوانين المُوَثَّقة[٢٢]. كذلك بقيت أجزاء قوانين من دريروس من القرن السابع قبل الحقبة المشتركة نُقِشت على معبد أبولو

(٢٢) هيرموبوليس Hermopolis (تعني مدينة هيرميس Hermes) أو هيرموبوليس الكبرى (أو خمنو Khemenu بالمصرية القديمة) كانت عاصمة إقليمية منذ الدولة المصرية القديمة، تقع مكانها حاليا قرية الأشمونين بمركز ملوي، محافظة قنا. [المترجم]

دلفينيوس، وفي تيرينس في أرغوليذا في سوق المدينة (الأغورا أو الساحة العامة)(٢٣)، وفي روما، وفي غورتين وأماكن أخرى في جزيرة كريت(٢٤)، وفي إصلاحات صولون السياسية والقانونية التي نُشرت في أثينا خلال أوائل القرن السادس قبل الحقبة المشتركة (عُرَفت باسم المحاور)(٢٥)، وفي الألواح الاثني عشر في روما(٢٦). كانت مجموعة غورتين القانونية Gortyn code في حقيقتها سلسلة من التشريعات أصدرت على مدى قرنين، من القرن السادس إلى القرن الرابع قبل الحقبة المشتركة. وقد ناقشنا في موضع سابق التأكيد على القوانين المكتوبة المعلنة على الجمهور، التي رُبطت بتغيرات اجتماعية وسياسية، على امتداد شرق البحر الأبيض المتوسط في أثناء "العصر المحوري". وقد تلازم القانون العام المكتوب مع التحول الاجتماعي والاقتصادي الهائل الذي حدث في منتصف الألف الأول قبل الحقبة المشتركة تحت وطأة التحضر المتزايد[١٠٤]. وربما كان تنظيم ما تفرضه الدولة ضمن الائتلافات السياسية المهيمنة الغرض الرئيس من هذه النصوص[١٠٥].

حدثت عملية مماثلة في نفس الوقت في الشرق الأدنى. فبداية من القرن السابع قبل الحقبة المشتركة، كانت الوظيفة "السلطوية" للقانون قد جمعت في يهوذا والسامرة(٢٧)، أي خارج الأقاليم

(٢٣) دريروس Dreros موقع أثري على جزيرة كريت يرجع إلى ما بعد الحضارة المينوسية، يوجد فيه معبد أبولو دلفينيوس Apollo Delphinios الذي يرجع لنحو منتصف القرن الثامن قبل الحقبة المشتركة. [المترجم]

تيرينس Tiryns موقع أثري موكناوي في أرغوليذا Argolid في شبه جزيرة بيلوبونيز اليونانية. [المترجم]

(٢٤) غورتين Gortyn بلدية وموقع أثري على جزيرة كريت. [المترجم]

(٢٥) صولون Solon (نحو ٦٣٠-٥٦٠ ق.ح) رجل دولة ومشرع وشاعر أثيني، يشتهر بقوانينه التي كانت الأساس للديمقراطية الأثينية. كانت القوانين تنقش على ألواح خشبية وتعلق على محاور دوّارة axones في مقر الحكومة المعروف باسم البريتانيون Prytaneion. [المترجم]

(٢٦) الألواح الاثني عشر Twelve Tables (أو قانون الألواح الاثني عشر) مجموعة من القوانين نُقشت على اثني عشر لوحا، وُضعت في روما في عامي ٤٥١-٤٥٠ ق.ح، كانت البداية لمقاربة جديدة للقانون الذي تسنه الدولة وتعلنه على المواطنين، حتى يتسنى تطبيقه عليهم بالتساوي. [المترجم]

(٢٧) بحسب التوراة، يهوذا Judah مملكة تلت- مع مملكة إسرائيل- مملكة إسرائيل الموحدة، استمرت حتى سبي نبوخذ نصر لها وتدميرها في عام ٥٩٧ ق.ح، وبعد أن احتل الأخمينيون الفرس بابل، سمحوا للسبي بالعودة وإعادة بناء المعبد. [المترجم]

الإمبراطورية. لم تنتج مصر مجموعات مماثلة في القانون العام، لكن تم إصلاح القانون في أثناء إعادة التوحيد السايسية خلال القرن السابع قبل الحقبة المشتركة. وحدثت تعديلات رئيسة أخرى في نظم الكتابة، كان من أهمها ظهور الكتابة المصرية الديموطيقية، وهي كتابة متصلة تشكل مرحلة ضمن تطور اللغة المصرية انتشرت من الدلتا إلى مصر كلها خلال القرنين السادس والخامس قبل الحقبة المشتركة. ومع أن النصوص نادرا ما تقدم أدلة على التغير المؤسسي، فإننا في حالة الكتابة الديموطيقية يمكن أن نرى التحول في نظام الكتابة ضمن أسرة واحدة، إذ استخدم الأب الشكل الهيراطيقي hieratic القديم من الكتابة المصرية، وتبنى ابنه الكتابة الديموطيقية الجديدة[١٠٦]. وعندما أعاد البطالمة تنظيم الدولة المصرية من أجل غاياتهم، ظل القانون المصري يستخدم بين المصريين، وهناك أمثلة عدة لمجموعات الإجراءات القانونية وقوالب صيغ العقود بقيت من هذه الفترة. جلبت الديموطيقية معها تغيرا رئيسا في لغة العقود، وزيادة في التعاقدات الخاصة على مدار الألف الأول قبل الحقبة المشتركة[١٠٧]. ولم ينتج البطالمة "مجموعة" منظمة من القوانين أو نظاما واحدا للمحاكم يغطي السكان برمتهم، على الرغم من اشتهار النظام بين الدارسين الحديثين بأنه نظام شديد المركزية.

القانون الخاص: العقود وتكاليف الصفقات

من منظور علم الاقتصاد المؤسسي الجديد، تعد حماية حقوق المِلكية الخاصة وإنفاذ الاتفاقات التعاقدية الخاصة الأساس للنمو الاقتصادي الحقيقي[١٠٨]. وقد كانت الاتفاقات الخاصة المكتوبة معروفة- لا ريب- في مصر والشرق الأدنى والعالم اليوناني. على أنه من الصعب تقدير الارتباط بين التعاقدات الخاصة وإنفاذ الدولة لهذه الاتفاقات والنمو الاقتصادي في كل الحالات. لكننا أمام إغراء التعميم، يمكن أن نقول إن التعاقدات الخاصة كانت جيدة التنظيم والإنفاذ. كانت كل محاولات خفض تكاليف الصفقات في العالم ما قبل الحديث غير مقصودة بالدرجة الأولى، مع أن بعضها كان فعالا، وربما أفاد الاستخدام الأوسع للعملة في حساب تكاليف الصفقات[١٠٩].

بحسب التوراة، السامرة Samaria أو إسرائيل Israel أو إفرايم أو إسرائيل الشمالية- مملكة تلت- مع يهوذا- مملكة إسرائيل الموحدة، استمرت من عام ٩٢٨ ق.ح حتى عام ٧٢٢ ق.ح عندما ضمها ملك آشور تغلت بلاصر. [المترجم]

إن تكاليف الصفقات مسألة صعبة، وقد ولّد المفهوم مقاربتين رئيستين إلى استخدام المفهوم وطريقة تأثيره، تركز إحداهما على دور الدولة، ودور الفاعلين، وأداء الأسواق، وتكلفة المعلومات، وتتقصى المقاربة الأخرى تكاليف التوصل إلى الصفقة، وتكلفة تنفيذ الصفقة، وتكاليف إنفاذ الصفقة. هل تعهدت الدول القديمة نظما قانونية تخلق فوائد عامة للمجتمع، أم أنها خلقت نظما لم تعد بالنفع إلا على النخب؟ ألم ييسر القانون التجارة على النحو الأكمل إلا مع النظام القانوني الروماني الناضج؟[١١٠]. ليس من السهل فصل القول في ذلك في حالة التقاليد القانونية للشرق الأدنى. ولا شك أن الدول كانت تجمع ضرائب على صفقات البيع. وفي مصر، كانت ضرائب المبيعات أو نقل المِلكية التقليدية تحتسب بنسبة عشرة بالمائة. وقد واصل البطالمة جباية الضرائب على الصفقات، عادة بنسبة عشرة بالمائة من سعر البيع، وكانوا يجمعون ضرائب على تحول الدفع من العملة البرونزية إلى مكافئ فضي[١١١]. وكانت الصفقات تُسجَل، ما أفاد في ضمان إشهار حق المِلكية.

يكشف إدخال المزاد العلني إلى مصر، وهو على ما يبدو مؤسسة يونانية من القرن الرابع، أن البطالمة شجعوا وصولا أوسع، نظريا على الأقل، إلى صفقات السوق. لكن هذه المؤسسة كانت محدودة في تطبيقها، بقدر ما تسمح لنا الأدلة بمعرفته. فمن الواضح- على سبيل المثال- أنها لم تخلق سوقا واسعا في العقارات. وتماما كما كانت الحال في اليونان، استُخدِم المزاد في مصر لتصفية الأراضي المصادرة من جانب الدولة، وليس باعتباره آلية عامة لبيع الأراضي، واستُخدِم كذلك لمنح العقود في الصناعات التي تسيطر عليها الدولة. كانت قواعد هذه المزادات العلنية تُكتب بوضوح وتُعلن على الملأ قبل عقدها[١١٢].

إن العقود المكتوبة مُوَثَّقة جيدا في مصر وفي الشرق الأدنى، وتشكل المصدر الأهم لفهم النشاط الاقتصادي غير الحكومي أو الخاص[١١٣]. تكشِف هذه العقود عن تشابه أساسي في البنية، هو الاتفاق الشفهي أمام شهود. وكذلك كانت المبيعات في مصر وفي الشرق الأدنى تنص في جوهرها على شيئين رئيسين، هما استلام سعر مرضٍ وتعهد من البائع بضمان حق المِلكية ضد الادعاءات المستقبلية. أما العقود التي كانت تُكتب، فكانت "تنفذ كاملة بالالتزامات المحتملة المعلقة وحسب"[١١٤][٢٨]. على أنه لا تتوفر لدينا طريقة لمعرفة عدد الاتفاقات الشفهية تماما التي أجريت. وقد كانت أنواع العقود الرئيسة هي البيع والتأجير

---

(٢٨) الالتزامات المحتملة المعلقة contingent obligations outstanding ديون مشروطة تتوقف على أحداث مستقبلية غير مؤكدة، مثل تصرفات الموظفين والضمانات الائتمانية والعقود غير المكتملة وقضايا المحاكم العالقة. [المترجم]

والإيداع والقرض والرهن والكفالة والشراكة. وكانت الاتفاقات المبرمة بين أطراف خاصة شائعة في البرديات المصرية (الخيروغرافا cheirographa أي "الاتفاقات المكتوبة يدويا")، لكن بحلول القرن الثاني قبل الحقبة المشتركة، أخذت الدولة على نحو متزايد تضمن الاتفاقات من خلال التسجيل واستخدام المُوَثِّقين العامين[١١٥]. وقد جلب اليونانيون الذين وفدوا إلى مصر البطلمية معهم عقد "الستة شهود" six-witeness contract أو "عقد الوثيقة المزدوجة" double document contract[١١٦]، وهو شكل محدد من العقود يضمنه طرف ثالث خاص يحمل نسخة من الاتفاق المكتوب. ثم أخذت الدولة البطلمية تدريجيا تحتضن العقود الخاصة وتضمنها من خلال مكاتب التسجيل[١١٧].

تحتوي العقود المصرية الديموطيقية من القرن الرابع قبل الحقبة المشتركة– على سبيل المثال– بنودا أكثر تفصيلا وأكثر نمطية وتواترا بكثير من العقود المكتوبة من الفترات السابقة. ومن المغري أن نفهم هذا التغير من خلال عدسة القوى التطورية التي وجدت دفعة في زيادة عدد الصفقات غير الشخصية. وفي الحقبة البطلمية، في نحو عام ٢٠٠ ق.ح، انقرض الشكل القديم للعقد الذي تضمن شهودا لديهم نسخا مكتوبة من الاتفاق[١١٨]. وأخذ كُتاب العدل اليونانيون، المُوَثَّقون في بضعة مجالات فقط، يعملون كُتاب عدل حكوميين، ما أبطل استخدام الشهود، ودفع المزيد من التطور في أشكال العقود.

وتماما كما حدث في مصر، تزايدت أهمية العقود المكتوبة بداية من النصف الثاني من القرن الثامن قبل الحقبة المشتركة[١١٩]. تضمن القانون البابلي نوعين من الأدوات الائتمانية، هما الكمبيالة واتفاق الشراكة[١٢٠]. كانت الكمبيالة promissory note شائعة باعتبارها اعترافا بالدَين، وكانت اتفاقات الشراكة partnership agreements تأتي في نوعين هما "الكوميندا" (عقد الخرانو kharranu) بين مستثمر ووكيل[٢٩]، وعقد الشراكة "الثنائية" الذي سمح بجمع الموارد من الشركاء. وقد اقتصر الأخير عموما على شخصين أو ثلاثة لتأسيس شركة صغيرة. من الواضح أن هذا النوع من العقود قد استخدم على نطاق واسع خلال هذه الفترة[١٢١]. تحوَّط جورسا على نحو مبرر بشأن تأثير العقود على اندماج الأسواق وعلى النمو. وكانت الدولة تأخذ ضريبة مبيعات على مبيعات العبيد، وكانت المبيعات تُسجل خلال الحقبة الأخمينية، وهو ما كان يحدث أيضا على الأرجح في حالة مبيعات الأراضي[١٢٢].

(٢٩) راجع حاشية سابقة حول عقد الكوميندا. [المترجم]

شملت التغيرات في العقود إبان الإمبراطورية البابلية الحديثة تحسينات في عقد الشراكة المعروف باسم الخرانو الذي ضمِن "للمستثمر أو صاحب رأس المال دورا نشطا في إدارة الشركة"[١٢٣]. فقد أدخل الكُتاب إبان الإمبراطورية البابلية الحديثة، تماما كما فعل نظراؤهم المصريون البطلميون، تحسينات على الأشكال القديمة من باب التكيف مع احتياجات الأطراف الخاصة. وقد دفع التوسع السكاني والحضري، والنمو في التخصص، وفي استخدام الفضة، ولاحقا العملات، وفي الصفقات السوقية، تغيرات في أشكال العقود. وفي كل مصر والشرق الأدنى، انتشرت "المبادرة الخاصة" أكثر من ذي قبل[١٢٤].

أما في اليونان، فكان لكل دولة مدينية قوانينها الخاصة، لكن "المبادئ الأساسية كانت واحدة في جوهرها"[١٢٥]، على أن القانون الأثيني هو الأفضل توثيقا بينها[١٢٦]. يضع كتاب "السياسة" لأرسطو القانون في سياق مجتمع الدولة المدينية اليونانية، وهناك رُبطت المِلكية بـ"الجماعة المدنية" وبالمواطنة، مع فرض بعض القيود على أنواع الأراضي التي كان يمكن للفرد أن يمتلكها[١٢٧]. كانت عقود البيع التي وُجد منها العديد من الأنواع، منها على سبيل المثال البيع قبل التسليم، معروفة منذ أوائل القرن الخامس قبل الحقبة المشتركة، وكان البيع المسبق (للنبيذ) معروفا لضمان جودة الحصاد[١٢٨]. وقد عززت المسوح التفصيلية للأراضي وتسجيل العقود حقوق المِلكية الخاصة[١٢٩]. وكان قضاة الصلح (الأغورانوموي[٣٠]) يطبقون القانون المنظِّم للنشاط في السوق ويوفرون الحماية من الاحتيال للمتعاملين. واتخذت القواعد التنظيمية شكلها الرسمي في "قانون السوق" market law (نوموس أغورانوميكوس nomos agoranomikos) المُوَثَّق في أثينا وجزيرة رودس، لكن هذه القواعد التنظيمية كانت تُطبَق على نطاق واسع على امتداد العالم اليوناني. فقد سيطرت المدن على التبادل السوقي، وجمعت رسوما من التجار على حق البيع في السوق، وجمعت ضريبة مبيعات على الصفقات. خفّضت الأغورا تكاليف الصفقات بخفضها تكلفة المعلومات، وضمان الجودة والأوزان، وتنظيم الأسعار "العادلة". وكانت تكاليف المحاكمات في أثينا منخفضة[١٣٠]. كذلك استُخدِمت المزادات العلنية لتحسين أسعار بيع الممتلكات المُصادَرة ولتأجير المناجم وغيرها من ممتلكات الدولة. وأصحبت

---

(٣٠) قاضي الصلح Agoranomos (والجمع "أغورانوموي" agoranomoi) كانت وظيفة رسمية منتخبة في مدن اليونان القديمة والإمبراطورية البيزنطية، كانت مهمة صاحبها ضبط النظام في السوق (أي الأغورا agora وبالتالي فإن المعنى الحرفي للكلمة هو "مراقب السوق")، وكان من الوارد أن يكون في المدينة الواحدة العديد من هؤلاء القضاة. [المترجم]

"الأحلاف" (كوينا koina) شائعة خلال الحقبة الهلنستية في اليونان البرية، وأسهمت- من بين أشياء أخرى- في تنسيق النظم القانونية والمحاكم العدلية بين المدن، وإصدار عملة مشتركة.

إن دور الدولة مُوَثَّق جيدا في مصر الألف الأول قبل الحقبة المشتركة. كانت الأسواق عموما تقع داخل حدود المعابد أو بالقرب منها، وكانت المعابد أيضا مكان الكُتاب الذين كانوا يكتبون الاتفاقات الخاصة. نظر المصريون للعقود على أنها اتفاقات شفهية، كانت تؤكَّد (وهو ما لم يكن إجراء إلزاميا) كتابةً بعد الاتفاق الشفهي. وثمة تحول حدث خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة. فعلى الرغم من أن المصريين ظلوا ينظرون إلى العقود على أنها اتفاقات شفهية تؤكَّد بفعل "القول" ("قال الطرف الأول للطرف الثاني ما يلي ...")، فإن انتشار الكتابة المصرية الديموطيقية من تقليد محلي إلى ممارسة تغطي كامل البلاد خلال القرنين السابع والسادس قبل الحقبة المشتركة في مصر يعد مثالا توضيحيا جيدا لفرض نظام للكتابة بغرض تعزيز الاتساق المؤسسي على امتداد البلاد. ومن الواضح أن الكتابة الديموطيقية ذاتها، وهي شكل متصل من الكتابة الهيروغليفية hieroglyphic، قد تطورت في الدلتا المصرية التي كانت حاضنة التبادل المتوسطي خلال أوائل الألف الأول قبل الحقبة المشتركة. نتج ذلك التكيف المصري التام مع التغير الاقتصادي جزئيا على الأقل عن تكثف التجارة في شرق البحر الأبيض المتوسط خلال العصر الحديدي المبكر.

ثمة إصلاحات أخرى لم تحدث في مصر فقط، بل أيضا عبر البحر الأبيض المتوسط خلال القرنين الرابع والثالث قبل الحقبة المشتركة. فقد أنشئت محاكم خاصة في أثينا خلال القرن الرابع قبل الحقبة المشتركة للفصل في النزاعات بين التجار الأجانب. أُسِّست هذه المحاكم بقصد جذب التجارة إلى الميناء الأثيني، وهو ما شكّل ميزة كبيرة عندما جُمع مع القبول العام للعملة الأثينية، كما ذكّر زينوفون الأثينيين[١٣١]. كما ابتُكرت تصنيفات قانونية جديدة، هي "القضايا التجارية" dikai emporikai لـ"تجنب التأخير المكلف لتسوية النزاعات، ووضع التجار الأجانب على قدم المساواة مع الأثينيين المحليين في تسوية نزاعات العقود"[١٣٢]. وفي روما، يبرز ابتكار عقد البيع القائم على التراضي (الإمبتيو فينديتيو) بحلول نحو عام ٢٠٠ ق.ح، وكذلك وضع عدة قوانين داعمة للتجارة، منها دعاوى المسؤولية الإضافية[٣١].

---

(٣١) في القانون الروماني، تشير دعاوى المسؤولية الإضافية actiones adiecticiae qualitatis إلى مجموعة من الإجراءات يخولها البريتور (القاضي) لإنفاذ مسؤولية رب الأسرة Pater familias (أي المواطن المستقل) عن الالتزامات التي تعاقد عليها ابنه أو عبده، ما يجعله مسؤولا عن ديون أبنائه أو عبيده أمام الدائنين. [المترجم]

حقوق المِلكية

يمثل دور حقوق المِلكية في الأداء أو النمو الاقتصادي مكونا مركزيا آخر ضمن تحليل علم الاقتصاد المؤسسي الجديد. تعد المِلكية الخاصة إحدى أقدم المؤسسات البشرية، التي تطورت بالتلازم مع ظهور الزراعة خلال عصر البليستوسين المتأخر[١٣٣]. وقد تطورت الحقوق في المِلكية بطرق معقدة منذ بداية الحضارة حتى القوانين الرومانية الحكومية، وعادة ما يُربط التضاد الشديد بين نظم حقوق المِلكية في الوديان النهرية لبلاد ما بين النهرين ومصر بالتضادات المهمة في البيئة التي أبرزتُها في الفصل الخامس. وربما لم تكن تصورات ما شكَّل المِلكية الخاصة مختلفة إلى هذا الحد بين اليونان الكلاسيكية ومصر البطلمية على سبيل المثال، لكن العلاقات الاجتماعية حول حقوق المِلكية اختلفت بشدة[١٣٤].

استلزم الري وإنتاج المحاصيل المحليان في أحواض الري قدرا كبيرا من التعاون لصيانة قنوات الري، وإدارة توقيت إدخال المياه إلى الحقول وتصريفها وبذر الحبوب وما إليها[١٣٥]. وفي هذا الجانب يوجد تضاد شديد مع أماكن مثل أتيكا القديمة في اليونان التي كانت الزراعة الجافة في مزارع أسرية فردية تمثل القاعدة فيها[١٣٦]. وكما يؤكد اير Eyre عن حق، فإن هذه المزارع الأسرية الفردية كانت مستحيلة في البيئة المصرية. كان تكافل حوض الري والقرية الأساس للزراعة في مصر. وهذا النظام مُوَثَّق أيضاً في أماكن أخرى[١٣٧]. وقد أدارت المجموعات الأسرية حقائب من الأراضي مملوكة فرديا "بأنصبة" موروثة، كانت موزعة جغرافيا للحد من الخطر. وكانت القرارات بشأن الزراعة والعمل في الحقول تتخذ كل سنة تأسيسا على ظروف المياه وحالة التربة على المستوى المحلي. كان ذلك بالطبع استجابة مرنة لبيئة فوضوية، لكنها أنتجت عائدات رائعة لكل وحدة عمل[١٣٨].

يعد نموذج بارك Park جيدا عموما لمصر القديمة، وفيه يذهب إلى أن المعابد والملك أكدوا السيطرة الإدارية تدريجيا على مساحات كبيرة من الأرض في فترات السيطرة المركزية، وأن أطيان المعابد كانت عادة تدير أراضي الحياض الفيضية، وهي مساحات كبيرة من الأرض كانت تخضع اسميا لسيطرة المعابد، لكنها كانت إما ذات مِلكية خاصة، أو تؤجر للغير، أو يعمل فيها أتباع المعابد ضمن نظام زراعي محلي معقد. كان نظام المِلكية معقدا، فلم توجد المِلكية الخاصة الفردية في الأحواض لأنها لم تكن إجراء عمليا في هذا النظام. وبدلا من ذلك، تصف وثائق قانونية لاحقة نظاما يضم "طيفا من الحقوق" في الأرض، كانت غالبا تحوزها أسر، لكن كان من الممكن تأجيرها أو بيعها باعتبارها أراضٍ

خاصة. وعلى نحو قريب مما ناقشه بارك، كان النظام المصري أيضا يتألف من تراتبية من المصالح والحقوق والالتزامات، ربطت الملك والمعابد (التي كانت تجمع الضرائب والإيجارات) بجماعات الأسر أو جماعات المكانة المحلية التي كانت تتعامل مع الفيضان[١٣٩].

على أن الحيازة المشتركة للمِلكية بين جماعة القرابة أو المكانة، وهي حقوق انتفاع قابلة للنقل، وليست مِلكية خاصة فردية، لم تكن، كما يذهب بارك في حالة حوض السنغال، ناتجة عن تكلفة التسييج(٣٢)، بل بالأحرى عن حقيقة أن النظام الاجتماعي التراتبي في بيئة فوضوية جعل إعادة التوزيع السنوية للموارد الحل الأمثل. وربما تعزز هذا النظام بفعل ضرورة تعاون الجماعة في صيانة قنوات الري وتوقيت إدخال المياه إلى الأحواض وما إليها من أعمال.

ربما سادت حقوق مِلكية خاصة أقوى في مناطق مصر الأعلى في الكثافة السكانية، كما هو مُوَثَّق في مصر العليا بين طيبة وأسوان على سبيل المثال[١٤٠]. كان المعبد المحلي الجسر إلى الدولة المركزية، على الأقل في الكثير من المناطق التي قام فيها المعبد بتنسيق مِلكية الأرض في منطقته والتي لعب فيها الملك الدور الطقوسي للكاهن الأكبر في العبادة المحلية[١٤١]. امتلكت المعابد (أتحدث هنا عن المعابد الحكومية الرئيسة في مقابل الأضرحة المحلية والمعابد الأصغر) حقائب من الأراضي كانت موزعة عبر منطقة واسعة، واتُخذت مراكز إدارية (من ضمن ذلك إدارة الأخطار). لم تكن المعابد "مُلاك أراضٍ غائبون" بالمعنى الضيق للكلمة[١٤٢](٣٣). فقد وفرت المعابد فرص العمل، وكانت مكان المهرجانات المحلية، ومركز العبادة، ورمزيا ضامن الاستقرار والنظام الاجتماعي، والوسيلة التي حكم من خلالها الملك. وربما لذلك وضع النظام الاجتماعي التراتبي الذي تطور حول الزراعة على انحسار الفيضان وحيازات المِلكية المشتركة، عائقا كبيرا أمام تطور الديمقراطية على الطراز الأثيني. لكن النقطة المهمة هي أن نظام الحكم المصري أوجد توازنا دام عادة قرونا كثيرة في المرة الواحدة.

---

(٣٢) التسييج enclosure هو عملية وضع سياجات للأراضي أو تعيين حدود لها لتصبح ملكية فردية تُوَرث وتُباع، بعد أن كانت أرضا مشاعا للزراعة وللرعي. استغرقت هذه العملية قرونا في أوروبا، وبحلول القرن التاسع عشر صارت الأرض المشاع غير المُسيّجة في أوروبا تقتصر على المراعي الوعرة في المناطق الجبلية [المترجم].

(٣٣) مالك الأرض الغائب هو الشخص الذي يملك أرضاً في الريف، لكنه يعيش بعيداً عنها في الحضر، وتقتصر علاقته بها على تحصيل الإيجار أو الحصول على حصته من المحصول. [المترجم]

فيما يتعلق بحقوق المِلكية، هناك تقليد طويل للاتفاقات التعاقدية في مصر والشرق الأدنى القديمين، التي تدور حولها نسبة كبيرة من النصوص الخاصة من المنطقتين. فاتفاقات البيع الخاص والتأجير والشراكة شكل قديم في الشرق الأدنى شبّهه البعض بكوميندا العصور الوسطى، وهي نوع من العقود لعب دورا مهما في النمو الاقتصادي الأوروبي خلال العصور الوسطى، يمكن إرجاع أصوله إلى الاتفاقات التجارية في الإمبراطورية الآشورية القديمة[١٤٣]. وذهب أحد التقديرات إلى أن اثنين وسبعين بالمائة من الأراضي الزراعية في إحدى المناطق في جنوب مصر خلال الحقبة البطلمية كانت في أيدٍ خاصة، وهي حالة ربما كانت نمطا معتادا في الوادي النهري[١٤٤].

تطورت حقوق المِلكية في العالم اليوناني خلال الحقبة العتيقة في الدول المدينية، وكانت حقوق المِلكية مقيّدة، في بيع العبيد والأراضي[١٤٥]. وكان لدى الدول المدينية اليونانية خلال الحقبة الكلاسيكية تصور متطور لحقوق المِلكية الخاصة، على الرغم من أن هذه الحقوق اختلفت من مدينة لأخرى، وكان تسجيل مبيعات الأراضي وإشهارها متطورا[١٤٦].

دفع معدل التبادل الخاص المتزايد خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة استخداما متزايدا للعقد في شراء السلع عالية القيمة مثل الأراضي والبيوت والحيوانات وبيعها. وتوضح الكتيبات القانونية البطلمية المبكرة التي ترجع على الأرجح- تأسيسا على بعض الإشارات الداخلية فيها- إلى وقت أسبق في الألف الأول قبل الحقبة المشتركة، أن التعاقدات الخاصة كانت جزءا معياريا من القانون الخاص في مصر الألف الأول قبل الحقبة المشتركة[١٤٧]. كان القانون البطلمي نظاما قانونيا جديدا، رُسِّخ في مصر على مدار أوائل القرن الثالث قبل الحقبة المشتركة، انبثق عنه تطور المحاكم المتوازية وبيروقراطية لإدارة النزاعات. ومن المفترض عموما أن بناء الدولة البطلمية لم يغير النظام القانوني المصري بدرجة كبيرة، بل وسَّعه وحسب، من خلال استيعاب الاتفاقات المكتوبة باللغة اليونانية والمحاكم اليونانية[١٤٨]. غير أن غزو الإسكندر لمصر وما تلاه من تكوين دولة جديدة ذات سيادة وبيروقراطية قائمة على اللغة اليونانية قد أدى فعليا إلى تشكيل القانون المصري وتنظيم العدالة بطرق جديدة، وفي الوقت نفسه استمرت الأبنية المؤسسية المحلية الأساسية واستخدام اللغة المصرية الديموطيقية. تتجلى هذه التغيرات في أوضح صورها في العلاقة بين البيروقراطية والمحاكم، لكن ربما كانت سجلات المِلكية مؤسسة أخرى أُخِذت على الأرجح عن الخبرة الأثينية[١٤٩]. ويمكن تقديم

مقارنات تاريخية حول تأثيرات الغزو والتغير المؤسسي مع اتخاذ المواءمات اللازمة، وهنا يقفز الغزو النورماني لإنجلترا إلى العقل فورا[٣٤].

تقدم سجلات المحاكم حول النزاعات الأسرية على مِلكية الأراضي التي تُؤرَّخ إلى منتصف القرن الثاني قبل الحقبة المشتركة تفاصيل ثرية حول تفاعل المؤسسات القانونية الحكومية والمحلية[١٥٠]. وثمة ثلاثة جوانب لنزاع حدث في أسيوط بمصر الوسطى تمثل أهمية خاصة لفهم العلاقة بين البيروقراطية البطلمية والقانون المحلي. أما الجانب الأول، وهو نزاع محلي على السيطرة على أرض أسرية ودعوى لاحقة رفعتها زوجة أحد أطراف النزاع، فقد بدأ في شكل عريضة مكتوبة باللغة المصرية (من المفترض أنها تُرجمت في مرحلة تالية إلى اللغة اليونانية) موجهة للمسؤولين البطالمة. شمل النزاع كلا من الإبيستاتيس والاستراتيجوس، وفي النهاية، أحال هؤلاء المسؤولون اليونانيون النزاع إلى المحكمة المصرية المحلية لتقصي الحقائق والفصل في النزاع. كان ممثِّل رسمي للدولة يحضر هذه المحكمة المحلية، هو الأيساغوغيوس eisagogeus. وأخيرا، سُجلت إجراءات المحاكمة وحكم القضاة كاملةً.

يعد هذا النص في حقيقته نسخة من إجراءات المحاكمة، كما يقول النص في سطره الأول[١٥١]. ويشير النص ضمنا إلى أن أكثر من نسخة قد كُتبت من الإجراءات. ويوَثِّق النص ردود الطرفين الشفهية على ادعاءاتهما المكتوبة أمام المسؤولين البطالمة، التي يفترض أنها حسمت تسوية النزاع الأسري. نشأ ذلك النزاع عن تقسيم أب راحل لأرض الأسرة على ولديه من زوجتين مختلفتين، وكانت المدعية زوجة الابن الأكبر، والمدعى عليه الابن الأصغر. إن المهم هنا هو أننا أمام تسجيل كامل لإجراءات المحاكمة وحكم القضاة وتفكيرهم القانوني الكامن وراء حكمهم[١٥٢]. على أنه ليس

(٣٤) النورمان Normans (بمعنى الشماليين Norseman) شعب ينحدر من الفايكنغ الشماليين من الدانمرك وأيسلندا والنرويج، ارتحلوا جنوبا خلال القرنين العاشر والحادي عشر، وأعطوا اسمهم لمنطقة نورماندي Normandy الواقعة غرب فرنسا (لذلك يطلق عليهم أحيانا اسم النورمانديين)، أقسموا بالولاء (بزعامة رولو Rollo) للملك شارل الثالث ملك فرانكيا الغربية، واستوعبتهم الثقافة الكارولينغية تدريجيا. كان غزو وليام النورماندي William of Normandy لإنجلترا في عام ١٠٦٦ فاتحة لعصر جديد لهذه المملكة التي ظلت قبل ذلك مقسمة وغير مستقرة. [المترجم]

بوسعي هنا أن أحسم مسألة ما إذا كان هذا التسجيل البيروقراطي للمحاكمات سمة جديدة للبيروقراطية البطلمية أم إرثاً يرجع إلى أزمنة سابقة.

كانت المحاكمة المحاولة الثانية للتوصل إلى تسوية قانونية، وقد وقعت أحداثها في أسيوط بمصر الوسطى أمام قضاة كهنة من معبد وبواوت(٣٥)، في محكمة اللاوكريتاي المحلية(٣٦)، كما أسمتها الإدارة البطلمية، التي كانت التسوية النهائية للنزاع من سلطتها (نظريا). كان طرفا الدعوى مرتبطين بالمعبد، وكانت الأرض المتنازع عليها تقع ضمن أطيان المعابد. وعلى الرغم من العرائض المكتوبة للمسؤولين البطالمة لتسوية النزاع بأنفسهم، أُحيلت القضية إلى المعبد المحلي للفصل فيها. حدثت المحاكمة في يونيو ١٧٠ ق.ح، بعد نحو ست عشرة سنة من إخماد البطالمة لأخطر ثورة ضد حكمهم في مصر، وهي الثورة التي غطت المنطقة الطيبية في أعوام ٢٠٥-١٨٦ ق.ح، وقبل أشهر فقط من أول غزو لمصر من جانب أنطيوخوس الرابع[١٥٣]. من الواضح أن النظام البيروقراطي البطلمي كان قد حقق سيطرة أشد إحكاما على المنطقة بعد الثورة الطيبية الكبرى. كانت هذه الفترة في رأي الكثير من الدارسين فترة تدهور كامل للدولة البطلمية على الأصعدة الاقتصادية والثقافية وغيرها. وهناك الكثير مما يوضح أن هذا التدهور حدث أيضا في السياسة الدولية. غير أن هذه المحاكمة تكشِف عن شيء آخر حول المؤسسات الحكومية. فاستجابة المسؤولين البطالمة، ودقة سيّر المحاكمة ذاتها، والاستشهاد الدقيق بالقانون الحاكم، وتقديم توثيق داعم للمِلكية، تكشِف جميعها عن نظام بيروقراطي جيد الأداء. وكذلك يبرِز النص تعقيدات النظام ثنائي اللغة، ويثبت أن البطالمة وفروا الحماية للادعاءات الخاصة في الأرض.

عُقدت المحاكمة- هكذا يفترض- أمام باب المعبد الرئيس، وهو المكان التقليدي للمحاكمات بحسب القانون المصري[١٥٤]. تألفت المحكمة من ثلاثة كهنة و"وكيل" (أيساغوغيوس)، وهو موظف

(٣٥) وبواوت Wepwawet (بمعنى فاتح الطريق في المصرية القديمة) معبود مصري قديم، اتخذه المصريون القدماء إلها للحرب، صوروه على هيئة ذئب، كانت أسيوط مركز عبادته، وعلى ذلك فإن المعبد المذكور مُعَرَّف باسم الإله المعبود فيه، وليس اسم المدينة أو المكان الذي يقع فيه المعبد. [المترجم]

(٣٦) لاوكريتاي laokritai محكمة مفوضة من الملك في مصر البطلمية، تألفت من ثلاثة قضاة من المصريين مأخوذين من طبقة الكهنة، كانت تفصل في نزاعات القانون المدني بين المصريين (أي الناس lao باليونانية، بمعنى الأهالي في مقابل الحكام الأجانب) بقانونهم الموروث وباستخدام اللغة الديموطيقية، كان يترأسها موظف يوناني الجنسية معين من الإدارة المركزية يسمى الأيساغوغيوس eisagōgeús. [المترجم]

بطلمي كان يعرض القضية أمام القضاة ويعمل ممثّلا للدولة[١٥٥]. مَثُل الطرفان أمام المحكمة، وبدأت الإجراءات بإعلان المدعية ادعائها الرئيس، وهو أن الأرض كلها ملكها وتنتقل منها إلى أولادها، وبغرض دعم ادعائها، استشهدت المرأة بفقرة مما أسمته "قانون السنة ٢١" (law of year 21) تتعلق بحقوق الأبناء من الزواج الأول في الميراث. وادعت المرأة أيضا أن زوجها قد أُجبِر على التنازل عن ثلث الأرض. بعد ذلك، رد المدعى عليه تفحابي Tefhape تفصيليا على ادعاءات المدعية، وأنكرها، وقدم وثائق تثبت ادعاءه، ثم ردت المدعية، وبعدها رد عليها المدعى عليه تفحابي مجدداً.

ثم قرأ كاتب المحكمة الادعاءات أمام الطرفين، وسأل القضاة كل طرف إن كان موافقا على ما قرأه الكاتب، ثم قُدمت وثائق تدعم ادعاءات كل طرف. وأوجز القضاة النقاط القانونية الأساسية في كل ادعاء، واستشهدوا بـ"قانون السنة٢١"، وهو القانون نفسه الذي استشهدت به المدعية. ومما لا يقل عن ذلك أهمية أن القضاة احتكموا إلى نسخة أوفى من القانون، ونبَّهوا إلى أن أبناء الزواج الأول لهم الأولوية في ممتلكات الأب، "ما لم يوافقوا على تخصيص أنصبة للأشقاء الآخرين"، وهو ما حدث في قضيتنا، إذ وافق زوج كراتيانخ على التنازل عن ثلث الأرض لأخيه غير الشقيق، ووافقت هي الأخرى على التنازل، كما جاء في الإجراءات[١٥٦]. على هذا الأساس، حكم القضاة لصالح المدعى عليه، وأكدوا حكمهم بتوقيعاتهم في آخر الوثيقة، جنبا إلى جنب مع توقيع كاتب المحكمة الذي كان على الأرجح مؤلف الوثيقة.

يعد تعقيد النظام القانوني البطلمي أحد جوانب التفاصيل التقنية الجديرة بالملاحظة في محاكمة أسيوط. نتج ذلك التعقيد عن عاملين رئيسين، أولهما أن النظام البيروقراطي عمل بلغتين، هما اليونانية والديموطيقية، إذ سيطر يونانيون، أو على الأقل موظفون بأسماء يونانية، على الوظائف الإدارية الحكومية (مثل الإبيستاتيس والاستراتيجوس)، في حين كانت السيطرة للمصريين واللغة المصرية على إدارة المعابد المحلية.

في هذا النزاع الأسري، كانت العرائض التي حُفظت مكتوبة بالديموطيقية، ولا بد أنها تُرجمت للموظفين البطالمة، أو على الأقل لأولئك الذين كانوا متمركزين في مدينة بطوليمايس. ومن المفترض

أن ذلك كان السبب وراء عمل كهنة أنحور مع الموظفين البطالمة في مدينة بطوليمايس(٣٧)، وهو ما نعرفه من أن الطرف الخاسر نقل دعواه إليهم. ثانيا، كانت المصادر القانونية التي استشهدوا بها لدعم حجة كل طرف متنوعة وكثيرة، إذ يحتكم الطرفان إلى "قانون السنة ٢١" الذي كان على الأرجح مرسوما ملكيا يتعلق بقانون الميراث المصري، وإلى "القانون السادس" و"اللوح الثامن" وغيرها[١٥٧]. من الواضح أن هذا الاستشهاد بقوانين مختلفة كان معرفة فنية عالية، كانت على الأرجح أعلى من إمكانات عامة الناس. وتبرِز القضية حقيقة أن المدعى عليه كان بوسعه أن يقدم وثائق مُوَثَّقة وموقعة من شهود أثبتت أن الأخ الأكبر وافق على تقسيم أبيه لممتلكات الأسرة بينه وبين أخيه. وبالتوازي مع التقليد القانوني المصري المكتوب والمحاكم المحلية، كان هناك موظفون بطالمة من أسيوط ومن بطوليمايس.

يزودنا هذا التعقيد- في اعتقادي- بواحدة من أهم الحقائق التاريخية التي تنبثق عن هذا الأرشيف، وهي أن القضاة سألوا المدعية كراتيانخ: "هل هناك رجل يتحدث نيابة عنكِ؟" فتقدم رجل باسم غير مصري للإجابة عن بضع نقاط فنية نيابة عن المدعية. لم يكن هذا الرجل وصيا (أي كوريوس kurios باللغة اليونانية) لأنه لم يُعرِّف بهذه الصفة، بل سُمي رجل وحسب، لكن من الصعب أن نقاوم استنتاج أنه كان محاميا advocate عن المرأة. وكذلك على العريضة غير ذات الصلة المدونة على ظهر البردية، يوجد شخص يدعى توت ابن بتيحور Tout son of Petihor عُرِّف تحديدا بأنه محامٍ عن كهنة إيزيس في أسوان(٣٨).

في قسم شهير حول "الوجهاء" القانونيين legal Honoratiores، يحاول ماكس فيبر تفسير ظهور المحامين (كمفهوم مميّز عن المحامين lawyers كما نعرفهم اليوم) ضمن القانونين الفرنسي والإنجليزي خلال العصور الوسطى[١٥٨]. فبدافع الحاجة إلى دقة الكلمة المنطوقة في المحاكم، كان للمحكمة في هذين النظامين أن تعيّن أشخاصا يسمون "مدققي الأحكام" judgment finders بناء على طلب أحد الأطراف "للتحدث نيابة" عنه في القضية. على أننا لا نعرف إلا القليل جدا حول هؤلاء المحامين في

(٣٧) أنحور Anhour (أو أنوريس Onuris في عهود لاحقة) إله الحرب الذي كان يعبد في منطقة أبيدوس المصرية، لا سيما في طيبة. [المترجم]

(٣٨) إيزيس Isis إلهة رئيسة في الديانة المصرية القديمة، انتشرت عبادتها في العالم اليوناني-الروماني، ذُكرت لأول مرة خلال المملكة المصرية القديمة ضمن أسطورة أوزوريس الذي كانت زوجته وأم وريثه حورس. [المترجم]

المحاكمات المصرية الفرعونية[١٥٩]. لكن من الواضح أن السياق القانوني البطلمي ببيروقراطيته ثنائية اللغة، وما ورثه من نظام قديم من الوثائق المكتوبة المعقدة، وما أوجده من نظام بيروقراطي جديد قائم على اللغة اليونانية، وما ميّزه من تداخل بين المستوى المحلي ومستوى المنطقة ومستوى الدولة ككل، قد أنتج تعقيدات مؤسسية جديدة[١٦٠]. وتماما كما هي الحال في القانون الصيني، لم يتخلص القانون المصري من السيطرة البيروقراطية، ولذلك "ظل أداة للسيطرة السياسية والاجتماعية من جانب الإمبراطور أو رأس هرم السلطة الإمبراطورية"[١٦١]. وفي الحالتين المصرية والصينية، أدت حلقات التغذية الراجعة السلبية بين الاقتصاد السياسي والبيروقراطية الباتريمونية والمؤسسات الاقتصادية على الأرجح إلى نتائج اقتصادية أقل من مثالية. فعلى النقيض من الاقتصادات الكلاسيكية، أثرت ادعاءات المِلكية المتداخلة للأرض بين المؤسسات والأفراد في الحالتين على إمكانية نقل مِلكية الأرض من خلال السوق، وربما كان لها تأثيرات مهمة على الأداء الاقتصادي. لقد حظي هذا الموضوع، أي الأداء أو النمو في الاقتصادات ما قبل الحديثة، باهتمام كبير، ولا يزال حالياً محل جدل حامٍ، وهو الموضوع الذي أناقشه في الفصل التالي.

الفصل الثامن

النمو والابتكار والأسواق والتجارة
Growth, Innovation, Markets, and Trade

إن الأسواق التي لا يمكن أن تكون أحداثاً هامشية في حياة الناس العاديين، انطوت على الأرجح في الوقت عينه على فرص للإثارة والتنوع والانغماس في الملذات، تماماً كما كانت خلال العصور الوسطى والأزمنة اللاحقة.

كانت ساحات الأسواق فضاءات لكل أنواع الصفقات التجارية، ورسالة تذكير بأن التبادلات (اللفظية والمادية) لم تكن مجرد تمارين وظيفية وحسب، بل حدثت ضمن بيئة اجتماعية وثقافية بعينها.

—Archibald (2005: 16)

أعطى الملك سليمان حيرام ملك صور عشرين بلدة في الجليل، لأن حيرام أمده بكل خشب الأرز والعرعر والذهب الذي طلبه.

—I Kings 9: 11

أتناولُ في هذا الفصل الأول عددا من القضايا المعقدة والمترابطة[1]. كانت هذه القضايا الأربع جميعها محل جدل حامٍ لأكثر من قرن من الزمن، وهي قضايا توجد في صميم طبيعة الاقتصادات ما قبل الحديثة. وما تزال القصة النهائية لكل من هذه القضايا لم تُكتب بعد، بالدرجة الأولى لأن مصادرنا فيما يتعلق بالنمو تحديدا أثرية في غالبها وعرضة لمدى واسع من التفسيرات. وعلى ذلك، فإننا إلى جانب

فهم التحولات في التجارة وفي السلع المتبادلة، علينا أن نعيد بناء- من موقع أثري إلى آخر- ما كان يُنتَج، وما كان يُبادَل، وكيف كان يُنقَل، وكيف تغيرت الحالة الإنسانية مع مرور الزمن[١].

تشكل التجارة موضوعا آخر بالغ الأهمية، كُتبت فيه بالفعل أدبيات ثرية، أبرزت أن ما يسمى المرحلة التَشَرُّقية من التاريخ الثقافي المادي اليوناني (القرون من الثامن إلى السادس قبل الحقبة المشتركة) لا تمثل شيئا يذكر بالنسبة للاتصال الشامل بين الحضارة اليونانية المبكرة وشرق حوض البحر الأبيض المتوسط[٢][٢]. على أن فهم الأسواق والصفقات الجارية ضمنها عملية شديدة التعقيد، ومع أن وجود الأسواق خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة مسألة لا جدال فيها، فلا تزال هناك حاجة إلى المزيد من الأعمال لفهم كيف تفاعلت الأسواق مع أنماط التبادل الأخرى، وكيف شكلت المؤسسات الأسواق، وكيف تشكلت الأسواق- بدورها- بفعل الأسواق والطلب.

النمو والقيود على النمو

كانت دراسة النمو، أو "الأداء الاقتصادي"، تحديدا فيما يتعلق بالعالم الكلاسيكي، موضوعا حاميا بين مؤرخي التاريخ القديم خلال السنوات الأخيرة[٣]، لكنه ليس موضوعا بسيطا. يقدم كنسين Conison سياقا حذرا لدراسة النمو:

> يحدث النمو الاقتصادي عندما يكون هناك تغير في الناتج والدخل لكل فرد في أحد الاقتصادات. للوهلة الأولى، يبدو النمو ملائما تماما للتحليل التاريخي، لأنه ينطوي على عمليات حركية بدلا من السكون. لكن على أرض الواقع، تكتنف دراسة النمو صعوبة هائلة، جزئيا بسبب الافتقار إلى البيانات عموما، وجزئيا بسبب تنازع دارسي الاقتصاد حول أسباب النمو الاقتصادي[٤].

---

(١) الحالة الإنسانية human condition مفهوم يشير إلى السمات الفريدة للإنسان، لا سيما الشواغل الأساسية للوجود الإنساني، تشمل الجزء الثابت في طبيعة البشر المتأصل والفطري وغير المتوقف على عوامل مثل النوع أو العرق أو الثقافة أو الطبقة، وتشمل شواغل مثل معنى الحياة، والبحث عن الإشباع، وحس الفضول، وحتمية الفراق، والوعي بأنه لا مهرب من الموت. [المترجم]

(٢) راجع حاشية سابقة حول المرحلة التَشَرُّقية، ومفهوم "التَشَرُّق". [المترجم]

جاء في موضع سابق (الشكل ٤) أن الرسم البياني الذي قدمه غريغوري كلارك يوحي بأن الفخ المالتوسي قد حرَم العالم ما قبل الحديث كاملا، في كل مكان وزمان، من إنجاز نمو حقيقي لكل فرد real per capita growth. لكن الأدلة من البحر الأبيض المتوسط توحي بخلاف ذلك. فقد حدثت فعلا عدة فترات مُثْبَتة من النمو في العالم اليوناني وفي الإمبراطورية الرومانية، وكذلك على الأرجح- على الرغم من صعوبة الأدلة التجريبية- في بلاد بابل وفي مصر. كما أن الظروف المعيشية الأساسية التي ناقشناها فيما سبق، وزيادة سكان الحضر، وحماية حقوق المِلكية، وانتشار العملة، وزيادة عدد الأسواق جيدة الأداء، والصفقات السوقية، توحي جميعها بإمكانية حدوث دورات من الازدهار الإيجابي[٥].

ومع أن النمو الاقتصادي الحقيقي يشكل هاجسا أساسيا للسياسات الحكومية الحديثة في مختلف أنحاء العالم، فإنه لم يكن "سياسة" ولا "هاجساً" لأي دولة في العالم ما قبل الحديث. فقد كان مفهوم تنمية الاقتصاد وتحسين حال جميع أفراد المجتمع غائبا تماما في عالم البحر الأبيض المتوسط ما قبل الحديث. كانت كل الاقتصادات ما قبل الحديثة "عضوية"، إذ كان البشر والحيوانات والخشب والماء هي مصادر الطاقة الرئيسة، التي ارتبطت بالدورة الزراعية السنوية. على أن فهم النمو في الاقتصادات ما قبل الحديثة قد أصبح مؤخرا نشاطا أساسيا[٦]. وقد حظي الاقتصادان اليوناني والروماني الكلاسيكيان حتى الآن بأغلب الانتباه. ويكشف تقدير قُدِّم مؤخرا أن النمو بلغ في اليونان الكلاسيكية خمسة عشر من مائة بالمائة، وبلغ في الإمبراطورية الرومانية خلال القرنين الأولين من الحقبة المشتركة عُشر بالمائة سنويا[٧]. وأفضل تقدير حاليا للناتج المحلي الإجمالي الروماني لكل فرد هو زهاء نصف ما حققته أوروبا خلال العصر الحديث المبكر[٨]. يعطينا ذلك إحساسا بنطاق النمو في الاقتصادات ما قبل الحديثة أو "العضوية" وحدوده الحقيقية. لكن ما يزال الجدل حاضرا بسبب الأدلة الأثرية الإشكالية، وفي الحالة الرومانية بسبب الافتراضات حول التحسن التقني البطيء وقلة الاستثمار في رأس المال البشري.

تشكل دراسة النمو وأنواع النمو وتفسيراته جانبا مهما من فهم الاقتصادات القديمة، ومع ذلك فإن الجدل بين المُنَظِّرين الحديثين حول العوامل التي تؤدي إلى إنتاجية أعلى ومستويات معيشية أفضل يجعل الاستنتاجات حول النمو القديم مؤقتة في أحسن الأحوال. وعلى الرغم من أن بعض الدارسين أعلنوا أن النمو موضوع "عسير"، فإن هناك آخرين يحاولون قياس النمو بحماس[٩]. يُستخدَم النمو

الحقيقي لكل فرد باعتباره العامل المميِّز الرئيس بين أوروبا ما بعد الثورة الصناعية من جانب، وبقية العالم وكل التاريخ العالمي السابق من جانب آخر. قد يوحي شكل عصا الهوكي الشهير بعد عام ١٨٠٠ (الشكل ٤) بأن معدلات النمو شديدة الضآلة في العالم ما قبل الحديث لا تترك مجالا للتقصي والدراسة. ومع ذلك فإن الموضوع كان رائجا في الأعمال الأخيرة حول الاقتصادات القديمة، بالدرجة الأولى حول الاقتصاد الأثيني والإمبراطوري الروماني[١٠]، وذلك لأن النمو ما قبل الحديث نتج عن بنية اجتماعية بعينها وعن الموقع الجغرافي والقيود البيئية والمؤسسات الجبائية وما إليها. وقد ظهر الكثير من الدراسات الكمية والدراسات المقارنة للأجور الحقيقية وأحجام البيوت وغيرها من القياسات التمثيلية للنمو الحقيقي، قدمت الكثير مما يمكن مناقشته[١١].

تكمن أهمية دراسة النمو ما قبل الحديث في أنه يمكننا من وضع التاريخ طويل المدى للنمو والانكماش في السياق، ويعرِّفنا في أي ظروف اجتماعية ثقافية حدث ذلك، وماذا كانت التأثيرات الفارقة للجغرافيا والظروف البيئية. وقد نظر الكثيرون إلى التطورات في العالم ما قبل الحديث باعتبارها جزءا "تراكميا" أساسيا في فهم النمو الاقتصادي العالمي خلال الخمسمائة سنة الأخيرة[١٢]. ومؤخرا، أوجز جون بروك John Brooke الجدل حول النمو ما قبل الحديث على نحو مفيد، ومن اللافت للانتباه أنه جعل من التغير المناخي أحد العوامل المفسرة للنمو[١٣]. ربما شكلت هزات خارجية شومبترية الطابع ناتجة عن التغير المناخي، كما رأينا في حالة نهر النيل والبطالمة، قيّدا ثقيلا[١٤](٣). على أننا لا يجب أن نخلط "التراكمي" مع الخطي أو المستدام، بل يجب أن يكون التوسع والانكماش الدوريان جنبا إلى جنب مع فترات الاستقرار المختلفة الأساس لأي نموذج طويل المدى، وينبغي التأكيد على أن النمو الحقيقي بعد عام ١٥٠٠ ح.م كان من نوع مختلف[١٥].

---

(٣) شومبترية Schumpeterian نسبة إلى دارس الاقتصاد السياسي النمساوي جوزيف ألويس شومبتر Joseph Aloïs Schumpeter الذي روج لمفهوم "التدمير الخلاق" creative destruction في الاقتصاد، وهي "عملية من التحول الصناعي التي تؤدي دوما إلى تثوير البنية الاقتصادية من الداخل، مدمرةً البنية القديمة وموجدةً بنية أخرى جديدة". يرى شومبتر أن رائد الأعمال يعيق التوازن، ولذلك يعد السبب الأساسي للنمو الاقتصادي الذي يسير في دورات تصاعدية. يشير النسب إليه إلى هذه الدلالات. [المترجم]

إن أسباب النمو أو الأداء الاقتصادي أو مُحَدِّداتها كثيرة، ويقيّمها المؤرخون الاقتصاديون بطرق مختلفة[١٦]. فقد أكد آدم سميث على التجارة، ذلك أن الزيادة في الوصول إلى السوق أحدثت زيادة في الإنتاج. أما نموذج سولو سوان للنمو الكلاسيكي الحديث Solow-Swan neoclassical model of growth، وهو مفهوم رئيس في علم الاقتصاد، فيشدد على دور التغير التقني في دفع الزيادات في الناتج لكل فرد per capita output. كما أن رأس المال البشري (التعليم) الذي يُربط بالتحسن التقني، يسمح بنمو مستدام في الإنتاجية لكل عامل. وقد كان التغير التقني حقيقة على امتداد البحر الأبيض المتوسط ما قبل الحديث، لكنه كان في غالبه تحسينات صغيرة، وليس "قفزات كبيرة" في المعرفة التقنية. وكذلك يُربط التغير السكاني الإيجابي بمعدل التغير التقني[١٧]. وثمة عوامل مهمة أخرى تشمل النظم الجبائية الحكومية التي رفعت الإنتاجية، والنمو السكاني، والتوسع الإمبراطوري، ودور المدن والبلدات في تحفيز التجارة، ونمو المدن خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة[١٨].

حاول جاك غولدستون أن يضع مفردات جديدة لتحقيب النمو والتراجع بمصطلحي "الإزهار" efflorescence و"الأزمة" crisis، ويذهب إلى أن توسعات العصر البرونزي التي تُفهم على أنها نبضات أو إزهارات، تكشِف عن نوع "سميثي" من النمو[١٩][٤]، وهي الفكرة التي يتبناها تيرتشن ونيفيدوف وهما يحللان "الدورات العلمانية" للتوسع والانكماش السكانيين والإقليميين المدفوعة بالتنافس داخل النخبة[٢٠][٥].

يضع علم الاقتصاد المؤسسي الجديد المؤسسات الداعمة للاستقرار أو المُنْشِئة للتوازن في قلب الفهم التاريخي للنمو الاقتصادي طويل المدى. تشكل المؤسسات الظروف للنمو. ويعد القانون وحماية حقوق المِلكية "مُحَدِّدات الأداء". لكن التغير المناخي والمرض كانا أيضا من القوى الدافعة المهمة للأداء في العالم ما قبل الحديث، وهنا تحديدا ربما كانت الفترة المناخية التي تُعرَف باسم "الفترة المثلى الكلاسيكية" التي امتدت بين عامي ٤٠٠ ق.ح و٢٠٠ ح.م قوة دافعة عالمية للنمو السكاني،

---

(٤) "سميثي" نسبة إلى مؤسس علم الاقتصاد الكلاسيكي ورائد الاقتصاد السياسي آدم سميث صاحب كتاب "ثروة الأمم" الذي ذهب إلى أن تراكم الثورة والرفاه يأتيان من تعزيز المبادرة الفردية والمنافسة وحرية التجارة واقتصاد السوق بوجه عام. يشير النسب إليه إلى هذه الدلالات. [المترجم]

(٥) علمانية بمعنى أنها لم تكن منظمة حول المعابد ولا مدفوعة منها. [المترجم]

ومن اللافت للانتباه أن عدد السكان في البحر الأبيض المتوسط والهند والصين وأوروبا نما بمعدل خمسة وسبعين بالمائة بين عامي ٤٠٠ ق.ح و٢٠٠ ح.م[٢١].

قياس النمو

هناك نوعان أساسيان من النمو الاقتصادي، هما النمو المُرَكّز والانتشاري. يقاس النمو الانتشاري extensive growth أو الكلي بزيادة الناتج المدفوع بزيادة عدد السكان، وهو نوع من النمو أكثر اعتيادا في التاريخ العالمي من النوع الثاني[٢٢]. ويقاس النمو المُرَكّز intensive growth بالزيادة في الناتج لكل فرد وزيادة الدخل لكل فرد، وهذا النوع الأخير من النمو هو الذي يذهب الكثير من دارسي الاقتصاد إلى أنه يميّز النمو الحديث في العالم الغربي[٢٣]. وقد أبرز إي إل جونز E. L. Jones شروط "حزمة الحالة المثلى" optimality band للنمو الاقتصادي "القديم" أو ما قبل الحديث، التي جمعت أسواق عناصر الإنتاج المُحَرَّرة ودولة "معتدلة"[٦]، أي دولة ليست متطرفة في الجباية واللصوصية، ولا مفرطة في الضعف، حتى تكون قادرة على حماية حقوق المِلكية.

ما تزال "الملاحظات المباشرة للنمو الاقتصادي أصعب في توليدها"، لا سيما مع وجود التقديرات الحدسية الفجة للسكان[٢٤]. وهناك نوعان من الأدلة يستخدمان لقياس النمو، ولّد الأول منهما، وهو الأدلة الأثرية، عدة مجموعات من البيانات التمثيلية، منها حطام السفن، وأحجام البيوت،

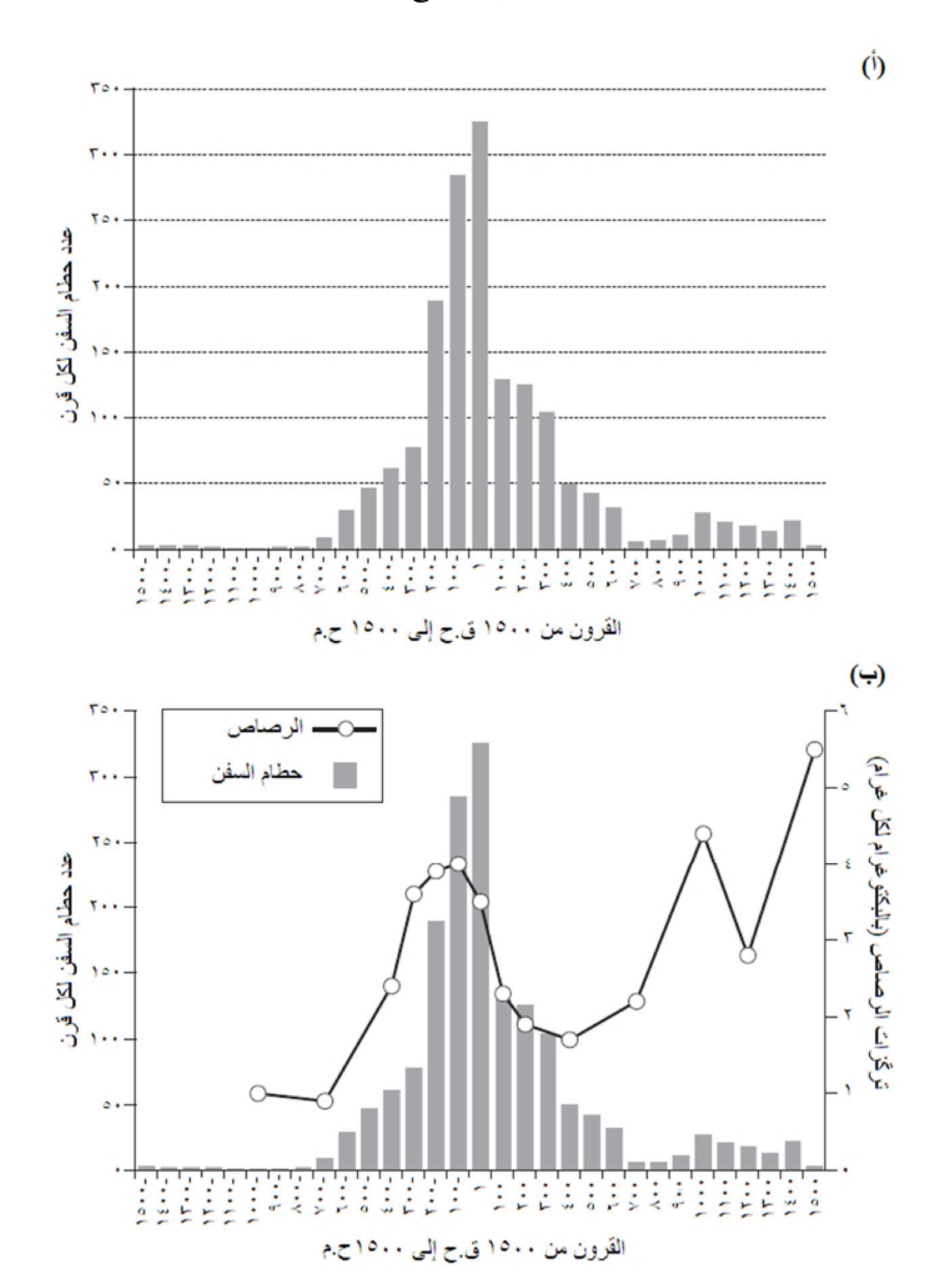
(٦) أسواق عناصر الإنتاج أسواق تباع وتشترى فيها عناصر الإنتاج factors of production مثل سوق العمل وسوق رأس المال المادي وسوق المواد الخام وسوق الإدارة والمصادر الريادية. [المترجم]

الاقتصاد المعتدل goldilocks economy (أو الدولة المعتدلة goldilocks state) هو الاقتصاد الذي لا يكون حاميا إلى الحد الذي يخلق التضخم، ولا باردا إلى الحد الذي يسبب الركود، وهو الاقتصاد الذي يعمل في الحالة المثالية لتوفير التوظيف الكامل والاستقرار الاقتصادي، ويتسم بانخفاض البطالة، وزيادة أسعار الأصول، وانخفاض أسعار الفائدة، ونمو معقول لكنه متواصل في الناتج المحلي الإجمالي، وانخفاض التضخم. يرجع المصطلح إلى ديفيد شولمان David Shulman الذي استوحاه من قصة "غولديلوكس والدببة الثلاثة" Goldilocks and The Three Bears التي تتذوق فيها الفتاة غولديلوكس Goldilocks الأكل من الطاسات الثلاث وتختار معتدل السخونة وليس شديد السخونة أو شديد البرودة. [المترجم]

واستهلاك اللحوم، وطول القامة البشرية التي تقاس ببقايا العظام البشرية، وإنتاج العملات، ومستويات التحضر، واستهلاك الطاقة[٢٥]. ويأتي النوع الثاني من الأدلة من البيانات المشتقة من العينات اللبية الجليدية القطبية ورواسب البحيرات، التي تستخدم تحليل نظائر الرصاص باعتبارها تمثيلا للناتج الصناعي لاستخدام الفضة[٢٦]. معنى ذلك أن الملاحظة غير المباشرة أكثر استخداماً، كما في حالة بلاد بابل القرن السادس قبل الحقبة المشتركة التي توجد فيها وفرة في المعلومات حول بناء الإمبراطورية، والنمو السكاني والحضري، والتخصص في العمل، وتكثف الزراعة، لا سيما في المحاصيل النقدية مثل التمور، المدفوعة بنمو الطلب الحضري والتوسع في أسواق عناصر الإنتاج[٢٧].

تعد أعمال أي جاي باركر A. J. Parker الرائدة حول حطام السفن (ع = ١٨٩ , ١) في البحر الأبيض المتوسط باعتبارها قياسا تمثيليا لنمو تجارة البحر الأبيض المتوسط طويلة المسافات وتراجعها، إحدى مجموعات البيانات التي يعاد إنتاجها على نطاق واسع للعصر القديم الغربي (الشكل ٤١)، وقد حُدِّثت هذه البيانات ونوقشت، وما تزال[٢٨]. تتمثل المشكلة الأساسية في هذه البيانات في أن الحطام لا يمكن تأريخه بدقة إلا نادرا. كما أن هناك تحيزاً في الانتقاء الأثري، ومن أمثلة ذلك أن حطام السفن المكتشف يكون غالبا متحيزا للأمفورات (في مقابل شيوع البراميل كحاويات في حمولات العصور الوسطى) وحمولات المرمر بسبب طبيعة التعرف على هذه الأكوام في قاع البحر[٧]. ونجد، في المقابل، أن سفن الحبوب و"السفن التي تحمل حمولات قابلة للتلف" ضئيلة التمثيل، وذلك لأن هذه الحمولات لا تحمي بدن السفينة بعد غرقها[٢٩]. علاوة على أن حطام السفن المعروف يتحيز للمناطق، مثل ساحل جنوب فرنسا، الذي يسهل فيه اكتشاف الحطام. من ذلك على سبيل المثال أن ساحل شمال أفريقيا (ناهيك عن الفراغ الافتراضي المتمثل في المحيط الهندي) لم يقدم سوى القليل من الحطام. كما أن التراجع في عدد الحطام المكتشف بعد القرن الثاني من الحقبة المشتركة لا يتفق مع أدلة التجارة البحرية من "المواقع البرية"[٣٠]. وتأتي بين البيانات المهمة تلك الملاحظات الحذرة التي جمعها أندرو ويلسن حول بيانات حطام السفن وغيرها من البيانات التمثيلية الأثرية التي تُستخدَم لتخطيط النمو بيانيا.

(٧) كان المرمر (الرخام) وغيره من الصخور من الحمولات البحرية المعتادة لبناء القصور والمعابد، وفيما بعد الكنائس. [المترجم]



الشكل (٤١) بيانات حطام السفن مُحَدّثةً لكل قرن (ع = ٦٤٦ , ١). من (A. Wilson (2011: 36، انظر أيضا A. Wilson (2014). بيانات نظائر الرصاص مأخوذة من (A. Wilson (2002: 26. توجد حالياً بيانات جديدة عالية الوضوح من عينات لبية جليدية من جزيرة غرينلاند حول تَرَكُّزات نظائر الرصاص.

حظي النمو في العالم اليوناني باهتمام كبير خلال السنوات القليلة الماضية. وفي دراسته الجديدة للنمو في العالم "اليوناني" التي ركزت على حجم السكان وكثافتهم، يذهب أوبر إلى أن نموا "مثيرا" قد حدث، يكشف عن نفسه في أحجام البيوت من الحقبة العتيقة إلى الحقبة الكلاسيكية[٣١]. ويذهب أوبر إلى أن توسعا كبيرا قد حدث في حلقة التغذية الراجعة الإيجابية بعد انهيار العصر البرونزي، وأن المؤسسات القائمة على المساواة، للمواطنين الذكور، رفعت درجة المنافسة، التي أدت بدورها إلى الابتكار وقللت تكاليف الصفقات، ما أدى بدوره إلى المزيد من الازدهار[٣٢]. شجعت المؤسسات الديمقراطية الطلب، وأحدثت تحسينات متواصلة في المستويات المعيشية للجماهير، وشجع النمو السكاني الكبير ومستويات التحضر العالية التخصص في العمل والتجارة. ويَخْلُص أوبر إلى أن النمو الاقتصادي في اليونان كان شبيها بـ"النمط الحديث لمجتمع المساواة النسبية، وشمل طبقة وسطى واسعة تمتعت بمستوى معيشة أعلى كثيرا من حد الكفاف"[٣٣].

يتكشَّف التحول الديمقراطي في أثينا، وثورتها العميقة في التحضر والمساواة بين القرنين السابع والرابع قبل الحقبة المشتركة في الزيادة الملحوظة في التحضر، وفي تحسن النظام الغذائي بفضل استخدام المزارع السمكية، وفي البيوت الخاصة الكبيرة[٣٤]. ففي عام ٧٠٠ ق.ح، بلغ عدد سكان المدن الكبرى عشرة آلاف شخص، وبحلول العقد السابع من القرن الخامس قبل الحقبة المشتركة، كانت مدينة أثينا قد بلغت أوج حجمها بأربعين ألف شخص، وكذلك بلغت سرقوسة الواقعة على جزيرة صقلية، وهي مركز إمبراطوري آخر، أربعين ألفا خلال القرن الخامس قبل الحقبة المشتركة[٣٥]. وثمة اتفاق عام على أن الاقتصاد الأثيني انطوى على توزيع للثروة أكثر استواء من أجزاء البحر الأبيض المتوسط الأخرى خلال منتصف الألف الأول قبل الحقبة المشتركة، وإن كان هذا الاستنتاج مبنيا في الأساس على بيانات أثرية محدودة[٣٦]. فقد تحول هذا الاقتصاد من النمط "العتيق" الذي تألف من سكان فقراء عاشوا قريبا من حد الكفاف وسيطرت عليهم نخبة صغيرة، إلى النمط "الحديث" لمجتمع المساواة النسبية الذي يشتمل على طبقة وسطى واسعة تتمتع بمستوى معيشة أعلى كثيرا من حد الكفاف"[٣٧].

شقت هذه الاتجاهات الواسعة، مع تراجع طفيف في المساواة الاجتماعية، طريقها إلى الحقبة الهلنستية في الكثير من الأماكن، مدفوعة بزيادة حجم التجارة. وتوحي الأعمال الأخيرة كذلك بأن تفاوت الدخل في ذاته لم يكن هو الذي مارس تأثيرا اجتماعيا، بل وضوح الثروة، إذ ربما أدى وضوح

الثروة المتزايد إلى تراجع التعاون والثروة[٣٨]. وقد تلازم انتشار البنوك والطلب المتزايد على الائتمان خلال الحقبة الهلنستية مع ابتكار الدائنين التجاريين[٣٩].

تماما كما هي الحال مع الكثير من مناقشات النمو الحديث في العالم الغربي، كانت محاولة معرفة النمو الحقيقي في العالم ما قبل الحديث أحد خطوط التقسيم الأساسية بين الاقتصادات الكلاسيكية واقتصادات الشرق الأدنى ومصر. ففي الأخيرة، أدت أشكال الحكم "الاستبدادية" والبيروقراطية وسلوك النخبة الصغيرة إلى منع النمو، مع أن إحدى المشكلات الباقية تتمثل في أننا لا نملك أدلة أثرية مقارنة من الشرق الأدنى أو مصر تمكّننا من التحقق يقينا من وجود فترات متمايزة في النمو الحقيقي.

بيد أن نموا كليا، وعلى الأرجح أيضا نموا مُرَكّزا، حدث في الكثير من الأجزاء "غير الديمقراطية" من شرق البحر الأبيض المتوسط خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة. يتضح ذلك في مصر خلال الفترة ٨٠٠-٤٠٠ ق.ح، ولا سيما خلال الفترة السايسية (٦٥٠-٥٢٥ ق.ح)، بالتزامن مع إعادة المركزية السياسية للدولة وزيادة كبيرة في النشاط التجاري. تأكد هذا النمو أيضا في بلاد بابل القرن السادس قبل الحقبة المشتركة[٤٠]. وفي العالم اليوناني، حدثت بين عامي ٨٠٠ و٣٠٠ ق.ح زيادة قدرها خمسين بالمائة في مستوى المعيشة كما يقاس بالقدم المربع في مساحات البيوت باعتبارها شكلا من البيانات التمثيلية[٤١]. غير أننا في حالة مصر والشرق الأدنى خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة، ما نزال في حاجة إلى الكثير من الأعمال البحثية لإيجاد بيانات أثرية مماثلة لمقارنة النمو مع أماكن أخرى في البحر الأبيض المتوسط[٤٢]. يتكشّف ظهور المراكز الحضرية الكبيرة خلال الحقبة الهلنستية في مصر (الإسكندرية التي قُدِّر عدد سكانها بزهاء ثلاثمائة ألف نسمة في عام ٢٠٠ ق.ح، وبطوليمايس التي قُدِّر عدد سكانها بنحو ما بين ثمانين ومائة ألف شخص) وغرب آسيا (أنطاكية خمسين ألفا، وبابل نحو ثمانين ألفا، وسلوقية على دجلة نحو مائة ألف). كانت هذه المدن المراكز الإدارية للإمبراطوريتين البطلمية والسلوقية المركزيتين[٤٣]. أما روما التي كانت هي الأخرى مركزا لإمبراطورية آخذة في الاتساع، فقد بلغ عدد سكانها في عام ٢٠٠ ق.ح نحو مئتي ألف شخص[٤٤].

يقدم كرون Kron صورة مختلفة تماما للأداء الاقتصادي للعالم اليوناني، الذي يقصد به أثينا بالدرجة الأولى، والعالم الروماني. يرى البعض حاليا أنه كانت هناك "طبقة وسطى" أوسع في المجتمع اليوناني والروماني[٤٥]. فقد كانت الأجور أعلى من حد الكفاف، وكانت الإنتاجية الزراعية مرتفعة[٤٦].

وكذلك استخدم الباحثون النظام الغذائي الجيد دليلا تمثيليا من بقايا الهياكل العظمية البشرية[٤٧]. لا ريب أنه كان هناك تفاوت متنامٍ في الدخل خلال الحقبتين الهلنستية والرومانية، وعلى الأرجح لم يتم تجاوز مستويات الدخل اليونانية-الرومانية في أوروبا إلا في القرن العشرين. ومن الواضح أن "الكثير من الأثينيين كانوا يملكون بعض الأراضي ورأس المال، وأداروا أعمالا أو مزارع صغيرة، بدلا من العمل المأجور، وأن العمال المهرة كان بوسعهم أن يكسبوا عائدات أعلى كثيرا"[٤٨]. وكانت البيوت أكبر في عينة كرون، لكن العينة نفسها كانت صغيرة[٤٩]. ويخْلُص كرون إلى أن "توزيع الثروة في أثينا كان قريبا جدا من نظيره في الديمقراطيات التمثيلية ودولة الرفاه إبان منتصف القرن العشرين، وأن البيانات الأمريكية لعام ١٩٥٣-١٩٥٤ كانت الأقرب إلى توزيع الثروة الأثيني".

إن كرون مُحِقّ في التأكيد على أن مستوى المعيشة أو الرفاه مقياس أفضل للأداء الاقتصادي. لكن ما تزال هناك عوائق أمام استخدام الأدلة التمثيلية لقياس مستوى المعيشة أو مستوى الرفاه. ومن أمثلة الإشكاليات الحالية تحيز عينات المادة العظمية وتقدير سكان الحضر في إيطاليا[٥٠]. وينطبق القول نفسه على البحر الأبيض المتوسط ما قبل الحديث، إذ يُفهم النمو على أفضل نحو مقارنةً بالأماكن الأخرى وبطريقة نسبية. كما أن توسع الألف الأول قبل الحقبة المشتركة في بلاد بابل مُوَثَّق جيدا في الطبقة الوسطى الحضرية والنمو السكاني وعدد المستوطنات[٥١]. كما أن النشاط الاقتصادي في بلاد بابل الهلنستية مُوَثَّق جيداً في اليوميات الفلكية. فقد ازدهرت المدينة، وحدثت زيادة في الإنتاجية الزراعية، لكنها كانت دورية بالتأكيد، إذ كثيرا ما قطعتها المجاعة والحرب والفيضان السيئ[٥٢].

لكن ليس هناك اتفاق كامل على ما سبق. ويعد الاقتباس التالي من مراجعة نُشرت مؤخرا أوضح عرض لحجة- بتعبير ألطف- الركود الاقتصادي طويل المدى في الشرق الأدنى:

> ثمة عوامل عدة كانت حاسمة في الإبقاء على النمو الاقتصادي عند مستوى صفر بالمائة أو قريبا منه. فبعد أن تحققت الاختراقات التقنية الأساسية في التعدين، وإنتاج الخزف والمنسوجات، وتقنيات البناء والتقنيات الزراعية، وتنظيم العمل (الألفين الخامس والرابع قبل الحقبة المشتركة)، لم تحدث تطورات أخرى كبيرة من شأنها أن تولّد ناتجا كميا كبيرا يمكن ملاحظته خلال الفترات اللاحقة من تاريخ بلاد ما بين النهرين[٥٣].

شدد رينر Renger علاوة على ذلك على إمداد المياه "المحدود" الذي أعاق إمكانية الري على طول نهر الفرات وحَدَّ بالتالي من المساحة القصوى من الأراضي التي يمكن زراعتها. كذلك كانت مصادر الطاقة المحدودة (القوة البشرية والحيوانية) والموارد الطبيعية كافية "لدعم الوضع الراهن الاقتصادي"، لكنها "لم تكن كافية لدعم نمو قابل للقياس".

إن الكثير من علامات الازدهار التي ذكرها كرون (الاستثمار في الرفاه الاجتماعي، البنية التحتية العامة المُعَزِّزة للصحة، والترفيه) ربما كانت موجودة في مصر والشرق الأدنى. ومع أنه من الصعب التوصل إلى بيانات تجريبية مباشرة حول النمو الحقيقي، فإن هناك الكثير من الإشارات غير المباشرة على فترات من الازدهار. ففي بعض النقوش المَلكية الآشورية- على سبيل المثال- يشير الملوك إلى الازدهار (المزعوم) السائد في أراضيهم، و"يثبتون" ذلك الادعاء من حين لآخر بذكر الأسعار المواتية[٥٤]. وقد وَثَّق جورسا وفريقه النمو الحقيقي خلال "القرن السادس الطويل" في بلاد بابل بتفصيل وافٍ:

> دفع نمو سكان الحضر التغير الزراعي، وحفَّز تطور الأسواق والتبادل القائم على النقد، وسمح بالمزيد من التخصص الاقتصادي وتقسيم العمل، وهي العملية التي أحدثت- وتسارعت بدورها بفعل- تحسينات تقنية وتحسينات في كفاءة الزراعة، وفي البنية التحتية المادية والقانونية- المؤسسية للتبادل القائم على النقد[٥٥].

بناء على الأسعار المتاحة، سُمي عهد نبوخذ نصر Nebuchadnezzar ونبونيد Nabonidus "العصر الذهبي"[٥٦]. وقد أوضح المسح الأثري أن "تسارعا" قد حدث في النمو الحضري خلال الحقبتين الهلنستية والبارثية في بلاد ما بين النهرين[٥٧]. ومع أننا لا نعرف مساحة الأرض المزروعة في بلاد بابل الهلنستية، وإن ظلت هذه عملية استصلاح الأراضي بطيئة نسبيا خلال الحقبة الهلنستية، ومع أننا لا نعرف مدى التكثف في الزراعة وفي الاستيطان، فقد حدث نمو أشد كثافة في منطقة دجلة، لا سيما حول مدينة سلوقية على دجلة. ومن الواضح أن مدينة بابل ومنطقتها الداخلية تمتعت بمكانة خاصة ضمن المملكة، أي وضعية مستقلة أو شبه مستقلة، أو "مستقلة إلى حد ما على المستوى المحلي"[٥٨]. تتكشَّف حقيقة أن بلاد بابل كانت جزءا مهما، وإن لم يكن مدمجا تماما، من المملكة السلوقية في السجلات البابلية المحلية للنشاط الملكي الذي شمل زيارات إلى المعابد المهمة في المنطقة[٥٩].

ينطوي قياس النمو الحقيقي في حالة مصر أيضا على صعوبة. وإذا أمكننا قياسه، فلا ريب أنه سيكشف عن علاقة قوية مع وظيفة الإنتاج، بمعنى أن أنماط التوسع والانكماش في الناتج الاقتصادي تبعت تاريخ فيضان النيل وحجمه. ما يزال علم الآثار محدود القيمة حتى الآن. وأعتقد جازما أن رؤية إي إل جونز صحيحة هنا أيضا كما هي في الشرق الأدنى، وهي أن الدول شجعت نموا مُرَكّزا وليس انتشاريا. فلا ريب أن توسعا قد حدث خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة، من القرن الثامن إلى القرن الرابع، التي يظهر خلالها التجار والجنود اليونانيون في مصر لأول مرة بأعداد معقولة، وربما كانت الإسكندرية المدينة الأكبر في البحر الأبيض المتوسط خلال القرن الثالث قبل الحقبة المشتركة، وكذلك زاد نمو التجارة (انظر ما يلي)، محميةً بأسطول جديد، وبتمكين من قناة جديدة بين النيل والبحر الأحمر، وإعادة التوطيد السياسي لمصر في حكم الملوك السايسيين بعد ثلاثة قرون من السلطة السياسية المجزأة وانعدام الاستقرار[٦٠]. كما انتشرت اللغة المصرية الديموطيقية على امتداد مصر، وهي مرحلة من تطور اللغة ونظام كتابة متمايز. وقد استغرقت هذه الكتابة وقتا، حتى مائة وخمسين سنة، لكي تنتشر في الجنوب، وجلبت معها لغة جديدة للتعاقدات الخاصة، ظلت تتطور خلال الحقبة البطلمية[٦١]. وأعيدت مركزية المؤسسات الجبائية الحكومية، وظهر اهتمام متجدد بالدخل من التجارة على امتداد مصر، وعلى وجه التحديد في المنطقة التجارية الجديدة في نقراطيس، وكذلك الدخل من الأشخاص[٦٢].

إذا كانت القصة التي أوردها هيرودوت صحيحة بأن الملك أحمس Amasis اخترع ضريبة جديدة على دخل الأفراد[٨]، فإنها تكون سابقة على ضريبة الآيسفورا في أثينا التي عُرِفت بداية من عام ٤٢٨ق.ح، وربما كانت أعلى كثيرا[٦٣]. إن ما يجب دراسته وأخذه في الاعتبار أوسع وأكبر من كبار الأسر الكهنوتية التي كانت دائما الأغنى في مصر، ومن ضمن ذلك دور الجيش والمستوطنات العسكرية، تحديدا في عهد البطالمة، وكذلك الطبقة المهنية الكبيرة من الكُتاب، والمستويات الأدنى من الكهنة. وقد كان الموت تجارة رائجة في مصر، فكان الطلب والاستهلاك الخاصان، والضرائب المتولّدة عن النشاط الجنائزي التي جمعتها المدن الجنائزية التي احتوت المقابر، دائما جزءا مهما من النشاط الاقتصادي[٦٤]. وقد كان عمال المدن الجنائزية، والمُحَنِّطون، وبناة المقابر، والحرفيون الذين كانوا

(٨) هو الملك أحمس الثاني (حكم ٥٧٠-٥٢٦ ق.ح) آخر وأهم فرعون مصري قبل الغزو الفارسي. [المترجم]

يصنعون السلع الجنائزية، والكهنة، ومفسرو الأحلام، وغيرهم جزءا أساسيا من النشاط الاقتصادي في المناطق الحضرية[٦٥]. أما الفئة الأفضل توثيقا بين الجميع، فهم الكهنة الجنائزيون، من الرجال والنساء، المعروفون باسم الكواكايت، وتجارتهم الجنائزية، لا سيما خلال الحقبة البطلمية[٦٦]. كانت المقابر والمومياوات التي احتوتها المدن الجنائزية مِلكية خاصة قابلة للنقل بأنصبة إلى الآخرين لتكون مصدر دخل مستقبلي لهم، وقد تشكلت شراكات بين الكهنة. وكانت هذه الأسر ذات النشاطات الاقتصادية المُوَثَّقة جيدا في الأرشيفات الأسرية تنتمي إلى مكانة أواسط الناس أو حتى "الطبقة الوسطى"[٦٧](٩).

من الواضح أن توسعا قد حدث في مصر البطلمية، لكن الأبنية المؤسسية حالت على الأرجح دون أي نوع من النمو الحقيقي المستدام. وكذلك حدثت تحسينات تقنية في عهد البطالمة، إذ عاشت بعض أعظم عقول عالم البحر الأبيض المتوسط خلال القرن الثالث قبل الحقبة المشتركة في الإسكندرية، ونسمع عن الكثير من الاختراعات والأفكار، لكن ما يزال الجدل متواصلا بشأن مدى انتشارها وما إذا كانت قد طُبِّقت على المشكلات اليومية أم لا.

من بين كل الموضوعات التي نوقشت في الأدبيات حول الاقتصادات ما قبل الحديثة، كان التغير التقني على الأرجح الموضوع الذي شهد أكبر تحول خلال الأربعين سنة أخيرة، وإن كان ما يزال في حاجة إلى المزيد من الأعمال. ذهب موزيس فينلي إلى أن الابتكار التقني كان ضئيلا، وبالتالي كان التقدم الاقتصادي ضئيلا هو الآخر، ولم تحدث زيادة لا في معدل الإنتاج ولا في "العقلانية الاقتصادية"[٦٨]. لكن هناك إجماعاً متزايداً في الوقت الراهن، تأسيسا على الكثير من الأدلة الأثرية، على حدوث حالات كثيرة من "انتقال" التقنية من خلال التلاقح الثقافي (من ذلك على سبيل المثال انتشار الحديد في مصر البطلمية) والطلب الجديد، فضلا عن الكثير من الابتكارات[٦٩]. طال الشك أيضا الافتراض الأساسي المأخوذ عن ريكاردو Ricardo بوجود ارتباط سببي مباشر بين التقدم التقني والنمو[٧٠]. إن كل التصنيفات التقنية تقريبا ممثَّلة في مصر البطلمية، من طواحين الحبوب

(٩) لاحظ أن المؤلف، اتباعا للأدبيات، يستخدم مصطلح "الطبقة الوسطى" مع العالم الكلاسيكي، اليونان هنا، بينما يستخدم مصطلح مكانة أو جماعة "أواسط الناس" مع الحالة المصرية، كأنها لم تشهد طبقة وسطى، راجع حاشية سابقة حول المصطلح الأخير. [المترجم]

ومَعاصر الزيتون والخزف والزجاج والنقل وسكّ العملة، إلى تربية الحيوانات وعلم المواد والتعدين واقتلاع الحجارة[٧١]. ومن الواضح أن الحقبة الهلنستية المتأخرة (مع دخول الحقبة الرومانية)، وهي الفترة التي صُممت خلالها ساعة أنتيكيثيرا، شهدت الكثير من الابتكارات، لكن من الواضح أيضاً أن التجليات اللاحقة للابتكار قد بُنيت على الملاحظات العلمية، وفهرسة خصائص الأخشاب المختلفة كمواد إنشائية، ونظرية ثيوفراستوس العلمية (نحو ٣٧٠-٢٨٨/ ٢٨٥ ق.ح)، وغيرها الكثير[٧٢]. كذلك حدث تقدم كبير في الطب وفي العلوم القائمة على الملاحظة، مثل علم الفلك. لا تتمثل المشكلة- إذن- في غياب الابتكار، بل إننا يجب أن نتخذ التغير التقني مرآة للمشكلات التي تطلبت حلولا، فقد كان الهدف الرئيس هو الفيسيس[١٠]، أي "التوازن" في المجتمع، وليس تطوير تحسينات تقنية لتشجيع النمو أو الكفاءة[٧٣].

ينطبق ذلك على مكان مثل مصر التي تعد غالبا مكان الركود التقني بامتياز. كانت التحسينات التقنية في طرق الري ضئيلة، وجاءت من خارج مصر. وكان الشادوف أول تحسين يُدخَل في مجال الري، وهو آلة تتكون من سطل يتدلى من عاتق يحمل ثقلا موازنا في الجهة الأخرى من محور ارتكاز، جاء من الشرق الأدنى في أثناء الدولة الحديثة (نحو عام ١٣٥٠ ق.ح)، ومكّن من رفع بعض الماء إلى الحقول والبساتين، تماما كما فعلت الناعورة المشغلة بالحيوانات المعروفة باسم الساقية، التي وُثِّقت لأول مرة، وربما استخدمت لأول مرة، في مصر خلال القرن الثالث قبل الحقبة المشتركة، على الأرجح في أثناء أزمة كبيرة، كما ذكرتُ في الفصل الخامس. لم تُحْدِث آلات رفع المياه الميكانيكية من هذا النوع توسعاً ملحوظاً في الأرض المزروعة حتى الحقبة الرومانية، لكنها استُخدِمت بدلا من ذلك في بيئات الزراعة المكثفة للبساتين ومزارع العنب[٧٤]. فمع أن تدخل الدولة المركزية، والتجريب، وتوسيع الأرض المزروعة، مُوَثَّق جيدا في عهد البطالمة، فلم يحدث إلا خلال القرن التاسع عشر من الحقبة

---

(١٠) الفيسيس phusis أحد أقدم المفاهيم في الفكر اليوناني، يعني الصيرورة أو الطبيعة بمعناها الشامل الأوسع من الطبيعة المادية، وإن كانت قد نشأت منه إبان العصور الوسطى كلمة physics [الطبيعة]. [المترجم]

المشتركة أن مكّن مزيج من الحكومة المركنتيلية(١١)، والحفر الهائل لقنوات عميقة جديدة، ومحاصيل نقدية مثل القطن وقصب السكر، وتقنية الخزانات والسدود، من الري الدائم واسع النطاق[٧٥].

إن الشيء اللافت للانتباه في التماس إدفو الذي نوقش في الفصل الخامس هو أنه التماس خاص جاء من جندي كان يعيش في جنوب مصر. جاء هذا الاختراع إذن، لو كان هو الساقية فعلا، من فرد عادي، وليس من شخص يحظى برعاية المكتبة المَلكية في الإسكندرية. ولم تكن هناك "جمهورية رسائل" يمكن أن نربط بها هذا الرجل(١٢)، ومن الكاشف أن مقدم الالتماس طلب رعاية الملك مباشرة[٧٦]. لكن هذه الرسالة الصغيرة المسجلة في بردية قد تصوِّر عالما ما يزال مفقودا في معظمه. لقد شكلت افتراضاتنا حول الابتكار والنمو- كما يوجدان في عالمنا المعاصر- موقفنا منهما في العالم ما قبل الحديث. ومعظم الأعمال التي أجريت حتى الآن خُصِّصت للتقنية الكلاسيكية، وربما يكون هناك الكثير مما يمكن معرفته من الدراسة المتأنية لمادة الشرق الأدنى ومصر.

يُستخدَم تحليل نظائر الرصاص في العينات اللبية الجليدية من جزيرة غرينلاند منذ وقت طويل لكشف الزيادة في إنتاج الفضة باعتباره قياسا تمثيليا للنمو الروماني[٧٧]. ومن الواضح أن هذا النمو كان استمرارا لاتجاه بدأ خلال الحقبة الهلنستية المبكرة. وكما رأينا في الفصل الخامس، فإن "الفترة الهادئة الرومانية" قد عززت على الأرجح تغيرات مؤسسية. كما أن قمع القرصنة، وتحديدا وضع قواعد جديدة للمجال الذي أسميناه لاحقا القانون التجاري commercial law (منها ما يسمى دعاوى المسؤولية

---

(١١) حكومة مركنتيلية أي حكومة تشارك بقوة في التجارة والحياة الاقتصادية، كما فعلت حكومة محمد علي، والمركنتيلية mercantilism مذهب اقتصادي ساد أوروبا إبان عصر النهضة والعصر الحديث المبكر، وسُميت به هذه الفترة، قام على أن رخاء الدولة يعتمد على ما تملكه من رأس المال، كما يقاس بمخزونها من سبائك الذهب والفضة ونصيبها من التجارة، وأن حجم التجارة العالمية ثابت لا يتغير، وعليه فإن الزيادة في جانب أي طرف تكون بالضرورة خصما من طرف آخر، لذلك لعبت الحكومات في ظلها دورا حمائيا في الاقتصاد بتشجيع الصادرات وتقليل الواردات عن طريق تقديم الإعانات للأولى وفرض التعريفات الجمركية على الثانية، ولذلك أيضا وقعت حروب كثيرة بين القوى الأوروبية للسيطرة على تجارة جنوب وشرق آسيا والأمريكتين. [المترجم]

(١٢) جمهورية الرسائل republic of letters جماعة فكرية واسعة الانتشار في أوروبا وأمريكا إبان أواخر القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر، تعهدت التواصل بين مفكري عصر التنوير، مكّنتهم من تبادل أفكارهم والمقالات المنشورة والكتيبات عبر مسافات شاسعة، خلقت شكلا أوليا من الجماعة العلمية العالمية. [المترجم]

الإضافية(١٣))، كانت تطورات سابقة على استتباب السلام الأوغسطسي خلال القرنين الأولين من الحقبة المشتركة(١٤). ومع نشأة النظام الإمبراطوري الروماني، اختفت الأشكال المتطرفة للسلوك اللصوصي، وأعيد تنظيم النظام الجبائي على أساس جديد، واستبعدت شركات الملتزمين الضريبيين من جباية الضرائب التي عهد بها إلى زعماء الجماعات المحلية[٧٨]. وفي المقابل، استتبع ترسيخ السلام والأمن في البحر الأبيض المتوسط الموحد بالضرورة المزيد من الانخفاض في تكاليف الصفقات، مع انتشار "تقنية القياس" ونظم مشتركة للمقاييس والموازين، وقبل كل شيء خلق منطقة نقدية موحدة. وفي الوقت نفسه، أخذ التوسع الاقتصادي لشبه الجزيرة الإيطالية دفعة من توحيد البحر الأبيض المتوسط.

الأسواق والتبادل

إننا معشر البشر نوع تعاوني، وذلك جزء أساسي من نجاحنا (حتى الآن). ولا شك في أن النفعية والمعاملة بالمثل والتعاون تشكل جزءا أساسيا من الطبيعة البشرية، وكانت مهمة ونحن نتطور من جماعات الصيد والجمع[٧٩]. ولا ريب أنه في حال غياب العقود الكاملة(١٥)، كان دور المؤسسات المُنْشِئة للثقة ودور الأخلاق والقانون المرئي والجمعيات الخاصة وما إليها، جزءا بالغ الأهمية من التبادل في العالم ما قبل الحديث(١٦)[٨٠]. وعلى ذلك فإن الميل إلى "المبادلة والمقايضة" بتعبير آدم سميث الشهير، ميل قديم ومُوَثَّق من قبل ظهور الحضارة، ويجب أن نضيف إلى ذلك بالطبع الإيثار والإحسان وما أسماه اليونانيون اليورغيتيزم ("فعل الخير") باعتبارها جوانب مهمة لأنماط التبادل ما قبل الحديث(١٧)[٨١].

---

(١٣) راجع حاشية سابقة حول دعاوى المسؤولية الإضافية actiones adiecticiae qualitatis. [المترجم]

(١٤) السلام الأوغسطسي pax Augusta اسم آخر للسلام الروماني (راجع حاشية سابقة حوله)، لأنه بدأ مع أوغسطس (المولود باسم غايوس أوكتافيوس تورينوس Gaius Octavius Thurinus، ٢٣ سبتمبر ٦٣ ق.ح إلى ١٩ أغسطس ١٤ ح.م) مؤسس الإمبراطورية الرومانية على أنقاض الجمهورية وأول إمبراطور لها من عام ٢٧ ق.ح حتى وفاته. [المترجم]

(١٥) بحسب مفهوم العقد الكامل complete contract ضمن نظرية العقد contract theory يكون العقد أو الاتفاق كاملا عندما يحدد حقوق كل طرف وواجباته في كل الأحوال المستقبلية الممكنة وعندما لا يترك فجوات في بنود العقد، وهو أمر مكلف وصعب في تضمينه في العقد، ولذلك تكون العقود دائما غير كاملة. [المترجم]

(١٦) القانون المرئي visible law هو القانون المعلن في الأماكن العامة، مثل شريعة حمورابي وقانون صولون. [المترجم]

(١٧) راجع حاشية سابقة حول اليورغيتيزم. [المترجم]

وإذا كان التبادل ضاربا في القِدم، فإن مؤسسة "السوق" أحدث منه، لكن ما مدى حداثتها؟ كانت طبيعة الصفقات من خلال الأسواق ودورها ونطاقها أحد القضايا الأساسية في فهم تطور الاقتصادات ما قبل الحديثة ونموها. وقد قُدِّمت تعريفات مختلفة للأسواق[٨٢]، منها أن "الأسواق تنشأ عندما يكون شخصان أو أكثر مستعدين للدخول في صفقة تبادل، بغض النظر عن الزمان أو المكان"[٨٣]. وفي المقابل، كان وجود صفقات "أسواق تحديد الأسعار" price-setting market transactions ونطاقها محلا للجدل. ومع أن النمط السوقي للتبادل يجمع "كل الطلب الفعال"، فإن أسواق تحديد الأسعار الفعلية في التبادل غير الشخصي عبر المسافات الطويلة كانت أضيق كثيرا[٨٤].

لا يزال مخطط بولاني ثلاثي الأجزاء لأنماط التبادل (المعاملة بالمثل، وإعادة التوزيع، والأسواق) يشكل طريقة جيدة لتناول أنماط التبادل في العالم ما قبل الحديث. كما أن هناك إجماعاً عاماً على ثلاثة أشكال للتنسيق الاقتصادي، هي الأسواق والتراتبيات والشبكات[٨٥]. اعتبر بولاني "اقتصاد السوق" ظاهرة مرتبطة بالدولة القومية الحديثة وحسب، وقلل بالتالي من شأن التبادل السوقي في العالم القديم. من ذلك على سبيل المثال أن شبكة كانش التجارية كانت مثالا "للتجارة اللاسوقية" marketless trading، إذ نظمت من خلال معاهدات ترعاها الدولة ووكلاء خاضعين للدولة[٨٦]. لكن تحليلا تفصيليا نُشر مؤخرا لتجارة كانش ربط مركز الإمبراطورية الآشورية بكانش، وهي مسافة تبلغ نحو ألف ومائة كيلومتر، أوضح أن التجار الخاصين والتبادل السوقي كانوا جزءا أساسيا من هذه الشبكة التبادلية المبكرة[٨٧]. إن المسألة التي نحن بصددها ليست من نوع الأسود والأبيض. فكما رأينا في رسائل حيكاناخت في الفصل السابق، فإن المنازل شاركت في شكل من الصفقات السوقية خلال العصر البرونزي الأوسط. كما أن التجار الخاصين مُوَثَّقون خلال الألف الثالث قبل الحقبة المشتركة في الشرق الأدنى وفي مصر، ومن الواضح أن إعادة التوزيع من خلال المعابد هناك لم تعمل بقواعد "إعادة التوزيع" البولانية[٨٨]، وبالمثل تقدم قصة وينامون المصرية الشهيرة التي أناقشها في القسم التالي بيانات تمثيلية شعرية عن النشاط التجاري المصري الواسع في شرق البحر الأبيض المتوسط خلال فجر العصر الحديدي، نحو عام ١٠٧٥ ق.ح.

لقد نشأ تبادل سوقي حقيقي على نحو تدريجي في الدول المبكرة[٨٩]. وهناك تأكيد متواتر على الدور الذي لعبه الأفراد في الانتقال من التبادل بالمقايضة إلى "أسواق السلع كاملة النضج"[٩٠]. لكن تحليل شوينبيرغر Schoenberger يشير إلى التفاعل بين الأفراد والمؤسسات والدولة، ويوحي بأن ظهور

الأسواق كان عملية اجتماعية وسياسية معقدة. يمكن للقوة المهيمنة أن تؤثر على دائرة تجارية واسعة من التبادل، عبر نظم تبادل مركزية بين المناطق. ومن ذلك أن الدول "أدمجت" الأسواق، وأصبحت الضرائب تُجبى نقدا، وهو ما حفَّز بدوره الصفقات السوقية. لكن الأسواق كانت في الوقت عينه وسيلة بيد الدول لإدارة الإقليم، ومفهوم بولاني عن "الميناء التجاري" port of trade يعني التجارة التي تديرها الدولة، لكنه لا يشمل معنى الكلمة اليونانية إمبوريون emporion كاملا[٩١](١٨). ومع مرور الوقت خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة، أصبحت العملة تُستخدَم على نحو متزايد في التبادل السوقي، وساعدت في حشد الموارد للدول في شكل ضرائب[٩٢]. وأدى الاهتمام المتزايد بالمحاصيل النقدية، مثل التمور والأصواف في الشرق الأدنى القديم خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة، إلى زيادة التخصص[٩٣]. لذلك تعد السيطرة على المعادن والموارد المعدنية والمنسوجات السلع المهمة في القصة[٩٤].

كانت الديمقراطية والإمبريالية القوتين الدافعتين للتحول النقدي في أثينا[٩٥](١٩). وكانت هيئة المُحَلّفين التي تعمل بأجر وتمويل الأسطول الأثيني اثنين فقط من المؤسسات التي أدت إلى زيادة التبادل السوقي أو "التتجير"[٩٦]. وقد لعبت السياسة الجبائية للدول الهلنستية، ومنها دولتي البطالمة والسلوقيين، وحاجتهم إلى جمع الضرائب نقدا لدعم خوض الحروب، دورا رئيسا في التحول النقدي للتبادل داخل أقاليمها. وكانت المؤسسات الأثينية (على ما يبدو)، مثل المزاد العلني الذي أدخله البطالمة إلى مصر خلال القرن الثالث قبل الحقبة المشتركة، جنبا إلى جنب مع البنوك، أجزاء مهمة من التحول النقدي للنظام الجبائي. على أنه من الصعب فصل القول فيما إذا كانت هذه المؤسسات قد وسعت حجم الصفقات السوقية عموما أم لا. وعموما توحي أفضل الأدلة التي بحوزتنا حول المزاد العلني بأن هذه الآلية الجديدة استُخدِمت في بعض الحالات على الأقل لمنح الممتلكات إلى أصدقاء موظف المزاد، وليس إلى مقدم أعلى سعر[٩٧].

---

(١٨) في اللغة اليونانية القديمة، تشير كلمة إمبوريون emporion إلى الميناء التجاري في مقابل المدينة الواقعة في الداخل البري التي يخدمها الميناء، وقد كان فلاسفة اليونان يحذرون من العيش كالقراصنة على شاطئ البحر. [المترجم]

(١٩) الإمبريالية Imperialism، بمعنى التوسع الإقليمي وبناء الإمبراطوريات، تعني إقامة علاقة اقتصادية وثقافية وإقليمية غير متكافئة بين الدول، في الغالب من خلال التوسع العسكري والهيمنة والإخضاع، تقوم على استغلال الشعوب التابعة لإثراء المراكز الاستعمارية، بدأت في شكلها الحديث في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، مع تكوين الإمبراطوريات الأوروبية فيما وراء البحار، وانتهت في شكلها السافر مع تصفية الاستعمار في الربع الثالث من القرن العشرين، وإن كانت العلاقات الإمبريالية الاستغلالية ما تزال قائمة بين المراكز الاستعمارية السابقة وتوابعها [المترجم]

كيف يمكن- إذن- أن ننتقل من دوران السلع "اللاسوقي"، إلى التبادل بـ"الأمر"، ثم إلى "نشأة الأسواق" عند هيكس؟[٩٨] تذهب وجهة النظر التقليدية إلى أن المعابد في مصر والشرق الأدنى القديمين كانت أدوات لإعادة التوزيع. لكن هذه الرؤية قد بولغ في تأكيدها ووضعت في حالة تضاد مع ظهور اقتصادات السوق في العالم اليوناني. في حين تكشِف لنا تجارة الإمبراطورية الآشورية القديمة والأنماط التجارية الفينيقية اللاحقة أن صفقات تجارة المسافات الطويلة السوقية بلا عملة وتأسيسا على ترتيبات تعاقدية ومبادرة خاصة ترجع إلى بداية الحضارة في الشرق الأدنى[٩٩]. وفي السياقات المحلية، كانت هناك أسواق دورية متخصصة في مصر، للحيوانات على سبيل المثال، وأسواق أكثر انتظاما للتوابيت وغيرها من السلع الجنائزية التي كانت جزءا قديما ومهما من الطلب والاستهلاك الخاصين على امتداد التاريخ المصري القديم[١٠٠]. معنى ذلك ببساطة أن الكثير من الأشياء ظلت تقليدية في المناطق الريفية. فلم يكن التحول، باستخدام تعبير هيكس، من "اللاسوق" non-market إلى السوق، ذلك أن مراحل هيكس الثلاث جميعها، كما رأينا، كانت موجودة خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة. بل إن الاستخدام المتزايد للعملة الفضية، والاندماج المتزايد للإقليم، وتزايد التخصص في التجارة، دفعت التحول الاقتصادي في عالم البحر الأبيض المتوسط خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة[١٠١]. من بين هذه الثلاثة، كانت العملة والاندماج الإقليمي تحولات سياسية، ونتج التخصص عن اتساع النطاق، ولا ينبغي أن ننسى أن الأسواق الحرة تماما وذاتية التنظيم لم توجد في العالم ما قبل الحديث. وعوضاً عن ذلك، عملت الأسواق ضمن كل من الأبنية الحكومية والعرف الاجتماعي[١٠٢].

لقد حدث تقدم كبير في فهم ارتباط الأسواق بالأسعار[١٠٣]. وتأتي أفضل سلسلة زمنية للأسعار السوقية من مدينة بابل بداية من القرن السادس قبل الحقبة المشتركة وتمتد وصولا إلى عام ٦١ ق.ح (الشكل ٤٢). سُجِّلت أسعار السوق لست سلع، هي الشعير والتمور والخردل (على الأرجح) والجرجير المائي والسمسم والصوف[٢٠]، في سياق ملاحظات فلكية ومناخية، شملت مستويات الفيضان في نهر الفرات[١٠٤]. وقد نُشرت نصوص جديدة بالأسعار وبلا أي نوع آخر من المعلومات[١٠٥]. لا تسجل النصوص الأسعار الفعلية للسلع بطريقة مباشرة، بل القوة الشرائية للفضة في علاقتها

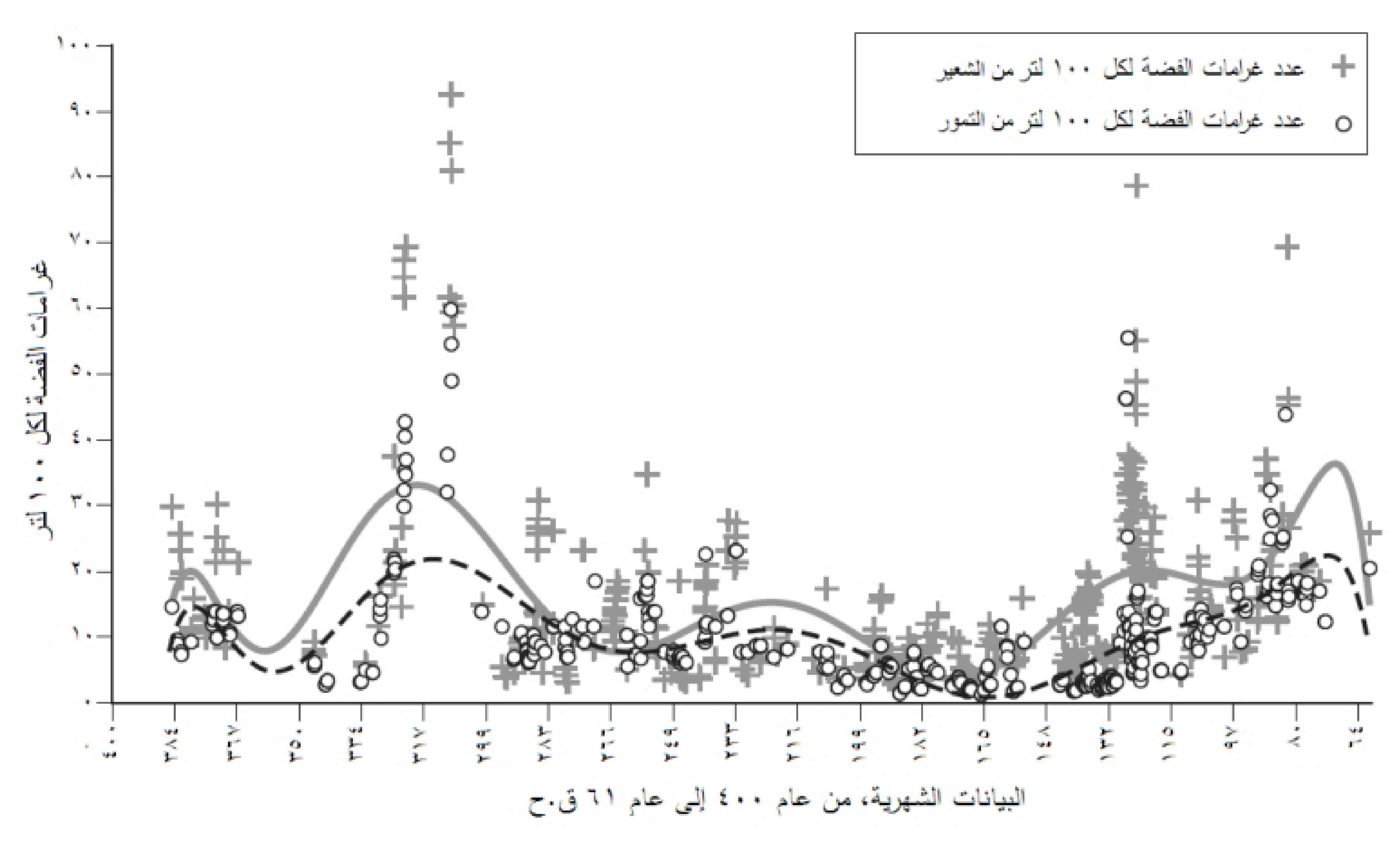
---

(٢٠) الجرجير المائي watercress نوع يؤكل من النباتات المائية أو شبه المائية المعمرة ينمو في أوروبا وآسيا. [المترجم]

بالسلعة، بمعنى أنها قيم تبادل معممة، إذا جاز التعبير، ومنها أن الشاقل الواحد يشتري الكمية "ع" من الشعير[١٠٦]. تستحق استنتاجات جورسا حول الأسواق البابلية اقتباسها على طولها:

تشير النصوص صراحة إلى الأماكن الفعلية للبيع والشراء (مثل السوقو suqu أي "السوق المقام في الشارع"، والقورو kuru أي منطقة الميناء أو الحي التجاري"، وبعض أبواب المدينة). ويوجد توثيق وفير لصفقات بيع من كل الأنواع، من أقل السلع شأنا إلى العقارات باهظة الثمن، وتوجد لدينا سلسلة أسعار كبيرة لمدى كامل من السلع (المواد الغذائية، والعبيد، والحيوانات، والعقارات) تمكّن من تحليل التطورات في الأسعار على مدار الفترة التي نناقشها كاملة. تتعلق البيانات بسلع متنوعة تعتمد على أبنية مختلفة للعرض والطلب، وتأتي من مصادر ذات منشأ جغرافي واجتماعي-اقتصادي مختلف. وهنا نجد أن التفاوتات الموسمية، وأزمات الأسعار قصيرة المدى للسلع الفردية، والتقلب العالي للأسعار عموما، تستبعد أن نكون أمام أسعار تديرها الدولة. غير أن التحليل الإحصائي للأسعار يكشف أنها تتبع نفس الاتجاه طويل المدى على وجه التقريب. يعني ذلك أنها تعكس نظاما اقتصاديا واحدا، هو القطاع النقدي من الاقتصاد البابلي، وأنه في هذا القطاع من الاقتصاد كانت الأسعار تتحدد بالدرجة الأولى من خلال التفاعل بين العرض والطلب، إذ لا يمكن لأي آلية أخرى أن تعطي هذه النتيجة الثابتة المتماثلة .... ويشير تقلب أسعار السلع في بلاد بابل إلى درجة منخفضة من اندماج الأسواق، ذلك أن معظم التفاوت قصير المدى في الأسعار نتج لا ريب عن مشكلات في التوزيع وليس عن ندرة فعلية أو عرض زائد على مستوى البلاد[١٠٧].

ومن المتفق عليه عموما في الوقت الحاضر أن هذه الأسعار للسلع تعكس نشاطا سوقيا، وأن الأسواق وُجدت منذ وقت مبكر جدا في الشرق الأدنى، وأن المسألة الجديرة بالدراسة هي الأداء الفارق للأسواق وتقلب الأسعار عبر الزمن و"المناطق السِعرية" (الشكل ٤٢)[١٠٨].



الشكل (٤٢) بيانات أسعار شهرية لسلعتين، هما الشعير والتمور، بغرامات الفضة لكل مائة لتر من السلعة، خلال الفترة ٤٠٠–٦٠ ق.ح، باستخدام خط الاتجاه متعدد الحدود من النوع العاشر tenth-order polynomial trend line (البيانات من: van der Spek et al. 2015). يشير الخط المتصل إلى خط الاتجاه متعدد الحدود لأسعار الشعير الشهرية، ويشير الخط المتقطع إلى خط الاتجاه متعدد الحدود لأسعار التمور. كانت زيادات الأسعار المفاجئة بين عامي ٣٢٠–٣٠٠ ق.ح وفي العقد الثامن من القرن الثاني قبل الحقبة المشتركة فترات عدم استقرار اجتماعي–اقتصادي مجهولة السبب (حرب أو جفاف أو مزيج من العوامل). بإذن من Frank Ludlow.

لاحظ جورسا الذي نبّه إلى تأثير بولاني حتى على ترجمة المفردات البابلية، أن السوق (suqu تعني حرفيا "الشارع") ارتبط فعلا بالتبادل السوقي[١٠٩]. فكانت قوى العرض والطلب تحدد الأسعار، وحتى المعابد ذاتها كانت "تسترشد بالسوق". وقد حدث قدر كبير من النشاط الخاص بين الأسر الكهنوتية في الأرشيفات البابلية، وينطبق هذا النموذج الأساسي عينه على مصر الألف الأول قبل الحقبة المشتركة خلال الحقبة البطلمية (وما بعدها بالتأكيد). وقد ارتبط التخصص الحرفي بين الأسر، مثل صناع الخمور والخبازين والكُتاب، بمعاشات المعابد. وفي دراسته لمصر، يستخدم بليبيرغ Bleiberg إطار بولاني لفهم أنماط التبادل بين الدول باعتبارها "هِبات" عرفية، وليست عمليات مدفوعة بالربح[١١٠]. لكن ذلك لا يصف المدى الكامل لأنماط التبادل في مصر الفرعونية، ولا يصفها يقينا خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة. من ذلك على سبيل المثال أن الكهنة الجنائزيين

المتخصصين المعروفين باسم الكواكايت (أي "مريقي الماء") انتظموا في أعمال تجارية أسرية، كانت الحقوق فيها تنتقل خلال الأسر، كما أنهم عقدوا اتفاقات مكتوبة رسمية للشراكة، وكانت حقوق المِلكية التي تمتعوا بها من خلال السيطرة على مقابر بعينها وجثث الأفراد المُحَنَّطة، والدخل الذي كانوا يجمعونه على الحقوق الجنائزية، تباع وتشترى وتؤجر وتوهب بأنصبة هِبات بعقود خاصة[١١١]. من الواضح أن معظم هذه التجارة حدثت ضمن أسر بعينها، لكنها تعطينا استبصارا مهما حول الأسس الثقافية للنقل الخاص لحقوق المِلكية المحددة التي تعاملوا معها باعتبارها أنصبة تُوَرَّث في الدخل.

شهدت السنوات الأخيرة نقاشا واسعا لاندماج الأسواق ودور التجار الخاصين ودور الدول في تنظيم التدفقات التجارية. وقد تم التخلي عموما عن الفكرة القديمة التي روجها هازبروك بأن النخب في اليونان وروما وغيرها من الأماكن لم تشارك في التجارة بسبب المواقف الأرستقراطية من التجارة والتجار والمسافة الاجتماعية والسياسية بين جماعات النخب الصغيرة والتجار الأجانب الفقراء الأميين[١١٢]. لم تكن هذه الفكرة أكثر من موضوع أدبي وُجد في كل مكان (وفي العالم الحديث كذلك)، جزئيا لأن التجار كانوا غالبا غرباء متنقلين. لكن هذا الموقف الثقافي تكذّبه مجموعة آخذة في النمو من الأدلة الوثائقية والأثرية للنشاط التجاري. ويمكن النظر إلى تنبؤ العهد القديم بسقوط صور باعتباره تمثيلا لهذا الموقف، وصور هي المدينة التجارية النموذج في العالم القديم، التي لقيت نهايتها المروعة في النهاية عندما وصل الإسكندر البلدة في عام ٣٣٢ ق.ح:

> لِذلِكَ هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هأَنَذَا عَلَيْكِ يَا صُورُ فَأُصْعِدُ عَلَيْكِ أُمَمًا كَثِيرَةً كَمَا يُعَلِّي الْبَحْرُ أَمْوَاجَهُ. فَيَخْرِبُونَ أَسْوَارَ صُورَ وَيَهْدِمُونَ أَبْرَاجَهَا. وَأَسْحِي تُرَابَهَا عَنْهَا وَأُصَيِّرُهَا ضِحَّ الصَّخْرِ، فَتَصِيرُ مَبْسَطًا لِلشِّبَاكِ فِي وَسْطِ الْبَحْرِ، لأَنِّي أَنَا تَكَلَّمْتُ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ[١١٣][٢١].

بيد أن التجار والنشاط التجاري ارتبطوا بقوة بالحياة السياسية للمدينة اليونانية، بسبب الضرائب على التجارة في المقام الأول[١١٤]. لقد تطرقنا من قبل إلى تجارة العبيد المتجهة إلى أثينا، ونضيف هنا أن العمل الأجنبي قد مكّن من الإنتاج الأوسع نطاقا لأعمال الخزف الرفيعة والفضة والأسلحة، وثلاثتها مُوَثَّقة جيدا باعتبارها سلع حدثت فيها تجارة بأحجام كبيرة خلال شبكات سوقية واسعة[١١٥].

---

(٢١) "يسحي" أي "يجرف"، و"الضّح" هو البارز الظاهر من الأرض. [المترجم]

وقد لعب التجار والدائنون الرومان دورا رئيسا في توسع الإمبراطورية الرومانية[١١٦]. ويوحي سجل التجارة خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة على المدى الطويل بحدوث زيادة في نطاق التجارة الخاصة الربحية وزيادة في حجم التجارة. لكن الأسواق الخاصة، تحديدا أسواق الحبوب، لا يمكن أن تمثل القصة كاملة. وهناك فجوة كبيرة في معرفتنا، فنحن لا نعرف الكثير حول طريقة عمل توزيع الحبوب في مدينة الإسكندرية أو- في أوقات الأزمات- في المدن الأخرى أو في المناطق الريفية، ومن المرجح جدا- في رأيي- أن مزيجا من المؤسسات الخاصة والحكومية قد تولى هذه المهمة، وتجار الحبوب الخاصون مُوَثَّقون بالتأكيد[١١٧]. لكن ليس من الواضح في مرسوم كليوباترا الشهير في وقت أزمة شديدة للنيل إلى مَنْ يوجه الأمر بالشحن إلى الإسكندرية وحدها:

> غير مصرح لأحد ممن يشترون القمح والبقوليات من الأنوام الواقعة أعلى منف بأن ينقلوها إلى أدنى البلاد أو ينقلوها أعلى النهر إلى المنطقة الطيبية بأي ذريعة، وإن كان يمكن للجميع أن ينقلوها إلى الإسكندرية بلا مساءلة، ومن يخالف ذلك يعرض نفسه للقتل حال اكتشافه[١١٨].

أما فيما يتعلق بـ"اندماج" الأسواق، فما يزال الكثير من الأمور محل جدل. قام فينلي أكثر من مرة، كما هو معروف، بتفنيد أي اقتراح بوجود أسواق مدمجة أو "مترابطة" خلال العصر القديم، على الرغم من وجود آراء كثيرة بأن الاقتصادات الهلنستية والرومانية يمكن وصفها على هذا النحو[١١٩]. من ذلك أن تيمن Temin يؤكد بقوة أن الاقتصاد الروماني كان اقتصادا سوقيا، تميز بـ"سوق واحد مدمج"[١٢٠]. ويربط نموذج "الضرائب والتجارة" عند هوبكنز الضرائب والأسواق والعملة في الإمبراطورية الرومانية[١٢١]. لكن هناك مشكلات في التوصل إلى هذا الاستنتاج بثقة، فالبيانات ضئيلة، وتُثْبَت جزئياً باستخدام تيمن لبيانات الأسعار البابلية لدعم استنتاجاته حول طبيعة اقتصاد روما السوقي المدمج[١٢٢].

إن الرؤية طويلة المدى هي أن الأداء السوقي الذي يُعرَّف بأنه "قدرة السوق على استيعاب هزات العرض أو الطلب غير المتوقعة ويقاس بتقلب الأسعار" قد نما في الغرب، ومن ضمنه الأناضول، بين عامي ٥٠٠ ق.ح و١٥٠٠ ح.م، في حين يبدو أن الأسعار كانت "مستقرة على نحو ملحوظ في العراق ومصر عبر الفترة نفسها"[١٢٣]. يُفسَّر الأداء السوقي المتنامي بأربعة عوامل، هي تراجع الخطر في التجارة، والتغير في أنماط الاستهلاك، والتحسينات التقنية، والتحسن في التخزين[١٢٤]. لم يتحسن مشهد الري في جنوب بلاد ما بين النهرين ومصر لأنه لم يكن من الممكن تغيير القيود الأساسية للري وتفاوت المياه من

سنة إلى أخرى. وكما ذكرنا في موضع سابق، فإن التغير المناخي وتفاوت المناخ كانت لهما تأثيرات عالمية ومحلية. وكان الملوك في أوقات الأزمات الغذائية في مصر البطلمية يفتحون شُوَن القمح المَلكية أو- على الأقل في حالة واحدة معروفة- يستوردون الحبوب إلى مصر. ولا توجد أدلة عند هذه النقطة على أن الحقبة البطلمية تحولت من التوزيع إلى الأسواق لاستيعاب هزات العرض، في مقابل نظام شُوَن التخزين الحكومية التقليدية المعروفة منذ الدولة الحديثة[١٢٥]. وتكشِف الأوامر والمراسيم المَلكية المتعلقة بشحن الحبوب الداخلي أن الدولة اهتمت بحماية إمدادات الغذاء إلى الإسكندرية، لكنها لا توحي بأنه فيما عدا ذلك كانت هناك أسواق حرة بين المناطق[١٢٦].

كان القرن الرابع قبل الحقبة المشتركة، لا سيما في أثينا، فترة كثيفة الابتكار في "المؤسسات المُعَزِّزة للسوق"[١٢٧]، التي كان من أبرزها تطور الأعمال البنكية، وتقديم البنوك الائتمان للأفراد وللمدن، وتوسيع دورها في الالتزام الضريبي في أماكن مثل مصر القرن الثالث قبل الحقبة المشتركة. وتكشِف الأدلة التي جُمعت من المدن الهلنستية، ومن معابد مهمة مثل أبولو Appolo على جزيرة ديلوس، عن ابتكار مالي مهم خلال هذه الفترة، ربط الأفراد الرياديين الأغنياء بالمعابد وبالمدن في شبكات معقدة من الإقراض والاقتراض[١٢٨]. نتج ذلك الاتجاه كاملا عن عدة عوامل، كان من بينها تطور البنوك، وتطور مفهوم مجرد للنقد باعتباره "مِلكية مُنْشِئة للقيمة"، وزيادة الطلب على الائتمان الذي كشف عن نفسه أيضا في أشكال قانونية في الإمبراطورية البابلية الحديثة[١٢٩]. لذلك لا بد أن يكون دور الدولة في وضع الموازين والمقاييس المعيارية، وإصدار العملة، ودور الجغرافيا وتأثيرات المسافة، وتكاليف النقل، ومكان الأسواق الدائمة والموسمية، وتأثير التغير المناخي المفاجئ، جزءا من أي نموذج طويل المدى[١٣٠].

بعد اليوميات الفلكية البابلية، تأتي أفضل مجموعة لبيانات الأسعار من جزيرة ديلوس من الحقبة الهلنستية[١٣١]. وتماما كما هي الحال في النصوص البابلية، جاءت النصوص الديلوسية هي الأخرى من داخل أحد المعابد، هو معبد أبولو. وبحسب تقدير ريغر، تعد أسعار السلع المسجلة لزيت الزيتون والخنازير والحبوب والخشب "أسعارا سوقية عادلة"، لكن يظل من الصعب معرفة إن كانت هذه الأسعار تعكس نظاما اقتصاديا على مستوى المنطقة أم دائرة تبادل أكبر[١٣٢].

التجارة

لمصطلح التجارة trade معانٍ كثيرة في الأدبيات[١٣٣]، وأنا أتبع تعريف هاريس البسيط بأن التجارة هي "تبادل السلع بدافع الرغبة في الربح لدى أحد الطرفين أو كليهما"[١٣٤]. وقد لعبت تجارة المسافات الطويلة العابرة للثقافات، وتوسعا حركة المعلومات عموماً، دوراً بالغ الأهمية في الابتكار وفي الاندماج السياسي، لكن كانت لها أيضا آثار ضارة في نشر الأمراض بين السكان البشريين والحيوانيين[١٣٥]. كان التلاقح الثقافي جانباً مهماً في تجارة البحر الأبيض المتوسط حتى وقت متأخر، لكن فيما يتعلق بالألف الأول قبل الحقبة المشتركة، وحتى بالعودة إلى الوراء إلى أصول الحضارة، يجب أن ننظر إلى حركة التدفقات التجارية عبر المسافات المتزايدة باعتبارها أحد العوامل الحاسمة في عمليات تكوين الدول[١٣٦]. وقد كان التجار الخاصون والنشاط الحكومي مجدولين معا منذ تجار الإمبراطورية الآشورية القديمة في كول تبه/كانش في أوائل الألف الثاني قبل الحقبة المشتركة على الأقل(٢٢)، وبالتأكيد أيضا خلال الألف الثالث قبل الحقبة المشتركة بدرجة ما[١٣٧]. وكانت للتجار في مصر والشرق الأدنى القديمين، بحسب التوثيق، مكانة خاصة ربطتهم بأطيان المعابد أو المنزل المَلكي(٢٣)، وقد لعبت تجارة الحبوب وإمداد الغذاء للمناطق الحضرية دورا بالغ الأهمية في مشاركة الدولة في التجارة[١٣٨].

عادة ما يؤطَّر الجدل حول دور تجارة المسافات الطويلة في تضاد مع اقتصادات العصر الحديث المبكر[١٣٩]. لم تنتج أي مدينة قديمة "طبقة تجارية" ولا "سوقا" ولا "رأسمالية"، التي كان اجتماعها معا مهما بالنسبة لفيبر وهازبروك، وكانت معا النقطة الأساسية في تمييز فينلي الاقتصادات القديمة عن اقتصادات العصر الحديث المبكر[١٤٠]. لكن ذلك يقلب التاريخ رأسا على عقب. في حين أن فهم تأثيرات التجارة في العالم ما قبل الحديث يتعلق بتقدير درجة التأثيرات الصغيرة والكبيرة للتجارة[١٤١]. وقد لعبت المدن التجارية خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة دورا رئيسا في الاندماج السياسي للبحر الأبيض المتوسط، وازدهرت بفضل ذلك. وعلى النطاق الأصغر، يمكن أن نعتبر ظهور الإمبراطورية الحثية في مركز طرق التجارة الكانشية-الآشورية مثالا أقدم على ذلك.

---

(٢٢) كول تبه koletepe هو الاسم الحديث لموقع كانش القديمة، راجع حاشية سابقة حول المدينة. [المترجم]

(٢٣) جاء في حاشية سابقة أن كلمة "فرعون" تحريف يوناني للقب المصري "بر-عا" الذي يعني "البيت الكبير". [المترجم]

كثيرا ما يتم تجاهل دور تجارة المسافات الطويلة قبل العصر الحديث المبكر في أوروبا لأنها كانت في أيدي مجموعة صغيرة من النخب[١٤٢]. ويضع بنتلي ثلاث نقاط مهمة حول دور تجارة المسافات الطويلة، هي (١) أنها تمت على أيدي مجموعة صغيرة من النخب، (٢) أن سلع المكانة أو السلع عالية القيمة التي تبادلوها لعبت دورا حساسا في تراتبيات القوة، (٣) وفي التلاقح الثقافي، وفي النهاية في التغير المؤسسي[١٤٣]. وكما أكدتُ في موضع سابق، فإن الشبكات التجارية الفينيقية خلال أوائل الألف الأول قبل الحقبة المشتركة غيّرت تجارة البحر الأبيض المتوسط. كما أن اليونانيين المتجولين من النخبة خلال القرنين السابع والسادس قبل الحقبة المشتركة سافروا وتاجروا ورجعوا إلى بلادهم بأفكار جديدة[١٤٤]. وكان من الممكن أن تتوسع التجارة في سلع الترف إلى تجارة السلع الضخمة وتدفع الاندماج الاقتصادي، تماما كما فعلت في تجارة المحيط الهندي إبان العصور الوسطى[١٤٥]. ويمكن إرجاع قوة الاندماج الإقليمي على الأقل إلى تجار الإمبراطورية الآشورية القديمة وتدفق السلع بين آشور والأناضول الأوسط.

بدأت الدراسات تتعرف على الشبكات التجارية، تحديدا من خلال تحليل الشبكات network analysis[١٤٦]. كانت التجارة بالتأكيد قوة دافعة رئيسة للتغير الاقتصادي والثقافي، فضلا عن النزاع السياسي، على امتداد العالم ما قبل الحديث. وكانت التجارة في تاريخ البحر الأبيض المتوسط مسألة أساسية، وكانت الآلية الأهم للاندماج، وقوة دافعة لـ"وحدة" البحر[١٤٧]. وقد أبرز هازبروك منذ وقت مبكر، والكثير من الدارسين الآخرين في حقيقة الأمر، التضاد الشديد بين تجار العصور الوسطى في إيطاليا وشمال أوروبا وأسلافهم اليونانيين، ووجدوا أن الأخيرين كانوا غير أكفاء. كانت الدول المدينية إبان العصور الوسطى "المحك" الذي تقاس عليه التجارة ما قبل الحديثة[١٤٨]. لكن حتى الشبكات التجارية إبان الإمبراطورية الآشورية القديمة- على سبيل المثال- كانت تتألف من تجار خاصين أسريين، وهذه الأسر التجارية في الشرق الأدنى القديم تشبه النشاط التجاري لمدن العصور الوسطى، لكن على نطاق أصغر[١٤٩].

حدثت تحولات في التدفقات التجارية وحجمها بفعل التقنية الملاحية، والحرب، وعدم الاستمرارية السياسية، والتحضر عموما، والطلب من أثينا المتنامية إبان القرن السادس قبل الحقبة المشتركة، ولاحقا من المدن الجديدة الكبيرة مثل الإسكندرية وروما. وقد بدأ الدارسون ينمذجون "الترابط المحمول بحرا"،

والبيئة، والشبكات، ووظيفة المسافة والزمن، وخصائص العمارة الملاحية، باستخدام نظام المعلومات الجغرافية الذي أثبت أنه مفيد في تصور التدفقات التجارية والمسافات والتكاليف[١٥٠].

أثيرت شكوك في بعض الدوائر حول نطاق التجارة الخاصة، لكن لا مجال لإنكار هذه التجارة[١٥١]. ومن ذلك أن وربيرتن أكد بقوة أن "التجارة الدولية" لعبت دورا مهما، بل مهيمنا حتى، منذ بداية الحضارة في الشرق الأدنى القديم[١٥٢]. لكن التحول من "الطابع المركزي نسبيا للتجارة البلاطية إبان العصر البرونزي" ممثَّلة في حطام سفينة أولوبرن الشهير وحمولتها النقدية، إلى "المشروع المركنتيلي الخاص" الذي نشأ في شرق البحر الأبيض المتوسط بعد انهيار العصر البرونزي يشكل تحولا اقتصاديا مهما[١٥٣].

كان الفينيقيون أول المتحركين في التوسع غربا إبان العصر الحديدي في البحر الأبيض المتوسط، بحثا عن الموارد المعدنية، وقد أوجد هؤلاء التجار أسواقا للسلع عالية القيمة[١٥٤]. ركزت الدراسات على الطرق البحرية الجنوبية والغربية، لكن طرق التجارة البرية إلى الأناضول، وجنوبا إلى شبه الجزيرة العربية، لم تكن أقل أهمية، إن لم تكن أهم[١٥٥]. يُشَبَّه الفينيقيون عادة بالمدن الأوروبية المركنتيلية إبان العصر الحديث المبكر، لكن المركنتيلية قد تكون تطبيقا سيئا للفكر الاقتصادي للقرنين السابع عشر والثامن عشر (لآدم سميث وغيره)، وفهما سيئا للفينيقيين وسابقيهم من المدن الساحلية في الشرق الأدنى التي ترجع إلى الألف الثالث قبل الحقبة المشتركة[١٥٦]. وتماما كما هي الحال في اليونان، كانت المدن الفينيقية في موقع مواتٍ للاستفادة من التجارة العابرة للثقافات، وكانت هذه المدن ورثة شبكة تبادل وإتاوة، كما هو مُوَثَّق جيدا خلال الألف الثاني قبل الحقبة المشتركة، كانت تحول المواد الخام إلى سلع مصنعة، وتمتعت بميزة نسبية في المهارة الملاحية[١٥٧]. وصف روستوفتسيف ذلك التحول بـ"تجارة القوافل" التي استعاضت عن التجارة عن طريق الحمير إبان الإمبراطورية الآشورية القديمة بالسفن والبحر[١٥٨]. وكانت المعادن والمنسوجات السلع الأساسية في الحالتين. وكان "للشركات" التجارية المستقلة الواقعة على طرق التجارة الحيوية بين الساحل المشرقي ومصر (في بيبلوس وأماكن أخرى على تخوم الإمبراطوريات في الشرق الأدنى وفي مصر) تاريخ طويل في توفير مواد أولية مثل الخشب لمصر، إذ عملوا وسطاءً، وكانوا بالمعنى الحرفي للكلمة في "موقع وسط"، ولعبوا لعبة حذرة في صعود الإمبراطوريات وانهيارها[١٥٩].

في القصة المصرية الشهيرة "تقرير ويناموون"، وجد وكيل معبد آمون الطيبي الكبير نفسه في مأزق عندما عومل بطريقة سيئة في بيبلوس[٢٤]، وهي قصة تُفسَّر عادة باعتبارها مؤشرا على كل من التراجع في القوة الإمبراطورية المصرية وصعود قوى أخرى في الشرق الأدنى، وهي على أي حال توضح لنا التضاد بين النشاطات التجارية الخاصة المدينية والنشاط التجاري البيروقراطي الضخم لمصر[١٦٠]. نمت ثروة صور التي تخصصت في إنتاج السلع المصنعة عالية القيمة والقماش والتوابل والأواني المعدنية، من بين أشياء أخرى. ولفتت التدفقات التجارية الحيوية التي تمركزت المدن الفينيقية فيها انتباه الإمبراطورية الآشورية الحديثة الآخذة في الاتساع والباحثة عن الإتاوة في منتصف القرن التاسع قبل الحقبة المشتركة، ذلك أن السيطرة على طرق التجارة الرئيسة بين الشمال والجنوب وبين الشرق والغرب التي مرت عبر سورية والمشرق وجمع الضرائب جعلت المنطقة جذابة دائما، وللسبب ذاته أرادت الإمبراطوريات الأخمينية والهلنستية السيطرة على المنطقة. وربما كان توسع الفينيقيين غربا عبر البحر الأبيض المتوسط "وسيلة أرادت بها المدن الفينيقية أن تحافظ على أنفسها وعلى دورها ضمن الاقتصاد الإقليمي الواقع تحت السيطرة الآشورية"[١٦١].

لكن هناك آراء أخرى حول التوسع الفينيقي غربا. فربما فرضت الزيادة السكانية في صور- على سبيل المثال- ضغطا على تلك المدينة للتوسع في أماكن أخرى. وربما كان قطع وصولهم إلى طرق التجارة الأناضولية حافزا آخر لهم للبحث عن التجارة في أماكن أخرى[١٦٢]. كانت موارد الفضة في إسبانيا تمد الإمبراطورية الآشورية الحديثة باحتياجاتها بحلول أواخر القرن الثامن قبل الحقبة المشتركة. وكان التجار الفينيقيون وسطاء متنقلين، ربطوا الطلب على السلع المصنعة مع الطلب على المواد الخام في "شبكة تجارية غرب آسيوية" معقدة ومتقنة[١٦٣]، كانت أبعد ما تكون عن المركزية التي ميّزت "الاقتصادات البلاطية" إبان العصر البرونزي. فأُنشئت "محطات تجارية"، وأوجد النشاط الغربي- أو عزَّز وحسب- شبكات جديدة ربطت إسبانيا وقبرص (التي ظلت مصدرا رئيسا للنحاس) وسردينيا وصقلية وشمال أفريقيا وإيطاليا. لقد حوّل التجار الفينيقيون المواد "عالية القيمة صغيرة الحجم ("سلع الترف") إلى إنتاج ضخم موحد ("سلع")، كانت حركته ممكنة بفضل تدفقات الفضة بين المناطق ... في تبادل عام"[١٦٤].

(٢٤) الطيبي نسبة إلى طيبة. [المترجم]

أطلقت الشبكات والتنظيم التجاري الفينيقي أنماطا تجارية لاحقة في البحر الأبيض المتوسط[١٦٥]. كان خام النحاس والحديد والفضة في ريو تينتو Rio Tinto بإسبانيا جانبا مهما للنشاط الفينيقي[١٦٦]. وقد امتد النشاط الفينيقي بالطبع من أقصى الغرب في إسبانيا، في ولبة Huelva وقادس Cadiz بحلول القرن التاسع قبل الحقبة المشتركة، إن لم يكن قبل ذلك، إلى شمال أفريقيا (تونس وليبيا) وإيطاليا وسردينيا وجزيرة كريت والبحر الأبيض المتوسط الإيجي[١٦٧]. ربطت التجارة الفينيقية في المعادن شرق البحر الأبيض المتوسط بغربه[١٦٨]. وقد ظهرت أسر تجارية، كانت ورثة الأسر التجارية إبان الإمبراطورية الآشورية القديمة، والأسر في إبلا وبيبلوس(٢٥)، والجماعة السامية المعروفة باسم الهكسوس التي حكمت مصر لقرن من الزمن، وكلمة "هكسوس" Hyksos كلمة مصرية تعني "حكام البلاد الجبلية" (أي الغرباء)، وهو وصف يبخس مهارة الهكسوس التجارية الكبيرة، ويكشف مقت المصريين لهؤلاء الغزاة الأجانب. ثم نشأت منافسة مع جماعات تجارية أخرى، تحديدا اليونانيين، بحلول منتصف القرن الثامن قبل الحقبة المشتركة. وتأسست قرطاج التي كانت واحدة من مدن البحر الأبيض المتوسط الكبيرة، على الأرجح بالقرب من نهاية القرن التاسع قبل الحقبة المشتركة، أيضا لأسباب ما تزال غير واضحة[١٦٩]. فتاريخيا أوجدت الدول المدينية المستقلة والتجار المستقلون ظروفا أولية مواتية للنمو[١٧٠].

بيد أن التجار في تجارة الألف الأول قبل الحقبة المشتركة في الشرق الأدنى ليسوا أقل مراوغة في توثيقهم من نظرائهم في أي مكان آخر[١٧١]. فنشاط الدولة أفضل توثيقا، ويوجد ارتباط في كل إمبراطورية في الشرق الأدنى بين تكوين الإمبراطورية وتوسعها وسيطرتها على طرق التجارة. من ذلك على سبيل المثال أن ما نعرفه حول سيطرة الدولة على التجارة والنشاط التجاري على محيط الإمبراطورية الآشورية الحديثة، في مدن فينيقيا التجارية الكبيرة، يفوق ما نعرفه حول تجارة المسافات الطويلة أو التجارة المحلية داخل الإمبراطورية. وفي حالة الإمبراطورية البابلية الحديثة، توجد أدلة أكثر رصانة حول النشاط الاقتصادي للمعابد وتجارة الشركات الأسرية، مثل أسرة إغيبي. يفرض ذلك صعوبة على القياس الكمي للاختلافات الظاهرة بين هاتين الدولتين، والتمييز بين السيطرة

(٢٥) إبلا Ebla مملكة قديمة في سورية تقع بقاياها في تل مرديخ الواقع على مسافة ٥٥ كيلومترا شمال غرب حلب، كانت مركزا مهما على امتداد الألف الثالث قبل الحقبة المشتركة حتى منتصف الألف التالي. [المترجم]

الحكومية والأسر التجارية الخاصة، وذلك بسبب الطبيعة المختلفة للأدلة التي بقيت منها. وقد دعمت الإمبراطورية الجديدة المعابد ونشاطها الاقتصادي، وتعهدت منطقة اقتصادية أكثر اندماجا في بلاد بابل، انتظمت حول نهر الفرات[١٧٢].

ربما لم تستفد تجارة المسافات الطويلة من جهود الإمبراطورية الأخمينية المعروفة في شق الطرق التي كانت تُحرَس وتُراقَب وتخضع لسيطرة شديدة ويتطلب استخدامها ترخيصا، لكنها كانت مؤشرا على الحركة. ولا يُعرَف الكثير حول مشاركة الدولة الأخمينية في التجارة[١٧٣]، لكن هناك أسرة تجارية كبيرة أخرى، هم آل موراشو المُوَثَّقون في أرشيفهم الواسع، تعطينا أفضل الأدلة حول النشاط التجاري الخاص خلال الحقبة الأخمينية، الذي تركز في إقراض المال وتأجير الأراضي الزراعية[١٧٤].

رُبط ظهور عالم الدول المدينية اليونانية بالتوسع الفينيقي وبالمنافسة على الطرق التجارية، ويمكن التعرف على التلاقح الثقافي في الثقافة المادية "التَشَرُّقية" لليونان المبكرة وإترورِيا، وكذلك في التبادل الإتروسكاني مع اليونانيين في الإقليم المجاور، وفي صادرات النبيذ إلى مرسيليا[١٧٥]. فلم يكن ظهور التجارة في اليونان خلال العصر الحديدي المبكر على الأرجح نوعا جديدا من التجارة، بل كان بالأحرى "إعادة هيكلة" لتدفقات تجارية أقدم قامت على زيادة في الطلب مدفوعة بالنمو السكاني بعد انهيار العصر البرونزي[١٧٦].

يظهر "التاجر اليوناني" في مصادرنا في نهاية القرن السابع قبل الحقبة المشتركة[١٧٧]. على أننا لا نعرف بالاسم منهم إلا القليل[١٧٨]، ونعرف أنهم كجماعة لم يكونوا أميين ولا فقراء، بل كانوا في حقيقة الأمر جزءا أساسيا من المدينة. يميز بريسن بين موقعين أساسيين للتجارة، الأول هو الإمبوريون للتجارة الخارجية على أيدي الغرباء، والآخر هو الأغورا للتجارة الداخلية. وفي نقراطيس خلال القرن السابع قبل الحقبة المشتركة، وفي بيرايوس Pireaus ميناء أثينا الذي شُيّد خلال القرن الخامس قبل الحقبة المشتركة، وفي أماكن أخرى من العالم اليوناني، كانت التجارة القادمة تُراقَب وتُجبى ضرائب عليها[١٧٩]. وقد استحوذ استيراد الحبوب إلى أثينا على الاهتمام السياسي.

في حالة الاقتصادات الهلنستية، حظيت المؤسسات التي شجعت التجارة وخفَّضت تكاليف الصفقات وحسَّنت الكفاءة باهتمام وافر[١٨٠]. كانت القرون الأربعة الأخيرة قبل الحقبة المشتركة فترة مشهودة في تاريخ البحر الأبيض المتوسط، بدأت بهزيمة أثينا في الحرب البيلوبونيزية وغزو الإسكندر

للإمبراطورية الأخمينية، وانتهت بسيطرة روما على الموقف السياسي. تغيرت أشياء كثيرة خلال هذه القرون، وحتى بولاني نفسه رأى خلال هذه الفترة زيادة في الأسواق، وكذلك وُجدت حلول إبداعية للتمويل في أثينا[١٨١]. كانت هذه التغيرات عوامل مهمة في التطور التاريخي لتجارة البحر الأبيض المتوسط وتوسعها. وتؤكد كل دراسات التاريخ الهلنستي على حدوث زيادة في كثافة النشاط البشري ونطاقه، الذي تجسد في ظهور مدن أكبر كثيرا من ذي قبل، وتكرار الحروب، ونمو حجم التجارة، وحجم البنايات العامة، وحجم السفن، والموانئ، وحركة الناس وغيرها[١٨٢].

ترتبط دراسة التجارة ودور التجار بكل الجوانب الأخرى للاقتصادات الهلنستية، مثل حركة الجنود وغيرهم من الناس (فرادى أو جماعات)، والحرب، والأبنية السياسية الجديدة التي وطدت السيادة على كل من الفضاء الإقليمي القديم والجديد، وتداخل الأنماط التجارية القديمة مع الأنماط الجديدة (مثل الارتباطات بين البحر الأسود ومصر البطلمية)، والنقد والائتمان، والإثنية، والمعتقدات الدينية وانتشارها، والأساليب الفنية والمعمارية، والتغيرات والتقلبات في العرض وصعود أثينا خلال القرن السادس قبل الحقبة المشتركة، التي تعد مجرد أمثلة وحسب لتأثيرات النشاط التجاري على المجتمعات الهلنستية[١٨٣]. وعلى ذلك فإننا إن لم نحاول نسج "التجارة" حول مجموعة بعينها من القضايا أو الأسئلة، نجعل أنفسنا عرضة لخطر "أن نضل الطريق في اللانهائي"، كما وصف أحد الدارسين مشكلة تحليل الاقتصادات القديمة[١٨٤]. ومن المهم أيضا أن ندرك أن الفترة التي بدأت من نحو عام ٤٠٠ ق.ح قد شهدت تمفصلا متزايداً لدوائر منفصلة للفعل البشري في الاقتصاد والسياسة والدِين[١٨٥]. وفي ذلك الجانب نجد أن المراجعة التي أجراها كيث هوبكنز للتجارة القديمة والأسئلة الأساسية الذي طرحها حول التجارة في "العالم الكلاسيكي" تنطبق بالقدر نفسه على التجارة الهلنستية[١٨٦].

كان البحر الأبيض المتوسط الهلنستي والروماني، بين نحو عامي ٤٠٠ ق.ح و٢٠٠ ح.م، جزءاً من مجموعة معقدة من عمليات التوسع الاقتصادي طويلة المدى التي أسماها موريس "اندماج البحر الأبيض المتوسط"، ولا حاجة لإحداث قطيعة حادة بين "الهلنستي" و"الروماني" خلال القرن الرابع وأوائل القرن الثالث قبل الحقبة المشتركة[١٨٧]. فالتجارة والتجار الهلنستيون ضروريون لفهم التاريخ الاقتصادي للبحر الأبيض المتوسط، لا سيما في مجال المخاطرة ودور الدولة في دعم التجارة. وربما كانت الحقبة الهلنستية، مقارنة بالقرنين الأولين من الحقبة المشتركة، فترة مخاطرة أعلى، وبالتالي تكاليف

نقل أعلى. اجتمعت البيئة متعددة الدول شديدة التنافسية و"البحر الداخلي" غير المدمج (أي البحر الأبيض المتوسط) مع اتجاه هلنستي آخر، هو انخفاض تكاليف الصفقات[١٨٨]. لكن دائرة التجارة الهلنستية امتدت إلى ما وراء حوض البحر الأبيض المتوسط، وربطت طرق التجارة القديمة من عمق الشرق الأدنى إلى آسيا الوسطى وجنوب آسيا، التي تتوفر حولها أدلة مادية متزايدة. ومع تزايد دراسات المناطق "المحيطية"(٢٦)، مثل البحرين الأحمر والأسود والمحيط الهندي، خلال السنوات الأخيرة، يبدو الشكل العام للتجارة الهلنستية أشد تعقيداً. ومن الواضح أننا يجب أن ندرج تجارة المحيط الهندي والبحر الأحمر ضمن سياق التجارة "الهلنستية"، حتى وإن كانت مختلفة في بيئتها، ويجب أن نرجع الفضل إلى البطالمة والتجار اليونانيين في مصر في فتح هذه التجارة[١٨٩].

ما تزال القدرة على القياس الكمي للبيانات الأساسية، ممثَّلة في حطام السفن، لا سيما عند تقدير أحجام الحمولات والأمفورات الموجودة في كل مكان، مسألة أساسية[١٩٠]. ومن المرجح أن الحروب، وتكوين الدول الجديدة، والمنافسة بين الدول، والقرصنة، والمطالب الضريبية، قد كبلت التجارة. لكن الدول حاولت أن تقلل تكاليف الصفقات وأن تشجع التجارة، ومن ذلك أن الاتفاقات بين المدن في العالم اليوناني كانت شديدة الاتساع، وكذلك قُدمت إعفاءات ضريبية. ومن المهم أن ندرك التمييز بين التجارة الموجهة من جانب الدولة والتجارة الخاصة، التي يبدو من الأدلة أنها زادت على مدار الحقبة الهلنستية، تحديدا خلال القرنين الأخيرين قبل الحقبة المشتركة، وهنا بالطبع يكون التداخل بين ما يعد هلنستيا وما يعد رومانيا أحد الاعتبارات المهمة.

يعد الاقتصاد السياسي أحد المجالات المهمة، وهو العلاقات بين الحكم والأداء الاقتصادي للدول الهلنستية. وهنا يبدو أن عوالم البحر الأبيض المتوسط والشرق الأدنى والمحيط الهندي قبل عام ٢٠٠ ق.ح كانت مختلفة تماما عن عالم الإمبراطورية الرومانية الموحدة في نحو عام ١٠٠ ح.م. وعادة ما توضع "الجمهوريتان الهلنستيتان" رودس وروما وتجارهما الخاصون معًا لإبراز تضادهما مع الممالك الهلنستية، لا سيما البطالمة والسلوقيين، وتجارتهم التي أدارتها الدولة[١٩١]. سيطر تجار الجمهوريتان على تجارة البحر الأبيض المتوسط، وقد قُدِّمت تفسيرات أساسية لذلك. لا يعني ذلك إنكار التأثير التحويلي للقوة الرومانية بحلول منتصف القرن الثاني قبل الحقبة المشتركة. فالبيانات التي تُحلَّل كثيرا،

(٢٦) "محيطي" من التقابل الشائع بين المحيط periphery والمركز center الاقتصاديين أو الحضاريين.. [المترجم]

مثل حطام السفن وتحليل نظائر الرصاص من عينات لبية جليدية من جزيرة غرينلاند واستهلاك اللحوم، توحي جميعها بأننا فعلا أمام إطار سياسي جديد بعد عام ٢٠٠ ق.ح[١٩٢].

على أننا لكي نستكمل النواقص، ينبغي أن نمتلك فهما تاريخيا عميقا لمئات المناطق والأحداث المحلية، وفهما لكل من التحولات والهزات في الشبكات التجارية، وفكرة عن كيفية ارتباط المناطق عن طريق السلطة السياسية للعديد من الدول في البيئة السياسية الهلنستية[١٩٣]، وهو النهج الذي انتهجته دراسة التجارة الهلنستية عموما خلال السنوات الأخيرة، مع التأكيد على التجارة المحلية أو التجارة ضمن المنطقة، مثل التجارة في ديلوس أو في صحراء مصر الشرقية، أو دور الجماعات التجارية في جزيرة رودس، وما إليها.

لقد كُتب الكثير حول التجارة من منظور البنية المؤسسية للمجتمعات القديمة، ومدى السيطرة السياسية على التجارة في مقابل استمرار نمط تجارة المسافات الطويلة الذي كان جزءا من عالم شرق البحر الأبيض المتوسط لآلاف السنين[١٩٤]. لا يتعلق الأمر بالجدل حول وجود الأسواق باعتبارها نمطا للتبادل من عدمه، بل بالأحرى بمدى بروز الدور الذي لعبته الأسواق، وكيف أسهمت الدول الجديدة والمراكز الحضرية الجديدة مثل الإسكندرية في تغيير الأنماط السابقة. وقد ذهب نموذج بولاني إلى أن التبادل اللاسوقي هيمن حتى ظهور أسواق تحديد الأسعار في العالم اليوناني خلال القرن الرابع قبل الحقبة المشتركة والتجار المدفوعين بالربح خلال الحقبة الهلنستية، وهو نموذج لا يخلو من وجاهة، استمدها على الأرجح من أنه يتعقب زيادة كثافة المصادر ومن أنه يبرز العمليات المهمة التي فتحت التجارة بعد عام ٤٠٠ ق.ح. كذلك تعد الجغرافيا والشبكات الاجتماعية جانبين مهمين لفهم بنية التجارة. فلا غنى عن كل هذه الجوانب- الأسواق والجغرافيا والشبكات الاجتماعية- فضلا عن الدول الجديدة التي تكونت بعد عام ٣٢٣ ق.ح، للوقوف على مدى تغير أنماط التبادل، إن كانت قد تغيرت فعلا. وقد قُدِّمت نظريتان واسعتان خلال السنوات الأخيرة.

وعلى ذلك فإن الأسئلة حول التجارة القديمة التي طرحتها الأجيال السابقة ما تزال في حاجة إلى إجابات[١٩٥]. على وجه التحديد كانت المشكلات الرئيسة في تحليل التجارة الهلنستية هي تقدير أدلة التجارة، وكيفية التمييز بين التبادل الخاص والتبادل المدفوع من الدولة، وكيفية ربط "التجارة" بـ"السوق"، وكيفية قياس التجارة كميا (إن كان ذلك ممكنا أصلا)، لا سيما في مجال قيمة الحمولات

وحجمها، ونطاق تجارة المسافات الطويلة، وأخيرا التحول في الأنماط التجارية على مر الزمن[١٩٦]. على أننا لا نستطيع دائما أن نميّز بين التجارة التي أدارتها الدول الهلنستية من خلال الأسواق وهِبات السلع المَلكية مثل الحبوب أو الخشب[١٩٧]. ولا بد أن المؤسسات الجبائية الجديدة التي أدخلتها الممالك الهلنستية، والطرق الجديدة لجباية الضرائب، واستخدام العملة، قد يسَّرت كلا من تجارة المسافات الطويلة والمسافات الأقصر بين الدول وداخلها، لكننا لم نتوصل بعد إلى طريقة لقياس ذلك كميا.

ثمة مشكلة عويصة أخرى كانت وما تزال تتمحور حول طبيعة المصادر التي لا تسمح عموما إلا بإجابات جزئية عن بعض هذه الأسئلة. ولعل الشيء الأشد إعاقة لنا هو أن مصادرنا شديدة الضآلة بالنسبة للحقبة الهلنستية المبكرة التي شهدت إنشاء الميناء الجديد في الإسكندرية بفناره الهائل الذي يرشد السفن، وتحولها- أي الإسكندرية- إلى المنارة الاقتصادية للعالم الهلنستي بالمعنى الحرفي للكلمة. وتلك الوعورة هي بالطبع ما يفرض صعوبة على دمج كل جوانب الاقتصادات الهلنستية في أي شيء نود أن نسميه "التجارة الهلنستية". لكن ذلك الطريق لا يقدم مخرجا للتقدم، ولدينا على المستوى المحلي الكثير من الأشياء الساحرة التي يمكن أن تكون كاشفة عن النشاط التجاري الخاص.

على سبيل المثال، تقدم البرديات من مصر الكثير من الأشياء المهمة حول التجار المحليين الصغار. وعلى مستوى مختلف، كانت نشاطات أبولونيوس، صاحب خزانة بطليموس الثاني الذي نناقشه فيما يلي، الاستثناء الذي يثبت قاعدة غياب النشاطات محدودة النطاق بسبب متطلبات الضرائب الباهظة، ويتمثل الاستثناء في نشاطاته التجارية الخاصة التي شملت التوابل والبخور والعبيد، من بين سلع أخرى، خلال شبكته الشخصية في سورية[١٩٨]. لكن هناك الكثير من الأمثلة للتجار الخاصين. من ذلك على سبيل المثال أن ناسكا دينيا يدعى بطليموس Ptolemy في سيرابيوم سقارة الواقع خارج منف، قد عمل وسيطا، أي "رجل أعمال هلنستي"[١٩٩][٢٧]، وفي عمله بالمنسوجات المتمركز في السيرابيوم في منف، وهو معبد لعبادة أبيس الشعبية، كانت له شبكة شخصية واسعة

(٢٧) السيرابيوم Serapeum هو أي معبد أو هيكل أو مؤسسة دينية مخصصة لعبادة المعبود المصري-اليوناني التوفيقي سيرابيس Serapis الذي جمع جوانب من أوزيريس Osiris وأبيس Apis في شكل بشري قبله اليونانيون البطالمة في الإسكندرية. [المترجم]

امتدت إلى قريته الأم في النوم الهرقليوبوليسي الواقع على مسافة نحو ثمانين كيلومترا إلى الجنوب[٢٠٠][٢٨]. كان هذا النوع من التجارة الذي استفاد من الشبكات المحلية والبيع محدود النطاق وعلى مسافات قصيرة في المعابد وبين البلدات والقرى المتجاورة، أو في أثناء المهرجانات، سمة لحياة البحر الأبيض المتوسط في كل مكان منذ الأزل، وكان بلا ريب الشكل الرئيس للتجارة، ولا شك أن التجار محدودي النطاق والتجارة التتابعية[٢٩]، وبالتالي التكاليف الأعلى للصفقات، كانت معتادة في تلك الفترة، حتى وإن لم تكن دائما مُوَثَّقة جيدا[٢٠١]. ومما ينبغي أخذه في الاعتبار أن الرجلين- أبولونيوس وبطليموس- كانا أقرب إلى تجار القرن الحادي عشر اليهود المُثْبَتين في وثائق الجنيزة منهم إلى أغلبية المزارعين على امتداد النيل[٣٠]، فكانا جزءا من أقلية صغيرة تربحت من الأبنية المؤسسية للمجتمع الهلنستي[٢٠٢].

ليس من الوارد أن نصل إلى إلمام تفصيلي بأي من هذه السمات للتجارة الهلنستية، وليس ذلك أمرا جديدا بحال من الأحوال. وثمة أنواع أخرى من المصادر، منها على سبيل المثال نقوش من جزيرة رودس، يمكن أن تفتح لنا نافذة على تجارة المسافات الطويلة. على أن التوصل إلى صورة شاملة تدمج أنماط تبادل المسافات الطويلة والقصيرة وتميز بين دور الدولة وفاعلية الفاعلين الفرديين في أي فترة من التاريخ الهلنستي ما يزال يشكل تحديا[٢٠٣].

وإذا كانت التجارة ذاتها جيدة التوثيق لكنها إشكالية، فإن هذا الوصف ينطبق بدرجة أشد على تنظيم التجارة ودور التجار. ومع ذلك فإن فهم تنظيم التجارة يعد بلا شك مطلباً أساسياً لفهم الاقتصادات القديمة، لا سيما فيما يتعلق بالدور الفارق للتبادل السوقي على مر الزمن. وإجمالا، يفترض أغلب الدارسين، منذ أن ظهرت دراسة هازبروك قبل قرن تقريبا (١٩٢٨)، أن التجار الخاصين لعبوا دورا هامشيا في التجارة، وأنهم كانوا عموما من غير المواطنين والغرباء الأميين الذين

---

(٢٨) راجع حاشية سابقة حول هرقليوبوليس عاصمة النوم العشرين في مصر العليا. [المترجم]

(٢٩) التجارة التتابعية segmented trade أو التجارة المجزأة تجارة تنتقل بين أيدي أكثر من تاجر عبر مراحل متتالية، حتى تصل إلى المستهلك أو المشتري الأخير. [المترجم]

(٣٠) وثائق الجنيزة Geniza documents مجموعة من الأوراق مكتوبة باللغات العبرية والعربية والآرامية، لا يجوز بحسب الديانة اليهودية التخلص منها أو إتلافها لأنها تحتوي اسم الله، ولذلك كانت تُخزن في غرفة منفصلة في الكنيس أو المعبد لأجيال، ثم تُدفن في مقابر، ومن هنا جاء اسم "الجنيزة" الذي يشترك في الأصل مع الكلمة العربية "جنازة"، وتعد الجنيزة التي عُثر عليها في كنيس ابن عزرا في القاهرة من أهم مجموعات الجنيزة في العالم. [المترجم]

اعتمدوا على القروض للبقاء من صفقة إلى أخرى. وقد أثبت بريسن أن هذه الرؤية لم تعد قابلة للتأييد[٢٠٤]. فقد كان التجار الخاصون في تزايد منذ الأزمنة العتيقة، ولعبوا دورا حاسما في تموين أثينا خلال الحقبة الهلنستية، ومن المهم أيضا أن ندرك أنهم تحملوا مخاطرة كبيرة، ربما عادت عليهم أحيانا بثروات كبيرة[٢٠٥].

بالنسبة للحقبة الهلنستية، و"للاقتصاد القديم" برمته، ذهب فينلي أبعد من ذلك إلى القول بأنه لا يمكن وصف أحد المجتمعات القديمة بأنه امتلك "مزيجا هائلا من الأسواق المترابطة"[٢٠٦]. ثم سارع فينلي إلى التنبيه إلى أن هيرودوت (Herodotus, 1.152–53) وصف التبادل السوقي ومشكلاته في سياق الإمبراطورية الأخمينية. لكن كان هناك كل من التغير والاستمرارية المؤسسيين، ومن الواضح أن توسعا في النشاط التجاري قد حدث خلال القرن الرابع قبل الحقبة المشتركة، صاحبه تزايد في القرصنة. ثم أخذ التجار الإيطاليون ("التيرينيون"[٣١]) الذين يُذكَرون كثيرا في مصادرنا، يهيمنون على الشبكات التجارية الخاصة في جزيرة رودس وأماكن أخرى[٢٠٧]. لكن التجار الهلنستيين تحركوا خلال إطار قديم من الموانئ والمرافئ المعروفة مسبقا وضمن شبكات اجتماعية سابقة الوجود. ويؤكد جون ما John Ma ما يمكن أن نسميه جماعات الشتات التجاري اليونانية التي كانت بالتأكيد أحد الأجزاء المكوّنة (والمهمة) للتجارة الهلنستية[٢٠٨]. لكن كانت هناك أيضا دول جديدة ومدن جديدة كبيرة مثل الإسكندرية، جنبا إلى جنب مع أنماط التبادل القديمة في كل أجزاء عالم البحر الأبيض المتوسط، كانت الأساس للتغيرات السياسية.

على النقيض من ذلك، رأى روستوفتسيف أن التجارة أساسية لفهم الاقتصادات الهلنستية، وما تزال معالجته العامة للتجارة والتجار تشكل الأساس لأغلب الأعمال اللاحقة. قسم روستوفتسيف موضوع التجارة الهلنستية بحسب معايير المسافة ونمط النقل[٢٠٩]. بحسب المسافة، كانت هناك التجارة "الداخلية" و"الخارجية" (أي بين الدول). وتشير التجارة "الداخلية" إلى التجارة بين الدول الهلنستية، فيما تشير التجارة الخارجية إلى التجارة بين الدول الهلنستية وغير الهلنستية. كان هذان

---

(٣١) "التيرينيون" Tyrrhenians اسم أطلقه المؤلفون اليونانيون على الشعوب غير اليونانية، وتربطه بعض المصادر القديمة بالإتروسكانيين أو قبائل الريتاي Raeti الألبية أو الليمنوسيين سكان جزيرة ليمنوس اليونانية الذين تُجمع لغاتهم جميعا ضمن اللغات التيرينية Tyrrhenian أو التيرزينية Tyrsenian بناء على التشابهات في نظم الكتابة. [المترجم]

الشكلان في الأساس من نوع تبادلات المسافات الطويلة. ويمكن أن نضيف إلى هذين النوعين التبادل الداخلي، بمعنى التجارة داخل المنطقة intraregional trade، التي جرى التأكيد عليها مؤخرا[٢١٠]. فلا ريب أن التجارة بين المناطق وداخل المنطقة الواحدة فاقت تجارة المسافات الطويلة المنقولة بحرا خلال تلك الفترة[٢١١].

ربما تكون الاختلافات الجوهرية بين فينلي وروستوفتسيف قد ضُخِّمت من حين لآخر، لكن ذلك لا ينفي أن دور التجارة مجال يسوده خلاف شديد[٢١٢]. فبالنسبة لروستوفتسيف، تميزت الحقبة الهلنستية على وجه التحديد بزيادة النشاط التجاري. وكان البحر والبر والنهر الأنماط الثلاثة الأساسية للنقل، وكان أولها- أي البحر- نمط النقل الأهم والأكثر تطورا، وظل النمطان القديمان- البر والنهر- مهمين بالطبع (مثل التجارة عبر النيل وفي صحراء مصر الشرقية والغربية، وطرق القوافل في الشرق الأدنى)[٢١٣]. تُناقَش طرق الحرير، البرية والبحرية، عادة في سياق التجارة الرومانية، لكنها كانت في الأساس ظاهرة هلنستية، بُنيت على الطرق الأخمينية القديمة ووسعتها تدريجيا في أعقاب حملات الإسكندر لربط المركز اليوناني بالشرق.

هل كانت هذه الزيادة المفترضة ناتجة عن نشأة الدول الهلنستية الجديدة، أم كانت جزءاً وحسب من الاتجاه العام للنمو الثابت البطيء في الإنتاج الفائض على مدار الألف الأول قبل الحقبة المشتركة؟[٢١٤]. الإجابة عن هذا السؤال كانت الاثنين بالتأكيد، إذا فهمنا التاريخ الهلنستي ضمن السياق الأكبر "للتحول" الأوسع لعالم البحر الأبيض المتوسط خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة.

منذ العقد الأخير من القرن العشرين، كشفت الأعمال الأثرية في خليج أبي قير الواقع شرق الإسكندرية مباشرة، النقاب عن ميناء ثونيس الذي يعرف أيضا باسم هرقليون في المصادر اليونانية[٢١٥][٣٢]. يرد ذكر هذه المدينة في نص من الحقبة السايسية يُعَرف باسم اللوح النقراطيسي Naukratis Stela (وُجدت نسخة ثانية منه حاليا في الموقع)، يوثِّق أن المعبد المحلي للإلهة نيث كان يجمع ضرائب على كل التجارة[٣٣]، لكن الأعمال الأثرية أعادت لنا الميناء ذاته الذي زال من الوجود

---

(٣٢) راجع حاشية سابقة حول مدينة هرقليون Herakleion أو ثونيس Thonis. [المترجم]

(٣٣) نيث Neith (أو نيت Neit) إلهة مصرية ترجع إلى الأسرة الأولى، كانت الحامية لسايس عاصمة النوم الخامس في الوجه البحري (راجع حاشية سابقة حولها)، حيث كانت الدلتا مركز عبادتها. [المترجم]

بالانخساف، على الأرجح بسبب زلزال في القرن الثاني أو الثالث من الحقبة المشتركة[٢١٦]. كانت ثونيس التي أُسست خلال القرن الثامن قبل الحقبة المشتركة ميناء (إمبوريون) ومركز جمارك، وكانت منذ الحكم الفارسي على أقل تقدير (أي منذ نهاية القرن السادس قبل الحقبة المشتركة) مرتبطة بالمستعمرة التجارية اليونانية في نقراطيس الواقعة بعيدا داخل البلاد[٢١٧]. وتوحي وثيقة آرامية معروفة من القرن الخامس قبل الحقبة المشتركة بأن الملك الفارسي كان يجمع رسوما تجارية في ثونيس/ هرقليون[٢١٨]. وقد أثبتت هذه الأعمال الجديدة والمثيرة التي ما تزال في مراحلها الأولى، الارتباطات الواضحة والقوية بين مصر والعالم اليوناني منذ تاريخ مبكر، كما تسلط ضوءاً جديداً على التأسيس اللاحق للإسكندرية القريبة من ثونيس. وقد عُثر على نحو ستين حطام سفينة حتى الآن، أربعون بالمائة منها تُؤرَّخ إلى الحقبة البطلمية بحسب التحليل الأولي[٢١٩]. توحي هذه الأعمال أيضا بأن الاتصال التجاري اليوناني-المصري خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة تعاظمت أهميته وكان عنصرا تحويليا في التاريخ الاقتصادي، إذ وضع مصر في اتصال أوثق مع عالم البحر الأبيض المتوسط.

لقد تحسن الترابط بين الأماكن مدفوعا بالاستكشاف، والاستخدام الأوسع للعملة، وشق طرق جديدة وبناء موانئ جديدة (وهي نشاطات وقفت الدولة وراءها)، فضلا عن الشبكات الاجتماعية الجديدة التي أسستها جماعات جديدة أو "جماعات الشتات التجارية". على أن هذا التوسع في الحجم والكثافة والترابط، كما ذهب روستوفتسيف، كبلته العقلية السائدة في الدول الهلنستية القائمة على الاكتفاء الذاتي، فاقتصاد البطالمة المخطط كان نقطة مركزية في أغلب أعماله حول الاقتصادات الهلنستية، مع أنه لم يعد مفهوما واسع القبول. وكذلك كُبِّلت التجارة بفعل القوة السياسية المتزايدة لروما وحكامها الذين بدأوا السيطرة على تجارة البحر الأبيض المتوسط في القرن الثاني قبل الحقبة المشتركة. كما أسهمت القرصنة، والتحسن المحدود في الجوانب التقنية للإبحار، وانعدام الاستقرار السياسي، والحروب الداخلية بين الدول الهلنستية، فضلا عن أحداث بعينها (مثل تدمير قرطاج وكورنث، وإنشاء ديلوس لتكون ميناء حرا في عام ١٦٧ ق.ح)، في القيود العامة على التجارة الهلنستية، التي أزيلت تدريجيا مع فرض السيطرة الإمبراطورية الرومانية على شرق البحر الأبيض المتوسط.

هيمنت تجارة الحبوب (القمح تحديدا)، في رأي روستوفتسيف وكل من تبعوه، على التجارة الداخلية والخارجية في العالم الهلنستي[٢٢٠]. كان العرض والطلب غير منتظمين[٢٢١]. وما تزال تجارة الحبوب بلا شك الجانب الأفضل توثيقا لتجارة المسافات الطويلة بين الدول. كانت مصادر الحبوب

الرئيسة هي مصر وقوريني وصقلية ومنطقة البحر الأسود، وبوجه عام كانت الحبوب تُنقل إلى المراكز الحضرية اليونانية (أثينا قبل الجميع، والجزر الإيجية، وكذلك البلدات في آسيا الصغرى)[٢٢٢]. وازدادت أهمية تجارة العبيد، لا سيما خلال القرن الثاني قبل الحقبة المشتركة[٢٢٣]. على أن تنظيم التجارة كان وما يزال غير معروف تماما. وقد أكد روستوفتسيف طابعها المركزي المدار حكوميا، الذي وجد له الكثير من الأدلة في مصر البطلمية قبل كل الأماكن الأخرى. وتقدم جزيرة رودس، في المقابل، رؤية للكيانات السياسية اليونانية خلال تلك الفترة. وعندما تؤخذ هذه الأماكن معا، تعطينا مدى من الأدلة لفهم الارتباطات بين الاقتصادات السياسية والتجارة، فضلا عن دور النشاط التجاري الخاص.

كانت مصر مركزاً مهماً للنشاط التجاري، ربط شرق أفريقيا والبحر الأحمر، وكذلك التجارة القادمة من الصحراء الشرقية والجنوبية الغربية من الواحات، بالبحر الأبيض المتوسط والشرق الأدنى قبل عدة قرون من تأسيس البطالمة نظامهم. ويلمّح هيرودوت فعلا إلى طرق التجارة الممتدة، القديمة بلا شك، منها طرق الواحات، التي كانت تقطع مصر طولا وعرضا خلال القرن الخامس قبل الحقبة المشتركة. وما يزال احتكار كليومينس النقراطيسي لسوق الحبوب المصرية لاستغلال هزة اقتصادية شديدة في اليونان يحظى باهتمام كبير، سلبي في معظمه[٣٤]، ومن الواضح أن الرجل استحق المصير الذي انتهى إليه[٢٢٤]. لقد صُوِّر التاريخ الأقدم للتجارة المتمركزة في الدلتا، لكن ما يزال هناك المزيد مما يمكن فعله فيما يتعلق باليونانيين في أجزاء مصر الأخرى خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة[٢٢٥]. وإذا كانت أعمال التنقيب في تل تماي بالدلتا مماثلة في شيء للجماعات البطلمية المعتادة هناك[٣٥]، فإن التحول هناك من أدوات المائدة المصرية إلى أدوات شرق البحر الأبيض المتوسط يعد مؤشرا جيدا على أن أنماط التجارة والاستهلاك عكست تحولاً ثقافياً مع التغير في السلطة السياسية في منتصف القرن الرابع قبل الحقبة المشتركة[٢٢٦].

---

(٣٤) عين الإسكندر كليومينس النقراطيسي Cleomenes of Naukratis لإدارة منطقة الدلتا وجمع الأموال لبناء الإسكندرية، وكان كليومينس رجلا قاسيا ومحتالا وغاصبا للأموال، لم يذكره أحد ممن كتبوا عنه بكلمة طيبة، ومنهم ديموسثينيس Demosthenes وأرسطو. بعد أن استخدمه بطليموس في إتمام بناء الإسكندرية، اتهه باختلاس مبلغ ضخم وحاكمه وأعدمه في الحال. [المترجم]

(٣٥) راجع حاشية سابقة حول مدينة ثمويس Thmuis القديمة التي يقع مكانها حاليا تل تماي Tell El-Timai. [المترجم]

درس بريو Préaux وروستوفتسيف وفريزر توثيق التجارة البطلمية وطرق جمع الضرائب عليها[٢٢٧]. تقدم الأدلة البطلمية عدسة مهمة يمكن من خلالها فهم التجارة والتجار في العالم الهلنستي. كانت الحبوب وورق البردي والزجاج والتوابل من السلع المهمة التي كانت تُنقل من مصر إلى الموانئ الخارجية. وكانت التجارة الداخلة إلى الموانئ المصرية تُجبى عليها ضرائب بمعدلات أعلى من أي مكان آخر في العالم الهلنستي. وبفضل موقع مصر، استفاد البطالمة أيضا من جمع الضرائب على تجارة العبور التي عبرت خلال مصر. ويقال عموما إن الضرائب كانت سياسة "حمائية" بطلمية، ارتبطت بنظام الاحتكار والمنطقة التجارية/ منطقة العملة البطلمية[٢٢٨]. وثمة وثيقة معروفة من أرشيف زينون- على سبيل المثال- تحتفظ بقائمة للسلع التي استوردها أبولونيوس إلى بيلوسيون من سورية (بعضها عن طريق الموانئ اليونانية أو موانئ آسيا الصغرى)[٣٦]، توضح أن منتجات بعينها فُرضت عليها ضرائب بمعدلات باهظة، حتى خمسين بالمائة من قيمة الحمولة، وهي معدلات أعلى كثيرا من أجزاء العالم الهلنستي الأخرى[٢٢٩]. وكانت ضريبة بواقع عشرة بالمائة تُجبى على الواردات في نص من الحقبة السايسية من نقراطيس، وظل البطالمة يجمعون ضرائب على الحمولات بمعدلات أعلى بحسب القيمة[٢٣٠]. وثمة نظير لذلك تقترحه بردية مهمة تُؤرَّخ إلى فترة السيطرة الإمبراطورية الفارسية على مصر، في نحو عام ٤٧٥ ق.ح. توثِّق هذه البردية معلومات واسعة حول الحمولات المحملة على السفن "الإيونية" والفينيقية الداخلة إلى مصر والخارجة منها، وقد شكلت السفن اليونانية الأغلبية[٣٧]. تكشِف الممارسات الجبائية الفارسية عن اختلافات مهمة عن الحقبة السايسية السابقة. فكانت الضرائب على السفن والرجال في ظل الحكم الفارسي تُجمع في ميناء ثونيس (هرقليون) بحسب القيمة، تماما مثل الممارسة البطلمية اللاحقة[٢٣١]. ومع أنه من الواضح أن البطالمة بنوا على الأسس الفارسية، فإن ظهور الإسكندرية التي كانت بلا ريب "المدينة التجارية الكبرى في البحر الأبيض المتوسط" في تلك الفترة قد غيّر أنماط التجارة على امتداد شرق البحر الأبيض المتوسط[٢٣٢].

---

(٣٦) بيلوسيون Pelousion أو بيلوز (تل الفرما حاليا) مدينة مهمة على الأطراف الشرقية للدلتا، تقع على مسافة ٣٠ كيلومترا شرق مدينة بورسعيد. [المترجم]

(٣٧) السفن الإيونية يونانية. [المترجم]

داخليا، أدى تطوير شبكات الطرق وتوسيعها إلى تيسير التجارة القادمة من الصحراء الشرقية والمارة خلالها. وكان لتأسيس مينائي المياه العميقة الجديدين في الإسكندرية نفسها دور كبير في كل من السعة المتزايدة للشحن الداخل إلى مصر والخارج منها وفي سلامة الشحن[٢٣٣](٣٨). من حيث الحجم، كان الميناء الكبير (بورتوس ماغنوس) في الإسكندرية متوسط الحجم، مقارنة بميناء بيرايوس في أثينا وبالموانئ الرومانية[٢٣٤]. كما أن تأسيس الكثير من المستوطنات على طول البحر الأحمر دعم التجارة ونشاطات مثل التعدين، وتحسين الطرق، وتزايد حضور الحراس، حتى وإن ظل عددهم متواضعا، في الصحراء الشرقية، وإقامة علامات طرق على طول الطرق في محطات بها صهاريج، تشهد جميعها على تحسن ظروف تجارة المسافات الطويلة البرية[٢٣٥]. وظلت موانئ أخرى في الدلتا مهمة، مثل بيلوسيون[٢٣٦]. على أننا يجب أن نحذر من المبالغة في تقدير تأثير ذلك كله، فتوفير الأمن الداخلي والحراس على السفن وما إليها توحي أيضا بوجود مشكلات اللصوصية. وأيا كانت التفاصيل، فمن الواضح أن معظم النشاط البطلمي المبكر في الصحراء كان موجها من الدولة، لكن من الواضح أيضا أن النشاط البطلمي المبكر قد حسَّن الظروف للتجارة.

لا بد أن الطلب الناتج عن الإسكندرية ومن خلالها، وهي مدينة جديدة ضمت زهاء ثلاثمائة ألف نسمة في منتصف القرن الثالث قبل الحقبة المشتركة، كان كبيرا، وإن كان من غير الممكن قياسه كمياً[٢٣٧]. وعلى حد علمنا، أدى الطلب الحضري، جنباً إلى جنب مع الضرائب الحكومية على طول شبكة بوابات المكوس على النيل، إلى جعل الأسعار مرتفعة دائما في المدينة. وهنا أيضا نواجه بعض الصعوبة في التمييز بين الآليات الخاصة والآليات المدفوعة من الدولة. فلا ريب أن إمداد أماكن مثل الإسكندرية كان مدفوعا بالريع ومطالب الضرائب للدولة البطلمية، ونُفِّذ بالدرجة الأولى من خلال مُلاك سفن خاصين[٢٣٨]، لكن قنوات توزيعه، كأن تكون السوق أو الدولة على سبيل المثال، ليست مفهومة جيدا. وقد كانت الدولة البطلمية نشطة بالتأكيد في جوانب أخرى من تجارة المسافات الطويلة، كما تكشِف نشاطات صيد الفيلة.

---

(٣٨) من خلال إقامة حاجز بعرض ستمائة قدم بين البر وجزيرة فاروس الواقعة قبالة الإسكندرية، أُوجِد ميناءان: إلى الشرق بورتوس ماغنوس Portus Magnus (الميناء الكبير)، وإلى الغرب ميناء يونوستوس Eunostos، يربطهما ممر مائي فوقه جسر أرضي، مكّن السفن من الانتقال بين الميناءين. [المترجم]

يوحي عرض الغرائب في الموكب الذي أقيم في الإسكندرية في عهد بطليموس الثاني، احتفالا بتأسيس الأسرة (البطلمية Ptolemaiea)، بأن الكثير من سلع الترف الأخرى كانت تصل الموانئ المصرية وتخرج منها إلى نقاط شمالية[٢٣٩]. بلغ هذا الاتجاه كامل نضجه بعد "اكتشاف" الرياح التجارية الموسمية الذي جعل مصر مركز إعادة تصدير مهم للسلع القادمة من الهند. ويمكننا حاليا أن نبدأ في بناء صورة أكثر اكتمالا للتطورات التاريخية للتجارة البطلمية التي أدت إلى ما أصبح الحجم (والقيمة) الهائل لتجارة المحيط الهندي خلال الإمبراطورية الرومانية المبكرة.

أكدت مراجعة فريزر دور التجارة مع غرب البحر الأبيض المتوسط[٢٤٠]. ومع أنه لم يبقَ سوى آثار ضئيلة لهذه التجارة، فإن التجارة مع صقلية وقرطاج، فضلا عن قورينائية التي كانت جزءا أساسيا من الإقليم البطلمي، ربما كانت كبيرة. وكانت هناك أيضا تجارة مع إيطاليا. ومن المفترض أن ذلك كان أحد الأسباب التي دفعت بطليموس الثاني لإرسال سفارة إلى روما، في أقدم اتصال بطلمي معروف مع تلك المدينة[٢٤١].

كانت التجارة مصدر دخل مهم للدولة البطلمية[٢٤٢]. على أنه ما يزال من الصعب تحديد حجم الدخل الذي جُمع بفضل السيطرة البطلمية على التجارة، وليس من المفاجئ بالطبع أن يكون التهريب مُوَثَّقا[٢٤٣]. ذهب فريزر في دراسته للإسكندرية البطلمية إلى أن الضرائب والسيطرة الحكوميتين على تجارة المسافات الطويلة قد أعاقت التطور. ومع أنني أرى أن قدرة البطالمة على تخطيط الاقتصاد والسيطرة عليه بإحكام قد ضُخِّمت، فلا بد أن ذلك كان صحيحا إلى حد ما. ومع ذلك، فإنه كما كانت الحال في العالم اليوناني، حدثت تغيرات مؤسسية سمحت بزيادة التجارة، منها توفير المزيد من الحماية للشحن. وتتكشف العلاقة بين التجارة والضرائب الحكومية في الطلب الحضري المتزايد، والحوافز الضريبية، كما يكشف إعلان ديلوس ميناء حرا بعد عام ١٦٦ ق.ح[٢٤٤]. وفي ديلوس وغيرها، حدث توسع ملحوظ في فضاء البنايات التجارية[٢٤٥]. كان النشاط التجاري البطلمي، لا سيما تجارة الحبوب، مرتبطا بقوة بممتلكاتها الخارجية، إذ كانت جزيرتا قبرص وكريت، وقبل كل شيء جزيرة رودس، المناطق الرئيسة للتجارة البطلمية. وكانت الحبوب تباع في مقابل النبيذ الرودسي، من بين أشياء أخرى. وهناك مناطق أخرى من الإمبراطورية البطلمية كانت مهمة للتجارة، منها كوس التي يبدو أنها كانت

مصدرا أهم من رودس للواردات إلى مصر(٣٩)، على الرغم من الأدلة المادية الكثيرة من الأمفورات الرودسية المختومة في الإسكندرية (وفي أماكن أخرى في مصر).

لعبت جزيرة رودس دورا مهيمنا في تجارة البحر الأبيض المتوسط خلال الحقبة الهلنستية، ساعدها فيه حيادها السياسي. وقد شكّل ارتباط الجزيرة الخاص بمصر جزءا رئيسا من تجارة الحبوب خلال الحقبة الهلنستية[٢٤٦]. ارتبطت الجزيرة تاريخيا بالتجارة إلى مصر من خلال نقراطيس والساحل الفينيقي. وفي زمن كليومينس في أواخر القرن الرابع قبل الحقبة المشتركة، كانت جزيرة رودس بمثابة بورصة لصادرات الحبوب المصرية[٢٤٧]. فموقع الجزيرة الممتاز، على مسافة ثلاثمائة وخمسة وعشرين ميلا بحريا أو ثلاثة أيام ونصف يوم إبحار من الإسكندرية، وإمكانية الوصول إليها طوال العام، وموانئها الممتازة، جعلها مركز إعادة تصدير طبيعي لتجارة الحبوب البطلمية[٢٤٨]. كذلك تمتعت الجزيرة بموقف قوي سياسيا، وارتبطت من خلال عملتها بإيونية وجزر كيكلاديس وكاريا[٢٤٩](٤٠). لكن من بين كل هذه الأماكن، كانت علاقة جزيرة رودس الخاصة بمصر، التي كانت ودية عموما في تلك الفترة، هي التي شكلت شبكة تجارية قوية، ربطت الميناء الكبير في الإسكندرية من خلال جزيرة رودس بسورية وكاريا[٢٥٠]. امتلكت جزيرة رودس أسطولا قويا وعملت "بورصةً" ومركزا بنكيا رئيسا، وربما كانت الجزيرة القوة الأشد ضد القرصنة في البحر الأبيض المتوسط، وإن كانت نجاعتها في ذلك محل جدل، لكن لا جدال في أن رودس ربحت من سمعتها في مكافحة القرصنة[٢٥١].

عندما أعلنت روما ديلوس ميناء حرا، انخفض دخل جزيرة رودس من رسوم الميناء بخمسة وثمانين بالمائة، وكذلك تراجعت قدرتها على قمع القرصنة[٢٥٢]. لكن ارتباطاتها التجارية بأماكن مثل كنيدوس Knidos وكوس وخيوس Chios استمرت، وكذلك احتكارها المتزايد للتجارة الخارجة من الإسكندرية مع نهاية القرن الثاني قبل الحقبة المشتركة[٢٥٣]. من الواضح أن ذلك يوحي بأن أنماط تجارة

(٣٩) كوس Kos إحدى جزر دوديكانيسا Dodecanese اليونانية في جنوب شرق بحر إيجة قبالة ساحل الأناضول. [المترجم]

(٤٠) كيكلاديس Cyclades أرخبيل من الجزر اليونانية في بحر إيجة، كانت موطنا للثقافة الكيكلاديسية Cycladic culture خلال العصر البرونزي المبكر في الفترة ٣٢٠٠-٢٠٠٠ ق.ح على وجه التقريب. [المترجم]
راجع حاشيتين سابقتين حول إيونية وكاريا. [المترجم]

النبيذ الرودسية على وجه التحديد تغيرت مع ظهور ديلوس، بالتركيز على موانئ شرق البحر الأبيض المتوسط عموما، وإلى مصر تحديدا[٢٥٤]. ما تزال هناك مشكلات حول تفسير الأمفورات، ناتجة عن ظروف الاكتشافات. فالكثير من مجموعات الأمفورات لم تكتشف في سياق أثري منضبط، ومن الصعب معرفة نسبة الأمفورات المختومة وغير المختومة، وما تزال وظيفة الأختام محل نقاش، ولا توجد طريقة سهلة لتحديد نطاق تجارة الأمفورات[٢٥٥].

تتوفر حاليا مادة حول التجارة الهلنستية وترتيباتها المادية والاجتماعية أكثر مما كان متوفرا قبل عشرين سنة فقط. يرجع ذلك إلى الأعمال الأثرية المكثفة على امتداد حوض البحر الأبيض المتوسط. لكن تزايد المادة لم يؤدِ دائما إلى فهم جديد للتجارة الهلنستية. وإذا كان خطاب فينلي "الاقتصاد القديم" قد خَفُت صوته حاليا، فلا بد أن نقول أيضا إن الأمر نفسه قد حدث مع بعض حقائق التقدم الهادرة عند روستوفتسيف وميوله الرأسمالية. علاوة على أن الحدود الزمنية التقليدية للعالم "الهلنستي"، أي عالم ما بعد الإسكندر، قد وُسِّعت كثيرا، إذ توضع سياقات الدول الهلنستية الجديدة حاليا في سياق اتجاهين تاريخيين مهمين أطول أمدا، هما التوسع الأقدم للعالم اليوناني غرباً إلى ماغنا غرايسيا وشرقاً إلى البحر الأسود وشرق حوض البحر الأبيض المتوسط من ناحية والاقتصاد الإمبراطوري الفارسي من ناحية أخرى.

على أن هناك مؤشرات على النمو، حتى في فترات انعدام الاستقرار السياسي خلال القرن الثالث قبل الحقبة المشتركة. فإذا قبلنا حقيقة أن نموا حقيقيا قد حدث بداية من القرن الثالث قبل الحقبة المشتركة، فإنه لم ينتج بحال من الأحوال عن نشاط الأسطول الروماني، بل نتج بالدرجة الأولى عن نشاط الدول الهلنستية في شرق البحر الأبيض المتوسط[٢٥٦]. وتعد الكثافة المتزايدة في التجارة والموانئ الجديدة التي أنشئت أدلة تمثيلية على ذلك. على خلاف دراسات التجارة الرومانية التي تؤكد على التجارة المنقولة بحرا في البحر الأبيض المتوسط، يمكن أن تركز دراسة التجارة الهلنستية على الطبيعة غير المركزية للكثير من التجارة الهلنستية، والطرق البرية الممتدة، التي وُرِث الكثير منها عن الأنماط التجارية خلال الحقبة الأخمينية[٢٥٧]. فقد نمت الطرق البرية القديمة الرئيسة إلى ما أصبح شبكة طرق الحرير البرية الرئيسة. معنى ذلك أن معظم تجارة المسافات الطويلة، من منظور البطالمة والسلوقيين على وجه التحديد، كانت مرتبة على نحو مختلف عن التجارة الرومانية التي تمحورت حول البحر

الأبيض المتوسط الموحد سياسيا. شيّدت الدولتان الهلنستيتيان اللوياثانيتان طرقاً برية ووسَّعتا الطرق القديمة، وكانت هذه الطرق منقطة بمراكز تجارية على طول الطريق، وتنافستا فيما بينهما على السيطرة على التدفقات التجارية خلال هذه الطرق. وفي ذروة القوة السلوقية السياسية، إبان أوائل القرن الثالث قبل الحقبة المشتركة، امتدت الدولة عبر الطريق البري الرئيس من أنطاكية خلال دورا أوروبوس وسلوقية إلى آسيا الوسطى(٤١). كذلك شيّد البطالمة الأوائل ووسّعوا طرقا خلال الصحراء الشرقية المصرية وصلت إلى ميناء جديد في برنيكي على البحر الأحمر(٤٢)، كانت تأتي من خلاله فيلة الحرب والبخور والقرفة وغيرها من التوابل. ولم يهمل البطالمة الطرق البحرية، وتأتي مغامرات بيثياس في المحيط الأطلسي في بداية هذه الفترة بين أمثلة ذلك النشاط(٤٣)، والاستكشاف البطلمي للبحر الأحمر وشرق أفريقيا في أوائل القرن الثالث قبل الحقبة المشتركة[٢٥٨].

إن محاولة تقدير الحدود المكانية-الزمنية للتجارة خلال الحقبة الهلنستية مسألة صعبة، فهل يجب أن نركز على حركة اليونانيين، أم على الأنماط التجارية وعلى التحسينات التقنية، أم على التاريخ السياسي، أي الدول الجديدة التي تولّدت عن الإمبراطورية الفارسية في أواخر القرن الرابع قبل الحقبة المشتركة؟ وكيف يمكن أن ندرس تأثير حملات الإسكندر الأكبر؟ اتباعا لتقليد يرجع إلى مونتسكيو، كان لدارسي العصر الكلاسيكي، بداية من درويزن، تأثير شديد على الكتاب اللاحقين، بتأكيدهم الدائم على نموذج "الرجل العظيم" لتفسير تأثير الإسكندر كغازٍ عسكري ومغيّر للاقتصاد الآسيوي. أحدث الإسكندر ثورة في تجارة البحر الأبيض المتوسط من خلال- من بين أشياء أخرى- فتح الشرق الأدنى الراكد، وفي مصر بتأسيس الإسكندرية، وفي بلاد ما بين النهرين بإزالة السدود التي بُنيت للري، وإحلال السلام في وادي نهر السند[٢٥٩]. ثم وسّع الملوك الهلنستيون، لا سيما البطالمة في مصر

(٤١) دورا أوروبوس Dura Europos مدينة أثرية في بادية الشام السورية، غرب نهر الفرات، كانت مدينة حدودية بابلية ثم هلنستية ثم بارثية ثم رومانية، تقع بالقرب منها حاليا قرية تسمى الصالحية. [المترجم]

(٤٢) برنيكي Berenike ميناء على شبه جزيرة رأس بناس المصرية على البحر الأحمر، يسمى حاليا برنيس Berenice. [المترجم]

(٤٣) بيثياس Pytheas بحّار يوناني استكشف ماسيلي (مرسيليا) وخليج بسكاي والجزر البريطانية وربما أراضٍ غير مسماة أبعد إلى الشمال، لم تبق روايته لرحلته المعنونة "حول المحيطات" On the Oceans إلا في أجزاء اقتبسها مؤلفون لاحقون. [المترجم]

والسلوقيون في غرب آسيا، نموذج الإسكندر. كانت الهند البريطانية دائما في عقول الدارسين الفرنسيين والبريطانيين في أوائل القرن العشرين[٢٦٠]. يستشهد براينت بالفقرة التالية من فيلكن Wilcken التي تستحق الوقوف أمامها:

إن الثورات الاقتصادية التي يقال إن غزو الإسكندر لآسيا ومصر قد أحدثها، والتي وجدها التاجر ورجل الصناعة اليوناني في الشرق، أثرت مع الوقت على التطور الاقتصادي لليونان ذاتها على نحو متزايد، إذ تغير أساس التجارة اليونانية في البحر الأبيض المتوسط كاملا[٢٦١].

أغلقت أعمال براينت الجدل حول الركود الفارسي[٢٦٢]. فلم يكن الشرق الأدنى ولا مصر راكدين، ومن الواضح أن التركيز على الإسكندر فقط، أو على تحقيب محدد لفهم التغير الاقتصادي، لا يترك لنا إلا تاريخا معيبا بشدة لهذه الحقبة.

تسبب التشوش، أو الخلاف على الأقل، حول معنى مصطلح "هلنستي" (هل يصف حدودا سياسية أم جغرافية أم اقتصادية؟) في بعض الأشياء التي يجب معالجتها في كل من الأدبيات الهلنستية والرومانية حول التجارة. من ذلك على سبيل المثال أن تجارة المحيط الهندي، وهي الظاهرة التي بدأت في القرن الثاني قبل الحقبة المشتركة، تُعالج دائما باعتبارها جزءا من التجارة الرومانية، وهي الاثنين بالطبع: هلنستية ورومانية، مع العلم بأن نقطة الاستشراف، سواء كانت من الهند أو روما أو مصر، تغير التأكيد العلمي. لكنها مصر البطلمية، والإطار المؤسسي والبنية التحتية التي وضعها بطليموس الثاني والثالث، هي التي أدت إلى استغلال هذا الطريق التجاري في البداية، ووفرت أبنية الموانئ والمرافئ. بل إن الأمر لا يخلو من استمرارية مع الحقبة الفارسية التي بُنيت خلالها الطرق، ومع توسع التجارة اليونانية في مصر.

يأتي بين المشكلات المتعلقة بهذه الحقبة ما إذا كان يمكن عزل الأشياء باعتبارها هلنستية على نحو مميز وبأي طريقة، مع الأخذ في الاعتبار أوجه الاستمرارية من التاريخ اليوناني والفارسي السابق التي انتقلت إلى الأزمنة "الهلنستية"، والارتباطات القوية بين التجارة والشبكات التجارية إبان القرن الثالث قبل الحقبة المشتركة، وظهور الهيمنة الرومانية على شرق البحر الأبيض المتوسط إبان القرن الثاني قبل الحقبة المشتركة.

ثمة مسألة أخرى وأهم كثيرا تتعلق بدور التجارة في اقتصادات البحر الأبيض المتوسط عموما، هي الطابع العام لما نسميه الحقبة الهلنستية. كانت هذه التسمية موضوعا لتحليل ثنائي كان فيه هلاك التحليلات الاقتصادية للاقتصادات القديمة، منها الثنائيات: بدائي في مقابل حديث، وموقف فعلي في مقابل موقف صوري، وموقف تفاؤلي في مقابل موقف تشاؤمي، والسوق في مقابل المقايضة، والثقافة اليونانية في مقابل ثقافة الشرق الأدنى. وقد أكد "الموقف التشاؤمي" من الحقبة الهلنستية، بتعبير بول كارتليدج (Paul Cartledge, 1997: 4n7)، الذي يتجلى في معالجة بيتر غرين Peter Green المؤثرة لتلك الحقبة، على التراجع الثقافي والاقتصادي للعالم اليوناني خلال القرون الثلاثة الأخيرة قبل الحقبة المشتركة، وعدم النجاح الواضح في زراعة المؤسسات اليونانية في أماكن مثل مصر. وتلك رؤية سطحية تماما للحقبة، وتؤكد على الأشياء الخاطئة. فقد مارست الثقافة اليونانية تأثيرا قويا وحيويا في شرق البحر الأبيض المتوسط لألف سنة على وجه التقريب، كما أن سردية التراجع البسيطة غير كافية لفهم التاريخ الاقتصادي الهلنستي. فما يعده أغلب الناس تراجعا هو التحول في الاقتصاد السياسي للبحر الأبيض المتوسط من كيانات سياسية متعددة شديدة التنافسية إلى كيان واحد، هو الإمبراطورية الرومانية.

حاولت كتب مهمة عدة شملت أعمال مؤتمرات تحديد بعض السمات الأبرز للاقتصادات الهلنستية[٢٦٣]، وجدت أنه كانت هناك مرحلتان متمايزتان على الأقل، هما (١) القرن الثالث قبل الحقبة المشتركة الذي تشكلت خلاله دول جديدة، وتكيفت الدول القديمة، لا سيما الدول المدينية اليونانية، مع الحقائق الجديدة، وأنشئت أبنية مؤسسية جديدة وثقافة جديدة، (٢) القرنان الثاني والأول قبل الحقبة المشتركة اللذان أخذت روما خلالهما تلعب الدور السياسي والعسكري المهيمن في اقتصادات البحر الأبيض المتوسط. ولا يمكن فهم هذه المرحلة الثانية دون المرحلة الأولى. وخارج هذا التحقيب المبسط، يلوح، هكذا يجب أن يقال، الإسكندر نفسه، ذلك الإسكندر المراوغ من نواحٍ عدة، الذي فتحت حملاته، وربما نواياه أيضا، عالما كان يقينا يبدأ التغير من تلقاء نفسه. قلل روستوفتسيف منذ وقت بعيد من أهمية دور الإسكندر باعتباره مكتشف عالم الشرق المفقود. وما فعلته حملات الإسكندر بدلا من ذلك كان إعادة ترتيب الأنماط التجارية والثقافة بين العالمين اليوناني والفارسي. وقد تشكلت التطورات خلال تلك الحقبة- من بين أشياء أخرى كثيرة- بفعل الاتصال بالهند، وبناء مدن جديدة،

وتكوين دول "لوياثانية" جديدة في شرق البحر الأبيض المتوسط، والتأثيرات المتواصلة للحرب. تتردد أصداء روستوفتسيف عند شيبلي عندما يذهب الأخير إلى أننا ربما نبحث عن:

> التأثيرات "العالمية" المرتبطة بالمسافة التي يمكن إرجاعها إلى وجود نظام تجاري متجانس بدرجة أو بأخرى ومستقل جزئيا، امتد من جنوب بلاد الغال إلى أفغانستان[٤٤]، وأنتج- بغض النظر عن أي سياسة مَلكية- "مركزا" يونانيا مزدهرا[٢٦٤].

قامت الدراسات الأخيرة، من خلال البناء بوضوح على الأعمال السابقة لروستوفتسيف وبريو وفريزر وغيرهم، بتعيين الحدود الزمنية والمؤسسية للحقبة الهلنستية. فما يميز هذه الحقبة التي انطلقت بداية من منتصف القرن الرابع، وبالتأكيد مع الزخم الإضافي الذي أحدثته حملات الإسكندر، هو تباين الأبنية المؤسسية، وتنوع التقاليد المحلية، وتكثف الأبنية الاجتماعية الاقتصادية والقانونية ودمجها وإعادة تنظيمها، وبعد أن هدأت حروب ملوك الطوائف من ورثة الإسكندر، تحققت توازنات سياسية جديدة بين الفاعلين الحكوميين الجدد، تكشَّفت في الأساس في الدول "اللوياثانية" السلوقية والبطلمية والأنتيغونية، وفي النشاط الاقتصادي الخاص. لا ريب أن الملوك الجدد لعبوا دورا رئيسا في الاقتصادات الحكومية، ومنها التجارة. وقد تحركت النخبة "الدولية" الصغيرة للعالم الهلنستي في نفس الدوائر الثقافية، متمايزةً عن معظم السكان الذين ظلوا يعيشون في ثقافاتهم المحلية التقليدية، وهو ما يعد بوجه عام مثالا جيدا للبنية الاجتماعية الحكومية ما قبل الحديثة عند غيلنر[٢٦٥].

أعتقدُ أن هناك طريقتين أساسيتين للتناول التاريخي للتجارة الهلنستية، الأولى دراسة ما كان خاصا أو مميِّزا لهذه الفترة من التاريخ، إن كان هناك شيء يميّزها فعلاً، والثانية دراسة كيف يمكن إدراج القرون الثلاثة الأخيرة قبل الحقبة المشتركة ضمن المدى الطويل longue durée لتجارة البحر الأبيض المتوسط، دعونا نسميهما المقاربة متوسطة المدى والمقاربة طويلة المدى على التوالي، والمقاربتان تعتبران المؤسسات الجانب الأهم في تحليل التجارة القديمة، وتعتبران الحدود الزمنية-المكانية المشكلة الرئيسة.

---

(٤٤) بلاد الغال Gaul هو الاسم الذي أطلقه الرومان على المنطقة التي قطنها الغاليون وهم شعوب سلتية، انتشرت في شمال إيطاليا وفرنسا وبلجيكا، يعتبرها الفرنسيون موطنهم التاريخي. [المترجم]

كذلك هي الحال مع قضية الجغرافيا، فهل نركز على البحر الأبيض المتوسط، كما يفعل مؤرخو التجارة الرومانية، أم نُضمِّن غرب آسيا والمحيط الهندي؟ تتمثل إحدى القضايا في التجارة الهلنستية بالتأكيد في العمليات التي أُدْمِجت من خلالها تجارة البحر الأبيض المتوسط في أنماط تجارة الشرق الأدنى، ومن ضمن ذلك مصر. وهنا تبرز الإمبراطورية الفارسية كرابط مهم في فهمنا لكل من أنماط التجارة متوسطة وطويلة المدى وتنظيمها والتلاقح الثقافي ودوره في التغير المؤسسي. علاوة على أن الاتصال البطلمي والسلوقي هو الذي فتح تجارة المحيط الهندي أمام البحر الأبيض المتوسط، لذلك يبدو من المعقول أن التجارة الهلنستية إطار يشمل محيطين، هما البحر الأبيض المتوسط والمحيط الهندي. ولا شك في أن أنماط التجارة في الشرق الأدنى وفي مصر، الموروثة عن الحقبة الفارسية وما قبلها، قد استمرت دون أن يمسها تغيير كبير من جانب التطورات الهلنستية. لكن المدن الكبيرة الجديدة، التي كانت الإسكندرية وقرطاج وأنطاكية من أهمها، أثرت على الطلب وإدارة التجارة بشكل ملحوظ. كذلك يعد قياس المسافة، من قبيل تجارة "المسافات الطويلة" والتجارة المحلية والتجارة التتابعية وما إليها، مسألة مهمة، إن كانت ممكنة، لأنها تساعد في فهم تكاليف النقل والمخاطر وحجم التجارة، فضلا عن أشياء أخرى.

من الصعب أن ننتج سردية للتجارة الهلنستية ضمن سياق إطار أوسع للتاريخ الاقتصادي، وتلك هي عبقرية معالجة روستوفتسيف، وفي الوقت عينه نقطة ضعفها الأساسية. إن الأدلة الوثائقية في ذاتها مليئة بالفجوات، وتكون أفضل عادة للقرنين الثاني والأول قبل الحقبة المشتركة. وتقع دراسة التجارة الهلنستية حاليا ضمن عدد شديد التخصص من التخصصات الفرعية ضمن التاريخ القديم، غير المرتبطة جيدا غالبا فيما بينها، من أوضحها الإبيغرافيا وعلم البرديات (في حالة مصر) وعلم النُمّيّات، ودراسات الأمفورات، والتنقيب الأثري تحت الماء (حطام السفن)، وعلم آثار المسوح والاستيطان. وما يزال نشر المادة الجديدة متواصلا، وسوف تنتج بيانات كثيرة عن المشروعات الأثرية واسعة النطاق في الكثير من المناطق.

للتعامل مع قضية التجار الهلنستيين، يجب أن نتغلب على نقطتين سلبيتين، هما تحديدا الموقف القديم السلبي المفترض من التجار، والأدلة السلبية، وهما عائقان ليسا هيّنين، والمشكلة معروفة في تجارة الحقبة الأخمينية والحقب اللاحقة[٢٦٦]. فالتجار المحترفون الذين كسبوا قوتهم من التجارة، مثلهم

مثل التجار الكارولينجيين أو الأزتكيين إبان القرن التاسع من الحقبة المشتركة[٤٥]، لا يظهرون في مصادرنا إلى الحد الذي نتمناه، بل إنهم "غير مرئيين" في أغلب الأحيان[٢٦٧]، ولم يتركوا لنا غير بقايا متناثرة تأتي عموما من القرنين الثاني والأول قبل الحقبة المشتركة. ومع ذلك، فإن المصادر اليونانية تميز بين الإمبوروي emporoi المُخاطِرين والتجار الأقل تقبلا المدفوعين بالربح المعروفين باسم الكابيلوي kapeloi[٢٦٨]. من الواضح أن التجار يتوارون غالبا خلف المشهد متنكرين في هيئة أشخاص آخرين. وما يحتل الصدارة بدلا منهم هي التجارة التي أدارها الملوك وأمراء الحرب من أجل الدخل والمكانة. كان التجار في غالبيتهم بالتأكيد، مثل رفاقهم من الحقبة الرومانية، تجارا محدودي النطاق متواضعي الإمكانات، عملوا ضمن منطقة صغيرة. ومن المفارقات أن يظهر القراصنة وقطاع الطرق في مصادرنا أوضح كثيرا من التجار. وفي بعض الأحيان، كما توحي فقرة شهيرة عند ديودورس، كان الحد الفاصل بين التجار و"القراصنة" الانتهازيين خطا نحيلا، وكان وصف هذا الشخص أو ذاك بأنه "قرصان" يأتي غالباً من أعدائه، وليس تعرفياً موضوعياً لواحدة من فئات الحرف[٢٦٩].

ينطبق ذلك على المصادر اليونانية واللاتينية، وكذلك مصادر الشرق الأدنى، كما أن نبرة إصدار الإحكام السلبية ضمن المواقف الأدبية من التجار ومن التجارة عموما معروفة من المصادر الكلاسيكية، ولا شك أنها أضافت إلى اختفائهم[٢٧٠]. وهذا الموقف القائم على النبذ ("لا تأمن تاجرا لأنه سيسرقك وأنت لا تدري) مُوَثَّق أيضا في المصادر الأدبية المصرية الديموطيقية الهلنستية[٢٧١]. كانت التجارة عملا يمارسه "الغرباء" الذين كان الموقف المعياري منهم لا يختلف عن الموقف من القراصنة وقطاع الطرق، وهو ما يكشف الكثير حول المواقف المهيمنة للقوى الأخرى غير الحكومية بقدر ما يكشف حول التجار أنفسهم. كذلك يوضح غياب التجار المفترض عن السجل التاريخي شيئا كاشفا حول طريقة تصنيف الدارسين الحديثين للفاعلين الاقتصاديين القدماء، ومن ضمن ذلك الكتابة منذ وقت طويل حول الارتباط المتين بين القراصنة وأسواق شرق البحر الأبيض المتوسط.

---

(٤٥) الكارولينجيون Carolingians سلالة فرنكية حكمت غرب أوروبا خلال العصور الوسطى المبكرة، تأسست بتتويج البابا ليو الثالث لشارلمان أو شارل الكبير إمبراطوراً رومانياً مقدساً في عام ٨٠٠، وانتهت بوفاة شارل البدين Charles the Fat في عام ٨٨٨. [المترجم]

راجع حاشية سابقة حول الأزتك. [المترجم]

كانت الشبكات الاجتماعية والجمعيات موضوعا بالغ الأهمية في دراسة التجارة القديمة[٢٧٢]. تشكل الجمعيات أهمية خاصة في سياق التغير التاريخي في الدولة المدينية اليونانية ما بعد الكلاسيكية، لكن تاريخها أطول في أثينا، كما أن تاريخها يتجاوز بنية الدولة المدينية اليونانية أو الديمقراطية. فيما يتعلق بنمو الجمعيات الخاصة، فإن أعلى كثافة للأدلة تظهر بداية من القرن الثاني قبل الحقبة المشتركة، ويشكل تنوعها (الذي صيغ على غرار الدولة المدينية) خلال الحقبة الهلنستية أهمية خاصة لدراسة التجارة. لم يتعرف الدارسون على مجموعات تجارية رسمية أو "شركات"، فهذه المجموعات لم توجد إلا لفترات قصيرة لإتمام صفقات بعينها. وفي حين كانت الجمعيات الحرفية أو الطوائف الحرفية "الوطنية" أو الإثنية معروفة وتعد جانبا مهما من التجارة الهلنستية، فإن روستوفتسيف أكد على طابعها الديني والاجتماعي (كانت مجرد "أندية")[٢٧٣].

ذكر روستوفتسيف بإيجاز السيطرة الحكومية على التجارة والتضييق الحكومي عليها باعتبارهما إحدى المشكلات الأساسية أمام فهم التجارة الهلنستية على مستوى الاقتصاد الكلي macroeconomic[٢٧٤]. على أن هذه السيطرة الحكومية على التجارة لم تكن مطلقة بالطبع، لكن من الواضح أنها كانت سمة مميزة[٢٧٥]. تكشِف لنا الجمعيات وطريقة عملها على المستوى المحلي جانبا مهما للتجارة الخاصة. فقد ذهب غابريلسن Gabrielsen على نحو مقنع إلى أن هذه التكوينات الاجتماعية امتدت إلى المؤسسات المدنية وأعادت ترتيب الأبنية الاجتماعية في المدن. وبحسب وصف أرسطو، كانت الجمعيات الساعية للربح (الخريماتيستيكاي chrematistikai) تشارك في التجارة[٢٧٦]. وكذلك ظهرت الكوينا أو "المجموعات الوطنية" من التجار[٤٦]. وفي مصر، لم تبدأ الوثائق في الظهور إلا في أواخر القرن الثاني قبل الحقبة المشتركة، عندما بدأ توثيق الوسطاء التجاريين[٢٧٧]. وربما كانت الكوينا الرودسية أفضل ما دُرِس من بين الجمعيات الهلنستية الخاصة، لا سيما خلال القرنين الأخيرين قبل الحقبة المشتركة[٢٧٨]. ولا شك أن الدِين كان "إطارا لا غنى عنه"[٢٧٩]. لكن جوانب العبادة و"الصداقة" في الكوينا، كما يؤكد غابريلسن، كانت إحدى سمات هذه الجمعيات وحسب. وكذلك ارتبطت الكوينا بوظائف عسكرية (بحرية) والإقراض والتجارة.

---

(٤٦) راجع حاشية سابقة حول الكوينا. [المترجم]

أما خارج المناطق الحضرية اليونانية، فليس من السهل التعرف على التحول الاقتصادي الناتج عن التوسع الواضح لجمعيات خاصة مماثلة، كانت لها أنظمة مكتوبة، ونُظمت حول طوائف دينية[٢٨٠]. ومع أن الأدلة حول أعضاء الجمعيات والتجارة غير مباشرة، فليس من الصعب أن نعتقد أن "الإيمان" أو مجرد العضوية المشتركة في الجمعية شجعت الثقة، تماما مثل نظيراتها في أثينا. أدى ذلك إلى خفض تكاليف الصفقات، تحديدا تكاليف إنفاذ الاتفاقات، وبالتالي زيادة التبادل[٢٨١]. ينص عقد ديموطيقي من الحقبة البطلمية- على سبيل المثال- على أن الاتفاق سيكون نافذا، إلا في حالات محددة، ويظهر بند مماثل في النظام المكتوب للجمعية من مصر، ولذلك يرجح أن الطرف المتعاقد كان عضوا في هذه الجمعية[٢٨٢]. ويمكننا أن نضيف المزيد من أمثلة التبادل بين أشخاص من نفس الحرفة سواء كانوا أعضاء في جمعيات رسمية أم لا.

هذا هو الفهم السائد للجمعيات القديمة، لكن كما أوضح أجلفي مؤخرا فيما يتعلق بالطوائف الحرفية إبان العصور الوسطى، فإن التأكيد على الجوانب الاجتماعية أو الدينية للجمعيات الخاصة يمكن أن يحجب سلوكها الاقتصادي. فهل يمكن أن ننظر إلى الجمعيات الخاصة، كما فعل أجلفي في بيئة أوروبا العصور الوسطى، باعتبارها مؤسسات انتزاعية نفعية أفادت النخب الحكومية في الوقت عينه؟ كانت هذه الجمعيات أندية مقصورة على أعضائها، وتميزت بممارسة العبادة وحقوق الدفن، إلى جانب نشاطات الأندية. وقد حصلت الجمعيات على تخفيضات ضريبية وحماية حكومية. واتباعا لمقاربة "الصراع" لدراسة المؤسسات لدى أجلفي، نقول إن الجمعيات الهلنستية التي أفادت مجموعات مغلقة بعينها ربما لم تنتج زيادة إجمالية في كفاءة التجارة، وهنا يمكن أن نرى تضادا مع المؤسسات التجارية الرومانية الأوسع "وصولا" وكفاءة.

أكد ريغر على حاجة أغلب المدن اليونانية إلى الواردات، وبالتالي اعتمادها على التجار وغيرهم من الوكلاء الحكوميين. ينطبق ذلك تحديدا على مدينة أثينا التي كانت أكثر اعتمادا على الواردات[٢٨٣]. طورت بعض المدن صناديقها لمشتريات الحبوب المنتظمة. كما أن التجار، أو الإمبوروي، والإكدوخيس ekdocheis، أي عملاء "الشحن" أو "عملاء المخزن"، مُوَثَّقون جيدا، لا سيما في جزيرة ديلوس، لكنهم معروفون في الكثير من الأماكن الأخرى[٢٨٤]. ومن خلال التجار العامين، أي السيتوناي sitonai والإليوناي elaionai، نُظمت النفقات العامة على مشتريات الزيت والحبوب

ويُسِّرت. ولا بد أن التجار العامين قد استغلوا شبكاتهم لتيسير التجارة والحصول على السلع بسعر مواتٍ، ولا بد أن الشراء بسعر جيد كانت له من حين لآخر فوائد جانبية للتاجر[٢٨٥].

لا ريب أن التجار الهلنستيين كانوا عموما من صغار التجار. كان الملوك بالطبع أكبر التجار، وسيطروا على تجارة الحبوب بين الدول، وكذلك أشخاص مثل أبولونيوس الشهير صاحب خزانة بطليموس الثاني[٢٨٦]. كانت الشبكة الاجتماعية لأبولونيوس ونشاطه التجاري الخاص واسعين[٢٨٧]. ويكفي أن نقول إنه كان تاجرا، وإن لم يكن "محترفا" أو منقطعا للتجارة، إذ كانت هناك شؤون أخرى تشغل أيامه. لكنه لم يكن فريدا في ذلك، ومن أمثلة ذلك أن نختنبف Nekhtnebef ابن تفناخت Tefnakhte، وهو تاجر مصري شديد الثراء من نقراطيس توفي على الأرجح في الحقبة البطلمية المبكرة، لم يخجل من أن يعلن ثروته الضخمة في سيرته الذاتية[٢٨٨].

يقدم التاجر الهندي من القرن الثاني قبل الحقبة المشتركة، ومصادر رأس ماله، أدلة مدهشة حول تاجر خاص وشبكاته خارج البحر الأبيض المتوسط[٢٨٩]. يخبرنا لوحه الجنائزي اللافت للانتباه في قندهار، الذي كُتب في قصيدة متوّجة[٤٧]، من بين أشياء أخرى، أنه كتاجر "جمع ثروة واسعة" نتيجة لسنوات المغامرة:

بعد أن استلمت المال من الآخرين "لاستثماره"،
تركت بلدي عازما ألا أعود
قبل أن أصنع منه تلا من الثروات.

استفاد التاجر الهندي من عائلته جيدة العلاقات، ومن سلطة الإمبراطوريتين الماورية واليونانية-الهندية، ومن الشبكات التجارية المكثفة التي عبَرت آسيا الوسطى طولا وعرضا[٢٩٠]. وربما استفاد هذا الرجل الذي ترك لنا هذا اللوح الجنائزي اليوناني الفخم المكتوب بلغة يونانية منمقة، من كل من تجارة البحر الأبيض المتوسط والتجارة في آسيا الوسطى فضلا عن الهند. ولا يسعنا إلا أن نخمن بدقة مدى اتساع شبكة الرجل، وإن لم يكن من السهل أن نحدد مكان الرجل بدقة، سواء في بلده أو في الشبكات التجارية. لكن من الصعب مقاومة إغراء ربط هذا التاجر برجال هلنستيين كبار نشطوا في دوائر كثيرة،

---

(٤٧) القصيدة المتوّجة acrostic poem قصيدة تشكل الحروف الأولى من أبياتها أو أشطرها كلمة أو رسالة أو مفهوما. [المترجم]

منها الاقتصادي. يقدم رائدا الأعمال أبولونيوس من مصر وسوفيتوس Sophytos أنفسهما كمثالين ثريين (واحد من شرق البحر الأبيض المتوسط خلال منتصف القرن الثالث قبل الحقبة المشتركة، والآخر من آسيا الوسطى خلال القرن الثاني قبل الحقبة المشتركة) للتجار الخاصين وشبكاتهم التي شكلت الأساس للتطورات اللاحقة. ويمكن أن نذكر الكثير من التجار الآخرين، منهم بروتوغينيس الأوليبي Protogenes of Olbia على سبيل المثال[٢٩١](٤٨). على أن هؤلاء التجار مجرد أمثلة، لا تمكّننا من تقدير دور التاجر الخاص في العالم الهلنستي، لكن لا شك أن هؤلاء الرجال لم يكونوا بلا نظراء.

كان التجار الرودسيون استثناء بالطبع، لكونهم مُوَثَّقين جيدا. كانت جزيرة رودس بحلول الثلث الأخير من القرن الرابع قبل الحقبة المشتركة قد أصبحت مركزا رئيسا للتجار. وإذا كانت التجارة المنقولة بحرا هي الأهم على الإطلاق بسبب الانخفاض النسبي لتكاليفها، فلا بد أن نعتبر جزيرة رودس المكان الأهم في التجارة الهلنستية ومثالا جمهوريا سابقا لروما[٢٩٢]. كانت الاتفاقات بين المدن من أجل المكانة التجارية المميزة في الرسوم (الأتليا ateleia) التي يدفعها التجار من الأصول الإثنية الكثيرة المقيمون في جزيرة رودس، إحدى سمات تجارة البحر الأبيض المتوسط خلال القرن الثالث قبل الحقبة المشتركة، وكانت مؤسسة مهمة جذبت المدن من خلالها التجارة إلى موانئها[٢٩٣]. وقد سيطر تجار خاصون على معظم تجارة الحبوب خلال جزيرة رودس[٢٩٤].

كانت الحقبة الهلنستية، في مجالات كثيرة، فترة الأشياء الضخمة، مثل أول "مدن عملاقة" في البحر الأبيض المتوسط، وفنار الإسكندرية، وعملاق رودس(٤٩)، ومذابح المعابد الضخمة، وفيلة الحرب، والسفن الضخمة[٢٩٥]. كانت تلك السفن في آن معا بارجات حربية هجومية وسفنا تجارية. وكان من بين هذه السفن العملاقة سفينة بطليموس الرابع الحربية التي وصفها فلوطرخس في كتابه "حياة ديميتريوس ٤٣":

---

(٤٨) الأوليبي نسبة إلى مدينة أوليبيا Olbia الواقعة في شمال جزيرة سردينيا، رغم اسمها اليوناني الذي يرجع إلى وجود اليونانيين فيها منذ القرن السابع قبل الحقبة المشتركة، تكشِف الأدلة الأثرية أن الفينيقيين كانوا أول من استوطنها. [المترجم]

(٤٩) نصب الرودسيون تمثالا ضخما لإله الشمس هيليوس Helios، اعتُبِر إحدى عجائب العالم القديم، وظل عملاق رودس Colossus of Rhodes منتصبا في الميناء إلى أن ضرب المدينة زلزال في عام ٢٢٧/ ٢٢٦ ق.ح. [المترجم]

لم يسبق لأحدهم حتى ذلك الحين أن رأى سفينة بخمسة عشر وستة عشر صفا من المجاديف، مع أنه من المعلوم أن بطليموس فيلوباتور Ptolemy Philopator شيّد في وقت لاحق سفينة بأربعين صفا من المجاديف، بلغ طولها أربعمائة وعشرين قدما، وارتفاعها اثنين وسبعين قدما حتى أعلى مؤخرها. كان يشغِّل هذه السفينة أربعمائة بحّار لا يجدفون، وأربعة آلاف على المجاديف، وإلى جانب هؤلاء كان بوسعها أن تحمل على طوابقها وجانبيها زهاء ثلاثة آلاف جندي. لكن هذه السفينة كانت للاستعراض فقط، إذ لم تختلف كثيرا عن البنايات الثابتة، ولأنها صُممت للاستعراض وليس للاستخدام، فإن تحريكها كان بالغ الصعوبة والخطر. لكن في حالة سفن ديميتريوس، فإن جمالها لم ينقص من سماتها القتالية على الإطلاق، ولم تجعلها فخامة معداتها أقل عملية، بل على العكس من ذلك كانت سرعتها وأداؤها أروع كثيرا من حجمها[٢٩٦].

إذا كانت السفينة سيراكوزيا Syracusia المملوكة للملك هيرو التي بلغت بحسب بعض التقديرات أكثر من أربعة آلاف طن إزاحة، سفينة استثنائية، فإنها على أي حال من الأحوال تشير إلى ما كان بوسع العالم الهلنستي أن يفعله[٢٩٧]. وإذا كانت تلك السفينة مجرد مثال رائع على مقدرة العمارة البحرية الهلنستية، فإن الحجم المتزايد للسفن العادية خلال القرن الرابع قبل الحقبة المشتركة والعالم الهلنستي لا يقل روعة حتى بالمعايير اللاحقة[٢٩٨]. كان القرن الرابع قبل الحقبة المشتركة، مع اشتداد المنافسة بين الدول، نقطة انعطاف مهمة في تاريخ البحر الأبيض المتوسط يجب النظر إلى الحقبة الهلنستية المبكرة في ضوئها. وكانت السفن التجارية في المتوسط أكبر من نظيراتها قبل الحقبة الهلنستية، وكانت السفن سعة نحو مائة طن شائعة، ولم تكن السفن الكبيرة الأكبر من مائة وثلاثين طنا شاذة[٢٩٩]، وزاد الحجم المتوسط لسفن الشحن خلال القرن الثالث قبل الحقبة المشتركة، وزاد مرة أخرى في أواخر القرن الأول قبل الحقبة المشتركة[٣٠٠].

لا ريب أن التطورات السياسية في الحقبة الهلنستية، وقبل كل شيء في الدولتين اللوياثانيتين الجديدتين (البطلمية والسلوقية)، ونمو المدن الكبيرة، وزيادة عدد السكان، والاستخدام الأوسع للعملة، كانت جميعها دافعة لزيادة الطلب على التجارة وبالتالي حجمها[٣٠١]. وحتى قبل ظهور الدول الهلنستية في شرق البحر الأبيض المتوسط، كانت كميات ضخمة من الحبوب تدخل بيرايوس ميناء أثينا[٣٠٢]. فلم يكن ذلك أمرا جديدا، إذ كان السكان الأثينيون معتمدين على الحبوب المستوردة منذ منتصف القرن الخامس قبل الحقبة المشتركة[٣٠٣].

وفي مجال إنتاج الأمفورات، تماما كما في مجال إنتاج العملات، لا يسعنا من باب التحوُّط إلا استنتاج الإنتاج النسبي وليس الناتج المطلق[٣٠٤]. على أن انتشار العملة يظل مقياسا مهما للتجارة[٣٠٥]. وقد حاولت بعض الدول، من أهمها البطالمة، أن تنتزع مكانا في التجارة الإقليمية، من خلال طلب عملة مختلفة الوزن في الإقليم الذي تسيطر عليه، ما رفع تكاليف الصفقات في التجارة بين الدول بوضوح. لكن لم تنبثق عملة موحدة في البحر الأبيض المتوسط، بل انتشر العديد من العملات، حتى بعد الدمج الروماني للبحر الأبيض المتوسط.

كان لدراسات حطام السفن والخزف الغلبة في دراسة التجارة الهلنستية، وظلت الأمفورات المختومة مكونا رئيسا للتحليل الكمي لتجارة البحر الأبيض المتوسط لأكثر من قرن من الزمن. وكان التركيز على حطام السفن والأمفورات، كما يلاحظ جون ديفيز بمرارة، "حلما وكابوسا" في آن معا[٣٠٦]. فقد كان لهذين المجالين البحثيين تأثير شديد على فهم كل من حجم التجارة واتجاهها والتأثير النسبي لمناطق بعينها، مثل جزيرة رودس، باعتبارها نقطة منشأ لتجارة البحر الأبيض المتوسط أو وسيط لها. تتزايد دقة دراسة الأمفورات، مثل أحجامها وانتشارها ومحتوياتها ومغزى الأختام المطبوعة عليها، وذلك منذ أن نشر أومبير مقالته التي يُستشهَد بها كثيرا (Empereur, 1982). علاوة على أننا نعرف حاليا أن الأمفورات احتوت العديد من المنتجات، وليس النبيذ والزيت فقط، وأنها كانت تُصنع بأشكال وأحجام مختلفة للسلع المختلفة، وكانت أحيانا تُشحن فارغة[٣٠٧]. يثير ذلك كله السؤال المركزي المتعلق بكيفية تقدير قيمة الحمولات وتدفق السلع[٣٠٨]. كذلك تحسنت معرفتنا بالخزف كثيرا خلال السنوات الأخيرة، لكن ما يزال هناك ما يمكن دراسته، فيما يتعلق بالتسلسل وفهم مدى أنواع المادة المستخدمة، وما إليها.

وفيما يتعلق بحطام السفن، هناك قبول عام بأن الحطام يرتبط بحجم الشحن، وأن توزيع الحطام يتبع منحنى جرسيا، إذ يرتفع بثبات من نحو عام ٦٠٠ ق.ح إلى عام ٢٠٠ ق.ح، ويتزايد سريعا من عام ٢٠٠ ق.ح، ويبلغ ذروته خلال القرن الأول قبل الحقبة المشتركة، ثم ينقص قليلا خلال القرن الأول من الحقبة المشتركة، ويهبط بحدة بداية من القرن الثالث من الحقبة المشتركة (الشكل ٤١).

تعرضت هذه الصورة التي تتخذ بيانات حطام السفن مقياسا تمثيليا لحجم الشحن لانتقادات شديدة. فكما هي الحال في دراسة الأمفورات المختومة، لا يزال التحليل الإحصائي الموثوق يمثل مشكلة في دراسة بيانات حطام السفن. تُفَسّر الزيادة في حطام السفن خلال الحقبة الهلنستية منذ وقت

طويل باعتبارها مقياسا تمثيليا للزيادة في حجم التجارة وكثافتها[٣٠٩]. غير أنه ما تزال هناك مشكلات تحت هذا الوصف الواسع. وفي بعض الحالات، لا يزال هناك جدل حول وصف التجارة، لا سيما في غرب البحر الأبيض المتوسط، بأنها "هلنستية" أم "يونانية-إيطالية قديمة"[٣١٠]. وهناك مشكلات في تقدير الحجم الدقيق للحمولات، وتقدير المحتويات القابلة للتلف، لا سيما الحبوب، وما تزال هناك فجوات جغرافية في البيانات، لا سيما فيما يتعلق بشرق البحر الأبيض المتوسط[٣١١].

يفرض حطام السفن والأمفورات مشكلات جمة تتعلق بالقياس الكمي، وبالتالي التفسير. في حالة الأمفورات، ما زلنا في حاجة إلى المزيد من الدراسات، وحتى بعد إنجاز هذه الدراسات، سيظل وضع الأمفورات المختومة في سياق المجموعة الأوسع من الأمفورات غير المختومة محل جدل. كانت الأمفورات المختومة السبب وراء التأكيد الزائد على رودس في السابق[٣١٢]. ويوضع التراجع في أعداد الأمفورات الرودسية عادة ضمن التاريخ السياسي لجزيرة رودس وتقرير بوليبيوس (Polybius, 30.31.12) عن السفارة الرودسية إلى روما وتراجعها التجاري المفترض بداية من عام ١٦٦ ق.ح بعد أن أعلنت روما ديلوس ميناء حرا. لكن أثيرت مؤخرا شكوك وجيهة حول تراجع جزيرة رودس[٣١٣]. كما أننا في حاجة إلى الاتساق في القياس الكمي للشقفات الخزفية عند تقدير عدد الأواني في هذا الموقع أو ذاك، ومن الواضح أن طرق إجراء ذلك متباينة وغير موحدة[٣١٤]. وقد قُدِّمت نظريات مختلفة على مر السنين لتفسير الغرض من الخَتم، فيذهب لاول Lawall إلى أن الأختام ناتجة عن عملية إنتاج الأمفورات، أي "التنظيم الفعال لورش الأمفورات والإنتاج الزراعي"، الذي يؤكد على الرقابة الإدارية على الإنتاج المحلي للجِرار في بعض المناطق، وتوزيعها خلال شبكة من الإنتاج الزراعي[٣١٥].

إن معظم الأعمال العامة التي استهدفت بناء نموذج أو إطار لفهم التجارة القديمة في البحر الأبيض المتوسط جاءت من مؤرخي الإمبراطورية الرومانية. ويعد بوليبيوس أحد المصادر الرئيسة، وإن كان الدارسون يضخمون آراءه عادة، لا سيما في الإجراءات الرومانية ضد القرصنة. وتأتي النتائج دائما مفخمة أكثر فأكثر، وإن ظلت الاستنتاجات المأخوذة منها معروفة عموما بين مؤرخي الإمبراطورية الرومانية. وفي ورقة نُشرت مؤخرا، ذهب شايدل، بالدرجة الأولى تأسيسا على أدلة مقارنة لاحقة، إلى أن القوة الدافعة الرئيسة لنطاق حجم التجارة في "البحر الأبيض المتوسط" كانت "تشكُّل الدولة الإمبراطورية"[٣١٦]. كانت التحسينات التقنية خارجية وأقل أهمية من الإطار السياسي العام للإمبراطورية الرومانية ومقدرته المحددة

على خفض تكاليف الصفقات، وهو ما تجلى في الأساس في خفض السلوك اللصوصي الذي كانت له تأثيرات "غير مباشرة" على تكلفة التمويل. ويذهب نموذج شايدل أيضا إلى أن سلطة الدولة الرومانية ربما أزالت الالتباس في جمع الضرائب بعض الشيء. وقد أسهم ذلك كله في خفض تكاليف النقل، إذ نمت التجارة الحرة في ظل السلطة السياسية الاحتكارية الرومانية.

إن هذه الحجة مؤسسية بلا ريب، وتجد الدعم من فكرتين أساسيتين، جاءت أولاهما من نورث وتوماس (North and Thomas, 1973) في إطار علم الاقتصاد المؤسسي الجديد، وترى أن انخفاض تكاليف الصفقات عموما (ومنها تكاليف المساومة) كانت المُحَدِّد الرئيس "لنطاق التجارة الدولية وإنتاجيتها"[٣١٧]، وثانيهما فكرة أن السلطة الاقتصادية السياسية للدولة، وليس التحسن التقني، كانت القوة الدافعة الرئيسة وراء الإنتاجية التجارية[٣١٨]. معنى ذلك أن التغير في المخزون المعرفي، وكذلك التغيرات التقنية في بناء السفن وتصميمها والملاحة وما إليها، كانت عاملا داخليا ضمن التحول الكبير في الإطار السياسي للبحر الأبيض المتوسط الذي مكّن روما من الحد من القرصنة على الشحن، وهو ما أدى بدوره إلى خفض تكاليف الصفقات وتكاليف التمويل[٣١٩].

إن المنطق المؤسسي الداخلي لهذه الحجة، فضلا عن الأدلة المقارنة التي وظفها شايدل، غير قابلة للتفنيد، وأعتقدُ أن الأدلة واضحة تماما من منظور البحر الأبيض المتوسط خلال القرنين الأولين من الحقبة المشتركة[٣٢٠]. لكن النموذج، كما يبدو لي، شديد التصلب ويكاد- باستعارة التعبير من جون ديفيز- ينظر إلى التاريخ "من الطرف الخاطئ"[٣٢١]. يؤكد نموذج شايدل "للحقبة الرومانية" أن التغير بدأ مع نهاية الحرب البونيقية الأولى في عام ٢٤١ ق.ح التي أصبحت القوة البحرية الرومانية بفضلها القوة البحرية المهيمنة الوحيدة على صفحة البحر الأبيض المتوسط. لكن التغير في حجم التجارة، كما يقول هو نفسه[٣٢٢]، "أضعف من أن يُلاحَظ". ربما تمثل السنة ٢٤١ ق.ح نقطة تحول، لكنها لا تمثل انقطاعا. في لحظة شهيرة لهزة اقتصادية في مصر، في نحو عام ٢٣٨ ق.ح، تمكن بطليموس الثالث من استيراد كمية كبيرة من الحبوب "بنفقات كبيرة" لإنقاذ مصر من الجوع[٣٢٣]. لكن أغلب الأدلة الفعلية على التأثير الإمبراطوري الروماني تأتي في أواخر القرن الثاني والقرن الأول قبل الحقبة المشتركة، وفي الحقبة الإمبراطورية ذاتها، أي بعد عام ٣٠ ق.ح. لا يعني ذلك بحال من الأحوال حدوث قطيعة في الأنماط التجارية في شرق البحر الأبيض المتوسط، وكذلك يفوته الكثير من التطور التاريخي خلال القرنين الرابع والثالث قبل الحقبة المشتركة.

إن معظم الإطار المؤسسي الذي يتناوله شايدل، ممثَّلا في الحدّ من النهب وبالتالي المخاطرة، والانخفاض الناتج في تكاليف الصفقات، فضلا عن زيادة الطلب الإجمالي من المراكز الحضرية، كان اتجاها بدأ خلال القرن الثالث قبل الحقبة المشتركة. ثانيا، تفاوَتت القرصنة بشدة، كما تقاس بحجم تجارة العبيد، حتى بعد دخول الحقبة الإمبراطورية الرومانية والفترة السابقة والتالية لها. ولا شك في أن الهيمنة الرومانية بحلول القرن الثاني قبل الحقبة المشتركة مثلت تحولا رئيسا في القوة السياسية والعسكرية، وشكلت تدريجيا تحولا في القوة الاقتصادية نحو الغرب، لكن الارتباط بين قوة الدولة والقرصنة والسلوك اللصوصي ليس بسيطاً[٣٢٤]. وكما يعترف شايدل نفسه، فإن تأسيس "البحر الأبيض المتوسط الروماني" كان في حقيقة الأمر عملية تغيير تدريجية بطيئة، لم تغير الأنماط التجارية سابقة الوجود، لا سيما في شرق البحر الأبيض المتوسط[٣٢٥]. وتوحي أدلة الأمفورات المختومة أن جزيرة رودس بلغت أوج قوتها التجارية بين عامي ٢٠٠ و١٧٥ ق.ح[٣٢٦].

كانت السيطرة الرومانية على البحر الأبيض المتوسط تحولا، أيا كانت قوته، في التاريخ المتفاوِت للشحن طويل المسافات في البحر الأبيض المتوسط. كانت الحرب قادرة على إعاقة الأنماط التجارية العادية، ويأتي مثال شهير لذلك من وصف بوليبيوس لسفارة رودسية إلى روما في صيف عام ١٦٩ ق.ح. أرادت الجزيرة ترخيصا رومانيا بشراء الحبوب من صقلية لأن إمداد القمح لها من مصر كان قد قطعه مؤقتا غزو أنطيوخوس الرابع لمصر[٣٢٧]. ارتبطت الحرب والقرصنة بشدة بالاقتصادات الهلنستية، والأهم من ذلك أنهما ارتبطتا باقتصاداتها السياسية. فكانت القرصنة واللصوصية جزءا من التجارة الهلنستية، وبالتالي يجب اعتبارها عاملا داخليا ضمن أي نموذج للتجارة الهلنستية[٣٢٨]. ولا ريب أن النزاع بين الدول كان من شأنه أن يؤثر على تجارة المسافات الطويلة، لكن الدول والحرب والغنيمة المتحققة من النزاع ارتبطت بالقرصنة، وكذلك أخذت الشبكات التجارية القراصنة ونشاطهم في حسبانها.

من اللافت للانتباه أن اسطرابون في تعليق على سوق العبيد في ديلوس ذكر "القراصنة"، لكنهم عندما دخلوا الميناء وأرادوا بيع بضاعتهم، أصبحوا "تجارا"[٣٢٩](٥٠). كانت القرصنة ببساطة سلاحا آخر في المنافسات المستمرة بين الدول، وهناك أمثلة كثيرة لقراصنة وضعوا أنفسهم في خدمة هذا الملك

(٥٠) اسطرابون (هكذا عرَّب العرب اسمه Strabo، من ٦٤/ ٦٣ ق.ح إلى نحو ٢٤ ح.م) جغرافي وفيلسوف ومؤرخ يوناني عاش في آسيا الصغرى مع تحول الجمهورية الرومانية إلى إمبراطورية، من أعماله كتاب "الجغرافيا" Geographica. [المترجم]

الهلنستي أو ذاك[٣٣٠]. وقد أحدث انعدام المنافسين بعد أن وحّدت روما البحر الأبيض المتوسط سياسيا فرقا كبيرا. كانت الحماية الحكومية للتجارة قوة دافعة رئيسة وراء نجاح جزيرة رودس، وإلى حد ما، كمبرر على الأقل، للتوسع الروماني في العالم الهلنستي في أثناء الحرب الإيليرية الأولى في عام ٢٢٩ ق.ح[٥١]. وقد انطوت الحلول السياسية لتجارة المسافات الطويلة من خلال معاهدات الإيسوبوليتيا ومعاهدات الأسيليا، غالبا على مؤسسات لتحسين حماية التبادل بين المدن اليونانية[٣٣١][٥٢].

توحي أعمال المسح الأثري في قيليقية بأن البطالمة والسلوقيين كلاهما بنوا أبراجاً محصنة ومراكز مراقبة[٣٣٢]. وقد بذلت جزيرة رودس جهدا كبيرا في مكافحة القراصنة، وحتى بعد أن بدأت روما والتجار الرومان يسيطرون على التجارة في غرب البحر الأبيض المتوسط، ظلت جزيرة رودس تسيطر على شرق البحر الأبيض المتوسط وتدفقاته التجارية المهمة، لا سيما إلى الإسكندرية.

إن الشيء الأقل وضوحا، وإن كانت له مضامين على الجوانب الأخرى للتاريخ الهلنستي، هو نوع التأثير الذي مارسه تشكُّل الدولة الرومانية وحمايتها على توسع تجارة البحر الأحمر والمحيط الهندي. يعتبر شايدل هذه المناطق "تجارة خارجية"، تتميز بخطر أعلى وكذلك ربحية أعلى[٣٣٣]. كانت الحقبة الهلنستية المبكرة الوقت الذي رُبطت فيه تجارة المحيط الهندي بالبحر الأبيض المتوسط لأول مرة. وقد حظي ساحل البحر الأحمر والساحل الغربي لشبه الجزيرة العربية كليهما باهتمام كبير من البطالمة والسلوقيين. ومع أن الدليل الملاحي معروف بالطبع في سياق التجارة الرومانية في المحيط

(٥١) كانت إيليريا Illyria خلال العصر القديم الكلاسيكي منطقة في الجزء الغربي من شبه جزيرة البلقان على الساحل الشرقي للبحر الأدرياتي، ينسب إليها الإيليريون. والحروب الإيليرية Illyrian Wars سلسلة من الحروب وقعت بين عامي ٢٢٩-١٦٨ ق.ح بين الجمهورية الرومانية والمملكة الأردياية Ardiaei أو الأردية Ardian الإيليرية التي قامت في مكان ألبانيا ومونتنيغرو الحاليتين، وقعت الحرب الأولى منها في ٢٢٩-٢٢٨ ق.ح بسبب تعاظم قوة المملكة في عهدها الملكة تيوتا Teuta وتزايد أعمال القرصنة الإيليرية في البحر الأدرياتي. [المترجم]]

(٥٢) إيسوبوليتيا isopoliteia، في اليونان القديمة، معاهدة لحقوق المواطنة المتساوية بين دولتين مدينيتين تحدث من خلال اتفاق بين مدينتين، ويمكن أن تمنح أيضا بمراسيم فردية. [المترجم]

تشير أسيليا asylia، في اليونان القديمة، إلى الحرية أو الأمن من النهب والقرصنة (أي على البر والبحر)، كانت تمنحها الدولة المدينية إلى مثيلتها باتفاق، أو تمنحها للأفراد بمراسيم فردية. [المترجم]

الهندي(٥٣)، فقد بُني، تماما مثل الطرق والموانئ، على تطوير هلنستي. وتؤكد الأعمال الأثرية في الصحراء الشرقية المصرية أن حجم التجارة القادمة من موانئ البحر الأحمر، وكذلك نشاط التعدين الحكومي (الذهب والرخام السماقي)، قد زادت كثيرا مع ضم الرومان لمصر بعد عام ٣٠ ق.ح[٣٣٤]. كما أن النشاطات في الصحراء الشرقية في موقع مونس كلوديانوس ترتبط ببيانات حطام السفن حول شحنات كبيرة من الحجر السماقي إلى روما(٥٤).

استفادت مملكة هجر من الطلب البطلمي والسلوقي[٣٣٥](٥٥). كان استخدام العملة وسيطا مهما بين هاتين الدولتين ومملكة هجر، وكانت تجارة النباتات العطرية مهمة للدولتين، وكانت تأتي من ظفار، وتُشحن خلال سمهرم (خور روري حالياً) عن طريق سلسلة من الوسطاء ونقاط جمع المكوس المتتالية(٥٦)، إلى غزة وإلى التجارة الهندية. وكانت البحرين محطة مهمة بين الهند ومصر وغرب آسيا. وإذا كان لبردية موزيريس أي دلالة هنا، فهي أن السفن المنطلقة من جنوب الهند جذبت القراصنة لا ريب، كما تتداعى الدببة على الفريسة[٣٣٦](٥٧).

---

(٥٣) الدليل الملاحي Periplus كتاب يصف طرق التجارة والموانئ والسلع التي يمكن شرائها وبيعها في كل ميناء، من أمثلته "الدليل الملاحي للبحر الإريثري" Periplus of the Erythraean Sea (أي البحر الأحمر) الذي كتبه مؤلف يوناني مصري، سُمي هذا الدليل في اللغة العربية دفتر الإرشاد أو "الرهماني" أو "الرحماني" rahmanis، من العبارة الفارسية rah nama (راه نامه) أي كتاب الطريق. [المترجم]

(٥٤) مونس كلوديانوس Mons Claudianus محجر روماني في الصحراء الشرقية المصرية، ضمن محافظة البحر الأحمر حاليا، تألف من حامية وموقع اقتلاع حجارة وأحياء للمدنيين والعمال. [المترجم]

(٥٥) هجر Hagar هو التحريف اليوناني لاسم Gerrha (الجرهاء) التي كانت أكبر مدن شرق شبه الجزيرة العربية، أطلق اليونانيون اسمها- المحرف- على المنطقة ككل، كانت جزءا من حضارة دلمون (جزيرة البحرين حاليا)، شهدت مملكة عربية منذ نحو عام ٦٥٠ ق.ح. [المترجم]

(٥٦) ظفار Dhofar حاليا محافظة في سلطنة عمان تطل على بحر العرب. [المترجم]

سمهرم Sumhuram (حاليا خور روري Khor Rori) موقع أثري من جنوب شبه الجزيرة العربية القديم، يقع حاليا بالقرب من مدينة صلالة بسلطنة عمان، تأسست كمركز أمامي لمملكة حضرموت في نهاية القرن الأول من الحقبة المشتركة، ثم تطورت إلى مدينة بسبب تزايد أهمية التجارة البحرية بين البحر الأبيض المتوسط والمحيط الهندي. [المترجم]

(٥٧) كانت موزيريس Muziris ميناء بحريا ومركزا حضريا قديما على ساحل ملبار الهندي في ولاية كيرلا الحالية، ربما تتطابق مع مويريكود Muyirikode أو ماهودايا/ ماكوتاي بورام Mahodaya/Makotai Puram. أما البردية، فتوثِّق عقدا شمل تاجرا من الإسكندرية يستورد حمولة من الفلفل والتوابل من موزيريس. [المترجم]

يجب توسيع نموذج شايدل ليشمل التجارة الهلنستية، وسوف يكشف عن تضاد مع التاريخ الإمبراطوري الروماني، بعد أن أدمج البحر الأبيض المتوسط ضمن فضاء إمبراطوري واحد. فكل العمليات التي خططها شايدل، وهي تشكُّل الدول، والاندماج السياسي والاقتصادي، وما نتج عن ذلك من استقرار سياسي وتراجع للحروب، وخفض النهب وتكاليف الصفقات والتمويل، يمكن تتبعها جميعا في الأدلة الهلنستية. ولا ريب أن الحرب وفشل المحاصيل المحلي قد أثرا على طلب المنتجات الاستراتيجية مثل الحبوب وعرضها. ويكشف الموقف في أثينا الهلنستية المبكرة، كما وُصف في دراسة أوليفر Oliver التفصيلية، عن تأثيرات الحرب، وفي الوقت عينه الشحن الواسع للحبوب إلى الموانئ الأتكية[٣٣٧]. وتتضح في الدراسة كذلك العرقلة الناتجة عن الحرب والجنرالات المتنافسين ومشكلات توزيع الحبوب حتى على الفرسان. وقد كانت أثينا وإقليمها معتمدين على كل من الهِبات من المحسنين الخارجيين وعلى السيتوناي الأثينيين[٣٣٨].

لا شك أن الدول بذلت محاولات لخفض تكاليف الصفقات، من ذلك أن السلوك اللصوصي تراجع بفعل إجراءات جزيرة رودس وسيطرتها على القرصنة، وكذلك مُنحت إعفاءات ضريبية لجماعات تجارية بعينها[٣٣٩]. كما أن هذه الإعفاءات، مهما كانت ندرتها، مُوَثَّقة في مصر[٣٤٠]. وكانت المكوس أيضا منخفضة عموما، كما كانت في الحقبة الإمبراطورية، لكنها ربما كانت أكثر تقلبا، في حين ربما كانت تُجمع ضرائب بمعدلات عالية على التجارة الخاصة. كما أن البيانات التي بحوزتنا من الحقبة الهلنستية أقل بالتأكيد. وتوحي الأدلة المستمدة من حطام السفن بصورة مختلفة، صورة لحمولات مختلطة صغيرة، وحمولات كانت توزع على عدة سفن للحد من الأخطار[٣٤١]. تتفق هذه الصورة للحمولات الصغيرة مع نموذج شايدل الذي يفترض زيادة في حجم السفن وفي حجم التجارة نتيجة لانخفاض تكاليف الصفقات ونمو الكفاءة التنظيمية في الشحن[٣٤٢].

يمكن- بل يجب- أن تُحلل أنماط التبادل في البحر الأبيض المتوسط بين نحو عام ٤٠٠ و٢٠٠ ق.ح وحدها، ويمكن أن تُحلل كذلك باعتبارها جزءا من التغير الاقتصادي الأكبر في أوراسيا. فقد تشكلت الحقبة برمتها بفعل ميراث تجارة الشرق الأدنى، وحركة البشر والاستيطان، واشتداد ترابط البحر الأبيض المتوسط مع غرب آسيا، أي التلاقح الثقافي. كان "اللفق" عند بوليبيوس اتجاها

متسارعا في البحر الأبيض المتوسط على امتداد العصر الحديدي[٥٨]. فكانت طبيعة التجارة الرومانية وخصائصها استمرارا وتوسيعا لنظيراتها في التجارة الهلنستية في شرق البحر الأبيض المتوسط. وربما كانت الحقبة الهلنستية فترة أخطار أعلى نسبيا، وبالتالي تكاليف نقل أعلى مقارنة بالقرنين الأولين من الحقبة المشتركة. وكانت الحقبة الهلنستية أيضاً، مقارنة بالتطورات الرومانية اللاحقة، فترة حمولات متنوعة أصغر. كذلك تميزت هذه الحقبة باتجاهات جديدة، هي توسع حجم التجارة بفضل المدن الجديدة في شرق البحر الأبيض المتوسط، والطرق الجديدة ومحطات إعادة التصدير الجديدة التي بُنيت على ساحل البحر الأحمر وفي أماكن أخرى، والأبنية السياسية الجديدة للممالك الهلنستية. وقد كان انخفاض تكاليف الصفقات الذي أكد عليه شايدل في حالة التجارة الرومانية نتيجة مباشرة لبناء الدول الهلنستية خلال القرن الثالث قبل الحقبة المشتركة. وكذلك تشكل سلوك التجار خلال تلك الحقبة بفعل سمات مثل المراكز الحضرية الجديدة، والطرق التجارية الجديدة تماما أو القديمة الموسعة، والموانئ الجديدة، والعلاقات السياسية الجديدة التي أقامتها "الدول اللوياثانية" الهلنستية، مثل الشبكة الرودسية-البطلمية. يتعرض دور التجار والتجار الخاصين للتجاهل عادة، ومع أنهم أفضل توثيقا في الجمعيات الخاصة في جزيرة رودس، فإن ذلك على الأرجح ليس إلا ناتجا لبقاء وثائق من نوع معين. وفي مصر، كما هي الحال في أماكن بعيدة مثل أفغانستان، كانت صورة التاجر الثري على الأرجح مؤشرا للتجارة الصغيرة الخاصة على امتداد البحر الأبيض المتوسط وغرب آسيا، التي وجدت دفعة من الأبنية السياسية الجديدة للحقبة، والانتشار المتزايد للعملة، فضلا عن أشياء أخرى. وكان تكوين الاقتصاد الإمبراطوري الروماني على مدار القرنين الأخيرين قبل الحقبة المشتركة نهاية لثمانية قرون من التطور السياسي والنمو الاقتصادي، وذروة لألفي سنة من التجارة وشبكات التبادل المعقدة. وها قد أصبحت قوة مهيمنة واحدة تحكم البحر الأبيض المتوسط، ذلك المسطح المائي الذي أسماه الرومان "بحرنا" Mare Nostrum.

(٥٨) راجع حاشية سابقة حول مفهوم "اللفق" symploke عند بوليبيوس في الفصل الثاني. [المترجم]

الفصل التاسع

استنتاجات
Conclusions

بالنسبة لعقل ما قبل عصر التنوير، لم يكن البشر مقتدرين، ولم تكن الطبيعة حميدة دائما، مع أن الخبرة المباشرة والذاكرة الجمعية والكتاب المقدس- لا سيما سفر الرؤيا- تشهد جميعها على عكس ذلك. وربما يعيش المؤرخون الاقتصاديون الحديثون في عصر أقل إيمانا بالخرافة وأشد إيمانا بالعلم وأكثر استرشادا بالنظريات، لكنهم فيما يتعلق بمقدرة البشر في مقابل الطبيعة أقل حكمة من أجدادنا من العصور الوسطى والعصر الحديث المبكر، الذين امتازوا علينا أيضا بأنهم سكنوا العالم الذي نريد فهمه. لكن لا ريب أنه لم تسنح من قبل فرصة لتقصي الارتباطات بين الأحداث والعمليات البيئية الماضية ومسار التغير الاجتماعي والاقتصادي أفضل من تلك التي تسنح لنا حاليا، وذلك بفضل الكم المتزايد من الأدلة العلمية السليمة التي يمكن أن نعتمد عليها. وعلى ذلك فإن الوقت قد حان بالتأكيد للاعتراف بأن "الطبيعة" كانت البطل التاريخي في ذاتها، طبعا إلى جانب الصراع الطبقي، ويد السوق الخفية، وابتكار التقنية والمعرفة وانتشارهما، ومجموعة من المؤسسات البشرية (منها الكثير الذي أُريدَ به تخفيف الأخطار التي تنشأ عن الأحداث البيئية ومقاومتها).

—Bruce Campbell (2010: 310)

طالما أننا نعتمد على وسائل تعويضية للحفاظ على صحتنا وعلى المحيط الحيوي، فإننا سنجعل كل شيء هشا. وطالما أننا نتخلص من بقية الحياة، فإننا سنفقر نوعنا للأبد. وإذا أسلمنا طبيعتنا الوراثية للمحاكة العقلية المعتمدة على الماكنات، وأسلمنا أخلاقنا وفننا وكل معنى لدينا لعادة الاستطراد المتهور باسم التقدم، متخيلين أنفسنا أنصاف آلهة، ومتبرئين من تراثنا القديم، فإننا لن نكون شيئا.

—E. O. Wilson (1998: 298)

أردتُ بهذا الكتاب أن أناقش التاريخ الطويل للتطور المؤسسي الاقتصادي لعالم البحر الأبيض المتوسط، من ظهور التجار الفينيقيين حتى فجر العالم الجديد الذي خلقته الإمبراطورية الرومانية. لا بد أن يسترشد فهم الاقتصاد الإمبراطوري الروماني شديد التطور بالخبرة التاريخية للحضارات الكثيرة الأخرى التي سبقته في عالم البحر الأبيض المتوسط الأوسع. فالهيمنة السياسية الرومانية التي بدأت في نحو عام ٢٠٠ ق.ح كانت نقطة نهاية، لا بداية، لعملية الاندماج الاقتصادي البطيئة من خلال البحر والأنهار الرئيسة والطرق البرية الممتدة وشديدة القِدم في غرب آسيا وشمال أفريقيا وأوروبا. تتفوق الإنجازات الرومانية التي بُنيت على خبرة العصر الحديدي على أي شيء آخر حتى القرن الثامن عشر من الحقبة المشتركة في أوروبا في الكثير من المجالات. وما قدمته هنا مجرد استعراض للموضوعات الرئيسة وعرض لأحدث الأعمال حول تطورات علم اقتصاد "العصر المحوري".

تلوح الإمبراطورية الأخمينية ضخمة في هذه القصة. ومع أنها ظلت غالبا في الخلفية، فإنها كانت اللاعب الأساسي في منتصف الألف الأول قبل الحقبة المشتركة، إذ امتد سلطانها من الجزر الإيجية إلى آسيا الوسطى، كما أن مؤسساتها الإمبراطورية مُثْبَتة على امتداد أكبر إمبراطورية برية في الغرب قبل روما، سيطرت على خمسة ملايين ونصف المليون كيلومتر مربع. ومع ذلك فإن هذه الإمبراطورية الكبيرة غالبا ما تتعرض للتجاهل في سياق الألف الأول قبل الحقبة المشتركة، مع أنها أثرت بشدة على النصف الثاني من الألف الأول قبل الحقبة المشتركة.

كانت معظم أعمال الأجيال السابقة من الدارسين حول "الاقتصاد القديم" ساكنة ووصفية، إذ حللت الاقتصاد "الكلاسيكي" إما في إطار واحد أو مناطق أو بلدات بعينها من البحر الأبيض المتوسط القديم، في حين تسعى الأعمال خلال الأربعين سنة الأخيرة إلى تجاوز هذا الإطار، بالبحث عن نماذج حركية، وتأكيد التلاقح والتباين الثقافيين، بدلا من خط التطور الأوحد. كانت الحضارات التي تطورت حول حوض البحر الأبيض المتوسط تشبه تروس ساعة أنتيكيثيرا، بمعنى أن بعضها كان صغيرا وبعضها كان أكبر، وأن كل منها تحرك بسرعات مختلفة، لكن باعتبارها جزءا مترابطا من كل واحد. وقد كان التغير السياسي القوة الدافعة وراء التغير الاقتصادي الحاسم.

ذهبتُ في هذا الكتاب إلى أنه لم يكن هناك شيء من قبيل "الاقتصاد القديم"، بل يجب علينا أن نفهم التطورات على مستويات عدة، ليس المستوى المحلي أو "مستوى المنطقة الجزئي" وحسب، بل

أيضا كيف ارتبطت المنازل معا، وكيف ارتبطت المناطق بالكيانات السياسية، وكيف ارتبطت الأخيرة- بدورها- بدوائر التفاعل الاقتصادي الأوسع. لكن كل المادة الجديدة والأرشيفات الجديدة والمادة الأثرية الجديدة والبيانات العظمية والوراثية والمناخية الجديدة الثرية توحي بضرورة بناء إطار أكبر لفهم الاقتصادات ما قبل الحديثة. إن الجدل الكبير الذي ذكرته في بداية هذا الكتاب بين "أصحاب الموقف البدائي" و"أصحاب الموقف الحداثي" لم يعد مثمراً، ولا حتى مثيراً. فقد أُطِّر على نحو ضيق حول أصول الأسواق وبناء العصر القديم في علاقتها بالتاريخ الأوروبي اللاحق. بمعنى أنه نظر للأمام إلى التطورات اللاحقة في أوروبا بدلا من أن ينظر للخلف إلى الخبرة التاريخية لعالم شرق البحر الأبيض المتوسط الأوسع.

إن النماذج الجديدة، التي تستخدم النظرية الاقتصادية والاجتماعية من منظورات العلم الاجتماعي العديدة، جنبا إلى جنب مع الأرشيفات البشرية المأخوذة من المادة المكتوبة والأثرية، والأرشيفات الطبيعية الجديدة التي ينتجها العلماء في علم الوراثة وعلم المناخ القديم، ومجموعة كاملة من التخصصات الأخرى، تقدم لنا نافذة جديدة ومثيرة على تعقيدات عالم البحر الأبيض المتوسط ما قبل الحديث. وكما هي الحال في المجالات التاريخية الأخرى في الوقت الحاضر، لا يعد تنوع نطاقات التحليل إمكانية قائمة وحسب، بل إنه مطلب لا غنى عنه[1]. فالطريق للتقدم، في اعتقادي، يجب أن يكون واسعا ومنفتحا إلى أقصى حد من حيث مناهج البحث والنظرية واستخدام البيانات.

أعتقدُ أن أحد أجزاء الإطار الجديد يتمثل في النظر أبعد من التاريخ الاقتصادي المقسم حاليا إلى أقسام "الاقتصاد القديم" و"الاقتصاد اليوناني الكلاسيكي" و"الاقتصاد المصري". وقد بدأ الدارسون في كتابة ما يعد في حقيقته تواريخا "وطنية". ويمكن للدارس بالطبع أن يظل يعمل ضمن تلك الأطر السياسية الوصفية في بعض جوانب التاريخ المؤسسي، لكن يظل التكسب من الحرف الجنائزية وحرف التحنيط والدفن لكل من البشر والحيوانات المقدسة جزءا مهما وفريدا من الاقتصاد المصري خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة. إن المعتقدات مهمة في التاريخ الاقتصادي، وقد كانت حركة اليونانيين والاستتباب الروماني قوتين دافعتين رئيستين خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة. لكن يمكن أن تفوتنا أجزاء أخرى من عملية التغير، إذا أغفلنا تأثيرات التلاقح الثقافي. ولا نستطيع أن نفهم النشاط التجاري اليوناني دون الرجوع إلى دور التجار الفينيقيين في البحر الأبيض المتوسط خلال العصر الحديدي المبكر.

وبدلا من محاولة مقارنة المؤسسات الاقتصادية ما قبل الحديثة بالمؤسسات الأوروبية اللاحقة، يجب أن نركز على المقارنة الداخلية ضمن الاقتصادات ما قبل الحديثة. من الأشياء التي سيبرزها ذلك المنحى الاختلافات الهائلة التي أحدثتها الثقافة والبيئة والاقتصاد السياسي والجيوسياسي فيما كان عالما متباينا من أنماط الحياة في البحر الأبيض المتوسط خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة. وتنشأ الرغبة في إيجاد إطار جديد جزئيا عن الاهتمامات المعاصرة بالتأثيرات الإيجابية والسلبية للعولمة[٢]. لكن هناك أسباباً مهمة لفهم التاريخ الاقتصادي للبحر الأبيض المتوسط ما قبل الحديث في سياق التاريخ الاقتصادي الأوسع. فالحضارات الكبيرة التي ناقشتها هنا تشكلت، كما رأينا، بفعل بيئاتها وأنماط التغير المناخي، وكل من تحولات درجة الحرارة ونوبات الجفاف الأطول أمدا والهزات الأقصر أمدا.

في كتابه "سرقة التاريخ" The Theft of History، أوضح جاك غودي بعض المآخذ الواضحة على تفكيرنا الحالي بشأن التحقيب وفئات التحليل القديمة التي نقيّم التغير من خلالها، وأنا من جانبي استخدمتُ مصطلح "ما قبل الحديث" premodern على امتداد الكتاب وأنا واعٍ للمشكلات التي ينطوي عليها. إننا ننظر للتاريخ عادة من النهاية المعاصرة للأشياء، وهو التاريخ "الارتجاعي" retrospective history كما وصفه وتن Wootton[٣]. من الجيد أن نقرأ التاريخ ارتجاعيا، إذا جاز التعبير، حتى نفهم كيف وصلنا إلى ما نحن فيه، لكن فقط إذا قبلنا أن ذلك يفترض انتقالا خطيا لقصص نجاح متتالية، في حين أن العمليات التاريخية لا خطية في حقيقتها. وإذا ناقشنا فترات النجاح وحدها، فإننا نخاطر بالتضحية بالكثير من التطورات والتجربة والثراء الحقيقي، وأحيانا التجارب الفاشلة في العالم ما قبل الحديث. يُفَوّت ذلك علينا تقدير مدى أهمية الجغرافيا والمناخ بالنسبة للاقتصادات ما قبل الحديثة. وأعتقد أن هذا التباين في الحلول لمشكلة التماسك الاجتماعي والجمع بين القوى الدافعة الاقتصادية والطبيعية يقدم سياقا مفيدا ومهما لفهم ظروفنا الحالية.

إن كل الدول الإمبراطورية التي صادفناها خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة استوعبت- بقَدَر- ما سبقها وحولته ومحته (من أهم فقدناه المؤسسات التجارية الفينيقية)، وحدثت مجانسة ودمج متزايدان للأسواق خلال الإمبراطوريات الأكبر من الأخمينية إلى الرومانية. لقد فقدنا الكثير بسبب "السرقة" الإمبراطورية، وحلول إمبراطورية محل أخرى، لكننا فقدنا الكثير أيضا بسبب الإهمال. فلم تُفقَد مكتبة الإسكندرية العظيمة بسبب حريق أطلقه الغزاة الرومان أو المسلمون، بل على الأرجح

لسبب بسيط هو توقف عملية نسخ المخطوطات التي شكلت جزءا مهما من انتقال النصوص وحفظها[٤]، وذلك درس لعصرنا. لكن بقيت لنا بقايا أخرى من اقتصادات البحر الأبيض المتوسط ما قبل الحديث. وكما ذهبتُ في هذا الكتاب، فإن الدارسين عندما يصفون سمة وردت في نص قديم بأنها "حديثة" إلى حد مذهل، فإن ما يبرزوه في حقيقة الأمر هو سمة قديمة لعالمنا

في مذهب الكثير من المؤرخين الاقتصاديين، فشلت الإمبراطورية الرومانية والحضارات التي سبقتها، لأنها لم تطور مؤسسات سياسية "دمجية" مستدامة. لكنها قراءة على خلفية قصص النجاح الحالية. تكمن مشكلات مصر الحديثة في ماضيها القديم، قبل بناء السد العالي في أسوان، وكذلك في الاستغلال الاستعماري خلال القرن التاسع عشر، وليس فقط بسبب نخبتها السياسية الضيقة الحالية، أو لأن إنجلترا شهدت ثورة في عام ١٦٨٨ ولم تشهد مصر ثورة مماثلة[٥]. وقد أنتج تفاوت المياه الشديد، وبالتالي الإنتاج الزراعي، والجفاف والمجاعة الدوريان، والمرض، في الشرق الأدنى وفي مصر أبنية مؤسسية كبيرة تركزت حول المعابد التي شكلت مصدّات للأخطار المتواترة من سنة إلى أخرى. لكن لا الملك ولا هذه المعابد شكلت النشاط الاقتصادي برمته في جنوب غرب آسيا أو مصر. ولم يكن ذلك بالتأكيد مواتيا للنمو الحقيقي، لكنه كان جالبا للاستقرار.

إن تفسير النمو الحقيقي، رغم كونه جزءا أساسيا من الاقتصاد الحديث، ليس بهذه الأهمية لفهم الاقتصادات ما قبل الحديثة. توصف اتجاهات النمو بمزيد من الدقة بأنها "تتحرك في المكان" ولا توصف بـ"الركود"، وتكشِف عن حضارات شديدة التكيف والمرونة، تمتعت بفترات طويلة من الاستقرار[٦]. وفي مصر وغرب آسيا، كان يمكن لهذا الاستقرار السياسي أن يدوم لثلاثمائة أو خمسمائة سنة في المرة الواحدة. وهذا ما أرادت تلك الحضارات أن تخلقه: الاستقرار السياسي، وقد حققت في ذلك نتائج رائعة حقا. من التسرع أن نقارن الأداء الاقتصادي لدولتين مختلفتين، بل يجب بدلا من ذلك أن نسأل كيف تحققت توازنات سياسية بعينها ولماذا، وما القيم والأفكار الثقافية التي كانت مهددة بالضياع. وما ينبثق عن ذلك ليس سردية أحادية "للاقتصاد القديم"، بل العديد من هذه السرديات على نطاقات زمنية وجغرافية مختلفة.

ثمة أشياء عدة شكلت عالم البحر الأبيض المتوسط خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة. فقد انبثقت اقتصادات سياسية مختلفة جذريا في العالم اليوناني في وقت كانت تتشكل فيه دول إمبراطورية

جديدة في غرب آسيا. كانت مصر خلال العصر الحديدي المبكر عالما من الدول المدينية الافتراضية المجزأة في الدلتا ودولة ثيوقراطية في وادي النيل، كانت تحت سيطرة معبد آمون الكبير في طيبة. ثم توطدت السلطة السياسية المركزية مجددا خلال القرن السابع قبل الحقبة المشتركة الذي بدأت مصر فيه ترتبط بتجارة البحر الأبيض المتوسط الأوسع. كان التلاقح الثقافي والاتجاه نحو تزايد الاندماج أو الترابط بالغي الأهمية على امتداد الألف الأول قبل الحقبة المشتركة. وكان الحديد والفضة مهمين في كل مكان، وكان انتشار العملة، المهمة لكل من التجارة وللنظم الجبائية الحكومية، والتقنية العسكرية الجديدة، تشكل الأساس للعالم شديد التنافسية للدول المدينية اليونانية، وميّزت عصر ما بعد الإسكندر. وحدثت زيادة في استخدام الكتابة، وفي مجموعات القوانين، وفي الاتفاقات الخاصة. وكانت ظروف الحدود البيئية والتغيرات المناخية على نطاقات مختلفة، والاستجابات البشرية لها، مُحَدِّدات حاسمة للأداء، لكن ما يزال هناك الكثير من العمل الذي يجب إنجازه في هذا المجال.

إننا في العالم المعاصر نعيش في عصر "التبلد". فجميعنا نقطع أكثر فأكثر عن الطبيعة وعن البيئة وعن بعضنا بعضا بفعل التطور التقني[٧]، وكل احتياجاتنا اليومية تقريبا يمكن تلبيتها من خلال موقع أمازون أو التبادل الشخصي عبر وسيط الهاتف الجوال. لكن من عاشوا في البحر الأبيض المتوسط ما قبل الحديث، ومن عاشوا في أماكن أخرى من العالم، عاشوا في تناغم أكبر مع العالم الطبيعي، وإن لم يكونوا كذلك دائما مع بعضهم بعضا. وشكلت البيئات المحلية الاقتصادات السياسية وأنماط التبادل. وكان للتغير المناخي، المفاجئ والتدريجي، تأثيرات شديدة بالتأكيد على إنتاج الحبوب وأنماط التوزيع، والاضطراب الاجتماعي والحرب، وكذلك على النمو والتوسع.

كانت الهزات التي أحدثتها التغيرات المفاجئة في البيئة أو الجفاف أو الزلازل- على سبيل المثال- معروفة جيدا للسكان ما قبل الحديثين، الذين كانوا أشد حساسية منا حاليا للتغير المناخي، لأنهم كانوا على الأغلب ملاحظين أفضل منا للطبيعة. من ذلك على سبيل المثال أن النص الذي كُتب في مصر، على الأرجح في أواخر القرن الثاني قبل الحقبة المشتركة، بعنوان "نبوءة الخزاف"، يتنبأ بأحداث كارثية وأشياء ستحدث:

لن [يفيض] النهر إلا قليلا، [ولن يأتي] بمياه كافية، لذلك ستحترق [الأرض]، لكن بطريقة غير طبيعية. ففي زمن التيفونيين [هكذا سيقول الناس]: "يا مصر التعسة، [لقد] أساء إليكِ هؤلاء الأشرار [الفظيعون] الذين ارتكبوا الشر ضدك[١]".

وسوف تظلم الشمس، لكي لا ترى الشرور في مصر، ولن تستجيب الأرض للبذور. سيكون ذلك جزءا من نكبتها، وسيكون المزارع مطالبا بضرائب على ما لم يزرعه. سيتقاتل الناس في مصر، لأنهم لن يجدوا الغذاء، وما يزرعه أحدهم، سيحصده [غيره] ويأخذه.

عندما يحدث ذلك، ستقع [حرب ومذابح تقتل] الإخوة والزوجات. [ستحدث هذه الأشياء] عندما يرغب الإله الكبير هيفيستوس في العودة إلى [المدينة][٢]، وسيقتل نسّاجو الأحزمة بعضهم بعضا [لأنهم تيفونيون] ... سيعم الشر[٣]، وسيطاردهم مشيا على الأقدام [إلى] البحر وهو [في حالة] من الثورة، ويدمر الكثيرين منهم، لأنهم آثمون. سيأتي "الملك" من سورية، سيكون مكروها من الجميع ... ومن إثيوبيا (سيأتي) .... (ومعه بعض) الأشرار إلى مصر، وسوف يستقر [في المدينة التي] ستُهجر لاحقا[٨].

تُفَسّر المشاعر التي تتكشَّف في هذا النص (وهناك الكثير من النصوص الأخرى المماثلة، منها بالطبع سفر الرؤيا) عادة باعتبارها تجليات لاهوتية خالصة للقهر السياسي، أي باعتبارها عملا معاديا لليونانيين (الذين يسمون هنا "نسّاجي الأحزمة"، ويوضعون في خانة واحدة مع سيث إله الشر الأسطوري المصري الذي يسمى هنا "التيفونيين")، أو عمل "قومي" معادٍ للنظام البطلمي. لكن ثمة طريقة أفضل لقراءة النص، هي أن نضعه في سياقه التاريخي، أي القرن الثاني قبل الحقبة المشتركة (ربما تنطبق عليه كذلك سياقات تاريخية أخرى)، وأن نقرأ النص حرفيا باعتباره وصفا للضيق البيئي

(١) التيفونيون Typhonians نسبة إلى التيفون Typhon وهو في الدولة المصرية الحديثة المتأخرة إله الريح العاتية، الذي كان هو نفسه تطورا لإله الشر المصري القديم سيث Seth أو أبوفيس Apophis أو العفريت الذي اتخذ شكل ثعبان شديد الضخامة به طيات كثيرة بكل منها سكين حاد. والنسبة إليه تعني "الأشرار". [المترجم]

(٢) هيفيستوس Hephaistos هو إله الحدادين والنار والصناعة والبرونز في الميثولوجيا اليونانية، وهو الذي شج رأس أبيه زيوس لتخرج منه أثينا. [المترجم]

(٣) نساجو الأحزمة هم اليونايون الذين جاء في حاشية سابقة أن المصريين أسموهم "لابسي الأحزمة". [المترجم]

والاجتماعي الناتج عن المطالب الجبائية المتواصلة رغم نقص فيضان النيل. ويمكننا أن نذهب أبعد من ذلك قليلا دون أن نمعن في سرعة التصديق الساذج ونقول إن العبارات "لن [يفيض] النهر إلا قليلا، [ولن يأتي] بمياه كافية، لذلك ستحترق [الأرض]، لكن بطريقة غير طبيعية ... وسوف تظلم الشمس ... ولن تستجيب الأرض للبذور" وصف حرفي لسُحب الغبار الناتجة عن ثورانات بركانية (على نحو مماثل لليوميات الفلكية البابلية) والتأثيرات التالية على فيضان النيل والزراعة التي ناقشتُها في الفصل الخامس. فلم تكن النبوءة معادية لليونانيين بطريقة مباشرة، بل كانت بالأحرى تفسيرا قديما للمُلك، ساوى بين الظروف البيئية المواتية والمُلك، والعكس، إذ تشير الظروف البيئية السيئة إلى وجود ملوك غير شرعيين. ومن اللافت للانتباه أيضا أن النص يذكر استمرار الضرائب بعد الفيضان السيئ والغزو من جانب الملك السوري (أنطيوخوس الرابع) في الوقت عينه، وهو وقت تكون مصر فيه ضعيفة.

إن البيانات المناخية الدقيقة من حيث تأريخها إذا ما عوملت باعتبارها أرشيفاً تاريخياً جديداً ومثيراً (وهكذا يجب أن تُعامَل)، سيصبح تحت أيدينا الكثير من المعلومات الجديدة، أكثر كثيراً من المادة التقليدية للتاريخ القديم. تُنشر نصوص جديدة بمعدل أسرع من ذي قبل، وتأتي في صيغ رقمية وتوضع في قواعد بيانات علائقية متاحة للجميع. وقد حققت المشروعات البحثية الأثرية على امتداد حوض البحر الأبيض المتوسط، وحاليا خارجه، نتائج مدهشة خلال الأربعين سنة الأخيرة، أوضحت الارتباطات بين البحر وغرب آسيا ومصر. وبذلك بدأ يتكون لدينا تقدير أفضل لحقيقة أن "العصر القديم" كان عالما أكبر كثيرا مما تخيلته الأعمال الرائدة لبوخر وماير وغيرهما. يتبلور عن ذلك، هكذا أتمنى، فهم أكثر ثراء للخبرة البشرية المعاشة، وما المشكلات التي واجهتها المجتمعات القديمة، وكيف حُلت هذه المشكلات (أو لم تُحل). أعطت اقتصادات الألف الأول قبل الحقبة المشتركة زخما للاقتصاد الروماني الذي استوعب الخبرات التاريخية للحضارات الأخرى الأقدم، تماما كما فعل القانون الروماني.

لن نجد أنواعا حديثة من النمو الاقتصادي، أو مخطوطات مفقودة لزينوفون توحي بأنه كان حقا الأب الفكري المباشر لآدم سميث أو بول ساملسن. لكن توثيق الألف الأول قبل الحقبة المشتركة يوضح لنا تنوع الحياة الاقتصادية للعالم ما قبل الحديث، ورؤية طويلة المدى للمؤسسات الاقتصادية التي ما تزال بيننا، ويثير مدى جديدا تماما من الأسئلة. ويظل من الصعب دراسة "الاقتصاد القديم"

إجمالا، حتى لو ركزنا على الاقتصاد اليوناني أو البطلمي وحدهما. فقد كان عالم البحر الأبيض المتوسط القديم شديد التنوع، وأتمنى أن أكون قد نقلت للقارئ شيئا من المعالم الثرية للبحر الأبيض المتوسط ما قبل الحديث، والترابطات، والتطورات المؤسسية طويلة المدى. لقد تحسنت مناهجنا للقياس الكمي للبيانات القابلة للقياس، ويُجرى حاليا الكثير من البحوث المثيرة على الجبهات الكثيرة نفسها، ولا شك أنني لم أغطِ كل الجوانب التي تستحق التغطية.

كانت القيم والمواقف والمعتقدات والمعنى في المجتمعات القديمة مختلفة تماماً عن نظيراتها لدينا. فقد كان تطور الإحسان واليورغيتيزم والتصدق، والتقليد الأقدم المتمثل في "إطعام الجوعى وكسوة العراة" في سير مقابر النخبة المصرية، جوانب مهمة للاقتصادات ما قبل الحديثة، يجب دمجها في مفاهيمنا عن الحياة الاقتصادية ما قبل الحديثة[٩].

إننا نرى في الأدلة من عالم البحر الأبيض المتوسط ما قبل الحديث بشرا فرادى، مبدعين ومغامرين ومخاطرين وخلاقين، ونرى أيضا العديد من الأشكال والمؤسسات الحكومية، ربما كان بعضها أفضل من غيرها في خلق الثروة والرفاه، لكننا نرى أيضا موضوع حماية كل مجتمع لمصالحه، ونرى مفاهيم قانونية متبصرة إلى حد لا يصدق، لا تختلف كثيرا في بعض الحالات عن رؤانا للعدالة، كما نرى أيضا قبح السلوك البشري. إننا باختصار يمكن أن نرى بشرا حقيقيين يحلون مشكلات، ويكسبون أرزاقهم، وينجون بأنفسهم، ونراهم أيضا أسرى حرب يباعون في أسواق العبيد أو مومسات للمعابد.

أكدت الأعمال البحثية الأحدث على معالم النمو الاقتصادي والرفاه ونوعية الحياة لدى سكان الألف الأول قبل الحقبة المشتركة، وعلى توزيع الثروة، وعلى تأثير الحرب. وكما حاولتُ أن أبين على امتداد الكتاب، فإن فهم تأثير التغير المناخي البطيء والمفاجئ ما يزال في بداياته. وقد أوضحتُ أن بيانات المناخ القديم عالية الوضوح تقدم للمؤرخين "أرشيفا طبيعيا" يعطينا إمكانية تطوير نماذج أكثر حركية للاقتصادات ما قبل الحديثة. ويمكن لمؤرخي العصر القديم من خلال الجمع بين التخصصات العلمية والإنسانية في فهم الاقتصادات ما قبل الحديثة أن يدركوا أخيرا "المشروع الأعظم للعقل" عند إي أو ويلسن E. O. Wilson[١٠]، وهو هدف ليس سيئ.

أثبت علم الآثار أهميته، لكن في بعض المجالات، مثل الألف الأول قبل الحقبة المشتركة، ما تزال الأعمال متأخرة. صحيح أن هناك مشروعات جيدة تُنفذ حاليا، لكننا قد نكون مقيدين بشدة فيما سنعرفه لاحقا. وقد تسببت الحروب والاضطرابات السياسية الحالية حول العالم في جعل الأعمال الأثرية في المناطق الأساسية في غرب آسيا وآسيا الوسطى شبه مستحيلة. لكن في مصر، شهدت الدلتا التي ظلت صامتة في الماضي، أعمالا مدهشة في تانيس وأماكن أخرى[٤]. وقد أمدتنا الأعمال الرائعة لفريقين فرنسيين في ميناء الإسكندرية ببعض الأدلة الجديدة الرائعة على الدور المهم الذي لعبته مصر على امتداد الألف الأول قبل الحقبة المشتركة في أنماط التلاقح الثقافي في البحر الأبيض المتوسط.

بدلاً من مجرد الوصف البسيط، ستؤكد الأعمال المستقبلية بدرجة أكبر على تفسير التغير على مر الزمن، وعلى التعقيد والتنوع، وعلى التفاعل بين الأماكن، وعلى النماذج الحركية. ويزودنا تأثير التغير المناخي على العالم القديم بكل جوانبه بـ"الإطار الجديد"[١١]. كما أن فهم الظروف المناخية في العالم القديم- من بين أشياء أخرى- يبيّن لنا أن الحضارات خلال الأزمنة القديمة نفسها كانت معولمة، بمعنى أنها كانت ترتبط معا بنفس الأحداث، مثل فشل الرياح الموسمية المؤدي إلى الجفاف، حتى وإن لم تكن في حالة اتصال مباشر فيما بينها. لم تُدمَج القيود البيئية والتغير المناخي تماما حتى الآن في أي من النظريات الاقتصادية الرئيسة في علم الاقتصاد المؤسسي الجديد أو علم الاجتماع الاقتصادي أو الأنثروبولوجيا أو غيرها من التخصصات من هذا المنظور، وذلك هو التحدي الماثل أمام الجيل التالي من الدارسين. ويعطينا فهم البيانات المناخية عالية الوضوح، لأول مرة، إمكانية بناء نماذج حركية تربط التغير المناخي بالجفاف والأزمات الغذائية وتحركات الأسعار والهجرة ونوبات تفشي الأمراض وحتى الحرب.

فيمكننا- على سبيل المثال- أن نأخذ دراسة بيتر براون Peter Brown المبهرة البارعة لعملية "الانتحال المسيحي" للأفكار القديمة حول الثروة والفقر والجماعة والمال، تلك العملية الطويلة البطيئة التي انبثقت عن العالم الروماني المتأخر وتطورت بالتلازم مع مؤسسة جديدة متزايدة الثراء والقوة في البحر الأبيض المتوسط، هي الكنيسة المسيحية، خطوات أبعد للوراء إلى الخطاب الأثيني إبان القرن الرابع قبل الحقبة المشتركة حول الثروة[١٢]. يذكّرنا ذلك بأن المعتقدات والثقافة مهمة في

(٤) تانيس Tanis مدينة مصرية قديمة في شمال شرق الدلتا على الفرع التانيتي البائد للنيل، تسمى حاليا صان الحجر في محافظة الشرقية. [المترجم]

تفسير التغير، وأن العالم المسيحي المبكر نشأ داخل الاقتصاد الإمبراطوري الروماني الذي استوعب بدوره- وأعاد تشكيل- عالما أقدم في البحر الأبيض المتوسط، انبثق من رماد انهيار العصر البرونزي.

تفتح المادة الجديدة والأفكار الجديدة، عندما تُجمَع مع البيانات العلمية الجديدة التي يولّدها يوميا علماء المناخ القديم وغيرهم من المتخصصين، تخوما جديدة، لا تكشف لنا عن عالم الثنائيات المتضادة بين البدائي والحديث، بل عن صورة ثرية حول كيف حل البشر المشكلات التي واجهوها في ظل قيود تختلف عما نعايشه اليوم. وبذلك أصبحت إمكانية كتابة أنواع جديدة من التاريخ الاقتصادي للعالم ما قبل الحديث، عالمية في نطاقها وأدق في تحليلها الاجتماعي، أقرب إلى التحقق من أي وقت مضى. وأتمنى تحديدا أن يأخذ الجيل الجديد من الدارسين الراية، فهناك الكثير مما يجب عمله، وهناك إمكانية مبشرة لأنواع جديدة من الأعمال خلال السنوات القادمة.

أختتم بفكرتين تشغلاني حالياً، الأولى هي أن دراسة الاقتصادات القديمة مهمة للرؤية الأطول أمدا للتطور الاقتصادي، وتذكّرنا كيف عاشت المجتمعات البشرية الأقدم المحنكة ضمن الطبيعة. لقد تميز القدماء بحس حدسي اعتبر "الطبيعة بطلا" باقتباس العبارة من دراسة بروس كامبل Bruce Campbell الممتازة. وهنا يوجد تضاد قوي بين العالم ما قبل الحديث والمعاصر. فقد عاش القدماء ضمن حدود العالم الطبيعي وقيوده، ولذلك لاحظوه بعناية فائقة، وبتفصيل مدقق، كما تبيّن اليوميات الفلكية البابلية. وفي حالات كثيرة، عبد القدماء العالم الطبيعي باعتباره تجليات للإلهي وللنظام الكوني. وعندما كانت الأمور تخرج عن التوازن، كانوا يجدون في ذلك إشارة على سياسة سيئة. أما نحن "الحديثون"، فإننا نركض بتهور بعيدا عن العالم الطبيعي. معنى ذلك أن هناك الكثير مما يمكن أن نتعلمه من أسلافنا، وإذا لم نتعلم منهم، فإننا نخاطر- بإعادة صياغة تعبير إي أو ويلسن- بأن نصبح لا شيء.

إننا نقف، كما أعتقد، على أعتاب عصر جديد للبحث التاريخي، سيكون (أو يمكن أن يكون) إسهام مؤرخي العصر القديم فيه كبيرا. لقد تقدم العلم بسرعة مذهلة خلال ربع القرن المنصرم، وقدم لنا أدوات جديدة للكثير من المشكلات، تعطي المزيد من الدقة في تحديد التواريخ، وتحسّن فهم الصحة والمرض البشريين والحيوانيين، وتحقق فهما أدق للتغير المناخي على نطاقات مختلفة واستجابة الإنسان لهذا التغير.

ربما تعزز الأداء الاقتصادي للإمبراطورية الرومانية بفعل "الفترة الهادئة الرومانية" خلال القرنين الأولين من الحقبة المشتركة، التي تزامنت مع فترة السلام الروماني، ومع اتجاه مناخي دافئ

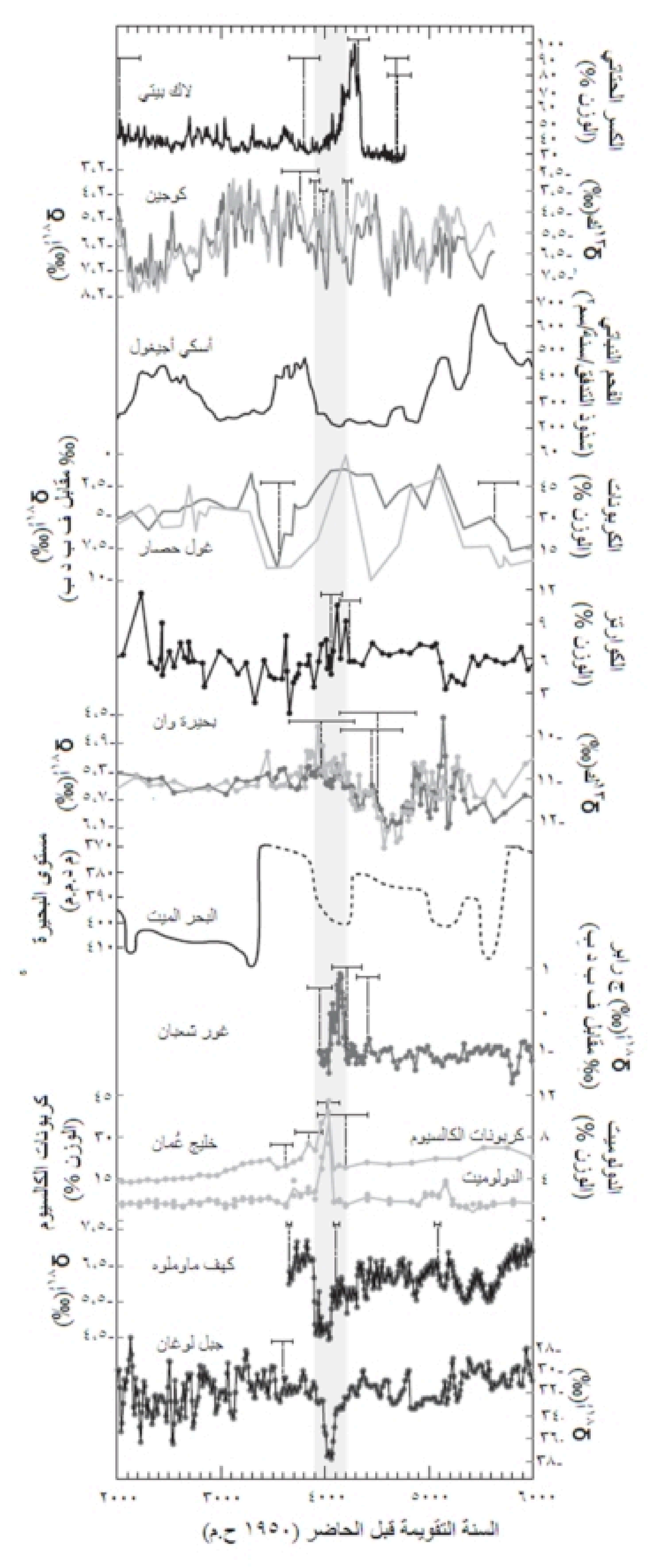
ومستقر في معظم البحر الأبيض المتوسط بداية من نحو عام ٢٠٠ ق.ح. لكن قصة جليد الدائرة المتجمدة الجنوبية وجزيرة غرينلاند وسجلات الثورانات البركانية المودعة فيها تخبرنا أن القرنين الأخيرين قبل الحقبة المشتركة لم يكونا فترة هادئة ولا مواتية بالنسبة لمصر. لذلك فقد أحسن هوردن وبورسل عملاً في كتابهما المؤثر حول التاريخ ما قبل الحديث للبحر الأبيض المتوسط عندما ميزا بين التاريخ "في" البحر الأبيض المتوسط الذي يحلل السياسة والاقتصاد والحرب، وتاريخ البحر الأبيض المتوسط الذي يتناول كيف تفاعل البشر مع البيئة الطبيعية للبحر.

وما اقترحته في هذا الكتاب هو أنه لا يمكن أن يكون هناك تاريخ "في" البحر بدون تاريخ البحر[١٣]. لقد كان المجتمع البشري والبيئات المتفاوِتة والمجزأة التي عاش فيها البشر حول البحر الأبيض المتوسط مرتبطين من خلال الحث التبادلي، وكان مصيراهما مجدولين معا في البحر المفتوح.

الملاحق

البيانات المناخية

تشكل البراكين الانفجارية إحدى القوى الدافعة الأساسية للتغير المناخي المفاجئ، وتمارس تأثيرها على نطاقات زمنية من سنة إلى أخرى، بالدرجة الأولى من خلال التأثيرات الإشعاعية المباشرة والتأثيرات الحركية غير المباشرة للأهباء الكبريتية التي تدخل في طبقة الاستراتوسفير وتبقى فيها حتى ثلاث سنوات[١]. وعلى ذلك فإن التأثيرات البركانية على المناخ عموما قصيرة المدى، لكنها كانت آلية دافعة لأنماط المطر، لا سيما في المناطق المعتمدة على الأمطار الموسمية[٢]. وفي حين تركز أغلب دراسات الدفع البركاني على درجة الحرارة، كانت المجتمعات دائما عرضة بدرجة أكبر لتغير مفاجئ في معدلات المطر. على أن هذه التغيرات أصعب في إعادة بنائها ونمذجتها، ومع ذلك فإن الدراسات الأخيرة لاحظت تأثيرات كبيرة ناتجة على معدلات المطر على مستوى العالم وعلى مستوى المناطق عن الثورانات البركانية. يبيّن الشكل (٤٧) العمليات الجيوفيزيائية والجيوكيميائية الأساسية التي نتجت عن دخول الكبريت في طبقة الاستراتوسفير. ويقدم الشكل (٤٣) سجلا جامعا متعدد البيانات التمثيلية للشذوذ المناخي في عام ٢ , ٤ أ.س. وفي الخط نفسه، يقدم الشكل (٤٤) سجلا جامعا متعدد البيانات التمثيلية لعام ٢ , ٣ أ.س، أي في وقت "انهيار" العصر البرونزي على وجه التقريب. ويكشف الشكل الأخير عن تغيرات واسعة الانتشار في معدلات المطر في شرق البحر الأبيض المتوسط. ويقدم الشكلان (٤٥) و(٤٦) إعادة بناء للتفاوت الشمسي[٣].



الشكل (٤٣) سجل جامع متعدد البيانات التمثيلية للشذوذ المناخي في عام ٢ , ٤ أ.س. يغطي الشريط العمودي ثلاثة قرون من "الانهيار والهجر وتتبع المواطن الطبيعية في شرق البحر الأبيض المتوسط وغرب آسيا، تزامنت مع نوبة جفاف شديدة"[1]**. من From Weiss (2016: 62). بإذن من Mark Besonen and Harvey Weiss.**

---

(١) في الشكل (٤٣): الغلوبيجيرينويدز رابر؛ ج رابر Globigerinoides ruber; G. ruber نوع من المنخربات الهائمة plaktonic foraminifera، وهي كائنات وحيدة الخلية تعيش قرب سطح البحر. تُستخدم نظائر الأكسجين من الحفريات الدقيقة لمنخربات البحر الأبيض المتوسط لاستنتاج المستويات العالمية لسطح البحر خلال الخمسة ملايين ونصف المليون سنة الماضية. [المترجم]

في الجيوكيمياء وعلم المناخ القديم وعلم المحيطات القديمة، تعبر العبارة δ^{18}أ (تُقرأ دلتا ١٨أ، و"أ" اختصار لكلمة الأكسجين) عن نسبة النظائر isotopic signature، وهي مقياس للأكسجين المستقر ١٨أ، يُستخدَم كمقياس لدرجة الحرارة والمطر، ومقياس لتفاعلات المياه والمعادن الجوفية. [المترجم]

يشير الاختصار "م د.م.م" m bmsl إلى "متر دون المستوى المتوسط". [المترجم]

يشير الاختصار "ف ب د ب" VPDB إلى نسبة نظير الكربون المستقر δ^{13}ك التي تُقاس في مقابل "فيينا بي دي بلمنايت" Vienna PeeDee Belemnite; VPDB، وهو نوع من الأحافير البحرية من فصيلة السهميات Belemnitella americana أُخذت من تكوين بيدي Peedee Formation الجيولوجي في كاليفورنيا الشمالية والجنوبية. [المترجم]

لاك بيتي Lac Petit بحيرة جبلية في جنوب جبال الألب الفرنسية، نتجت عن موجة حتاتية مفاجئة أطلقها هطول أمطار أشد وأكثر تواترا من المعتاد، شهدت تحولا كبيرا في تجمعات طحلب الدياتوم diatom في أعوام ٤٣٠٠-٤١٠٠ ق.ح بحسب التأريخ بالكربون المشع. [المترجم]

كوجين Kocain كهف بطول ٦٣٣ مترا، اكتُشف في مقاطعة دوشميالتي Döşemealtı بمحافظة أنطاليا التركية في عام ١٩١٩، بدأت دراسته من منظور علم الكهوف speleology في عام ١٩٤٦. [المترجم]

إسكي أجيغول Eski Acigol بحيرة في حوض مغلق في المنطقة الإيجية الداخلية من تركيا، تشتهر بمخزونها من كبريتات الصوديوم. [المترجم]

غول حصار Gölhisar بحيرة تقع جنوب غرب بوردور Burdur بين مدن غول حصار Gölhisar وجاودير Çavdır وديرميل Dirmil في جنوب غرب تركيا. [المترجم]

بحيرة وان Lake Van أكبر بحيرة في تركيا، تقع في شرق الأناضول. [المترجم]

سوريك Soreq (أو نحال سوريك Nahal Soreq، بالعربية وادي الصرار Wadi es-Sarār) أكبر وأهم الأدوية وأحواض التصريف في جبال الخليل (جبال يهودا) بين تل العاصور شمالا ووادي بئر السبع جنوبا في فلسطين. [المترجم]

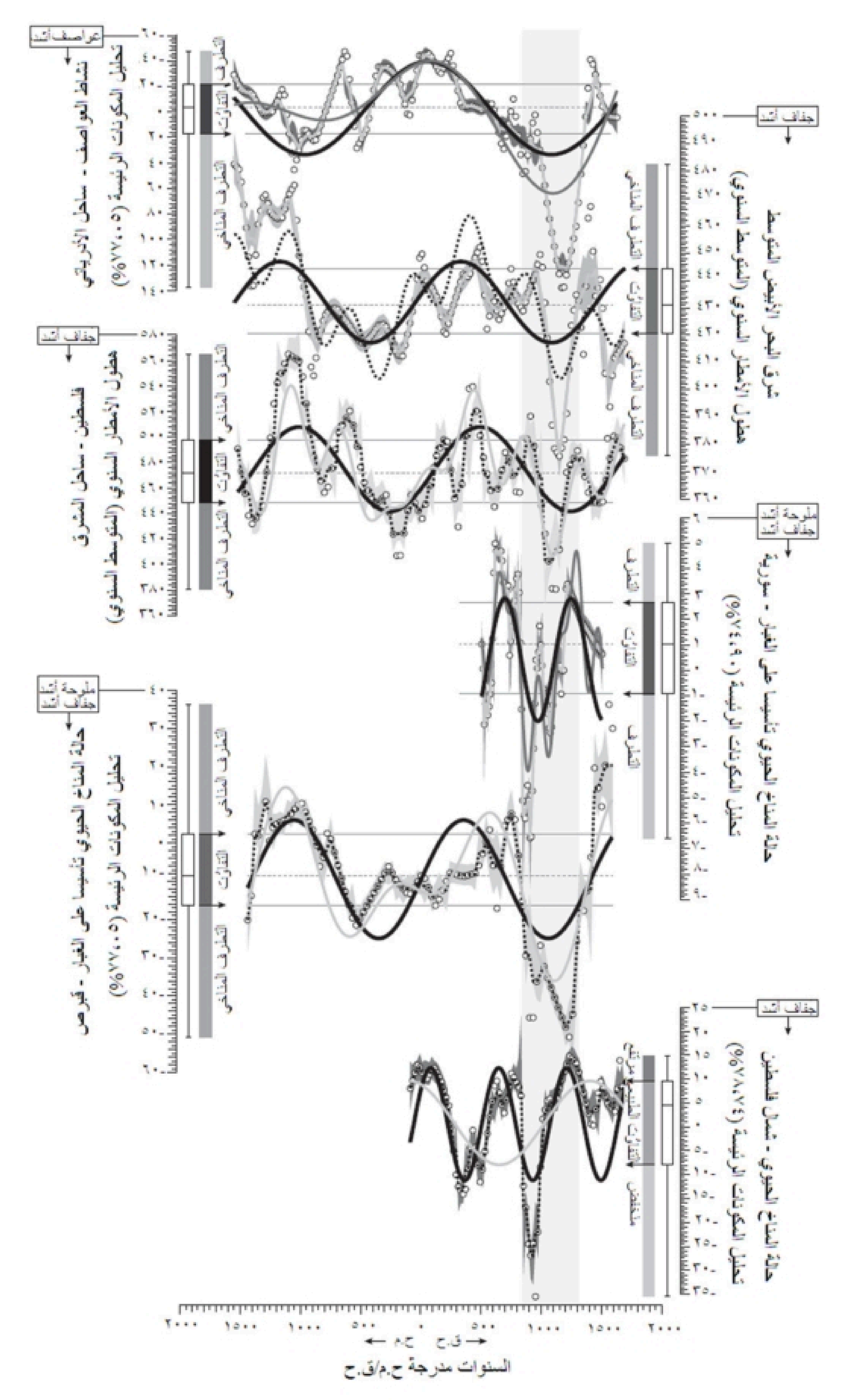
البحر الميت بحيرة ملحية مغلقة تقع في أخدود في الأردن ضمن الشق السوري الأفريقي. [المترجم]

غور شعبان Shaban Deep أحد أغوار البحر الأحمر، يقع في قاع البحر بين السودان والمملكة العربية السعودية، والغور البحري منطقة عميقة في قاع البحر فائقة الملوحة تخفي تحتها طبقة سميكة من الرواسب الغنية بالمعادن الاقتصادية. [المترجم]

خليج عُمان بحر يصل بين بحر العرب من ناحية ومضيق هرمز والخليج العربي من ناحية أخرى، يبدأ من رأس الحد في سلطنة عُمان حتى مضيق هرمز. [المترجم]

كهف ماوملوه Mawmluh Cave أحد كهوف ميغالايا Meghalaya Caves، وهي مجموعة من أطول كهوف العالم تقع في جينتيا Jaintia وجبال خاسي Khasi Hiils وجبال غارو Garo Hills في شمال شرق الهند. [المترجم]

جبل لوغان Mount Logan أعلى جبل في كندا وثاني أعلى قمة جبلية في أمريكا الشمالية. [المترجم]

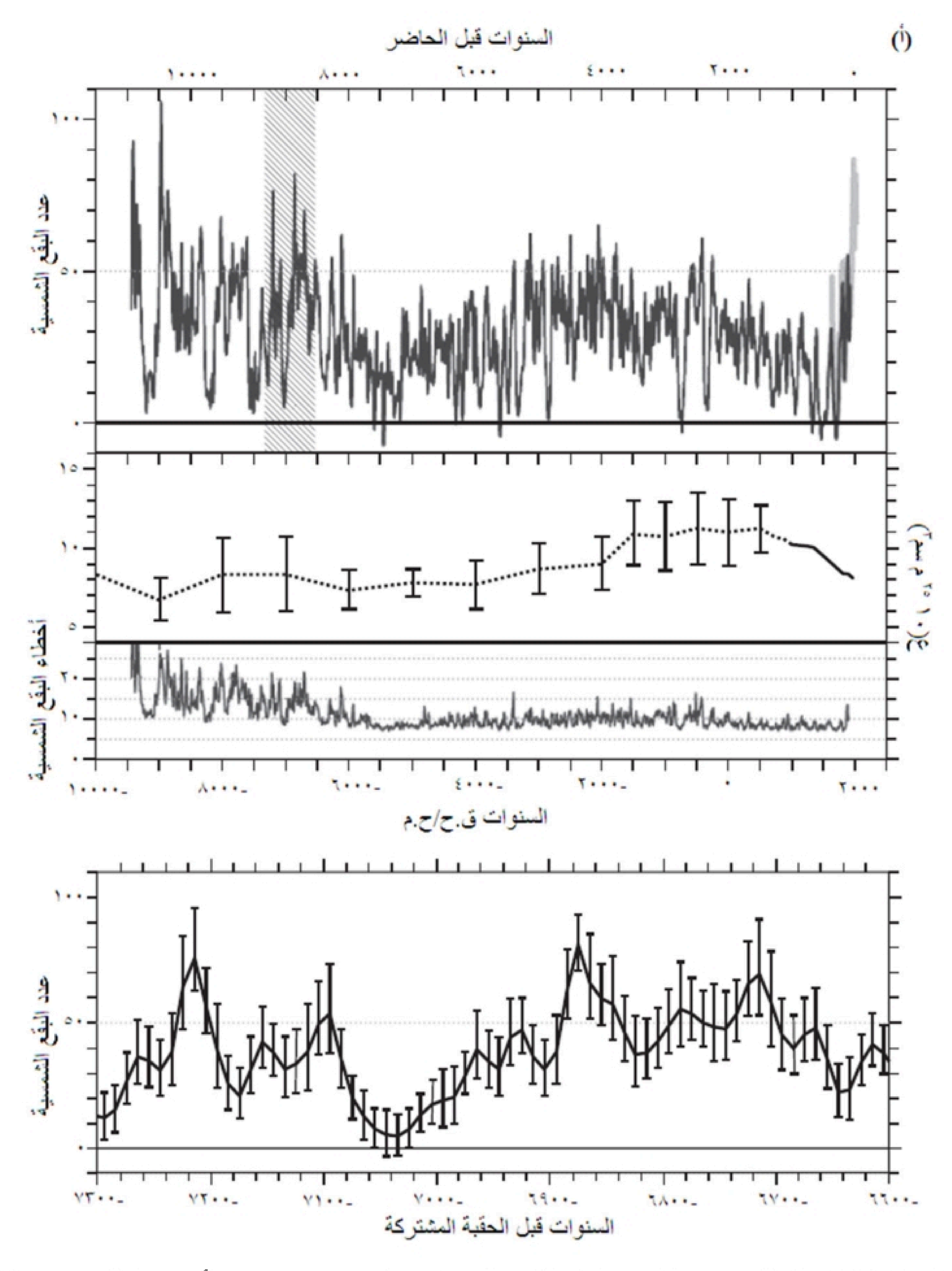


الشكل (٤٤) سجل جامع متعدد البيانات التمثيلية للشذوذ المناخي في عام ٣,٢ أ.س، "انهيار العصر البرونزي" [٢].

الشكل مأخوذ من Kaniewski, Guiot, and van Campo (2015).

---

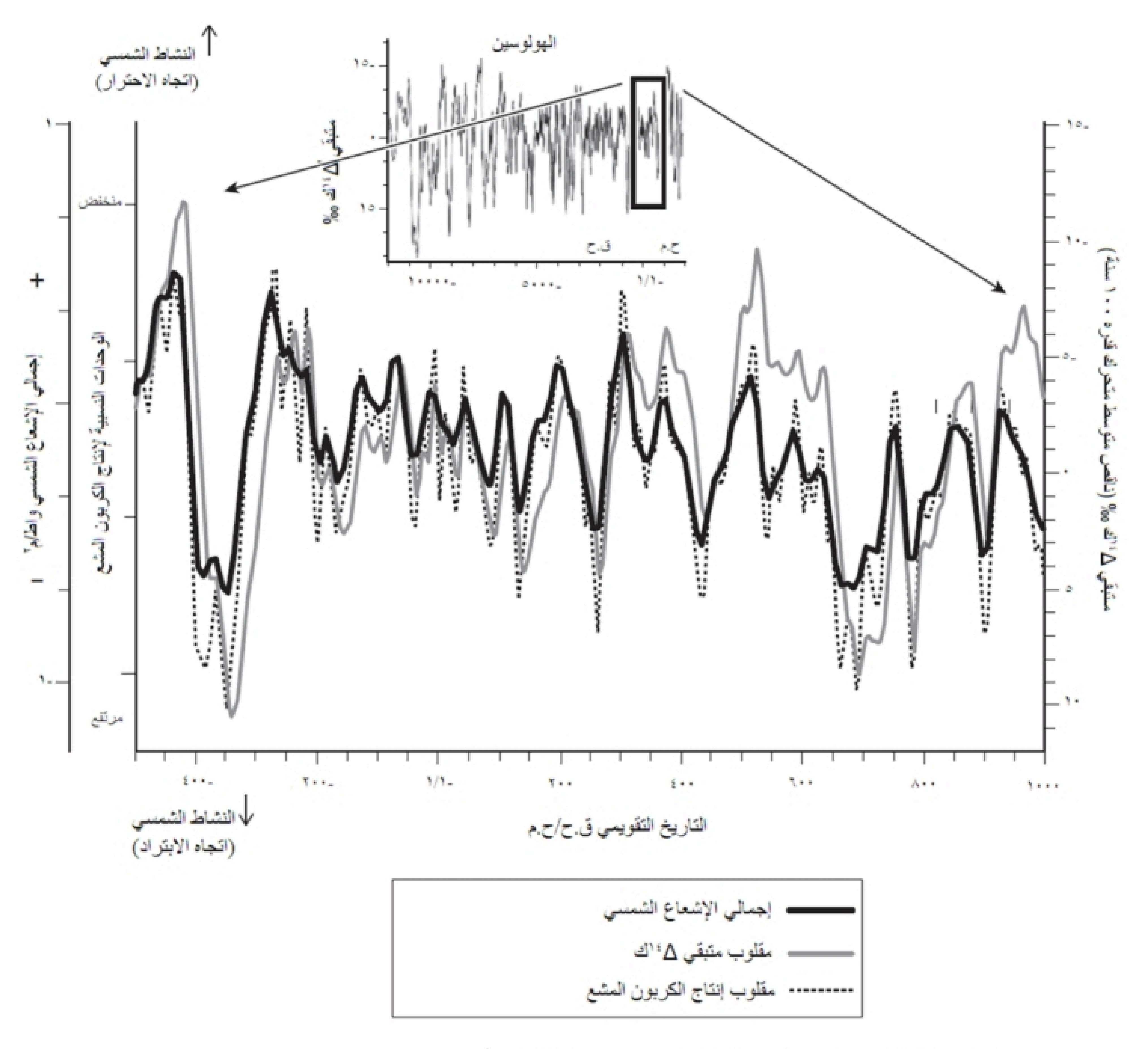
(٢) في الشكل (٤٤): تحليل المكونات الرئيسة Principal Component Analysis; PCA-Axis 1 إجراء إحصائي يستخدم التحويل المتعامد لتحويل مجموعة من المتغيرات المترابطة إلى عدد أقل من المتغيرات غير المترابطة تُسمى المكونات الرئيسة، تساعد في تفسير المعطيات المعقدة. [المترجم]



الشكل (٤٥) النشاط الشمسي مقاسًا بعدد البقع الشمسية؛ ب ش sunspot number; SN. (أ) متوسط البقع الشمسية لعشر سنوات أعيد بناؤها من بيانات نسبة النظائر (Δ^{14}ك) منذ عام ٩٥٠٠ ق.ح (المنحنى الأزرق)، ومتوسط البقع الشمسية الجماعية group sunspot number; GSN لعشر سنوات، تراكمت من الملاحظات التليسكوبية منذ عام ١٦١٠

التفاوُت variability بالمعنى الوارد على امتداد الكتاب. [المترجم]

(المنحنى الأحمر)[٣]. الشكل مأخوذ من S. K. Solanki et al. (2004). Data at ftp: //tp.ncdc.noaa.gov/pub/data/paleo/climate _forcing/solar_variability/solanki2004-ssn.txt.



الشكل (٤٦) التغيرات في النشاط الشمسي[٤]. الشكل مأخوذ من McCormick et al. (2012).

(٣) في الشكل (٤٥): Δ١٤ك دلتا نظير الكربون المشع ١٤ك. [المترجم]

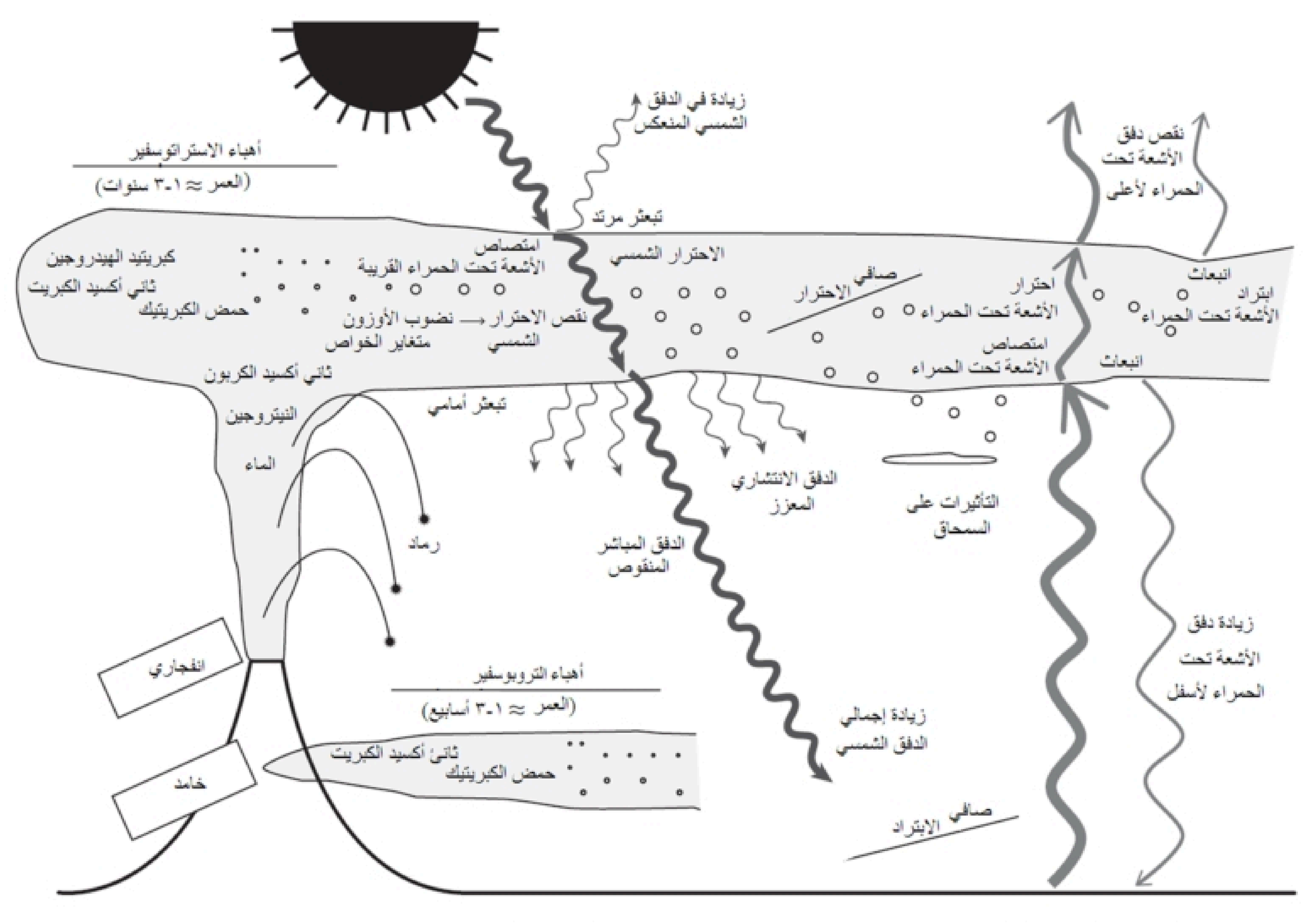
ترمز "ع" إلى العزم ثنائي القطبية المغناطيسية Geomagnetic Dipole Moment، وهو مقياس لشدة مغناطيسية النظام. [المترجم]

ترمز "م" إلى المغناطيسية. [المترجم]

(٤) في الشكل (٤٦): إجمالي الإشعاع الشمسي Total Solar Irradiance; TSI. [المترجم]

مقلوب متبقي الكربون المشع Residual Δ ^{14}C INVERTED. [المترجم]

مقلوب إنتاج الكربون المشع ^{14}C production INVERTED. [المترجم]



الشكل (٤٧) التأثيرات المناخية للثورانات البركانية[٥]. الشكل مأخوذ من Robock (2000: figure 1).

لاحظ أن التغذية الراجعة من الغلاف الجوي للمحيطات غير مصورة هنا.

(٥) في الشكل (٤٧): السُمحاق cirrus clouds سحب ناصعة البياض على ارتفاعات عالية تشبه الصوف. [المترجم]

هوامش الفصول

تصدير

١. Hicks (1969: 1). فائز بجائزة نوبل في عام ١٩٧٢ بالاشتراك مع كينيث أرو Kenneth Arrow الذي توفي وأنا أكتب استنتاجات هذا الكتاب (٢١ فبراير ٢٠١٧). انظر "John R. Hicks—Prize Lecture: The Mainspring of Economic Growth." Nobel-prize.org. Nobel Media AB 2014. Web. August 22, 2016. http://www.nobelprize.org/nobel_prizes/economic-sciences/laureates/1972/hicks-lecture.html.

2. Morris and Manning (2005b: 14).

٣. Broodbank (2013: 595). حول الاتصال الثقافي باعتباره إحدى القوى الدافعة للتغيير، انظر W. H. McNeill (1992). وأنا هنا أتبع Morris (2010) في تعريفه للمركز الغربي western core الذي يشمل غرب آسيا ومصر.

٤. Morris, Saller, and Scheidel (2007: 10). Cf. Goody (2006). حول "الصدارة عبر الزمن"، انظر Stiner et al. (2011). وحول الافتراق الأوروبي، انظر أحدث ما نُشر Hoffman (2015).

5. Xen., *Ways and Means* 1.5.

٦. Bruce Campbell (2010: 309) الذي يتناول إنجلترا ما قبل الصناعية، لكن بتشعبات عالمية. يمكن أن تُرى ذلك بوضوح في دراسات التاريخ الكلي macrohistory مثل Christian (2004)، لكن كما أذهبُ في الفصل الخامس، فإن البيانات التمثيلية عالية الوضوح للمناخ القديم (أي الدقيقة من حيث تأريخ زمن حدوثها) تقدم إمكانات لتحليل أوفى للتغذية الراجعة ضمن نظام الحث التبادلي الطبيعي-البشري.

٧. فيما يلي، الفصل الخامس.

٨. أتفق مع تعليقات Morris (2003: 45)، ومع تأكيد Broodbank's (2013) على التطور والتفاعل طويلي المدى.

٩. بين عامي ١٩٩٥ و٢٠٠٩، عُقد ستة عشر مؤتمرا حول الاقتصاد اليوناني-الروماني de Callataÿ (2014: 5n1). لا يشمل ذلك العدد بالطبع اللقاءات حول اقتصادات مصر والشرق الأدنى القديمين، أو المؤتمرات العامة العديدة التي عُقدت منذ عام ٢٠٠٩. توجد قائمة مراجع ألمانية إضافية في von Reden (2015).

١٠. انظر- على سبيل المثال- الكتاب الممتاز الذي حرره (W. Harris (2013a حول بيئة البحر الأبيض المتوسط، لكنه خُصص كاملا تقريبا لموضوعات رومانية.

11. Mair and Hickman (2014).
12. Hirth (2016: 18).

١٣. (E. Jones (1988: 90. توجد مناقشة جيدة لبعض الموضوعات التي أتناولها في (Demand (2011. ويوجد كتالوج ثري للثقافة المادية وبعض المقالات الممتازة حول أنماط التبادل خلال العصر الحديدي في (Aruz, Graff, and Rakic (2014.

14. M. Greene (2000).

١٥. (Butzer (2005); R. Adams (2012. بالنسبة للعمل في فريق، فإن مجموعة مايك مكورميك في جامعة هارفارد تعد مثالا ممتازا: http://sohp.fas.harvard.edu. يعد مشروع سشات مثالاً جيداً لما يمكن لفريق عالمي إنجازه: http://seshatdata bank.info.

١٦. انظر تقرير الأكاديمية الوطنية للعلوم: /https://www.ncbi.nlm.nih.gov/books/NBK210155. وذلك المفهوم في رأيي أهم من مفهوم "توافق الأدلة" consilience عند إي أو ويلسن بالنسبة لفرص الأعمال المستقبلية في الاقتصادات ما قبل الحديثة، إذ أعتقدُ أننا في حاجة إلى فرق عمل مرنة منظمة حول أسئلة ومشكلات تاريخية.

١٧. انظر- على سبيل المثال- مجموعة المقالات الممتازة التي تركز بالدرجة الأولى على التاريخ الروماني في (W. Harris (2013a.

18. Donald McCloskey (1976: 454); Spolaore and Wacziarg (2013).
19. Mann (1986).

٢٠. يشمل الكتاب (Gerring (2012 مقدمة جيدة في مناهج البحث في العلم الاجتماعي، وهو نفسه ما شدد عليه (Jongman (2014a: 169. حول النظرية التطورية الثقافية، انظر ;(D. Wilson (2002 (Bowles (2004); Richerson and Boyd (2005); Turchin (2013، وما يلي. حول رانكه، انظر تعليقات (Finley (1985: 47–66.

٢١. انظر (Haber (1999: 310–11 الذي يقارن مقاربات العلم الاجتماعي إلى "التاريخ التقليدي".

٢٢. (Mokyr (2016. حول نقد للتاريخ الثقافي، انظر (Haber (1999.

٢٣. Streuver and Holton (1979). http://www.caa-archeology.org/about-us/about/.

٢٤. حول حياة بوتزر المهنية، انظر النعي والسيرة التي كتبها (Mathewson (2017.

٢٥. Morris and Manning (2005a).

٢٦. كان لقاء شيكاغو بالتأكيد أحد أوسع وأفضل اللقاءات التي أجريت في النصف الأخير من القرن العشرين للدارسين المهتمين بالاقتصادات القديمة، مع أنه- على حد علمي- لم يناقَش باستفاضة في تاريخ الدراسات. كان من بين المشاركين شاب يدعى روبرت مكورميك أدامز Robert McCormick Adams لم يكن قد مر على حصوله على الدكتوراه (علم آثار الشرق الأدنى) غير سنتين على الأكثر، وليام إف ألبرايت William F. Albright (علم آثار الشرق الأدنى)، وجون ويلسن John Wilson (علم المصريات)، وليام إدجرتن William Edgerton (علم المصريات)، آي جاي جيلب I. J. Gelb (علم الآشوريات)، هانز غوتربوك Hans Güterbock (علم الحثيات Hittitology، نسبة إلى الإمبراطورية الحثية)، ديفيد غرين David Grene (الدراسات الكلاسيكية)، ميرتشا إليده Mircea Eliade (الدِين)، ليو اشتراوس Leo Strauss (الفلسفة السياسية)، كارل بولاني Karl Polanyi (علم الاقتصاد، جامعة كولومبيا)، فريدريش هايك Freidrich Hayek (دارس الاقتصاد والناقد الشرس لبولاني، الذي أُدرِج ضمن أعضاء لجنة الفكر الاجتماعي Committee on Social Thought في جامعة شيكاغو بسبب التوتر بين قسم علم الاقتصاد ورئيس الجامعة روبرت ماينارد هاتشنز Robert Maynard Hutchins)، وليام إتش مكنيل William H. McNeill (التاريخ)، براد ويلز Brad Welles (التاريخ القديم، جامعة يل)، سول تاكس Sol Tax (الأنثروبولوجيا). توجد قائمة كاملة بالمشاركين في Kraeling and Adams (1960: xi–xiv). في أيام ديسمبر الدافئة: https://weatherspark.com/history/30851/1958/Chicago-Illinois-United-States.

27. Turchin et al. (2015). http://seshatdatabank.info.
28. L. Hunt (2014); Stearns (2010).
29. Christian (2004); Shryock and Smail (2011).

٣٠. Trivellato (2011)، قارن Hickey (2009) حول التاريخ الجزئي وعلم البرديات.

٣١. Hickey (2009) الذي يناقش كتابة التاريخ من البرديات المصرية.

٣٢. Morris (2013: 18) الذي يستعرض Tilly (1984: 46–50).

٣٣. Bagnall (1995) حول المشكلات المحددة المتعلقة بالتحقق من الفرضيات القابلة للتفنيد حتى مع الكثافة النسبية للمادة التي تقدمها البرديات الوثائقية من مصر.

مقدمة

التاريخ والنظرية والمؤسسات

مقاربة الاقتصاد القديم

١. http://www.nature.com/news/human-skeleton-found-on-famed-antikythera-shipwreck-1.20632. أشكر جيسيكا لامون Jessica Lamont على إخباري بهذا الاكتشاف الجديد.

٢. Hannah (2008: 744). حدث نقاش وتحليل موسعان للآلة خلال العشرين سنة الأخيرة. انظر مراجعة في Marchant (2009)، وحاليا الدراسة أحادية الموضوع Alexander Jones (2017). كذلك يقدم الموقع الإلكتروني http://www.antikythera-mechanism.gr/project/overview قائمة مراجع مُحَدّثة.

٣. تناول Needham et al. (1986) الساعات الميكانيكية الصينية المبكرة.

٤. http://www.hublot.com/en/news/mp-08-antikythera.

٥. توجد مراجعة وملاحظات جيدة لعدة دارسين يعملون على الساعة في Marchant (2006).

6. Nafissi (2000).
7. Hopkins (1983); Scheidel and von Reden (2002: 2).
8. Kemp (2006: 334).
9. Weber (1998[1909]); Searle (2010).

١٠. حول تطور الأسواق على المدى الطويل، انظر على سبيل المثال van der Spek, van Leeuwen, and van Zanden (2015)

11. Bates et al. (1998).
12. Mokyr (2016).
13. Kemp (2006: 303).

١٤. يبحث مشروع سشات حالياً إطار العصر المحوري. Turchin et al. (2015). حول ياسبرس، انظر see Miron (2012)، وما يلي. قارن Graeber (2011: 223–50).

١٥. قارن Turchin et al. (2015: 88).

١٦. لقد لاحظتُ– على سبيل المثال– أن ثلاثة كتب مهمة ظهرت أو ستظهر في الفترة ٢٠١٤–٢٠١٦ حول الاقتصاد اليوناني القديم وحده، Migeotte (2014); E. Harris, Lewis, Woolmer (2016) and Bresson (2016)، والأخير ترجمة إنجليزية لعمل نُشر في الأصل باللغة الفرنسية في عامي ٢٠٠٧ و٢٠٠٨.

17. Frederiksen (1975).

١٨. حول إيطاليا المبكرة، انظر Morel (2007)

١٩. انظر على سبيل المثال Morkot (2016) حول التجارة المصرية ضمن سياق أفريقي.

٢٠. Horden and Purcell (2000: 4). Reger (1994); Reger (2011); Archibald (2013: 193–248)
حول "المنطقة الكبرى" شمال بحر إيجة، (2000) Horden and Purcell.

٢١. Wrigley (2010: 9). حول "أول اقتصاد حديث"، انظر (1997) DeVries and van der Woude.

٢٢. أذهلتني معالجة (2016) Hirth للاقتصاد الأزتكي باعتباره "اقتصادا قديما". من شأن المقارنة مع البحر الأبيض المتوسط ما قبل الحديث أن تعطي نتائج مثيرة.

٢٣. انظر المقالة (2016) .Izdebski et al التي تناقش قضايا مناهج البحث عند دمج التغير المناخي الماضي والتحليل التاريخي.

24. Finley (1999: 9).

٢٥. حظي مفهوم "الانضواء" embeddedness في الاقتصاد القديم باهتمام كبير، حول إمكانية تطبيقه الواسع على الحياة الاقتصادية، انظر (1985) Granovetter، انظر الملخص الذي يقدمه Launaro (2016).

٢٦. حول الجمعيات الخاصة، انظر (2007) see Gabrielsen.

٢٧. انظر (2015) Plender. حول نقد الرأسمالية، انظر مراجعة للأدبيات في (2016) Lipartito.

28. Arthur (2015: ix).

٢٩. انتقد (1951) Finley هذه الدراسة. انظر أيضا (1995) Gagarin الذي شدد على نحو صحيح على نقص الأدلة الذي يحول دون التيقن من مفهوم "الوحدة".

٣٠. انظر اللمحة الموجزة لحياة فينلي المهنية في (1981) Shaw and Saller.

31. Nafissi (2005: 195).

32. Naiden (2014).

٣٣. حول مفهوم "الاستبداد الشرقي"، انظر ما يلي، الفصل السادس.

٣٤. انظر استعراض مسيرة فينلي المهنية في سلسلة مقالات نُشرت في عدد خاص من المجلة الأمريكية للفيلولوجيا *American Journal of Philology* عدد ١٣٥/ ٢ (صيف ٢٠١٤). انظر أيضا Shaw and Saller (1981); Bresson (2003a and b); Walbank (2004); Nafissi (2005: 191–283); Tompkins (2008); and Tompkins (2016) حول خلفية فينلي.

٣٥. Nafissi (2005: 206). حول (1855–1930) Meyer، انظر (1990) Calder and Demandt.

٣٦. حول روستوفتسيف، انظر (1986) Austin. حول تطور فكر فيبر، انظر Swedberg (1998: 173–206). حول بولاني، انظر (2004) Granovetter.

37. Nafissi (2005: 267).

٣٨. انظر استعراض ونقد في (2013) E. Harris.

٣٩. انظر (2016) Jew, Osborne, and Scott.

40. Nafissi (2005: 203).

٤١. حول ماير، انظر (55–53 :1985) Finley. تعرض (1972) Fraser's *Ptolemaic Alexandria* لنقد قاسٍ في نفس الكتاب 66–62 .pp، الذي يعتبره "تاريخا مزيفا" ومثالا "لتخصص الأثريات الواقع في شراك المفارقة التاريخية" anachronistic antiquarianism. قارن (2006) Morris. لم يكن فينلي مخطئاً في ملاحظته أن فريزر افتقر إلى أي نوع من التوجه النظري نحو التحضر، وأنه كان أكثر اهتماما برصد الحقائق منه بالتحليل الاقتصادي للمدينة القديمة. لكن لا يزال هذا العمل الرواية المعيارية لما عُرف حول المدينة. لم يبدأ البحث الأثري السليم للإسكندرية إلا خلال السنوات الأخيرة عندما أصبح العمل تحت الماء ممكنا، وقد أضاف هذا العمل الكثير من المعلومات الجديدة. انظر ما يلي.

٤٢. حول تأثير فيبر على فينلي، انظر (Morris (1999: xxxiiin10.

٤٣. انظر (1999) Morris حول السياق الممتاز للكتاب.

٤٤. (2016) Launaro. انظر النقاشات القيّمة وعددا من الانتقادات في *Annales: Histoire, Sciences Sociales* 50/5 (1995).

٤٥. حول تحليل ممتاز، انظر (2005) Nafissi. وأنا هنا أتبعه مباشرة. انظر أيضا مراجعة Tompkins (2008) لنفيسي Nafissi.

46. Nafissi (2005: 49).
47. W. Harris (2011a: 11); Frederiksen (1975: 164).
48. Shaw (2001: 431).
49. Finley (1999: 22).

٥٠. استخدم فينلي مفهوم "المكانة" status بطرق مختلفة، انظر حول ذلك (61–960 :2013) Zurbach.

٥١. حول زينوفون، انظر .(1994) Pomeroy.

52. Finley (1965b: 29).
53. Finley (1999: 21).
54. Frederiksen (1975).
55. Frederiksen (1975: 165).
56. Frederiksen (1975: 166).
57. Frederiksen (1975: 168).
58. Frederiksen (1975: 169).
59. Frederiksen (1975: 171).

٦٠. Von Dassow (2011). حول مصطلح "المواطنين الأحرار" *mar-banê* في النصوص البابلية، انظر Jursa (2010: 57). في اللغة المصرية، استخدم المصطلح "نمح" *nmh* للإشارة إلى "الشخص الحر" أو الأرض "غير المرهونة". انظر Moreno García (2016b: 232–38). قارن Goody (2006: 58).

٦١. يقدم Russo (2004) تلخيصاً مفيداً للعلم الهلنستي، يشمل تقييماً لما فقدناه.

62. Nafissi (2005: 277).

٦٣. يوجد تلخيص جيد لفينلي وتأثير كتابه "الاقتصاد القديم" في Morris (1999), and Andreau (2002).

64. Morris (1994); Andreau (2002: 33).
65. Millett (1991: 9).
66. Nafissi (2005: 232).
67. Nafissi (2005: 227).

الفصل الأول

اتجاهات جديدة وسياقات أوسع لدراسة الاقتصادات ما قبل الحديثة

1. Sewell (2005: 1).
2. Bang (1998).
3. Sewell (2005: 2).

٤. يقدم العملان Verboven (2015a) and Verboven (2015b) عرضاً جيداً لاستخدامات النظرية والنماذج في دراسة الاقتصادات القديمة.

٥. حول محاولة للتوفيق بين الاثنين ضمن المادية التاريخية، تذهب إلى أن التحديد التاريخي historical specificity بالغ الأهمية، انظر John Haldon (2015).

6. Rathbone (1991); Christesen (2003); Bresson (2016).

٧. Ekelund and Hébert (2014: 627). توجد مقدمة جيدة لتاريخ الفكر الاقتصادي في Samuels (2013); Ekelund and Hébert (2014).

٨. كان بولاني Polanyi (1944) ومؤرخون مثل Braudel (1995[1949]) من أوائل نقاد استخدام التحليل الإحصائي.

9. Scheidel et al. (2007: 7).

١٠. انظر- على سبيل المثال- نموذج "اقتصاد البازار" bazaar economy للاقتصاد الروماني في Bang's (2008)، وانظر نماذج التدفق للدول المدينية اليونانية التي أعدها J. Davies (2005). في

حالة الشرق الأدنى، قدم Jursa (2010: 783–800) نموذجين أساسيين، هما نموذج "التتجير" commercialization والنموذج "التقليدي" traditional model. وفي حالة مصر القديمة، استرشد عمل Warburton's (1997) بكينز Keynes.

11. Mokyr (1991); Mokyr (2016); Bowles (2004); Beinhocker (2006).

١٢. انظر Arthur (2015). حول الاقتصاد الروماني، انظر Poblome (2015)، وانظر بشكل واسع Verboven and Poblome (n.d.). حول نقد موجز للتطور والتعقيد، انظر Morris (2013: 18–20).

13. Piketty (2014).

١٤. حول تاريخ علم الاقتصاد خلال القرن العشرين، انظر Morgan (2003).

15. L. Hunt (2014).

١٦. يذهب Scheidel (2017) إلى أن التفاوت رافق الازدهار دائما، وأنه لا يمكن فعل شيء غير الهزات العنيفة لإعادة توزيع الدخل.

١٧. قارن Morris (2010: 161, figures 3.3 and 3.7). انظر المراجعة المهمة Clark by R. Allen (2008). حول دراسات في علم السكان، انظر ما يلي.

١٨. من شأن التصفح السريع لدراسة Oleson (2008) حول التقنية الكلاسيكية أن تقنع القارئ بعدم قبول فكرة أن العالم الكلاسيكي كان ساكنا من حيث التغير التقني.

19. Shryock and Smail (2011: 244).

٢٠. كما أوضح A. Wilson (2014: 149).

٢١. من ذلك على سبيل المثال أن كينز، نقلاً عن E. Jones (1988: 53)، ذهب إلى أنه "لم يحدث تقدم في مستويات المعيشة حتى القرن السادس عشر أو السابع عشر". يقدم Stiner et al. (2011) منظورا مفيدا. حول النمو، انظر ما يلي.

٢٢. انظر المراجعة الممتازة Erdkamp (2016).

23. Salisbury (1973). Frederiksen (1975: 170, "a small and rather unimportant duel"); Posner (1980); Morris and Manning (2005b).
24. Wilk and Cliggett (2007: 4).
25. A.H.M. Jones (1974).
26. Wilk and Cliggett (2007: 13).
27. Morris (1994).
28. Morris (1994: 354).
29. Andreau (1995); Parkins (1998); J. Davies (1998).

٣٠. Jongman (1988). انظر المراجعة Frier (1991). حول المحاولات المحدودة من جانب مؤرخي التاريخ القديم، انظر Morris (2002).

31. W. Harris (1993: 15).

32. Andreau (1995).
33. Morley (2004: 48–50).

٣٤. Morley (2004: 49) الذي يستشهد بفون ريدن von Reden.

٣٥. J. Davies (1998: 241).

٣٦. قارن Hoffman (1996: 196–97). يجمع Jongman (2013) أنصار الموقف البدائي/ التشاؤمي وأنصار الموقف الحديث/ التفاؤلي.

٣٧. انظر Harper (2015) حول النظرية المالتوسية.

38. Posner (1980: 8–10).
39. Posner (1980: 18, table 1).
40. Meikle (1995/2002).
41. Meikle (1995/2002: 236).
42. Saller (2005); Parkins (1998); Lyttkens (2013: 8).

٤٣. أنتج D. Jones (2014) نوعا من صندوق الأدوات للاقتصادي الجزئي مصمم لكي يستخدمه مؤرخو التاريخ القديم لتحليل مشكلات بعينها.

44. Meikle (1995/2002: 249).
45. Lyttkens (2013: 7).
46. Smail and Shryock (2013: 714–15).

٤٧. يقدم Finley (1965a) مراجعة لأوبنهايم Oppenheim (1964)، نقلا عن Nafissi (2005: 193). حول الجدل الأوسع بشأن الموضوعية التاريخية في مهنة التاريخ الأمريكية، انظر Novick (1988)، لكنه لا يعير اهتماما كبيرا للتاريخ القديم.

48. Nafissi (2005: 237).
49. Morris (1986: 4).
50. Wilk and Cliggett (2007: 33).

٥١. إن الأدبيات هنا ضخمة. انظر توجيهاً في العدد الخاص من مجلة *Journal of Economic Behavior and Organization* 90, (June 2013). Sanfey (2007); Glimcher et al. (2008); والملحق Mokyr (2014) and (2016). حول علم الاقتصاد العصبي، انظر Herrmann-Pillath (2009). حول علم اقتصاد التعقيد وفهم الاقتصادات باعتبارها "نظم تكيفية معقدة"، انظر Arthur (2015). حول نظرية الانتقاء متعدد المستويات، انظر Bowles and Gintis (2011); Turchin (2013). يجمع مشروع سشات لقاعدة البيانات التاريخية حاليا كمية هائلة من البيانات التاريخية حول الأفكار التطورية الثقافية. انظر Turchin (2015b). انظر المناقشة التي أجراها Turchin (2015a) حول النظرية التطورية الثقافية. حول علم الاقتصاد التطوري، انظر Bowles and Gintis (2011). حول علم الاقتصاد السلوكي، انظر Thaler (2015).

٥٢. انظر التعليقات التحريرية التي قدمها (Scheidel and von Reden (2002: 234.

٥٣. انظر- على سبيل المثال- عددا حديثا من مجلة (American Economic Review 106/5 (May 2016 يقدم نافذة على التفكير الحالي في علم الاقتصاد. أشكر فل هوفمان Phil Hoffman على هذا المرجع.

54. Abramitzky (2015).
55. Lamoreaux (2015).
56. Abramitzky (2015: 1246–47).
57. Finley (1975: 119).
58. Nafissi (2005: 235–83).

٥٩. من المفيد أحيانا أن نطالع ملاحظات وأوراق الدارس غير المنشورة. في العمل *Untersuchungen über die Methode der Socialwissenschaften* (1883)، ذهب كارل مينغر إلى أن "المرء لا يجب أن يحاول وضع نظرية اقتصادية لكل مرحلة من مراحل التطور الاقتصادي. وفي هامش نسخته من الكتاب، كتب فيبر "ولم لا؟" حكى هذه القصة (Swedberg (1998: 196 and 294n101.

60. Mann (1986).

٦١. يقدم (Von Reden (2015 رواية ممتازة لتاريخ الحالة الراهنة لمجال الاقتصادات الكلاسيكية.

٦٢. أؤيد بشدة آراء (Brooke (2014: 262.

63. Mokyr (2016).

٦٤. (Saller (2005. حول النمو، انظر ما يلي.

65. Maddison (2007: 54).

٦٦. انظر المراجعة المهمة لماديسن في (Clark (2009 ومشكلة القياس الكمي، تحديدا فيما يتعلق بتقدير ماديسن المنخفض على الأرجح لمستوى "حد الكفاف" قبل عام ١٨٢٠ ح.م. انظر أيضا Lo Cascio and Malanima (2014) الذي يقترح تقديرا أعلى كثيرا للناتج المحلي الإجمالي الروماني لكل فرد، هو ٨٠٠-١٣٠٠ دولار، الذي يقترب من تقديرات أوروبا العصور الوسطى المتأخرة/ العصر الحديث المبكر.

٦٧. (Frank and Gills (1996. حول مناقشة لتحليل "المركز-المحيط" وبعض القضايا المتضمنة في نقل نظرية النظم العالمية إلى السياقات ما قبل الحديثة، انظر (Champion (1995.

٦٨. حول النظرية الإجرائية operationalized theory، انظر على سبيل المثال Christopher Chase-Dunn and Hall (1997).

69. Shipley (1993: 274); Monroe (2011: 93); Woolf (1990).

٧٠. يوجد تلخيص جيد في R. Smith (2009).

٧١. توجد مناقشة ممتازة للمجال في Smelser and Swedberg (2005: 3–25). Morris (2002).

72. Smelser and Swedberg (2005: 3).

٧٣. حول علم الاجتماع الاقتصادي الجديد وتأكيده على الشبكات الاجتماعية، انظر Granovetter (1990).

٧٤. Mann (1986: 73–340). حول نقد لنظريات مان، انظر John Hall and Schroeder (2006).

٧٥. وضعتُ مع إيان موريس Ian Morris جدول أعمال لعلم الاجتماع الاقتصادي للبحر الأبيض المتوسط القديم في Morris and Manning (2005a).

76. Ménard and Shirley (2014).

٧٧. Veblen (1899); Commons (1934). حول هذه المؤسسية الأصيلة، انظر Hodgson (2004). سكّ Williamson (1975: 1) مصطلح "علم الاقتصاد المؤسسي الجديد". يوجد مدخل جيد لعلم الاقتصاد المؤسسي الجديد في Eggertsson (1990); Furobotn and Richter (2005); Ménard and Shirley (2005). انظر Aoki (2001) الذي يقدم أمثلة جيدة ومتقنة للتحليل المؤسسي التاريخي.

٧٨. Furobotn and Richter (2005: 34–40). حول تكاليف الصفقات في الاقتصادات القديمة، انظر Kehoe, Ratzan, and Yiftach (2015) وما يلي. يعد Silver (1995: 39–77) البيان الأقوى لتطبيق تحليل تكاليف الصفقات على اقتصادات الشرق الأدنى القديم، لكن توجد عليه مآخذ. يوجد إطار مختلف تماما لاقتصاد المشرق في Levant is Boer (2015).

79. Alston (2008).

٨٠. Furobotn and Richter (2005: 37). يوجد ملخص جيد لمؤرخي العصر القديم في Kehoe (2007b: 1–52).

٨١. North and Thomas (1973); North (1981); North (1990); North (2005); North, Wallis, and Weingast (2009). حول إرث نورث، انظر Galiani and Sened (2014).

82. Ogilvie (2011).
83. Greif (2006).
84. Ménard and Shirley (2005: 1).

٨٥. حول بعض التطبيق التاريخي والنقد، انظر J. Manning (2003); Bang (2009); Maucourant (2012); Verboven (2015a). من أمثلة التطبيق استخدامه في حالة روما Kessler and Temin (2007), and for ancient Greece, Bresson (2016); E. Harris, Lewis, and Woolmer (2016).

٨٦. Scheidel, Morris, and Saller (2007). روجع من منظور استخدام علم الاقتصاد المؤسسي الجديد في Bang (2009).

87. Kehoe (2007b); Lyttkens (2013).

٨٨. Bresson (2016); Bresson (2000). قارن E. Harris (2001) الذي يعلق على Bresson (2000).

89. Deirdre McCloskey (1996: 124–26).

٩٠. Kaiser (2007). حول مؤسسة التراياركي، انظر Gabrielsen (1994).

91. Lyttkens (2013: 25).

٩٢. حول تطبيق نظرية الألعاب والنمذجة الرياضية على التجارة ما قبل الحديثة، انظر Greif (2006). انظر أيضا النقد المهم المقدم في Goldberg (2012).

93. Acemoglu and Robinson (2012). Cf. Acemoglu, Johnson, and Robinson (2001).
94. Acemoglu and Robinson (2012: 429).
95. Clark (2007).
96. Deirdre McCloskey (2015).

٩٧. حول انتقادات أخرى لعلم الاقتصاد المؤسسي الجديد، انظر Maucourant (2012); Verboven (2015a).

٩٨. انظر الروايات الممتازة للمجال Furobotn (1997); Hodgson (2004); Wallis (2014).

99. Greif and Mokyr (forthcoming).
100. Kloos and David (2002).

١٠١. لا يظهر "المناخ" في كشاف الموضوعات في Acemoglu and Robinson (2012). حول نقد لإسقاط المناخ والجغرافيا على وجه التحديد، انظر من بين أعمال أخرى Sachs (2012). انظر أيضا ما يلي، الفصل الخامس.

102. Kron (2004).

١٠٣. فيما يلي، الفصل الخامس.

١٠٤. انظر 104. Ober (2015a) حول حجج مؤسسية تفسر الازدهار اليوناني.

105. Monson (2012)
106. North, Wallis, Weingast (2009, 2013). See Hough and Grier (2015).

١٠٧. مثل Gelderblom (2013) حول التجارة في البلاد الواطئة.

١٠٨. Wilk and Cliggett (2007); Bourdieu (2005). تستحق سلسلة الدراسات أحادية الموضوع التي رعتها جمعية الأنثروبولوجيا الاقتصادية Society for Economic Anthropology; SEA الرجوع إليها: *Research in Economic Anthropology*: http://econanthro.org/publications/research-in-economic-anthropology/.

١٠٩. Andreau (2002: 34).

١١٠. من الأعمال الكلاسيكية في هذا النمط دراسة Veyne (1976) لليورغيتيزم euergetism باعتبارها شكلا من أشكال التصدق في العالم الروماني.

111. Granovetter (1985).

١١٢. حول نقد مبكر، انظر Fusfeld (1957).

١١٣. Deirdre McCloskey (2010). حول رد على نقد مكلوسكي، انظر Greif and Mokyr (forthcoming).

١١٤. ثمة معالجة جيدة للثقافة والتاريخ الاقتصادي في Sewell (2005). حول الدِين، انظر Iyigun (2015). قارن الدراسات القيّمة التي أجراها M. Greene (2000) and Trivellato (2009) حول التجارة العابرة للثقافات في البحر الأبيض المتوسط إبان العصر الحديث المبكر. يقدم P. Brown (2012) مراجعات مقنعة لأفكار الثروة في العالم المسيحي القديم. وعموما John Haldon (2015); Mokyr (2016).

١١٥. حول تطبيقات النظرية التطورية على سياقات أخرى، انظر Harms (2004). حول الحيطة في استخدام النظرية، انظر Mokyr (2016: 28–32).

١١٦. D. Wilson (2002); Richerson and Boyd (2005); Richerson and Christiansen (2013); Turchin (2014). انظر أيضاً https://evolution-institute.org/project/society-for-the -study- of-cultural-evolution/.

١١٧. Kemp (2006: 334). حول التعاون البشري، انظر Bowles and Gintis (2011, esp. 79–92).

١١٨. يقدم Dawkins (1976) and Skyrms (1996) مناقشة عامة جيدة لبعض المفاهيم الأساسية.

١١٩. حول مقدمة موجزة جدا، انظر Witt (2008). Hodgson (1993); Hodgson (2004); Mokyr (2016). Hoffman (2015).

120. Mokyr (2016), especially pp. 22–56.

١٢١. يعرف Mokyr (2016: 8) الثقافة بأنها "نسق من المعتقدات والقيم والتفضيلات التي تؤثر على السلوك، تنتقل اجتماعيا (وليس جينيا)، وتشترك فيها جماعة فرعية من المجتمع".

١٢٢. حول النظرية التطورية الثقافية كما طبقت على غلة المحاصيل والآفاق الزمنية طويلة المدى، انظر Galor and Özak (2016).

١٢٣. انظر Turchin (2009) حول النموذج.

١٢٤. انظر المراجعات التي أجراها رافلاوب وهاملتن Raaflaub and Hamilton في Raaflaub and Rosenstein (1999).

125. Morris (2014); Monson and Scheidel (2015).
126. Braidwood (1963); R. Adams (1965); Butzer (1971); Butzer (1976).
127. Jameson (1994).

١٢٨. انظر Bruce Campbell (2016) حول التاريخ الأوروبي إبان العصور الوسطى، الذي يقدم شرحا ممتازا لدمج بيانات التغير المناخي والمرض مع التحليل التاريخي التقليدي.

١٢٩. توجد مراجعة ممتازة في Turchin (2010). حول الانتقاء متعدد المستويات أو الانتقاء "الجماعي"، انظر D. Wilson (2006).

130. Sewell (2005: 5).
131. Zurbach (2015).
132. Sallares (1991).

١٣٣. يعد Jursa (2010) مثالاً للأخير.

١٣٤. حول المدن التجارة الآشورية الأخرى، انظر M. Larsen (2015: 280).

135. Wilk and Cliggett (2007: 17–18).

١٣٦. انظر Foxhall (1989) حول المنازل اليونانية. تقدم البرديات المصرية على الأرجح أفضل مصدر للنشاط الاقتصادي للنساء، والأدبيات هنا ضخمة نوعا ما. توجد مقدمة جيدة في Rowlandson (1998); Johnson (1998); Donker van Heel (2014)، يقدم العمل الأخير رواية ميسورة القراءة لحياة إحدى النساء في مصر في نحو عام ٥٥٠ ق.ح.

١٣٧. انظر تعليقات Mokyr (2005).

١٣٨. انظر تعليقات Bresson (2016: 14).

139. Kemp (2006: 334).

الفصل الثاني

الاقتصادات القديمة

مراجعة من التجار الفينيقيين حتى ظهور الإمبراطورية الرومانية

1. Kuhrt (1995).

٢. Kuhrt (2009); Kuhrt (2000); Kuhrt (1995: 652–60). حول التاريخ الإمبراطوري الفارسي، انظر Briant (2002); Wiesehöfer (2009). حول نظرية "الرعاة أشباه البدو" الإيرانيين، انظر Young (1988).

3. W. Adams (1984); S. Smith (1995).

٤. انظر Agut-Labordère (2013).

٥. انظر مراجعة في Morris and Manning (2005b).

٦. انظر على سبيل المثال Bentley (1993); Bentley (1996).

7. Bentley (1996: 752).
8. Gabrielsen (2011).
9. Jaspers (1949/2010).

١٠. توجد أدبيات متزايدة حول معنى "العصر المحوري" وأهميته. انظر Eisenstadt (1986); Bellah (2011: 265–566); Turchin et al. (2015).

11. Jaspers (1949/2010: 44).
12. Jaspers (1949/2010: 51).
13. Baumard et al. (2015).
14. Jaspers (1949/2010: 14).

١٥. انظر تحليل Graeber (2011).

١٦. Morris (2010: 73). انظر على سبيل المثال Graeber (2011: 232–37).

١٧. إن تحديد تاريخ تأليف النص محل جدل. McClish و Olivelle (2012). يُؤرِّخ McClish and Olivelle (2012) التأليف الأصلي بين عام ١٠٠ ق.ح وعام ١٠٠ ح.م. يقترح Thanawala (1997) القرن الرابع قبل الحقبة المشتركة تاريخا للتأليف. انظر أيضا Rangarajan (1992); Basu and Sen (2008).

18. Bellah (2011: 269).
19. Baumard et al. (2015).

٢٠. انظر التعليقات الموجزة المقدمة في Bellah (2011: 270–71). توجد أدلة أخمينية حول الإمبراطورية أكثر بكثير مما يقر المؤلف. توجد مقدمة ممتازة لهذه الأدلة في Kuhrt (2007).

21. Morris (2010: 263).

٢٢. يقدم Broodbank (2013: 345–505) مراجعة ممتازة للعصر البرونزي وانتقال العصر الحديدي-العصر البرونزي في البحر الأبيض المتوسط.

23. Broodbank (2013: 348).
24. Broodbank (2013: 599).
25. Warburton (2003: 59–62).
26. A. Sherratt (2011: 4).
27. Broodbank (2013: 355).

٢٨. لكن، انظر Halstead (2011) الذي يدافع عن الموقف البولاني بشأن الاقتصاد الموكناوي. يقدم Nakassis (2013) نقداً مدعما لنموذج الاقتصاد البلاطي. حول نموذج الاقتصاد "البلاطي" في اقتصادات الشرق الأدنى القديم، انظر Stein (1994).

29. Broodbank (2013: 413).
30. Broodbank (2013: 408).

٣١. يقدم Broodbank (2013: 391–96) وصفاً جيداً.

٣٢. O'Connor (1993: 570). انظر المناقشة التي نُشر مؤخرا لغرب البحر الأبيض المتوسط في Broodbank (2013: 416–25).

33. Broodbank (2013: 441).

٣٤. حول مراجعة جيدة لتجارة العصر البرونزي في البحر الأبيض المتوسط، انظر Toby Wilkinson, Sherratt, and Bennet (2011). توجد مادة ثرية، تحديدا حول التجارة في أثناء انتقال العصر البرونزي-الحديدي المتأخر في Waldbaum (1978); Duistermaat and Regulski (2011).

35. Beaujard (2011).
36. Demand (2011: 220–55).
37. A. Sherratt and Sherratt (1993: 362).

٣٨. Beaujard (2010). حول مقارنات بين البحر الأبيض المتوسط والصين خلال العصر الحديدي، انظر Morris (2010: 227–79).

39. Broodbank (2013: 451).

٤٠. حول التجارة القبرصية-اليونانية، انظر Popham (1994).

41. Morris (2003). Broodbank (2011: 33).

٤٢. Fantalkin (2006). انظر Muhs (2015b) حول الاستخدام المتزايد للفضة وسيطًا للتبادل في مصر خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة.

43. McEvedy and Jones (1978). Cf. Brooke (2014: 322–23). Morris (2010: 227).
44. Brooke (forthcoming).
45. Brooke (2014: 323).
46. Bellah (2011: xiv).

٤٧. يقدم Mann (1986: 190–230) تخطيطا بيانيا جيدا لحركية السلطة. حول اليونان، انظر Bresson (2016).

٤٨. انظر ما يلي حول تاريخ التأسيس.

٤٩. Aubet (2001).

٥٠. صهر الحديد: Wertime (1982).

51. Goody (2012: 88).

52. Brooke (2014: 283, 305).
53. Liverani (2003: 133). See Ö. Wikander (2000); M. Lewis (1997).
54. Warburton (2003: 253–57); Liverani (2003: 133).
55. Morris (2007).

٥٦. انظر Lyttkens (2013) حول إطار التأثير الفينيقي.

٥٧. حول دور التجارة في اليونان خلال العصر الحديدي المبكر، انظر Tandy (1997).

٥٨. A. Sherratt and Sherratt (1993) الذي نوقش في (Bellah (2011: 656n10.

٥٩. حول "القفزات"، انظر Stiner et al. (2011).

٦٠. Brooke (2014: 305، انظر قائمة المراجع المُثْبَتة في p. 306n38).

61. Broodbank (2013: 468). Nakassis (2013); Liverani (2005); Foster (1987).
62. Broodbank (2013: 602–3).

٦٣. Giardino (1992); Arruda (2009); Rouillard (2009). حول توسع روما مربوطاً بالسيطرة على الحديد والنحاس، انظر تعليق (W. Harris (2003: 283.

٦٤. Docter (2002–3).

٦٥. يوجد المزيد حول التوسع الفينيقي فيما يلي.

٦٦. Hdt. 4: 42. حول السفن الجديدة، انظر (van der Brugge and Kleber (2016: 191.

67. Parpola and Watanabe (1988).

٦٨. Jursa (2010: 48). حول توسع أوروك، انظر (Algazi (1993); Algaze (2008); Rothman (2001. حول استخدام البعير، انظر Liverani (2003).

69. Liverani (2014: 391).
70. Liverani (2014: 392–95).
71. Jursa (2010: 52).
72. Jursa (2005).
73. Jursa (2010: 56).

٧٤. إن اسم "كنعاني" أفضل، لأن كلمة "فينيقي" هو الاسم اليوناني لهذه الجماعة. توجد مراجعة جيدة في (Liverani (2014: 420–33. حول آثار التوسع الفينيقي المبكر، انظر ,C. Bell (2016) and van der Brugge and Kleber (2016). ثمة أعمال متفردة ومهمة للورينزو نيغرو Lorenzo Nigro حول موقع موتيا Motya الفينيقي في صقلية. انظر من بين أعمال أخرى Nigro (2013).

٧٥. حول المدن في الشرق الأدنى القديم التي شاركت في التجارة واسعة النطاق، انظر Van de Mieroop (1999).

٧٦. S. Sherratt (2003).

٧٧. يناقش Gubel (2009) موقع هرقليوبوليس الواقع في مصر الوسطى.

٧٨. حول الاختلاق اليوناني للصورة النمطية الفينيقية، انظر S. Sherratt (2010).

٧٩. انظر مجموعة الدراسات الواردة في Babbi et al. (2015).

80. Iliad 23.741–44; Odyssey 14.288–89.

٨١. Gschnitzer (1988); Gschnitzer (1993). قدم Vlassopoulos (2013) نظرة عامة للتفاعل بين اليونانيين وغير اليونانيين.

٨٢. Morris (2007: 240). تكثر النظريات حول الارتباط بين الكتابة الفينيقية والكتابة اليونانية المبكرة. حول تحليل حديث، انظر Papadopoulos (2016).

83. M. Miller (1997); Raaflaub (2009).

84. Morel (2007: 492–95).

٨٥. حول غياب مصر عن Horden and Purcell (2000)، انظر Bagnall (2005). لكن هناك الكثير من الأمثلة الأحدث تكاد لا تذكر مصر.

86. Broodbank (2013: 39–40).

87. Broodbank (2013: 537).

٨٨. اتصال شخصي عن طريق البريد الإلكتروني من الأستاذ الدكتور مانفريد بيتاك Manfred Bietak في السادس والعشرين من أكتوبر ٢٠١٦.

89. Moreno García (2016a: 7).

90. Mann (1986: 223).

91. J. Davies (2004: 498).

٩٢. Mann (1986: 226–27). يشدد Ober (2015a) على الرابطة بين السلطة السياسية المبعثرة أو بتعبير مان السلطة "المنشورة " من ناحية والنمو الاقتصادي من ناحية أخرى.

93. Morris (2009).

٩٤. يناقش Morris (2007: 214–19) التقدير السكاني المستخدم هنا. حول الدراسة الجديدة المهمة التي تتضمن فحصا شاملا للمادة الأثرية، انظر C. Murray (2017).

٩٥. Broodbank (2013: 523) الذي يستشهد بموريس Morris (2007: 219) الذي يستشهد بشايدل Scheidel (2003).

٩٦. حول حركة اليونانيين وبعض أسبابها، انظر Demand (1991); Garland (2014). حول الاستعمار اليوناني، انظر Tsetskhladze (2006); Tsetskhladze (2008).

٩٧. انظر الخريطة (١٠ , ٢) في Broodbank (2013: 508–9).

98. Bresson (2000).

٩٩. انظر ملخصا لأحداث تاريخ مدينة صور خلال الحقبتين الآشورية الحديثة والبابلية الحديثة في van der Brugge and Kleber (2016).

١٠٠. يقدم Zurbach (2013) معالجة جيدة لأصول الدولة المدينية اليونانية. حول السيطرة الفارسية، انظر Elayi (2013).

101. E. Robinson (1997); E. Robinson (2011).

١٠٢. Finley (1999: 183). انظر J. Davies (2001: 17–19) الذي يقدم تعليقات حول المشكلات الأساسية المتضمنة في مصطلح "هلنستي" باعتباره مرحلة متمايزة من التاريخ الاقتصادي. انظر أيضا المراجعة المفيدة للحقبة في Cartledge (1997).

103. J. Davies (2001: 12).

١٠٤. حول المسائل الاقتصادية الواردة في بوليبيوس، انظر J. Davies (2013a).

105. Broodbank (2013: 578).

١٠٦. أكد Broodbank (2013) ذلك بوضوح، تحديدا في pp. 578–79.

١٠٧. أكد Mann (1986: 192) ذلك بوضوح.

108. J. Davis (2013a).

١٠٩. Maddison (2007: 12). يتناول Maddison (2007: 18–28) الغزو الروماني للبحر الأبيض المتوسط بإيجاز. يعود جزء من هذه المناقشة إلى Manning (2015a).

١١٠. نال العالم الهلنستي دفعة أخرى من مناقشة R. Smith (2009) للتجارة ما قبل الحديثة، وفصل في كتاب أبولافيا، تحديداً حول الإسكندرية (Abulafia, 2011: chapter 6) كمثالين فقط لأحدث المعالجات باللغة الإنجليزية. للأسف تفوت أبولافيا كل الأعمال الأثرية الأخيرة في الإسكندرية، انظر حولها /http://www.franckgoddio.org وكذلك /http://www.cealex.org.

١١١. حول القياس الكمي للاقتصاد الروماني، انظر Bowman and Wilson (2009)، تحديداً الباب الرابع.

١١٢. Redfield (1956). في كتاب مهم حول التجارة القديمة، يُخَصَّص خمس من الثلاث عشرة مقالة في Garnsey et al. (1983) للتجارة اليونانية وسبع للتجارة الرومانية، وواحدة فقط، هي دراسة دورثي تومسن Dorothy Thompson، حول تجارة الحبوب النيلية خلال الحقبة الهلنستية كاملة.

١١٣. حول الاستعمار اليوناني، انظر Tsetskhladze (2006); Tsetskhladze (2008).

114. Prag and Quinn (2013); Mairs (2014).
115. A. Wilson (2013: 153).
116. Briant (2009: 188).

١١٧. إن الأدبيات حول هذا الأرشيف ضخمة، مع أنه لم يُدرَس كاملا بعد. توجد مقدمة جيدة في Pestman (1981). انظر ما يلي.

١١٨. حول الاقتصاد الأخميني، انظر Briant (2002).

119. Mackil (2013); Funke and Haake (2013).
120. Polybius 2.37–10–11.

١٢١. حطام السفن: Gibbins (2001)، وما يلي، وحول إنتاج الفضة، انظر de Callataÿ (2005).

122. Aperghis (2004); Chankowski and Duyrat (2004); Capdetrey (2007).
123. J. Davies (1984a); J. Davies (2001: 15).
124. J. Davies (1984a: 270)

١٢٥. Reger (1994); Archibald (2013). حول أعمال الخزف، انظر الملاحظات المقدمة في A. Wilson (2013).

١٢٦. جاءت نتائج التنقيب في موانئ الإسكندرية مذهلة. حول نتائج وأدبيات مُحَدّثة ناتجة عن التنقيب، انظر /http://www.franckgoddio.org و /http://www.cealex.org.

127. Archibald, Davies, Gabrielsen, and Oliver (2001); Archibald, Davies, and Gabrielsen (2005); and Archibald, Davies, and Gabrielsen (2011).

١٢٨. J. Davies (2001: 17). قارن محاولة ديفيز في نموذج "التدفق" في J. Davies (1998); J. Davies (2005).

١٢٩. Finley (1985: 7–46). توجد مناقشة موجزة لمصادر التاريخ اليوناني في Jonathan Hall (2014b: 16–40).

١٣٠. انظر ملاحظات Hopkins (2002: 194–97) الذي يشير إلى النقد الساخر الذي قدمه Collingwood (1946: 257–61) لمنهج جمع البيانات بطريقة "القص واللصق". أطلق Finley (1985: 61) على هذا المنهج اسم "قل كل ما تعرفه" Tell-All-You-Know، ثم تناول Fraser (1972) بالنقد كمثال.

١٣١. Finley (1985: 46). قارن Verboven (2015b: 9).

١٣٢. حول هذا الأرشيف الفيومي، انظر Verhoogt (1998).

133. Scheidel (2013a: 144).

١٣٤. قارن ملاحظات Finley (1985: 29).

١٣٥. يقدم Maddison (2007); Acemoglu and Robinson (2012: 158–75)، معالجة سريعة للاقتصاد الروماني معتمدة في الأساس على مصدرين، هما Finley (1999) and Bang (2008).

136. Fukuyama (2011: 14).
137. Morley (2004: 31).

١٣٨. لا سيما (1976) Sahlins.

١٣٩. توجد مراجعة للتطور المبكر لعلم المصريات كتخصص في (2009) Moreno García.

140. Janssen (1979: 505).

١٤١. يلخص (130–81 :1997) Warburton الاستخدامات المبكرة للنظرية في تحليل الاقتصاد المصري القديم، ويدافع عن استخدام النموذج الكينزي Keynesian model لفهم مصر. توجد مراجعة حديثة جيدة للاقتصاد المصري الفرعوني (2014) Eyre. تناقش الاتجاهات الحديثة في دراسة الاقتصاد المصري القديم في (2014) Moreno García.

142. Ober (2015a).
143. Oppenheim (1960).
144. R. Sdams (1960).

١٤٥. توجد مراجعة موجزة للنظرية الاقتصادية وحضارة الشرق الأدنى القديم في Van de Mieroop (2004).

146. Jursa (2010).
147. Jursa (2010: 17).

١٤٨. (1991) A. Sherratt and Sherratt. يقدم (2014a) Jursa مراجعة أساسية جيدة للاقتصاد البابلي خلال الألف الأول قبل الحقبة المشتركة. انظر أيضا (2009) Leick، تحديدا المقالات الواردة فيه لجورسا (2009) Jursa حول الألف الأول قبل الحقبة المشتركة ولكورت (2009) Kuhrt حول الإمبراطورية الفارسية.

١٤٩. يقدم (2011a) Bagnall مراجعة رائعة للجوانب المسكوت عنها في مصادرنا.

١٥٠. انظر- على سبيل المثال- مشروع التسجيل الأثري الرقمي: /http://core.tdar.org.

١٥١. صورها (19–215 :2014a) Jonathan Hall بإيجاز.

152. Finley (1985); W. Harris (1993); Morris (2000).

١٥٣. (2005) J. Manning. قارن (2014a and b) Morris (1994); Jonathan Hall.

١٥٤. قارن (228 :1998) J. Davies حول المشكلة الصعبة المتمثلة في "التنسيق" بين الأنواع المختلفة من الأدلة.

١٥٥. انظر (forthcoming) Hoyer and Manning.

١٥٦. حول "المغالطات الوضعية" في التاريخ القديم، انظر الملاحظات الفطنة المقدمة في Jonathan Hall (2014a).

١٥٧. Rathbone and von Reden (2015: 166). انظر الدراسات السابقة في Heichelheim (1930); Maresch (1996).

١٥٨. حول ديلوس، انظر Reger (1994); Reger (2002). يجمع الكتاب المهم الذي حرره فان دير اشبيك وفان ليوين وفان زاندن van der Spek, van Leeuwen, and van Zanden (2015) كمية كبيرة من بيانات الأسعار من البحر الأبيض المتوسط. حول الأسعار البابلية خلال الأعوام ٣٨٥-٣٦١ ق.ح، انظر http://www.iisg.nl/hpw/babylon.php. انظر ما يلي.

159. Koopman and Hoogerheide (2015).

160. Jursa (2015: 100).

١٦١. مثل مراجعة Morris (1994) لدراسات E. Cohen (1992); Cartledge (2002a) حول مشكلة الأدلة والتحيز نحو جماعة صغيرة من النخبة.

162. J. Manning (2002–3).

١٦٣. توجد في Morris (2004) مراجعة ممتازة تناقش دور علم الآثار الكلاسيكي والتاريخ القديم.

١٦٤. W. Harris (1993); Finley (1985: 7). حول فينلي وعلم الآثار، انظر Jonathan Hall (2014a: 213–14); Gates-Foster (2016).

١٦٥. حول مناهج المسح على مستوى المنطقة، انظر Alcock and Cherry (2004).

166. H. Baker (2014).

167. Jonathan Hall (2014a: 211).

168. Bard (2008).

169. Morris (2009: 116).

١٧٠. J. Davies and Wilkes (2012)، تحديدا الجزء منه Bresson (2012a). توجد مقدمة أساسية جيدة في Bodel (2001). حول أهمية الإبيغرافيا في دراسة اقتصاد اليونان الهلنستية، انظر Oliver (2007); Bresson (2012a). حول روما، انظر Salmeri (2012); Scheidel (2012). حول آسيا الصغرى الهلنستية، انظر J. Ma (2000).

171. J. Manning (2003).

172. Bodel (2001: 11).

١٧٣. توجد مناقشة جيدة في Bresson (2012a).

١٧٤. توجد مقدمة جيدة حول استخدام العملة باعتبارها أحد المصادر التاريخية في Howgego (1995); Thonemann (2015) حول العملة الهلنستية. حول النقد والتحول النقدي، انظر von Reden (2010)، وما يلي. حول تأثير مناجم الفضة في لاوريون على السياسة الأثينية، انظر Davis (2014).

175. Howgego (1995: 92–95).

١٧٦. يناقش Duyrat (2015) العملة في سورية وبلاد ما بين النهرين خلال القرون من السادس إلى الأول قبل الحقبة المشتركة.

177. Morris (1986: 5).

178. Morris (1986: 6).

١٧٩. Finley (1999: 17–18); Morley (1999) حول الأدلة الأدبية. توجد بعض الملاحظات العامة في Ekelund and Hébert (2014: 10–12).

١٨٠. حول بوليبيوس باعتباره أحد المصادر القيّمة لدراسة السلوك والمؤسسات الاقتصادية الهلنستية، انظر المقالة المتبصرة J. Davies (2013a).

١٨١. يقدم Jursa (2010) مناقشة ممتازة للمادة. حول أسرة إغيبي، انظر Wunsch (2009); Wunsch (2010)، وما يلي في موضع متأخر.

١٨٢. أدينُ إلى مايكل جورسا تأكيده لعدد النصوص (تواصل شخصي عن طريق البريد الإلكتروني في التاسع عشر من سبتمبر ٢٠١٦). قارن Jursa (2014c).

١٨٣. Jursa (2005: 172). قارن ملاحظات Radner (2015: 329) حول بؤرة التركيز الأضيق المقيدة بقلة المادة الوثائقية من النصوص الآشورية الحديثة للنشاط الملكي.

١٨٤. إن النصوص ذاتها منشورة في سلسلة من الدراسات أحادية الموضوع للدارسين Abraham Sachs and Hermann Hunger. توجد مراجعة جيدة للمادة في Rochberg-Halton (1991). توجد دراسات ثانوية مهمة حول الأسواق والأسعار تعتمد على اليوميات في Slotsky (1997); van der Spek and van Leeuwen (2014).

١٨٥. لكن، انظر Bagnall (2011a) حول نطاق ورق البردي والكتابة اليومية في عالم البحر الأبيض المتوسط. توجد مقدمة جيدة لعلم البرديات في Bagnall (2009a). ومن ذلك الكتاب، انظر تحديدا المقالة Cuvigny (2009). حول البرديات اليونانية خارج مصر، انظر المناقشة التي يقدمها Gascou (2009).

186. Willy Clarysse and Thompson (2006).

187. Rostovtzeff (1930: 203).

١٨٨. حول علم البرديات والتحليل التاريخي، انظر Bagnall (1995). حول الكرتون، انظر بإيجاز Vandorpe, Clarysse, and Verreth (2015: 23–28).

189. Van Beek and Depauw (2013: 102).

١٩٠. حول مثال، انظر J. Manning (2002–3).

١٩١. إن الأدبيات حول كل أرشيف ضخمة. توجد مقدمة إلى أرشيف زينون في Pestman (1981); Vandorpe, Clarysse, and Verreth (2015: 447–55). حول الأرشيف الرسمي من القرن الثاني قبل الحقبة المشتركة لكاتب القرية منخيس، انظر الدراسات Crawford (1971); Verhoogt (1998); Vandorpe, Clarysse, and Verreth (2015: 440–46). حول أرشيف أبيون المهم من القرن الثالث من الحقبة المشتركة، انظر Rathbone (1991); Mazza (2001); Hickey (2012).

١٩٢. انظر ما يلي في موضع متأخر.

١٩٣. Rostovtzeff (1922). حول الطابع الخاص للفيوم، انظر D. Thompson (1999b)، بالمقارنة مع الوادي النهري: J. Manning (2003). كان Finley (1985: 34–36) قاطعا تماما- لأسباب- بشأن استخدام أرشيفات البرديات من أجل التاريخ الاقتصادي والميل إلى اعتبار وصف التفاصيل الوثائقية "مراجعة للتاريخ الاقتصادي".

١٩٤. إن مدى التوثيق حول الأوستراكا شديد الاتساع. انظر Bagnall (2011a: 117–37).

195. Muhs (2011).
196. Bagnall (1995).

١٩٧. www.trismegistos.org http://www.trismegistos.org/arch/list_all.php. انظر Vandorpe (2009), and Vandorpe, Clarysse, and Verreth (2015) حول تعقيدات ومشكلات إعادة بناء الأرشيفات وتحليلها.

198. Keenan, Manning, and Yiftach-Firanko (2014).
199. Bogaert (1994); Muhs (2011).

٢٠٠. حول بومبي، انظر Jongman (1988). حول تقنيات نظام المعلومات الجغرافية كما تطبق على دراسة الزراعة الرومانية- على سبيل المثال- انظر Goodchild (2013).

201. Heichelheim (1930); Duncan-Jones (1982); W. Harris (1993); Bowman and Wilson (2009); de Callataÿ (2014).
202. http://www.romaneconomy.ox.ac.uk.

الفصل الثالث

البرونز والحديد والفضة

الزمان والمكان والجغرافيا واقتصادات البحر الأبيض المتوسط القديم

1. D. Lewis (2016a).

٢. Taagepera (1979). حول الاستمرارية والتغير بين بلاد بابل الأخمينية والسلوقية- على سبيل المثال- انظر Sherwin-White (1987). أعود إلى هذه القضية فيما يتعلق بالتجارة في الفصل الثامن.

3. Vandorpe (2002).

٤. Sahlins (1977: 226). انظر Dodgshon (1998). حول "التخوم المتجاوزة للإثنية"، انظر Turchin (2007).

٥. قارن تعليقات J. Davies (1998: 242).

6. Malkin (2011); Waerzeggers (2014); Taylor and Vlassopoulos (2015).

٧. حول النطاقات الزمنية في علم الآثار، انظر Wandsnider (2004) والأدبيات الواردة فيه.

٨. انظر Mokyr (2016: 59–69) حول دور أمثال هؤلاء الرواد في التغير الاجتماعي.

9. Braudel (1995[1949]: 18).

١٠. Braudel (1995[1949]: 168–275). انظر Morris and Manning (2005a: 132–33) حول بعض الاعتبارات الأساسية.

١١. كما هي الحال دائما، هناك استثناءات. انظر على سبيل المثال Osborne (1996a) حول القرن السادس "القصير" في اليونان.

12. A. Baker (2003: 180).
13. Pomeranz (2000).
14. Turchin et al. (2015); Currie et al. (2015).

١٥. انظر Shaw (2008) وتعليقاته الممتازة.

16. Goody (2006: 31).
17. Mann (1986: 28–29).

١٨. ميّز McMichael (2011) بين ستة نطاقات زمنية مختلفة للتغير المناخي في التاريخ البشري، "(١) التأثيرات على التطور البيولوجي (على مدى ألفيات من السنين)، (٢) الانتقالات الكبيرة في الثقافة والبيئة البشريتين (في أوقات تغير الدولة مع المناخ)، (٣) التغيرات المناخية طويلة المدى (على مدى عدة قرون)، (٤) التغيرات المناخية متوسطة المدى (على مدار عدة عقود)، (٥)

التغيرات المناخية قصيرة المدى (على مدى عدة سنوات)، (٦) أحداث المناخ/الطقس الشديدة".

١٩. حول التقليد الفرنسي، انظر على سبيل المثال Brunhes (1920); Dion (1934).

20. Thonemann (2011).
21. W. Harris (2005: 4).
22. Finley (1999: 29–30).
23. Morris (2009).

٢٤. Bentley (1993); Bentley (1996). حول التلاقح الثقافي في البحر الأبيض المتوسط الحديث المبكر، انظر Trivellato (2009).

٢٥. انظر على سبيل المثال K. Bradley and Cartledge (2011) من بين الكثير من المنشورات الأخيرة.

26. Goody (2006).

٢٧. Bentley (1996). اتباعا لتعريف Irwin and O'Rourke (2014) للتحول بأنه "تغيرات بطيئة طويلة المدى في الميزة النسبية، أو تحولات في التوازن الجيوسياسي، وذلك في مقابل "الهزة" ("رجة مفاجئة" للتوازن ناتجة عن الحرب أو غيرها من الأحداث السياسية، أو "الانقلابات" المناخية المفاجئة التي أوجدت ظروف ري سيئة). أخذتُ مصطلح "الانقلاب" reversal عن Brooke (2014).

28. Christopher Chase-Dunn and Hill (2009); Turchin (2010); Inoue et al. (2015).
29. Turchin (2010).
30. Brooke (2014).
31. Cf. Brooke (forthcoming).
32. Brooke (2014: 263).
33. Barker (2009: 4).

٣٤. قارن Broodbank (2013: 80).

٣٥. أكد Bentley (1996) على ذلك جيدا.

٣٦. أتفقُ بشدة مع التشجيع "الهدام" من Broodbank's (2013: 604) على كتابة تاريخ جديد لمصر يأخذ في الحسبان المناطق الكثيرة التي أسماها بوتزر "النطاقات البيئية" eco-zones لمصر، هي الوادي، والفيوم، والدلتا، والواحات، والصحارى على جانبي الوادي النهري.

37. Woodard (1997).
38. Inoue et al. (2015). Morris (2010: 263–70).

٣٩. انظر Bennett (2016) حول محاكاة رياضية للنظرية.

٤٠. Scheidel (2013b: 30). حول مفهوم التخوم المتجاوزة للإثنية، وهي المناطق التي شهدت منافسة شديدة بين الجماعات الإثنية، لكنها تعهدت تماسكا اجتماعيا أشد داخلها، انظر Turchin (2003).

٤١. انظر .See Bintliff (1991: 6, fig. 1.2)

٤٢. يشكك (Morris (2003: 42 في فكرة "اللازمنية"، وهو مُحِقّ في فعله.

٤٣. (Marcus (1998. حول الشبكات، انظر (Malkin (2011. حول "القوى الدافعة التوسعية"، انظر .Chaudhuri (1990: 41)

44. Broodbank (2013: 537).

٤٥. يقدم العمل (Chaudhuri (1990: 92–148 معالجة ممتازة لهذه القضايا. على سبيل المثال، أشار (Morkot (2016 إلى أوجه الاستمرارية بين الدولة المصرية الحديثة المتأخرة والقرون الثلاثة الأولى من الألف الأول قبل الحقبة المشتركة.

46. Ricoeur (1988).
47. Horden and Purcell (2000: 261–62).
48. Lyttkens (2013: 18); Williamson (2000).

٤٩. (Shaw (2001: 439. حول مدد الرحلات في البحر الأبيض المتوسط الروماني، انظر حاليا مشروع أوربس Orbis project في جامعة استانفورد: /http://orbis.stanford.edu.

50. Chaudhuri (1990: 101; 103).
51. Gozzoli (2006: 191–225).

٥٢. توجد ترجمة للمرسوم الكانوبي في (Austin (2006: 471. حول معالجة كاملة للنص، انظر (Pfeiffer (2004. حول "البناء الاجتماعي" للزمن، انظر (Hannah (2008 والأدبيات الواردة فيه، .Feeney (2008)

٥٣. (Kosmin (2014: 100–3. حول "سرقة" الزمن، انظر (Goody (2006: 14–18.

٥٤. يناقَش بإيجاز فيما يلي في الفصل الرابع.

55. Chaudhuri (1990: 107).

٥٦. أقدمُ في الفصل الخامس مثالاً للبيانات التمثيلية للمناخ القديم التي تعطينا حالياً نطاقات زمنية عشوائية، لكنها قابلة للتثبيت، للأحداث المرتبطة بالتغير المناخي فيما يتعلق بالنيل.

٥٧. (Broodbank (2013: 505. قارن (Morris (2000: 257–306. هناك فاصل زمني في الانتشار التقني في الشرق الأدنى الذي كان بالفعل في العصر الحديدي في الفترة ١٢٠٠–١٠٠٠ ق.ح. انظر (A. Sherratt and Sherratt (1991 الذي يؤكد أن انتشار التقنية كان أبطأ في انتقاله غربا (وجنوبا).

٥٨. أكد (Morris (2000 على ذلك فيما يتعلق بالعالم اليوناني القديم.

59. Hannah (2008).

60. Giddens and Pierson (1998: 94–117); Morris (2000).
61. Hall (2014b: 321).

٦٢. حول التعلم من أثينا، انظر (2004) J. Davies.

٦٣. مثل (2005) Frank and Thompson.

64. Hicks (1969: 7).
65. Hicks (1969: 39–40).
66. Morris and Manning (2005b: 15–25).
67. Luterbacher et al. (2012: 129); Bresson (2016: 119–29).

٦٨. يلخص (2012) Bar-Matthews مناخ البحر الأبيض المتوسط بإيجاز، وأنا اعتمدُ عليه هنا. حول دراسة شاملة لمناخ البحر الأبيض المتوسط والبيانات التمثيلية التاريخية، انظر (2012) Lionello.

69. Chaudhuri (1990: 23).
70. Bar-Matthews (2012: 165).
71. S. Manning (2013).
72. Luterbacher et al. (2012: 126).

٧٣. حول مراجعات لنظام المناخ في البحر الأبيض المتوسط، انظر (2005) Bolle (2003); J. Hughes. يناقش (2016) De Angelis مناخ صقلية بإيجاز. يوجد دليل شامل عابر للتخصصات لبيئة حوض البحر الأبيض المتوسط وحالته الجيوفيزيائية في (2014) Goffredo and Dubinsky.

74. Luterbacher et al. (2012: 138).
75. Bolle (2003: 9).
76. J. Hughes (2005: 2).
77. J. R. McNeill (1992: 68–103);
78. Bresson (2016: 37).

٧٩. (70–31 :2016) Bresson. كما أن دراسة (2005) Butzer's لأرغوليذا لا تقل أهمية.

80. W. Harris (2005: 4).
81. Morris (2003).

٨٢. على سبيل المثال، يناقش (2008) Barjamovic "النطاق الوحيد" لتجارة المعادن إبان العصر البرونزي المبكر، ويستشهد بدراسة (2006) Rahmstorf، من بين أعمال أخرى.

83. Kemp (2006: 33).
84. Wengrow (2006: 22).

٨٥. ([1949]1995) Braudel. حول برودل مؤرخًا، انظر (2003) Poloni-Simard. حول مفهومه عن الزمن، انظر (1984) Santamaria and Bailey. قارن الخريطة المفهومية لتاريخ صناعة البحر seafaring في البحر الأبيض المتوسط في (597 :2013) Broodbank's. قارن (39 :1990) Burke.

86. Gras (1995).
87. Braudel (2001).

٨٨. يوجد تحليل للمحيط الهندي في إطارٍ برودلي في Chaudhuri (1985); Chaudhuri (1990). انظر تقديرا نُشر مؤخرا في Fusaro (2010). يناقش Abulafia (2005) المزيد من "البحار البيضاء المتوسطية". حول إرث برودل، يعد Shaw (2008) عملا ممتازا.

٨٩. حول مراجعة مثيرة للتفكير للكتب الثلاثة الأولى، انظر Shaw (2008).

٩٠. أثار العمل *Corrupting Sea* .Horden and Purcell (2000) ردود أفعال كثيرة. انظر على سبيل المثال W. Harris (2005). حول "تريف" ruralization تاريخ البحر الأبيض المتوسط، انظر ملاحظات W. Harris (2005: 29–34). توجد مراجعات جيدة كثيرة، من بينها Keenan (2000); Shaw (2001); Algazi (2005).

91. Horden and Purcell (2000: 175–203).
92. Horden and Purcell (2000: 263).

٩٣. حول ترابط العصر الحجري القديم العلوي، انظر بإيجاز Stiner et al. (2011: 248–50).

٩٤. انظر Prag and Quinn (2013)، ومقالة فيه لبورسيل Purcell.

95. Horden and Purcell (2000).
96. Morris (2003).
97. Broodbank (2011: 28).
98. Cf. Morris (2003: 44).
99. Broodbank (2013: 22).

١٠٠. انظر Butzer (2005); Brooke (2014: 272–75) and Harper (2015); Harper (2016) حول الجدل. W. Harris (2005: 10); Broodbank (2013: 71).

101. Butzer (2005).
102. Shaw (2001: 422).
103. De Romanis and Maiuro (2015).

١٠٤. W. Harris (2005: 33). قارن Demand (2015).

١٠٥. Morris (2003: 33). حول استكشاف الأطلسي، انظر Roller (2006). حول أفريقيا، انظر Burstein (1995). يوجد تلخيص للاستكشاف في عهد البطالمة في Préaux (1939: 356–59).

١٠٦. McPherson (1988). حول محاولات القياس الكمي "للترابط" في البحر الأبيض المتوسط، انظر Leidwanger (2013).

107. J. Davies (2013a: 322).
108. Bagnall (2005).

١٠٩. انظر الحجج التي يقدمها Morris (2003) التي تقترح توجها عالميا للتاريخ القديم.

١١٠ . يعدد Sallares (2013: 167–68) بعض الأحداث. انظر ملاحظات W. Harris (2005: 34–35).
حول تأثيرات بركان فيزوف على صناعة النبيذ الكامبانية، وتأثيره على صادرات النبيذ إلى الهند- على سبيل المثال- انظر Williams (2004).

111. Pliny, *Epistulae* VI.16.

١١٢ . Broodbank (2013: 76). حول بيانات جبل إتنا وتاريخ ثوراناته المعروفة، انظر: http://volcano.si.edu/volcano.cfm?vn=211060. في كتابه "حياة قيصر *Life of Caesar* 69، لاحظ فلوطرخس حجابا من الغبار البركاني لثوران عام ٤٤ ق.ح، وفشل المحاصيل المحلية.

١١٣ . تصور خريطة برودبانك Broodbank ذلك جيداً، وتبرز تحديداً كيف أثر ذلك على الجزر الإيجية.

١١٤ . Spengler et al. (2016). يعد Baumer (2012–16) مقدمة ممتازة لتاريخ آسيا الوسطى وثقافتها. حول ناقلات الأمراض ودور مصادر آسيا الوسطى خلال العصور الوسطى، انظر Bruce Campbell (2016: 241–43).

115. Quinn (2013).

١١٦ . انظر Quinn (2013: 261) الذي يستشهد بالدراسة Shaw (2003: 93).

117. A. Wilson (2013).

١١٨ . Quinn (2013: 266–68); Hdt. 4.181–85. انظر Liverani (2000) حول علم آثار طرق التجارة.
حول فزان، انظر Mattingly (2003); Mattingly (2007); Mattingly (2010).

١١٩ . حول طاقة إنتاج الحبوب في قورينائية، انظر Bresson (2011).

120. *SEG* IX 7. Trans. Austin (2006: text 289). Hölbl (2001: 210).
121. Hind (1995–96); Braund (2007); Moreno (2007).
122. Slaves: Avram (2007); timber: Hannestad (2007).
123. Mairs (2014).

١٢٤ . انظر مراجعات تجارة المحيط الهندي في Chaudhuri (1985); Chaudhuri (1990). حول دورات الحياة في المحيط الهندي، انظر Chaudhuri (1990: 382–87). Seland (2006); Seland (2008); Seland (2010). حول التجارة الرومانية مع الهند، انظر قائمة المراجع المفيدة التي جمعها Andrew Wilson, http://oxrep.classics.ox.ac.uk/bibliographies/indoro man_trade_bibliography/.

١٢٥ . حول دور البحر الأحمر وارتباطاته الاقتصادية بالداخل المصري، انظر Schörle (2010). توجد مراجعة أوسع لتجارة البحر الأحمر خلال الحقبتين الهلنستية والرومانية في Sidebotham (2011).

126. Seland (2008: 73).

127. Marek (2016).
128. Thonemann (2011).
129. Hdt. 2.5.

١٣٠. كان معدل المطر في مصر وشمال أفريقيا وإسبانيا حينذاك أعلى منه اليوم. انظر Reale and Dirmeyer (2000), and Reale and Shukla (2000).

131. Horden and Purcell (2000: 45; 397). Bagnall (2005); Bresson (2005a).
132. Bagnall (2005: 340).

١٣٣. أخذتُ عبارة "التعرض البحري المزدوج" من Fusaro (2010: 3). يتقصى Pollard (2014) الارتباطات التاريخية العميقة بين البحر الأبيض المتوسط والمحيط الهندي.

١٣٤. Said (1993). من ذلك نهر ملوية Moulouya في مراكش يبلغ طول ٥٢٠ كيلومترا ويصرِّف حاليا ٥٣,٥٠٠ كيلومتر مربع.

135. Mann (1986).

١٣٦. حول نموذج "استغلال العمل" الأساسي لتكوين الدولة، انظر R. Allen (1997).

137. Butzer (1999).
138. Hvidt (1998: 2).
139. Fraedrich et al. (1997).

١٤٠. Said (1993: 125–26); Hassan (2007). انظر ما يلي حول الدفع البركاني.

١٤١. Kondrashov, Feliks, and Ghil (2005); Berhane, Zaitchik, and Dezfuli (2014).

١٤٢. نوقش ذلك في B. Bell (1971); B. Bell (1975); Butzer (1984); Seidlmayer (2001). يقدم Bonneau (1971) ملاحظات ذاتية جُمعت من برديات يونانية من الأزمنة البطلمية إلى الرومانية المتأخرة، وهذا العمل في حاجة إلى تحديث.

143. Eyre (2004: 161–62).
144. Butzer (1984); Hassan (1994); Seidlmayer (2001); Eyre (2004).
145. Thonemann (2011: 19).

١٤٦. إن مسح الأدلة حول شبكة التبادل بين جزيرة كريت والدلتا جيد التوثيق بداية من الدولة القديمة. انظر Steel (2010).

147. Steel (2010: 472–73).

١٤٨. توجد مناقشة حديثة جيدة لهذه المناطق في Toby Wilkinson (2007).

١٤٩. Bowman (2009: 181). يناقش Trampier (2014) مستوطنات الدلتا. قارن Butzer (2002). انظر Blouin (2014) حول الدلتا خلال الحقبة الرومانية، ما يلي في موضع متأخر.

150. Aristotle, *Met*. 361b35–362a2.
151. Totman (1993: 15).

١٥٢. حول جزر هاواي، يعد Earle (1978) العمل الكلاسيكي.

١٥٣. قارن Steward (1955) الذي يكشف تأثير فيتفوغل.

154. Butzer (1999: 381–82).
155. Eyre (2000); Bonneau (1993).

١٥٦. Rathbone (1994: 35). يكاد متوسط انحدار نهر النيل في مصر يكون منعدما، إذ يبلغ مترا واحدا كل عشرة كيلومترات، أي ١ : ١٠,٠٠٠.

١٥٧. Butzer (1999: 382). إن السيطرة المحلية الأساسية المتمركزة حول الموظفين في القرى مُوَثَّقة جيدا خلال الأزمنة البطلمية وما بعدها. انظر Bonneau (1993).

158. Butzer (1999).
159. Schenkel (1978).
160. Butzer (2001).
161. Mann (1986: 110).

١٦٢. قارن Mann (1986: 97–98; 161).

١٦٣. حول المُلك المصري، انظر O'Connor and Silverman (1995).

١٦٤. Gellner (1983: fig 1)، قارن Morris and Manning (2005a: 150).

165. Mann (1986: 114).
166. Skinner quoted in E. Wilkinson (2000: 5).
167. Ekholm and Friedman (1979).
168. Mann (1986).

١٦٩. حول مصر القديمة، انظر Eyre (2004). إن تمحور التنظيم الاجتماعي في بالي Bali حول الري أمر كاشف. انظر Lansing (2006).

170. Chaudhuri (1990: 261).

١٧١. O'Leary (1989: 252) قارن Butzer (1976: 110).

172. Eyre (2000).
173. H. Cullen et al. (2002).
174. Purcell (2012: 375).
175. Weiss (2015).
176. A. Schneider and Adah (2014: 436).
177. Butzer (1995: 136).
178. Wunsch (2010: 42).
179. Butzer (1995: 142).

١٨٠. حول مراجعة موجزة للمناخ والتاريخ الاقتصادي للشرق الأدنى القديم، انظر Jursa (2010: 33–35).

١٨١. قارن Morris (2010: 186).

١٨٢. انظر Jursa (2010: 63–99) والأدبيات ذات الصلة المذكورة.

183. H. Cullen et al. (2000).
184. A. Schneider and Adah (2014).

الفصل الرابع

الزراعة والعمل

١. إن الأدبيات حول النظم الزراعية ما قبل الحديثة هائلة، ونتتظر الدراسة الاجتماعية المقارنة التالية ضمن تقليد فيبر (Weber (1998[1909].

2. Wrigley (2010: 9).

٣. ترجمة (Edgar (1931: 90.

٤. إن الكلمة التي تُرجمت هنا إلى corn [ذرة] تعني wheat [القمح]. والمائة أردب قمح كمية ضخمة. يستطيع الفرد أن يعتاش على عشرة أرادب في السنة. انظر (Pestman (1990: 49. من اللافت للانتباه أن هذه الكلمة لقياس الحبوب في مصر كلمة مستعارة من الفارسية.

5. W. Clarysse and Vandorpe (1995: 28).

٦. (Reger (2002: 135. حول الأسعار الديلوسية، انظر ما يلي.

7. Gehrke (1986: 18–19).
8. Bresson (2016: 143).
9. Crawford (1971); Verhoogt (1998).

١٠. انظر- على سبيل المثال- النقد الممتاز الذي قدمه (Mitchell (2002: 123–52 بحق Critchfield (1978).

١١. (Halstead (1987. أعيدت طباعته في (Scheidel and von Reden (2002: 53–70. انظر على سبيل المثال (Jameson (1992); Forbes (1992); Mattingly (1994: 97–103. قارن الملاحظات الحذرة في (Isager and Skydsgaard (1995: 6.

١٢. تعد دراسة (Halstead (2014 دراسة ممتازة للتفاوت بين المناطق والتفاوت الثقافي في الممارسات الزراعية التقليدية في البحر الأبيض المتوسط وانطباقها على السياق ما قبل الحديث.

13. Osborne (1987).

١٤. حول اليونان، انظر (J. Davies (2007: 342–43.

١٥. انظر (Keenan (1985) and Keenan (1989، وهما من دراسات التاريخ الجزئي الكلاسيكية للتوتر الزراعي/ الرعوي في مصر البيزنطية والرومانية على التوالي. حول الشرق الأدنى، ما تزال دراسة (Briant (1982 عملاً مهماً. حول الاعتبارات العامة، انظر (Horden and Purcell (2000: 82–87.

١٦. وضعتُ مع زملائي جدول أعمال أساسي في (Currie et al. (2015.

17. D. Jones (2014: 440–71).
18. Horden and Purcell (2000: 264).
19. Bresson (2016: 165–66).
20. De Angelis (2016: 166).
21. Jursa (2010: 33); D. Thompson (2012: 8).
22. D. Thompson (1999a).

٢٣. قارن (Kosmin (2014: 196–97.

24. Bresson (2016: 165–66).
25. Kaye (2015).

٢٦. من المراجعات العامة للزراعة المصرية ونظام مِلكية الأرض ;Eyre (2014); Katary (2007 (Katary (2013a. حول مراجعة تاريخية جيدة للزراعة المصرية من الأزمنة القديمة حتى الحديثة، انظر (Bowman and Rogan (1999.

27. Eyre (1994); Eyre (1999).

٢٨. حول مناقشة لإنتاج الغذاء ومعالجته، انظر الفصل المتعلق بذلك في :Nicholson and Shaw 2000 (505–671.

29. Sallares (1991: 368–72).
30. Moreno García (2007); Agut-Labordère (2011).

٣١. (Moreno García (2014: 248. انظر أيضاً (Moreno García (2016b من أجل مراجعة تاريخية للمعابد ومِلكية الأرض خلال الحقبة السايسية.

32. Moreno García (2014: 244).

٣٣. حول تنظيم اقتصاد الدولة الحديثة ودور المعابد، انظر (Haring (1997. قارن استخدامًا أكثر إبهامًا غير استخدام بولاني "لإعادة التوزيع" باعتباره مصطلحاً عاماً يشمل كلاً من الصفقات السوقية واللاسوقية في (Horden and Purcell (2000، وملاحظات ملائمة في :Algazi (2005 (231–32.

34. Weber (1998: 105–33).

٣٥. انظر (Haring (1997 وتحليله الدقيق لأحد أنواع مِلكيات المعابد في الدولة الحديثة. قارن Weber (1998: 253).

36. Katary (2013b: 721).
37. Moreno García (2016b: 228–32).
38. Katary (2013b: 750).
39. Monson (2012: 82).

٤٠. انظر ما يلي، الفصل الخامس، حول تفاوت الفيضان. تُذكر أرقام الغلة بطريقة معيارية في الكثير من المصادر، من بينها (Eyre (1995: 183–84); Eyre (2014: 293. على أن ذكر متوسط الغلة مسألة صعبة بالطبع. حول جهود نمذجة غلة المحاصيل، انظر (Currie et al. (2015.

٤١. قارن ملاحظات (Erdkamp (2016: 10–11.

42. G. Hughes (1952); Donker van Heel (1995); Agut-Labordère (2013: 1018–20); Moreno García (2015).

٤٣. ناقشها (J. Manning (2003); Monson (2012.

٤٤. حول مقدمة جيدة للأعمال الحديثة حول علم الآثار، انظر (Bagnall (2001); Bagnall (2011b.

45. Hassan (1993); Monson (2012).
46. Bowman (2013: 220–21).
47. J. Manning (1999).
48. Vandorpe (2015: 108–9).
49. Horden and Purcell (2000: 255).

٥٠. حول الأنواع الجديدة من العنب، انظر البردية بي كير زين ١ ٥٥٩٠٣٣ (٢٥٧ ق.ح)، وحول الأغنام الميليتوسية، انظر البردية بي كير زين ٢ ٥٩١٤٢ (٢٥٦ ق.ح).

51. Bresson (2016: 166–67).

٥٢. حول المحاصيل الجديدة، ونطاق زراعة العنب، انظر (D. Thompson (1999b: 133–34.

٥٣. حول المِلكية الخاصة، انظر (Jasnow (2003: 328–39); J. Manning (2003.

54. J. Manning (2003).

٥٥. حول المحاكمة، انظر المزيد فيما سبق.

56. Monson (2012: 37). Cf. Rathbone (1990).

٥٧. Blouin (2013); Blouin الذي يعتمد عليه هذا الملخص.

58. Blouin (2014: 259–60).
59. Blouin (2014).
60. Blouin (2014: 269).

٦١. حول نصوص إدفو من القرن الثالث قبل الحقبة المشتركة (البردية هاوسفالت، مانينغ *P. Hausw. Manning*)، انظر (J. Manning (2003.

٦٢. أعتمدُ هنا على (Jursa (2010: 184–206. انظر أيضاً (Fales and Postgate (1995.

٦٣. Jas (2000).

٦٤. انظر (Mayshar, Moav, and Neeman (2014 الذي يقارن ترتيبات مِلكية الأرض في مصر والشرق الأدنى، ويميّز حالة الأراضي "المُنْفِذة" عن "غير المُنْفِذة" (من وجهة نظر الدولة) التي دفعت اختلافات في الاقتصادات السياسية وفي النظم الجبائية.

65. Jursa (2013).
66. Jursa (2009: 225).

٦٧. الدراسة الكلاسيكية هي (R. Adams (1981. انظر حاليا مناقشة M. Hudson and Levine (1999); Joannès (2002).

٦٨. Jursa (2009: 225). عائدات عالية حتى نسبة ١ إلى ٢٤ وذلك بحسب Jursa (2010: 48).

69. Jursa (2009: 225); Jursa (2010: 171–84)

٧٠. حول الأسرة وأرشيفها، انظر الملخص الميسور Wunsch (2009)، يوجد المزيد من التفاصيل في Wunsch (1999).

71. Wunsch (2009: 238); Wunsch (2010).
72. Jursa (2009: 233).

٧٣. Oelsner, Wells, and Wunsch (2003). انظر ما يلي.

٧٤. توجد مقدمة إلى الزراعة اليونانية في Isager and Skydsgaard (1992); Jameson (1992); Burford (1993); J. Davies (2007); Bresson (2016: 142–74).

75. Bresson (2016: 158).
76. Burford (1993: 104).
77. Pomeroy (1994).

٧٨. حول ديموسثينيس، انظر Macdowell (2009). قارن Bresson (2016: 146).

79. Morris (1994: 363–64).
80. Bresson (2016: 135–38).
81. Bresson (2016: 143).
82. Foxhall (2002); Morris (2009: 120).
83. Alcock (2007).
84. Bresson (2016: 149–50).

٨٥. حول مقدونيا القديمة، انظر Margaritis (2016).

86. Burford (1993: 113–14).
87. Bresson (2016: 162–63).
88. Burford (1993: 128); Kron (2015: 164).
89. Bresson (2016: 120).

٩٠. Bresson (2016: 168). قارن J. Davies (2007: 342n46).

91. Foxhall (2007: 13); Forbes (1992).
92. Isager and Skydsgaard (1992: 83–107); J. Davies (2007: 346).
93. Burford (1993: 122–24); Bresson (2016: 121).
94. J. Davies (2007: 349).
95. Burford (1993: 167–81).
96. J. Davies (2007: 350).
97. Bresson (2016: 158).
98. J. Davies (2007: 343); Oliver (2007).
99. Scheidel (1995); Scheidel (1996).

١٠٠. توجد مراجعة للعبودية في الشرق الأدنى القديم والجزر الإيجية إبان العصر البرونزي في Steinkeller and Hudson (2015).

١٠١. حول التصنيفات اليونانية، انظر Vlassopoulos (2011).

102. Aristotle, *Pol.*, book 1.

١٠٣. انظر على سبيل المثال Dari-Mattiacci (2013).

104. Dari-Mattiacci (2013: 105).

١٠٥. يعد العمل O. Patterson (1982) مقدمة جيدة.

106. Jameson (1977–78); Cartledge (2002b); Jameson (2002).
107. Steinkeller (2015).

١٠٨. في سرديات معارك تحتمس الثالث، نحو عام ١٤٥٠ ق.ح، على سبيل المثال. يحتفظ نص مهم من الدولة الوسطى المصرية بقائمة طويلة من العبيد المصريين و"الآسيويين"، وقد عمل العبيد الآسيويون في المنازل. حول النص، انظر Hayes (1955); Quirke (1990).

١٠٩. Westbrook (2001: 334). توجد مراجعة للدَين في Westbrook (2001); M. Hudson and Van de Mieroop (2002).

110. Snell (2011: 15–17).
111. Steinkeller (2015: 9–14).

١١٢. Nathan Brown (1994)، حتى في مصر القرن التاسع عشر في عهد محمد علي، استُخدِم العمل المأجور في أشغال حفر القنوات والسدود. Marsot (1984: 151)

١١٣. Radner (2015) حول العمل المأجور في الإمبراطورية الآشورية الحديثة.

١١٤. قام Oelsner, Wells, and Wunsch (2003: 926–33); Jursa (2010: 232–40) اللذان اعتمدُ عليهما هنا بمسح هذا السجل. وما يزال العمل Dandamaev (1984) يعد الرواية المعيارية.

115. Wunsch and Magdelene (2014).

١١٦. Weber (1998: 112). في حالة مصر، توجد عدة دراسات تفصيلية لكل حقبة من التاريخ المصري. انظر Eyre (1987a); Eyre (1987b).

117. J. Manning (2003).

١١٨. يناقش Goelet (2015) مراجعة حول مسألة درجات القوة القسرية في العمل.

119. Moreno García (2015).
120. Weber (1998: 126).

١٢١. Finley (1999: 35–61). انظر مناقشة للأعمال المصرية الفرعونية في Cooney (2010).

122. Lehner (2015).
123. Quirke (1990: 127–54).
124. Cooney (2010: 166–68).
125. Lehner (2015); Hatnub graffito.

١٢٦. Moreno García (2015: 20). انظر Weber ((1998[1909]; 1998 ed.: 118–33).

١٢٧. نشر Vleeming (1993) نصا مهما حول مسح الأراضي من معابد آمون في نص طيبة من أوائل الألف الأول قبل الحقبة المشتركة.

128. Moreno García (2015).
129. Moreno García (2015).

130. J. Manning (1994).

١٣١. حول الضريبة، انظر Muhs (2011: 36); Blouin (2014: 133–34).

132. D. Thompson (1999a) Cf. Pestman (1980).
133. D. Thompson (1999a: 112).

١٣٤. يوجد مسح واسع حديث لعقود العمل المأجور والعقود المتعلقة بالعبودية في البرديات في Keenan, Manning, and Yiftach-Firanko (2014: 401–69).

١٣٥. انظر مناقشة للعبودية الهلنستية في D. Thompson (2011). يناقش Keenan, Manning, and Yiftach-Firanko (2014: 442–69) العبودية كما وُثِّقت في البرديات الوثائقية المصرية.

136. Foxhall (1990).
137. Burford (1993: 183).
138. J. Davies (2007: 352).

١٣٩. Cartledge (2011)، حول السكان الهيلوت، انظر D. Lewis (2016a: 326–27).

140. Plato, *Leg*. 6.776D–E.
141. D. Lewis (2016a: 327); Rihill (2011: 50).
142. Descat (2011: 209).
143. Burford (1993: 189–91).

١٤٤. Jameson (1992); Osborne (1995: 32–34); E. Harris (2002). توجد مراجعات جيدة للعبودية في العالم اليوناني في Garlan (1988); Burford (1993: 208–22); Cartledge, Cohen, and Foxhall (2002); and K. Bradley and Cartledge (2011).

145. Surveyed by P. Hunt (2011).

١٤٦. انظر Zurbach (2013) الذي يلخص الأدبيات.

١٤٧. Braund (2011: 119). حول غنائم الحرب، انظر Préaux (1978/1: 366–70); Austin (1986).

148. Braund (2011: 118).
149. Braund (2011: 124).
150. Burford (1993: 209).
151. D. Lewis (2016a: 322).

١٥٢. D. Thompson (2011: 198) الذي يستشهد بالبردية مجموعة الأوامر البطلمية ٢٢ (*C.Ord.Ptol*. 22 = *C. Ptol. Sklav*. 3.20–23).

153. Moreno García (2016b).
154. D. Thompson (2011: 200–202).
155. J. Manning (2003).
156. D. Thompson (2011).
157. Descat (2011: 210–11).
158. D. Thompson (2011: 209–10).

١٥٩. *Wisdom of Onchsheshonqy* 7/17، وهو نص بطلمي متأخر، لكنه ربما يعكس تقاليد أقدم.

١٦٠. انظر مناقشة في Keenan, Manning, and Yiftach-Firanko (2014: 442–69).

161. D. Thompson (2011: 205).

١٦٢. انظر Keenan, Manning, and Yiftach-Firanko (2014: 450–51).

163. Willy Clarysse and Thompson (2006).
164. Descat (2011: 212–13).

الفصل الخامس

حدود الاقتصادات ما قبل الحديثة

البيئة والمناخ والتغير المناخي

١. *Plant Explanations* 5.14.2 نقلا عن Bresson (2016: 479n108). Hardy and Totelin (2016: 177). ثمة أقسام من هذا الفصل مأخوذة من J. Manning (2010) and Manning et al. (2017).

٢. انظر السيرة الذاتية الرائعة لفون هومبولت في Wulf (2015).

٣. قارن الدراسة الأنثروبولوجية الكلاسيكية في Forde (1934).

٤. يقدم Neville Brown (2001) مخططا لتاريخ دمج المناخ والتاريخ.

٥. انظر موضع متأخر فيما يلي حيث أقدم دراسة حالة للتأثيرات البركانية على النيل خلال مصر البطلمية.

6. D'Alpoim Guedes et al. (2016).

٧. يقدم S. White (2011) تحليلاً تاريخياً ممتازاً "للعصر الجليدي الصغير"، يربط التغير المناخي والجفاف بالمرض والاضطراب الاجتماعي والمجاعة في الإمبراطورية العثمانية خلال القرن السادس عشر.

٨. يقدم Bruce Campbell (2016) دراسة قيمة، وأنا هنا أعتمد على تحليله.

9. Butzer (2012); Liu et al. (2007).

١٠. Bruce Campbell (2016). والعمل Harper (2017) حول روما عمل مهم.

11. Liu et al. (2007).
12. Lattimore (1979: 35).
13. Bruce Campbell (2010: 307).
14. Elis, Haber, and Horrillo (2017).

١٥. انظر Radkau (2008: 28) والأدبيات المذكورة فيه.

١٦. Flohr et al. (2016). يوجد مثال متطرف لنظرية الانهيار المدفوع بشريا في البحر الأبيض المتوسط ما قبل الحديث في J. Hughes (1994).

17. Lamb (1995: 10–12); Brooke (2014: 2). Cf. Bruce Campbell (2010).

18. Isager and Skydsgaard (1992: 11)

١٩. (275 :2014) Brooke والأدبيات المذكورة فيه.

20. Radkau (2008: 91–93).

٢١. (1957) Wittfogel. إن بحثا سريعا عن مصطلح "الاستبداد الشرقي" Oriental Despotism على موقع غوغل إسكولار Google Scholar يعطي أكثر من ستة وعشرين ألف مادة.

22. Butzer (1996).

٢٣. Voltaire, *Essai sur les moeurs*, chapter 194. حول معالجات للنظرية في علاقتها بالشرق الأدنى، انظر Van de Mieroop (1999: 112); Snell (1997: 145–58); Dandamaev (1984: 70–76); Jursa (2010). وحول مصر، انظر J. Manning (2010) for Egypt.

24. M.I.J. Davies (2009); J. Manning (2010).
25. Mayshar, Moav, and Neeman (2014).

٢٦. (2017) Elis, Haber, and Horrillo، وفيه مراجعة جيدة لأدبيات علم الاقتصاد.

27. Elis, Haber, and Horrillo (2017: 5–6).
28. Butzer (1984: 112); Butzer (2012).
29. Cf. Bresson (2016: 27).
30. Broodbank (2013: 607).

٣١. يعد (1915) Huntington work (1913); Huntington من الأعمال التأسيسية. انظر مراجعة J. R. McNeill (1997).

٣٢. انظر على سبيل المثال (2007) Hornborg et al.

٣٣. انظر- على سبيل المثال- الدراسة حول "وعورة التضاريس" التي يمكن أن تعيق التجارة والنمو أو تحمي بعض الجماعات من النهب في (2012) Nunn and Puga.

٣٤. حول مفهوم العقلانية المقيّدة باعتباره فكرة في مقابل نماذج "الفاعل العقلاني" للسلوك الاقتصادي التي تذهب إلى أن البشر يصنعون القرارات بناء على معلومات تقيّدها قدرتهم المعرفية والقيود الزمنية ونقص المعلومات، انظر (2003) Kahneman.

٣٥. ترجمة (1998) Waterfield.

36. Horden and Purcell (2000: 301).
37. *Decline and Fall* 3: 30.

٣٨. ترجمة Francis Adams, the Internet Classics Archives, http://classics.mit.edu/Hippocrates/airwatpl.2.2.html.

39. Mayshar, Moav, and Neeman (2014).
40. Shaw (2001: 434).
41. Mann (1986: 223).

42. J. Davies (2001: 44); Thonemann (2011) انظر الملاحظات العامة في .A. Baker (2003: 156–205).
43. Reger (2011).
44. Barjamovic (2008).
45. Barjamovic (2008: 99).
46. Burke in E. Burke and Pomeranz (2009: xi).

٤٧. انظر مراجعة في Martini and Chesworth (2010). حول العالم اليوناني، انظر Sallares (1991)، حول مصر انظر Butzer (1976); Hassan (1994); Scheidel (2001)، حول الشرق الأدنى انظر T. J. Wilkinson (2003); T. J. Wilkinson (2010). حول المرض، انظر Sallares (2002); Sallares (2014).

48. Cronon (1983: vii).
49. Sallares (2007); Sallares (2009).

٥٠. أكد ذلك Brooke (2014).

51. Pomeranz in E. Burke and Pomeranz (2009: 8); Sallares (1991: 33).
52. Carlsen et al. (1994).

٥٣. Bowman and Wilson (2011). تقدم دراسة مورلي لروما Morley (1996) مقاربة مفيدة. حول تاريخ شيكاغو، انظر Cronon (1991).

٥٤. انظر أيضا دراسته أحادية الموضوع السابقة Braudel (1971).

55. Le Roy Ladurie (1979: 291).

٥٦. نُشرت أعمال رائدة في مجلة التاريخ العابر للتخصصات *Journal of Interdisciplinary History* منذ العدد volume 10 (1980); Rotberg and Rabb (1981); D. Smith (1989).

٥٧. حول تاريخ بحوث عينات اللب الجليدي، انظر Jouzel (2013)، والرواية المهمة Richard B. Alley (2000).

58. Izdebski et al. (2016).

٥٩. انظر Braudel (1971); Braudel (1979).

60. Bryson and Padoch (1981: 4).
61. DeVries (1980: 603).
62. DeVries (1980: 599).

٦٣. قارن Izdebski et al. (2016: 6).

٦٤. انظر المناقشة Bresson (2014a).

65. R. Adams (1965); more recently Zettler (2003).

٦٦. نُشرت في مجلة التاريخ العابر للتخصصات Journal of Interdisciplinary History 10 (1980)، وفي Rotberg and Rabb (1981).

٦٧. حول الاستخدام التفصيلي لسجلات المناخ القديم في التاريخ العميق، انظر Brooke (2014). يعد العمل R. Bradley (2015) مقدمة ممتازة لعلم المناخ القديم واستخدام البيانات التمثيلية المناخية والنماذج. يراجع Izdebski et al. (2016) أنماط العمل المختلفة (التاريخ المناخي، التاريخ البيئي، إعادة البناء التاريخية للمناخ).

٦٨. Matthews et al. (2012: 7–20). حول تقنيات تحليل العينات اللبية الجليدية باستخدام المطياف الكتلي البلازمي بالتقارن الحثي، انظر McConnell et al. (2002).

٦٩. يستخدم Morris (2010) التغير المناخي على نطاق واسع في روايته التاريخية الكلية لافتراق الشرق والغرب. حول شرح المشكلات الأساسية، انظر Petrie et al. (2017).

70. Bruce Campbell (2016: xvii).

71. Koepke and Baten (2005a and b); Malkin (2011: 12); Broodbank (2013: 43); Brooke (2014: 1–13).

٧٢. Schnaiberg (2005); Bruce Campbell (2010); S. White (2011); Petrie et. al. (2017). انظر مراجعة لبعض المصادر الكلاسيكية للمناخ في Bresson (2014a).

73. Harper (2015: 562).

74. Hsiang and Burke (2014: 41).

٧٥. قارن Rabb (1981: 252).

٧٦. يستخدم R. Adams (1981); Butzer (1976); Butzer (1997); Butzer (2005); Butzer (2012). Garnsey (1988) الحلقات الشجرية. حول الحلقات الشجرية، انظر أيضا S. Manning (2013: 136–45). R. Bradley (2015: 4). توجد قائمة كاملة بالبيانات التمثيلية للمناخ القديم ومُحَدِّدات النطاقات الزمنية المختلفة في R. Bradley (2015, table 1.1 and table 1.2).

٧٧. انظر Brooke (2014: 288–316) حول ملخص للاتجاهات والتاريخ المناخي طويلي المدى. يعتبر هذا العمل الفترة ٣٠٠٠–٥٠٠ ق.ح المناخ الأمثل، لكن كانت هناك بالطبع تفاوتات محلية كبيرة ضمن هذا الامتداد التاريخي الواسع.

٧٨. يوجد ملخص موجز لحجر باليرمو في Said (1993: 134–35).

٧٩. ينعكس ذلك– على سبيل المثال– في McCormick et al. (2012); Brooke (2014); Harper (2017). See also W. Harris (2013a). كما أن J. Haldon et al. (2014) يهتم بالدرجة الأولى بالعالم الروماني، انظر قائمة المراجع لدراسات المناخ الروماني والبيزنطي في J. Haldon et al. (2014: 119n9).

٨٠. انظر مجموعات البيانات والخريطة التفاعلية في https: //www.ncdc.noaa.gov/data-access /paleoclimatology-data/datasets. نشر Luterbacher et al. (2012) عددا كبيرا من البيانات التمثيلية المناخية للبحر الأبيض المتوسط خلال الألفي سنة الماضية.

٨١. انظر Marriner et al. (2012) حول البيانات اللبية من رواسب الدلتا.

٨٢. قارن Petrie et al. (2017).

83. Ortega et al. (2015: 71).
84. Cullen and de Menocal (2000).
85. Kondrashov, Feliks, and Ghil (2005).
86. J. Diamond (1997); Barker (2009).
87. R. B. Alley et al. (1993).

٨٨. انظر Spengler et al. (2016) وكامل العدد *the Holocene* 26/10 (2016).

89. Rasmussen et al. (2015); Brooke (forthcoming).

٩٠. حول الشذوذ المناخي في عام ٢ , ٤ أ.س وانهيار دائرة التفاعل الجامع للشرق الأدنى ومصر، انظر Weiss (2015); Weiss (2016); Stanley et al. (2003). يترك Beaujard (2011: 20n212) السبب وراء انهيار الشرق الأدنى دون وادي نهر السند مفتوحا. ربما يكمن السبب جزئيا في تأثيرات التغير المناخي ومدى الاستجابات التكيفية في المناطق المختلفة. تنتج الحركية المناخية في الشرق الأدنى عن التيارات الجوية الأطلسية والغربية التي تجري عبر البحر الأبيض المتوسط. وفي الهند، كما هي الحال في مصر، تعتمد الحركية المناخية على الرياح الموسمية، على الرغم من وجود أمطار شتوية في وادي نهر السند. حول تعقيد وادي نهر السند والاستجابات التكيفية، انظر Petrie et al. (2017). كانت مصر والثقافة البلاطية، في المقابل، معتمدة على التبادل مع الشرق الأدنى. انظر أيضا Butzer (1997) and Butzer (2012)، وإن كان يقلل من شأن الانهيار في معالجته اللاحقة. حول التراجع في نحو عام ٢٠٠٠ ق.ح، انظر Potts (1997); Staubwasser and Weiss (2006). يساعد نموذج Beaujard (2011: fig. 29) في تصور الصلات التجارية. توجد مقدمة عامة جيدة للانهيار المجتمعي في Tainter (1988).

٩١. Roland et al. (2014: 11). انظر الملحق.

٩٢. Kaniewski, van Campo, and Weiss (2012); Weiss (2012); Weiss (2015). ما يزال الجدل حول طبيعة الانهيار والمرونة الحكوميين خلال هذه الفترة متواصلا، لكن ما يزال المؤرخون يقاومونه على نطاق واسع.

93. Weiss (2016).

٩٤. انظر Carter and Morris (2014).

٩٥. انظر ملخصاً جيداً في Carter and Morris (2014).

٩٦. يناقش Liverani (2014: 381–400) العوامل في مجتمعات الشرق الأدنى. انظر أيضا Höflmayer (2017). حول عمليات انهيار الدولة الحديثة المصرية، انظر Butzer (2012). حول الشبكات التجارية، انظر Dickinson (2006); Cline (2007); Tartaron (2013).

٩٧. توجد مراجعة لبعض بيانات المناخ القديم في Brooke (2014: 302n30).

٩٨. إن توقيت ثوران بركان هيكلا ٣ (Hekla-3) محل جدل حامي، وثمة نظرية لا تحظى بقبول واسع تذهب إلى أن "سلاسل زلزالية" earthquake storms حول البحر الأبيض المتوسط في نحو الفترة ١٢٧٥-١١٧٥ ق.ح مرتبطة على الأرجح بالنشاط البركاني كانت أحد العوامل الرئيسة في انهيار العصر البرونزي. انظر Brooke (2014: 300) الذي يستشهد بالدراستين Nur (2000); Nur and Burgess (2008).

٩٩. Kaniewski, Guiot, and van Campo (2015). يشكل النطاق الزمني أهمية في تفسير البيانات التمثيلية المناخية. كان Rohling et al. (2009) أكثر تحوُّطا في بياناتهم وعملوا ضمن نطاق زمني ألفي، هو ١٥٠٠-٥٠٠ ق.ح.

١٠٠. Butzer (2012). حول بيانات رواسب الكهوف في كهف أليبوتريبا Alepotrypa cave في اليونان، انظر Finné et al. (2014). حول المجاعة الشديدة التي ذكرت في النصوص الحثية خلال القرن الثالث عشر قبل الحقبة المشتركة، انظر Klengel (1974). يذكر نقش الكرنك الكبير الخاص بالملك المصري مرنبتاح Merenptah بإيجاز إرسال الحبوب إلى المملكة الحثية. حول القطعة، انظر Manassa (2003: 34). إن الجفاف مُوَثَّق جيدا حاليا في التحليلات اللبية للبحيرات، انظر حولها Roberts et al. (2011).

١٠١. يراجع Brooke (2014: 301); Rohling et al. (2009); Kaniewski, Guiot, and van Campo (2015) سجلات المناخ القديم. حول الحدود الدنيا/ القصوى للنشاط الشمسي، انظر Usokin et al. (2008). حول ثوران بركان هيكلا، انظر قاعدة البيانات السميثونية: http://volcano.si.edu/volcano.cfm?vn=372070.

102. S. Manning (2013: 132).

١٠٣. يوجد ملخص في (Demand (2011: 193–219); Kaniewski, Guiot, and van Campo (2015.

أشكر جيسيكا لامون Jessica Lamont على المرجع المتعلق بنظام الكتابة الثاني.

104. S. Sherratt (2001); Routledge and McGeough (2009); Moreno Garcia (2016b).

١٠٥. انظر (Brooke (2014: 300–16 حول ملخص للاتجاهات المناخية خلال تلك الفترة.

106. S. Manning (2013: 132–33).
107. S. Manning (2013: 112–14).
108. Macklin et al. (2015).
109. Macklin et al. (2015); Hassan (2007).
110. Roberts (2012); Magny et al. (2013); Brooke (2016).

١١١. (Harper (2017. العبارة "الفترة الهادئة الرومانية" مأخوذة من مايكل سيغل Michael Sigl.

١١٢. (McCormick et al. (2012: 174. تعطي السجلات التمثيلية المناخية المختلفة تحقيبات مختلفة قليلا، فيقترح الغبار من إسبانيا- على سبيل المثال- أن الفترة الدافئة هناك ترجع إلى نحو عام ٢٥٠ ق.ح. انظر (Desprat et al. (2003. حول استخدام "الشذوذ" الذي يشير إلى قدر كبير من التفاوت بين المناطق وعدم اليقين بشأن التأريخ، انظر (J. Haldon et al. (2014: 121. انظر أيضاً (Harper's (2017 حول ملخص للظروف المناخية الرومانية، (Luterbacher et al. (2016.

١١٣. Columella, *Rust*. 1.1.5. قارن ملاحظة (W. Harris (2007: 513n5.

114. Halstead and O'Shea (1989).

١١٥. (R. Bradley (2015: 13–54. حول مراجعة تفصيلية لآليات التغير البيئي، انظر Matthews et al. (2012: 361–535).

١١٦. انظر ملاحظات موجزة في (Broodbank (2013: 41–44.

١١٧. يمكن حاليا تحديث المناقشة الممتازة التي أجراها (Butzer (1995 في الكثير من تفاصيلها.

118. Gornall et al. (2010).
119. Butzer (2012).

١٢٠. تعكس الأقسام التالية حول الدفع البركاني ودراسة تأثيراته على النيل أعمالا مشتركة متواصلة مع Bill Boos, Francis Ludlow, Jennifer Marlon, Michael Sigl, and Zan Stine نُشرت في مجلة (*Nature Communications* 8 (2017. أدينُ بالشكر لكل هؤلاء الدارسين على سخائهم بوقتهم ومعرفتهم. ولا أزال أتعلم الكثير من كل منهم.

١٢١. هناك أدبيات متنامية تناقش تأثيرات الثورانات الانفجارية. انظر Robock (2000); Schmidt et al. (2015); LeGrande et al. (2015).

١٢٢. انظر على سبيل المثال Ramsay and Licht (1997). انظر Sigl et al. (2015) حول دفع ثوران عام ٤٤ ق.ح الذي ربما أن يكون بركان تشلتيبي Chiltepe في نيكاراكوا. تذكر المصادر الصينية مجاعة في عام ٤٣-٤٢ ق.ح. يستطيع دارسو العينات اللبية الجليدية أن يميزوا بين مواقع الثورانات في دوائر العرض الشمالية البعيدة و"الاستوائية"، أي دائرة العرض الوسطى، لأن الأولى مُوَثَّقة في العينات اللبية الجليدية في جزيرة غرينلاند فقط، في حين أن الثورانات البركانية عند الدائرة الوسطى أو "الاستوائية" ترسب الكبريت في كل من جزيرة غرينلاند والدائرة المتجمدة الجنوبية.

١٢٣. Antonopoulos (1992). Thucydides 3.89. يذكر ثيوسيديديس Thucydides 3.116 نشاطا بركانيا على جبل إتنا، ربما في عام ٤٢٥ ق.ح، ربما لم يكن بركانا عاديا، وربما لم يصل جليد جزيرة غرينلاند. وقد يكون هذا الحدث هو الذي ولّد الزلزال والاتسونامي. أشكرُ فرانك لودلو Frank Ludlow على مناقشة هذه النقطة.

١٢٤. هناك أدبيات متنامية حول آليات الدفع البركاني. يمثل العمل R. Bradley (2015) and LeGrande et al. (2015) نقطة انطلاق جيدة. حول رواية رائجة، انظر Zeilinga de Boer and Sanders (2002).

125. R. Bradley (2015: 50–54); Robock (2000).
126. R. Bradley (2015: 50).

١٢٧. Brönnimann and Krämer (2016). انظر أيضا نموذج الاستجابة الاجتماعية في Luterbacher and Pfister (2015), and fig. 26.

128. Zeilinga de Boer and Sanders (2002: 108–37); Mikhail (2015).
129. Mikhail (2015).

١٣٠. R. Bradley (2015: 51); Kostick and Ludlow (2015). حول مجموعات الثورانات البركانية، انظر ملاحظة Muscheler and Fischer (2012: 458); Toohey, Krüger, Sigl, et al. (2016)، وراجع قاعدة البيانات في http://www.volcano.si.edu.

١٣١. على سبيل المثال، يذهب العمل Grainger (2010: 411) إلى أن مصر كانت "غنية ووفيرة السكان ومستقرة إلى حد بعيد" في حكم البطالمة. لا تُذكر Issar and Zohar (2010: 206) الحقبة الهلنستية إلا بإيجاز باعتبارها إحدى "فترات الظروف المناخية المواتية" التي خلقت "ازدهارا اقتصاديا".

132. B. Bell (1971); B. Bell; (1975); Butzer (1984).
133. Sigl et al. (2015).
134. Sigl et al. (2015).
135. Bonneau (1971).

١٣٦. اختبرت الأعمال الحديثة هذه الفرضية، وأوضحت أنها موثوقة على نطاق واسع. J. Manning et al. (2017). ونحن نجد أن نوعية الفيضان قبل سنتين وبعد ثلاث سنوات من الثورانات (تسمح هذه النافذة بأوجه غموض في تحديد التاريخ بالعينات اللبية الجليدية والمصادر التاريخية، فضلا عن تأخير الاستجابات أو إطالتها) تنخفض دون المتوقع عشوائيا بنسبة ثقة قدرها ٩٩,٨٥ بالمائة (أحادي الذيل احتمال = ٠,٠٠١٥، اختبار مونت كارلو للمتوسطات المتساوية. توجد نتائج متماسكة للنوافذ المختلفة، وهي قبل سنة واحدة من الحدث وبعد ثلاثة سنوات منه وقبل لا شيء من الحدث وبعد ثلاث سنوات منه، وقبل سنتين من الحدث وبعد سنتين منه، وقبل سنة واحدة من الحدث وبعد سنتين منه، وقبل لا شيء من الحدث وبعد سنتين منه (في كل الحالات كانت نسبة الثقة أكبر من ٩٨,٨ بالمائة، ما يشير إلى حساسية النيل للثورانات البركانية في هذه الفترة.

١٣٧. Garnsey and Whittaker (1983); Garnsey (1988). حول الخطر والاستجابة للتفاوت، انظر Halstead and O'Shea (1989); Gallant (1991)، حول العالم الهلنستي، انظر Rathbone (1983).

138. McCormick et al. (2012: 174)

١٣٩. حول الصلة بين الثورات البطلمية والثورانات البركانية الانفجارية، انظر الدراسة التمهيدية في Ludlow and Manning (2016). حول مقارنة، انظر Bai and Kung (2011) and Jia (2014) حول الثورات التاريخية المرتبطة بالجفاف في الصين.

١٤٠. Dem. 34.37, 35.50–51, Aristotle *Oec.* 1348b–1349a. انظر Reger (2003: 177) والأدبيات المذكورة فيه.

١٤١. انظر ما يلي.

١٤٢. *IOSPE* I2 401. انظر Stolba (2005). حول النص، انظر see http://www.c-h-i.org/examples/ptm/gallery_cher_2008-old/cher_oath_index.html.

143. Stolba (2005: 309).

١٤٤. أخذتُ سلسلة الثورات من دراسة Veïsse (2004)، ولا أستخدمُ إلا التواريخ التي أعتقدُ أنها تواريخ بداية الاضطراب. تقلل هذه النافذة أوجه الغموض في تحديد تواريخ الثورانات البركانية تأسيسا على العينات اللبية الجليدية (على سبيل المثال، من أوجه الغموض في عد الطبقات اللبية الجليدية، والتأخر الممكن بين تاريخ الثورانات وترسيب الكبريت المرتبط بها في

الجليد القطبي)، والتأخر الممكن بين الخفض المستحث بركانيا لفيضان النيل الصيفي وبداية الثورة، وأوجه الغموض الممكنة في تحديد تاريخ بداية الثورات.

145. Polybius 5.34.2–9.
146. Buraselis (1993).

١٤٧ . كما يصفه المؤرخ الروماني (Mcing (1997: 274؛ Justin, *Epit*. 27.1.9; *FGrHist* IIB, 260 F43.

١٤٨ . *OGIS* 56, 17–18 (المرسوم الكانوبي، ٢٣٨ ح.م). انظر (Austin (2006: text 27.

١٤٩ . (Bresson (2011 حول معدل إنتاجية قوريني. النسخة اليونانية من المرسوم (*OGIS* 56)، الأسطر ١٣-١٩. ترجمة (Austin (2006: 471. حول معالجة كاملة للنص، انظر Pfeiffer (2004). حول مواقع "الكثير من الأماكن الأخرى"، انظر (Buraselis (2013: 101.

١٥٠ . Polybius 5.88–90، انظر حوله (Holleaux (1938: 445–62.

١٥١ . البردية أدفو *P. Edfu* 8، انظر (Lukaszewicz (1999.

١٥٢ . حول مفهوم "الرائد الثقافي"، انظر ما سبق.

١٥٣ . (M. Lewis (1997: 20–21. قارن (D. Wilson (2002: 8. من غير الواضح ما إذا كانت هذه الآلة قد "اختُرعت" في الإسكندرية أم في مكان آخر استجابةً لأزمة بعينها أو لأسباب أخرى. انظر A. Wilson (2008); Oleson (2000).

154. Brooke (2014: 284).
155. Lukaszewicz (1999: 31–32).

١٥٦ . *FGrH* III B, p. 606; Athen. V.206d–209e. إن كل ما هو مؤكد هو أن المنحة قُدمت في عهد هيرو الثاني (٢٦٩-٢١٤ ق.ح)، لكن العقد السادس من القرن الثالث قبل الحقبة المشتركة يتفق بشدة مع هذه الظروف. يحدد (Huß (2001: 368 الزمن الذي قُدمت فيه المنحة على نحو فضفاض.

157. Ray (1976: 136–46).

١٥٨ . (Bintliff (1991: 25–26. قارن (J. Davies (2013a.

١٥٩ . حول الطلب الحضري على القمح، انظر (Rathbone (1983: 46.

160. Schindler et al. (2010).
161. J. Manning et al. (2017).

١٦٢. ثمة مرسوم أخير، بصيغة المرسوم الكهنوتي، لكن هذه المرة أعلنه أحد الحكام، في محاولة لتخفيف تأثيرات الجفاف والمجاعة اللذين حدثا في عام ٣٩ ق.ح. انظر ;(Hölbl (2001: 239 .Burstein (1985: 144–46)

١٦٣. حول الثورات القديمة، انظر (Collins and Manning (2016. حول الثورة المكابية الشهيرة، انظر (Honigman (2014. بحسب معرفتي لم يثر أحد الدارسين إمكانية الجفاف باعتبارها أحد العوامل الأساسية وراء هذه الثورة. أتمنى أن أقوم بالمزيد من الأعمال حول هذه النقطة.

164. Maehler (1983: 8).

١٦٥. انظر (Rathbone and von Reden (2015.

166. Von Reden (2007: 70).

167. Erdkamp (2005: 225–37); McCormick et al. (2012).

١٦٨. (Horden and Purcell (2000: 301–41. قارن (Broodbank (2013: 64–65. انظر S. White (2011) حول تأثير التغيرات المناخية على التاريخ الاجتماعي العثماني.

١٦٩. حول المرض في مصر الرومانية، انظر (Scheidel (2001.

١٧٠. .(Mayerson (2002

١٧١. أقدم ترجمة جزئية للنص في الاستنتاجات.

172. S. Manning (2013: 118).

الفصل السادس

مَوْلِد "الإنسان الاقتصادي"

السكان والدولة والمنزل والفرد

1. Swedberg (1998: 31).

٢. يؤكد (Wickham (2005 نمط الإنتاج الفلاحي في دراسته لأوروبا العصور الوسطى المبكرة.

٣. (Horden and Purcell (2000: 272. قارن Ps.-Aristotle, *Oikonomika* 2.2.17 حول فائض الحبوب.

٤. انظر (Garnsey (1988); Gallant (1991.

٥. مثل (Goody (1976); Goody (1990. انظر حاليا (Huebner and Nathan (2017 حول أنماط البحر الأبيض المتوسط ما قبل الحديث.

٦. انظر الفصل الختامي لناثان في (Huebner and Nathan (2017.

7. Kemp (2006: 302–35).

٨. انظر (Ray (2002: 25 حول احتمال أن هذه الرسائل ربما لم تفتح.

9. Jursa (2010: 769).
10. Agut-Labordère (2013: 1009–26).

١١. تعد حكاية ستني Setne أحد هذه النصوص، وهي محفوظة بالتوثيق P. Cairo 30646، وتُؤرَّخ عموما على أساس البليوغرافيا إلى الحقبة البطلمية المبكرة. حول تحديد التاريخ، انظر Vinson (2008: 309). حول طبعة جديدة ممتازة للنص، انظر (Goldbrunner (2006. حول ترجمة إنجليزية، انظر (Ritner in Simpson (2003: 453–69 الذي يطلق عليها اسم "القصة الرومانسية ستن خعمواس والمومياوات" The Romance of Setna Khaemuas and the mummies التي نُشرت مع تعليقات كثيرة على النص. حول مقدمة للأدب، انظر ريتنير Ritner في Simpson (2003: 582–84). انظر أيضا (Quack (2005: 32–35); Vinson (2011.

12. Willy Clarysse and Thompson (2006).
13. Willy Clarysse and Thompson (2006/2: 230).

١٤. قارن (Pomeroy (1997: 193–229.

١٥. انظر معدلات نمو السكان العالمية المُقَدَّرة للفترة ٩٠٠٠ ق.ح-٢٠٣٠ ح.م التي تقدم أرقاما تقديرية للسكان في كل قرن، الجدولان II.1 وIII.1A في (Brooke (2014. قارن Christian (2004: 143).

16. Scheidel (2007: 45).

١٧. حول سكان مصر: (Kraus (2004 حول الحقبة البطلمية، Willy Clarysse and Thompson (2006). حول مصر الرومانية، انظر (Bagnall and Frier (1994); Scheidel (2001.

18. Wiesehöfer (2009).
19. J. R. McNeill (2000: 15). Cf. Christian (2004).

٢٠. أعتمد هنا في هذا القسم على ملخصات Scheidel (2007); Scheidel (2013a). For ancient Greek demography. حول سكان اليونان القديمة، (Morris (2007); Bresson (2016: 41–70. لم تُدمج تربية الحيوانات تماما في التاريخ الاقتصادي للألف الأول قبل الحقبة المشتركة.

21. Inoue et al. (2015).
22. Scheidel (2007: 38).
23. Bagnall and Frier (1994).

٢٤. انظر (M. H. Hansen (2006a حول يونان القرن الرابع قبل الحقبة المشتركة. حول تذاكر المومياوات وسكان مصر، انظر (Arlt (2011. انظر (Scheidel (2001 حول الوفيات والأمراض الموسمية في مصر.

٢٥. انظر Parkin (1992); Scheidel (2007); Scheidel (2013a); De Ligt (2012) حول إيطاليا الرومانية، انظر Bresson (2016) حول العالم اليوناني. وقد أُعلِن عن كتاب قادم حول السكان في العالم اليوناني-الروماني.

26. Bagnall and Frier (1994); Scheidel (2001); Willy Clarysse and Thompson (2006).

٢٧. انظر Bowman (2009: 181) وبعض الأدبيات التي رجع إليها. حول تقديرات أخرى تتراوح من ١,٨ إلى ٦,١٦ مليون "للحقبة اليونانية-الرومانية" باستخدام تقديرات مختلفة للمعدلات الضريبية وغلات المحاصيل وحدود مستوى الكفاف، انظر Hassan (1994: 170).

٢٨. يقدم Hassan (1994) مراجعة جيدة لحركية السكان في التاريخ المصري القديم. حول سكان الحقبة الرومانية، انظر Scheidel (2001).

29. M. H. Hansen (2006a).

٣٠. هذه هي التقديرات المنخفضة والعالية التي قدمها Wiesehöfer (2009: 77).

٣١. يتسم تقدير Kron (2012) بالضخامة. حول جداول معدل الحياة القياسي، انظر Bagnall and Frier (1994). حول جدول معدل الحياة القياسي الروماني، انظر Frier (1982).

٣٢. زهاء ثلاثين بالمائة. Scheidel (2013a: 136).

٣٣. ثمة جدل قديم حول حجم السكان الروماني، تحديداً حجم سكان إيطاليا الرومانية، وقد تجدد الجدل مؤخراً على أسس أثرية بالدرجة الأولى. انظر Lo Cascio (1994); Kron (2005); Scheidel (2008).

٣٤. انظر المجموعة المهمة التي جمعها Vleeming (2011). يعالج Arlt (2011) المعلومات السكانية المشتقة من هذه المجموعة.

35. Scheidel (2001).

٣٦. انظر مراجعة Alfani and Murphy (2017).

٣٧. حول الملاريا، انظر Sallares (2002). حول الوفيات الموسمية في مصر للأسباب المختلفة، انظر Scheidel (2001). يناقَش داء البلهارسيا في Kloos and David (2002). في دراسة حديثة ومهمة، وجد Rasmussen et al. (2015) أن سلالة بكتيريا اليرسينيا الطاعونية *Yersinia pestis* الأقل فتكا من السلالة ذات الصلة التي تسبب الطاعون الدبلي bubonic plague يمكن إرجاعها حاليا إلى العصر البرونزي.

38. William H. McNeill (1976: 77–147).

٣٩. يشير الطاعون، على وجه التحديد، إلى تفشي المرض الذي تسببه اليرسينيا الطاعونية، Alfani and Murphy (2017).

٤٠. Thuc. 2.48–52. انظر ملخصاً وبائياً في Littman (2009). حول المقابر الجماعية المرتبطة على الأرجح بتفشي الطاعون، انظر Baziotopoulou-Valavani (2002).

41. Harper (2017).
42. Achilli et al. (2007).
43. Jursa (2010: 36–48).
44. R. Adams (1981).

٤٥. انظر مناقشة J. Davies (1992).

46. J. Davies (1992: 297).

٤٧. انظر ما سبق حول تقدير حديث لأعداد العبيد

48. J. Davies (1992: 299–300).

٤٩. يلخص J. Davies (1992: 302–5) ثلاثة مجالات، هي الأسواق وتراكم رأس المال (الإقراض) والاقتصاد العام.

50. Turchin and Nefedov (2009).

٥١. حول المدى المعقد لمعاني كلمة *oikos* [أويكوس، المنزل]، انظر Cox (1998: 132–35).

٥٢. Nevett (1999); Ault and Nevett (2005). حول بيوت أولينثوس، انظر Nevett (1999: 53–126); Cahill (2002). يستخدم Morris (2005) أعمال التنقيب في أولينثوس باعتبارها أدلة تمثيلية على النمو الاقتصادي الحقيقي في اليونان على مدار الألف الأول قبل الحقبة المشتركة.

53. Huebner and Nathan (2017).
54. Saller (2007: 87).
55. Huebner and Nathan (2017).
56. Hall (2014b: 262–68).
57. Foxhall (2007). Kakavogianni and Anetakis (2012).

٥٨. Van Alfen (2016). حول قائمة سلع مذكورة في الكوميديا الأتيكية، انظر D. Lewis (2016b).

59. J. Davies (2007: 347).
60. J. Davies (2007: 347–48).
61. Cox (1998: 135).
62. Pomeroy (1997); C. Patterson (1998); Cox (1998).
63. E. Harris and D. Lewis (2016: 19).
64. E. Harris and D. Lewis (2016: 20–23).
65. Johnson (1998).

٦٦. Cahill (2005). حول النسج وصناعة المنسوجات، انظر Tsakirgis (2016). إن علم آثار البيوت في مصر متواضع حتى الحقبة الرومانية. انظر Huebner and Nathan (2017).

67. J. Davies (1998: 246).

٦٨. انظر التحليل الممتاز "للنموذج الباتريموني" في Lehner (2000).

٦٩. Jursa (2005). حول صناعات المعابد في مصر، انظر- على سبيل المثال- دراسة لرواية بطلمية لإنتاج النبيذ في إدفو في Schentuleit (2006).

70. Tenney (2012).

٧١. نُشرت هذه النصوص لأول مرة في James (1962)، كما أن مراجعة Baer (1963) الطويلة والتفصيلية مهمة هي الأخرى.

٧٢. J. Allen (2002). يقدم راي Ray (2002) شيئا من السياق التاريخي.

73. Ray (2002: 39).

٧٤. انظر J. Allen (2002: 121–25) حول مناقشة لموقع حقول حيكاناخت.

٧٥. يقدم Eyre (1999: 48) عرضا جيدا للأرشيف، الذي أعيد نشره مع تعليقات موسعة في J. Allen (2002).

٧٦. حول تكوين المنزل، انظر J. Allen (2002: 107–17).

٧٧. حول المنزل المصري، انظر Eyre (2014).

٧٨. انظر تعليقات Scott (1998: 164–68) حول أطروحة لينين "المسألة الزراعية" Lenin, *The Agrarian Question* حول إنتاجية المنازل الفلاحية.

79. Weber (1978: 356–84).

٨٠. حول الدور المهم لانتقال الثقافة من جيل إلى آخر، انظر Mokyr (2016: 34–42).

81. Xenophon, *Oec*. 6.9–10.
82. Moreno García (2012).

٨٣. حول اقتصاد القرية، انظر Eyre (1999).

٨٤. فيما يلي، انظر أيضا Manning (2003).

85. Manning (2003: 203).

٨٦. Renger (2009: 190–91). انظر أيضا Renger (2003).

87. Jursa (2010).
88. Galil (2007); Pearce (2014).
89. Rainville (2012).
90. Finley (1970b: 101).
91. Wunsch (2010).

٩٢. Stolper (1985); Stolper (2005). حول حجم أرشيف إغيبي، انظر Wunsch (2009: 236).

93. W. Harris (2003: 276).
94. Morris and Manning (2005a: 149); Morris (2009: 99).

٩٥. Horden and Purcell (2000). قارن Algazi (2005); Archibald (2013: 98–105).

٩٦. حول مفهوم الدولة "المجزأة" fragmented state، انظر Grafe (2012).

٩٧. انظر مناقشة Scheidel (2013b).

٩٨. حول الأطر المعرفية، انظر Greif (2006). أكد Tilly (1992) على أربعة نشاطات، هي تكوين الدولة، وشن الحرب، والحماية، والانتزاع. وأنا أدرج الثلاثة الأولى في "تكوين الدولة".

٩٩. أصبح دور الحرب في المجتمع البشري موضوعا حاميا خلال العقد الماضي، وغدت الأدبيات فيه هائلة. حول مناقشة جيدة للحرب القديمة، انظر Raaflaub and Rosenstein (1999)، حول العالم الكلاسيكي، انظر Brian Campbell and Tritle (2013). بوجه عام، انظر Morris (2014); Turchin (2015a).

١٠٠. حول تعقيدات المؤسسات الجبائية اليونانية، انظر Migeotte (2014). حول ضرائب المبيعات الهلنستية خارج مصر، انظر Kaye (2015).

١٠١. Fischer-Bovet (2014). حول الحرب والاقتصاد الهلنستيين، انظر الدراسة المؤثرة Austin (1986). حول غنائم الحرب، انظر Préaux (1978/2: 366–70). يعد بوليبيوس مصدراً جيداً للنطاق الكبير أحيانا للغنائم المتضمنة، مثل Polybius 10.19.1–2.

102. J. Davies (2013a: 327–30).

١٠٣. أعتمد هنا على Turchin (2010).

104. Blanton and Fargher (2008).
105. Eyre (2004).

١٠٦. أكد Eyre (2004) على ذلك.

107. E. Jones (1988: 132).
108. Jursa (2014b).
109. Shaw (2001: 441).
110. Monson and Scheidel (2015).
111. A. Sherratt and Sherratt (1991).

١١٢. حول الدولة المدينية والاقتصاد اليونانيين، انظر Bresson (2016: 96–117). قارن Stasavage (2011).

113. W. Harris (2003: 279).
114. Eisenstadt (1993).
115. Chamoux (2003: 250).

١١٦. حول نمذجة حجم الدولة، انظر على سبيل المثال Alesina and Spolaore (2003).

117. Ehrenberg (1969: 141).

١١٨. انظر بوجه عامG. Cohen (1983). Gauls: Strobel (1996); Cunliffe (1997); S. Mitchell (2003)، والاستيطان: Reger (2004); Mueller (2006). يلخص Reger (2003) حركة السكان في العالم الهلنستي.

١١٩. صنف Préaux (1939) هذا المفهوم.

١٢٠. قارن ملاحظات J. Davies (1998: 242).

121. Bagnall (2011a).

الفصل السابع

تطور الفكر الاقتصادي في العالم القديم

النقد والقانون والمؤسسات القانونية

1. D. Ma and Luiten van Zanden (2011a: 15).

٢. حول أرسطو، انظر Polanyi (1957a, b, and c) ورد فينلي Finley (1970a and b)، Meikle (1995/2002); Bresson (2000: 109–30). توجد مقدمة أساسية في Medema and Samuels (2013: 4–17). انظر أيضاً G. Miller (2010) حول مجموعة من الدراسات حول التحليل الاقتصادي للقانون القديم.

3. Ekelund and Hébert (2014: 9–19).

٤. Meikle (1995/2002). حول عرض جيد للأدبيات الأساسية حول الفكر الاقتصادي القديم، انظر Ekelund and Hébert (2014: 40–45). من الغريب أن هذه الكتابات وغيرها تسقِط التقليد الهندي ممثَّلا في كتابة كاوتيليا Kautilya، انظر حوله ما سبق.

5. Kemp (2006: 306).
6. Kemp (2006: 323).
7. Ritner (2003: 498).
8. Crawford (1978).

٩. حول النقد الصيني المبكر- على سبيل المثال- انظر Horesh (2014).

10. Meikle (1995/2002).

١١. أعتمدُ هنا في هذا القسم الأول على Ingham (2004). حول مراجعة جيدة للنقد من منظور علم الاجتماع الاقتصادي، انظر Carruthers (2005).

12. Herrmann-Pillath (2009).
13. Ingham (2004: 3).
14. Stiglitz (1993: 880–83).
15. Seaford (2004: 17–19).

١٦. انظر التعليقات الموجزة في (1995: 13) Howgego حول دور الفضة في التبادل في الشرق الأدنى.

17. Ingham (2004: 107–33).
18. Carruthers (2005: 359).
19. Ingham (2004: 6).
20. Menger (1909).
21. Ingham (2004: 12).
22. Ingham (2004: 6).
23. Ingham (2004: 34).

٢٤. (Ingham (2004: 89–106. قارن (Graeber (2011.

٢٥. (Ingham (2004. إن مفهوم إنغرام "مجمع العملة-الجيش" military-coinage complex مفهوم مهم، ويضيف (229 :Graeber (2011 إليه العبودية، ليصير "مجمع العملة-العبودية-الجيش" military-coinage-slavery complex.

٢٦. نوقشت في (von Reden (2002); von Reden (2010.

٢٧. انظر (10–9 :See von Reden (2010 والأدبيات التي رجع إليها التي تلخص موقف فينلي.

28. Shipton (2000); Meadows and Shipton (2001); Schaps (2004); von Reden (2007); W. Harris (2008).
29. Metcalf (2012).
30. Kemp (2006: 315–16).

٣١. الإمبراطورية الآشورية الحديثة بعد غزوها لكركميش Carchemish التي كانت توجد فيها مناجم الفضة، والنشاط في إسبانيا. انظر (287 :Postgate (1979: 218) and Frankenstein (1979 حول إمداد الفضة في الإمبراطورية الآشورية الحديثة.

32. Van der Spek (2011).
33. Peyronel (2010: 934).

٣٤. قارن ملاحظات (23 :von Reden (2010.

35. Arthur (2015: xvii).
36. Jursa (2005).
37. Jursa (2010).
38. Jursa (2005: 175).
39. Jursa (2010: 473).
40. Jursa (2010: 474).
41. Jursa (2010: 773–74).
42. Vargyas (2010).

٤٣. (169 :Vargyas (2010. حول الحجة التفصيلية بشأن طبيعة العبارة "فضة إكس ديبن من خزينة بتاح، من (الفضة) النقية" silver, X *deben* of the treasury of Ptah, of refined (silver) التي تشير إلى الفضة الموزونة المذكورة في الصفقات الخاصة في مصر ما قبل البطلمية، في مقابل وجهات نظر سابقة ذهبت إلى أن العبارة تشير إلى "قوالب مختومة"، انظر (89–87 :Vleeming (1991.

٤٤. يتناول Malinine (1953: 3–14) البردية لوفر إي ٣٢٢٨ب (P. Louvre E. 3228b) التي تُؤرَّخ إلى عام ٧٠٣ ق.ح.

45. M. Thompson et al. (1973).

٤٦. يناقش von Reden (2010: 18–64) بعض هذه القضايا.

47. Seaford (2004: 204).
48. Peacock (2006: 643–44).
49. Kurke (1999); Schaps (2004); Peacock (2006).
50. Herrmann-Pillath (2009: 22).

٥١. انظر Bresson (2006); Bresson (2009). يقدم Seaford (2004: 318–37) حجة ضد المعدن الموزون باعتباره نقدا في الشرق الأدنى وفي مصر، لكن يفوته الكثير من الأدلة المهمة من الألف الأول قبل الحقبة المشتركة، وهي الفترة التي شهدت خلالها كل مجتمعات البحر الأبيض المتوسط تحولا، ولو بطرق مختلفة. يقدم Jursa (2010) حجة مضادة تفصيلية ومهمة.

52. Herrmann-Pillath (2009).
53. Kroll (2008: 18–21).
54. Davis (2014).
55. De Angelis (2016: 263–66).
56. Le Rider (2001); Balmuth (2001).

٥٧. الهند: Dhavalikar (1975). يناقش Schaps (2004: 222–35) التاريخ المبكر لأنواع العملة في الأماكن الثلاثة جميعها.

٥٨. انظر Balmuth (2001) حول التقدم الحديث في دراسة الخبايا المبكرة في الشرق الأدنى وحول الحجج بشأن التفاعل بين اليونان والشرق الأدنى واختراع العملة.

59. Kroll (2008).

٦٠. Balmuth (2001). حول تتجير الزراعة في مصر والشرق الأدنى واستخدام الفضة في الصفقات الخاصة التي ترجع إلى الألف الثالث قبل الحقبة المشتركة، انظر Moreno García (2016a: 12–13).

61. Vargyas (1999).
62. Müller-Wollermann (2016: 282).

٦٣. تتمثل هذه الحجج في أعمال Schaps (2004) and Seaford (2004).

٦٤. Vargyas (2000). Cf. A. M. Hudson (2004). انظر A. Sherratt and Sherratt (1993) حول وحدات الوزن المنقوشة من القرن الثامن قبل الحقبة المشتركة من شمال سورية.

65. *Politics* 1.3.13–14.
66. Rutter (2012).
67. Jonathan Hall (2014b: 279).
68. Von Reden (2010: 40); Kallet-Marx (1993); Shipton (2000).
69. J. Davies (2004).
70. J. Davies (2007: 355).

٧١. يناقش Polybius 6.49–7–10 الاستراتيجية الأسبرطية بعد الحرب البيلوبونيزية.

72. Gabrielsen (2005).
73. Von Reden (2007).
74. J. Davies (2103b: 445).
75. Andreau (1977); Ingham (2004: 107–33); W. Harris (2008).

٧٦. W. Harris (2006); M. Hudson (2002: 15). حول الشرق الأدنى، توجد أدبيات واسعة وجدل كبير حول طبيعة الدَين والائتمان. انظر Westbrook and Jasnow (2001); Van de Mieroop (2002); Van de Mieroop (2005); von Reden (2010: 102–10).

٧٧. إن أطروحة Henry Maine (1861) الشهيرة حول القانون القديم التي طواها النسيان حاليا وإن ظلت تستحق القراءة على الرغم من كل عيوبها المعروفة التي نوقشت كثيرا، كانت إثباتا مبكرا للارتباط بين القانون و"التقدم" في المجتمعات ما قبل الحديثة. يوجد تقييم لعمل مين وتأثيره في Cocks (1988); A. Diamond (1991). انظر Frier and Kehoe (2007) حول مقاربة القانون وعلم الاقتصاد للاقتصادات القديمة.

78. Maine (1861: 170); Shils (1991).
79. Swedberg (1998: 90).

٨٠. حول الزيادة في الكتابة ذاتها باعتبارها إحدى القوى الدافعة للتغيير في مصر، انظر Muhs (2016).

81. Frier and Kehoe (2007).
82. Williamson (2002).
83. Whitman (1995); Powell (1996); Le Rider (2001).

٨٤. انظر Dixit (2004) حول تحليل جيد "للأنماط الحكم البديلة".

٨٥. انظر على سبيل المثال Dixit (2004).

86. Jursa (2008).
87. Trubek (1972).
88. Pomeranz (2000); Morris (2010).
89. Swedberg (1998: 100).
90. D. Ma and Luiten van Zanden (2011b).

٩١. جمع Rheinstein (1964) أعمال فيبر حول القانون بطريقة مفيدة. يوجد شرح بديع لأعمال فيبر حول القانون وعلم الاقتصاد في Swedberg (1998: 82–107).

92. Swedberg (1998: 89).
93. Swedberg (1998: 99).

٩٤. انظر D. Ma and Luiten van Zanden (2011b).

95. Kehoe, Ratzan, and Yiftach (2015: 4).

٩٦. حول مثال جيد لمقاربة القانون وعلم الاقتصاد للقانون الروماني، انظر Frier and Kehoe (2007).

97. Frier and Kehoe (2007: 113).

٩٨. Keenan, Manning, and Yiftach-Firanko (2014). أستعيرُ التعبير "طريقة التعامل خلال الحياة اليومية" من V. Hansen (1995).

٩٩. يقدم Roth (1997); Westbrook (2003a) and Kitchen and Lawrence (2012) مقدمة أساسية إلى مجموعات القوانين في الشرق الأدنى.

100. Lindgren (1995: 150n3).
101. Westbrook (2003a: 17).
102. Whitman (1995).

١٠٣. Knoppers and Harvey (2007). تعد Kitchen and Lawrence (2012) مجموعات جيدة لمادة الشرق الأدنى ومصر.

104. Knoppers and Harvey (2007: 128).

١٠٥. North, Wallis, and Weingast (2009: 47). قارن Osborne (1996a: 187).

106. Donker van Heel (1994). Muhs (2015a).

١٠٧. لخصها Moreno García (2015) مؤخراً بطريقة جيدة. انظر Menu (1988) حول تطور عقود البيع الديموطيقية.

108. North (2005).

١٠٩. يعد تحليل تكاليف الصفقات مسألة مركزية أخرى في علم الاقتصاد المؤسسي الجديد، لم تُطبق على القانون القديم إلا مؤخراً. انظر Kehoe, Ratzan, and Yiftach (2015). وهو موضوع مركزي ضمن تحليل Silver (1995) للاقتصادات وتطوير الأسواق في الشرق الأدنى القديم.

١١٠. حول القانون التجاري الروماني، انظر ملخصا في Johnston (1999).

111. Vandorpe (2015: 107–8).
112. J. Manning (1999).

١١٣. تعرض التفاصيل في Westbrook (2003b).

114. Westbrook (2003a: 64).
115. Rowlandson (2014: 244).
116. Yiftach-Firanko in Keenan, Manning, and Yiftach-Firanko (2014: 35–41).
117. Yiftach-Firanko (2009).
118. J. Manning (2015a and b).
119. Oelsner, Wells, and Wunsch (2003).
120. Jursa (2010: 789–90).

١٢١. يعني المصطلح البابلي حرفياً "السبيل أو الطريق". انظر Wunsch (2010: 58n37).

122. Jursa (2008: 609).
123. Jursa (2008: 619).
124. Jursa (2008: 627).

١٢٥. (Bresson (2016: 230. حول القانون وتكاليف الصفقات في اليونان، أعتمدُ على ;(Todd (1993 Thür (2015); Bresson (2016). حول "وحدة" القانون اليوناني، انظر (Gagarin (2005.

126. Thür (2015).
127. Bresson (2016: 231).

١٢٨. انظر (Bresson (2016: 232 الذي يستشهد بكتاب أرسطو Aristotle, *Rhetoric* 1.15.9 and 210–22.

129. Bresson (2016: 227).
130. Thür (2015: 36–43).
131. Xen., *Ways and Means* 3.1.

١٣٢. (Ober (2015b: 57. انظر أيضا (Lanni (2006: 149–74.

133. Bowles and Choi (2013).

١٣٤. يحدد (E. Harris (2016 على نحو مفيد الحقوق العشرة الأساسية التي تعرف المِلكية الخاصة.

135. Said (1993: 188–207).

١٣٦. إن الموقف على البر اليوناني أشد تعقيدا، وهناك كانت مِلكيات كبيرة تفلحها عمالة تابعة في أسبرطة، وفي جزيرة كريت وثيساليا Thessaly كانت مِلكيات خاصة كبيرة يفلحها العبيد، ووجدت عِزْبَ أسرية صغيرة، كانت أكثر شيوعا في أتيكا. انظر التحليل المهم للعمل الزراعي اليوناني في (Jameson (1992.

١٣٧. انظر تحليل (Park (1992 لنظام الزراعة على انحسار الفيضان في نهر السنغال الأوسط في غرب أفريقيا.

138. Park (1992: 93).
139. Park (1992: 96); J. Manning (1995); Monson (2012).
140. J. Manning (2003); Monson (2012).

١٤١. يعتمد النظام الذي أصفه بالدرجة الأولى على وثائق من مصر العليا. ومع أن مناطق مصر الأخرى أدنى في جودة التوثيق، فإننا نكون مخطئين إن استنتجنا أن نظم مِلكية الأرض كانت موحدة.

142. Mayshar, Moav, and Neeman (2014: 22).

١٤٣. (Lopez (1976); Van Bavel (2010. حول العقود في الشرق الأدنى، انظر (M. Larsen (2015.

١٤٤. (Monson (2012: 82. حول مراجعة حديثة لِلكية الأرض في مصر البطلمية، انظر Vandorpe (2015).

١٤٥. (Zurbach (2009 حول القانون الأسبرطي، انظر (Hodkinson (2000.

146. E. Harris (2016).
147. Lippert (2004); Keenan, Manning, and Yiftach-Firanko (2014); Muhs (2016: 179).

١٤٨. انظر على سبيل المثال (Allam (2008.

١٤٩. إن الرواية الكلاسيكية للنظام البلاطي البطلمي هي Wolff (1962). حول تسجيل المِلكية البطلمي، انظر Yiftach-Firanko (2014).

١٥٠. تقدم الدراسة الجديدة Baetens and Depauw (2015) تحليلاً جيداً وبعض الاختلافات عن تفسيري المقدم هنا. يقدم أرشيف إربستريت Erbstreit الذي يُؤرَّخ إلى القرن الثاني قبل الحقبة المشتركة من باثيريس مادة غنية حول نزاع قانوني، وسلسلة من المحاكمات، على أرض موروثة. انظر Vandorpe and Waebens (2009: 114–22).

١٥١. البردية *P. Brit. Mus.* 10591 recto. ليس لدينا ما يؤكد السبب وراء بقاء نسخة. هل أُصدرت للطرف الذي جاء الحكم في صالحه أم لمحامٍ بموجب طلب هذا الطرف؟ سُجلت بعض إجراءات المحاكمات اليونانية من القرن الثالث قبل الحقبة المشتركة من كركوديلبوليس Krokodilopolis (الفيوم) في نسختين. انظر Modrzejewski (2011: 123n39).

١٥٢. حول سجلات المحاكمات الأقدم، انظر Modrzejewski (2011: 123–28).

153. Veïsse (2004).

١٥٤. حول "العدالة على باب (المعبد)"، انظر المناقشة التي نُشرت مؤخرا في J. Manning (2011).

١٥٥. كان للموظف اسم يوناني، لكن ليس من الواضح على الإطلاق في سياق القرن الثاني قبل الحقبة المشتركة إن كان هذا الموظف يونانيا حقا. على أن الكلمة اليونانية التي تشير للمؤسسة تخبرنا أن ذلك الشخص يعمل بصفة رسمية ضمن النظام الحكومي البطلمي. إما مسألة ما إذا كان لهذه الوظيفة نموذج قديم في مصر، فإنها محل جدل. حول الحجة المؤيدة، انظر Allam (2008). لكن من المؤكد أن دور الأيساغوغيوس في القانون اليوناني هو عرض قضايا محاكم بعينها كانت تتعلق بصفقات السوق، ومن الوارد أيضا أنهم كانوا يحكمون بأنفسهم في القضايا التي تضمنت مبالغ صغيرة. انظر Bresson (2016: 247–48).

156. Pestman (1961: 135).

١٥٧. قارن Diod. Sic. I.75.6.

١٥٨. حول التمييز، انظر Rheinstein (1964: 198n3). يشرح فيبر (Rheinstein 1964: 199) ذلك بالقول: "في الأصل، كان المحامي advocate يقف أمام المحكمة بجانب الطرف رافع الدعوى. ولذلك كانت وظيفته تختلف بعض الشيء عن المحامي attorney (الأفوي *avoué* أو الأنفالت *Anwalt* أو البركيوراتور *procurator* أو السوليستر *solicitor*) الذي يتولى المهام الفنية المتمثلة في

تحضير القضية وجمع الأدلة". ومن المؤكد أننا لا نعرف إلا القليل حول إعدادهم، ولا نعرف ما إذا كان عملهم وظيفة قائمة بذاتها أم مجرد جزء من وظيفة إدارية أوسع، أو ما إذا كان هؤلاء المحامون الذين يظهرون في البرديات يتقاضون أجراً أم لا.

١٥٩. إن مشاركة هؤلاء المحامين في المحاكمات البطلمية أمر مؤكد. يأتي أوضح مثال من بردية يونانية شهيرة من القرن الثاني قبل الحقبة المشتركة، هي البردية وثائق الحقبة البطلمية *UPZ* II 162 (= P. Tor. Choach 12، طيبة، ١١٧ ق.ح). توجد ترجمة في (Bagnall and Derow (2004: text 132.

١٦٠. توجد بعض التشابهات بين محاكمة مس Mes الشهيرة التي تُؤرَّخ إلى نحو عام ١٢٥٠ ق.ح وتضمنت مِلكية أرض متنازع عليها وشددت على الأدلة المكتوبة من ناحية ومحاكمة أسيوط من ناحية أخرى، لكن توجد اختلافات كافية بين المحاكمتين من حيث البنية والإجراءات، وبين الوثيقتين ذاتهما اللتين سُجلت إحداهما في مقبرة والأخرى على بردية، بفاصل أكثر من ألف سنة، وهو ما يستلزم الحذر من المقارنة بينهما بطريقة مباشرة. حول القانون والمحاكمات المصرية الأقدم، انظر (Eyre (2004.

161. D. Ma and Luiten van Zanden (2011a: 7).

الفصل الثامن

النمو والابتكار والأسواق والتجارة

١. إن القسم المتعلق بالتجارة نسخة منقحة وموسعة من (J. Manning (2015a التي ظهرت في كتاب نشرته جمعية مؤرخي التاريخ القديم Association of Ancient Historians وحرره تيموثي هاو Timothy Howe باقتدار.

٢. يقدم (Gunter (2014 تقييما جيدا نُشر مؤخرا لهذه المرحلة "التَشَرُّقية" من الفن اليوناني، ويذهب إلى أن المصطلح لا يعبر بما يكفي عن عمق الارتباط بين اليونان وحضارات شرق البحر الأبيض المتوسط، أو تأثير ثقافة الشرق الأدنى وأفكاره على اليونان.

٣. ثمة نقطة انطلاق جيدة للقضايا النظرية المتضمنة توجد في (67–535 :D. Jones (2014. قارن (42–141 :Morris and Manning (2005a. حول النمو القديم في السياق التاريخي الأوسع، انظر (72–53 :E. Jones (1988. حول النمو الروماني واستخدام البيانات القابلة للقياس، انظر

Bowman and Wilson (2009); de Callataÿ (2014). يُبحَث النمو في العالم اليوناني في مجموعة من الأوراق في E. Harris, Lewis, and Woolmer (2016).

٤. Conison (2013: 2269).

٥. أتبعُ هنا Erdkamp (2016). على الرغم من أنه يتناول الإمبراطورية الرومانية، فإن الاتجاهات التي يصفها كانت موجودة في أجزاء أخرى من عالم البحر الأبيض المتوسط بحلول النصف الثاني من الألف الأول قبل الحقبة المشتركة. انظر على سبيل المثال Jursa (2014a) حول نموذج "التتجير" لبلاد بابل خلال القرن السادس، الذي يتخذ التوسع السكاني قوة دافعة لنمو السوق وتكثف الزراعة.

٦. يلخص Temin (2013) نظرية النمو، تحديدا النمو الروماني. قارن Erdkamp (2016).

٧. يناقش Ober (2015a: 81–100); Bresson (2016: 199–22) النمو اليوناني، ويتناول Saller (2005) النمو الروماني بإحكام.

8. Saller (2005); Temin (2013); Kehoe (2015).
9. Archibald and Davies (2011: 2).

١٠. ثمة نقطة انطلاق جيدة حول القضايا النظرية المتضمنة توجد في D. Jones (2014: 535–67). حول النمو القديم في السياق التاريخي الأوسع، انظر E. Jones (1988: 53–72).

١١. انظر Bowman and Wilson (2009) حول روما.

١٢. انظر Brooke (2014: 263) والأدبيات التي رجع إليها.

١٣. انظر Brooke (2014: 261–87)، لكن انظر أيضا النقد المقدم في Harper (2015).

14. Brooke (2014: 318).
15. Acemoglu and Robinson (2012); Lo Cascio and Malanima (2014: 248).
16. Aghion and Howitt (2009).
17. Scheidel (2007: 52–55).
18. Yoffee (2015).

١٩. Goldstone (2002). قارن Brooke (2014: 318).

20. Turchin and Nefedov (2009).
21. Brooke (2014: 323).
22. E. Jones (1988).
23. Mokyr (2016).
24. D. Jones (2014: 559).

٢٥. Bowman and Wilson (2009). Lo Cascio (2009). حول الطاقة عموما، انظر E. Burke (2009); Wrigley (2010). إن مخطط Smil (1994: 236) لاستهلاك الطاقة لكل فرد في التاريخ العالمي

كاشف، وكذلك (Christian (2004: 141 حول استهلاك الطاقة لكل فرد في المجتمعات البشرية المبكرة حتى الوقت الحاضر. وتناقَش الطاقة أيضا في (Bresson (2016: 71–95.

٢٦. يقدم (de Callataÿ (2005 مناقشة موجزة.

27. Jursa (2014b).

٢٨. ينقل A. Parker (1992); A. Wilson (2009); A. Wilson (2011a); A. Wilson (2014). A. Wilson (2009: 227) أن ١,٣٥٦ حطام سفينة معروف في البحر الأبيض المتوسط والبحر الأسود قابلة لتحديد تاريخها قبل عام ١٥٠٠.

29. A. Wilson (2009: 219–20).
30. A. Wilson (2014: 150).

٣١. (Ober (2014); Ober (2015a. قارن (Morris (2007: 226–30.

٣٢. (Morris (2005); Ober (2015a. إن فلاسوبولس Vlassopoulos أقل تفاؤلاً في مراجعته لأوبر http://bmcr.brynmawr.edu/2016/2016-03-04.html.

33. Kron (forthcoming).
34. Morris (2007).
35. Morris (2006).

٣٦. (J. Davies (1971. طوره (Ober (2015a.

37. Kron (forthcoming).
38. Nishi et al. (2015).
39. Gabrielsen (2005).
40. Jursa (2014a); Jursa (2014b).
41. Morris (2005).
42. J. Manning (2005).

٤٣. نوقش عدد سكان الإسكندرية ودار حوله جدل واسع. انظر من بين أعمال أخرى Scheidel (2004). لم تُمسَح مدينة بطوليمايس بطريقة سليمة، وهذا الرقم بالتالي تقدير متشدد بناء على وصف اسطرابون (Strabo (17.1.42 خلال القرن الأول قبل الحقبة المشتركة، الذي يقول إنها لم تكن أقل من منف في الحجم. حول منف، انظر (D. Thompson (2012: x الذي يقدر أن ستين ألفا يشكل أقصى حد خلال الحقبة البطلمية المتأخرة. حول بابل وسلوقية على دجلة خلال الحقبة الهلنستية، انظر (van der Spek (2008. قدَّر (Aperghis (2004: 94 حجم أنطاكية.

٤٤. (Rosenstein (2012: 260. حول عملية التحضر، انظر (Morris (2006: 31.

٤٥. (Kron (2014. يناقش (Mayer (2012 الطبقات الوسطى الحضرية الرومانية.

٤٦. هذا التقدير أقل تفاؤلا بعض الشيء من رأي (R. Allen (2009.

٤٧. Jongman (2007: 607–9); Kron (2014). حول قياس قامة الإنسان، انظر Koepke and Baten (2005b) الذي يذهب إلى أن أوروبيي العصور الوسطى كانوا أطول من الرومان.

48. Kron (2016: 363).

٤٩. حول أحجام البيوت اليونانية، انظر Morris (2005).

٥٠. Komlos and Bauer (2004); Pilkington (2013). انظر أيضا Bodenhorn, Guinnane, and Mroz (2014). De Ligt (2012) الذي يقدم ملخصا ممتازا للجدل حول التحضر في إيطاليا الرومانية.

51. Jursa (2014a); Jursa (2010: 800).
52. Van der Spek (2005).
53. Renger (2009: 194).
54. Radner (1999: 157).
55. Jursa (2010: 799).
56. G. Müller (1995–96: 165).

٥٧. Van der Spek (2008: 39). قارن الشكل (٢٢) فيما سبق.

٥٨. Boiy (2004: 216).

٥٩. Boiy (2004). حول اندماج بلاد بابل، انظر van der Spek and Mandemakers (2003: 532); van der Spek and van Leeuwen (2014).

٦٠. يقدم Agut-Labordère (2013) عرضاً ممتازاً للإصلاحات السياسية والهيكل الإداري السايسيين.

61. Agut-Labordère (2013: 980); Donker van Heel (2012).

٦٢. حول إدارة العائدات التجارية وجمعها، انظر Agut-Labordère (2013: 1002–6).

63. Agut-Labordère (2013: 1006–9).
64. Kemp (2006: 308–18).

٦٥. يقدم D. Thompson (2012: 144–76) رواية ممتازة لنشاطات المدينة الجنائزية في منف البطلمية.

٦٦. حول أرشيف أحد كهنة الكواكايت من طيبة القرن الثاني قبل الحقبة المشتركة، انظر Pestman (1993). ينشر Martin (2009) أرشيف أحد كهنة الكواكايت من منف البطلمية. انظر ملخصا لفترة كهنة الكواكايت من الفترة السايسية في Agut-Labordère (2013: 1020–25). يقدم Donker van Heel (2014) مناقشة ممتازة لنشاطات كهنة الكواكايت وأرشيف سيدة مهمة من الكواكايت من الحقبة الفارسية.

67. Agut-Labordère (2013: 1025).

٦٨. Finley (1965b)، أعيدت طباعته في Shaw and Saller (1981).

69. K. Greene (2000); K. Greene (2008).

٧٠. انظر Grantham (1999).

٧١. H. Schneider (2007). توجد مراجعات في Oleson (2008); Irby (2016). حول تربية الحيوانات، انظر Kron (2008b).

72. Cooper (2008: 226).
73. Lucas (2012).

٧٤. قارن Butzer (1976: 41–51); Eyre (1994).

75. Marsot (1984: 137–61).

٧٦. قارن Finley (1965b: 41) الذي يناقش إعدام مخترع الزجاج غير القابل للكسر بأمر الإمبراطور الروماني تيبيريوس Tiberius، بدلا من إثابته. يؤكد Mokyr (2016) على الشبكة العلمية المعروفة باسم "جمهورية الرسائل" في أوروبا القرنين السادس عشر والسابع عشر باعتبارها أحد التفسيرات المهمة للثورة الصناعية.

٧٧. انظر Kehoe (2007a: 546–48).

78. Scheidel (2015).
79. Bowles and Gintis (2011).
80. Bowles and Gintis (2011: 200).

٨١. انظر Domingo Gygax (2016) الذي يشدد على الطبيعة التبادلية للإحسان العام في المدن اليونانية.

٨٢. Archibald (2013); Chankowski and Karvonis (2012). يقدم Hirth (2016) منظوراً ممتازا حول الأسواق من منظور الاقتصاد الأزتكي.

٨٣. Gravelle and Rees (1992: 3) نقلاً عن van der Spek, van Leeuwen, and van Zanden (2015: 3).

٨٤. J. Davies (2013b: 443). قارن Finley (1999: 22); Warburton (2003).

85. J. Manning (2011); J. Davies (2013b).
86. Polanyi (1957b).
87. M. Larsen (2015).
88. Beaujard (2011: 17).

٨٩. انظر المقدمة الموجزة لتاريخ التجارة ما قبل الحديثة في R. Smith (2009).

90. Schoenberger (2008: 665).

٩١. يشمل المصطلح مفهومين مرتبطين، هما نوع من الاستيطان ومؤسسة. Archibald (2002); Bresson. (2016: 306–38); Möller (2000); Möller (2005); Bresson (2002). انظر عموما M. H. Hansen (2006b). حول تعريفات "الميناء التجاري"، انظر Figueira (1984); Möller (2001); Graslin and Maucourant (2005).

٩٢. يتعامل نموذج "الضرائب والتجارة" الكلاسيكي الذي أعده هوبكنز مع الاقتصاد الإمبراطوري الروماني (2002) Hopkins (1980); Hopkins.

93. Jursa (2005: 180–82).
94. Warburton (2003: 47–67).

٩٥. يتقصى (2016) E. Harris, Lewis, and Woolmer الأسواق ونشاطات الأسواق في العالم اليوناني.

96. Schoenberger (2008: 672).
97. J. Manning (2010: 119).

٩٨. (1969) Hicks. تناقَش نماذج مختلفة لتجارة المسافات الطويلة المبكرة في (113–97 :2013) Aubet. انظر (2011) Beaujard حول العصر البرونزي ونظرية النظم العالمية.

99. Warburton (2003: 62–63).
100. Cooney (2007); Cooney (2008).
101. Hicks (1969: 25).
102. Jursa (2014c); van der Spek (2014).

١٠٣. تتوفر سلسلة أسعار السلع البابلية المهمة على: http://www.iisg.nl/hpw/babylon.php.

١٠٤. (1997) Slotsky. توجد مراجعة مُحَدّثة للأعمال حول المادة البابلية في van der Spek, van Leeuwen, and van Zanden (2015).

105. Slotsky and Wallenfalls (2009).
106. Van der Spek, van Leeuwen, and van Zanden (2015: 6).
107. Jursa (2010: 790).

١٠٨. (3 :2015) Reger (2003); van der Spek, van Leeuwen, and van Zanden. حول "مناطق الأسعار"، انظر (440 :2001) Shaw.

١٠٩. انظر العمل (179 :2005) Jursa الذي يذكر أن معجم شيكاغو للغة الآشورية، وهو المرجع المعياري، قد ترجم كلمة *suqu* [السوق] إلى "مصطلح فني تجاري يشير إلى أصول معلقة".

110. Bleiberg (1996).

١١١. (45–243 :2016) Muhs. حول دخل هؤلاء الكهنة، انظر (66–59 :2009) Martin.

١١٢. (66–59 :2009) Martin. انظر (1983) D'Arms (1981) and Pleket حول النخب الرومانية. انظر (2016) Bresson (2003b); Bresson حول اليونان. انظر الحجة المعاكسة المستندة إلى قراءة الأدلة عن كثب، وهي أن التجار في أثينا كانوا فقراء حقا لكنهم لعبوا الدور الحاسم في المخاطرة، انظر (2003) Reed.

113. *Ezek*. 26: 3–5.
114. Bresson (2003b: 162); Woolmer (2016).
115. D. Lewis (2016a: 329).

١١٦ . يلخص (44–127 :Paterson (1998); Bresson (2000); Aubet (2013 أدلة الشرق الأدنى حول التجار.

١١٧ . (71 :Crawford (1983 الذي يستشهد بالبردية ميشغان زينون ٢٨ (P. Mich Zenon 28، تُؤرَّخ إلى عام ٢٥٦ ق.ح).

١١٨ . البردية مجموعة الأوامر البطلمية ٧٣ (C.Ord.Ptol.73، تُؤرَّخ إلى عام ٥٠ ق.ح). ترجمة *Select Papyri* II 209. Crawford (1983).

١١٩ . (79–177 :Finley (1999. انظر أيضا تعليقات (20–18 :W. Harris (1993 الملائمة.

١٢٠ . تأسيسا على ستة أزواج أسعار، تكون الغلبة "لقانون السعر الواحد"، (Temin (2013.

121. Hopkins (1980); Hopkins (2002).

١٢٢ . (Erdkamp (2005، انظر أيضا مراجعة تيمن في (Erdkamp (2014.

123. Van Leeuwen, Foldvari, and van Zanden (2015: 506–7).
124. Van Leeuwen, Foldvari, and van Zanden (2015: 516).
125. Kemp (2006: 247–301).
126. *P. Tebt*. 703 (3d century BCE) and *BGU* 1730 (mid-1st century BCE).

١٢٧ . اعتبرها (60–223 :Ober (2015a ذات تأثير كبير.

128. Gabrielsen (2005).
129. Jursa (2008).

١٣٠ . دُرست الأسواق الدورية جيدا في العالم الروماني. انظر (De Ligt (1993); Shaw (1981 حول شمال أفريقيا الروماني. حول قائمة مُحَدّثة بأسعار الحبوب من مختلف أنحاء البحر الأبيض المتوسط، انظر (Rathbone and von Reden (2015. يوجد ملخص جيد للاتجاهات العامة في van Leeuwen, Foldvari, and van Zanden (2015).

١٣١ . (Reger (1994); Reger (2002. حول تكاليف الصفقات، انظر Silver (1995), and Kehoe, Ratzan, and Yiftach (2015).

١٣٢ . (271 :Reger (1994. حول أسعار السلع المستوردة إلى ديلوس، انظر (Reger (2002.

١٣٣ . انظر مناقشة التجارة في البحر الأبيض المتوسط ما قبل الحديث في (Reger (2002. يميز (Renfrew and Bahn (1991 عشرة أشكال للتجارة.

134. W. Harris (2000).
135. Christian (2004: 324–25).

١٣٦ . (R. Chase-Dunn et al. (2009. حول أوروبا العصر الحديث المبكر، انظر (Trivellato (2009.

١٣٧ . توجد مناقشة وأدبيات حديثة جيدة لتجارة العصر البرونزي في (505–257 :2013) Broodbank. حول تجارة الإمبراطورية الآشورية القديمة، انظر (2008) Barjamovic. انظر (2010) Jursa حول نشاط التجارة الخاصة في الإمبراطورية البابلية الحديثة، انظر Monroe (2009); Monroe (2011) حول البحر الأبيض المتوسط خلال العصر البرونزي المتأخر.

١٣٨ . حول إمداد الغذاء في أثينا الهلنستية، انظر (2005) Oliver (2007); Erdkamp حول روما. حول السيطرة على الحبوب في أثناء الأزمات، انظر ما سبق.

١٣٩ . يوجد ملخص موجز جيد لهذا الجدل في (2007) Morley.

140. Morley (2007: 7).

١٤١ . حول دور التجارة ما قبل الحديثة في المحيط الهندي، انظر معالجة ممتازة في ;(1985) Chaudhuri (1990) Chaudhuri.

١٤٢ . (15–14 :1975) Wallerstein (1974: 39–42); Rostow. يقلل (2000) Horden and Purcell من شأن تجارة المسافات الطويلة التي يسميانها "التجارة البعيدة" high commerce.

١٤٣ . (2011) Bentley (1996); Malkin. تميز أفول الدولة المصرية القديمة جزئيا بفقدان سلع المكانة التي محل تجارة بين الشرق الأدنى ومصر. حول القوى الدافعة المناخية، انظر ما سبق.

144. Raaflaub (2004).
145. Curtin (1984); Chaudhuri (1985).
146. Malkin (2011: 9).
147. Goldberg (2012).
148. Bresson (2003b: 140–41).
149. Kuhrt (1998); Barjamovic (2008); Barjamovic (2017); M. Larsen (2015).
150. Leidwanger (2013: 3302).

١٥١ . يقدم (2007) Van de Mieroop وجهة نظر بديلة لحطام سفينة أولوبرن باستخدام نموذج "التفاعل بين دول متناظرة" peer-polity interaction، يجعل التجار فاعلين بتوجيه ملكي.

١٥٢ . (2003) Warburton. يناقش (1998) Grimal and Menu الأدلة على التجارة في مصر القديمة.

١٥٣ . (366 :1991) A. Sherratt and Sherratt. حول التحول النقدي وحمولة سفينة أولوبرن، انظر (2010) Pulak (2008); Monroe. حول الحمولة ذاتها، انظر (1996) Pulak.

154. Frankenstein (1979).
155. Liverani (2014: 427–29).

١٥٦ . انظر (1994) Magnusson حول المركنتيلية. حول استخدام سميث، انظر Smith, *The Wealth of Nations*, book 4, part 2, chapter 2.

157. Frankenstein (1979).
158. Rostovtzeff (1932: 16).

١٥٩. حول "عتبة الشعور" في هذا السياق، انظر Monroe (2011).

١٦٠. Frankenstein (1979: 266–67); Liverani (2014: 423–24). حول قصة ويناموں، انظر Wente (2003); Egberts (1998); Baines (1999).

161. Frankenstein (1979: 273).
162. Demand (2011: 235).
163. Frankenstein (1979: 278).
164. A. Sherratt and Sherratt (1991: 366).

١٦٥. تبيّن الخريطة (٩ , ١) في Broodbank (2013) الشبكات البحرية "المنبثقة" التي تغطي كامل البحر الأبيض المتوسط خلال العصر الحديدي المبكر.

166. Niemeyer (2006: 151–54).

١٦٧. حول ولبة، انظر González de Canales, Serrano, and Llompart (2008).

168. Elayi (1981); Aubet (2001); Baslez (1987); Niemeyer (2004); Niemeyer (2006).

١٦٩. إن "تاريخ التأسيس" التقليدي هو عام ٨١٤ ق.ح. تدفع المادة الجديدة الناتجة عن أعمال التنقيب التاريخ للخلف من أوائل القرن الثامن إلى أواخر القرن التاسع قبل الحقبة المشتركة. انظر Docter et al. (2004); Hoyos (2010: 6–19) حول قصص التأسيس.

١٧٠. توجد أدبيات ضخمة حول الدول المدينية ترجع إلى زمن فيبر. انظر Stasavage (2011) حول مادة مشابهة لاحقة.

171. Kozuh (2015).
172. Kozuh (2015: 90–91).
173. Wiesehöfer (1982).
174. Stolper (1985); Stolper (2005).
175. Morel (2007: 493).
176. Murray (2017).

١٧٧. حول التجارة اليونانية، أعتمدُ هنا تحديداً على Bresson (2003b); Bresson (2016). يناقَش تنظيم التجارة في المدن اليونانية باستفاضة في الكتاب الأخير.

178. Broodbank (2013: 551).

١٧٩. حول نقراطيس، انظر Möller (2000); Bresson (2005b).

١٨٠. مثل Gabrielsen (2011, esp. 237–38) الذي يؤكد على تأثيرات الإعفاء الضريبي (الأتليا).

181. Polanyi (1977).

١٨٢. حول الحركة، انظر Oliver (2011).

١٨٣. حول الارتباطات بين البحر الأسود ومصر التي تؤكد حضور العبادات المصرية وحرفة صنع الزجاج، انظر Archibald (2007) and Reger (2007).

184. Heichelheim (1958: 3).

١٨٥. حول التوسع والتجارة الرومانيين، انظر Marasco (1988).

186. Hopkins (1983: xxi).
187. Morris (2003).
188. Gabrielsen (2011).
189. Bresson (2005a).

١٩٠. A. Wilson (2014). انظر عموما Lawall (2016).

١٩١. حول الحكم الرودسي، انظر ما يلي.

١٩٢. حول البيانات، انظر على سبيل المثال Jongman (2007).

١٩٣. حول مثال جيد، انظر دراسة Oliver (2001) لمدينة رامنوس Rhamnous. حول "التحولات" و"الهزات"، أتبعُ تعريف O'Rourke's (2014).

١٩٤. يقدم Horden and Purcell (2000: 612–15) مراجعة جيدة لأدبيات النقاش الأساسية.

١٩٥. حول المشكلة الأساسية المتمثلة في ربط أعمال الخزف التي تشكل البقايا الأثرية الأساسية للتبادل بالتجارة، انظر من بين أعمال أخرى Gill (1994).

١٩٦. حول القياس الكمي، انظر Bowman and Wilson (2009).

١٩٧. Bringmann (2001)، مثل منحة أنطيوخوس الثالث من الخشب إلى أورشليم المذكورة في *Ant. Jud.* 12.141.

١٩٨. يوجد تلخيص جيد لنشاطات أبولونيوس في Orrieux (1983)، تحديدا في قسم بعنوان Un Commerce sans Commerçants. قارن المناقشة الموجزة فيما يلي حول بردية زينون ٥٩٠١٢ (P. Cair Zen. 59012).

199. D. Thompson (2012: 213).
200. J. Manning (2011).

٢٠١. ربما تعطي البردية تبتونيس ٢, ٣ ٨٩٠ (P. Tebt. 3.2 890، تُؤرَّخ إلى القرن الثاني قبل الحقبة المشتركة) نكهة ممارسات الإقراض الخاص المحلي محدود النطاق لبنك في نوم هيراكليوبوليس.

٢٠٢. حول تجار الجنيزة، انظر Goldberg (2012).

٢٠٣. انظر Gabrielsen (2011) الذي يؤكد على العلاقة المعقدة والوثيقة بين الدول والفاعلين الخاصين فيما يسمى الاحتكارات.

204. Bresson (2003b).

٢٠٥. حول العلاقة بين التجار والدولة، انظر أيضا Gabrielsen (2011).

٢٠٦. Finley (1999: 22).

٢٠٧. De Souza (1999: 50–52). حول التجار الرومان، انظر C. Müller and Hasenohr (2002).

٢٠٨. انظر J. Ma (2003). قارن J. Davies (2001: 39–40); Shipley (1993: 282). حول جماعات الشتات التجارية عموما، انظر Pomeranz and Topik (2006).

٢٠٩. تحديدا كما يلخصها في عمله الكبير حول الاقتصادات الهلنستية (Rostovtzeff 1941: 1238–58).

210. Reger (2011).

٢١١. إن الدراسة الكلاسيكية لتجارة المناطق هي Reger (1994). انظر أيضا Reger (2011: 368).

٢١٢. يحذر Saller (2005) من رؤية اختلافات قوية.

٢١٣. يخْلُص عمل Sidebotham (2011) حول التجارة خلال ميناء البحر الأحمر برنيكي إلى أن التجارة البرية الكبيرة المارة من خلال طرق الصحراء الشرقية في الاتجاهين قد تدفعنا إلى إعادة النظر في تأكيد روستوفتسيف على الطرق المائية طويلة المسافات (Sidebotham 2011: 213–14) كما كانت في حالة التجارة الرومانية.

214. Hopkins (1983: xiv–xvi).
215. Robinson and Goddio (2015); Fabre (2011); Pfeiffer (2010).
216. Goddio (2007); Goddio (2010).
217. Pfeiffer (2010: 18–19).
218. Briant and Descat (1998).
219. Fabre (2011: 13–14).

٢٢٠. Casson (1954). حول العالم الروماني، انظر Erdkamp (2005).

221. Rathbone (1983).

٢٢٢. حول البحر الأسود، انظر Moreno (2007); Tsetskhladze (2008). حول إمداد الحبوب لأثينا، انظر Oliver (2007). حول قوريني، انظر Bresson (2011) الذي يؤكد على أهمية قوريني للبر اليوناني خلال القرن السادس قبل الحقبة المشتركة.

٢٢٣. Rostovtzeff (1941: 1259). حول تجارة العبيد من منطقة البحر الأسود، انظر Avram (2007).

224. Ps. Aristot., *Oik*. II.2.31–34 (=1352 a–b); Dem. 56.7.
225. Möller (2000); Pfeiffer (2010).
226. N. Hudson (2016).
227. Préaux (1939: 353–71); Rostovtzeff (1941: 226–30); Fraser (1972: 132–88).

228. Sijpesteijn (1987: 2).

٢٢٩. Bresson (2012b). حول الرسوم الجمركية في مصر عموما، انظر Sijpesteijn (1987).

٢٣٠. تعد البردية زينون ٥٩٠١ (=*SB* III 6779، تُؤرَّخ إلى مايو-يونيو ٢٥٩ ق.ح) نصاً مهماً حول الضرائب البطلمية على الواردات. انظر أيضا Préaux (1939: 372–79); Gabrielsen (1997: 181n57); Austin (2006: text 298). يقدم Bresson (2012b) إعادة تقييم لهذا النص المهم. وُجدت نسخة جديدة من مرسوم نقراطيس في ثونيس (هرقليون)، انظر حولها Pfeiffer (2010). حول نقراطيس ذاتها كميناء تجاري، انظر Bresson (2000); Möller (2001); Möller (2005); Villing and Schlotzhauer (2006).

٢٣١. نشر Porten and Yardeni (1993) البردية "تجارة سي ٧ ,٣"، وناقشها Briant and Descat (1998) باستفاضة. قارن Briant (2002: 385–87). حول التحول الفارسي إلى ثونيس، انظر Briant and Descat (1998: 91–92); Pfeiffer (2010: 18–19).

232. Bowman (2010: 103).

٢٣٣. قدم Fabre and Goddio (2010) and Goddio (2011) تحليلا رائعا لإمداد الموانئ في الإسكندرية والعلاقات بين هذه الموانئ والميناء الأقدم في ثونيس (هرقليون). حول التطوير البطلمي لطرق الصحراء الشرقية، انظر Sidebotham (2011: 28–31) الذي نشر مؤخرا.

234. Goddio and Bernand (2004: 153).

٢٣٥. Mueller (2006). حول إحدى علامات الطريق التي لم تكن فريدة من نوعها على طول طريق إدفو-البرامية Edfu-Barramiya المؤدي إلى مرسى نقاري Marsa Nakari على البحر الأحمر التي وُجدت في بئر عيان Bir 'Iayyan (SEG XLVI 2120، ٢٥٧ ق.ح)، انظر Bagnall et al. (1996).

236. Bresson (2012b).

٢٣٧. إن تقديرات السكان بالغة الصعوبة. أعتمدُ هنا على Scheidel (2004).

238. Crawford (1983).

٢٣٩. حول الموكب، انظر D. Thompson (2000) والأدبيات السابقة التي أوردها.

240. Fraser (1972).

٢٤١. حول واردات الحبوب الرومانية من مصر خلال الحقبة الجمهورية، انظر Casson (1954: 184–87).

242. Préaux (1939: 353–79).

٢٤٣. مثل البردية لندن ٧ ١٩٤٥ (*P. Lond.* 7 1945) والبردية زينون ٢ ٥٩٢٤٠ (*P. Cair. Zen.* 2 59240).

٢٤٤. Bresson (2008: 222–24). حول أبنية ديلوس التجارية، انظر Karvonis (2008a).

245. Karvonis (2008b); Köse (2005).

٢٤٦. حول التجارة الرودسية وأسطولها وارتباطها القوي مع مصر، انظر Gabrielsen (1997).

247. Casson (1954: 171); Gabrielsen (1997: 72–73)

٢٤٨. حول المسافة، انظر Gabrielsen (1997: 71–72). حول التجارة الشتوية، انظر على سبيل المثال Dem. 56.30; Gabrielsen (2013).

249. Berthold (1984: 49).

٢٥٠. رسالة من ديميتريوس إلى زينون، البردية لندن ٧ ١٩٧٩ (P. Lond. 7 1945 = P. Lond. Inv. 2092، أرشيف زينون، من الإسكندرية، عام ٢٥٢ ق.ح).

251. De Souza (1999: 48–53); Gabrielsen (2003: 396); Austin (2006: 210n1).

٢٥٢. Polybius 30.31.10. Reger (2003: 180–81).

٢٥٣. حول ديلوس، انظر Reger (1994).

٢٥٤. Rauh (1999: 166); Gabrielsen (1997: 71). حول الأمفورات في مصر، انظر Marchand and Marangou (2007); Gates-Foster (2011). حول الأمفورات الرودسية في أكوريس Akoris في مصر الوسطى من روايات كثيرة، انظر Kawanishi and Suto (2005).

255. Gibbins (2001: 291); Gabrielsen (1997: 64–71).

٢٥٦. قارن Scheidel (2011b: 34n65).

٢٥٧.

٢٥٨. حول بيثياس، انظر Roller (2006).

٢٥٩. حول كتابة التاريخ historiography حول الإسكندر والتجارة التي تؤكد الارتباط بين وجهة نظر درويزن وفيلكن في الإسكندر، انظر Briant (2009).

260. Briant (2009: 183).

261. Wilcken (1967: 293–94).

٢٦٢. انظر Briant (2009) والأدبيات التي يوردها.

263. Archibald, Davies, Gabrielsen, and Oliver (2001); Archibald, Davies, and Gabrielsen (2005); Archibald, Davies, and Gabrielsen (2011).

264. Shipley (1993: 280). Cf. J. Davies (1984a: 270).

265. J. Davies (1984a); Gellner (1983).

٢٦٦. انظر على سبيل المثال Briant (2002: 387).

٢٦٧. McCormick (2001: 614): "إن التجار هم الأقل توثيقاً بين المسافرين الذين صادفناهم". حول التجار الأزتكيين، انظر Hirth (2016) ومناقشة ممتازة حول سبب غياب التجار غالبا عن مصادرنا.

٢٦٨. Bresson (2003b). أشكرُ Alain Bresson على المرجع.

٢٦٩. مثل "التجار" المرتبطين بحصار جيش ديميتريوس لجزيرة رودس في عام ٣٠٤/ ٣٠٥ ق.ح، انظر Diod. Sic XX.82.4–83.1 التي تناقَش بإيجاز في De Souza (1999: 44–45); Billows (1990: 358). حول الاستخدام غير الموضوعي لكلمة "قرصان"، انظر ملاحظات Gabrielsen (2003: 398–404).

270. Aristot., *Pol*. I; Morley (2007: 79–89).

٢٧١. يرجع التقليد المصري في حقيقة الأمر إلى الدولة الحديثة. انظر أيضا على سبيل المثال Ryholt (2005: 118–19) الذي يعلق على نص أدبي ديموطيقي جديد بعنوان "التاجر الجشع" The Avaricious Merchant.

272. Gabrielsen (2007).
273. Rostovtzeff (1941: 1269).
274. Rostovtzeff (1941: 1274).

٢٧٥. سمة مميزة قطعا للدول ما قبل الحديثة أو يسميه North, Wallis, and Weingast (2009: 38–39) "الدول الطبيعية" أو "دول الحالة الطبيعية" natural states.

276. *Eth. Nic*. 8.9.4–6 (1160a); Gabrielsen (2007: 192).

٢٧٧. من اللافت للانتباه أن Préaux (1939: 364) ذهب إلى أن تطورا قد حدث بين القرنين الثالث والثاني قبل الحقبة المشتركة في تنظيم التجارة الشرقية، وأشار على وجه التحديد إلى ظهور على ما يبدو أنهم "وسطاء" في تجارة النباتات العطرية.

278. Gabrielsen (1997: 123–29); Gabrielsen (2001); Gabrielsen (2011).
279. Gabrielsen (1997: 124).

٢٨٠. حول الجمعيات المصرية، انظر de Cenival (1972); Muhs (2001); Monson (2010).

281. Gabrielsen (2007: 195).

٢٨٢. حول النص، انظر J. Manning (2003).

283. Reger (2003)

٢٨٤. توجد مراجعة مفيدة للأدلة اليونانية الأقدم في Reed (2003).

٢٨٥. المواطنة الرودسية على سبيل المثال، *SIG*3 354.

٢٨٦. إن نشاطه مُوَثَّق في الأرشيف الأكبر من الحقبة البطلمية، وهو أرشيف زينون من فيلادلفيا في شمال شرق الفيوم، التي كانت تقع فيها أحد أملاكه الكبيرة. حول تجارة الحبوب الهلنستية، انظر Casson (1954); Rathbone (1983). يتقصى Oliver (2007: 228–59) واردات الحبوب الأثينية خلال الحقبة الهلنستية والتكيفات المؤسسية التي اتخذتها أثينا.

٢٨٧. تذكر البردية رايلاندز ٤ ٥٥٤ (P. Ryl. 4 554 = SB V 7637، فيلادلفيا، ٢٥٨ ق.ح) ضمن قائمة بالسلع المشحونة أبديمون Abdemoun من صيدا، وهو تاجر في جزيرة رودس وشريك مقرب لأبولونيوس ("أخيه") Gabrielsen (1997: 74).

٢٨٨. حول النص، انظر Jansen-Winkeln (1997). من اللافت للانتباه، وربما الكاشف أيضا، أن الكلمة المستخدمة في النص بمعنى "تاجر" (مكر mkr) كلمة سامية مستعارة. يلاحَظ أن تحديد تاريخ الوثيقة هش نسبيا، ويعتمد على أن اسم التاجر، نختنبف أي نخت انبو Nectanebo يمكن أن يكون اسم شخصي شائع أُعطي لطفل ذكر في عهد نخت انبو الثاني Nectanebo II أو حوله (٣٦٠–٣٤٣ ق.ح). يخْلُص Jansen-Winkeln (1997: 115) إلى أن اللوح يُؤرَّخ على الأرجح إلى أواخر الأسرة الثلاثين، وبالتالي ليس للحقبة البطلمية. وأنا شخصياً لا أرى، على خلاف ذلك، أي سبب للاعتقاد بأن النص لا يمكن إرجاعه بالقدر نفسه إلى الحقبة البطلمية المبكرة.

٢٨٩. Bernard, Pinault, and Rougemont (2004). أدينُ بالفضل لزميلي أندرو جونستون Andrew Johnston الذي وجهني إلى هذا النص الساحر.

٢٩٠. مراجعات في: Thapar (2002: 174–279); Avari (2007: 105–54).

291. *Syll*.3 495, *SEG* 49.1041 (= Austin [2006: text115]).

٢٩٢. حول الحكم والتجارة الرودسيين، انظر مراجعات Berthold (1984), Gabrielsen (1997) and Gabrielsen et al. (1999).

293. Gabrielsen (1997: 73).
294. Gabrielsen (1997: 80).
295. W. Murray (2012).

٢٩٦. ترجمة Scott-Kilvert (1973).

297. Athen., *Deip*. 5.206d–209b; Casson (1971: 185–86); A. Wilson (2011: 39).

٢٩٨. Casson (1971: 97–140).

٢٩٩. البردية النصوص اليونانية ١٢ التكميلية ٢٤٨ (IG XII Suppl. 348 = Austin [2006: text 126]، القرن الثالث قبل الحقبة المشتركة). انظر A. Wilson (2011) حول حجم السفن.

٣٠٠. A. Wilson (2011a).

٣٠١. حول تكوين الدولة الهلنستية والدول اللوياثانية، انظر J. Manning (forthcoming).

٣٠٢. انظر Kron (forthcoming).

303. Garnsey (1988: 107–19).

٣٠٤. Lawall (2005: 189) الذي يشير من بين أعمال أخرى إلى de Callataÿ (2005).

305. Bresson (1993).
306. J. Davies (2001: 27).

٣٠٧. انظر- على سبيل المثال- دراسة أمفورات الأسماك من منطقة البحر الأسود في Opait (2007).

308. Lawall (2005: 192).
309. Gibbins (2001: 288).
310. Gibbins (2001: 274).

٣١١. انظر Morley (2007: 5); Kron (forthcoming) هنا حول التحيز لغرب البحر الأبيض المتوسط.

٣١٢. انظر Lawall (2005: 188) الذي يضع جدول أعمال بحثي مهم.

313. Gabrielsen (1997: 68–71).
314. Gates-Foster (2011: 804).

٣١٥. Lawall (2005: 194–95). قارن ملاحظات Stolba (2007) وتأكيده الخاص على تجارة النبيذ.

٣١٦. Scheidel (2011b: 21). قارن R. Smith (2009: 74) Bang (2007). الذي أكد على "الحرب المزمنة" بعد منتصف القرن الثالث قبل الحقبة المشتركة التي تسببت في تراجع عام في التجارة.

317. Scheidel (2011b: 23).
318. Menard (1991).

٣١٩. في نفس الكتاب، يعبر A. Wilson (2011b: 231–33) عن اختلاف دقيق مع حجة شايدل المؤسسية، إذ يعطي وزنا أكبر للتحسينات التقنية التي قللت كلا من التكلفة والخطر. انظر أيضا Bang (2007) حول إطار تحليلي قوي للتجارة الرومانية، الذي طوره Bang (2008) بدرجة أكبر مؤكدا على التبادل السوقي ضمن نمط الإنتاج بالإتاوة.

٣٢٠. يتأكد تزايد المرور والتجارة في البحر الأحمر أيضا في ميناء برنيكي وعلى الطرق البرية في الصحراء الشرقية المصرية. انظر Sidebotham (2011: 125–74).

321. J. Davies (2001: 18).
322. Scheidel 2011b: 21

٣٢٣. انظر الفصل الخامس فيما سبق. حول الأخشاب، انظر Meiggs (1982); Davies (2001: 23–24)، وحول الأخشاب من البحر الأسود، انظر Hannestad (2007).

٣٢٤. انظر Gabrielsen (2003: 395) الذي يستشهد بفلوطرخس Plutarch, *Pomp.* 24.

325. Scheidel (2011b: 34n65).

326. Gabrielsen (1997: 66).
327. Polyb. 28.2.17; Casson (1954: 182).

٣٢٨. أكد عليها Gabrielsen (2003). حول الحرب والاقتصاد الهلنستي، انظر Austin (1986).

329. Gabrielsen (2003: 391).
330. Rostovtzeff (1941: 196–97); Gabrielsen (2003: 395).
331. De Souza (1999: 69).

٣٣٢. حول المسح الأثري لهذه المنطقة، انظر Rauh et al. (2009).

333. Scheidel (2011b: 26).
334. Schörle (2010); Sidebotham (2011).

٣٣٥. انظر بإيجاز Kitchen (2001: 166–70).

٣٣٦. حول نص موزيريس، انظر الدراسة المهمة Morelli (2011) والأدبيات السابقة التي أوردها. بحسب كتاب *Periplus* (20)، يجب على السفن أن تتجنب الساحل الشرقي للبحر الأحمر وتبحر سريعا لتجنب القراصنة. يخبرنا Pliny (*N.H.* 6.26.101) بأن السفن كانت تحمل حراسا مسلحين.

٣٣٧. Oliver (2007).

٣٣٨. انظر Oliver (2007: 228–59) من أجل مراجعة ممتازة للأدلة.

339. Gabrielsen (2011).

٣٤٠. في مصر: بردية الحيبة ٢ ١٩٨ ([*P. Hib.* 2 198 = Bagnall and Derow [2004: text 122]، ٢٤٢ ق.ح)[٦]. يذهب Bagnall and Derow (2004: 204n) إلى أنه قد فُرضت ضرائب باهظة على التجارة الداخلية وأن هذه الإعفاءات "كانت قليلة العدد". وأنا لا أجد سبيلا لتأكيد أحد الجانبين على أساس الأدلة الحالية.

341. Gibbins (2001: 293).
342. Scheidel (2011b: 30).

الفصل التاسع

استنتاجات

1. L. Hunt (2014: 120).
2. Morris (2005).
3. Wootton (2015: 550).
4. Bagnall (2002).
5. Acemoglu and Robinson (2012: 3–4).
6. Brooke (2014).

(٦) الحيبة Hibeh قرية تابعة لمركز الفشن في محافظة بني سويف المصرية. [المترجم]

٧. انظر Jenkins (2000) حول استخدام فيبر "للتحرر من الوهم".

٨. البردية رايلاندز ١٩٨١٣ (*P. Rainer* 19813)، ترجمة Burstein (1985: text 106).

٩. انظر ملحوظة موجزة لكنها مثيرة للانتباه في J. Davies (2013b: 446); Domingo Gygax (2016).

10. Matthews et al. (2012: 17).
11. Broodbank (2013: 41).

١٢. P. Brown (2012). حول المواقف الأثينية الكلاسيكية، انظر Davies (1984b).

١٣. قارن W. Harris (2013b: 3).

الملحق

البيانات المناخية

١. J. Manning et al. (2017). حول دراسة تفصيلية لهذه التأثيرات خلال الإمبراطورية الرومانية خلال القرن الثالث من الحقبة المشتركة، انظر Rossignol and Durost (2007).

٢. قارن اقتباس من تشاودوري Chaudhuri في صدر الفصل الخامس.

3. Staubwasser and Weiss (2006).

القراءات الأساسية

اقتصادات الشرق الأدنى القديم

Jursa, Michael. (2014). "Babylonia in the First Millennium BCE—Economic Growth in Times of Empire," in *The Cambridge History of Capitalism*. 2 vols. Ed. Larry Neal and Jeffrey G. Williamson. Cambridge: Cambridge University Press. Pp. 24–42.

———. (2010). *Aspects of the Economic History of Babylonia in the First Millennium BC: Economic Geography, Economic Mentalities, Agriculture, the Use of Money and the Problem of Economic Growth*. Münster: Ugarit-Verlag.

———. (2005). "Money-Based Exchange and Redistribution: The Transformation of the Institutional Economy in First Millennium Babylonia," in *Autour de Polanyi: Vocabulaires, theories et modalities des échanges, Nanterre, 12–14 Juin 2004*. Ed. P. Clancier, F. Joannès, P. Rouillard, and A. Tenu. Paris: De Boccard. Pp. 171–86.

Liverani, Mario. (2014). *The Ancient Near East: History, Society, and Economy*. London: Routledge.

Silver, Morris. (1995). *Economic Structures of Antiquity*. Westport, CT: Greenwood.

اقتصادات مصر

Bleiberg, Edward. (1995). "The Economy of Ancient Egypt," in *Civilizations of the Ancient Near East*. Ed. Jack Sasson. Vol. 3. New York: Charles Scribner's Sons. Pp. 1373–85.

Kemp, Barry J. (2006). "The Birth of Economic Man," in *Ancient Egypt: Anatomy of a Civilization*. London: Routledge. Pp. 302–35.

Moreno García, Juan Carlos. (2014). "Recent Developments in the Social and Economic History of Ancient Egypt," *Journal of Ancient Near Eastern History* 1/2: 231–61.

Muhs, Brian P. (2016). *The Ancient Egyptian Economy, 3000–30 BC*. Cambridge: Cambridge University Press.

Warburton, David. (1997). *State and Temple Economy in Ancient Egypt: Fiscal Vocabulary of the New Kingdom*. Fribourg: University Press.

اقتصادات اليونان

Amemiya, Takeshi. (2007). *Economy and Economics of Ancient Greece*. London: Routledge.

Archibald, Zosia H. (2013). *Ancient Economies of the Northern Aegean: Fifth to First Centuries BC*. Oxford: Oxford University Press.

Bresson, Alain. (2016). *The Making of the Ancient Greek Economy: Institutions, Markets, and Growth in the City-States*. Princeton, NJ: Princeton University Press.

Harris, Edward, David M. Lewis, and Mark Woolmer, eds. (2016). *The Ancient Greek Economy, Markets, Households and City-States*. New York: Cambridge University Press.

Lyttkens, Carl Hampus. (2013). *Economic Analysis of Institutional Change in Ancient Greece: Politics, Taxation and Rational Behavior*. London: Routledge.

Nafissi, Mohammed. (2005). *Ancient Athens and Modern Ideology: Value, Theory, and vidence in Historical Sciences: Max Weber, Karl Polanyi and Moses Finley*. London: Institute of Classical Studies.

Ober, Josiah. (2015). *The Rise and Fall of Classical Greece*. Princeton, NJ: Princeton University Press.

اقتصادات الإمبراطورية الأخمينية

Briant, Pierre. (2002). *From Cyrus to Alexander: A History of the Persian Empire*. Winona Lake: Eisenbrauns. Especially pp. 422–71; 938–47.

Kuhrt, Amélie. (2007). *The Persian Empire: A Corpus of Sources from the Achaemenid Period*. London: Routledge. Pp. 669–729; 763–825.

Wiesehöfer, Joseph. (2009). "The Achaemenid Empire," in *The Dynamics of Ancient Empires: State Power from Assyria to Byzantium*. Ed. Ian Morris and Walter Scheidel. New York: Oxford University Press. Pp. 66–98.

اقتصادات الحقبة الهلنستية

Aperghis, M. M. (2004). *The Seleukid Royal Economy*. Cambridge: Cambridge University Press.

Austin, M. M. (1986). "Hellenistic Kings, War, and the Economy," *Classical Quarterly* 36/2: 450–66.

Archibald, Zosia H., John K. Davies, and Vincent Gabrielsen, eds. (2011). *The Economies of Hellenistic Societies, Third to First Centuries BC*. Oxford: Oxford University Press.

———. eds. (2005). *Making, Moving, and Managing: The New World of Ancient Economies, 323–31 BC*. Oxford: Oxbow Books.

Archibald, Zosia H., John K. Davies, Vincent Gabrielsen, and G. J. Oliver, eds. (2001). *Hellenistic Economies*. London: Routledge.

Chankowski, Véronique, and Frédérique Duyrat, eds. (2004). *Le Roi et L'Économie: Autonomies locales et structures royales dans l'économie de L'empire séleucide*. Topoi Supplement 6. Lyon: Maison de L'Orient méditerranéen.

Monson, Andrew. (2012). *From the Ptolemies to the Romans: Political and EconomicChange in Egypt*. Cambridge: Cambridge University Press.

Reger, Gary. (1994). *Regionalism and Change in the Economy of Independent Delos:* Berkeley: University of California Press.

Rostovtzeff, Michael A. (1941). *The Social and Economic History of the Hellenistic World*. Oxford: Clarendon.

الاقتصادات الإقليمية

Archibald, Zosia H. (2013). *Ancient Economies of the Northern Aegean: Fifth to First Centuries BC*. Oxford: Oxford University Press.

Constantakopoulou, C. (2005). "Proud to Be an Islander: Island Identity in Multipolis Islands in the Classical and Hellenistic Aegean," *Mediterranean Historical Review* 20: 1–34.

Elton, H., and G. Reger, eds. (2007). *Regionalism in Hellenistic and Roman Asia Minor*. Bordeaux: Ausonius.

Oliver, Graham. (2006). "Hellenistic Economies: Regional Views from the Athenian Polis," in *Approches de l'Économie héllénistique*. Entretiens d'archéologie et d'histoire Saint Bertrand-de-Comminges: Musée archéologique de Saint-Betrand-de- Comminges. Pp. 215–56.

Reger, Gary. (2013). "Economic Regionalism in Theory and Practice," in *Pottery Markets in the Ancient Greek World (8th–1st Centuries B.C.)*. Ed. Athena Tsingarida and Didier Viviers. Brussels: Centre de Recherches en Archéologie et Patrimonie. Pp. 119–31.

———. (1994). *Regionalism and Change in the Economy of Independent Delos:* Berkeley: University of California Press.

اقتصادات غرب البحر الأبيض المتوسط

Cornell, T. J. (1995). *The Beginnings of Rome: Italy and Rome from the Bronze Age to the Punic Wars (c. 1000–264 BC)*. London: Routledge.

De Angelis, Franco. (2016). *Archaic and Classical Greek Sicily: A Social and Economic History*. Oxford: Oxford University Press.

اقتصادات البحر الأسود

Gabrielsen, Vincent, and John Lund, eds. (2007). *The Black Sea in Antiquity: Regional and Interregional Economic Exchanges*. Aarhus: Aarhus University Press.

التاريخ الاقتصادي والاقتصادات القديمة

Bang, Peter F. (2009). "The Ancient Economy and New Institutional Economics," *Journal of Roman Studies* 99: 194–206.

Jones, Donald W. (2014). *Economic Theory and the Ancient Mediterranean*. Malden, MA: Wiley-Blackwell.

Temin, Peter. (2013). *The Roman Market Economy*. Princeton, NJ: Princeton University Press.

Verboven, Koenraad. (2015). "The Knights Who Say NIE. Can Neo-institutional Economics Live Up to Its Expectation in Ancient History Research?," in *Structure and Performance*

in the Ancient Economy: Models, Methods and Case Studies. Ed. Paul Erdkamp and Koenraad Verboven. Brussels: Éditions Latomus. Pp. 33–57.

العملة والنقد والأسعار

Harris, William V., ed. (2008). *The Monetary Systems of the Greeks and Romans*. Oxford: Oxford University Press.

Howgego, Christopher. (1995). *Ancient History from Coins*. London: Routledge. Metcalf, William E., ed. (2012). *The Oxford Handbook of Greek and Roman Coinage*. Oxford: Oxford University Press.

Schaps, David M. (2004). *The Invention of Coinage and the Monetization of Ancient Greece*. Ann Arbor: University of Michigan Press.

Thonemann, Peter. (2015). *The Hellenistic World: Using Coins as Sources*. Cambridge: Cambridge University Press.

van der Spek, R. J., Bas van Leeuwen, and Jan Luiten van Zanden, eds. (2015). *A History of Market Performance: From Ancient Babylonia to the Modern World*. London: Routledge. von Reden, Sitta. (2010). *Money in Classical Antiquity*. Cambridge: Cambridge University Press.

———. (2007). *Money in Ptolemaic Egypt: From the Macedonian Conquest to the End of the Third Century BC*. Cambridge: Cambridge University Press.

التقنية القديمة

Greene, Kevin. (2008). "Historiography and Theoretical Approaches," in *The Oxford Handbook of Engineering and Technology in the Classical World*. Ed. John Peter Oleson. Oxford: Oxford University Press. Pp. 62–90.

———. (2000). "Technological Innovation and Economic Progress in the Ancient World: M. I. Finley Reconsidered," *Economic History Review* 53/1: 29–59.

Nicholson, Paul T., and Ian Shaw, eds. (2000). *Ancient Egyptian Materials and Technology*. Cambridge: Cambridge University Press.

Oleson, John Peter, ed. (2008). *The Oxford Handbook of Engineering and Technology in the Classical World*. Oxford: Oxford University Press.

المناخ

Bradley, Raymond S. (2015). *Paleoclimatology: Reconstructing Climates of the Quaternary*. 3d. ed. Oxford: Academic Press.

Brooke, J. L. (2014). *Climate Change and the Course of Global History: A Rough Journey*. Cambridge: Cambridge University Press.

Campbell, Bruce M. S. (2016). *The Great Transition: Climate, Disease and Society in the Late-Medieval World*. Cambridge: Cambridge University Press.

Harper, Kyle. (2017). *The Fate of Rome: Climate, Disease, and the End of an Empire*. Princeton, NJ: Princeton University Press.

Luterbacher, J., et al. (2012). "Review of 2000 Years of Paleoclimatic Evidence in the Mediterranean," in *The Climate of the Mediterranean Region: From the Past to the Future*. Ed. P. Lionello. London: Elsevier. Pp. 87–185.

المصادر

Bagnall, Roger S. (1995). *Reading Papyri: Writing Ancient History*. London: Routledge.
Bodel, John. (2001). *Epigraphic Evidence: Ancient History from Inscriptions*. London: Routledge.
Davies, John K. (2013). "Mediterranean Economies through the Text of Polybius," in *Polybius and His World: Essays in Memory of F. W. Walbank*. Ed. Bruce Gibson and Thomas Harrison. Oxford: Oxford University Press. Pp. 319–35.
Hall, Jonathan. (2014). *A History of the Archaic Greek World, ca. 1200–479 BCE*. 2d ed. Malden, MA: Wiley-Blackwell. Pp. 16–40.
Howgego, Christopher. (1995). *Ancient History from Coins*. London: Routledge.
Kuhrt, Amélie. (2007). *The Persian Empire: A Corpus of Sources from the Achaemenid Period*. London: Routledge. Pp. 669–729; 763–825.
Pomeroy, Sarah B. (1994). *Xenophon*, Oeconomicus*: A Social and Historical Commentary*. Oxford: Oxford University Press.
Vandorpe, Katelijn. (2009). "Archives and Dossiers," in *The Oxford Handbook of Papyrology*. Ed. Roger S. Bagnall. Oxford: Oxford University Press. Pp. 216–55.

المراجع

Abramitzky, Ran. (2015). “Economics and the Modern Economic Historian,” *Journal of Economic History* 75/4: 1240–51.
Abulafia, David. (2011). *The Great Sea: A Human History of the Mediterranean*. Oxford: Oxford University Press.
———. (2005). “Mediterraneans,” in *Rethinking the Mediterranean*. Ed. W. V. Harris. Oxford: Oxford University Press. Pp. 64–93.
Abu-Lughod, Janet L. (1995). “The World-System Perspective in the Construction of Economic History,” *History and Theory* 34: 86–98.
———. (1989). *Before European Hegemony: The World System AD 1250–1350*. New York.
Acemoglu, Daron. (2008). “Growth and Institutions,” in *The New Palgrave Dictionary of Economics Online*. Ed. S. N. Durlauf and L. E. Blume. Basingstoke: Palgrave Macmillan.
Acemoglu, Daron, Simon Johnson, and James A. Robinson. (2001). “The Colonial Origins of Comparative Development: An Empirical Investigation,” *American Economic Review* 91/5: 1369–401.
Acemoglu, Daron, and James A. Robinson. (2012). *Why Nations Fail: The Origins of Power, Prosperity, and Poverty*. New York: Crown Business.
Achilli, Alessandro, et al. (2007). “Mitochondrial DNA Variation of Modern Tuscans Supports the Near Eastern Origins of Etruscans,” *American Journal of Human Genetics* 80: 759–68.
Adams, Robert McCormick. (2012). “Ancient Mesopotamian Urbanism and Blurred Disciplinary Boundaries,” *Annual Review of Anthropology* 41: 1–20.
———. (1981). *Heartland of Cities: Surveys of Ancient Settlement and Land Use on the Central Flood Plain of the Euphrates*. Chicago: University of Chicago Press.
———. (1974). “Anthropological Perspectives on Ancient Trade,” *Current Anthropology* 15: 239–49.
———. (1965). *Land behind Baghdad: A History of Settlement on the Diyala Plains*. Chicago: University of Chicago Press.
———. (1960). “Comment,” in *Current Anthropology* 1/5–6: 422–23.
Adams, William Y. (1984). “The First Colonial Empire: Egypt in Nubia, 3200–1200
B.C.,” *Comparative Studies in Society and History* 26: 36–71.
Aghion, Philippe, and Peter Howitt. (2009). *The Economics of Growth*. Cambridge, MA: MIT Press.
Agut-Labordère, Damien. (2013). “The Saite Period: The Emergence of a Mediterranean

Power," in *Ancient Egyptian Administration*. Ed. Juan Carlos Moreno García. Leiden: Brill. Pp. 965–1027.

———. (2011). "Les 'petites citadelles': La sociabilité du tmy 'ville,' 'village' à travers les Sagesses démotiques," in *Espaces et territoires de l'égypte grécoromaine: Actes des journées d'études, 23 juin 2007 et 21 juin 2008*. Ed. Gilles Gorre and Perrine Kosmann. Geneva: Librairie Droz. Pp. 107–20.

Alcock, Susan E. (2007). "The Essential Countryside: The Greek World," in *Classical Archaeology*. Ed. Susan E. Alcock and Robin Osborne. Malden, MA.: Blackwell. Pp. 120–38.

Alcock, Susan E., and John F. Cherry, eds. (2004). *Side-by-Side Survey: Comparative Regional Studies in the Mediterranean World*. Oxford: Oxbow Books.

Alesina, Alberto, and Enrico Spolaore. (2003). *The Size of Nations*. Cambridge, MA: MIT Press.

Alfani, Guido, and Tommy E. Murphy. (2017). "Plague and Lethal Epidemics in the Pre-industrial World," *Journal of Economic History* 77/1: 314–43.

Algaze, Guillermo. (2008). *Ancient Mesopotamia at the Dawn of Civilization: The Evolution of an Urban Landscape*. Chicago: University of Chicago Press.

Algazi, Gadi. (2005). "Diversity Rules: Peregrine Horden and Nicholas Purcell's *The Corrupting Sea*," *Mediterranean History Review* 20/2: 227–45.

———. (1993). *The Uruk World System: The Dynamics of Expansion of Early Mesopotamian Civilization*. Chicago: University of Chicago Press.

Allam, Schafik. (2008). "Regarding the *Eisgogeus* at Ptolemaic Law Courts," *Journal of Egyptian History* 1/1justizwesen: 3–19.

Allen, James P. (2002). *The Hekanakht Papyri*. New York: Metropolitan Museum of Art.

Allen, Robert C. (2009). "How Prosperous Were the Romans? Evidence from Diocletian's Price Edict (AD 301)," in *Quantifying the Roman Economy: Methods and Problems*. Ed. Alan K. Bowman and Andrew Wilson. Oxford: Oxford University Press. Pp. 327–45.

———. (2008). "Review of Gregory Clark's 'A Farewell to Alms': A Brief Economic History of the World," *Journal of Economic Literature* 46/4: 946–73.

———. (1997). "Agriculture and the Origins of the State in Ancient Egypt," *Explorations in Economic History* 34: 135–54.

Alston, L. J. (2008). "New Institutional Economics," in *The New Palgrave Dictionary of Economics Online*. 2d ed. Ed. Steven N. Durlauf and Lawrence E. Blume. Basingstoke: Palgrave Macmillan. http://www.dictionaryofeconomics.com/article?id=pde2008_N000170&authstatuscode=202.

Amemiya, Takeshi. (2007). *Economy and Economics of Ancient Greece*. London: Routledge.

Andersen, T. B., C. J. Dalgaard, and P. Selaya. (2016). "Climate and the Emergence of Global Income Differences," *Review of Economic Studies,* 83/4: 1334–63.

Anderson, Greg. (2015). "Retrieving the Lost Worlds of the Past: The Case for an Ontological Turn," *AHR* 120/3: 787–810.

Andreau, Jean. (1995). "Vingt ans d'après *L'Économie antique* de Moses I. Finley," *Annales: Histoire, Sciences Sociales* 50 (1995): 947–60. Reprinted as "Twenty Years After Moses I. Finley's *The Ancient Economy*," in Walter Scheidel and Sitta von Reden, eds., *The Ancient Economy*, New York: Routledge, 2002, pp. 33–49.

———. (1977). "M. I. Finley, la banque antique et l'économie modern," *Annali della Scuola Normale Superiore di Pisa*, 3d ser., 7: 1130–52.

Antonopoulos, John. (1992). "The Tsunami of 426 BC in the Maliakos Gulf, Eastern Greece," *Natural Hazards* 5/1: 83–93.

Aoki, Masahiko. (2001). *Toward a Comparative Institutional Analysis*. Cambridge, MA: MIT Press.

Aperghis, M. M. (2004). *The Seleukid Royal Economy: The Finances and Financial Administration of the Seleukid Empire*. Cambridge: Cambridge University Press.

Archibald, Zosia H. (2013). *Ancient Economies of the Northern Aegean: Fifth to First Centuries BC*. New York: Oxford University Press.

———. (2007). "Contacts between the Ptolemaic Kingdom and the Black Sea in the early Hellenistic Age," in *The Black Sea in Antiquity: Regional and Interregional Economic Exchange*. Ed. Vincent Gabrielsen and John Lund. Aarhus: Aarhus University Press. Pp. 253–71.

———. (2005). "Markets and Exchange: The Structure and Scale of Economic Behavior in the Hellenistic Age," in *Making, Moving, and Managing: The New World of Ancient Economies, 323–31 BC*. Ed. Zosia H. Archibald, John K. Davies, and Vincent Gabrielsen. Oxford: Oxbow Books. Pp. 1–26.

———. (2002). "A River Port and *emporion* in Central Bulgaria: An Interim Report on the British Project at Vetren," *Annual of the British School at Athens* 97: 309–51.

Archibald, Zosia, and John K. Davies. (2011). "Introduction," in *The Economies of Hellenistic Societies, Third to First Centuries BC*. Ed. Zosia H. Archibald, John K. Davies, and Vincent Gabrielsen. Oxford: Oxford University Press. Pp. 1–18.

Archibald, Zosia H., John K. Davies, and Vincent Gabrielsen, eds. (2011). *The Economies of Hellenistic Societies, Third to First Centuries BC*. Oxford: Oxford University Press.

———. eds. (2005). *Making, Moving, and Managing: The New World of Ancient Economies, 323–31 BC*. Oxford: Oxbow Books.

Arlt, Carolin. (2011). *Deine Seele möge leben für immer und ewig: Die demotischen Mumienschilder im British Museum*. Leuven: Peeters.

Arnold, John H. (2000). *History: A Very Short Introduction*. Oxford: Oxford University Press.

Arruda, Ana Margarida. (2009). "Phoenician Colonization on the Atlantic Coast of the Iberian Peninsula," in *Colonial Encounters in Ancient Iberia: Phoenician, Greek and Indigenous Relations*. Ed. Michael Dietler and Carolina Lopez-Ruiz. Chicago: University of Chicago Press. Pp. 113–30.

Arthur, W. Brian. (2015). *Complexity and the Economy*. Oxford: Oxford University Press.

Aruz, Joan, Sarah B. Graff, and Yelena Rakic, eds. (2014). *Assyria to Iberia at the Dawn of the Classical Age*. New York: Metropolitan Museum of Art.

Aubet, Maria Eugenia. (2013). *Commerce and Colonization in the Ancient Near East*. Trans. Mary Turton. Cambridge: Cambridge University Press. Originally *Comercio y Colonialismo en el Proximo Oriente Antiguo: Los antecedentes coloniales del III y II milenios a. C.* Barcelona: Edicions Bellaterra, 2007.

———. (2001). *The Phoenicians and the West: Politics, Colonies and Trade*. Trans. M. Turton. 2d ed. Cambridge: Cambridge University Press.

Ault, Bradley A., and Lisa C. Nevett, eds. (2005). *Ancient Greek Houses and Households: Chronological, Regional and Social Diversity*. Philadelphia: University of Pennsylvania Press.

Austin, M. M. (2006). *The Hellenistic World from Alexander to the Roman Conquest: A Selection of Ancient Sources in Translation*. 2d ed. Cambridge: Cambridge University Press.

———. (1986). "Hellenistic Kings, War, and the Economy," *Classical Quarterly* 36/2: 450–66.

Avari, Burjor. (2007). *India, the Ancient Past: A History of the Indian Sub-continent from c. 7000 BC to AD 1200*. London: Routledge.

Avram, Alexandru. (2007). "Some Thoughts about the Black Sea and the Slave Trade before Roman Domination (6th–1st Centuries BC)," in *The Black Sea in Antiquity: Regional and Interregional Economic Exchanges*. Ed. Vincent Gabrielsen and John Lund. Aarhus: Aarhus University Press. Pp. 239–51.

Babbi, Andrea, Friederike Bubenheimer, Erhart Beatriz Marín-Aguilera, and Simone Mühl, eds. (2015). *The Mediterranean Mirror: Cultural Contacts in the Mediterranean Sea between 1200 and 750 B.C.* Mainz: Verlag des Römisch-Germanischen Zentralmuseums.

Baer, Klaus. (1963). "An Eleventh Dynasty Farmer's Letters to His Family," *Journal of the American Oriental Society* 83/1: 1–19.

Baetens, Geert, and Mark Depauw. (2015). "The Legal Advice of Totoes in the Siut Archive (P. BM. 10591, Verso, Col. I–III)," *Journal of Egyptian Archaeology* 101: 197–215.

Bagnall, Roger S. (2011a). *Everyday Writing in the Graeco-Roman East*. Berkeley: University of California Press.

———. (2011b). "Archaeological Work on Hellenistic and Roman Egypt, 2000–2009," *American Journal of Archaeology* 115/1: 103–57.

———. ed. (2009a). *The Oxford Handbook of Papyrology*. Oxford: Oxford University Press.

———. (2009b). "Response to Alan Bowman," in *Quantifying the Roman Economy: Methods and Problems*. Ed. Alan K. Bowman and Andrew Wilson. Oxford: Oxford University Press. Pp. 205–9.

———. (2005). "Egypt and the Concept of the Mediterranean," in *Rethinking the Mediterranean*. Ed. W. V. Harris. Oxford: Oxford University Press. Pp. 339–47.

———. (2002). "Alexandria: Library of Dreams," in *Proceedings of the American Philosophical Society* 146/4: 348–62.

———. (2001). "Archaeological Work on Hellenistic and Roman Egypt, 1995–2000," *AJA* 105/2: 227–43.

———. (1995). *Reading Papyri: Writing Ancient History*. London: Routledge.

———. (1992). "Landholding in Late Roman Egypt: The Distribution of Wealth," *Journal of Roman Studies* 82: 128–49.

Bagnall, Roger S., and Peter Derow. (2004). *The Hellenistic Period: Historical Sources in Translation*. Malden, MA: Blackwell.

Bagnall, Roger S., and Bruce W. Frier. (1994). *The Demography of Roman Egypt*. Cambridge Studies in Population, Economy and Society in Past Time 23. Cambridge: Cambridge University Press.

Bagnall, Roger, J. G. Manning, Steven Sidebotham, and Roger Zitterkopf. (1996). "A Ptolemaic Inscription from Bir 'Iayyan," *Chronique d'Égypte* 71: 317–30.

Bai, Ying, and James Kaising Kung. (2011). "Climate Shocks and Sinonomadic Conflict," *Review of Economics and Statistics* 93/3: 970–81.

Baines, John R. (1999). "On *Wenamun* as a Literary Text," in *Literatur und Politik im pharaonischen und ptolemäischen Ägypten: Vorträge der Tagung zum Gedenken an Georges Posener 5.–10. September 1996 in Leipzig*. Ed. Jan Assmann and Elke Blumenthal. Bibliothèque d'Étude 127. Cairo: Institut français d'archéologie orientale du Caire. Pp. 209–33.

Baker, Alan R. H. (2003). *Geography and History: Bridging the Divide*. Cambridge: Cambridge University Press.

Baker, Heather D. (2014). "House Size and Household Structure: Quantitative Data in the Study of Babylonian Urban Living Conditions," in *Documentary Sources in Ancient Near Eastern and Greco-Roman Economic History: Methodology and Practice*. Ed. Heather D. Baker and Michael Jursa. Oxford: Oxbow. Pp. 7–23.

Balmuth, Miriam S., ed. (2001). *Hacksilber to Coinage: New Insights into the Monetary History of the Near East and Greece*. New York: American Numismatic Society.

Banaji, Jairus. (2007). "Islam, the Mediterranean and the Rise of Capitalism," *Historical Materialism* 15: 47–74.

Bang, Peter F. (2009). "The Ancient Economy and New Institutional Economics," *Journal of Roman Studies* 99: 194–206.

———. (2008). *The Roman Bazaar: A Comparative Study of Trade and Markets in a Tributary Empire*. Cambridge: Cambridge University Press.

———. (2007). "Trade and Empire—in Search of Organizing Concepts for the Roman Economy," *Past and Present* 195: 3–54.

———. (1998). "Antiquity between 'Primitivism' and 'Modernism.' " Center for Cultural Research, University of Aarhus. www.hum.au.dk/ckulturf/pages/publications/pfb/antiquity.htm.

Barfield, Thomas J. (2001). "The Shadow Empires: Imperial State Formation along the Chinese-Nomad Frontier," in *Empires*. Ed. Susan E. Alcock, Terence N. D'Altroy, Kathleen D. Morrison, and Carla M. Sinopoli. Cambridge: Cambridge University Press. Pp. 10–41.

Barjamovic, Gojko. (2017). "Interlocking Commercial Networks and the Infrastructure of Trade in Western Asia during the Bronze Age," in *Trade and Civilization in the Premodern World*. Ed. K. Kristiansen, T. Lindkvist, and J. Myrdal. Cambridge: Cambridge University Press. Pp. 133–67.

———. (2008). "The Geography of Trade: Assyrian Colonies in Anatolia c. 1975–1725 BC and the Study of Early Interregional Networks of Exchange," in *Anatolia and the Jazira during the Old Assyrian Period*. PIHANS 111. Leiden: Netherlands Institute for the Near East. Pp. 87–100.

Barker, Graeme. (2009). *The Agricultural Revolution in Prehistory: Why Did Foragers Become Farmers?* Paperback ed. Oxford: Oxford University Press.

Bar-Matthews, Miryam. (2012). "Environmental Change in the Mediterranean Region," in *The SAGE Handbook of Environmental Change*. Vol. 2. Ed. John A. Matthews et al. London: SAGE. Pp. 163–87.

Baslez, Marie Françoise. (1987). "Le rôle et la place des Phéniciens dans la vie économique des ports de l'Égée," in *Phoenicia and the East Mediterranean in the First Millennium B.C.* Ed. Edward Lipiński. Leuven: Peeters. Pp. 267–85.

Basu, Ratan Lal, and Raj Kumar Sen. (2008). *Ancient Indian Economic Thought: Relevance for Today*. Jaipur: Rawat.

Bates, Robert H., Avner Greif, Margaret Levi, Jean-Laurent Rosenthal, and Barry R.

Weingast. (1998). *Analytic Narratives*. Princeton, NJ: Princeton University Press.

Baumard, Nicolas, Alexandre Hyafil, Ian Morris, and Pascal Boyer. (2015). "Increased Affluence Explains the Emergence of Ascetic Wisdoms and Moralizing Religions," *Current Biology* 25/1: 10–15.

Baumer, Christoph. (2012–16). *The History of Central Asia*. 3 vols. London: I. B. Tauris.

Bayly, C. A., and Peter Bang. (2003). "Introduction: Comparing Premodern Empires, *Medieval History Journal* 6/2: 169–87.

Baziotopoulou-Valavani, E. A. (2002). "Mass Burial from the Cemetery of Kerameikos," in *Excavating Classical culture: Recent Archaeological Discoveries in Greece: Studies in Classical Archaeology*. Vol. 1. BAR International Series 1031. Ed. M. Stamatopoulou and M. Yeroulanou. Oxford: Archaeopress. Pp. 187–201.

Beaujard, Philippe. (2011). "Evolutions and Temporal Delimitations of Bronze Age World-Systems in Western Asia and the Mediterranean," in *Interweaving Worlds: Systemic*

Interactions in Eurasia, 7th to the 1st Millennia BC. Ed. Toby C. Wilkinson, Susan Sherratt, and John Bennet. Oxford: Oxbow. Pp. 7–26.
———. (2010). "From Three Possible Systems to a Single Afro-Eurasian One," *Journal of World History* 21/1: 1–43.
Bell, Barbara. (1975). "Climate and the History of Egypt: The Middle Kingdom," *Amercan Journal of Archaeology*79/3: 223– 69.
———. (1971). "The Dark Ages in Ancient History. I. The First Dark Age in Egypt," *American Journal of Archaeology*75/1: 1– 26.
Bell, Carol. (2016). "Phoenician Trade: The First 300 Years," in *Dynamics of Production in the Ancient Near East, 1300–500 BC*. Ed. Juan Carlos Moreno García. Oxford: Oxbow. Pp. 91–105.
Bellah, Robert N. (2011). *Religion in Human Evolution: From the Paleolithic to the Axial Age*. Cambridge, MA: Belknap of Harvard University Press.
Beloch, Julius. (1902a). "Zur griechischen Wirtschaftsgeschichte," *Zeitschrift für Social-wissenschaft* 5: 95–13.
———. (1902b). "Zur griechischen Wirtschaftsgeschichte," *Zeitschrift für Socialwissen-schaft* 5: 169–79.
———. (1899). "Die Grossindustrie im Altertum," *Zeitschrift für Socialwissenschaft* 2: 18–26.
Bendix, Reinhard. (1960). *Max Weber, an Intellectual Portrait*. Garden City, NJ: Doubleday.
Bennett, J. (2016). "Repeated Demographic-Structural Crises Propel the Spread of Large-Scale Agrarian States throughout the Old World," *Cliodynamics: The Journal of Quantitative History and Cultural Evolution* 7/1:. 1–36.
Bentley, J. H. (1999). "Sea and Ocean Basins as Frameworks of Historical Analysis," *Geographical Review* 89: 215–24.
———. (1996). "Cross-Cultural Interaction and Periodization in World History," *American Historical Review* 101/3: 749–70.
———. (1993). *Old World Encounters: Cross-Cultural Exchanges in Premodern Times*. Oxford: Oxford University Press.
Berhane, Fisseha, Benjamin Zaitchik, and Amin Dezfuli. (2014). "Subseasonal Analysis of Precipitation in the Blue Nile River Basin," *Journal of Climate* 27: 325–44.
Bernard, Paul, Georges-Jean Pinault, and Georges Rougemont. (2004). "Deux nouvelles inscriptions grecques de l'Asie central," *Journal des Savants*2004/2: 227– 356.
Berthold, Richard M. (1984). *Rhodes in the Hellenistic Age*. Ithaca, NY: Cornell University Press.
Bintliff, John. (2008). "Considerations on Agricultural Scale—Economies in the Greco-Roman World," in *Feeding the Ancient Greek City*. Ed. Richard Alston and Onno M. van Nijf. Leuven: Peeters. Pp. 17–31.
———. (1991). "The Contribution of an Annaliste/Structural History Approach to Archaeology," in *The Annales School and Archaeology*. Ed. John Bintliff. New York: New York University Press. Pp. 1–33.
Billows, Richard A. (1990). *Antigonos the One-Eyed and the Creation of the Hellenistic State*. Berkeley: University of California Press.
Blanchet, C. L., C. Contoux, and G. Leduc. (2015). "Runoff and Precipitation Dynamics in the Blue and White Nile Catchments during the Mid-Holocene: A Data-Model Comparison," *Quaternary Science Reviews* 130: 222–30.
Blanton, Richard E. and Lane Fargher. (2008). *Collective Action in the Formation of Premodern States*. New York: Springer.
Bleiberg, Edward. (1996). *The Official Gift in Ancient Egypt*. Norman: University of Oklahoma Press.

———. (1995). "The Economy of Ancient Egypt," in *Civilizations of the Ancient Near East*. Ed. Jack Sasson. Vol. 3. New York: Charles Scribner's Sons. Pp. 1373–85.

Blouin, Katherine. (2014). *Triangular Landscapes: Environment, Society, and the State in the Nile Delta under Roman Rule*. Oxford: Oxford University Press.

———. (2013). "The Agricultural Economy of the Mendesian Nome under Roman Rule," in *The Roman Agricultural Economy: Organization, Investment, and Production*. Ed. Alan Bowman and Andrew Wilson. Oxford: Oxford University Press. Pp. 255–72.

Bodel, John. (2001). *Epigraphic Evidence: Ancient History from Inscriptions*. London: Routledge.

Bodenhorn, H., T. W. Guinnane, and T. A Mroz. (2014). "Sample Selection Bias in the Historical Heights Literature," Economic Growth Center Discussion Paper, Yale University.

Boer, Roland. (2015). *The Sacred Economy of Israel*. Louisville, KY: Westminster John Knox Press.

Bogaert, Raymond. (1994). *Trapezitica Aegyptiaca: Recueil de Recherches sur la Banque en Égypte Gréco-Romaine*. Papyrologica Florentina 25. Fireze: Edizioni Gonnelli.

Boiy, T. (2004). *Late Achaemenid and Hellenistic Babylonia*. Orientalia Lovaniensia Analecta 136. Leuven: Peeters.

Boldizzoni, Francesco. (2011). *The Poverty of Clio: Resurrecting Economic History*. Princeton, NJ: Princeton University Press.

Bolle, Hans-Jürgen, ed. (2003). *Mediterranean Climate: Variability and Trends*. Heidelberg: Springer.

Bonneau, Danielle. (1993). *Le Régime administrative de l'eau du Nil dans l'Egypte grecque, romaine et byzantine*. Leiden: Brill.

———. (1971). *Le fisc et le Nil: Incidences des irregularities de la crue du Nil sur la fiscalité dans L'Égypte grecque et romaine*. Paris: Éditions Cujas.

Bourdieu, Pierre. (2005). "Principles of an Economic Anthropology," in *The Handbook of Economic Sociology*. 2d ed. Ed. Neil J. Smelser and Richard Swedburg. Princeton, NJ: Princeton University Press. Pp. 75–89. Originally published as "Principes d'une anthropologie économique" in *Les structures sociales de l'économie*. Paris: Seuil, 2000.

Bowles, Samuel. (2004). *Microeconomics: Behavior, Institutions, and Evolution*. Princeton, NJ: Princeton University Press.

Bowles, Samuel, and Jyung-Kyoo Choi. (2013). "Coevolution of Farming and Private Property during the Early Holocene," *PNAS* 11/22. www.pnas.org/cgi/doi/10.1073/pnas.1212149110.

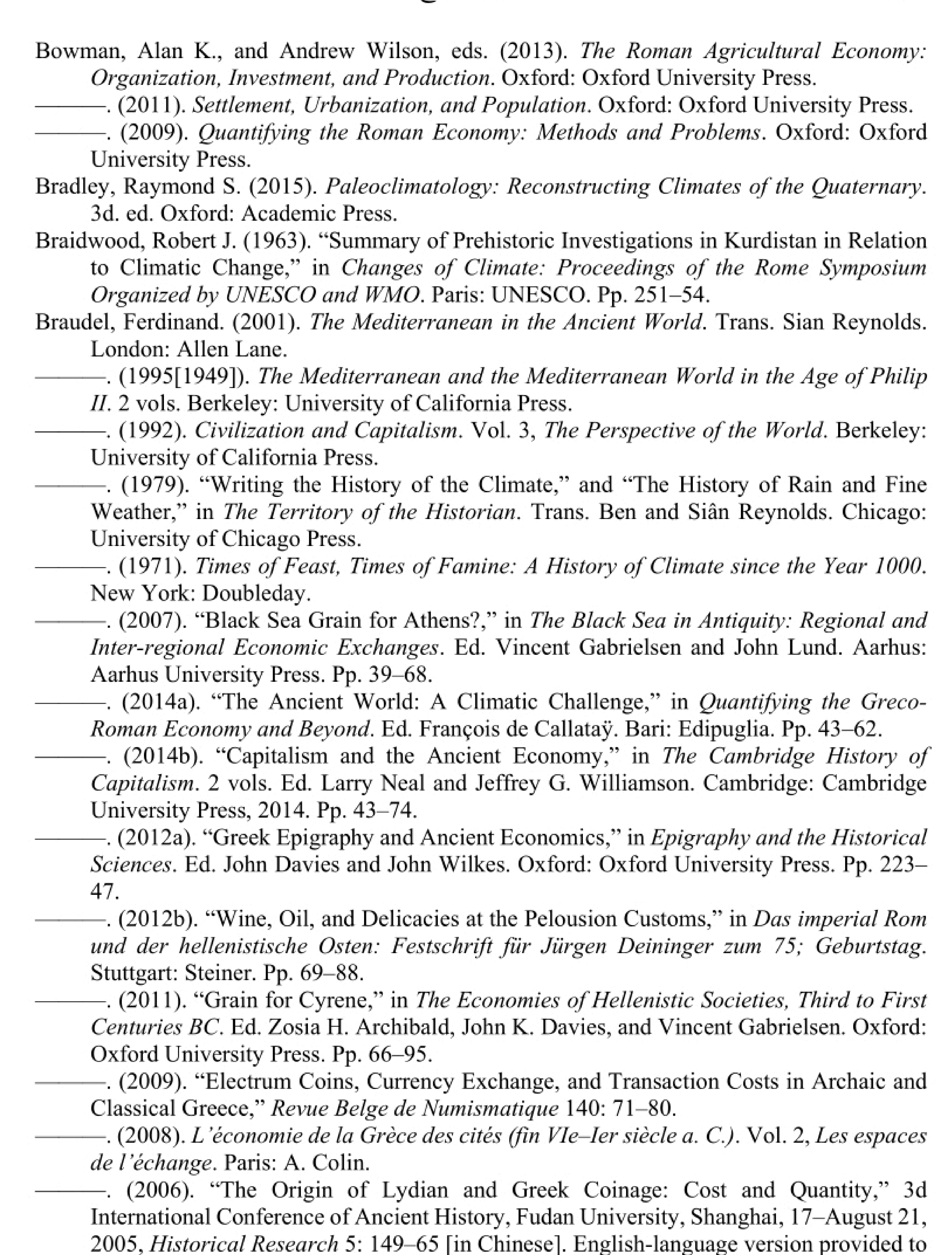
Bowles, Samuel, and Herbert Gintis. (2011). *A Cooperative Species: Human Reciprocity and Its Evolution*. Princeton, NJ: Princeton University Press.

Bowman, Alan K. (2013). "Agricultural Production in Egypt," in *The Roman Agricultural Economy: Organization, Investment, and Production*. Ed. Alan Bowman and Andrew Wilson. Oxford: Oxford University Press. Pp. 219–53.

———. (2010). "Trade and the Flag: Alexandria, Egypt and the Imperial House," in *Alexandria and the North-Western Delta*. Ed. Damian Robinson and Andrew Wilson. Oxford: Oxford Centre for Maritime Archaeology. Pp. 103–9.

———. (2009). "Quantifying Egyptian Agriculture," in *Quantifying the Roman Economy: Methods and Problems*. Ed. Alan K. Bowman and Andrew Wilson. Oxford: Oxford University Press. Pp. 177–204.

Bowman, Alan K., and Eugene Rogan, eds. (1999). *Agriculture in Egypt: From Pharaonic to Modern Times*. Oxford: Oxford University Press.



Bowman, Alan K., and Andrew Wilson, eds. (2013). *The Roman Agricultural Economy: Organization, Investment, and Production*. Oxford: Oxford University Press.

———. (2011). *Settlement, Urbanization, and Population*. Oxford: Oxford University Press.

———. (2009). *Quantifying the Roman Economy: Methods and Problems*. Oxford: Oxford University Press.

Bradley, Raymond S. (2015). *Paleoclimatology: Reconstructing Climates of the Quaternary*. 3d. ed. Oxford: Academic Press.

Braidwood, Robert J. (1963). "Summary of Prehistoric Investigations in Kurdistan in Relation to Climatic Change," in *Changes of Climate: Proceedings of the Rome Symposium Organized by UNESCO and WMO*. Paris: UNESCO. Pp. 251–54.

Braudel, Ferdinand. (2001). *The Mediterranean in the Ancient World*. Trans. Sian Reynolds. London: Allen Lane.

———. (1995[1949]). *The Mediterranean and the Mediterranean World in the Age of Philip II*. 2 vols. Berkeley: University of California Press.

———. (1992). *Civilization and Capitalism*. Vol. 3, *The Perspective of the World*. Berkeley: University of California Press.

———. (1979). "Writing the History of the Climate," and "The History of Rain and Fine Weather," in *The Territory of the Historian*. Trans. Ben and Siân Reynolds. Chicago: University of Chicago Press.

———. (1971). *Times of Feast, Times of Famine: A History of Climate since the Year 1000*. New York: Doubleday.

———. (2007). "Black Sea Grain for Athens?," in *The Black Sea in Antiquity: Regional and Inter-regional Economic Exchanges*. Ed. Vincent Gabrielsen and John Lund. Aarhus: Aarhus University Press. Pp. 39–68.

———. (2014a). "The Ancient World: A Climatic Challenge," in *Quantifying the Greco-Roman Economy and Beyond*. Ed. François de Callataÿ. Bari: Edipuglia. Pp. 43–62.

———. (2014b). "Capitalism and the Ancient Economy," in *The Cambridge History of Capitalism*. 2 vols. Ed. Larry Neal and Jeffrey G. Williamson. Cambridge: Cambridge University Press, 2014. Pp. 43–74.

———. (2012a). "Greek Epigraphy and Ancient Economics," in *Epigraphy and the Historical Sciences*. Ed. John Davies and John Wilkes. Oxford: Oxford University Press. Pp. 223–47.

———. (2012b). "Wine, Oil, and Delicacies at the Pelousion Customs," in *Das imperial Rom und der hellenistische Osten: Festschrift für Jürgen Deininger zum 75; Geburtstag*. Stuttgart: Steiner. Pp. 69–88.

———. (2011). "Grain for Cyrene," in *The Economies of Hellenistic Societies, Third to First Centuries BC*. Ed. Zosia H. Archibald, John K. Davies, and Vincent Gabrielsen. Oxford: Oxford University Press. Pp. 66–95.

———. (2009). "Electrum Coins, Currency Exchange, and Transaction Costs in Archaic and Classical Greece," *Revue Belge de Numismatique* 140: 71–80.

———. (2008). *L'économie de la Grèce des cités (fin VIe–Ier siècle a. C.)*. Vol. 2, *Les espaces de l'échange*. Paris: A. Colin.

———. (2006). "The Origin of Lydian and Greek Coinage: Cost and Quantity," 3d International Conference of Ancient History, Fudan University, Shanghai, 17–August 21, 2005, *Historical Research* 5: 149–65 [in Chinese]. English-language version provided to me by the author.

———. (2005a). "Ecology and Beyond: The Mediterranean Paradigm," in *Rethinking the Mediterranean*. Ed. W. V. Harris. Oxford: Oxford University Press. Pp. 94–114.

———. (2005b). "Naucratis: De l'emporion a la cite," *Topoi* 12–13: 133–55.

———. (2003a). “Moses Finley,” in *Les historiens*. Paris: Armand Colin. Pp. 178–92.

———. (2003b). “Merchants and Politics in Ancient Greece: Social and Economic Aspects,” in *Mercanti e politica nel mondo antico*. Ed. Carlo Zaccagnini. Rome: “L’Erma” di Bretschneider. Pp. 139–63.

———. (2002). “Quatre *emporia* antiques: Abul, La Picola, Elizavetovskoie, Naucratis,” *Revue des Études Anciennes* 104: 475–505.

———. (2000). *La cité marchande*. Bordeaux: Ausonius.

———. (1993). “La circulation des monnaies rhodiennes jusqu’en 166,” *Dialogues d’Histoire Ancienne* 19: 119–69.

Briant, Pierre. (2009). “Alexander and the Persian Empire, between ‘Decline’ and ‘Renovation’: History and Historiography,” in *Alexander the Great: A New History*. Ed. W. Heckel and L. Trittle. Malden, MA: Blackwell. Pp. 171–88.

———. (2002). *From Cyrus to Alexander: A History of the Persian Empire*. Winona Lake: Eisenbrauns.

———. (1982). *État et pasteurs au Moyen-Orient ancien*. Cambridge: Cambridge University Press.

l’époque acheménide (TAD C3 7),” in *Le Commerce en Égypte ancienne*. Ed. N. Grimal and B. Menu. Cairo: Institute françcais d’Archéologie orientale. Pp. 59–104.

Bringmann, Klaus. (2001). “Grain, Timber, and Money: Hellenistic Kings, Finance, Buildings and Foundations in Greek Cities,” in *Hellenistic Economies*. Ed. Zosia H. Archibald, John K. Davies, Vincent Gabrielsen, and G. J. Oliver. London: Routledge. Pp. 205–14.

Brönnimann, S., and D. Krämer. (2016). “Tambora and the ‘Year without a Summer’ of 1816: A Perspective on Earth and Human Systems Science,” *Geographica Bernensia* G90. doi: 10.4480/GB2016.G90.01.

Broodbank, Cyprian. (2013). *The Making of the Middle Sea: A History of the Mediterranean from the Beginning to the Emergence of the Classical World*. Oxford: Oxford University Press.

———. (2011). “The Mediterranean and the Mediterranean World in the Age of Andrew Sherratt,” in *Interweaving Worlds: Systemic Interactions in Eurasia, 7th to the 1st Millennia BC*. Ed. Toby C. Wilkinson, Susan Sherratt, and John Bennet. Oxford: Oxbow. Pp. 27–36. Brooke, J. L. (forthcoming). “The Oscillations of Empire,” in *The Oxford Illustrated History of the World*. Ed. Felipe Fernández-Armesto. Oxford: Oxford University Press.

———. (2016). “Malthus and the North Atlantic Oscillation: A Reply to Kyle Harper,” *Journal of Interdisciplinary History* 46/4: 563–78.

———. (2014). *Climate Change and the Course of Global History: A Rough Journey*. Cambridge: Cambridge University Press.

Brown, Nathan J. (1994). “Who Abolished Corvee Labour in Egypt and Why?,” *Past and Present* 144: 116–37.

Brown, Neville. (2001). *History and Climate Change: A Eurocentric Perspective*. London: Routledge.

Brown, Peter. (2012). *Through the Eye of the Needle: Wealth, the Fall of Rome, and the Making of Christianity in the West, 350–550 AD*. Princeton, NJ: Princeton University Press.

Brunhes, J. (1920). *Human Geography: An Attempt at a Positive Classification, Principles and Examples*. Chicago: Rand, McNally.

Bryson, Reid A., and Christine Padoch. (1981). “On the Climates of History,” in *Climate and History: Studies in Interdisciplinary History*. Ed. Robert I. Rotberg and Theodore K. Rabb. Princeton, NJ: Princeton University Press. Pp. 3–17.

Büntgen, Ulf, and Lena Hellmann. (2013). "The Little Ice Age in Scientific Perspective: Cold Spells and Caveats," *Journal of Interdisciplinary History* 44: 353–68.

Büntgen, Ulf, Vladimir S. Myglan, Fredrik Charpentier Ljungqvist, Michael McCormick, Nicola Di Cosmo, Michael Sigl, Johann Jungclaus, Sebastian Wagner, Paul J. Krusic, Jan Esper, Jed O. Kaplan, Michiel A. C. de Vaan, Jürg Luterbacher, Lukas Wacker, Willy Tegel, and Alexander V. Kirdyanov. (2016). "Cooling and Societal Change during the Late Antique Little Ice Age from 536 to around 660 AD," *Nature Geoscience* 9: 231–36.

Buraselis, Kostas. (2013). "Ptolemaic Grain, Seaways and Power," in *The Ptolemies, the Sea and the Nile: Studies in Waterbourne Power*. Ed. K. Buraselis, M. Stefanou, and D. J. Thompson. Cambridge: Cambridge University Press. Pp. 97–107.

———. (1993). "Ambivalent Roles of Centre and Periphery: Remarks on the Relation of the Cities of Greece with the Ptolemies until the End of Philometor's Age," in *Centre and Periphery in the Hellenistic World*. Ed. Per Bilde, Troels Engberg-Pedersen, Lise Hannestad, Jan Zahle, and Klavs Ransborg. Aarhus: Aarhus University Press. Pp. 251–70.

Burford, Alison. (1993). *Land and Labor in the Greek World*. Baltimore: Johns Hopkins University Press.

Burke, Edmund, III. (2009). "The Big Story: Human History, Energy Regimes, and the Environment," in *The Environment and World History*. Ed. Edmund Burke III and Kenneth Pomeranz. Berkeley: University of California Press. Pp. 33–53.

Burke, Edmund III, and Kenneth Pomeranz, eds. (2009). *The Environment and World History*. Berkeley: University of California Press.

Burke, Peter. (1990). *The French Historical Revolution: The* Annales *School 1929–89*. Stanford, CA: Stanford University Press.

Burstein, Stanley M. (1995). *Graeco-Africana: Studies in the History of Greek Relations with Egypt and Nubia*. New Rochelle, NY: Aristide D. Caratzas.

———. (1985). *The Hellenistic Age from the Battle of Ipsos to the Death of Kleopatra VII*. Cambridge: Cambridge University Press.

———. (2005). "Environmental History in the Mediterranean World: Cross-Disciplinary Investigation of Cause-and-effect Degradation and Soil Erosion," *Journal of Archaeological Science* 32: 1773–800.

———. (2002). "Geoarchaeological Implications of Recent Research in the Nile Delta," in *Egypt and the Levant: Interrelations from the 4th through the Early 3rd Millennium BCE*. Ed. E. Van den Brink and T. E. Levy. London: Leicester University Press. Pp. 83–97.

———. (2001). "Irrigation," in *The Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt*. Ed. Donald B. Redford. Vol. 2. Oxford: Oxford University Press. Pp. 183–87.

———. (1999). "Irrigation," in *Encyclopedia of the Archaeology of Ancient Egypt*. Ed. Kathryn A. Bard. London: Routledge. Pp. 381–82.

———. (1997). "Sociopolitical Discontinuity in the Near East c. 2200 BCE: Scenarios from Palestine and Egypt," in *Third Millennium BC Climate Change and Old World Collapse*. Ed. H. Nüzhet Dalfes, George Kukla, and Harvey Weiss. Heidelberg: Springer Verlag. Pp. 245–96.

———. (1996). "Irrigation, Raised Fields, and State Management: Wittfogel Redux?," *Antiquity* 70: 200–4.

———. (1995). "Environmental Change in the Near East and Human Impact on the Land," in *Civilizations of the Ancient Near East*. Ed. Jack M. Sasson. Vol. 1. Peabody, MA: Hendrickson. Pp. 123–51.

———. (1984). "Long-Term Nile Flood Variation and Political Discontinuities in Pharaonic Egypt," in *From Hunters to Farmers: The Causes and Consequences of Food Production*

in Africa. Ed. J. Desmond Clark and Steven A. Brandt. Berkeley: University of California Press. Pp. 102–12.
———. (1976). *Early Hydraulic Civilization in Egypt*. Chicago: University of Chicago Press.
———. (1971). *Environment and Archaeology: An Ecological Approach to Prehistory*. 2d ed. Chicago: Aldine-Atherton.
———. (2002). *Household and City Organization at Olynthus*. New Haven, CT: Yale University Press.
Calder, William M., III, and Alexander Demandt. (1990). *Eduard Meyer: Leben und Leistung eines Universalhistorikers*. Mnemosyne Supplement 112. Leiden: Brill.
Campbell, Brian, and Lawrence A. Tritle, eds. (2013). *The Oxford Handbook of Warfare in the Classical World*. Oxford: Oxford University Press.
———. (2010). "Nature as Protagonist: Environment and Society in Pre-industrial England," *Economic History Review* 63/2: 281–314.
Capdetrey, Laurent. (2007). *Le pouvoir séleucide: Territoire, administration, finances d'unroyaume hellénistique (312–129 avant J.-C.)*. Rennes: Presses universitaires de Rennes.
Carruthers, Bruce G. (2005). "The sociology of Money and Credit," in *The Handbook of Economic Sociology*. 2d ed. Ed. Neil J. Smelser and Richard Swedburg. Princeton, NJ: Princeton University Press. Pp. 355–78.
Carter, Elizabeth, and Sarah Morris. (2014). "Crisis in the Eastern Mediterranean and Beyond: Survival, Revival, and the Emergence of the Iron Age," *in Assyria to Iberia at the Dawn of the Classical Age*. Ed. Joan Aruz, Sarah B. Graff, and Yalena Rakic. New York: Metropolitan Museum. Pp. 14–23.
Cartledge, Paul. (2011). "The Helots: A Contemporary Review," in *The Cambridge World History of Slavery*. Vol. 1. *The Ancient Mediterranean World*. Ed. Keith Bradley and Paul Cartledge. Cambridge: Cambridge University Press. Pp. 74–90.
———. (2002a). "The Economy (Economies) of Ancient Greece," in *The Ancient Economy: New Approaches*. Ed. Walter Scheidel and Sitta von Reden. New York: Routledge. Pp. 11–32.
———. (2002b). "The Political Economy of Greek slavery," in *Money, Labour and Land: Approaches to the Economies of Ancient Greece*. Ed. Paul Cartledge, Edward E. Cohen, and Lin Foxhall. London: Routledge. Pp. 156–66.
———. (1997)."Introduction," in *Hellenistic Constructs: Essays in Culture, History, and Historiography*. Ed. Paul Cartledge, Peter Garnsey, and Erichy Gruen. Berkeley: University of California Press. Pp. 1–19.
Cartledge, Paul, Edward E. Cohen, and Lin Foxhall, eds. (2002). *Money, Labour and Land: Approaches to the Economies of Ancient Greece*. London: Routledge.
Casson, Lionel, ed. (1989). *The Periplus Maris Erythraei*. Princeton, NJ: Princeton University Press.
———. (1971). *Ships and Seamanship in the Ancient World*. Princeton, NJ: Princeton University Press.
———. (1954). "The Grain Trade of the Hellenistic World," *TAPhA* 85: 168–87. Chamoux, François. (2003). *Hellenistic Civilization*. Trans. Michel Roussel. Malden, MA: Blackwell.
Champion, Timothy C. (1995). "Introduction," in *Centre and Periphery: Comparative Studies in Archaeology*. Ed. T. C. Champion. London: Routledge. Pp. 1–21.
Chankowski, Véronique, and Frédérique Duyrat, eds. (2004). *Le Roi et L'Économie: Autonomies locales et structures royales dans l'économie de L'empire séleucide*. Topoi Supplement 6. Lyon: Maison de L'Orient méditerranéen.

Chankowski, Véronique, and Pavlos Karvonis, eds. (2012). *Tout vendre, tout acheter: Structures et équipements des marches antiques*. Bordeaux: Ausonius Éditions.

Chase-Dunn, C. R. Niemeyer, A. Alvarez, and H. Inoue. (2009). "Scale Transitions and the Evolution of Global Governance since the Bronze Age," in *Systemic Transitions*. Ed. W. R. Thompson. New York: Palgrave MacMillan. Pp. 261–84.

Chase-Dunn, Christopher, and Thomas D. Hall. (1997). *Rise and Demise: Comparing World-Systems*. Boulder, CO: Westview.

Chaudhuri, K. N. (1990). *Asia before Europe: Economy and Civilisation of the Indian Ocean from the Rise of Islam to 1750*. Cambridge: Cambridge University Press.

———. (1985). *Trade and Civilisation in the Indian Ocean: An Economic History from the Rise of Islam to 1750*. Cambridge: Cambridge University Press.

Chayanov, A. V. (1966). *The Theory of the Peasant Economy*. Ed. Daniel Thorner, Basile Kerblay, and R.E.F. Smith. Homewood, IL: American Economic Association.

Christesen, Paul. (2003). "Economic Rationalism in Fourth-Century B.C.E. Athens," *Greece and Rome* 50/1: 31–56.

Christian, David. (2004). *Maps of Time: An Introduction to Big History*. Berkeley: University of California Press.

Clancier, P., F. Joannès, P. Rouillard, and A. Tenu, eds. (2005). *Autour de Polanyi: Vocabulaires, theories et modalities des échanges, Nanterre, 12–14 Juin 2004*. Paris: De Boccard.

Clark, Gregory. (2009). Review of Angus Maddison, *Contours of the World Economy, 1– 2030 AD: Essays in Macro-economic History*, Oxford: Oxford University Press, 2007, *Journal of Economic History* 69/4: 1156–61.

———. (2007). *A Farewell to Alms: A Brief Economic History of the World*. Princeton, NJ: Princeton University Press.

Clarysse, W., and K. Vandorpe. (1995). *Zenon, un Homme d'Affaires grec à l'Ombre des Pyramides*. Leuven: Presses Universitaires.

Clarysse, Willy, and D. J. Thompson. (2006). *Counting the People in Hellenistic Egypt*. 2 vols. Cambridge: Cambridge University Press.

Cline, Eric H. (2014). *1177 B.C.: The Year Civilization Collapsed*. Princeton, NJ: Princeton University Press.

———. (2007). "Rethinking Mycenaean International Trade with Egypt and the Near East," in *Rethinking Mycenaean Palaces II*. Ed. Michael L. Galaty and William A. Parkinson. Los Angeles: Cotsen Institute of Archaeology. Pp. 190–200.

Cocks, R.C.J. (1988). *Sir Henry Maine: A Study in Victorian Jurisprudence*. Cambridge: Cambridge University Press.

Cohen, Edward. (1992). *Athenian Economy and Society: A Banking Perspective*. Princeton, NJ: Princeton University Press.

Cohen, Getzel M. (1983). "Colonization and Population Transfer in the Hellenistic

World," in *Egypt and the Hellenistic World: Proceedings of the International Collo quium Leuven 24–26 May 1982*. Ed. E. Van 't-Dack, P. van Dessel, and W. van Gucht. Studia Hellenistica 27. Pp. 63–74.

Collingwood, R. G. (1946). *The Idea of History*. Paperback ed. Oxford: Oxford University Press.

Collins, John J., and J. G. Manning, eds. (2016). *Revolt and Resistance in the Ancient Classical World and the Near East: In the Crucible of Empire*. Leiden: Brill.

Colognesi, Luigi Capogrossi. (2004). " 'Capitalisme antique' et 'capitalisme médiéval' dans l'ouevre de Weber," in *Sociologie éconmqiue et économie de l'antiquité: À propos de*

Max Weber. Cahiers du Centre de Recherches historiques 34. Paris: École des Hautes Études en Science Sociales. Pp. 21–30.

Commons, John R. (1934). *Institutional Economics*. New York: Macmillan.

Conison. Alex. (2013). "Economic Theory," in *The Encyclopedia of Ancient History*. Ed. Roger S. Bagnall, Kai Brodersen, Craige B. Champion, Andrew Erskine, and Sabine R. Heubner. Malden, MA: Wiley-Blackwell. Pp. 2260–70.

Cook, Scott. (1974). " 'Structural Substantivism': A Critical Review of M. Sahlins, *Stone Age Economics*," *Comparative Studies in Society and History* 16/3: 355–79.

———. (1968). "Review of *Primitive, Archaic and Modern Economies: Essays of Karl Polanyi* ," *American Anthropologist* 70: 966–69.

———. (2008). "Profit or Exploitation? The Production of Private Ramesside Tombs within the West Theban Funerary Economy," *Journal of Egyptian History* 1/1: 79–115.

———. (2007). *The Cost of Death: The Social and Economic Value of Ancient Egyptian Funerary Art in the Ramesside Period*. Leiden: Nederlands Instituut voor het Nabije Oosten.

Cooper, Frederick A. (2008). "Greek Engineering and Construction," in *The Oxford Handbook of Engineering and Technology in the Classical World*. Ed. John Peter Oleson. Oxford: Oxford University Press. Pp. 225–55.

———. (1978). "The Good Official of Ptolemaic Egypt," in *Das ptolemäische Ägypten: Akten d. internat. Symposions, 27.–29. September 1976 in Berlin*. Ed. Herwig Maehler and Volker Michael Strocka. Mainz am Rhein: von Zabern. Pp. 194–202.

———. (1971). *Kerkeosiris: An Egyptian Village in the Ptolemaic Period*. Cambridge: Cambridge University Press.

———. (1983). *Changes in the Land: Indians, Colonists, and the Ecology of New England*. New York: Hill and Wang.

Cullen, H. M., P. B. de Menocal, S. Hemming, G. Hemming, F. H. Brown, T. Guilderson, and F. Sirocko. (2000). "Climate Change and the Collapse of the Akkadian Empire: Evidence from the Deep Sea," *Geology* 28/4: 379–82.

Cullen, Heidi M., and Peter B. de Menocal. (2000). "North Atlantic Influence on Tigris-Euphrates Streamflow," *International Journal of Climatology* 20: 853–63.

Cullen, Heidi M., Alexey Kaplan, Phillip A. Arkin, and Peter B. de Menocal. (2002). "Impact of the North Atlantic Oscillation on Middle Eastern Climate and Stream-flow," *Climatic Change* 55: 315–38.

Cunliffe, Barry. (1997). *The Ancient Celts*. London: Penguin.

Currie, Thomas E., et al. (2015). "Agricultural Productivity in Past Societies: Toward an Empirically Informed Model for Testing Cultural Evolutionary Hypotheses," *Cliodynamics* 6/1: 24–56.

Curtin, Philip D. (1984). *Cross-Cultural Trade in World History*. Cambridge: Cambridge University Press.

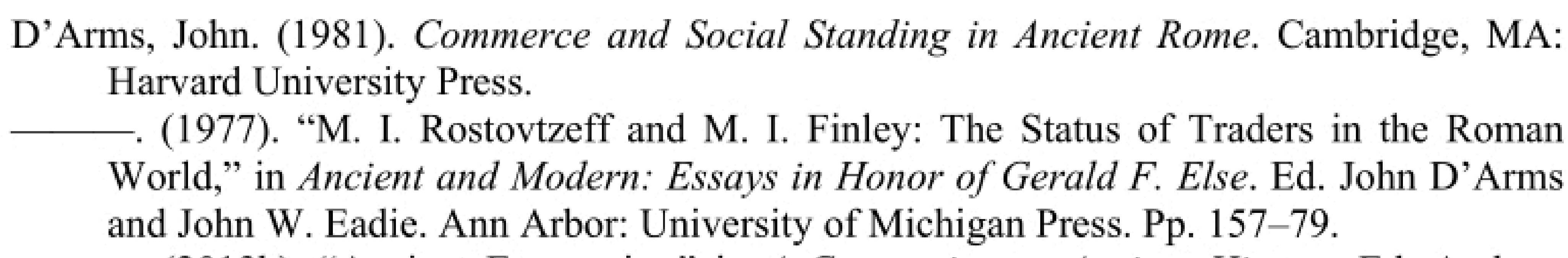
Cuvigny, Hélène. (2009)."The Finds of Papyri: The Archaeology of Papyrology," in *The Oxford Handbook of Papyrology*. Ed. Roger S. Bagnall. New York: Oxford University Press.

Dale, Gareth. (2010). *Karl Polanyi: The Limits of the Market*. Cambridge: Polity.

Dandamaev, M. A. (1984). *Slavery in Babylonia from Nabopolassar to Alexander the Great (626−331 B C)*. DeKalb: Northern Illinois University Press.

Dari-Mattiacci, Giuseppe. (2013). "Slavery and Information," *Journal of Economic History* 73/1: 79–116.

D'Alpoim Guedes, Jade A., et al. (2016). "Twenty-First Century Approaches to Ancient Problems: Climate and Society," *PNAS* 113/51: 14483–91.



D'Arms, John. (1981). *Commerce and Social Standing in Ancient Rome*. Cambridge, MA: Harvard University Press.

———. (1977). "M. I. Rostovtzeff and M. I. Finley: The Status of Traders in the Roman World," in *Ancient and Modern: Essays in Honor of Gerald F. Else*. Ed. John D'Arms and John W. Eadie. Ann Arbor: University of Michigan Press. Pp. 157–79.

———. (2013b). "Ancient Economies," in *A Companion to Ancient History*. Ed. Andrew Erskine. Malden, MA: Wiley-Blackwell. Paperback ed. 2013. Pp. 436–46.

———. (2007). "Classical Greece: Production," in *The Cambridge Economic History of the Greco-Roman World*. Ed. Walter Scheidel, Ian Morris, and Richard Saller. Cambridge: Cambridge University Press. Pp. 333–61.

———. (2005). "Linear and Nonlinear Flow Models for Ancient Economies," in *The Ancient Economy: Evidence and Models*. Ed. J. G. Manning and Ian Morris. Stanford, CA: Stanford University Press. Pp. 127–60.

———. (2004). "Athenian Fiscal Expertise and Its Influence," *Mediterraneo Antico* 7/2: 491–512.

———. (2001). "Hellenistic Economies in the Post-Finley Era," in *Hellenistic Economies*. Ed. Zofia H. Archibald, John Davies, Vincent Gabrielsen, and G. J. Oliver. London: Routlegde. Pp. 11–62.

———. (1998). "Ancient Economies: Models and Muddles," in *Trade, Traders and the Ancient City*. Ed. H. Parkins and C. Smith. London: Routledge. Pp. 225–56.

———. (1992). "Society and Economy," in *The Cambridge Ancient History*. Vol. 5, *The Fifth Century*. Ed. D. M. Lewis, John Boardman, J. K. Davies, and M. Ostwald. Cambridge: Cambridge University Press. Pp. 287–305.

———. (1984a). "Cultural, Social and Economic Features of the Hellenistic World," in *The Cambridge Ancient History* 7/1. 2d ed. Ed. F. W. Walbank, A. E. Astin, M. W Frederiksen, and R. M. Ogilvie. Cambridge: Cambridge University Press. Pp. 257–320.

———. (1984b). *Wealth and the Power of Wealth in Classical Athens*. Salem: Ayer.

———. (1971). *Athenian Propertied Families, 600–300 B.C.* Oxford: Clarendon.

Davies, John K., and John Wilkes, eds. (2012). *Epigraphy and the Historical Sciences*. Proceedings of the British Academy 177. Oxford: Oxford University Press.

Davies, M.I.J. (2009). "Wittfogel's Dilemma: Heterarchy and Ethnographic Approaches to Irrigation Management in Eastern Africa and Mesopotamia," *World Archaeology* 41: 16–35.

Davis, Gil. (2014). "Mining Money in Late Archaic Athens," *Historia* 63/3: 257–77.

Dawkins, Richard. (1976). *The Selfish Gene*. Oxford: Oxford University Press.

De Angelis, Franco. (2016). *Archaic and Classical Greek Sicily: A Social and Economic History*. Oxford: Oxford University Press.

de Callataÿ, François, ed. (2014). *Quantifying the Greco-Roman Economy and Beyond*. Bari: Edipuglia.

———. (2005). "The Graeco-Roman Economy in the Super Long Run: Lead, Copper, and Shipwrecks," *Journal of Roman Archaeology* 18: 361–72.

———. (1993). *Fairs and Markets in the Roman Empire: Economic and Social Aspects of Periodic Trade in a Pre-industrial Society*. Amsterdam: Gieben.

———. (1991). *Urban Relocation in Archaic and Classical Greece*. Norman: University of Oklahoma Press.

De Romanis, Federico, and Marco Maiuro, eds. (2015). *Across the Ocean: Nine Essays on Indo-Mediterranean Trade*. Leiden: Brill.

Descat, Raymond. (2011). “Labour in the Hellenistic Economy: Slavery as a Test Case,” in *The Economies of Hellenistic Societies, Third to First Centuries BC*. Ed. Zosia H. Archibald, John K. Davies, and Vincent Gabrielsen. Oxford: Oxford University Press. Pp. 207–15.

De Souza, Philip. (1999). *Piracy in the Greco-Roman World*. Cambridge: Cambridge University Press.

Desprat, S., M.F.S. Goñi, and M. F. Loutre. (2003). “Revealing Climatic Variability of the Last Three Millennia in Northwestern Iberia Using Pollen Influx Data,” *Earth and Planetary Science Letters* 213: 63–78.

DeVries, Jan. (2013). “The Crisis of the Seventeenth Century: The Little Ice Age and the Mystery of the ‘Great Divergence,’ ” *Journal of Interdisciplinary History* 44: 369–77.

———. (1980). “Measuring the Impact of Climate on History: The Search for Appropriate Methodologies,” *Journal of Interdisciplinary History* 10/4: 599–630.

DeVries, Jan, and Ad van der Woude. (1997). *The First Modern Economy: Success, Failure, and Perseverance of the Dutch Economy, 1500–1815*. Cambridge: Cambridge University Press.

Dhavalikar, M. K. (1975). “The Beginning of Coinage in India,” *World Archaeology* 6/3: 330–38.

Diamond, Alan, ed. (1991). *The Victorian Achievement of Sir Henry Maine: A Centennial Reappraisal*. Cambridge: Cambridge University Press.

Diamond, Jared. (1997). *Guns, Germs and Steel*. New York: W. W. Norton.

Dickinson, Oliver. (2006). *The Aegean from Bronze Age to Iron Age: Continuity and Change between the Twelfth and Eighth Centuries BC*. New York: Routledge.

Dion, R. (1934). *Le val de Loire: Étude de géographie régionale*. Tours: Arrault.

Dixit, Avansah K. (2004). *Lawlessness and Economics: Alternative Modes of Governance*. Princeton, NJ: Princeton University Press.

Docter, R. H. (2002–3). “The Topography of Ancient Carthage: Preliminary Results of Recent Excavations and Some Prospects,” *Talanta* 34–35: 113–33.

Docter, R. H. Niemeyer, A. Nijboer, and J. van den Plicht. (2004). “Radiocarbon Dates of Animal Bones in the Earliest Levels of Carthage,” *Mediterranean* 1: 557–73.

Dodgshon, Robert A. (1998). *Society in Time and Space: A Geographical Perspective on Change*. Cambridge: Cambridge University Press.

Domingo Gygax, Marc. (2016). *Benefaction and Rewards in the Ancient Greek City: The Origins of Euergetism*. Cambridge: Cambridge University Press.

Donker van Heel, Koen. (2014). *Mrs. Tsenhour: A Female Entrepreneur in Ancient Egypt*. Cairo: American University in Cairo Press.

———. (2012). *Djekhy and Son: Doing Business in Ancient Egypt*. Cairo: American University in Cairo Press.

———. (1995). *Abnormal Hieratic and Early Demotic Texts Collected by the Theban Choachytes in the Reign of Amasis*. Leiden: Self-published.

———. (1994). “The Lost Battle of Peteamonip Son of Petehorresne,” in *Acta Demotica: Acts of the Fifth International Conference for Demotists (Pisa, 4th–8th September 1993)*. Ed. E. Bresciani. Egitto e Vicino Oriente 17. Pp. 115–24.

Duistermaat, Kim, and Ilona Regulski, eds. (2011). *Intercultural Contacts in the Ancient Mediterranean: Proceedings of the International Conference at the Netherlands-Flemish Institute in Cairo, 25th to 29th October 2008*. Orientalia Lovaniensia Analecta 202. Leuven: Peeters.

Dull, R., et al. (2012). “Evidence for the Ilopango TBJ Eruption as the Trigger of the AD 536 Event,” Association of American Geographers Meeting, New York, February 24, 2012.

Duncan-Jones, R. P. (1982). *The Economy of the Roman Empire: Quantitative Studies*. 2d ed. Cambridge: Cambridge University Press.

Duyrat, Frédérique. (2015). "The Circulation of Coins in Syria and Mesopotamia in the Sixth to First Centuries BC," in *A History of Market Performance: From Ancient Babylonia to the Modern World*. Ed. R. J. van der Spek, Bas van Leeuwen, and Jan Luiten van Zanden. London: Routledge. Pp. 363–95.

Earle, T. K. (1978). *Economic and Social Organization of a Complex Chiefdom: The Halalea District, Kaua'i, Hawaii*. Anthropological Papers 63. Ann Arbor: Museum of Anthropology.

Edgar, Campbell Cowan. (1931). *Zenon Papyri in the University of Michigan Collection*.
Ann Arbor: University of Michigan Press.

Egberts, Arno. (1998). "Hard Times: The Chronology of 'The Report of Wenamun' Revised," *Zeitschrift fur Ägyptischen Sprache* 125: 93–108.

Eggertsson, Thrainn. (1990). *Economic Behavior and Institutions*. Cambridge: Cambridge University Press.

Ehrenberg, Victor. (1969). *The Greek State*. 2d ed. London: Methuen.

Eisenstadt, S. N. (1993). *The Political Systems of Empires*. New Brunswick, NJ: Transaction.

———. ed. (1986). *The Origins and Diversity of the Axial Age*. Albany: State University of New York Press.

———. (1981). "The Relations between Tyre and Carthage during the Persian Period," *JANES* 13: 15–29.

Elis, Roy, Stephen Haber, and Jordan Horrillo. (2017). "Climate, Geography, and the Evolution of Economic and Political Systems," unpublished manuscript.

Ellickson, Robert C. (1991). *Order without Law: How Neighbors Settle Disputes*. Cambridge, MA: Harvard University Press.

Eltahir, E.A.B. (1996). "El Niño and the Natural Variability in the Flow of the Nile River," *Water Resources Research* 32/1: 131–37.

Empereur, Jean-Yves. (1982). "Les anses d'amphores timbrées et les amphores: Aspects quantitatifs," *Bulletin de Correspondance hellénique* 106: 219–33.

Erdkamp, Paul. (2016). "Economic Growth in the Roman Mediterranean World: An
Early Good-Bye to Malthus?," *Explorations in Economic History* 60: 1–20.

———. (2014). "How Modern Was the Market Economy of the Roman World?," *Oeconomia* 4/2: 225–35. http://oeconomia.revues.org/399.

———. (2005). *The Grain Market in the Roman Empire: A Social, Political and Economic Study*. Cambridge: Cambridge University Press.

———. (2001). "Beyond the Limits of the 'Consumer City': A Model of the Urban and Rural Economy in the Roman World," *Historia* 50/3: 332–56.

———. (2004). "How Relevant Was Personal Status to the Functioning of the Rural Economy in Pharaonic Egypt?," in *La dépendance rurale dans l'Antiquité égyptienne et procheorientale*. Ed. Bernadette Menu. Cairo: Institut français d'Archéologie orientale. Pp. 157–86.

———. (2000). "Pouvoir central et pouvoirs locaux: Problèmes historiographiques et méthodologiques," *Méditerranées* 24: 15–39.

———. (1999). "Village Economy in Pharaonic Egypt," in *Agriculture in Egypt: From Pharaonic to Modern Times*. Ed. Alan K. Bowman and Eugene Rogan. Oxford: Oxford University Press. Pp. 33–60.

———. (1995). "The Agricultural Cycle, Farming, and Water Management in the Ancient Near East," in *Civilizations of the Ancient Near East*. Ed. Jack M. Sasson. Vol. 1. Peabody, MA: Hendrickson. Pp. 175–89.

———. (1994). “Feudal Tenure and Absentee Landlords,” in *Grund und Boden in Altägypten: (Rechtliche und Sozio-Ökonomische Verhältnisse); Akten des internationalen Symposions Tübingen 18.–20. Juni 1990*. Ed. Schafik Allam. Tübingen: Selbstverlag des Herausgebers. Pp. 107–33.
———. (1987a). “Work and the Organisation of Work in the Old Kingdom,” in *Labor in the Ancient Near East*. Ed. Marvin A. Powell. New Haven: American Oriental Society. Pp. 5–47.
———. (1987b). “Work and the Organisation of Work in the New Kingdom,” in *Labor in the Ancient Near East*. Ed. Marvin A. Powell. New Haven: American Oriental Society. Pp. 167–221.
Fabre, David. (2011). “The Shipwrecks of Heracleion-Thonis: A Preliminary Study,” in *Maritime Archaeology and Ancient Trade in the Mediterranean*. Ed. Damian Robinson and Andrew Wilson. Oxford: Oxford Centre for Maritime Archaeology. Pp. 13–32.
Fabre, David, and Franck Goddio. (2010). “The Development and Operation of the Portus Magnus in Alexandria: An Overview,” in *Alexandria and the North-Western Delta: Joint Conference Proceedings of Alexandria: City and Harbor (Oxford 2004) and Trade and the Topography of Egypt’s North-West Delta (Berlin 2006)*. Ed. Damian Robinson and Andrew Wilson. Oxford: Oxford Centre for Maritime Archaeology. Pp. 53–74.
Fales, F. M., and J. N. Postgate. (1995). *Imperial Administrative Records*. Helsinki: Helsinki University Press.
Fantalkin, Alexander. (2006). “Identity in the Making: Greeks in the Eastern Mediterranean during the Iron Age,” in *Naukratis: Greek Diversity in Egypt; Studies on East Greek Pottery and Exchange in the Eastern Mediterranean*. Ed. Alexandra Villing and Udo Schlotzhauer. London: British Museum. Pp. 199–208.
Feeney, Denis. (2008). *Caesar’s Calendar: Ancient Time and the Beginnings of History*. Berkeley: University of California Press.
Ferguson, Niall. (2012). *Civilization: The West and the Rest*. New York: Penguin.
Figueira, T. J. (1984). “Karl Polanyi and Ancient Greek Trade: The Port of Trade,” *Ancient World* 10: 15–30.
Finley, M. I. (1999). *The Ancient Economy*. Updated ed. Berkeley: University of California Press.
———. (1985). *Ancient History: Evidence and Models*. New York: Penguin.
———. ed. (1979). *The Bücher-Meyer Controversy*. New York: Arno.
———. (1975). “Anthropology and the Classics,” in *The Use and Abuse of History*. New York: Viking. Pp. 102–19.
———. (1970a). “Aristotle and Economic Analysis,” *Past and Present* 47: 3–25.
———. (1970b). *Early Greece: The Bronze and Archaic Ages*. London: Chatto and Windus.
———. (1965a). Review of A. Leo Oppenheim, *Ancient Mesopotamia*, *New York Review of Books* 5/5: 30–32.
———. (1965b). “Technical Innovation and Economic Progress in the Ancient World,” *Economic History Review* 18: 29–45.
———. (1951). “Some Problems of Greek Law,” *Seminar* 9: 72–91.
Finné, Martin, et al. (2014). “Speleothem Evidence for Late Holocene Climate Variability and Floods in Southern Greece,” *Quaternary Research* 81: 213–27.
Fischer-Bovet, Christelle. (2014). *Army and Society in Ptolemaic Egypt*. Cambridge: Cambridge University Press.
Flohr, Pascal, Dominik Fleitmann, Roger Matthews, Wendy Matthews, and Stuart Black. (2016). “Evidence of Resilience to Past Climate Change in Southwest Asia: Early

Farming Communities and the 9.2 And 8.2 ka Events," *Quaternary Science Reviews* 136: 23–39.

Forbes, H. (1992). "The Ethnoarchaeological Approach to Ancient Greek Agriculture: Olive Cultivation as a Case Study," in *Agriculture in Ancient Greece*. Ed. B. Wells. Stockholm: Svenska institutet i Athen. Pp. 87–10.

Forde, C. Daryll. (1934). *Habitat, Economy, and Society*. New York: E. P. Dutton.

Foster, Benjamin R. (1987). "The Late Bronze Age Palace Economy: The View from the East," in *The Function of the Minoan Palaces*. Ed. Robin Hägg and Nanno Marinatos. Stockholm: Svenska institutet i Athen. Pp. 11–16.

Foxhall, Lin. (2007). *Olive Cultivation in Ancient Greece: Seeking the Ancient Economy*. Oxford: Oxford University Press.

———. (2002). Access to Resources in Classical Greece: The Egalitarianism of the Polis in Practice," in *Money, Labor and Land: Approaches to Economies of Ancient Greece*. London: Routledge. Pp. 209–20.

———. (1990). "The Dependent Tenant: Land Leasing and Labour in Italy and Greece," *Journal of Roman Studies* 80: 97–114.

———. (1989). "Household, Gender and Property in Classical Athens," *Classical Quarterly* 39/1: 22–44.

Fraedrich, Klaus, Jianmin Jiang, Friedrich-Wilhelm Gerstengarbe, and Peter C. Werner. (1997). "Multiscale Detection of Abrupt Climate Changes: Application to River Nile Flood Levels," *International Journal of Climatology* 17: 1301–15.

Frank, A. Gunder, and Barry K. Gills, eds. (1996). *The World System: Five Hundred Years or Five Thousand?* Rev. ed. Oxford: Routledge.

Frank, A. Gunder, and William R. Thompson. (2005). "Afro-Eurasian Bronze Age Economic Expansion and Contraction Revisited," *Journal of World History* 16: 115–72.

Frankenstein, Susan. (1979). "The Phoenicians in the Far West: A Function of Neo-Assyrian Imperialism," in *Power and Propaganda: A Symposium on Ancient Empires*. Ed. Mogens Trolle Larsen. Copenhagen: Akademisk Forlag. Pp. 263–94.

Fraser, Peter M. (1972). *Ptolemaic Alexandria*. 3 vols. Oxford: Clarendon.

Frederiksen, M. W. (1975). Review of M. I. Finley, *The Ancient Economy*, *Journal of Roman Studie*s 65: 164–71.

Friedman, Milton. (1953). "The Methodology of Positive Economics," in *Essays in Positive Economics*. Chicago: University of Chicago Press. Pp. 3–43.

Frier, Bruce. (1991). Review of W. Jongman, *The Economy and Society of Pompeii*, Amsterdam: J. C. Gieben, 1988, in *Journal of Roman Archaeology* 4 (1991): 243–47.

———. (1983). "Roman Law and the Wine Trade: The Problem of 'Vinegar Sold as Wine,' " *Zeitschrift der Savigny-Stiftung für Rechtsgeschichte* 100: 257–95.

———. (1982). "Roman Life Expectancy: Ulpian's Evidence," *Harvard Studies in Classical Philology* 86: 213–51.

Frier, Bruce, and Dennis P. Kehoe. (2007). "Law and Economic Institutions," in *The Cambridge Economic History of the Greco-Roman World*. Ed. Walter Scheidel, Ian Morris, and Richard Saller. Cambridge: Cambridge University Press. Pp. 113–43.

Fukuyama, Francis. (2011). *The Origins of Political Order: From Prehuman Times to the French Revolution*. New York: Farrar, Straus, and Giroux.

Funke, P., and M. Haake, eds. (2013). *Greek Federal States and Their Sanctuaries: Identity and Integration*. Stuttgart: Franz Steiner Verlag.

Furobotn, Eirik G. (1997). "The Old and New Institutionalism in Economics," in *Methodology of the Social Sciences, Ethics, and Economics in the Newer Historical School: From Max*

Weber and Rickert to Sombart and Rothacker. Ed. Peter Koslowski. Berlin: Springer Verlag. Pp. 429–63.

Furobotn, Eirik G., and Rudolf Richter. (2005). *Institutions and Economic Theory: The Contribution of the New Institutional Economics*. 2d. ed. Ann Arbor: University of Michigan Press.

Fusaro, Maria. (2010). "After Braudel: A Reassessment of Mediterranean History between the Northern Invasion and the *Caravane Maritime*," in *Trade and Cultural Exchange in the Early Modern Mediterranean: Braudel's Maritime Legacy*. Ed. Maria Fusaro, Mohamed-Salah Omri, and Colin Heywood. London: I. B. Taurus. Pp. 1–22.

Fusfeld, Daniel B. (1957). "Economic Theory Misplaced: Livelihood in Primitive Society," in *Trade and Market in the Early Empires: Economies in History and Theory*. Ed. Karl Polanyi, Conrad M. Arensberg, and Harry W. Pearson. New York: Free Press. Pp. 342–56.

Gabrielsen, Vincent. (2013). "Rhodes and the Ptolemaic Kingdom: The Commercial Infrastructure," in *The Ptolemies, the Sea and the Nile: Studies in Waterborne Power*.

Ed. K. Buraselis and M. Stephanou. Cambridge: Cambridge University Press. Pp. 66–81.

———. (2011). "Profitable Partnerships: Monopolies, Traders, Kings and Cities," in *The Economies of Hellenistic Societies, Third to First Centuries BC*. Ed. Zosia H. Archibald, John K. Davies, and Vincent Gabrielsen. Oxford: Oxford University Press. Pp. 216–50.

———. (2007). "Brotherhoods of Faith and Provident Planning: The Non-public Associations of the Greek World," *Mediterranean Historical Review* 22/2: 183–210.

———. (2005). "Banking and Credit Operations in Hellenistic Times," in *Making, Moving, and Managing: The New World of Ancient Economies, 323–31 BC*. Ed. Zofia H. Archibald, John K. Davies, and Vincent Gabrielsen. Oxford: Oxbow Books. Pp. 136–64.

———. (2003). "Piracy and the Slave-Trade," in *A Companion to the Hellenistic World*. Ed. Andrew Erskine. Malden, MA: Blackwell. Pp. 389–404.

———. (2001). "The Rhodian Associations and Economic Activity," in *Hellenistic Economies*. Ed. Zosia H. Archibald, John K. Davies, Vincent Gabrielsen, and G. J. Oliver. London: Routledge. Pp. 215–44.

———. (1997). *The Naval Aristocracy of Hellenistic Rhodes*. Aarhus: Aarhus University Press.

———. (1994). *Financing the Athenian Fleet: Public Taxation and Social Relations*. Baltimore: Johns Hopkins University Press.

Gabrielsen, Vincent, Per Bilde, Troels Engberg-Pedersen, Lisa Hannestadt, and Jan Zahle, eds. (1999). *Hellenistic Rhodes: Politics, Culture, and Society*. Aarhus: Aarhus University Press.

Gagarin, Michael (2005). "The Unity of Greek Law," in *The Cambridge Companion to Ancient Greek Law*. Cambridge: Cambridge University Press. Pp. 29–40.

———. (1995). "The Unity of Greek Law," in *The Cambridge Companion to Greek Law*. Ed. Michael Gagarin and David Cohen. Cambridge: Cambridge University Press. Pp. 29–40.

Gale, N. H., ed. (1991). *Bronze Age Trade in the Mediterranean*. Jonsered: Paul Åströms Förlag.

Galiani, Sebastian, and Itai Sened, eds. (2014). *Institutions, Property Rights, and Economic Growth: The Legacy of Douglass North*. Cambridge: Cambridge University Press.

Galil, Gershon. (2007). *The Lower Stratum Families in the Neo-Assyrian Period*. Leiden: Brill.

Gallant, Thomas. (1991). *Risk and Survival in Ancient Greece*. Stanford, CA: Stanford University Press.

Galor, Oded, and Ömer Özak. (2016). "The Agricultural Origins of Time Preference," *American Economic Review* 106/10: 3064–103.

Gamauf, Richard. (2009). "Slaves Doing Business: The Role of Roman Law in the Economy of a Roman Household," *European Review of History: Revue européenne d'histoire* 16/3: 331–46.

Garlan, Yvon. (1988). *Slavery in Ancient Greece*. Trans. Janet Lloyd. Ithaca, NY: Cornell University Press.

Garland, Robert. (2014). *Wandering Greeks: The Ancient Greek Diaspora from the Age of Homer to the Death of Alexander the Great*. Princeton, NJ: Princeton University Press.

Garnsey, Peter (1998). *Cities, Peasants and Food in Classical Antiquity: Essays in Social and Economic History*. Edited with an addendum by Walter Scheidel. Cambridge: Cambridge University Press.

———. (1988). *Famine and Food Supply in the Graeco-Roman World: Responses to Risk and Crisis*. Cambridge: Cambridge University Press.

Garnsey, Peter, K. Hopkins, and C. R. Whittaker, eds. (1983). *Trade in the Ancient Economy*. Berkeley: University of California Press. Pp. ix–xxv.

Garnsey, Peter, and C. R. Whittaker, eds. (1983). *Trade and Famine in Classical Antiquity*. Cambridge: Cambridge Philological Society.

Gascou, Jean. (2009). "The Papyrology of the Near East," in *The Oxford Handbook of Papyrology*. Ed. Roger S. Bagnall. Oxford: Oxford University Press. Pp. 473–94.

Gates-Foster, Jennifer. (2016). "Finley and Archaeology," in *M. I. Finley: An Ancient Historian and His Impact*. Ed. Daniel Jew, Robin Osborne, and Michael Scott. Cambridge: Cambridge University Press. Pp. 250–69.

———. (2011). "Amphoras in Egypt, 7th c. B.C.–12th c. A.D.," *Journal of Roman Archaeology* 24: 803–7.

Geertz, Clifford. (1978). "The Bazaar Economy: Information and Search in Peasant Marketing," *American Economic Review* 68: 28–32.

Gehrke, Hans-Joachim. (1986). *Jenseits von Athen und Sparta: Das Dritte Griechenland und seine Staatenwelt*. Munich: C. H. Beck.

Gelderblom, Oscar. (2013). *Cities of Commerce: The Institutional Foundations of International Trade in the Low Countries, 1250–1650*. Princeton, NJ: Princeton University Press.

Gellner, Ernest. (1983). *Nations and Nationalism*. Ithaca, NY: Cornell University Press.

Gerring, John. (2012). *Social Science Methodology: A Unified Framework*. Cambridge: Cambridge University Press.

Ghosh, Peter. (2014). *Max Weber and the Protestant Ethic: Twin Histories*. Oxford: Oxford University Press.

Giardino, C. (1992). "Nuragic Sardinia and the Mediterranean: Metallurgy and Maritime Traffic," in *Sardinia in the Mediterranean: A Footprint in the Sea: Studies in Sardinian Archaeology Presented to Miriam S. Balmath*. Ed. R. H. Tykot and Tamsey K. Andrews. Sheffield: Sheffield Academic. Pp. 304–15.

Gibbins, David. (2001). "Shipwrecks and Hellenistic Trade,“ in *Hellenistic Economies*. Ed. Zosia H. Archibald, John Davies, Vincent Gabrielsen, and G. J. Oliver. London: Routledge. Pp. 273–312.

Giddens, Anthony, and Christopher Pierson. (1998). *Conversations with Anthony Giddens: Making Sense of Modernity*. Stanford, CA: Stanford University Press.

Gill, David W. (1994). "Positivism, Pots, and Long-Distance Trade," in *Classical Greece: Ancient Histories and Modern Ideologies*. Ed. Ian Morris. Cambridge: Cambridge University Press. Pp. 99–107.

Glimcher, Paul W., Colin Camerer, Russell A. Poldrack, and Ernst Fehr. (2008). *Neuro-economics: Decision Making and the Brain*. Boston: Academic Press.

Goddio, Franck. (2011). "Heracleion-Thonis and Alexandria, Two Ancient Egyptian Emporia," in *Maritime Archaeology and Ancient Trade in the Mediterranean*. Ed. Damian Robinson and Andrew Wilson. Oxford: Oxford Centre for Maritime Archaeology. Pp. 121–37.

———. (2010). "Geophysical Survey in the Submerged Canopic Region," in *Alexandria and the North-Western Delta*. Ed. Damian Robinson and Andrew Wilson. Oxford: Oxford Centre for Maritime Archaeology. Pp. 3–13.

———. (2007). *The Topography and Excavations of Heracleion-Thonis and East Canopus (1996–2006)*. Oxford: Oxford Centre for Maritime Archaeology.

Goddio, Franck, and André Bernand. (2004). *Sunken Egypt: Alexandria*. London: Periplus.

Godelier, Maurice. (1966). *Rationalité et irrationalité en économie*. Paris: F. Maspero. Goelet, Ogden, Jr. (2015). "Problems of Authority, Compulsion, and Compensation in

Ancient Egyptian Labor Practices," in *Labor in the Ancient World*. Ed. Piotr Steinkeller and Michael Hudson. Dresden: ISLET-Verlag. Pp. 523–82.

Goffredo, Stefano, and Zvy Dubinsky, eds. (2014). *The Mediterranean Sea: Its History and Present Challenges*. Dordrecht: Springer Verlag.

30646): Umschrift, Übersetzung und Glossar. Demotische Studien 13. Sommerhausen: Gisela Zauzich Verlag.

Goldstone, Jack A. (2002). "Efflorescences and Economic Growth in World History," *Journal of World History* 13: 323–89.

González de Canales, Fernando, Leonardo Serrano, and Jorge Llompart. (2008). "The Emporium of Huelva and Phoenician Chronology: Present and Future Possibilities," in *Beyond the Homeland: Markers in Phoenician Chronology*. Ed. Claudia Sagona. Leuven: Peeters. Pp. 631–55.

Goodchild, Helen. (2013). "GIS Models of Roman Agricultural Production," in *The Roman Agricultural Economy: Organization, Investment, and Production*. Ed. Alan Bowman and Andrew Wilson. Oxford: Oxford University Press. Pp. 55–83.

Goody, Jack. (2012). *Metals, Culture and Capitalism: An Essay on the Origins of the Modern World*. Cambridge: Cambridge University Press.

———. (2006). *The Theft of History*. Cambridge: Cambridge University Press.

———. (1990). *The Oriental, the Ancient and the Primitive: Systems of Marriage and the Family in the Pre-industrial Societies of Eurasia*. Cambridge: Cambridge University Press.

———. (1976). *Production and Reproduction: A Comparative Study of the Domestic Domain*. Cambridge: Cambridge University Press.

Gornall, Jemma, Richard Betts, Eleanor Burke, Robin Clark, Joanne Camp, Kate Wil-lett, and Andrew Wiltshire. (2010). "Implications of Climate Change for Agricultural Productivity in the Early Twenty-First Century," *Philosophical Transactions of the Royal Society* 365: 2973–89. doi: 10.1098/rstb.2010.0158.

Gowland, R. L., and P. Garnsey. (2010). "Skeletal Evidence for Health, Nutritional Status and Malaria in Rome and the Empire," in *Roman Diasporas: Archaeological Approaches to Mobility and Diversity in the Roman Empire*. Ed. H. Eckardt. *Journal of Roman Archaeology*. Supplementary series 78. Pp. 131–56.

Gozzoli, Roberto B. (2006). *The Writing of History in Ancient Egypt during the First Millennium BC (ca 1070–180 BC): Trends and Perspectives*. London: Golden House.

Graeber, David. (2011). *Debt: The First 5,000 Years*. Brooklyn, NY: Melville House.

Grafe, Regina. (2012). *Distant Tyranny: Markets, Power, and Backwardness in Spain, 1650–1800*. Princeton, NJ: Princeton University Press.

Grainger, John D. (2010). *The Syrian Wars*. Leiden: Brill.

Granovetter, Mark. (2005). "Comment on Liverani and Bedford," in *The Ancient Economy: Evidence and Models*. Ed. J. G. Manning and Ian Morris. Stanford, CA: Stanford University Press. Pp. 84–88.

———. (2004). "Polanyi Symposium: A Conversation on Embeddedness," *Socio-economic Review* 2: 109–35.

———. (1990). "The Old and the New Economic Sociology: A History and an Agenda," in *Beyond the Marketplace: Rethinking Economy and Society*. Ed. R. Friedland and A. F. Robertson. New York: Aldine. Pp. 89–112.

———. (1985). "Economic Action and Social Structure: The Problem of Embeddedness," *American Journal of Sociology* 91: 481–510.

———. (1978). "Threshold Models of Collective Behavior," *American Journal of Sociology* 83/6: 1420–43.

Grantham, George. (1999). "Contra Ricardo: On the Macroeconomics of Pre-industrial Economies," *European Review of Economic History* 3/2: 199–232.

Gras, Michel. (1995). "La méditerranée occidentale, milieu d'échanges: Un regard historiographique," in *Les Grecs et l'Occident: Actes du Colloque de la Villa 'Kérylos' 1991*. Ed. Georges Vallet. Rome: École françcaise de Rome. Pp. 109–21.

Graslin, L., and J. Maucourant. (2005). "Le port de commerce: Un concept en débat," *Topoi* 12–13: 215–57.

Gravelle, H., and R. Rees. (1992). *Microeconomics*, 2d ed. London: Longman.

Greene, Kevin. (2008). "Historiography and Theoretical Approaches," in *The Oxford Handbook of Engineering and Technology in the Classical World*. Ed. John Peter Oleson. Oxford: Oxford University Press. Pp. 62–90.

———. (2000). "Technological Innovation and Economic Progress in the Ancient World: M. I. Finley Reconsidered," *Economic History Review* 53/1: 29–59.

Greene, Molly. (2000). *A Shared World: Christians and Muslims in the Early Modern Mediterranean*. Princeton, NJ: Princeton University Press.

Greif, Avner. (2006). *Institutions and the Path to the Modern Economy: Lessons from Medieval Trade*. Cambridge: Cambridge University Press.

Greif, Avner, and Joel Mokyr. (forthcoming). "Institutions and Economic History: A
Critique of Professor McCloskey," *Journal of Institutional Economics*.

Grimal, Nicolas, and Bernadette Menu, eds. (1998). *Le commerce en Égypte ancienne*. Cairo: Institute français d'Archaéologie orientale.

Grove, A. T., and O. Rackham. (2001). *The Nature of Mediterranean Europe*: *An Ecological History*. New Haven, CT: Yale University Press.

Gschnitzer, Fritz. (1993). "Phoinikisch-karthagisches Verfassungsdenken," *Anfange politischen Denkens in der Antike*. Ed. K. Rafflaub. Munich: R. Oldenbourg. Pp. 87–198.

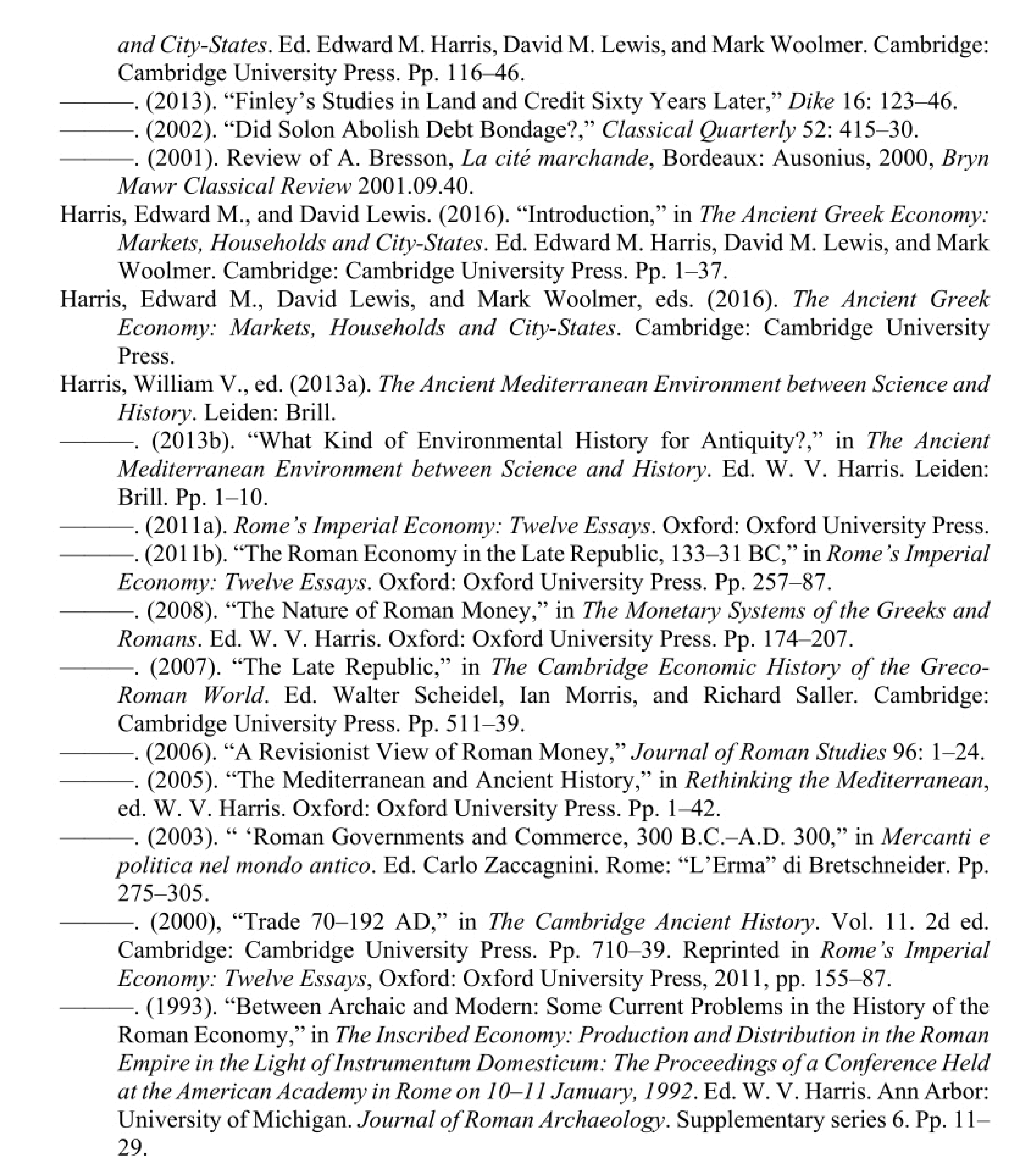
———. (1988). "Die Stellung der Polis in der politischen Entwicklung des Altertums," *Oriens Antiquus* 27: 287–302.

Gubel, Eric. (2009). "Héracléopolis et l'interaction culturelle entre l'Égypte et la côte phénicienne pendant la Troisième Période Intermédiaire," in *Elkab and Beyond: Studies in Honour of Luc Limme*. Ed. Wouter Claes, Herman de Meulenaere, and Stan Hendrickx. Leuven: Peeters. Pp. 321–40.

Gunn, J., ed. (2000). *The Years without Summer: Tracing AD 536 and Its Aftermath*. Oxford: Archaeopress.

Gunter, A. C. (2014). "Orientalism and Orientalization in the Iron Age Mediterranean," in *Critical Approaches to Ancient Near Eastern Art*. Ed. Brian A. Brown and Marian H. Feldman. Boston: de Gruyter. Pp. 79–108.

Haber, Stephen. (1999). "Anything Goes: Mexico's 'New' Cultural History," *Hispanic American Historical Review* 79/2: 309–30.
Haldon, J., et al. (2014). "The Climate and Environment of Byzantine Anatolia: Integrating Science, History, and Archaeology," *Journal of Interdisciplinary History* 45/2: 113–61.
Haldon, John. (2015). "Modes of Production, Social Action and Historical Change: Some Questions and Issues," in *Studies on Pre-capitalist Modes of Production*. Ed. Laura da Graca and Andrea Zingarelli. Leiden: Brill. Pp. 204–36.
———. (2014b). *A History of the Archaic Greek World, ca. 1200–479 BCE*. 2d ed. Malden, MA: Wiley-Blackwell.
Hall, John A., and Ralph Schroeder, eds. (2006). *An Anatomy of Power: The Social Theory of Michael Mann*. Cambridge: Cambridge University Press.
———. (2011). "Redistribution in Aegean Palatial Polity Societies: Terminology, Scale, and Significance," *American Journal of Archaeology* 115: 229–35.
———. (1987). "Traditional and Ancient Rural Economy in Mediterranean Europe: Plus ça change?," *Journal of Hellenic Studies* 107: 77–87.
Halstead, Paul, and John O'Shea, eds. (1989). *Bad Year Economics: Cultural Responses to Risk and Uncertainty*. Cambridge: Cambridge University Press.
Hannaford, Matthew. (2014). "Climate, Causation and Society: Interdisciplinary Per-spectives from the Past to the Future," in *Selected Themes in African Development Studies: Economic Growth, Governance and the Environment* . Ed. Lucky Asuelime, Joseph Yaro, and Suzanne Francis. Cham: Springer Verlag. Pp. 7–25.
Hannah, Robert. (2008). "Timekeeping," in *The Oxford Handbook of Engineering and Technology in the Classical World*. Ed. John Peter Oleson. Oxford: Oxford University Press. Pp. 740–58.
Hannestad, Lise. (2007). "Timber as a Trade Resource of the Black Sea," in *The Black Sea in Antiquity: Regional and Inter-regional Economic Exchanges*. Ed. Vincent Gabrielsen and John Lund. Aarhus: Aarhus University Press. Pp. 85–99.
Hansen, Mogens Herman. (2006a). *The Shotgun Method*: *The Demography of the Ancient Greek City-State Culture*. Columbia: University of Missouri Press.
———. (2006b). "*Emporion*: A Study of the Use and Meaning of the Term in the Archaic and Classical Periods," in *Greek Colonization: An Account of Greek Colonies and Other Settlements Overseas*. Ed. Gocha R. Tsetskhladze. Vol. 1. Leiden: Brill. Pp. 1–39.
Hansen, Valerie. (1995). *Negotiating Daily Life in Traditional China: How Ordinary People Used Contracts 600–1400*. New Haven, CT: Yale University Press.
Haring, B.J.J. (1997). *Divine Households: Administrative and Economic Aspects of the New Kingdom Royal Memorial Temples in Western Thebes*. Leiden: Nederlands Instituut voor het Nabije Oosten.
Harms, William F. (2004). *Information and Meaning in Evolutionary Processes*. Cambridge: Cambridge University Press.
Harper, Kyle. (2017). *The Fate of Rome: Climate, Disease, and the End of an Empire*. Princeton, NJ: Princeton University Press.
———. (2016). "A Reply to John L. Brooke's 'Malthus and the North Atlantic Oscillation,' " *Journal of Interdisciplinary History* 46/4: 579–84.
———. (2015). "Civilization, Climate, and Malthus: The Rough Course of Global History,' " *Journal of Interdisciplinary History* 45: 549–66.
———. (2011). *Slavery in the Late Roman World, AD 275–425*. Cambridge: Cambridge University Press.
Harris, Edward M. (2016). "The Legal Foundations of Economic Growth in Ancient Greece: The Role of Property Records," in *The Ancient Greek Economy: Markets, Households*



and City-States. Ed. Edward M. Harris, David M. Lewis, and Mark Woolmer. Cambridge: Cambridge University Press. Pp. 116–46.

———. (2013). "Finley's Studies in Land and Credit Sixty Years Later," *Dike* 16: 123–46.

———. (2002). "Did Solon Abolish Debt Bondage?," *Classical Quarterly* 52: 415–30.

———. (2001). Review of A. Bresson, *La cité marchande*, Bordeaux: Ausonius, 2000, *Bryn Mawr Classical Review* 2001.09.40.

Harris, Edward M., and David Lewis. (2016). "Introduction," in *The Ancient Greek Economy: Markets, Households and City-States*. Ed. Edward M. Harris, David M. Lewis, and Mark Woolmer. Cambridge: Cambridge University Press. Pp. 1–37.

Harris, Edward M., David Lewis, and Mark Woolmer, eds. (2016). *The Ancient Greek Economy: Markets, Households and City-States*. Cambridge: Cambridge University Press.

Harris, William V., ed. (2013a). *The Ancient Mediterranean Environment between Science and History*. Leiden: Brill.

———. (2013b). "What Kind of Environmental History for Antiquity?," in *The Ancient Mediterranean Environment between Science and History*. Ed. W. V. Harris. Leiden: Brill. Pp. 1–10.

———. (2011a). *Rome's Imperial Economy: Twelve Essays*. Oxford: Oxford University Press.

———. (2011b). "The Roman Economy in the Late Republic, 133–31 BC," in *Rome's Imperial Economy: Twelve Essays*. Oxford: Oxford University Press. Pp. 257–87.

———. (2008). "The Nature of Roman Money," in *The Monetary Systems of the Greeks and Romans*. Ed. W. V. Harris. Oxford: Oxford University Press. Pp. 174–207.

———. (2007). "The Late Republic," in *The Cambridge Economic History of the Greco-Roman World*. Ed. Walter Scheidel, Ian Morris, and Richard Saller. Cambridge: Cambridge University Press. Pp. 511–39.

———. (2006). "A Revisionist View of Roman Money," *Journal of Roman Studies* 96: 1–24.

———. (2005). "The Mediterranean and Ancient History," in *Rethinking the Mediterranean*, ed. W. V. Harris. Oxford: Oxford University Press. Pp. 1–42.

———. (2003). " 'Roman Governments and Commerce, 300 B.C.–A.D. 300," in *Mercanti e politica nel mondo antico*. Ed. Carlo Zaccagnini. Rome: "L'Erma" di Bretschneider. Pp. 275–305.

———. (2000), "Trade 70–192 AD," in *The Cambridge Ancient History*. Vol. 11. 2d ed. Cambridge: Cambridge University Press. Pp. 710–39. Reprinted in *Rome's Imperial Economy: Twelve Essays*, Oxford: Oxford University Press, 2011, pp. 155–87.

———. (1993). "Between Archaic and Modern: Some Current Problems in the History of the Roman Economy," in *The Inscribed Economy: Production and Distribution in the Roman Empire in the Light of Instrumentum Domesticum: The Proceedings of a Conference Held at the American Academy in Rome on 10–11 January, 1992*. Ed. W. V. Harris. Ann Arbor: University of Michigan. *Journal of Roman Archaeology*. Supplementary series 6. Pp. 11–29.

Hasebroek, J. (1928). *Staat und Handel im alien Griechenland*. Tübingen: J.C.B. Mohr. Trans. *Trade and Politics in Ancient Greece*. London: G. Bell and Sons, 1933.

Hassan, Fekri A. (2007). "Extreme Nile Floods and Famines in Medieval Egypt (AD 930–1500) and Their Climatic Implications," *Quaternary International* 173–74: 101–12.

———. (1994). "Population, Ecology and Civilization in Ancient Egypt," in *Historical Ecology: Cultural Knowledge and Changing Landscapes*. Ed. Carole L. Crumley. Santa Fe, NM: School of American Research Press. Pp. 155–81.

———. (1993). “Town and Village in Ancient Egypt: Ecology, Society and Urbanization,” in *The Archaeology of Africa: Food, Metals and Towns*. Ed. Thurstan Shaw, Paul Sinclair, Bassey Andah, and Alex Okpoko. London: Routledge. Pp. 551–69.

Haug, Brendan. (2015). “Dependent Labor: The Case of the *Enapographoi Georgoi*,” in *Law and Legal Practice in Egypt from Alexander to the Arab Conquest: A Selection of Papyrological Sources in Translation, with Introductions and Commentary*. Ed. James G. Keenan, J. G. Manning, and Uri Yiftach-Firanko. Cambridge: Cambridge University Press. Pp. 430–41.

Hayes, William C. (1955). *A Papyrus of the Late Middle Kingdom in the Brooklyn Museum*. Brooklyn, NY: Brooklyn Museum.

Heichelheim, Fritz M. (1968). *An Ancient Economic History from the Paleolithic Age to the Migrations of the Germanic, Slavic, and Arabic Nations*, revised and complete English ed. Vol. 2. Leiden: A. W. Sijthoff.

———. (1958). *An Ancient Economic History from the Paleolithic Age to the Migrations of the Germanic, Slavic, and Arabic Nations*. Vol. 1. Leiden: A. W. Sijthoff.

———. (1930). *Wirtschaftliche Schwankungen der Zeit von Alexander bis Augustus: Beiträge zur Erforschung der Wirtschaftlichen Wechsellagen*. Aufschwung, Krise, Stockung Bd. 3. Jena: Fischer. Reprint New York: Arno, 1979.

Herrmann-Pillath, Carsten. (2009). “Outline of a Darwinian Theory of Money,” Working Paper, Frankfurt School of Finance and Management. http://nbn-resolving.de/urn: nbn: de: 101: 1-20090923136.

Hickey, Todd. (2012). *Wine, Wealth, and the State in Late Antique Egypt: The House of Apion at Oxyrhynchus*. Ann Arbor: University of Michigan Press.

———. (2009). “Writing Histories from the Papyri,” in *The Oxford Handbook of Papyrology*. Ed. Roger S. Bagnall. Oxford: Oxford University Press. Pp. 495–520.

Hitchener, R. Bruce. (2005). “The Advantages of Wealth and Luxury”: The Case for Economic Growth in the Roman Empire,” in *The Ancient Economy: Evidence and Models*. Ed. J. G. Manning and Ian Morris. Stanford, CA: Stanford University Press. Pp. 207–22.

———. (1994). “Image and Reality: The Changing Face of Pastoralism in the Tunisian High Steppe,” in *Landuse in the Roman Empire*. Ed. Jesper Carlsen, Peter Ørsted, and Jens Erick Skydsgaard. Rome: “L’Erma” di Bretschneider. Pp. 27–43.

Hodgson, Geoffrey M. (2004). *The Evolution of Institutional Economics: Agency, Structure and Darwinism in American Institutionalism*. London: Routledge.

———. (1993). *Economics and Evolution: Bringing Life Back into Economics*. Ann Arbor: University of Michigan Press.

Hodkinson, Stephen. (2000). *Property and Wealth in Classical Sparta*. London: Duckworth.

Hölbl, Günther. (2001). *A History of the Ptolemaic Empire*. Trans. Tina Saavedra. London: Routledge.

Hoffman, Philip T. (2015). *Why Did Europe Conquer the World?* Princeton, NJ: Princeton University Press.

———. (1996). *Growth in a Traditional Society: The French Countryside 1450–1815*. Princeton, NJ: Princeton University Press.

Hoffmann-Salz, J. (2011). *Die wirtschaftlichen Auswirkungen der römsichen Eroberung: Vergleichende Untersuchungen der Provinzen Syria, Hispania Tarraconensis, Africa Proconsularis und Syria*. Historia Einzelschriften 218. Stuttgart: Franz Steiner.

Höflmayer, Felix, ed. (2017). *The Late Third Millennium in the Ancient Near East: Chronology, C14, and Climate Change*. Chicago: Oriental Institute.

———. (1983). “Introduction,” in *Trade in the Ancient Economy*. Ed. Peter Garnsey, K. Hopkins, and C. R. Whittaker. Berkeley: University of California Press. Pp. ix–xxv.

———. (1980). "Taxes and Trade in the Roman Empire (200 BC–AD 200)," *Journal of Roman Studies* 70: 101–25.

Horden, Peregrine, and Nicholas Purcell. (2000). *The Corrupting Sea: A Study of Mediteranean History*. Oxford: Blackwell.

Horesh, Niv. (2014). *Chinese Money in Global Context: Historic Junctures between 600 BCE and 2012*. Stanford, CA: Stanford University Press.

Hornborg, Alf, J. R. McNeill, and Joan Martinez-Alier, eds. (2007). *Rethinking Environmental History: World-System History and Global Environmental Change*. Lanham, MD: Altamira.

Hough, Jerry F., and Robin Grier. (2015). *The Long Process of Development: Building Markets and States in Pre-industrial England, Spain, and Their Colonies*. Cambridge: Cambridge University Press.

Howe, Timothy, ed. (2015). *Traders in the Ancient Mediterranean*. Chicago: Ares.

Howgego, Christopher. (1995). *Ancient History from Coins*. London: Routledge.

Hoyer, Dan, and J. G. Manning. (forthcoming). "Empirical Regularities across Time, Space, and Culture: A Critical Review of Comparative Methods in Ancient Historical Research," *Historia*.

Hoyos, Dexter. (2010). *The Carthaginians*. London: Routledge.

Hsiang, Solomon M., and Marshall Burke. (2014). "Climate, Conflict, and Social Stability: What Does the Evidence Say?," *Climatic Change* 123: 39–55.

Hudson, A. M. (2004). "The Archaeology of Money," in *Credit and State Theories of Money*. Ed. L. R. Wray. Cheltenham: Edward Elgar. Pp. 99–127.

Hudson, Michael. (2002). "Restructuring the Origins of Interest-Bearing Debt and the Logic of Clean Slates," in *Debt and Economic Renewal in the Ancient Near East*. Ed. Michael Hudson and Marc van de Mieroop. Bethesda, MD: CDL. Pp. 7–53.

Hudson, Michael, and Baruch A. Levine, eds. (1999). *Urbanization and Land Ownership in the Ancient Near East*. Cambridge, MA: Peabody Museum of Archaeology and Ethnology.

Hudson, Michael, and Marc van de Mieroop, eds. (2002). *Debt and Economic Renewal in the Ancient Near East*. Bethesda, MD: CDL.

Hudson, Nicholas. (2016). "A Hellenistic Household Ceramic Assemblage from Tell el-Timai (Thmuis), Egypt: A Contextual View," *Bulletin of the American Schools of Oriental Research* 376: 199–244.

Huebner, Sabine R., and Geoffrey S. Nathan, eds. (2017). *Mediterranean Families in Antiquity: Households, Extended Families, and Domestic Space*. Chichester: John Wiley and Sons.

Hughes, George R. (1952). *Saite Demotic Land Leases* . Chicago: Oriental Institute. Hughes, J. Donald. (2007). "Environmental Impacts of the Roman Economy and Social Structure: Augustus to Diocletian," in *Rethinking Environmental History: World-System History and Global Environmental Change*. Ed. Alf Hornborg, J. R. McNeill, and Joan Martinez-Alier. Lanham, MD: Altamira. Pp. 27–40.

———. (2005). *The Mediterranean: An Environmental History*. Santa Barbara, CA: ABC Clio.

———. (1994). *Pan's Travail: Environmental Problems of the Ancient Greeks and Romans*. Baltimore: Johns Hopkins University Press.

Humphreys, Sally. (1969). "History, Economics, and Anthropology: The Work of Karl Polanyi," *History and Theory* 8: 165–212. Reprinted in *Anthropology and the Greeks*. London: Routledge, 1978. Pp. 31–75.

Hunt, Lynn. (2014). *Writing History in the Global Era*. New York: Norton.

Hunt, Peter. (2011). "Slaves in Greek Literary Culture," in the *Cambridge World History of Slavery*. Vol. 1, *The Ancient Mediterranean World*. Ed. Keith Bradley and Paul Cartledge. Cambridge: Cambridge University Press.

Huntington, Ellsworth. (1915). *Civilization and Climate*. New Haven, CT: Yale University Press.

———. (1913). "Changes of Climate and History," *American Historical Review* 19/2: 213–32.

Irwin, Douglas A., and Kevin H. O'Rourke. (2014). "Coping with Shocks and Shifts: The Multilateral Trading System in Historical Perspective," in *Globalization in an Age of Crisis: Multilateral Economic Cooperation in the Twenty-First Century*. Ed. Robert C. Feenstra and Alan M. Taylor. National Bureau of Economic Research Conference Report. Chicago: University of Chicago Press. Pp. 11–42.

Isager, Signe, and Jens Erik Skydsgaard. (1995). *Ancient Greek Agriculture: An Introduction*. Paperback ed. London: Routledge. Originally published 1992, London: Routledge.

Issar, A. A., and M. Zohar. (2010). *Climate Change: Environment and Civilization in the Middle East*. 2d ed. Paperback ed. Berlin: Springer Verlag.

Izdebski, Adam, et al. (2016). "Realising Consilience: How Better Communication between Archaeologists, Historians and Natural Scientists Can Transform the Study of the Past Climate Change in the Mediterranean," *Quaternary Science Review* 136: 5–22.

James, T.G.H. (1962). *The Hekanakhte Papers and Other Early Middle Kingdom Documents*. New York: Metropolitan Museum of Art.

Jameson, Michael J. (2002). "On Paul Cartledge, 'The Political Economy of Greek Slavery," in *Money, Labour and Land: Approaches to the Economies of Ancient Greece*. Ed. Paul Cartledge, Edward Cohen, and Lin Foxhall. London: Routledge. Pp. 167–74.

———. (1994). *A Greek Countryside: The Southern Argolid from Prehistory to the Present Day*. Stanford, CA: Stanford University Press.

———. (1992). "Agriculture in Ancient Greece," in *Proceedings of the Seventh International Symposium at the Swedish Institute at Athens, 16–17 May 1990*. Ed. Berit Wells. Stockholm: Paul Åströms Forlag. Pp. 135–46.

———. (1977–78). "Agriculture and Slavery in Classical Athens," *Classical Journal* 73/2: 122–45.

Jansen-Winkeln, Karl. (1997). "Ein Kaufmann aus Naukratis," *Zeitschrift für ägyptische Spache und Altertumskunde* 124: 105–15.

Janssen, Jac. J. (1979). "The Role of the Temple in the Egyptian Economy during the New Kingdom," in *State and Temple Economy in the Ancient Near East*. Ed. Edward Lipinski. OLA 6. Leuven: Peeters. Pp. 505–15.

———. (1975). "Prolegomenon to the study of Egypt's Economic History during the New Kingdom," *SAK* 3: 127–85.

Jas, R. M., ed. (2000). *Rainfall and Agriculture in Northern Mesopotami*a. Istanbul: Nederlands Historisch-Archaeologisch Instituut.

Jasnow, Richard, and Raymond Westbrook, eds. (2001). *Security for Debt in Ancient Near Eastern Law*. Leiden: Brill.

Jasnow, Richard. (2003). "Middle Kingdom and Second Intermediate Period," "New Kingdom," in *A History of Ancient Near Eastern Law*. Vol. 1. Ed. Raymond West-brook. Leiden: Brill. Pp. 255–359.

Jaspers, Karl. (1949). *Von Ursprung und Ziel der Geschichte*. Zürich: Artemis-Verlag. Published in English as *The Origin and Goal of History*. Trans. Michael Bullock. I cite from the 2010 Routledge edition.

Jenkins, Richard. (2000). "Disenchantment, Enchantment, and Reenchantment: Max
Weber at the Millennium," *Max Weber Studies* 1: 11–32.

Jew, Daniel, Robin Osborne, and Michael Scott, eds. (2016). *M. I. Finley: An Ancient Historian and His Impact*. Cambridge: Cambridge University Press.

Jia, Ruixue. (2014). "Weather Shocks, Sweet Potatoes and Peasant Revolts in Historical China," *Economic Journal* 124/575: 92–118.

Joannès, Francis. (2002). *La Mésopotamie au 1er millenaire avant J.-C.* 2d ed. Paris: Armand Colin.

Johnson, Janet H. (1998). "Women, Wealth and Work in Egyptian Society of the Ptolemaic Period," in *Egyptian Religion, the Last Thousand Years: Studies Dedicated to the Memory of Jan Quaegebeur*. Ed. Willy Clarysse, Antoon Schoors, and Harco Willems. Orientalia Lovaniensia Analecta 85. Leuven: Peeters. Pp. 1393–421.

Johnston, David. (1999). *Roman Law in Context*. Cambridge: Cambridge University Press.

Jones, A.H.M. (1974). *The Roman Economy: Studies in Ancient Economic and Administrative History*. Oxford: Blackwell.

———. (1948). "Ancient Economic History," Inaugural Lecture, University College London. London: H. K. Lewis.

Jones, Alexander. (2017). *A Portable Cosmos: Revealing the Antikythera Mechanism, Scientific Wonder of the Ancient World*. Oxford: Oxford University Press.

———. (2014b). "Re-constructing the Roman Economy," in *The Cambridge History of Capitalism*. 2 vols. Ed. Larry Neal and Jeffrey G. Williamson. Cambridge: Cambridge University Press. Pp. 75–100.

———. (2013). "Formalism-Substantivism Debate," in *The Encyclopedia of Ancient History*. 1st ed. Ed. Roger S. Bagnall, Kai Brodersen, Craige B. Champion, Andrew Erskine, and Sabine R. Huebner. Oxford: Blackwell. Pp. 2715–18.

———. (2007). "The Early Roman Empire: Consumption," in *The Cambridge Economic History of the Greco-Roman World*. Ed. Walter Scheidel, Ian Morris, and Richard Saller. Cambridge: Cambridge University Press. Pp. 592–618.

———. (1988). *The Economy and Society of Pompeii*. 2d impression 1991. Amsterdam: J. C. Gieben.

———. (1990). *Vertragliche Regelungen von Arbeiten im späten griechischsprachigen Ägypten*. Veröffentlichungen aus der Heidelberger Papyrus-Sammlung 6. Heidelberg: Carl Winter Verlag.

Jouzel, Jean. (2013). "A Brief History of Ice Core Research over the Last 50 Years," *Climate of the Past* 9: 2525–47.

Jursa, Michael. (2015). "Market Performance and Market Integration in Babylonia in the 'Long Sixth Century' BC," in *A History of Market Performance: From Ancient Babylonia to the Modern World*. Ed. R. J. van der Spek, Bas van Leeuwen, and Jan Luiten van Zanden. London: Routledge. Pp. 83–106.

———. (2014a). "Babylonia in the First Millennium BCE—Economic Growth in Times of Empire," in *The Cambridge History of Capitalism*. 2 vols. Ed. Larry Neal and Jeffrey G. Williamson. Cambridge: Cambridge University Press. Pp. 24–42.

———. (2014b). "Factor Markets in Babylonia from the Late Seventh to the Third Century BCE," *Journal of the Economic and Social History of the Orient* 57/2: 173–202.

———. (2014c). "Economic Development in Babylonia from the Late 7th to the Late 4th Century BC: Economic Growth and Economic Crises in Imperial Contexts," in *Documentary Sources in Ancient Near Eastern and Greco-Roman Economic History: Methodology and Practice*. Ed. Heather D. Baker and Michael Jursa. Oxford: Oxbow. Pp. 113–38.

———. (2013). "Agriculture, Ancient Near East," in *The Encyclopedia of Ancient History*. 1st ed. Ed. Roger S. Bagnall, Kai Brodersen, Craige B. Champion, Andrew Erskine, and Sabine R. Huebner. Oxford: Blackwell. Pp. 208–10.

———. (2010). *Aspects of the Economic History of Babylonia in the First Millennium BC: Economic Geography, Economic Mentalities, Agriculture, the Use of Money and the Problem of Economic Growth*. Münster: Ugarit-Verlag.

———. (2009). "The Babylonian Economy in the First Millennium BC," in *The Babylonian World*. Ed. Gwendolyn Leick. Paperback ed. Oxford: Routledge. Pp. 224–35.

———. (2008). "Economic Change and Legal Innovation: On Aspects of Commercial Interaction and Land Tenure in Babylonia in the First Millennium BC," in *Il Diritti del Mondo Cuneiforme: (Mesopotamia e regione adiacenti, ca. 2500–500 a.c.)*. Ed. Mario Liverani and Clelia Mora. Pavia: IUSS. Pp. 601–28.

———. (2005). "Money-Based Exchange and Redistribution: The Transformation of the Institutional Economy in First Millennium Babylonia," in *Autour de Polanyi: Vocabulaires, theories et modalities des échanges, Nanterre, 12–14 Juin 2004*. Ed. P. Clancier, F. Joannès, P. Rouillard, and A. Tenu. Paris: De Boccard. Pp. 171–86.

Kahneman, Daniel. (2003). "Maps of Bounded Rationality: Psychology for Behavioral Economics." *American Economic Review*93/5: 1449– 75.

Kaiser, Brooks A. (2007). "The Athenian Trierarchy: Mechanism Design for the Private Provision of Public Goods," *Journal of Economic History* 67/2: 445–80.

Kakavogianni, O., and M. Anetakis. (2012). "Les agoras commerciales des dèmes antiques de la Mésogée et de la région du Laurion," in *Tout vendre, tout acheter: Structures et équipements des marches antiques* . Ed. Véronique Chankowski and Pavlos Karvonis. Bordeaux: Ausonius Éditions. Pp. 185–99.

Kallet-Marx, Lisa. (1993). *Money, Expense and Naval Power in Thucydides' History 1–5.24*. Oxford: Oxford University Press.

Kaniewski, David, Joël Guiot, and Elsie van Campo. (2015). "Drought and Societal Collapse 3200 Years Ago in the Eastern Mediterranean: A Review," *WIREs Clim Change* 2015. doi: 10.1002/wcc.345.

Kaniewski, David, Elise van Campo, and Harvey Weiss. (2012). "Drought Is a Recurring Challenge in the Middle East," *PNAS* 109/10: 3862–67.

Karvonis, Pavlos. (2008a). "Les Installations commerciales dans la ville de Délos à l'époque hellénistique," *Bulletin de Correspondance Hellénique* 132/1: 153–219.

———. (2008b). "Typologie et evolution des installations commerciales dans les villes grecques du IVe siècle av. J. C. et de l'époque hellélenistique," *Revue des Études Grecques* 110: 57–81.

Kawanishi, H., and Y. Suto. (2005). *Akoris I: Amphora Stamps*. Kyoto: Akoris Archaeological Project.

Katary, Sally L. D. (2013a). "Agriculture, Pharaonic Egypt," in *The Encyclopedia of Ancient History*. 1st ed. Ed. Roger S. Bagnall, Kai Brodersen, Craig B. Champion, Andrew Erskine, and Sabine R. Huebner. Oxford: Blackwell. Pp. 214–17.

———. (2013b). "The Administration of Institutional Agriculture in the New Kingdom," in *Ancient Egyptian Administration*. Ed. Juan Carlos Moreno García. Leiden: Brill. Pp. 719–83.

———. (2007). "Land Tenure and Taxation," *The Egyptian World*. Ed. Toby Wilkinson. London: Routledge. Pp. 185–201.

Kaye, Noah. (2015). "Defining the Fiscal Role of Hellenistic Monarchy in Shaping Sale," in *Sale and Community Documents from the Ancient World: Individuals' Autonomy and State Interference in the Ancient World*. Legal Documents in Ancient Societies 5. Graeca Tergestina Storia e Civiltà 2. Ed. Éva Jakab. Trieste: EUT Edizioni Università di Trieste. Pp. 81–98.

Keenan, James G. (2000). “The Mediterranean before Modernity,” *Classical Bulletin* 76/1: 81–94.

———. (1989). “Pastoralism in Roman Egypt,” *Bulletin of the American Society of Papyrologists* 26: 175–200.

———. (1985). “Village Shepherds and Social Tension in Byzantine Egypt,” *Yale Classical Studies* 28: 245–59.

Keenan, James G., J. G. Manning, and Uri Yiftach-Firanko, eds. (2014). *Law and Legal Practice in Egypt from Alexander to the Arab Conquest: A Selection of Papyrological Sources in Translation, with Introductions and Commentary*. Cambridge: Cambridge University Press.

Kehoe, Dennis P. (2015). “Poverty, Distribution of Wealth, and Economic Growth in the Roman Empire,” in *Structure and Performance in the Roman Economy: Models, Methods and Case Studies*. Ed. Paul Erdkamp and Koenraad Verboven. Brussels: Éditions Latomus. Pp. 183–96.

———. (2007a). “The Early Roman Empire: Production,” in *The Cambridge Economic History of the Greco-Roman World*. Ed. Walter Scheidel, Ian Morris, and Richard Saller. Cambridge: Cambridge University Press. Pp. 543–69.

———. (2007b). *Law and Rural Economy in the Roman Empire*. Ann Arbor: University of Michigan Press.

———. (1988). *The Economics of Agriculture on Roman Imperial Estates in North Africa*. Hypomnemata 89. Göttingen: Vandenhoeck & Ruprecht.

Kehoe, Dennis, David M. Ratzan, and Uri Yiftach. (2015). “Introduction,” in *Law and Transaction Costs in the Ancient Economy*. Ed. Dennis Kehoe, David M. Ratzan, and Uri Yiftach. Ann Arbor: University of Michigan Press. Pp. 1–35.

Kelly, Morgan, and Cormac Ó Gráda. (2013). “The Waning of the Little Ice Age: Climate Change in Early Modern Europe,” *Journal of Interdisciplinary History* 44: 301–25.

Kemp, Barry J. (2006). *Ancient Egypt: Anatomy of a Civilization*. London: Routledge. Kessler, David, and Peter Temin. (2007). “The Organization of the Grain Trade in the
Early Roman Empire,” *Economic History Review* 60: 313–32.

Kitchen, Kenneth. (2001). “Economics in Ancient Arabia: From Alexander to the Augustans,” in *Hellenistic Economies*. Ed. Zosia H. Archibald, John K. Davies, Vincent Gabrielsen, and G. J. Oliver, eds. London: Routledge. Pp. 157–73.

Kitchen, Kenneth A., and Paul J. N. Lawrence. (2012). *Treaty, Law and Covenant in the Ancient Near East*. 3 vols. Wiesbaden: Harrassowitz.

Klengel, Horst. (1974). “Hungerjahre’ in Hatti,” *Altorientalische Forschungen* 1: 165–74.

Kloos, Helmut, and Rosalie David. (2002). “The Paleoepidemiology of Schistosomiasis in Ancient Egypt,” *Human Ecology Review* 9/1: 14–25.

Knoppers, Gary N., and Paul B. Harvey Jr. (2007). “The Pentateuch in Ancient Mediterranean Context: The Publication of Local Lawcodes,” in *The Pentateuch as Torah: New Models for Understanding Its Promulgation and Acceptance*. Ed. Gary N. Knoppers and Bernard M. Levinson. Winona Lake, IN: Eisenbrauns. Pp. 105–41.

Koepke, Nikola, and Joerg Baten. (2005a). “Climate and Its Impact on the Biological Standard of Living in North-East, Centre-West and South Europe during the Last 2000 Years,” *History of Meteorology* 2: 147–59.

———. (2005b). “The Biological Standard of Living in Europe during the Last Two Millennia,” *European Review of Economic History* 9/1: 61–95.

Komlos, John, and Marieluise Bauer. (2004). “From the Tallest to (One of the) Fattest: The Enigmatic Fate of the American Population in the 20th Century,” *Economics and Human Biology* 2: 57–74.

Kondrashov, D., Y. Feliks, and M. Ghil. (2005). "Oscillatory Modes of Extended Nile Records (A.D. 622–1922)," *Geophysical Research Letters* 32:n.p.

Koopman, Siem Jan, and Lennart Hoogerheide. (2015). "Analysis of Historical Times Series with Messy Futures: The Case of the Commodity Prices in Babylonia," in *A History of Market Performance: From Ancient Babylonia to the Modern World*. Ed. R. J. van der Spek, Bas van Leeuwen, and Jan Luiten van Zanden. London: Routledge. Pp. 45–67.

Köse, Veli. (2005). "The Origin and Development of Market-Buildings in Hellenistic and Roman Asia Minor," in *Patterns in the Economy of Roman Asia Minor*. Ed. S. Mitchell and C. Katsari. Swansea: Classical Press of Wales. Pp. 139–66.

Kosmin, Paul J. (2014). *The Land of the Elephant Kings: Space, Territory, and Ideology in the Seleucid Empire*. Cambridge, MA: Harvard University Press.

Kostick, C., and F. Ludlow. (2015). "The Dating of Volcanic Events and Their Impacts upon European Climate and Society, 400–800 CE," *European Journal of Post-classical Archaeologies* 5: 7–30.

Kozuh, Michael. (2015). "A Hand Anything but Hidden: Institutions and Markets in First Millennium BCE Mesopotamia," in *Traders in the Ancient Mediterranean*. Ed. Timothy Howe. Chicago: Ares. Pp. 73–100.

Kraeling, Carl H. (1960). "Preface," in *City Invincible: A Symposium on Urbanization and Cultural Development in the Ancient Near East*. Ed. Carl. H. Kraeling and Robert M. Adams. Chicago: Oriental Institute. Pp. v–viii.

Kraeling, Carl H., and Robert M. Adams, eds. (1960). *City Invincible: A Symposium on Urbanization and Cultural Development in the Ancient Near East*. Chicago: Oriental Institute.

Kraus, Jürgen. (2004). *Die Demographie des alten Ägypten: Eine phänomenologie anhand altägyptisacher Quellen*. PhD diss., Georg-August Universität Göttingen.

Kroll, John H. (2008). "The Monetary Use of Weighed Bullion in Archaic Greece," in *The Monetary Systems of the Greeks and Romans*. Ed. W. V. Harris. Oxford: Oxford University Press. Pp. 12–37.

Kron, Geoffrey. (forthcoming). "Growth and Decline: Forms of Growth; Estimating Growth in the Greek World," in *The Oxford Handbook of Economies in the Classical World*. Ed. E. Lo Cascio, A. Bresson, and F. Vele. Oxford: Oxford University Press.

———. (2016). "Classical Greek Trade in Comparative Perspective," in *The Ancient Greek Economy: Markets, Households, and City-States*. Ed. Edward M. Harris, David M. Lewis, and Mark Woolmer. Cambridge University Press. Pp. 356–80.

———. (2015). "Agriculture," in *A Companion to Food in the Ancient World*. Ed. John Wilkins and Robin Nadeau. Malden, MA: Wiley-Blackwell. Pp. 160–72.

———. (2014). "Comparative Evidence and the Reconstruction of the Ancient Economy: Greco-Roman Housing and the Level and Distribution of Wealth and Income," in *Quantifying the Greco-Roman Economy and Beyond*. Ed. François de Callataÿ. Bari: Edipuglia. Pp. 123–46.

———. (2012). "Nutrition, Hygiene, and Mortality: Setting Parameters for Roman Health and Life Expectancy Consistent with Our Comparative Evidence," in *L'impatto della "Peste Antonina."* Ed. E. Lo Cascio. Bari: Edipuglia. Pp. 193–252.

———. (2008a). "The Much Maligned Peasant: Comparative Perspectives on the Productivity of the Small Farmer in Classical Antiquity," in *People, Land, and Politics: Demographic Developments and the Transformation of Roman Italy 300 BC–AD 14*. Ed. Luuk de Ligt and Simon Northwood. Leiden: Brill. Pp. 71–119.

———. (2008b). "Animal Husbandry, Hunting, Fishing, and Fish Distribution," in *The Oxford Handbook of Engineering and Technology in the Classical World*. Ed. John Peter Oleson. Oxford: Oxford University Press. Pp. 175–222.

———. (2005). "Anthropometry, Physical Anthropology, and the Reconstruction of Ancient Health, Nutrition, and Living Standards," *Historia* 54: 68–83.

———. (2004). "Roman Livestock Farming in Southern Italy: The Case against Environmental Determinism," in *Espaces intégrés et ressources naturelles dans l'empire romain*. Ed. Monique Clavel-Lévêque and Ella Hermon. Besançon: Presses Universitaires de Franch-Comté. Pp. 119–34.

———. (2000). "Roman Ley-Farming," *Journal of Roman Archaeology* 13: 277–87. Kuhrt, Amélie. (2009). "The Persian Empire," in *The Babylonian World*. Ed. Gwendolyn

Leick. Paperback ed. London: Routledge. Pp. 562–76.

———. (2007). *The Persian Empire: A Corpus of Sources from the Achaemenid Period*. London: Routledge.

———. (2000). "The Acheamenid Empire (c. 550–330 BCE): Continuities, Adaptations, Transformations," in *Empires*. Ed. Susan E. Alcock, Terence N. D'Altroy, Kathleen D. Morrison, and Carla M. Sinopoli. Cambridge: Cambridge University Press. Pp. 93–123.

———. (1998). "The Old Assyrian Merchants," in *Trade, Traders and the Ancient City*. Ed. Helen Parkins and Christopher Smith. London: Routledge. Pp. 16–30.

———. (1995). *The Ancient Near East, c. 3000–330 BC*. Oxford: Routledge.

Landa, J. T. (1994). *Trust, Ethnicity, and Identity: Beyond the New Institutional Economics of Ethnic Trading Networks, Contract Law, and Gift-Exchange*. Ann Arbor: University of Michigan Press.

Landes, David S. (1998). *The Wealth and Poverty of Nations: Why Some Are So Rich and Some So Poor*. New York: Norton.

Lanni, Adriaan. (2006). *The Law Courts of Democratic Athens*. Cambridge: Cambridge University Press.

Lansing, J. Stephen. (2006). *Perfect Order: Recognizing Complexity in Bali*. Princeton, NJ: Princeton University Press.

Larsen, L. B., B. M. Vinther, K. R. Briffa, T. M. Melvin, H. B. Clausen, P. D. Jones, M. L. Siggaard-Andersen, C. U. Hammer, et al. (2008). "New Ice Core Evidence for a Volcanic Cause of the A.D. 536 Dust Veil," *Geophysical Research Letters* 35/4: L04708.

Larsen, Mogens Trolle. (2015). *Ancient Kanesh: A Merchant Colony in Bronze Age Anatolia*. Cambridge: Cambridge University Press.

———. ed. (1979). *Power and Propaganda: A Symposium on Ancient Empires*. Copenhagen: Akademisk Forlag.

Lattimore, Owen. (1979). "Geography and the Ancient Empires," in *Power and Propaganda: A Symposium on Ancient Empires*. Ed. Mogens Trolle Larsen. Copenhagen: Akademisk Forlag. Pp. 35–40.

Launaro, Alessandro. (2016). "Finley and the Ancient Economy," in *M. I. Finley: An Ancient Historian and His Impact*. Ed. Daniel Jew, Robin Osborne, and Michael Scott. Cambridge: Cambridge University Press. Pp. 227–49.

Laurence, Ray. (1998). "Land Transport in Roman Italy: Costs, Practice and the Economy," in *Trade, Traders and the Ancient City*. Ed. Helen Parkins and Christopher Smith. London: Routledge. Pp. 129–48.

Lawall, Mark. (2016). "Transport Amphoras, Markets, and Changing Practices in the Economies of Greece, Sixth to First Centuries BCE," in *The Ancient Greek Economy: Markets, Households and City-States*. Ed. Edward M. Harris, David M. Lewis, and Mark Woolmer. Cambridge: Cambridge University Press. Pp. 254–73.

———. (2005). "Amphoras and Hellenistic Economies: Addressing the (Over) Emphasis on Stamped Amphora Handles," in *Making, Moving, and Managing: The New World of Ancient Economies, 323–31 BC*. Ed. Zosia H. Archibald, John K. Davies, and Vincent Gabrielsen. Oxford: Oxbow Books. Pp. 188–232.

LeGrande, Allegra N., Kevin J. Anchukaitis, Lucien von Gunten, and Leonie Goodwin. (2015). "Volcanoes and Climate," special issue of *Past Global Changes* 23/2.

Lehner, Mark. (2015). "Labor and the Pyramids: The Heit El-Ghurab 'Workers Town' at Giza," in *Labor in the Ancient World*. Ed. Piotr Steinkeller and Michael Hudson. Dresden: ISLET-Verlag. Pp. 397–522.

———. (2000). "Fractal House of Pharaoh: Ancient Egypt as a Complex Adaptive System, a Trial Formulation," in *Dynamics in Human and Primate Societies: Agent-Based Modelling of Social and Spatial Processes*. Ed. Timothy Kohler and George Gumerman. New York: Oxford University Press. Pp. 275–353.

Leichty, Erle. (1975). "A. Leo Oppenheim, 1904–1974," *Journal of the American Oriental Society* 95/3: 369–70.

Leick, Gwendolyn, ed. (2009). *The Babylonian World*. Paperback ed. London: Routledge.

Leidwanger, Justin. (2013). "Modeling Distance with Time in Ancient Mediterranean Seafaring: A GIS Application for the Interpretation of Maritime Connectivity," *Journal of Archaeological Science* 40: 3302–8.

Le Rider, Georges. (2001). *La naissance de la monnaie: Pratiques monétaires de l'Orient ancien*. Paris: Presses universitaires de France.

Le Roy Ladurie, Emmanuel. (1979). "Writing the History of the Climate," in *The Territory of the Historian*. Chicago: University of Chicago Press. Pp. 287–91.

Lewis, David M. (2016a). "The Market for Slaves in the Fifth-and Fourth-Century Aegean," in *The Ancient Greek Economy: Markets, Households and City-States*. Ed. Edward M. Harris, David M. Lewis, and Mark Woolmer. Cambridge: Cambridge University Press. Pp. 316–36.

———. (2016b). "Appendix. Commodities in Classical Athens: The Evidence of Old Comedy," in *The Ancient Greek Economy: Markets, Households and City-States*. Ed. Edward M. Harris, David M. Lewis, and Mark Woolmer. Cambridge: Cambridge University Press. Pp. 381–98.

Lewis, M.J.T. (1997). *Millstone and Hammer: The Origins of Water Power*. Hull: University of Hull Press.

Lindgren, James. (1995). "Measuring the Value of Slaves and Free Persons in Ancient Law," *Chicago-Kent Law Review* 71: 149–215.

Lionello, Piero, ed. (2012). *The Climate of the Mediterranean Region: From the Past to the Future*. London: Elsevier.

Lipartito, Kenneth. (2016). "Reassembling the Economic: New Departures in Historical Materialism," *American Historical Review* 121/1: 101–39.

Lippert, Sandra Luisa. (2004). *Ein demotisches juristisches Lehrbuch: Untersuchungen zu Papyrus Berlin P 23757 ro*. Wiesbaden: Harrassowitz.

Lirb, H. J. (1993). "Partners in Agriculture: The Pooling of Resources in Rural *Societies* in Roman Italy," in *De agricultura: In memoriam Pieter Willem de Neeve*. Ed. H. Sancisi-Weerdenburg, R. J. van der Spek, H. C. Teitler, and H. T. Wallinga. Dutch Monographs on Ancient History and Archaeology 10. Amsterdam: Gieben. Pp. 263–95.

Littman, R. J. (2009). "The Plague of Athens: Epidemiology and Paleopathology," *Mount Sinai Journal of Medicine* 76: 456–67.

Liu, Jianguo, et al. (2007). "Complexity of Coupled Human and Natural Systems," *Science* 317/5844: 1513–16. doi: 10.1126/science.1144004.

Liverani, Mario. (2014). *The Ancient Near East: History, Society, and Economy*. London: Routledge.

———. (2013). *Immaginare Babele: Due secoli di Studi sulla città orientale antica*. Rome: Laterza.

———. (2005). "The Near East: The Bronze Age," in *The Ancient Economy: Evidence and Models*. Ed. J. G. Manning and Ian Morris. Stanford, CA: Stanford University Press. Pp. 47–57.

———. (2003). "The Influence of Political Institutions on Trade in the Ancient Near East (Late Bronze to Early Iron Age)," in *Mercanti e politica nel mondo antico*. Ed. Carlo Zaccagnini. Rome: "L'Erma" di Bretschneider. Pp. 119–37.

———. (2000). "The Libyan Caravan Road in Herodotus IV.181–4," *Journal of the Economic and Social History of the Orient* 43/4: 496–520.

———. (1988). *Antico Oriente: Storia, societa, economia*. Rome: Laterza.

Lo Cascio, Elio. (2009). *Crescita e declino: Studi di Storia dell'economia romana*. Rome: "L'Erma" di Bretschneider.

———. (1994). "The Size of the Roman Population: Beloch and the Meaning of the Republican Census Figures," *Journal of Roman Studies* 84: 23–40.

Lo Cascio, Elio, and Paolo Malanima. (2014). "Ancient and Premodern Economies: GDP in Roman Empire and Early Modern Europe," in *Quantifying the Greco-Roman Economy and Beyond*. Ed. François de Callataÿ. Bari: Edipuglia. Pp. 229–51.

Lopez, Robert S. (1976). *The Commercial Revolution of the Middle Ages, 950–1350*. Cambridge: Cambridge University Press.

Lucas, Adam R. (2012). "Technological Change," in *The Encyclopedia of Ancient History*. Malden, MA: Wiley-Blackwell. http://onlinelibrary.wiley.com/doi/10.1002/9781444338386.wbeah06321/full. DOI: 10.1002/9781444338386.wbeah06321.

Ludlow, Francis, and J. G. Manning. (2016). "Revolts under the Ptolemies: A Paleoclimatological Perspective," in *Revolt and Resistance in the Ancient Classical World and the Near East: In the Crucible of Empire*. Ed. John J. Collins and J. G. Manning. Leiden: Brill. Pp. 154–71.

Lukaszewicz, A. (1999). "Le Papyrus Edfou 8 soixante and après," in *Tell-Edfou soixante ans après: Actes du colloque francopolonais, Le Caire-15 Octobre 1996*. Cairo: Institut français d'Archéologie orientale. Pp. 29–35.

Luterbacher, J., et al. (2016). "European Summer Temperatures since Roman Times," *Environmental Research Letters* 11/2. doi: 10.1088/1748–9326/11/2/024001.

———. (2012). "Review of 2000 Years of Paleoclimatic Evidence in the Mediterranean," in *The Climate of the Mediterranean Region: From the Past to the Future*. Ed. P. Lionello. London: Elsevier. Pp. 87–185.

Luterbacher, J., and C. Pfister. (2015). "The Year without a Summer," *Nature Geoscience* 8: 246–48.

Lyttkens, Carl Hampus. (2013). *Economic Analysis of Institutional Change in Ancient Greece: Politics, Taxation and Rational Behavior*. London: Routledge.

Ma, Debin. (2011). "Law and Economy in Traditional China, a 'Legal Origin' Perspective on the Great Divergence," in *Law and Long-Term Economic Change: A Eurasian Perspective*. Ed. Debin Ma and Jan Luiten van Zanden. Stanford, CA: Stanford University Press. Pp. 46–67.

Ma, Debin, and Jan Luiten van Zanden. (2011a). "Law and Long-Term Economic Change: An Editorial Introduction," in *Law and Long-Term Economic Change: A Eurasian Perspective*. Ed. Debin Ma and Jan Luiten van Zanden. Stanford, CA: Stanford University Press. Pp. 1–18.

———. eds. (2011b). *Law and Long-Term Economic Change: A Eurasian Perspective*. Stanford, CA: Stanford University Press.

Ma, John. (2003). "Peer Polity Interaction in the Hellenistic Age," *Past and Present* 180: 9–39.

———. (2000). *Antiochos III and the Cities of Western Asia Minor*. Oxford: Oxford University Press.

Maddison, Angus. (2007). *Contours of the Roman Economy, 1–2020 AD: Essays in Macro-economic History*. Oxford: Oxford University Press.

Mair, Victor H., and Jane Hickman, eds. (2014). *Reconfiguring the Silk Road: New Research on East-West Exchange in Antiquity*. Philadelphia: University of Pennsylvania Press. Mairs, Rachel. (2014). *The Hellenistic Far East*. Berkeley: University of California Press. Malanima, Paolo. (2013). "Energy Consumption in the Roman World," in *The Ancient Mediterranean Environment between Science and History*. Ed. W. V. Harris. Leiden: Brill. Pp. 13–36.

Malinine, Michel. (1953). *Choix de Textes juridiques en Hiératique "anormal" et en démotique: Première Partie*. Paris: Librairie Ancienne Honoré Champion.

Malinowsky, Bronislaw. (1922). *Argonauts of the Western Pacific: An Account of Native Enterprise and Adventure in the Archipelagoes of Melanesian New Guinea*. London: Routledge and Kegan Paul.

Malkin, Irad. (2011). *A Small Greek World: Networks in the Ancient Mediterranean*. Oxford: Oxford University Press.

———. (2015a). "Hellenistic Trade(rs)," in *Traders in the Ancient Mediterranean*. Ed. Timothy Howe. Chicago: Ares. Pp. 101–39.

———. ed. (2015b). *Writing History in Time of War: Michael Rostovtzeff, Elias Bickerman and the "Hellenization" of Asia*. Stuttgart: Steiner Verlag.

———. (2011). "Networks, Hierarchies, and Markets in the Ptolemaic Economy," in *The Economies of Hellenistic Societies, Third to First Centuries BC*. Ed. Zosia H. Archibald, John K. Davies, and Vincent Gabrielsen. Oxford: Oxford University Press. Pp. 296–323.

———. (2010). *The Last Pharaohs: Egypt under the Ptolemies, 305–30 B.C.* Princeton, NJ: Princeton University Press.

———. (2005). "Texts, Contexts, Subtexts and Interpretative Frameworks: Beyond the Parochial and Toward (Dynamic) Modeling of the Ptolemaic State and the Ptolemaic Economy," *Bulletin of the American Society of Papyrologists* 42: 235–56.

———. (2003). *Land and Power in Ptolemaic Egypt: The Structure of Land Tenure*. Cambridge: Cambridge University Press.

———. (2002–3). "A Ptolemaic Agreement concerning a Donkey with an Unusual Warranty Clause: The Strange Case of P. Dem. Princ. 1 (inv. 7524)," *Enchoria* 28: 46–61.

———. (1999). "The Auction of Pharaoh," in *Gold of Praise: Studies on Ancient Egypt in Honor of Edward F. Wente*. Ed. Emily Teeter and John A. Larson. Chicago: Oriental Institute. Pp. 277–84.

———. (1994). "Land and Status in Ptolemaic Egypt: The Status Designation 'Occupation Title + B3k + Divine Name," in *Grund und Boden in Altägypten: (Rechtliche und Sozio-Ökonomische Verhältnisse); Akten des internationalen Symposions Tübingen 18.–20. Juni 1990*. Ed. Schafik Allam. Tübingen: Selbstverlag des Herausgebers. Pp. 147–75.

Manning, Joseph G., and Ian Morris, eds. (2005). *The Ancient Economy: Evidence and Models*. Stanford, CA: Stanford University Press.

Manning, Joseph G., et al. (2017). "Volcanic Suppression of Nile Summer Flooding Triggers Revolt and Constrains Interstate Conflict in Ancient Egypt," *Nature Communications* 8.

Manning, Sturt W. (2013). "The Roman World and Climate: Context, Relevance of Climate Change, and Some Issues," in *The Ancient Mediterranean Environment between Science and History*. Ed. W. V. Harris. Leiden: Brill. Pp. 103–70.

Marasco, Gabriele. (1988). *Economia, commerce e politica nel Mediterraneo fra il III e il II secolo a. C.* Florence: Dipartimento di Storia.

Marchand, Sylvie, and Antigone Marangou, eds. (2007). *Amphores d'Égypte de la Basse Époque à l'Époque arabe*. Cairo: Institut français d'Archéologie orientale.

Marchant, Jo. (2009). *Decoding the Heavens: Solving the Mystery of the World's First Computer*. Cambridge, MA: Da Capo.

———. (2006). "In Search of Lost Time," *Nature* 444: 534–38 (November 30, 2006). doi: 10.1038/444534a.

Marcus, Joyce. (1998). "The Peaks and Valleys of Ancient States: An Extension of the Dynamic Model," in *Archaic States*. Ed. Gary M. Feinman and Joyce Marcus. Santa Fe: School of American Research Press. Pp. 59–94.

Marek, Christian. (2016). *In the Land of a Thousand Gods: A History of Asia Minor in the Ancient World*. In collaboration with Peter Frei. Trans. Steven Rendall. Princeton, NJ: Princeton University Press.

Maresch, Klaus. (1996). *Bronze und Silber: Papyrologische Beiträge zur Geschichte der Währung im ptolemäischen und römischen Ägypten bis zum 2. Jahrhundert n. Chr.* Papyrologica Coloniensia 25. Opladen: Westdeutscher Verlag.

Margaritis, Evi. (2016). "Agricultural Production and Domestic Activities in Rural Hellenistic Greece," in *The Ancient Greek Economy: Markets, Households and City-States*. Ed. Edward M. Harris, David M. Lewis, and Mark Woolmer. Cambridge: Cambridge University Press. Pp. 187–203.

Marriner, Nick, et al. (2012). "ITCZ and ENSO-Like Pacing of Nile Delta Hydro-geomorphology during the Holocene," *Quaternary Science Reviews* 45: 73–84.

Marshall, Gordon. (1982). *In Search of the Spirit of Capitalism: Max Weber's Protestant Ethic Thesis*. London: Hutchinson.

Marsot, Afaf Lutfi al-Sayyid. (1984). *Egypt in the Reign of Muhammad Ali*. Cambridge: Cambridge University Press.

Martin, Cary J. (2009). *Demotic Papyri from the Memphite Necropolis in the Collections of the National Museum of Antiquities in Leiden, the British Museum and the Hermitage Museum*. Turnhout: Brepols.

Martini, I. Peter, and Ward Chesworth, eds. (2010). *Landscape and Societies: Selected Cases*. Dordrecht: Springer.

Marzano, Annalisa. (2013). "Agricultural Production in the Hinterland of Rome: Wine and Olive Oil," in *The Roman Agricultural Economy: Organization, Investment, and Production*. Ed. Alan Bowman and Andrew Wilson. Oxford: Oxford University Press. Pp. 85–106.

Massa, Charly, Fabrice Monna, Vincent Bichet, Émilie Gauthier, Rémi Losno, and Hervé Richard. (2015). "Inverse Modeling of Past Lead Atmospheric Deposition in South Greenland," *Atmospheric Environment* 105: 121–29.

Mathewson, Kent. (2017). "Obituary: Karl Wilhelm Butzer, 1934–2016," *Journal of Historical Geography* 55: 93–98.

Matthews, John A., et al., eds. (2012). *The Sage Handbook of Environmental Change*. Vol. 1. London: Sage.

Mattingly, David, ed. (2010). *The Archaeology of Fazzan*. Vol. 3, *Excavations of C. M. Daniels*. London: Society for Libyan Studies.

———. (2007). *The Archaeology of Fazzan*. Vol. 2, *Site Gazetteer, Pottery and Other Survey Finds*. London: Society for Libyan Studies.
———. (2003). *The Archaeology of Fazzan*. Vol. 1, *Synthesis*. London: Society for Libyan Studies.
———. (1994). "Regional Variation in Roman Oleoculture: Some Problems of Comparability," in *Landuse in the Roman Empire*. Ed. Jesper Carlsen, Peter Ørsetd, and Jens Erik Skydsgaard. Rome: "L'Erma" di Bretschneider. Pp. 91–106.
Mattingly, David, and R. Bruce Hitchner. (1995). "Roman Africa: An Archaeological Review," *Journal of Roman Studies* 85: 165–213.
Maucourant, J. (2012). "New Institutional Economics and History," *Journal of Economic Issues*, 46/1: 193–208.
Maucourant, J., and S. Plociniczak. (2013). "The Institution, the Economy and the Market: Karl Polanyi's Institutional Thought for Economists," *Review of Political Economy* 25/3: 512–31.
Mayer, Emanuel. (2012). *The Ancient Middle Classes: Urban Life and Aesthetics in the Roman Empire, 100 BCE–250 CE*. Cambridge, MA: Harvard University Press.
Mayerson, P. (2002). "Three Pharaonic Crops in the Ptolemaic Period: ὄλυρα (Emmer Wheat) and Maslins κριθόπυρον and ὀλυρόκριθον," *Zeitschrift für Papyrologie und Epigraphik* 141: 210–13.
Mayshar, Joram, Omer Moav, and Zvika Neeman. (2014). "Geography, Transparency and Institutions," working paper. http://www2.warwick.ac.uk/fac/soc/economics/staff/omoav/submission_2013398_paper.pdf.
Mazza, Roberta. (2001). *L'archivio degli Apioni: Terra, lavoro e proprieta senatoria nell'Egitto tardoantico*. Munera 17. Bari: Edipuglia.
McClish, Mark, and Patrick Olivelle. (2012). *The Arthasastra: Selections from the Classic Indian Work on Statecraft*. Indianapolis: Hackett.
McCloskey, Deirdre N. (2015). "Max U vs. Humanomics: A Critique of Neo-institutionalism," *Journal of Institutional Economics*. doi: 10.1017/S1744137415000053.
———. (2010). *Bourgeois Dignity: Why Economics Can't Explain the Modern World*. Chicago: University of Chicago Press.
———. (1996). "The Economics of Choice: Neoclassical Supply and Demand," in *Economics and the Historian*. Ed. T. G. Rawski et al. Berkeley: University of California Press. Pp. 122–58.
———. (1990). *If You're So Smart: The Narrative of Economic Expertise*. Chicago: University of Chicago Press.
McCloskey, Donald N. (1976). "Does the Past Have Useful Economics?," *Journal of Economic Literature* 14/2: 434–61.
McConnell, Joseph R., Gregg W. Lamorey, Steven W. Lambert, and Kendrick C. Taylor. (2002). "Continuous Ice-Core Chemical Analyses Using Inductively Coupled Plasma Mass Spectometry," *Environmental Science and Technology* 36/1: 7–11.
McCormick, Michael, et al. (2012). "Climate Change during and after the Roman Empire: Reconstructing the Past from Scientific and Historical Evidence," *Journal of Interdisciplinary History* 43/2: 169–220.
McEvedy, C., and Richard Jones. (1978). *Atlas of World Population History*. New York: Puffin.
McGing, Brian C. (1997). "Revolt Egyptian Style: Internal Opposition to Ptolemaic Rule," *Archiv für Papyrusforschung und verwandte Gebiete* 43/2: 273–314.

McMichael, Anthony J. (2011). "Insights from Past Millennia into Climatic Impacts on Human Health and Survival," *Proceedings of the National Academy of Sciences* 109/13: 4730–37.

———. (1997). "History Upside Down," *New York Review of Books*, May 15, 1997. http://www.nybooks.com/articles/1997/05/15/history-upside-down/.

———. (1992). *The Mountains of the Mediterranean world: An Environmental History*. Cambridge: Cambridge University Press.

McNeill, W. H. (1992). *The Global Condition: Conquerors, Catastrophe and Community*. Princeton, NJ: Princeton University Press.

McNeill, William H. (1976). *Plagues and People*. Garden City, NJ: Anchor.

McPherson, James M. (1988). *Battle Cry of Freedom: The Civil War Era*. New York: Oxford University Press.

Meadows, Andrew, and Kirsty Shipton, eds. (2001). *Money and Its Uses in the Ancient Greek World*. Oxford: Oxford University Press.

Medema, Steven G., and Warren J. Samuels. (2013). *The History of Economic Thought: A Reader*. 2d ed. London: Routledge.

Meiggs, Russell. (1982). *Trees and Timber in the Ancient Mediterranean World*. Oxford: Oxford University Press.

Meikle, Scott. (1995/2002). "Modernism, Economics, and the Ancient Economy," in Walter Scheidel and Sitta von Reden, eds., *The Ancient Economy*, New York: Routledge, 2002, 233–50. Originally published in *Proceedings of the Cambridge Philosophical Society* 41 (1995): 174–91.

———. (1995). *Aristotle's Economic Thought*. Oxford: Clarendon.

Ménard, Claude, and Mary M. Shirley. (2014). "The Contribution of Douglass North to New Institutional Economics," in *Institutions, Property Rights, and Economic Growth: The Legacy of Douglass North*. Ed. Sebastian Galiani and Itai Sened. Cambridge: Cambridge University Press. Pp. 11–29.

———. eds. (2005). *Handbook of New Institutional Economics*. Dordrecht: Springer Verlag.

Menard, R. R. (1991). "Transport Costs and Long-Range Trade, 1300–1800: Was There a European 'Transport Revolution' in the Early Modern Era?" in *The Political Economy of Merchant Empires*. Ed. J. D. Tracy. Cambridge: Cambridge University Press. Pp. 228–75.

Menger, Carl. (1909). "Geld," in *Schriften über Geldtheorie und Währungspolitik*. Ed. F. A. Hayek. Tübingen: Mohr, 1970. Pp. 1–116. English translation in *Carl Menger and the Evolution of Payments Systems*: *From Barter to Electronic Money*. Ed. M. Latzer and S. Schmitz. Cheltenham: Edward Elgar, 2002. Pp. 25–107.

Menu, Bernadette. (1988). "Les Actes de Vente en Égypte ancienne, particulièrement sous les Rois kouchites et saïtes," *Journal of Egyptian Archaeology* 74: 165–81. Reprinted *in Recherches sur l'Histoire juridique, économique et sociale de l'ancienne Égypte*. Vol. 2. Cairo: Institut français d'Archéolgie orientale, 1998. Pp. 305–23.

Metcalf, William E., ed. (2012). *The Oxford Handbook of Greek and Roman Coinage*. Oxford: Oxford University Press.

Migeotte, Léopold. (2014). *Les finances des cités grecques: Aux périodes classique et hellénistique*. Paris: Les Belles Lettres.

Mikhail, Alan. (2015). "Ottoman Iceland: A Climate History," *Environmental History* 20: 262–84.

Miller, Geoffrey P., ed. (2010). *Economics of Ancient Law*. Cheltenham: Edward Elgar.

Millett, Paul. (1991). *Lending and Borrowing in Ancient Athens*. Cambridge: Cambridge University Press.

Miron, Ronny. (2012). *Karl Jaspers: From Selfhood to Being*. Amsterdam: Rodopi.
Mitchell, Stephen. (2003). "The Galatians: Representation and Reality," in *A Companion to the Hellenistic World*. Ed. Andrew Erskine. Malden: Blackwell. Pp. 280–93.
Mitchell, Timothy. (2008). "Rethinking Economy," *Geoforum* 39: 1116–21.
———. (2002). *Rule of Experts: Egypt, Techno-Politics, Modernity*. Berkeley: University of California Press.
Modrzejewski, Joseph Mélèze. (2011). *Droit et Justice dans le Monde grec et hellénistique*. *Journal of Juristic Papyrology*. Supplement 10. Warsaw: Warsaw University.
Moeller, Nadine. (2016). *The Archaeology of Urbanism in Ancient Egypt from the Predynastic Period to the End of the Middle Kingdom*. Cambridge: Cambridge University Press.
Mokyr, Joel. (2016). *A Culture of Growth: The Origins of the Modern Economy*. Princeton, NJ: Princeton University Press.
———. (2014). "Culture, Institutions, and Modern Growth," in *Institutions, Property Rights, and Economic Growth: The Legacy of Douglass North*. Ed. Sebastian Galiani and Itai Sened. Cambridge: Cambridge University Press, Pp. 151–91.
———. (2005). "Is There a Theory of Economic History?," in *The Evolutionary Foundations of Economics*. Ed. Kurt Dopfer. Cambridge: Cambridge University Press. Pp. 195–218.
———. (1991). "Evolutionary Biology, Technological Change and Economic History," *Bulletin of Economic Research* 43/2: 127–49.
———. (2001). "Naukratis; or, How to Identify a Port of Trade," in *Prehistory and History: Ethnicity, Class and Political Economy*. Ed. D. W. Tandy. Montreal: Black Rose Books. Pp. 145–58.
———. (2000). *Naukratis: Trade in Archaic Greece*. Oxford: Oxford University Press.
Momigliano, Arnaldo. (1987). "Moses Finley on Slavery: A Personal Note," in *Classical Slavery*. Ed. Moses I. Finley. London: F. Cass. Pp. 1–8.
———. (1953). "In Memoria di Michele Rostovtzeff 1870–1952," *Rivista storica italiana* 66: 67–106.
Monroe, Christopher Mountfort. (2011). "{~?~thispace; also, please correct orientation of single open quote mark.}'From luxuries to anxieties': A Liminal View of the Late Bronze Age World-System," in *Interweaving Worlds: Systemic Interactions in Eurasia, 7th to 1st Millennia BC*. Ed. Toby C. Wilkinson, Susan Sherratt, and John Bennet. Oxford: Oxbow Books. Pp. 87–99.
———. (2010). "Sunk Costs at Late Bronze Age Uluburun," *Bulletin of the American Schools of Oriental Research* 357: 15–29.
———. (2009). *Scales of Fate: Trade, Tradition, and Transformation in the Eastern Mediterranean ca. 1350–1175 BCE*. Münster: Ugarit-Verlag.
———. (2010). "Rules of an Egyptian Religious Association from the Early Second Century BCE" (with C. Arlt), in *Honi soit qui mal y pense: Studien zum pharaonischen, griechisch-römischen und spätantiken Ägypten zu Ehren von Heinz-Josef Thissen*. Ed. H. Knuf, C. Leitz, and D. von Recklinghausen. Orientalia Lovaniensia Analecta 194. Leuven: Peeters. Pp. 113–22.
Monson, Andrew, and Walter Scheidel, eds. (2015). *Fiscal Regimes and the Political Economy of Premodern States*. Cambridge: Cambridge University Press.
Morel, Jean-Paul. (2007). "Early Rome and Italy," in *The Cambridge Economic History of the Greco-Roman World*. Ed. Walter Scheidel, Ian Morris, and Richard Saller. Cambridge: Cambridge University Press. Pp. 487–510.
Morelli, Franco. (2011). "Dal Mar Rosso ad Alessandria. Il *verso* (ma anche il *recto*) del 'papiro di Muziris' (SB XVIII 13167)," *Tyche* 26: 199–233.

Moreno, Alfonson. (2007). “Athenian Wheat-Tsars: Black Sea Grain and Elite Culture,” in *The Black Sea in Antiquity: Regional and Inter-regional Economic Exchanges*. Ed.
Vincent Gabrielsen and John Lund. Aarhus: Aarhus University Press. Pp. 69–84.
Moreno García, Juan Carlos. (2016a). “Economies in Transition: Trade, “Money,” Labour and Nomads at the Turn of the 1st Millennium BC,” in *Dynamics of Production in the Ancient Near East, 1300–5000 BC*. Oxford: Oxbow. Pp. 1–39.
———. (2016b). “Temples and Agricultural Labor in Egypt, from the Late New Kingdom to the Saite Period,” in *Dynamics of Production in the Ancient Near East, 1300–5000 BC*. Ed. Juan Carlos Moreno García. Oxford: Oxbow. Pp. 223–56.
———. (2015). “L’évolution des status de la maind’œuvre rurale en Égypte de la fin du Nouvel Empire à l’époque Saïte (ca. 1150–525 av. J. C.),” in *La main d’oeuvre agricole en Méditerranée archaïque*. Ed. J. Zurbach. Bordeaux: Éditions Ausonius. Pp. 15–48.
———. (2014). “Recent Developments in the Social and Economic History of Ancient Egypt,” *Journal of Ancient Near Eastern History* 2014/1–2: 231–61.
———. (2012). “Households,” in *The UCLA Encyclopedia of Egyptology*. https://escholarship.org/uc/item/2bn8c9gz.
———. (2009). “From Dracula to Rostovtzeff; or, The Misadventures of Economic History in Early Egyptology,” in *Das Ereignis—Geschichtsschreibung zwischen Vorfall und Befund (IBAES, 10)*. Ed. M. Fitzenreiter. London: Golden House. Pp. 175–98.
———. (2007). “The State and the Organization of the Rural Landscape in 3rd Millennium BC Pharaonic Egypt,” in *Aridity, Change and Conflict in Africa*. Ed. Michael Bollig, Olaf Bubenzer, Ralf Vogelsang, and Hans-Peter Wotzka. Cologne: Heinrich- Barth-Institut. Pp. 313–30.
Morgan, Mary S. (2003). “Economics,” in *The Cambridge History of Science*. Vol. 7, *The Modern Social Sciences*. Ed. Theodore M. Porter and Dorothy Ross. Cambridge: Cambridge University Press. Pp. 275–305.
Morkot, Robert G. (2016). “North-East Africa and Trade at the Crossroads of the Nile Valley, the Mediterranean and the Red Sea,” in *Dynamics of Production in the Ancient Near East, 1300–5000 BC*. Ed. Juan Carlos Moreno García. Oxford: Oxbow. Pp. 257–74.
Morley, Neville. (2007). *Trade in Classical Antiquity*. Cambridge: Cambridge University Press.
———. (2004). *Theories, Models and Concepts in Ancient History*. London: Routledge.
———. (2001). “Demography and Development in Classical Antiquity,” in *Demography and the Graeco-Roman World: New Insights and Approaches*. Ed. Claire Holleran and April Pudsey. Cambridge: Cambridge University Press. Pp. 14–36.
———. (1999). *Writing Ancient History*. Ithaca, NY: Cornell University Press.
———. (1996). *Metropolis and Hinterland: The City of Rome and the Italian Economy 200 BC–AD 200*. Cambridge: Cambridge University Press.
Morris, Ian. (2014). *War! What Is It Good For? Conflict and the Progress of Civilization from the Primates to the Robots*. New York: Farrar, Straus, Giroux.
———. (2013). *The Measure of Civilization: How Social Development Decides the Fate of Nations*. Princeton, NJ: Princeton University Press.
———. (2010). *Why the West Rules—for Now: The Patterns of History, and What They Reveal about the Future*. New York: Farrar, Straus, Giroux.
———. (2009). “The Greater Athenian State,” in *The Dynamics of Ancient Empires: State Power from Assyria to Byzantium*. Ed. I. Morris and W. Scheidel. Oxford: Oxford University Press. Pp. 99–177.
———. (2007). “Early Iron Age Greece,” in *The Cambridge Economic History of the Greco-Roman World*. Ed. Walter Scheidel, Ian Morris, and Richard Saller. Cambridge: Cambridge University Press. Pp. 211–41.

———. (2006). “The Growth of Greek Cities in the First Millennium BC,” in *Urbanism in the Preindustrial World: Cross-Cultural Approaches*. Ed. Glenn. R. Story. Tuscaloosa: University of Alabama Press. Pp. 27–51.

———. (2005). “Archaeology, Standards of Living, and Greek Economic History,” in *The Ancient Economy: Evidence and Models*. Ed. J. G. Manning and Ian Morris. Stanford, CA: Stanford University Press. Pp. 91–126.

———. (2004). “Classical Archaeology,” in *A Companion to Archaeology*. Ed. John Bintliff. Malden, MA: Blackwell. Pp. 253–71.

———. (2003). “Mediterraneanization,” *Mediterranean Historical Review* 18: 30–55.

———. (2002). “Hard Surfaces,” in *Money, Labor and Land: Approaches to Economies of Ancient Greece*. London: Routledge. Pp. 8–43.

———. (2000). *Archaeology as Cultural History: Words and Things in Iron Age Greece*. Malden, MA: Blackwell.

———. (1999). “Foreword,” in *The Ancient Economy* by M. I. Finley. 2d ed. Berkeley: University of California Press. Pp. ix–xxxvi.

———. (1994). “The Athenian Economy Twenty Years after *The Ancient Economy*,” *Classical Philology* 89/4: 351–66.

———. (1986). “Gift and commodity in archaic Greece.” *Man*, n.s., 21: 1–17.

Morris, Ian, and J. G. Manning. (2005a). “The Economic Sociology of the Ancient Mediterranean World,” in *The Handbook of Economic Sociology*. 2d ed. Ed. Neil J. Smelser and Richard Swedburg. Princeton, NJ: Princeton University Press. Pp. 131–59.

———. (2005b). “Introduction,” in *The Ancient Economy: Evidence and Models*. Stanford, CA: Stanford University Press. Pp. 1–44.

Morris, Ian, Richard P. Saller, and Walter Scheidel. (2007). “Introduction,” in *The Cambridge Economic History of the Greco-Roman World*. Ed. Walter Scheidel, Ian Morris, and Richard Saller. Cambridge: Cambridge University Press. Pp. 1–12.

Mouritsen, H. (2011). *The Freedman in the Roman World*. Cambridge: Cambridge University Press.

Muhs, Brian P. (2016). *The Ancient Egyptian Economy 3000–30 BCE*. Cambridge: Cambridge University Press.

———. (2015a). “Transaction Costs and Institutional Change in Egypt, ca. 1070–525 B.C.,” in *Law and Transaction Costs in the Ancient Economy*. Ed. Dennis Kehoe, David M. Ratzan, and Uri Yiftach. Ann Arbor: University of Michigan Press. Pp. 80–98.

———. (2015b). “Money, Taxes, and Maritime Trade in Late Period Egypt,” in *Thonis-Heracleion in Context*. Ed. Damian Robinson and Franck Goddio. Oxford: Oxford Centre for Maritime Archaeology. Pp. 91–99.

———. (2011). *Receipts, Scribes, and Collectors in Early Ptolemaic Thebes (O. Taxes 2)*. Leuven: Peeters.

———. (2001). “Membership in Private Associations in Ptolemaic Tebtunis,” *Journal of the Economic and Social History of the Orient* 44/1: 1–21.

Müller, Christel, and Claire Hasenohr, eds. (2002). *Les Italiens dans le monde grec: IIe siècle av. J. C. Ier siècle ap. J. C. Circulation, activités, integration*. Paris: École Française d’Athènes.

Müller, Gerfrid G. W. (1995–96). “Die Teuerung in Babylon im 6. Jh. v.Chr.,” *Archiv für Orientforschung* 42/43: 163–75.

Müller-Wollermann, Renata. (2016). “Temples, Trade and Money in Egypt in the 1st Millennium BC,” in *Dynamics of Production in the Ancient Near East, 1300–5000 BC*. Ed. Juan Carlos Moreno García. Oxford: Oxbow. Pp. 275–88.

Murray, Sarah C. (2017). *The Collapse of the Mycenaean Economy: Imports, Trade, and Institutions 1300–700 BCE*. Cambridge: Cambridge University Press.

Murray, W. M. (2012). *The Age of Titans: The Rise and Fall of the Great Hellenistic Navies*. Oxford: Oxford University Press.

Muscheler, Raimund, and Erich Fischer. (2012). "Solar and Volcanic Forcing of Decadal to Millennial-Scale Climatic Variations," in *The Sage Handbook of Environmental Change*. Ed. John A. Matthews et al. Vol. 1. London: Sage. Pp. 444–70.

Nafissi, Mohammed. (2005). *Ancient Athens and Modern Ideology: Value, Theory, and Evidence in Historical Sciences: Max Weber, Karl Polanyi and Moses Finley*. London: Institute of Classical Studies.

———. (2000). "On the Foundations of Athenian Democracy: Marx's Paradox and Weber's Solution," *Max Weber Studies* 1: 56–83.

Naiden, Fred S. (2014). "Finley's War Years," *American Journal of Philology* 135/2: 243–66.

Nakassis, Dimitri. (2013). *Individuals and Society in Mycenaean Pylos*. Leiden: Brill.

Neal, Larry, and Jeffrey G. Williamson, eds. (2014). *The Cambridge History of Capitalism*. 2 vols. Cambridge: Cambridge University Press.

Needham, Joseph, Ling Wang, and Derek J. De Solla Price. (1986). *Heavenly Clockwork: The Great Astronomical Clocks of Medieval China*. 2d. ed. Cambridge: Cambridge University Press.

Nevett, Lisa C. (1999). *House and Society in the Ancient Greek World*. Cambridge: Cambridge University Press.

Nicholson, Paul T., and Ian Shaw, eds. (2000). *Ancient Egyptian Materials and Technology*. Cambridge: Cambridge University Press.

Niemeyer, Hans Georg. (2006). "The Phoenicians in the Mediterranean: Between Expansion and Colonization: A Non-Greek Model of Overseas Settlement and Presence," in *Greek Colonization: An Account of Greek Colonies and Other Settlements Overseas*. Ed. Gocha R. Tsetskhladze. Vol. 1. Leiden: Brill. Pp. 143–68.

———. (2004). "The Phoenicians and the Birth of a Multinational Mediterranean Society," in *Commerce and Monetary Systems in the Ancient World: Means of Transmission and Cultural Interaction*. Ed. Robert Rollinger and Christoph Ulf. Munich: Franz Steiner Verlag. Pp. 245–56.

———. (1990). *Institutions, Institutional Change and Economic Performance*. Cambridge: Cambridge University Press.

———. (1986). "A Neoclassical Theory of the State," in *Rational Choice*. Ed. Jon Elster. New York: New York University Press. Pp. 248–60.

———. (1981). *Structure and Change in Economic History*. New York: Norton.

North, Douglass C., and Robert Paul Thomas. (1973). *The Rise of the Western World: A New Economic History*. Cambridge: Cambridge University Press.

North, Douglass, John Joseph Wallis, and Barry Weingast. (2009). *Violence and Social Orders: A Conceptual Framework for Interpreting Recorded History*. New York: Cambridge University Press. Paperback with new foreword, 2013.

Nunn, Nathan, and Diego Puga. (2012). "Ruggedness: The Blessing of Bad Geography in Africa," *Review of Economics and Statistics* 94: 2–36.

Nur, Amos. (2000). "Poseidon's Horses: Plate Tectonics and Earthquake Storms in the Late Bronze Age Aegean and Eastern Mediterranean," *Journal of Archaeological Sciences* 27: 43–63.

Nur, Amos, with Dawn Burgess. (2008). *Apocalypse: Earthquakes, Archaeology, and the Wrath of God*. Princeton, NJ: Princeton University Press. Pp. 224–45.

Ober, Josiah. (2015a). *The Rise and Fall of Classical Greece*. Princeton, NJ: Princeton University Press.

———. (2015b). "Access, Fairness, and Transaction Costs: Nikophon's Law on Silver Coinage (Athens, 375/4 BCE)," in *Law and Transaction Costs in the Ancient Economy*. Ed. Dennis Kehoe, David M. Ratzan, and Uri Yiftach. Ann Arbor: University of Michigan Press. Pp. 51–79.

———. (2014). "Greek Economic Performance, 800–300 BCE: A Comparison Case," in *Quantifying the Greco-Roman Economy and Beyond*. Ed. François de Callataÿ. Bari: Edipuglia. Pp. 103–22.

———. (1993). "Urbanism in Bronze Age Egypt and Northeast Africa," in *The Archaeology of Africa: Food, Metals and Towns*. Ed. Thurstan Shaw, Paul Sinclair, Bassey Andah, and Alex Okpoko. London: Routledge. Pp. 570–86.

O'Leary, Brendan. (1989). *The Asiatic Mode of Production: Oriental Despotism, Historical Materialism and Indian History*. Oxford: Blackwell.

Oleson, John Peter, ed. (2008). *The Oxford Handbook of Engineering and Technology in the Classical World*. Oxford: Oxford University Press.

———. (2000). "Water-Lifting," in *Handbook of Ancient Water Technology*. Ed. Ö. Wikander. Leiden: Brill. Pp. 217–302.

Oliver, Graham J. (2011). "Mobility, Society, and Economy in the Hellenistic Period," in *The Economies of Hellenistic Societies, Third to First Centuries BC*. Ed. Zosia H. Archibald, John K. Davies, and Vincent Gabrielsen. Oxford: Oxford University Press. Pp. 345–67.

———. (2007). *War, Food, and Politics in Early Hellenistic Athens*. Oxford: Oxford University Press.

———. (2001). "Regions and Microregions: Grain for Rhamnous," in *Hellenistic Economies*. Ed. Zofia H. Archibald, John K. Davies, Vincent Gabrielsen, and G. J. Oliver.London: Routledge. Pp.137– 55.

Oppenheim, A. Leo. (1964). *Ancient Mesopotamia: Portrait of a Dead Civilization*. Chicago: University of Chicago Press.

———. (1960). "Assyriology—Why and How?," *Current Anthropology* 1/5–6: 409–23.

Orrieux, Claude. (1983). *Les Papyrus de Zenon: L'horizon d'un grec en Égypte au IIIe siècle avant J.C.* Paris: Éditions Macula.

Ortega, Pablo, et al. (2015). "A Model-Tested North Atlantic Oscillation Reconstruction for the Past Millennium," *Nature* 523: 71–74. doi: 10.1038/nature14518.

Osborne, Robin. (1996a). *Greece in the Making, 1200–479 BC*. London: Routledge.

———. (1996b). "Pots, Trade and the Archaic Greek Economy," *Antiquity* 70: 31–44.

———. (1995). "The Economy and Politics of Slavery at Athens," in *The Greek World*, Ed. A. Powell. London: Routledge. Pp. 27–43.

———. (1987). *Classical Landscape with Figures: The Ancient Greek City and Its Countryside*. Dobbs Ferry, NY: Sheridan House.

Papadopoulos, John. (2016). "The Early History of the Greek Alphabet: New Evidence from Eretria and Methone," *Antiquity* 90 (353): 1238–54.

Park, T. (1992). "Early Trends toward Class Stratification: Chaos, Common Property, and Flood Recession Agriculture," *American Anthropologist* 94/1: 90–117. Retrieved from http://www.jstor.org/stable/680039.

Parker, A. J. (1992). *Ancient Shipwrecks of the Mediterranean and the Roman Provinces*. Oxford: BAR.

Parker, Richard. (2013). *Global Crisis: War, Climate Change and Catastrophe in the Seventeenth Century*. New Haven, CT: Yale University Press.

Parkin, Tim G. (1992). *Demography and Roman Society*. Baltimore: Johns Hopkins University Press.

Parkins, Helen. (1998). "Time for a Change? Shaping the Future of the Ancient Economy," in *Trade, Traders and the Ancient City*. Ed. Helen Parkins and Christopher Smith. London: Routledge. Pp. 1–14.

Parpola, Simo, and Kazuko Watanabe (1988). *Neo-Assyrian Treaties and Loyalty Oaths*. State Archives of Assyria, vol. 2. Helsinki: Helsinki University Press.

Paterson, Jeremy. (1998). "Trade and Traders in the Roman World: Scale, Structure, and Organization," in *Trade, Traders and the Ancient City*. Ed. Helen Parkins and Christopher Smith. London: Routledge. Pp. 149–67.

Patterson, Cynthia. (1998). *The Family in Greek History*. Cambridge, MA: Harvard University Press.

Patterson, Orlando. (1982). *Slavery and Social Death: A Comparative Study*. Cambridge, MA: Harvard University Press.

Peacock, Mark S. (2006). "The Origins of Money in Ancient Greece: The Political Economy of Coinage and Exchange," *Cambridge Journal of Economics* 30: 637–50.

Pearce, Laurie. (2014). "Family Structures, Ancient Near East," in *The Oxford Encyclopedia of the Bible and Gender Studies*. Vol. 1. Ed. Julia M. O'Brian. Oxford: Oxford University Press. Pp. 195–99.

Pearson, Harry W., ed. (1977). *The Livelihood of Man*. New York: Academic Press.

———. (1957). "The Secular Debate on Economic Primitivism," in *Trade and Market in the Early Empires: Economies in History and Theory*. Ed. Karl Polanyi, Conrad M. Arensberg, and Harry W. Pearson. New York: Free Press. Pp. 3–11.

———. (1990). *The New Papyrological Primer*. Leiden: Brill.

———. (1981). *A Guide to the Zenon Archive*. Leiden: Brill.

———. (1980). *Greek and Demotic Texts from the Zenon Archive*. Papyrologica Lugduno-Batava, vol. 20. Leiden: Brill.

———. (1961). *Marriage and Matrimonial Property in Ancient Egypt: A Contribution to Establishing the Legal Position of the Woman*. Leiden: E. J. Brill.

Petrie, Cameron A., et al. (2017). "Adaptation to Variable Environments, Resilience to Climate Change: Investigating Land, Water and Settlement in Indus Northwest India," *Current Anthropology* 58/1.

Peyronel, Luca. (2010). "Ancient Near Eastern Economics. The Silver Question between Methodology and Archaeological Data," in *Proceedings of the 6th International Congress on the Archaeology of the Ancient Near East May, 5th–10th 2008, "Sapienza"— Università di Roma*. Vol. 1, *Near Eastern Archaeology in the Past, Present and Future: Heritage and Identity*. Ed. Paolo Matthiae, Frances Pinnock, Lorenzo Nigro, and Nicolò Marchetti. Wiesbaden: Harrassowitz. Pp. 925–48.

Pfeiffer, Stefan. (2010). "Naukratis, Heracleion-Thonis and Alexandria: Remarks on the Presence of Trade Activities of Greeks in the North-West Delta from the Seventh Century B.C. to the End of the Fourth Century B.C.," in *Alexandria and the North- Western Delta*. Ed. Damian Robinson and Andrew Wilson. Oxford: Oxford Centre for Maritime Archaeology. Pp. 15–24.

———. (2004). *Das Dekret von Kanopos (238 v. Chr.): Kommentar und historische Auswertung eines dreisprachigen Synodaldekretes der ägyptischen Priester zu Ehren Ptolemaios' III. und seiner Familie*. München: K. G. Saur.

Phillipson, Nicholas. (2010). *Adam Smith: An Enlightened Life*. New Haven, CT: Yale University Press.

Piketty, Thomas. (2014). *Capital in the Twenty-First Century*. Trans. Arthur Goldhammer. Cambridge, MA: Belknap Press of Harvard University Press.

Pilkington, Nathan. (2013). "Growing Up Roman: Infant Mortality and Reproductive Development," *Journal of Interdisciplinary History* 44: 1–35.

Pleket, H. W. (1990). "Wirtschaft und Gesellschaft des Imperium Romanum: 2. Wirtschaft," in *Handbuch der europäischen Wirtschaftsund Sozialgeschichte*. Vol. 1. Ed. W. Fischer, J. A. van Hooute and H. Kellenbenz. Stuttgart. Pp. 25–160.

———. (1983). "Urban Elites and Businesses in the Greek Part of the Roman Empire," in *Trade in the Ancient Economy*. Ed. P. Garnsey, K. Hopkins, and C. R. Whittaker. Berkeley: University of California Press. Pp. 131–44.

Plender, John. (2015). *Capitalism: Money, Morals and Markets*. London: Biteback. Poblome, Jeroen. (2015). "The Economy of the Roman World as a Complex Adaptive System: Testing the Case in Second to Fifth Century CE Sagalassos," in *Structure and Performance in the Roman Economy: Models, Methods and Case Studies*. Ed. PaulErdkamp and Koenraad Verboven. Brussels: Éditions Latomus. Pp. 97–140.

Polanyi, Karl. (1977). *The Livelihood of Man*. Ed. Harry W. Pearson. New York: Academic Press.

———. (1960). "On the Comparative Treatment of Economic Institutions in Antiquity, with Illustrations from Athens, Mycenae, and Alalakh," in *City Invincible: A Symposium on Urbanization and Cultural Development in the Ancient Near East*. Ed. Kraeling and Adams. Chicago: Oriental Institute. Pp. 329–50.

———. (1957a). "Aristotle Discovers the Economy," in *Trade and Market in the Early Empires: Economies in History and Theory*. Ed. Karl Polanyi, Conrad M. Arensberg, and Harry W. Pearson. New York: Free Press. Pp. 64–94.

———. (1957b). "Marketless Trading in Hammurabi's Time," in *Trade and Market in the Early Empires: Economies in History and Theory*. Ed. Karl Polanyi, Conrad M. Arensberg, and Harry W. Pearson. New York: Free. Pp. 12–26.

———. (1957c). "The Economy as Instituted Process," in *Trade and Market in the Early Empires: Economies in History and Theory*. Ed. Karl Polanyi, Conrad M. Arensberg, and Harry W. Pearson. New York: Free Press. Pp. 243–70.

———. (1944). *The Great Transformation*. New York: Farrar and Rinehart.

Polanyi, Karl, Conrad M. Arensberg, and Harry W. Pearson, eds. (1957). *Trade and Market in the Early Empires: Economies in History and Theory*. New York: Free Press.

Polanyi-Levitt, Kari, ed. (1990). *The Life and Work of Karl Polanyi: A Celebration*. Montreal: Black Rose Books.

Pollard, Elizabeth Ann. (2014). "The Mediterranean and Indian Ocean," in *A Companion to Mediterranean History*. Ed. Peregrine Horden and Sharon Kinoshita. Malden, MA: Wiley-Blackwell. Pp. 457–74.

Poloni-Simard, Jacques. (2003). "Fernand Braudel," in *Les historiens*. Paris: Armand Colin. Pp. 137–60.

Pomeranz, Kenneth. (2000). *The Great Divergence: China, Europe, and the Making of the Modern World Economy*. Princeton, NJ: Princeton University Press.

Pomeranz, Kenneth, and Steven Topik, eds. (2006). *The World That Trade Created: Society, Culture, and the World Economy, 1400 to Present*. 2d ed. Armonk, NY: M. E. Sharpe.

Pomeroy, Sarah B. (1997). *Families in Classical and Hellenistic Greece: Representations and Realities*. Oxford: Clarendon.

———. (1994). *Xenophon*, Oeconomicus*: A Social and Historical Commentary*. Oxford: Oxford University Press.

Popham, M. R. (1994). "Precolonization: Early Greek Contact with the East," in *The Archaeology of Greek Colonisation*. Ed. G. R. Tsetskhladze and F. de Angelis. Oxford: Oxford University Committee for Archaeology. Pp. 11–34.

Porten, B., and A. Yardeni. (1993) *Textbook of Aramaic Documents from Ancient Egypt*. Newly copied, edited, and translated into Hebrew and English. Vol. 3, *Literature, Accounts, Lists*. Jerusalem: Department of the History of the Jewish People, Hebrew University.

Posner, Richard A. (1980). "A Theory of Primitive Society, with Special Reference to Law," *Journal of Law and Economics* 23/1: 1–53.

Postgate, J. N. (1979). "The Economic Structure of the Assyrian Empire," in *Power and Propaganda: A Symposium on Ancient Empires*. Ed. Mogens Trolle Larsen. Copenhagen: Akademisk Forlag. Pp. 193–221.

Potts, Daniel T. (1997). *Mesopotamian Civilization: The Material Foundations*. Ithaca, NY: Cornell University Press.

Prag, Jonathan R. W., and Josephine Crawley Quinn, eds. (2013). *The Hellenistic West: Rethinking the Ancient Mediterranean*. Cambridge: Cambridge University Press.

Préaux, Claire. (1978). *Le monde hellénistique, La Grèce et l'Orient (323–146. av. J. C.)*. 2 vols. Paris: Presses universitaires de France.

———. (1939). *L'Économie royale des Lagides*. Brussels: Fondation égyptologique Reine Élisabeth.

———. (1996). *Analysis of the Weight Assemblages from the Late Bronze Age Shipwrecks at Uluburun and Cape Gelidonya, Turkey*. PhD diss., Texas A&M University.

Purcell, Nicholas. (2012). "Rivers and the Geography of Power," *Pallas* 90: 373–87. Quack, Joachim Friedrich. (2011). "Das Diktum Tutu über die Eingabe an Numenios," in

Ägypten zwischen innerem Zwist und äußerem Druck: Die Zeit Ptolemaios' VI. bis VIII. Ed. Andrea Jördens and Joachim Friedrich Quack. Philippika. Marburger altertum-skundliche Abhandlungen 45. Wiesbaden: Harrassowitz. Pp. 268–75.

———. (2005). *Einführung in die altägyptische Literaturgeschichte III: Die demotische und gräkoägyptische Literatur*. Münster: LIT Verlag.

Raaflaub, Kurt A. (2009). "Learning from the Enemy: Athenian and Persian 'Instruments of Empire,' " in *Interpreting the Athenian Empire*. Ed. John Ma, Nikolas Papazarkadas, and Robert Parker. London: Duckworth. Pp. 89–124.

———. (2004). "Archaic Greek Aristocrats as Carriers of Cultural Interaction," in *Commerce and Monetary Systems in the Ancient World: Means of Transmission and Cultural Interaction*. Ed. Robert Bollinger and Christoph Ulf. Oriens et Occidens 6. Stuttgart: Franz Steiner Verlag. Pp. 197–217.

Raaflaub, Kurt A., and Nathan Rosenstein, eds. (1999). *War and Society in the Ancient and Medieval Worlds: Asia, the Mediterranean, Europe and Mesoamerica*. Washington, DC: Center for Hellenic Studies.

Rabb, Theodore K. (1981). "The Historian and the Climatologist," in *Climate and History: Studies in Interdisciplinary History*. Ed. Robert I. Rotberg and Theodore K. Rabb. Princeton, NJ: Princeton University Press. Pp. 251–52.

Radkau, Joachim. (2009). *Max Weber: A Biography*. Trans. Patrick Camiller. Cambridge: Polity. Original German edition *Max Weber*. Munich: Carl Hanser Verlag, 2005.

———. (2008). *Nature and Power: A Global History of the Environment*. Cambridge: Cambridge University Press.

Radner, Karen. (2015). "Hired Labor in the Neo-Assyrian Empire," in *Labor in the Ancient World*. Ed. P. Steinkeller and M. Hudson. Dresden: ISLET-Verlag. Pp. 329–43.

———. (2011). "The Assur-Nineveh-Arbela Triangle: Central Assyria in the Neo-Assyrian Period," in *Between the Cultures: The Central Tigris Region from the 3rd to the 1st Mil*

lennium BC. Ed. Peter A. Miglus and Simone Mühl. Heidelberg: Heidelberger Orientverlag. Pp. 321–29.
———. (1999). "Money in the Neo-Assyrian Empire," in *Trade and Finance in Ancient Mesopotamia: Proceedings of the first MOS Symposium (Leiden 1997)*. Ed. J. G. Dercksen. Leiden: Nederlands Instituut voor het Nabije Oosten. Pp. 127–57.
Rahmstorf, Lorenz. (2006). "Zur Ausbreitung vorderasiatischer Innovationen in die frühbronzezeitliche Ägäis," *Prähistorische Zeitschrift* 81: 49–96.
Rainville, Lynn. (2012). "Household Matters: Techniques for Understanding Assyrian Houses," in *New Perspectives on Household Archaeology*. Ed. Bradley J. Parker and Catherine P. Foster. Winona Lake, IN: Eisenbrauns. Pp. 139–64.
Ramsay, John T., and A. Lewis Licht. (1997). *The Comet of 44 BC and Caesar's funeral Games*. Atlanta: Scholars Press.
Rangarajan, L. N. (1992). *Kautilya, the Arthashastra* . Haryana: Penguin Books India. Rasmussen, Simon, et al. (2015). "Early Divergent Strains of *Yersinia pestis* in Eurasia 5,000 Years Ago," *Cell* 163: 571–82. http://dx.doi.org/10.1016/j.cell.2015.10.009. Rathbone, Dominic. (2008). "Poor Peasants and Silent Sherds," in *People, Land, and*
———. (2006). "Poverty and Population in Roman Egypt," in *Poverty in the Roman World*. Ed. Margaret Atkins and Robin Osborne. Cambridge: Cambridge University Press. Pp. 100–14.
———. (1994). "Ptolemaic to Roman Egypt: The Death of the Dirigiste State?," in *Production and Public Powers in Antiquity: Proceedings of the Eleventh International Economic History Congress*. Ed. E. Lo Cascio and D. Rathbone. Milan: Università Bocconi. Pp. 29–40. Revised in Cambridge Philological Society. Supplementary vol. 26 (2000): 44–54.
———. (1991). *Economic Rationalism and Rural Society in Third-Century AD Egypt*. Cambridge: Cambridge University Press.
———. (1990). "Villages, Land and Population in Graeco-Roman Egypt," in *Proceedings of the Cambridge Philological Society*, n.s., 36: 103–42.
———. (1983). "The Grain Trade and Grain Shortages in the Hellenistic East," in *Trade and Famine in Classical Antiquity*. Ed. Peter Garnsey and C. R. Whittaker. Cambridge: Cambridge Philological Society. Pp. 45–55.
Rathbone, Dominic, and Sitta von Reden. (2015). "Mediterranean Grain Prices in Classical Antiquity," in *A History of Market Performance: From Ancient Babylonia to the Modern World*. Ed. R. J. van der Spek, Bas van Leeuwen, and Jan Luiten van Zanden. London: Routledge. Pp. 149–235.
Rauh, Nicholas K. (1999). "Rhodes, Rome, and the Eastern Mediterranean Wine Trade, 166–88 BC," in *Hellenistic Rhodes: Politics, Culture, and Society*. Ed. Vincent Gabrielsen, Per Bilde, Troels Engberg Pedersen, Lise Hannestad, and Jan Zahle. Studies in Hellenistic Civilization 9. Aarhus: Aarhus University Press. Pp. 162–86.
Rauh, N., et al. (2009). "Life in the Truck Lane: Urban Development in Western Rough Cilicia," *Jahreshefte des Österreichischen Archäologischen Institutes in Wien* 78: 253–312.
Rawski, Thomas G., et al. (1996). *Economics and the Historian*. Berkeley: University of California Press.
Ray, John D. (2002). *Reflections of Osiris: Lives from Ancient Egypt*. Oxford: Oxford University Press.
———. (1976). *The Archive of Ḥor*. London: Egypt Exploration Society.
Reale, Oreste, and Paul Dirmeyer. (2000). "Modeling the Effects of Vegetation on Mediterranean Climate during the Roman Classical Period: Part I. Climate History and Model Sensitivity," *Global and Planetary Change* 25: 163–84.

Reale, Oreste, and Jagadish Shukla. (2000). "Modeling the Effects of. Vegetation on Mediterranean Climate during the Roman Classical Period: Part II. Model Simulation," *Global and Planetary Change* 25: 185–214.

Redfield, Robert. (1956). *Peasant Society and Culture: An Anthropological Approach*. Chicago: University of Chicago Press.

Reed, C. M. (2003). *Maritime Traders in the Ancient Greek World*. Cambridge: Cambridge University Press.

Reger, Gary. (2011). "Inter-regional Economies in the Aegean Basin," in *The Economies of Hellenistic Societies, Third to First Centuries BC* . Ed. Zosia H. Archibald, John K. Davies, and Vincent Gabrielsen. Oxford: Oxford University Press. Pp. 368–89.

———. (2007). "Traders and Travelers in the Black and Aegean Seas," in *The Black Sea in Antiquity: Regional and Interregional Economic Exchange*. Ed. Vincent Gabrielsen and John Lund. Aarhus: Aarhus University Press. Pp. 273–85.

———. (2004). "Sympoliteiai in Hellenistic Asia Minor," in *The Greco-Roman East: Politics, Culture, Society*. Ed. Stephen Colvin. Yale Classical Studies 31. Cambridge: Cambridge University Press. Pp. 145–81

———. (2003). "Aspects of the Role of Merchants in the Political Life of the Hellenistic World," in *Mercanti e politica nel mondo antico*. Ed. Carlo Zaccagnini. Rome: "L'Erma" di Bretschneider. Pp. 165–97.

———. (2002). "The Price Histories of Some Imported Goods on Independent Delos," in *The Ancient Economy*. Ed. Walter Scheidel and Sitta von Reden. London: Routledge. Pp. 133–54. Originally published as "The Price Histories of Some Imported Goods on Independent Delos," in *Économie antique: Prix et formation des prix dans les économies antiques*. Ed. J. Andreau, P. Briant, and R. Descat. Saint-Bertrand-de-Comminges: Musée archéologique départemental, 1997. Pp. 53–72.

———. (1994). *Regionalism and Change in the Economy of Independent Delos:* Berkeley: University of California Press.

Reibig, André. (2001). *The Bücher-Meyer Controversy: The Nature of the Ancient Economy in Modern Ideology*. PhD diss., University of Glasgow, accessed online February 3, 2014. http://theses.gla.ac.uk/4321/.

Renfrew, Colin, and Paul Bahn. (1991). *Archaeology: Theories, Methods and Practice*. New York: Thames and Hudson.

Renger, Johannes. (2009). "Economy of Ancient Mesopotamia: A General Outline," in *The Babylonian World*. Ed. Gwendolyn Leick. Paperback ed. London: Routledge. Pp. 187–97.

———. (2005). "K. Polanyi and the Economy of Ancient Mesopotamia," in *Autour de Polanyi: Vocabulaires, theories et modalities des échanges, Nanterre, 12–14 Juin 2004*. Ed. P. F. Clancier, Joannès, P. Rouillard, and A. Tenu. Paris: De Boccard. Pp. 45–65.

———. (2003). "Trade and Market in the Ancient Near East: Theoretical and Factual Implications," in *Mercanti e Politica nel Mondo Antico*. Ed. Carlo Zaccagnini. Rome: "L'Erma" di Bretschneider. Pp. 15–39.

Rheinstein, Max. (1964). *Max Weber on Law in Economy and Society*. New York: Simon and Schuster.

Richerson, Peter J., and Robert Boyd. (2005). *Not by Genes Alone: How Culture Transformed Human Evolution*. Chicago: University of Chicago Press.

Richerson, Peter J., and Morten H. Christiansen, eds. (2013). *Cultural Evolution: Society, Technology, Language, and Religion*. Cambridge, MA: MIT Press.

Ricoeur, Paul. (1988). *Time and Narrative* . Vol. 3. Trans. Kathleen Blamey and David Pellauer. Chicago: University of Chicago Press.

Riehl, Simone, Konstantin E. Pustovoytov, Heike Weippert, Stefan Klett, and Frank Hole. (2014). "Drought Stress Variability in Ancient Near Eastern Agricultural Systems Evidenced by δ13C in Barley Grain," *Proceedings of the National Academy of Sciences* 111/34: 12348–53. doi: 10.1073/pnas.1409516111.

Rihill, T. E. (2011). "Classical Athens," in *The Cambridge World History of Slavery*. Vol. 1, *The Ancient Mediterranean World*. Ed. Keith Bradley and Paul Cartledge. Cambridge: Cambridge University Press. Pp. 48–73.

Ritner, Robert K. (2003). "The Instruction of 'Onchsheshonqy," in *The Literature of Ancient Egypt: An Anthology of Stories, Instructions, Stelae, Autobiographies, and Poetry*. Ed. William K. Simpson. New Haven, CT: Yale University Press. Pp. 497–529.

Roberts, Neil. (2012). "Palaeolimnological Evidence for an East-West Climate See-Saw in the Mediterranean since AD 900," *Global and Planetary Change* 84–85: 23–34.

Roberts, Neil, Warren J. Eastwood, Catherine Kuzucuoglu, Girolamo Fiorentino, and Valentina Caracuta. (2011). "Climatic, Vegetation, and Cultural Change in the East-ern Mediterranean during the Mid-Holocene Environmental Transition," *Holocene* 21: 147–62.

Robinson, Damian, and Franck Goddio, eds. (2015). *Thonis-Heracleion in Context*. Oxford: Oxford Centre for Maritime Archaeology.

Robinson, Eric W. (2011). *Democracy beyond Athens: Popular Government in the Greek Classical Age*. Cambridge: Cambridge University Press.

———. (1997). *The First Democracies: Early Popular Government outside Athens*. Historia Einzelschriften 107. Stuttgart: Franz Steiner Verlag.

Robock, Alan. (2000). "Volcanic Eruptions and Climate," *Review of Geophysics* 38: 191–219.

Rochberg-Halton, F. (1991). "The Babylonian Astronomical Diaries," *Journal of the American Oriental Society* 111/2: 323–32.

Rohling, Eelco J., Angela Hayes, Paul A. Mayewski, and Michal Kucera. (2009). "Holocene Climate Variability in the Eastern Mediterranean and the End of the Bronze Age," in *Forces of Transformation: The End of the Bronze Age in the Mediterranean*. Ed. Christoph Bachhuber and Gareth Roberts. Oxford: Oxbow. Pp. 2–5.

Roland, T. P., C. J. Caseldine, D. J. Charman, C.S.M. Turney, and M. J. Amesbury. (2014). "Was There a '4.2 ka Event' in Great Britain and Ireland? Evidence from the Peatland Record," *Quaternary Science Reviews* 83: 11–27.

Roller, Duane W. (2006). *Through the Pillars of Herakles: Greco-Roman Exploration of the Atlantic*. London: Routledge.

Rosenstein, Nathan. (2012). *Rome and the Mediterranean 290 to 146 BC: The Imperial Republic*. Edinburgh: Edinburgh University Press.

Rossignol, Benoît, and Sébastien Durost. (2007). "Volcanisme global et variations climatiques de courte durée dans l'histoire romaine (Ier s. av. J. C. IVème s. ap. J. C.): Leçons d'une archive glaciaire (GISP2)," *Jahrbuch des römischgermanischen Zentralmuseums Mainz* 54: 395–438.

Rostovtzeff, Michael I. (1957). *The Social and Economic History of the Roman Empire*. 2d ed., rev. by P. M. Fraser. Oxford: Clarendon.

———. (1941). *The Social and Economic History of the Hellenistic World*. Oxford: Clarendon.

———. (1936). "The Hellenistic World and Its Economic Development," in *American Historical Review* 41/2: 231–52.

———. (1933). "Eduard Meyer (1855–1930)," in *Encyclopaedia of the Social Sciences*. Ed. E.R.A. Seligman and A. Johnson. Pp. 402–3.

———. (1932). *Caravan Cities*. Oxford: Clarendon.

———. (1930). "The Decay of the Ancient World and Its Economic Explanations," *Economic History Review* 2/2: 197–214.

———. (1922). *A Large Estate in Egypt in the Third Century B.C.: A Study in Economic History*. University of Wisconsin Studies in the Social Sciences and History 6. Madison, WI: n.p.

Rotberg, Robert I., and Theodore K. Rabb, eds. (1981). *Climate and History: Studies in Interdisciplinary History*. Princeton, NJ: Princeton University Press.

Roth, Martha T. (1997). *Law Collections from Mesopotamia and Asia Minor*. 2d ed. Atlanta: Scholars Press.

Rothenberg, Winifred Barr. (1992). *From Market-Places to a Market Economy: The Transformation of Rural Massachusetts 1750–1850*. Chicago: University of Chicago Press.

Rothman, M. S., ed. (2001). *Uruk Mesopotamia and Its Neighbors: Cross-Cultural Interactions in the Era of State Formation*. Santa Fe: School of American Research.

Rougemont, G. (2005)."Nouvelles inscriptions grecques de l'asie central," in *Afghanistan, ancien carrefour entre l'Est et l'Ouest*. Ed. O. Bopearachchi and Marie-Françoise Boussac. Turnhout: Brepols. Pp. 127–36.

Rouillard, Pierre. (2009). "Greeks and the Iberian Peninsula: Forms of Exchange and Settlements," in *Colonial Encounters in Ancient Iberia: Phoenician, Greek and Indigenous Relations*. Ed. Michael Dietler and Carolina Lopez-Ruiz. Chicago: University of Chicago Press. Pp. 131–53.

Routledge, Bruce, and Kevin McGeough. (2009). "Just What Collapsed? A Network Perspective on 'Palatial' and 'Private' Trade at Ugarit," in *Forces of Transformation: The End of the Bronze Age in the Mediterranean*. Ed. Christoph Bachhuber and Gareth Roberts. Oxford: Oxbow. Pp. 22–29.

Rowlandson, Jane. (2014). "Administration and Law: Graeco-Roman," in *A Companion to Ancient Egypt*. Ed. Alan B. Lloyd. Malden, MA: Wiley-Blackwell. Pp. 23754.

———. ed. (1998). *Women and Society in Greek and Roman Egypt: A Sourcebook*. Cambridge: Cambridge University Press.

Russo, Lucio. (2004). *The Forgotten Revolution: How Science Was Born in 300 BC and Why It Had to Be Reborn*. Heidelberg: Springer Verlag.

Rutter, N. K. (2012). "The Coinage of Italy," in *The Oxford Handbook of Greek and Roman Coinage*. Ed. William E. Metcalf. Oxford: Oxford University Press. Pp. 128–41.

Ryholt, Kim. (2005). *The Petese Stories II (P. Petese II): The Carlsberg Papyri 6*. CNI Publications 29. Copenhagen: Museum Tusculanum Press.

Sachs, Jeffrey D. (2012). "Government, Geography and Growth. The True Drivers of Economic Development," *Foreign Affairs*. Accessed August 18, 2015. https://www.foreign affairs.com/reviews/review-essay/government-geography-and-growth.

Sahlins, Marshall. (1976). *Culture and Practical Reason*. Chicago: University of Chicago Press.

———. (1972). *Stone Age Economics*. New York: Aldine de Gruyter.

Said, Rushdi. (1993). *The River Nile: Geology, Hydrology and Utilization*. Oxford: Pergamon.

Salisbury, Richard. (1973). "Economic Anthropology," *Annual Review of Anthropology* 2: 85–94.

Sallares, Robert R. (2014). "Disease," in *A Companion to Mediterranean History*. Ed. Peregrine Horden and Sharon Kinoshita. Malden, MA: Wiley-Blackwell. Pp. 250–62.

———. (2013). "Environmental History," in *A Companion to Ancient History*. Ed. Andrew Erskine. Paperback ed. Malden, MA: Blackwell. Pp. 164–74.

———. (2009). “Environmental History,” in *A Companion to Ancient History*, ed. Andrew Erskine. Malden, MA: Wiley-Blackwell. Pp. 164–74.

———. (2007). “Ecology,” in *The Cambridge Economic History of the Greco-Roman World*. Ed. W. Scheidel, I. Morris, and R. Saller. Cambridge: Cambridge University Press. Pp. 15–37.

———. (2002). *Malaria and Rome: A History of Malaria in Ancient Italy*. Oxford: Oxford University Press.

———. (1991). *The Ecology of the Ancient Greek World*. Ithaca, NY: Cornell University Press.

Saller, Richard. (2007). “Household and Gender,” *The Cambridge Economic History of the Greco-Roman World*. Ed. Walter Scheidel, Ian Morris, and Richard Saller. Cambridge: Cambridge University Press. Pp. 87–112.

———. (2005). “Framing the Debate over Growth in the Ancient Economy,” in *The Ancient Economy: Evidence and Models*. Ed. J. G. Manning and Ian Morris. Stanford, CA: Stanford University Press. Pp. 223–38.

Salmeri, Giovanni. (2012). “Epigraphy and the Economy of the Roman Empire,” in *Epigraphy and the Historical Sciences*. Ed. John Davies and John Wilkes. Oxford: Oxford University Press. Pp. 249–67.

Sanfey, A. G. (2007). “Social Decision-Making: Insights from Game Theory and Neuroscience,” *Science* 318/5850: 598–602.

Santamaria, Ulysses, and Anne M. Bailey. (1984). “A Note on Braudel’s Structure as Duration,” *History and Theory* 23/1: 78–83.

Sarris, Peter. (2006). *Economy and Society in the Age of Justinian*. Cambridge: Cambridge University Press.

Schaps, David M. (2004). *The Invention of Coinage and the Monetization of Ancient Greece*. Ann Arbor: University of Michigan Press.

———. (2015). “The Early Roman Monarchy,” in *Fiscal Regimes and the Political Economy of Premodern States*. Ed. Andrew Monson and Walter Scheidel. Cambridge: Cambridge University Press. Pp. 229–57.

———. (2013a). “Population and Demography,” in *A Companion to Ancient History*. Ed. Andrew Erskine. Paperback ed. Oxford: Blackwell. Pp. 134–45.

———. (2013b). “Studying the State,” in *The Oxford Handbook of the State in the Ancient Near East and Mediterranean*. Ed. Peter Fibiger Bang and Walter Scheidel. Oxford: Oxford University Press. Pp. 5–57.

———. (2012). “Epigraphy and Demography: Birth, Marriage, Family, and Death,” in *Epigraphy and the Historical Sciences*. Ed. John Davies and John Wilkes. Oxford: Oxford University Press. Pp. 101–29.

———. (2011a). “The Roman Slave Supply,” in *The Cambridge World History of Slavery*. Vol. 1, *The Ancient Mediterranean World*. Ed. Keith Bradley and Paul Cartledge. Cambridge: Cambridge University Press. Pp. 287–310.

———. (2011b). “Comparative Perspective on the Determinants of Scale and Productivity of Roman Maritime Trade in the Mediterranean,” in *Maritime Technology in the Ancient Economy: Ship-Design and Navigation*. Ed. W. V. Harris and K. Iara. Portsmouth, RI: Journal of Roman Archaeology. Pp. 21–37.

———. (2008). “Roman Population Size: The Logic of the Debate,” in *People, Land and Politics: Demographic Developments and the Transformation of Roman Italy, 300 BC–AD 14*. Ed. L. de Ligt and S. J. Northwood. Leiden: Brill. Pp. 15–70.

———. (2007). “Demography,” in *The Cambridge Economic History of the Greco-Roman World*. Ed. Walter Scheidel, Ian Morris, and Richard Saller. Cambridge: Cambridge University Press. Pp. 38–86.

———. (2006). "Stratification, Deprivation and the Quality of Life," in *Poverty in the Roman World*. Ed. Margaret Atkins and Robin Osborne. Cambridge: Cambridge University Press. Pp. 40–59.
———. (2005). "Human Mobility in Roman Italy, II: The Slave Population," *Journal of Roman Studies* 95: 64–79.
———. (2004). "Creating a Metropolis: A Comparative Demographic Perspective," in *Ancient Alexandria between Egypt and Greece*. Ed. W. V. Harris and Giovanni Ruffini. Leiden: Brill. Pp. 1–31.
———. (2003). "The Demographic Expansion: Models and Comparisons," *Journal of Hellenic Studies* 123: 120–40.
———. (2001). *Death on the Nile: Disease and the Demography of Roman* Egypt. Leiden: Brill.
———. (1996). "The Most Silent Women of Greece and Rome: Rural Labor and Women's life in the Ancient World (II)," *Greece and Rome* 43/1: 1–10.
———. (1995). "The Most Silent Women of Greece and Rome: Rural Labor and Women's life in the Ancient World (I)," *Greece and Rome* 42/2: 202–17.
———. (1994). "Grain Cultivation in the Villa Economy of Roman Italy," in *Landuse in the Roman empire*. Ed. Jesper Carlsen, Peter Ørsted and Jens Erick Skydsgaard. Rome: "L'Erma" di Bretschneider. Pp. 159–66.
Scheidel, Walter, and S. J. Friesen (2009). "The Size of the Economy and the Distribution of Income in the Roman Empire," *Journal of Roman Studies* 99: 61–91.
Scheidel, Walter, Ian Morris, and Richard Saller, eds. (2007). *The Cambridge Economic History* of *the Greco-Roman World*. Cambridge: Cambridge University Press.
Scheidel, Walter, and Sitta von Reden, eds. (2002). *The Ancient Economy*. New York: Routledge.
Schenkel, Wolfgang. (1978). *Die Bewässerungsrevolution im Alten Ägypten*. Mainz: Philipp von Zabern.
Schentuleit, Maren. (2006). *Aus der Buchhaltung swa Weinmagazins im Edfu-Tempel: Der demotische P. Carlsberg 409*. Copenhagen: Museum Tusculanum Press.
Schindler, Daniel E., et al. (2010). "Population Diversity and the Portfolio Effect in an Exploited Species," *Nature* 465: 609–12. doi:10.1038/nature09060.
Schloen, J. David. (2001). *The House of the Father as Fact and Symbol: Patrimonialism in Ugarit and the Ancient Near East*. Winona Lakes, IN: Eisenbrauns.
Schmidt, Anja, Kirsten E. Fristad, and Linda T. Elkins-Tanton, eds. (2015). *Volcanism and Global Environmental Change*. Cambridge: Cambridge University Press.
Schnaiberg, Allan. (2005). "The Economy and the Environment," in *The Handbook of Economic Sociology*. 2d ed. Ed. Neil J. Smelser and Richard Swedburg. Princeton, NJ: Princeton University Press. Pp. 703–25.
Schneider, Adam W., and Selim F. Adah. (2014). " 'No Harvest Was Reaped': Demographic and Climatic Factors in the Decline of the Neo-Assyrian Empire," *Climatic Change* 127: 435–46.
Schneider, Helmuth. (2007). "Technology," in *The Cambridge Economic History of the Greco-Roman World*. Ed. Walter Scheidel, Ian Morris, and Richard Saller. Cambridge: Cambridge University Press. Pp. 144–71.
Schoenberger, Erica. (2008). "The Origins of the Market Economy: State Power, Territorial Control, and Modes of War Fighting," *Comparative Studies in Society and History* 50/3: 663–91.
Schörle, Katia. (2010). "From Harbor to Desert: An Integrated Interface on the Red Sea and Its Impact on the Eastern Egyptian Desert," Bolletino di Archeologia online. https://

www.researchgate.net/publication/262116511_From_Harbour_to_Desert_An_Integrated_Interface_on_the_Red_Sea_and_its_impact_on_the_Eastern_Desert_of _Egypt.

Scott, James C. (1998). *Seeing Like a State: How Certain Schemes to Improve the Human Condition Have Failed*. New Haven, CT: Yale University Press.

Scott-Kilvert, I. (1973). *Plutarch: The Age of Alexander*. London: Penguin.

Seaford, Richard. (2004). *Money and the Early Greek Mind*. Cambridge: Cambridge University Press.

Searle, John R. (2010). *Making the Social World: The Structure of Human Civilization*. Oxford: Oxford University Press.

Seidlmayer, Stephan Johannes. (2001). *Historische und Modern Nilstände*. Berlin: Achet Verlag.

Seland, Eivind Heldaas. (2010). *Ports and Political Power in the* Periplus*: Complex Societies and Maritime Trade on the Indian Ocean in the First Century AD*. Society for Arabian Studies Monographs 9. Oxford: Archaeopress.

———. (2008). "The Indian Ocean and the Globalization of the Ancient World," *Ancient West and East* 8: 67–79.

———. (2006). "The Indian Ocean in Antiquity: Trade and the Emerging State." PhD diss., University of Bergen.

———. (2003). "A Peculiar Island: Maghrib and Mediterranean," *Mediterranean Historical Review* 18: 93–125.

———. (2001). "Challenging Braudel: A New Vision of the Mediterranean," *Journal of Roman Archaeology* 14: 419–53.

———. (1995). *Environment and Society in Roman North Africa*. London: Variorum.

———. (1993). "The Early Development of M. I. Finley's Thought: The Heichelheim Dossier," *Athenaeum* 81: 177–99.

———. (1992). "Under Russian Eyes," *Journal of Roman Studies* 82: 216–28.

———. (1984). "Water and Society in the Ancient Maghrib: Technology, Property, and Development," *Antiquités Africaines* 20/1: 121–73.

———. (1981). "Rural Markets in North Africa and the Political Economy of the Roman Empire," *Antiquités Africaines* 17: 37–83.

Shaw, Brent D., and Richard P. Saller. (1981). "Editor's Introduction," in M. I. Finley, *Economy and Society in Ancient Greece*. Harmondsworth: Penguin. Pp. ix–xxvi.

Sherratt, Andrew. (2011). "Global Development," in *Interweaving Worlds: Systemic Interactions in Eurasia, 7th to 1st millennia BC*. Ed. Toby C. Wilkinson, Susan Sherratt, and John Bennet. Oxford: Oxbow Books. Pp. 4–6.

Sherratt, Andrew, and Susan Sherratt. (1993). "The Growth of the Mediterranean Economy in the Early First Millennium BC," *World Archaeology* 24/3: 361–78.

———. (1991). "From Luxuries to Commodities: The Nature of Mediterranean Bronze Age Trading Systems," in *Bronze Age Trade in the Mediterranean*. Ed. N. H. Gale. Jonsered: Paul Åströms Förlag. Pp. 351–86.

———. (2003). "The Mediterranean Economy: 'Globalization' at the End of the Second Millennium BCE," in *Symbiosis, Symbolism, and the Power of the Past: Canaan, Ancient Israel, and Their Neighbors from the Late Bronze Age through Roman Palaestina*. Ed. William G. Dever and Seymour Gitin. Winona Lake, IN: Eisenbrauns. Pp. 37–62

———. (2001). "Potemkin Palaces and Route-Based Economies," in *Economy and Politics in the Mycenaean Palace States*. Ed. J. Killen and S. Voutsaki. Cambridge: Cambridge Philosophical Society. Pp. 214–38.

Sherwin-White, Susan. (1987). "Seleucid Babylonia: A Case Study for the Installation and Development of Greek Rule," in *Hellenism in the East: Interactions of Greek and Non-*

Greek Civilizations from Syria to Central Asia after Alexander. Ed. Amélie Kuhrt and Susan Sherwin-White. Berkeley: University of California Press. Pp. 1–31.

Shils, Edward. (1991). "Henry Sumner Maine in the Tradition of the Analysis of Society," in *The Victorian Achievement of Sir Henry Maine: A Centennial Reappraisal*. Ed. Alan Diamond. Cambridge: Cambridge University Press. Pp. 143–78.

Shipley, G. (1993). "Distance, Development, Decline? World-Systems Analysis and the 'Hellenistic' World," in *Centre and Periphery in the Hellenistic World*. Ed. P. Bilde et al. Aarhus: Aarhus University Press. Pp. 271–84.

Shipton, Kirsty. (2000). *Leasing and Lending: The Cash Economy in Fourth-Century Athens*. London: Institute of Classical Studies.

Shryock, Andrew, and Daniel Lord Smail, eds. (2011). *Deep History: The Architecture of Past and Present*. Berkeley: University of California Press.

Sidebotham, Steven E. (2011). *Berenike and the Ancient Maritime Spice Route*. Berkeley: University of California Press.

Sigl, M., et al. (2015). "Timing and Climate Forcing of Volcanic Eruptions for the Past 2,500 Years," *Nature* 523: 543–49. doi:10.1038/nature14565.

Sijpesteijn, P. J. (1987). *Customs Duties in Graeco-Roman Egypt*. Zutphen: Terra.

Silver, Morris. (2004). "Modern Ancients," in *Commerce and Monetary Systems in the Ancient World: Means of Transmission and Cultural Interaction*. Ed. Robert Bollinger and Christoph Ulf. Oriens et Occidens 6. Pp. 65–87.

———. (1995). *Economic Structures of Antiquity*. Westport, CT: Greenwood.

———. (1983). "Karl Polanyi and Markets in the Ancient Near East: The Challenge of the Evidence," *Journal of Economic History* 43/4: 795–829.

Simpson, William Kelly, ed. (2003). *The Literature of Ancient Egypt: An Anthology of Stories, Instructions, Stelae, Autobiographies, and Poetry*. New Haven, CT: Yale University Press.

Sirks, Boudewijn. (1991). *Food for Rome: The Legal Structure of the Transportation and Processing of Supplies for the Imperial Distributions in Rome and Constantinople*. Studia Amstelodamensia ad Epigraphicam, Ius Antiquum et Papyrologicam Pertinentia 31. Amsterdam: Gieben.

Skyrms, Brian. (1996). *Evolution of the Social Contract*. Cambridge: Cambridge University Press.

Slingerland, Edward, and Mark Collard, eds. (2011). *Creating Consilience: Integrating the Sciences and the Humanities*. Oxford: Oxford University Press.

Slotsky, Alice L. (1997). *The Bourse of Babylon: Market Quotations in the Astronomical Diaries of Babylonia*. Bethesda, MD: CDL.

Slotsky, Alice, and R. Wallenfalls. (2009). *Tallies and Trends: The Late Babylonian Commodity Prices Lists*. Bethesda, MD: CDL.

Smail, Daniel Lord, and Andrew Shryock. (2013). "History and the 'Pre,' " *American Historical Review* 118/3: 709–37.

Smelser, Neil J., and Richard Swedberg, eds. (2005). *The Handbook of Economic Sociology*. Princeton, NJ: Princeton University Press.

Smil, Vaclav. (1994). *Energy in World History:* Boulder: Westview.

Smith, David C., ed. (1989). *Climate, Agriculture and History*. Washington, DC: Agricultural History Society.

Smith, Richard L. (2009). *Premodern Trade in World History*. London: Routledge.

Smith, Stuart Tyson. (1995). *Askut in Nubia: The Economics and Ideology of Egyptian Imperialism in the Second Millennium B.C.* London: Kegan Paul International.

Snape, Steven. (2014). *The Complete Cities of Ancient Egypt*. London: Thames and Hudson.
Snell, Daniel C. (2011). "Slavery in the Ancient Near East," in *The Cambridge World History of Slavery*. Vol. 1, *The Ancient Mediterranean World*. Ed. Bradley Keith and Paul Cartledge. Cambridge: Cambridge University Press. Pp. 4–21.
Solanki, S. K., et al. (2004). "Unusual Activity of the Sun during Recent Decades Compared to the Previous 11,000 Years," *Nature* 431: 1084–87. doi:10.1038/nature 02995
Soudek, Josef. (1952). "Aristotle's Theory of Exchange: An Inquiry into the Origin of Economic Analysis," *Proceedings of the American Philosophical Society* 96/1: 45–75.
Spolaore, Enrico, and Romain Wacziarg. (2013). "How Deep Are the Roots of Economic Development?," *Journal of Economic Literature* 51/2: 325–69. doi: 10.1257/jel.51.2.325.
Spengler, Robert N., III, Pavel E. Tarasov, and Mayke Wagner. (2016). "Introduction to the Special Issue: 'Introduction and Intensification of Agriculture in Central Eurasia and Adjacent Regions' " *Holocene* 26/10: 1523–26.
Spurr, M. S. (1986). *Arable Cultivation in Roman Italy, c. 200 BC–c. AD 100*. London: Society for the Promotion of Roman Studies.
Stanfield, J. Ron. (1986). *The Economic Thought of Karl Polanyi: Lives and Livelihood*. Houndsmills, UK: Macmillan.
Stanley, Jean-Daniel, et al. (2003). "Short Contribution: Nile Flow Failure at the End of the Old Kingdom, Egypt; Strontium Isotopic and Petrologic Evidence," *Geoarchaeology* 18: 395–402.
Stasavage, David. (2011). *States of Credit: Size, Power, and the Development of European Polities*. Princeton, NJ: Princeton University Press.
Staubwasser, M., and Harvey Weiss. (2006). "Holocene Climate and Cultural Evolution in Late Prehistoric-Early Historic West Asia," *Quaternary Research* 66: 372–87.
Stearns, Peter N. (2010). *Globalization in World History*. London: Routledge.
Steel, Louise. (2010)."Egypt and the Mediterranean World," in *The Egyptian World*. Ed. Toby Wilkinson. London: Routledge. Pp. 459–75.
Stein, Gil. (1994). "The Organizational Dynamics of Complexity in Greater Mesopotamia," in *Chiefdoms, and Early States in the Near East: The Organizational Dynamics of Complexity*. Ed. Gil Stein and Mitchell S. Rothman. Madison: Prehistory Press. Pp. 11–22.
Steinkeller, Piotr. (2015). "Labor in the Early States: An Early Mesopotamian Perspective," in *Labor in the Ancient World*. Ed. P. Steinkeller and M. Hudson. Dresden: ISLET-Verlag. Pp. 1–35.
Steinkeller, Piotr, and Michael Hudson, eds. (2015). *Labor in the Ancient World*. Dresden: ISLET-Verlag.
Steward, Julian H. (1955). "Introduction," and "Some Implications of the Symposium," in *Irrigation Civilizations: A Comparative Study; A Symposium on Method and Result in Cross-Cultural Regularities*. Washington, DC: Pan American Union. Pp. 1–5; 58–78.
Stiglitz, Joseph E. (1993). *Economics*. New York: W. W. Norton.
Stiner, Mary C., Timothy Earle, Daniel Lord Smail, and Andrew Shryock. (2011). "Scale," in *Deep History: The Architecture of Past and Present*. Ed. Andrew Shryock and Daniel Lord Smail. Berkeley: University of California Press. Pp. 242–72.
Stolba, Vladimir F. (2007). "Local Patterns of Trade in Wine and the Chronological Implications of Amphora Stamps," in *The Black Sea in Antiquity: Regional and Interregional Economic Exchange*. Ed. Vincent Gabrielsen and John Lund. Aarhus: Aarhus University Press. Pp. 149–59.
———. (2005). "The Oath of Chersonesos and the Chersonesean Economy in the Early Hellenistic Period," in *Making, Moving, and Managing: The New World of Ancient*

Economies, 323–31 BC. Ed. Zosia H. Archibald, John K. Davies, and Vincent Gabrielsen. Oxford: Oxbow Books. Pp. 298–321.

Stolper, Matthew W. (2005). "Farming with the Murašûs and Others: Costs and Returns of Cereal Agriculture in Fifth-Century Babylonian Texts," in *Approaching the Babylonian Economy: Proceedings of the START Project Symposium Held in Vienna, 1–3 July 2004*. Ed. H. D. Baker and M. Jursa. Münster: Ugarit-Verlag. Pp. 323–42.

———. (1985). *Entrepreneurs and Empire: The Murašû Archive, the Murašû Firm, and Persian Rule in Babylonia*. Leiden: Nederlands Instituut voor het Nabije oosten.

Streuver, Stuart, and Felicia Antonelli Holton. (1979). *Koster: Americans in Search of Their Prehistoric Past*. Garden City, NJ: Anchor.

Strobel, Karl. (1996). *Die Galater: Geschichte und Eigenart der keltischen Staatenbildung auf den Boden des hellenistischen Kleinasiens*. Vol. 1, *Untersuchungen zur Geschichte und historischen Geographie des hellenistischen und römischen Kleinasiens*. Berlin: Wiley VCH.

Sutch, Richard. (1996). "Macroeconomics: An Introduction for Historians," in *Economics and the Historian*. Ed. T. G. Rawski et al. Berkeley: University of California Press. Pp. 159–76.

Swedberg, Richard. (1998). *Max Weber and the Idea of Economic Sociology*. Princeton, NJ: Princeton University Press.

Taagepera, Rein. (1979). "Size and Duration of Empires: Growth-Decline Curves, 600 B.C. to 600 A.D.," *Social Science History* 3/3–4: 115–38.

———. (1978). "Size and Duration of Empires: Growth-Decline Curves, 3000 to 600 B.C.," *Social Science Research* 7: 180–96.

Tainter, Joseph A. (1988)*: The Collapse of Complex Societies*. Cambridge: Cambridge University Press.

Tandy, David W. (1997). *Warriors into Traders: The Power of the Market in Early Greece*. Berkeley: University of California Press.

Tartaron, Thomas F. (2013). *Maritime Networks in the Mycenaean World*. Cambridge: Cambridge University Press.

Taylor, Claire, and Kostas Vlassopoulos, eds. (2015). *Communities and Networks in the Ancient Greek World*. Oxford: Oxford University Press.

Temin, Peter. (2013). *The Roman Market Economy*. Princeton, NJ: Princeton University Press.

Thaler, Richard H. (2015). *Misbehaving: The Making of Behavioral Economics*. New York: W. W. Norton.

Thanawala, Kishor. (1997). "Kautilya's *Arthasastra*: A Neglected Work in the History of Economic Thought," in *Ancient Economic Thought*. Ed. B. B. Price. London: Routledge. Pp. 43–58.

Thapar, Romila. (2002). *Early India: From the Origins to AD 1300*. Berkeley: University of California Press.

Thompson, Dorothy J. (2014). "Kleruchic Land in the Ptolemaic Period," in *Law and Legal Practice in Egypt from Alexander to the Arab Conquest: A Selection of Papyrological Sources in Translation, with Introductions and Commentary*. Ed. James G. Keenan, J. G. Manning, and Uri Yiftach-Firanko. Cambridge: Cambridge University Press. Pp. 363–73.

———. (2012). *Memphis under the Ptolemies*. 2d ed. Princeton, NJ: Princeton University Press.

———. (2011). "Slavery in the Hellenistic world," in *The Cambridge World History of Slavery*. Vol. 1, *The Ancient Mediterranean World*. Ed. Keith Bradley and Paul Cartledge. Cambridge: Cambridge University Press. Pp. 194–213.

———. (2000). “Philadelphus’ Procession: Dynastic Power in Mediterranean Context,” in *Politics, Administration and Society in the Hellenistic and Roman World*. Proceedings of the International Colloquium, Bertinoro, July 19–24, 1997. Ed. Leon Mooren. Studia Hellenistica 36. Pp. 365–88.

———. (1999a). “Irrigation and Drainage in the Early Ptolemaic Fayyum,” in *Agriculture in Egypt: From Pharaonic to Modern Times*. Ed. Alan K. Bowman and Eugene Rogan. Oxford: Oxford University Press. Pp. 107–22.

———. (1999b). “New and Old in the Ptolemaic Fayyum,” in *Agriculture in Egypt: From Pharaonic to Modern Times*. Ed. Alan K. Bowman and Eugene Rogan. Oxford: Oxford University Press. Pp. 123–38.

Thompson, M., O. Mørkholm, and C. H. Kraay. (1973). *An Inventory of Greek Coin Hoards*. New York: American Numismatic Society.

Thonemann, Peter. (2015). *The Hellenistic Worl: Using Coins as Sources*. Cambridge: Cambridge University Press.

———. ed. (2013). *Attalid Asia Minor: Money, International Relations, and the State*. Oxford: Oxford University Press.

———. (2011). *The Maeander Valley: A Historical Geography from Antiquity to Byzantium*. Cambridge: Cambridge University Press.

———. (1984). *Big Structures, Large Processes, Huge Comparisons*. New York: Russell Sage Foundation.

Todd, Stephen C. (1993). *The Shape of Athenian Law*. Oxford: Clarendon.

Tompkins, Daniel P. (2016). “The Making of Moses Finley,” in *M. I. Finley: An Ancient Historian and His Impact*. Ed. Daniel Jew, Robin Osborne, and Michael Scott. Cambridge: Cambridge University Press. Pp. 13–30.

———. (2008). “Weber, Polanyi, and Finley,” review of Mohammed Nafissi, *Ancient Athens and Modern Ideology: Value, Theory and Evidence in Historical Sciences: Max Weber, Karl Polanyi and Moses Finley*, London: Institute of Classical Studies, 2005, *History and Theory* 47: 123–36.

Toohey, M., Krüger, K., Sigl, M., et al. (2016). “Climatic and Societal Impacts of a Volcanic Double Event at the Dawn of the Middle Ages,” *Climatic Change* 136: 401–12.

Totman, Conrad. (1993). *Early Modern Japan*. Berkeley: University of California Press.

Trampier, Joshua R. (2014). *Landscape Archaeology of the Western Nile Delta*. Atlanta: Lockwood.

Trivellato, Francesca. (2011). “Is There a Future for Italian Microhistory in the Age of Global History?,” *California Italian Studies* 2/1. http://escholarship.org/uc/item/ 0z94n9hq.

———. (2009). *The Familiarity of Strangers: The Sephardic Diaspora, Livorno, and Cross-Cultural Trade in the Early Modern Period*. New Haven, CT: Yale University Press.

Trubek, David. (1972). “Max Weber on Law and the Rise of Capitalism,” *Wisconsin Law Review* 720–53. http://digitalcommons.law.yale.edu/fss_papers/4001.

Tsakirgis, Barbara. (2016). “Whole Cloth: Exploring the Question of Self-Sufficiency through the Evidence for Textile Manufacture and Purchase in Greek Houses,” in *The Ancient Greek Economy: Markets, Households and City-States*. Ed. Edward M. Harris, David M. Lewis, and Mark Woolmer. Cambridge: Cambridge University Press. Pp. 166–86.

———. (2006). *Greek Colonisation: An Account of Greek Colonies and Other Settlements Overseas*. Vol. 1. Leiden: Brill.

———. (2015a). *Ultrasociety: How 10,000 Years of War Made Humans the Greatest Cooperators on Earth*. Chaplin, CT: Beresta Books.

———. (2015b). “Seshat: The Global History Databank,” *Cliodynamics* 6: 77–107.

———. (2014). “Cultural Evolution and Cliodynamics,” *Cliodynamics* 5/1: 1–3.

———. (2013). "The Puzzle of Human Ultrasociality: How Did Large-Scale Complex Societies Evolve?," in *Cultural Evolution: Society, Technology, Language, and Religion*. Ed. Peter J. Richerson and Morten H. Christiansen. Strüngmann Forum Reports 12, Cambridge, MA: MIT Press. Pp. 61–73.

———. (2010). "Warfare and the Evolution of Social Complexity: A Multi-level-Selection Approach," *Structure and Dynamics* 4/3. http://escholarship.org/uc/item/7j11945r.

———. (2009). "A Theory for Formation of Large Empires," *Journal of Global History* 4: 191–217.

———. (2007). *War and Peace and War: The Rise and Fall of Empires*. New York: Plume/ Penguin.

———. (2003). *Historical Dynamics: Why States Rise and Fall*. Princeton, NJ: Princeton University Press.

Turchin, Peter, Rob Brennan, Thomas E. Currie, Kevin C. Feeney, Pieter Francois, Daniel Hoyer, J. G. Manning, Arkadiusz Marciniak, Daniel Mullins, Alessio Palmisano, Peter Peregrine, Edward A. L. Turner, and Harvey Whitehouse. (2015). "Seshat: The Global History Databank," *Cliodynamics* 6: 77–107. http://escholarship.org/uc/item /9qx38718.

Turchin, Peter, and Sergey A. Nefedov. (2009). *Secular Cycles*. Princeton, NJ: Princeton University Press.

Turchin, Peter, Harvey Whitehouse, Pieter François, Edward Slingerland, and Mark Collard. (2012). "A Historical Database of Sociocultural Evolution," *Cliodynamics* 3/2: 271–93. http://escholarship.org/uc/item/2v8119hf.

Usokin, I. G., S. K. Solanki, and G. A. Kovaltsov. (2008). "Grand Minima and Maxima of Solar Activity: New Observational Constraints," *Astronomy and Astrophysics* 471: 301–9.

Van Alfen, Peter. (2016). "Aegean-Levantine Trade, 600–300 BCE: Commodities, Consumers, and the Problems of Autarkeia," in *The Ancient Greek Economy: Markets, Households and City-States*. Ed. Edward M. Harris, David M. Lewis, and Mark Woolmer. Cambridge: Cambridge University Press. Pp. 277–98.

Van Beek, Bart, and Mark Depauw. (2013). "Quantifying Imprecisely Dated Sources: A Mew Inclusive Method for Charting Diachronic Change in Graeco-Roman Egypt," *Ancient Society* 43: 101–14.

Van de Mieroop, Marc. (2007). *The Eastern Mediterranean in the Age of Ramesses II*. Malden, MA: Blackwell.

———. (2005). "The Invention of Interest: Sumerian Loans," in *The Origins of Value: The Financial Innovations That Created Modern Capital Markets*. Ed. William N. Goetzmann and K. Geert Rouwenhorst. New York: Oxford University Press. Pp. 17–30.

———. (2004). "Economic Theories and the Ancient Near East," in *Commerce and Monetary Systems in the Ancient World: Means of Transmission and Cultural Interaction*. Ed. Robert Bollinger and Christoph Ulf. Oriens et Occidens 6. Stuttgart: Franz Steiner Verlag. Pp. 54–64.

———. (2002). "Credit as a Facilitator of Exchange in Old Babylonian Mesopotamia," in *Debt and Economic Renewal in the Ancient Near East*. Ed. Michael Hudson and Marc van de Mieroop. Bethesda, MD: CDL. Pp. 163–73.

———. (1999). *The Ancient Mesopotamian City*. Oxford: Oxford University Press.

van der Brugge, Caroline, and Kristin Kleber. (2016). "The Empire of Trade and the Empires of Force: Tyre in the Neo-Assyrian and Neo-Babylonian Periods," in *Dynamics of Production in the Ancient Near East, 1300–500 BC*. Ed. Juan Carlos Moreno García. Oxford: Oxbow. Pp. 187–222.

van der Spek, R. J. (2014). "The Volatility of Prices of Barley and Dates in Babylon in the Third and Second Centuries BC," in *Documentary Sources on Ancient Near Eastern and*

Greco-Roman Economic History: Methodology and Practice. Ed. Heather D. Baker and Michael Jursa. Oxford: Oxbow. Pp. 234–59.

———. (2011). "The 'Silverization' of the Economy of the Achaemenid and Seleukid Empires and Early Modern China," in *The Economies of Hellenistic Societies, Third to First Centuries BC*. Ed. Zosia H. Archibald, John K. Davies, and Vincent Gabrielsen. Oxford: Oxford University Press. Pp. 402–20.

———. (2008). "Feeding Hellenistic Seleucia on the Tigris and Babylon," in *Feeding the Ancient Greek City*. Ed. R. Alston and O. M. van Nijf. Leuven: Peeters. Pp. 33–45.

———. (2005). "How to Measure Prosperity? The Case of Hellenistic Babylon," in *Approches de l'économie hellénistique*. Ed. R. Descat. St-Bertrand-de-Comminges: Musée archéologique de Saint-Bertrand-de-Comminges. Pp. 287–310.

van der Spek, R. J., and C. A. Mandemakers. (2003). "Sense and Nonsense in the Statistical Approach of Babylonian Prices," *Bibliotheca Orientalis* 60/5–6: 521–37.

van der Spek, R. J., and Bas van Leeuwen. (2014). "Quantifying the Integration of the Babylonian Economy in the Mediterranean World Using a Corpus of Price Data, 400–50 BCE," in *Quantifying the Greco-Roman Economy and Beyond*. Ed. François de Callataÿ. Bari: Edipuglia. Pp. 79–101.

van der Spek, R. J., Bas van Leeuwen, and Jan Luiten van Zanden, eds. (2015). *A History of Market Performance: From Ancient Babylonia to the Modern World*. London: Routledge.

Vandorpe, Katelijn. (2015). "Selling Private Real Estate in a New Monarchical Setting: Sale and Community in Hellenistic Egypt," in *Sale and Community Documents from the Ancient World: Individuals' Autonomy and State Interference in the Ancient World*. Legal Documents in Ancient Societies 5. Graeca Tergestina Storia e Civiltà 2. Ed. Éva Jakab. Trieste: EUT Edizioni Università di Trieste. Pp. 99–115.

———. (2009). "Archives and Dossiers," in *The Oxford Handbook of Papyrology*. Ed. Roger S. Bagnall. Oxford: Oxford University Press. Pp. 216–55.

———. (2002). *The Bilingual Family Archive of Dryton, His Wife Apollonia and Their Daughter Senmouthis*. Collectanea Hellenistica 4. Brussels: Koninklijke Vlaamse Academie van België.

Vandorpe, Katelijn, Willy Clarysse, and Herbert Verreth. (2015). *Graeco-Roman Archives from the Fayum*. Collectanea Hellenistica 6. Leuven: Peeters.

Vandorpe, Katelijn, and Sofie Waebens. (2009). *Reconstructing Pathyris' Archives: A Multicultural Community in Hellenistic Egypt*. Brussels: Koninklijke Vlaamse Academie van België voor Wetenschappen en Kunsten.

van Leeuwen, Bas, Peter Foldvari, and Jan Luiten van Zanden. (2015). "Long-Run Patterns in Market Performance in the Near East, the Mediterranean and Europe from Antiquity to c. AD 1800," in *A History of Market Performance: From Ancient Babylonia to the Modern World*. Ed. R. J. van der Spek, Bas van Leeuwen, and Jan Luiten van Zanden. London: Routledge. Pp. 506–25.

Vargyas, Peter. (2010). "The Alleged Silver Bars of the Temple of Ptah: Traditional Money Use in Achaemenid, Ptolemaic and Roman Egypt," in *From Elephantine to Babylon: Selected Studies of Peter Vargyas on Ancient Near Eastern Economy*. Ed. Zoltan Csabai. Budapest: L'Harmattan. Pp. 165–76. Originally published in *Cultus Deorum: Studia Religionum ad Historiam I; De Oriente Antiquo et Regione Danuvii Praehistorica in Memoriam István Tóth*. Pecs: Szerzök, 2008, pp. 123–38.

———. (2000). "Silver and Money in AChaemedni and Hellenistic Babylonia," in *Assyriologica et Semitica: Festschrift für Joachim Oelsner*. Ed. J. Marzahn and H. Neumann. Münster: Ugarit-Verlag. Pp. 513–21.

———. (1999). "*Kaspu ginnu* and the Monetary Reform of Darius I," *Zeitschrift für Assyriologie und Vorderasiatische Archäologie* 89: 263–84.
———. (1898). "Why Is Economics Not an Evolutionary Science?," *Quarterly Journal of Economics*, 12/3: 373–97.
Veïsse, A. E. (2004). *Les "Revoltes égyptiennes": Recherches sur les troubles intérieurs en Égypte du règne Ptolémée III à la conquete romaine*. Leuven: Peeters
Verboven, Koenraad. (2015a). "The Knights Who Say NIE: Can Neo-institutional Economics Live Up to Its Expectation in Ancient History Research?," in *Structure and Performance in the Ancient Economy: Models, Methods and Case Studies*. Ed. Paul Erdkamp and Koenraad Verboven. Brussels: Éditions Latomus. Pp. 33–57.
———. (2015b). "Models or Muddles? What Are Theories Good for in Ancient Economic History?," in *Structure and Performance in the Ancient Economy: Models, Methods and Case Studies*. Ed. Paul Erdkamp and Koenraad Verboven. Brussels: Éditions Latomus. Pp. 9–14.
Verboven, Koenraad, and J. Poblome, eds. (n.d.). "Complexity: A New Framework to Interpret Ancient Economic Proxy Data," unpublished manuscript.
Villing, Alexandra, and Udo Schlotzhauer, eds. (2006). *Naukratis: Greek Diversity in Egypt*. London: British Museum.
Vinson, Steve. (2011). "Strictly Tabubue: The Legacy of an Ancient Egyptian Femme Fatale," *KMT: A Modern Journal of Ancient Egypt* 22/3: 46–57.
———. (2008). "Through a Woman's Eyes, and in a Woman's Voice: Ihweret as Focalizor in the *First Tale of Setne Khaemwas*," in *Ptolemy II Philadelphus and His World*. Ed. Paul McKechnie and Philippe Guillaume. Leiden: Brill. Pp. 303–51.
———. (2011). "Greek Slavery: From Domination to Property and Back Again," *Journal of Hellenic Studies* 131: 115–30.
———. (2007). *Unthinking the Greek Polis: Ancient Greek History beyond Eurocentrism*. Cambridge: Cambridge University Press.
———. (1993). *Papyrus Reinhardt: An Egyptian Land List from the Tenth Century B.C.* Berlin: Akademie Verlag.
———. (1991). *The Gooseherds of Hou*. Leuven: Peeters.
von Dassow, Eva. (2011). "Freedom in Ancient Near Eastern Societies," in *The Oxford Handbook of Cuneiform Culture*. Ed. Karen Radner and Eleanor Robson. Oxford: Oxford University Press. Pp. 205–24.
von Reden, Sitta. (2015). *Antike Wirtschaft*. Berlin: De Gruyter.
———. (2010). *Money in Classical Antiquity*. Cambridge: Cambridge University Press.
———. (2007). *Money in Ptolemaic Egypt: From the Macedonian Conquest to the End of the Third Century BC*. Cambridge: Cambridge University Press.
———. (2005). *Exchange in Ancient Greece*. London: Duckworth.
———. (2002). "Money in the Ancient Economy: A Survey of Recent Research," *Klio* 84: 141–74.
Waerzeggers, Caroline. (2014). "Social Network Analysis of Cuneiform Archives—a New Approach," in *Documentary Sources in Ancient Near Eastern and Greco-Roman Economic History: Methodology and Practice*. Ed. Heather D. Baker and Michael Jursa. Oxford: Oxbow. Pp. 207–33.
Walbank, Frank. (2004). "Finley, Sir Moses I. (1912–86)," in *Dictionary of National Biography 1986–2000*. Oxford: Clarendon. Pp. 6720–21.
Waldbaum, J. C. (1978). *From Bronze to Iron: The Transition from the Bronze Age to the Iron Age in the Eastern Mediterranean*. Göteborg: Paul Åströms Förlag.

Wallerstein, Immanuel. (1974). *The Modern World-System I: Capitalist Agriculture and the Origins of the European World-Economy in the Sixteenth Century*. New York: Academic Press.

Wallis, John Joseph. (2014). "Persistence and Change in Institutions: The Evolution of Douglass North," in *Institutions, Property Rights, and Economic Growth: The Legacy of Douglass North*. Ed. Sebastian Galiani and Itai Sened. Cambridge: Cambridge University Press. Pp. 30–49.

Wandsnider, LuAnn. (2004). "Solving the Puzzle of the Archaeological Labyrinth: Time Perspectivism in Mediterranean Surface Archaeology," in *Side-by-Side Survey: Comparative Regional Studies in the Mediterranean World*. Ed. Susan E. Alcock and John F. Cherry. Oxford: Oxbow Books. Pp. 49–62.

———. (1997) *State and Temple Economy in Ancient Egypt: Fiscal Vocabulary of the New Kingdom*. Fribourg: University Press.

———. (1978). *Economy and Society: An Outline of Interpretive Sociology*. Ed. Guenther Roth and Claus Wittich. 2 vols. Berkeley: University of California Press.

———. (1904). "Objectivity in Social Science and Social Policy," in *The Methodology of the Social Sciences*. New York: Free Press.

Weiss, Harvey. (2016). "Global: Megadrought, Societal Collapse and Resilience at 4.2–3.9 ka BP across the Mediterranean and West Asia," *PAGES* 24/2: 62–63.

———. (2015). "Megadrought, Collapse, and Resilience in Late 3rd Millennium BC Mesopotamia," in *2200 BCE in Klimasturz als Ursache für den Zerfall der Alten Welt*? Ed. Harald Meller, Helge Wolfgang Arz, Reinhard Jung, and Roberto Risch. Halle: Landmuseum für Vorgeschichte. Pp. 35–52.

———. ed. (2012). *Seven Generations since the Fall of Akkad*. Wiesbaden: Harrassowitz. Weiss, Harvey, M. A. Courty, W. Wetterstrom, F. Guichard, L. Senior, R. Meadow, and

A. Curnow. (1993). "The Genesis of Collapse of Third Millennium North Mesopotamia Civilization," *Science* 261: 995–1004.

Wengrow, David. (2006). *The Archaeology of Early Egypt: Social Transformations in North-East Africa, 10,000 to 2650 BC*. Cambridge: Cambridge University Press.

Wente, Edward F. (2003). "The Report of Wenamun," in *The Literature of Ancient Egypt: An Anthology of Stories, Instructions, Stelae, Autobiographies, and Poetry*. Ed. William Kelly Simpson. New Haven, CT: Yale University Press. Pp. 116–24.

Wertime, Theodore A. (1982). "Cypriot Metallurgy against the Backdrop of Mediterranean Pyrotechnology: Energy Reconsidered," in *Early Metallurgy in Cyprus, 4000– 500 B.C.* Ed. James D. Muhly, Robert Maddin, and Vassos Karageorghis. Nicosia: Department of Antiquities. Pp. 351–61.

Westbrook, Raymond. (2003a). "The Character of Ancient Near Eastern Law," in *A History of Ancient Near Eastern Law*. Ed. Raymond Westbrook. Vol. 1. Leiden: Brill. Pp. 1–90.

———. ed. (2003b). *A History of Ancient Near Eastern Law*. 2 vols. Leiden: Brill.

———. (2001). "Conclusions," in *Security for Debt in Ancient Near Eastern Law*. Ed. Raymond Westbrook and Richard Jasnow. Leiden: Brill. Pp. 327–40.

Westbrook, Raymond, and Richard Jasnow, eds. (2001). *Security for Debt in Ancient Near Eastern Law*. Leiden: Brill.

White, K. D. (1970). *Roman Farming*. London: Thames and Hudson.

White, Sam. (2013). "The Real Little Ice Age," *Journal of Interdisciplinary History* 44: 327–52.

———. (2011). *The Climate of Rebellion in the Early Modern Ottoman Empire*. New York: Cambridge University Press.

Whitman, James Q. (1995). "At the Origins of Law and the State: Supervision of Violence, Mutilation of Bodies, or Setting of Prices?," *Chicago Kent Law Review* 71/1: 41–84.

Whittow, Mark. (2007). "Beyond the Cultural Turn: Economic History Revived?," *Journal of Roman Archaeology* 20: 697–704.

Wickham, Christopher. (2005). *Framing the Early Middle Ages: Europe and the Mediterranean 400–800*. Oxford: Oxford University Press.

Wiesehöfer, Josef. (2009). "The Achaemenid Empire," in *The Dynamics of Ancient Empires: State Power from Assyria to Byzantium*. Ed. Ian Morris and Walter Scheidel. New York: Oxford University Press. Pp. 66–98.

———. (1982). "Beobachtungen zum Handel des Achämenidenreiches," *Münstersche Beiträge zur Antiken Handelsgeschichte* 1: 5–15.

Wikander, Charlotte. (2008). "Technologies of Calculation," in *The Oxford Handbook of Engineering and Technology in the Classical World*. Ed. Örjan Wikander. Leiden: Brill. Pp. 759–69.

Wikander, Örjan, ed. (2000). *Handbook of Ancient Water Technology*. Leiden: Brill.

Wilcken, Ulrich. (1967). *Alexander the Great*. Trans. G. C. Richards. New York: Norton.

Wilk, Richard R., and Lisa C. Cliggett. (2007). *Economies and Cultures: Foundations of Economic Anthropology*. 2d ed. Cambridge: Westview.

Wilkinson, Endymion. (2000). *Chinese History: A Manual*. Revised and enlarged. Harvard-Yenching Institute Monograph Series 52. Cambridge, MA: Harvard University Asia Center.

Wilkinson, T. J. (2010). "Empire and Environment in the Northern Fertile Crecent," in *Landscape and Societies: Selected Cases*. Ed. I. Peter Martini and Ward Chesworth. Dordrecht: Springer. Pp. 135–51.

———. (2003). *Archaeological Landscapes of the Near East*. Tucson: University of Arizona Press.

Wilkinson, Toby C., ed. (2007). *The Egyptian World*. London: Routledge.

Wilkinson, Toby C., Susan Sherratt, and John Bennet, eds. (2011). *Interweaving Worlds: Systemic Interactions in Eurasia, 7th to 1st Millennia BC*. Oxford: Oxbow Books.

Williams, David F. (2004). "The Eruption of Vesuvius and Its Implications for the Early Roman Amphora Trade with India," in *Transport Amphorae and Trade in the Eastern Mediterranean: Acts of the International Colloquium at the Danish Institute at Athens*. Ed. Jonas Eiring and John Lund. Aarhus: Aarhus University Press. Pp. 441–50.

Williamson, Oliver E. (2002). "The Lens of Contract: Private Ordering," *American Economic Review* 92: 438–43.

———. (2000). "The New Institutional Economics: Taking Stock, Looking Ahead," *Journal of Economic Literature* 38: 595–613.

———. (1975). *Markets and Hierarchies: Analysis and Antitrust Implications*. New York: Free Press.

Wilson, Andrew. (2014). "Quantifying Roman Economic Performance by Means of Proxies: Pitfalls and Potential," in *Long-Term Quantification in Ancient Mediterranean History*. Ed. François de Callataÿ. Bari: Edipuglia. Pp. 147–67.

———. (2013). "Trading across the Syrtes: Euesperides and the Punic World," in *The Hellenistic West: Rethinking the Ancient Mediterranean*. Ed. Jonathan R. W. Prag and Josephine Crawley Quinn. Cambridge: Cambridge University Press. Pp. 120–56.

———. (2011a). "Developments in Mediterranean Shipping and Maritime Trade from the Hellenistic Period to AD 1000," in *Maritime Archaeology and Ancient Trade in the Mediterranean*. Ed. Damian Robinson and Andrew Wilson. Oxford: Oxford Centre for Maritime Archaeology. Pp. 33–59.

———. (2011b). "The Economic Influences of Developments in Maritime Technology in Antiquity," in *Maritime Technology in the Ancient Economy: Ship-Design and Navigation*. Ed. W. V. Harris and K. Iara. Portsmouth, RI: Journal of Roman Archaeology. Pp. 211–33.

———. (2009). "Approaches to Quantifying Roman Trade," in *Quantifying the Roman Economy: Methods and Problems*. Ed. Alan K. Bowman and Andrew Wilson. Oxford: Oxford University Press. Pp. 213–49.

———. (2008). "Machines in Greek and Roman Technology," in *The Oxford Handbook of Engineering and Technology in the Classical World*. Ed. J. P. Oleson. Oxford: Oxford University Press. Pp. 351–52.

———. (2002). "Machines, Power and the Ancient Economy," *Journal of Roman Studies* 92: 1–32.

———. (2002). *Darwin's Cathedral: Evolution, Religion, and the Nature of Society*. Chicago: University of Chicago Press.

Wilson, Edward O. (1998). *Consilience: The Unity of Knowledge*. New York: Knopf. Witt, Ulrich. (2008). "Evolutionary Economics," in *The New Palgrave Dictionary of Economics*. 2d ed. Ed. Steven N. Durlauf and Lawrence E. Blume. Palgrave Macmillan. *The New Palgrave Dictionary of Economics Online*. Site imprint Palgrave Macmillan. Accessed August 19, 2016. http://www.dictionaryofeconomics.com/article?id=pde2008_000295. doi: 10.1057/9780230226203.0511.

Wittfogel, Karl A. (1957). *Oriental Despotism: A Comparative Study of Total Power*. New Haven, CT: Yale University Press.

Wolff, Hans-Julius. (1962). *Das Justizwesen der Ptolemäer*. Münchener Beiträge zur Papyrusforschung und antiken Rechtsgeschichte 44. Munich: Beck.

Woodard, Roger D. (1997). *Greek Writing from Knossos to Homer: A Linguistic Interpretation of the Origin of the Greek Alphabet and the Continuity of Ancient Greek Literacy*. Oxford: Oxford University Press.

Woolf, Greg. (1990). "World-Systems Analysis and the Roman Empire," *Journal of Roman Archaeology* 3: 44–58.

Woolmer, Mark. (2016). "Forging Links between Regions," in *The Ancient Greek Economy: Markets, Households and City-States*. Ed. Edward M. Harris, David M. Lewis, and Mark Woolmer. Cambridge: Cambridge University Press. Pp. 66–89.

Wootton, David. (2015). *The Invention of Science: A New History of the Scientific Revolution*. New York: HarperCollins.

Wrightson, Keith. (2011). *Ralph Tailor's Summer: A Scrivener, His City and the Plague*. New Haven, CT: Yale University Press.

Wrigley, E. A. (2010). *Energy and the English Industrial Revolution*. Cambridge: Cambridge University Press.

Wulf, Andrea. (2015). *The Invention of Nature: Alexander von Humboldt's New World*. New York: Knopf.

Wunsch, Cornelia. (2010). "Neo-Babylonian Entrepreneurs," in *The Invention of Enterprise: Entrepreneurship from Ancient Mesopotamia to Modern Times*. Ed. David S. Landes, Joel Mokyr, and William J. Baumol. Princeton, NJ: Princeton University Press. Pp. 40–61.

———. (2009). "The Egibi Family," in *The Babylonian World*. Ed. Gwendolyn Leick. Paperback ed. Oxford: Routledge. Pp. 236–47.

———. (1999). "The Egibi Family's Real Estate in Babylon (6th century BC)," in *Urbanization and Land Ownership in the Ancient Near East*. Ed. Michael Hudson and

Baruch A. Levine. Cambridge, MA: Peabody Museum of Archaeology and Ethnology. Pp. 391–413.

Wunsch, Cornelia, and F. Rachel Magdelene. (2014). "Freedom and Dependency: Neo-Babylonian Manumission Documents with Oblation and Service Obligation," in *Extraction and Control: Studies in Honor of Matthew W. Stolper*. Ed. Michael Kozuh, Charles E. Jones, and Christopher Woods. Chicago: Oriental Institute. Pp. 337–46.

Yiftach-Firanko, Uri. (2014). "Evolutions of Forms of Greek Documents of the Ptolemaic, Roman, and Byzantine Periods," in *Law and Legal Practice in Egypt from Alexander to the Arab Conquest: A Selection of Papyrological Sources in Translation, with Introductions and Commentary*. Ed. James G. Keenan, J. G. Manning, and Uri Yiftach-Firanko. Cambridge: Cambridge University Press. Pp. 35–53.

———. (2009). "Law in Graeco-Roman Egypt: Hellenization, Fusion, Romanization," in *The Oxford Handbook of Papyrology*. Ed. Roger S. Bagnall. Oxford: Oxford University Press. Pp. 541–60.

Young, T. Cuyler. (1988). "The Early History of the Medes and the Persians and the Achaemenid Empire to the Death of Cambyses," in *The Cambridge Ancient History*. Vol. 2d ed. Ed. John Boardman, N.G.L. Hammond, D. M. Lewis, and M. Ostwald. Cambridge: Cambridge University Press. Pp. 1–52.

Zeilinga de Boer, Jelle, and Donald Theodore Sanders. (2002). *Volcanoes in Human History: The Far-Reaching Effects of Major Eruptions*. Princeton, NJ: Princeton University Press.

Zettler, R. L. (2003). "Reconstructing the World of Ancient Mesopotamia: Divided Beginnings and Holistic History," *Journal of the Economic and Social History of the Orient* 46: 3–45.

Zurbach, Julien, ed. (2015). *La maind'oeuvre agricole en Méditerranée archaïque: Statuts et dynamiques économiques; Actes des journées 'Travail de la terre et statuts de la main d'oeuvre en Grèce et en Méditerranée Archaïques', Athènes, 15 et 16 décembre 2008; Scripta antiqua, 73*. Athens: École française d'Athènes.

———. (2013). "La formation des cités grecques," *Annales: Histoire, Sciences Sociales* 68/4: 957–98.

———. (2009). "Paysanneries de la Grèce archaïque," *Histoire et Sociétés rurales* 31/1: 9–44.

ثبت المصطلحات

أولاً: عربي-إنجليزي

أ

الابتراد	Cooling
الأبنية	Structures
أبولونيا	Apololonia
أبولينوبوليس الكبرى	Apollinopolis-The-Great
أبيدوس	Abydos
الإبيغرافيا	Epigraphy
الإتروسكانيون	Etruscans
الاتسونامي	Tsunami
اتفاقات الشراكة	Partnership Agreements
أتيكا	Attica
الإثنوغراغيا	Ethnography
الإثنية	Ethnicity
أجانيطس	Aegina
الأجر بالإعالة	Subsistence Wage
الاحترار	Warming
الاحترار العالمي	Global Warming

الإدارة المنزلية	Household Management
أدبيات الكتاب المقدس	Bibilical Literature
أدوات الدَين بفائدة	Interest-Bearing Debt Instruments
أراضي التوطين	Kleruchy Plot
الارتباطات البعيدة	Teleconnection
أرتهاشاسترا	Arthashastra
الأردب	Artab
الأزتك	Aztecs
الاستبداد الشرقي	Oriental Despotism
الاستثمار	Investment
الاستراتيجوس	Strategos
الاستمرارية البنيوية	Structural Continuity
إسكي أجيغول (بحيرة)	Eski Acigol
أسواق تحديد الأسعار	Price-Setting Markets
آسيا الصغرى	Asia Minor
آسيا الوسطى	Central Asia
الإشعاع الشمسي	Solar Irradiance
آشور	Assyria
إطار البدائي-الحديث	Primitive-Modern Framework
إعادة الإنتاج الاجتماعي	Social Reproduction
الأغورا	Agora
الافتراق	Divergence
الافتراق الكبير	Great Divergence
أفروديتوبوليس	Aphroditopolis

إفسوس	Ephesos
اقتصاد إعادة التوزيع	Redistribution Economy
اقتصاد الاتاوة	Tributary Economy
الاقتصاد البلاطي	Palace Economy
اقتصاد التعقيد	Complexity Economics
الاقتصاد الخفي	Invisible Economy
اقتصاد السوق	Market Economy
الاقتصاد السياسي	Political Economy
الاقتصاد القديم	Ancient Economy
الاقتصاد الكلي	Macroeconomic
الاقتصاد المعتدل	Goldilocks Economy
الاقتصاد المَلكي	Economie Royale
الاقتصادات العضوية	Organic Economies
إل نينيو	El Nino
الالتزامات المحتملة المعلقة	Contingent Obligations Outstanding
ألف سنة، أ.س	Kiloannus; Ka
الألواح الاثني عشر	Twelve Tables
الإمبتيو فينديتيو (عقد)	Emptio-Venditio
الإمبراطوريات الضخمة	Mega Empires
الإمبراطوريات المتمركزة حول الغرين	Alluvium-Focused Empires
الإمبراطورية الهيدروليكية	Hydraulic Empire
الإمبريالية	Imperialism
الإمبوريون	Emporion
الأمفورة	Amphora

الأنتيغونيون	Antigonides
أنتيكيثيرا (جزيرة)	Antikythera
الأنثروبولوجيا الاقتصادية	Economic Anthropology
اندماج الأسواق	Market Integration
اندماج البحر الأبيض المتوسط	Mediterraneanization
الانضواء	Embeddedness
الانطلاقة الرأسمالية	Capitalist Takeoff
الأنقاض المجروفة في الجليد	Ice Rafted Debris
انهيار العصر البرونزي	Bronze Age Collapse
انهيار العصر البرونزي المتأخر	Late Bronze Age Collapse
الأهباء الكبريتية	Sulfate Aerosols
أواسط الناس	The Middling Sort Of People
أوتو (مدينة)	Utu
أوديسا (مدينة)	Odessa
أوراسيا	Eurasia
أوروك	Uruk
الأوستراكا	Ostraca
أوغاريت	Ugarit
أولينثوس (مدينة)	Olynthos
الأويكوس	Oikos
الأويكومن	Oikoumenē
أويكونوميكا	Oeconomica
أويكونوميكوس (كتاب)	Oeconomicus
إيزيس	Isis

الآيسفورا (ضريبة)	Eisphora
إيسن (موقع أثري)	Isin
أيوليا	Aeolia
الإيونيون	Ionians

ب

بابل	Babylon
الباتريمونية	Patrimonialism
باثيريس	Pathyris
باختر	Bactria
البارثيون	Parthians
وحدة البحر الأبيض المتوسط	Mediterraneanism
بحيرة وان	Lake Van
بردية حيكاناخت	Heqanakht Papyri
برقة	Barca
بركان إلدجا	Eldgja
بركان جبل إتنا	Etna Mount
بركان جبل بيناتوبو	Mount Pinatubo
بركان كاتماي	Katmai
بركان لاكي	Laki
بركان واينابوتينا	Huaynaputina
برنيكي	Berenike
البطالمة	Ptolemies
بطوليهايس	Ptolemais
بطوليهايس هيرميو	Ptolemais Hermiou
البقعة الشمسية	Sunspot Activity

البقعة الشمسية الدنيا	Solar Sunspot Minimum
بلاد الغال	Gaul
بليني الأصغر	Pliny The Younger
البليوغرافيا	Paleography
البنك	Bank
بورسيبا	Borsippa
بومبي	Pompeii
بويوتيا	Boeotia
البيانات التمثيلية	Proxy Data
البيانات التمثيلية عالية الوضوح	High Resolution Proxy Data
البيانات التمثيلية المناخية عالية الوضوح	High Resolution Climate Proxy Data
البيانات عالية الوضوح	High Resolution Data
بيبلوس	Byblos
بيثياس	Pytheas
بيرغاموم	Pergamum
بي-رمسيس	Piramesses
البيروقراطية الهيدروليكية	Hydraulic Bureaucracy
بيلوس	Pylos
بيلوسيون	Pelousion
البيولوجيا القديمة	Paleobiology

ت

تأثيرات الاحتباس	Locked In Effects
تأثيرات الحقيبة	Portfolio Effects
التاريخ الاجتماعي الجديد	New Social History
التاريخ الارتجاعي	Retrospective History

التاريخ الاقتصادي	Economic History
التاريخ الاقتصادي المؤسسي الجديد	New Institutional Economic History; NIEH
التاريخ الجزئي	Microhistory
التاريخ الجيولوجي	Geohistory
التاريخ العالمي	Global History
التاريخ الكبير	Big History
التاريخ المالي الجديد	New Fiscal History
تانيس	Tanis
التبادل السلعي	Commodity Exchange
التبادل السوقي	Market Exchange
تبتونيس	Tebtunis
تبني البيروقراطية	Bureaucratization
التتجير	Commercialization
التجارة التتابعية	Segmented Trade
التجارة اللاسوقية	Marketless Trading
التجارة داخل المنطقة	Intraregional Trade
التحديث	Modernization
التحضر	Urbanization
التحقيب	Periodization
التحليل الاقتصادي الجزئي	Microeconomic Analysis
التحليل السوقي	Market-Based Analysis
تحليل الشبكات	Network Analysis
التحليل الكلاسيكي الجديد	Neoclassical Analysis
تحليل النظائر	Isotope Analysis

التحول السياسي	Political Transformation
التحول النقدي	Monetization
التدهور المناخي	Climatic Deterioration
تذاكر المومياوات	Mummy Tickets
تذبذب البحر الأبيض المتوسط	Mediterranean Oscillation
التذبذب الجنوبي إل نينيو	El-Niño Southern Oscillation; ENSO
تذبذب شمال الأطلسي	North Atlantic Oscillation; NAO
التسجيل المناخي بالآلات	Instrumental Record Keeping
التسييج	Enclosure
تشكُّل الأسعار	Formation Of Price
التصدق	Gift-Giving
تصميم الآلية	Mechanism Design
التصوير المقطعي الحاسوبي	Computed Tomography
تضاد البدائية/ الحداثة	Primitivism/Modernism
تضاد الموقف التشاؤمي/ الموقف التفاؤلي	Pessimists/Optimists
تضاد الخاص/ العام	Private/Public
تضاد السوق/ اللاسوق	Market/Non-Market
تضاد العقلاني/ اللاعقلاني	Rational/Irrational
تضاد الغرب/ الشرق	West/East
تضاد القديم/ الحديث	Ancient/Modern
تضاد الكلاسيكي/ الشرق الأدنى	Classical/Near Eastern
تضاد المكانة/ العقد	Status/Contract
تضاد المنزل/ المدينة	Oikos/Polis
تضاد الموقف الفعلي/ الموقف الصوري	Substantivism/Formalism

تضاد قيمة الاستخدام/ القيمة التبادلية	Use-Value/Exchange Value
التطور المتلازم	Coevolution
تعافي العصر الحديدي	Iron Age Recovery
التعرض البحري المزدوج	Double Sea Exposure
التعرض للشمس	Insolation
التغير المناخي	Climate Change
التغير المناخي الناشئ عن البشر	Anthropogenic Climate Change
التغير المؤسسي	Institutional Change
التفاوت	Variability
التفاوت الجغرافي-المكاني	Geospatial Variability
تفاوت الفيضان	Flood Varability
تفاوت المناخ	Climate Variability
التعامل بالفضة	Silverization
التفكير الكبير	Big Think
التقارب	Convergence
تقرير وينامون	Wenamun Report
التلاقح الثقافي	Cross-Cultural Exchange
التواريخ الضخمة	Mega Histories
التواريخ العميقة	Deep Histories
التوازي العالمي	Universal Parallelism

ث

تيرينس	Tiryns
الثانية القوسية	Arc-Second
ثقافة لاتين	La Tène Culture
ثمويس	Thmuis

الثوران البركاني الانفجاري	Explosive Volcanic Eruptions
الثوران التدفقي	Effusive Eruption
ثوران بركان جبل تمبورا	Mount Tambora
الثورة التيودورية	Tudor Revolution
ثورة العصر الحجري الحديث	Neolithic Revolution
ثورة العصر الحديدي	Iron Age Revolution
ثورة المكابيين	Maccabean Revolt
ثورة الملاكمين	Boxer Rebellion
ثورة المنتجات الثانوية	Secondary Products Revolution
ثولثيس (قرية)	Tholthis
ثونيس	Thonis
ثيسالي	Thessaly
ثيساليا	Thessalia
ثينيس	Thinis
ثيوسيديديس	Thucydides

ج

جبل لوغان	Mount Logan
جداول متوسط الحياة القياسي	Model Life Tables
الجدل الكبير	Great Debate
جدل المنهج	Methodenstreit
جستنيان	Justinian
الجماعة متجاوزة الإثنية	Metaethnic Commuity
الجمعيات الخاصة	Private Associations
جمهورية الرسائل	Republic Of Letters

ح

الحالة الإنسانية	Human Condition
الحتمية البيئية	Environmental Determinism
الحتمية الجغرافية	Geographical Determinism
حجاب الغبار	Dust Veil
الحداثة	Modernity
حراس البحر	Watchers Of The Sea
الحرب البيلوبونيزية	Peloponnesian War
الحركية	Dynamism
الحروب الإيليرية	Illyrian Wars
الحروب البونيقية	Punic Wars
الحروب البيلوبونيزية	The Peloponnesian Wars
الحروب السورية	Syrian Wars
الحضارات الهندية-الأوروبية	Indo-European Civilizations
الحضارة المينوسية	Minoan Civilization
الحضارة الهيدروليكية	Hydraulic Civilization
حقبة الغابات	Woodland Period
الحقبة الهلنستية	Hellenistic Period
حقوق المِلكية	Property Rights
الحلقات الشجرية	Tree Rings
حلقات النمو	Growth Rings
حوض تصريف النهر	Drainage Basin

خ

خيرسون	Chersonesos
الخيروغرافا	Cheirographa

د

دائرة التفاعل	Interaction Sphere
دراسات الكتاب المقدس	Bibilical Studies
الدراسات الكلاسيكية	Classics
درجة العزم	Moment Magnitude Scale; MMS
الدراخمة (قطعة نقدية)	Drachma
دعاوى المسؤولية الإضافية	Actiones Adiecticiae Qualitatis
الدفع	Forcing
الدفع الإشعاعي	Radiative Forcing
الدفع البركاني	Volanic Forcing
الدفع الشمسي	Solar Forcing
الدفع العالمي	Global Forcing
الدفع المداري	Orbital Forcing
الدفع المداري	Orbital Forcing
الدليل الملاحي	Periplus
دوائر العرض البعيدة	High Latitude
الدوران الإعصاري	Cyclonic Circulation
دورة إراحة الأرض الجرداء لسنتين	Two-Year Bare Fallow Cycle
دورة البقعة الشمسية كل إحدى عشرة سنة	Eleven Year Sunspot Cycle
دورة الحياة المنزلية	Household Life-Cycles
الدورة الدنيا الهومرية	Homeric Minimum
الدورة الشمسية	Solar Minimum
الدورة الشمسية الدنيا الكبرى	Grand Minima
الدورة الميتونية	Metonic Cycle
الدورة الهيدرولوجية	Hydrological Cycle

دورة موندر الشمسية الدنيا	Maunder Minimum
الدول الصغيرة	Microstates
الدولة البلاطية	Palatial Polity
دولة الحالة الطبيعية	Natural State
الدولة المدينية	City-State
الدولة المجزأة	Fragmented State
دولة الوصول المفتوح	Open-Access State
دوم طيبة	Dom Plam
ديلوس	Delos
الدَين القابل للاسترداد	Recoverable Debt
الحركية التاريخية	Cliodynamics

ر

رابطة الحرب-الموارد-العملة	War-Resources-Coinage
رأس المال	Capital
الرائد الثقافي	Cultural Entrepreneur
رسائل حيكاناخت	Heqanakht Letters
رواد الأعمال	Entrepreneurs
الرياح الإيتزية	Etesians

ز

الزراعة الجافة	Dry Farming
الزمن الفينومينولوجي	Phenomenological Time
الزمن الكوزمولوجي	Cosmological Time

س

السامرة	Samaria
سايس	Saïs

السجلات المناخية الناتجة عن التسجيل بالآلات	Instrumental Records
السردية التحليلية	Analytic Narrative
السردية الكبرى	Metanarrative
سرعة الإفلات	Escape Velocity
سلالة أور الثالثة	Ur III
السلام الأوغسطسي	Pax Augusta
السلام الروماني	Pax Romana
السلتيون	Celts
سلسلة الأسعار الديلوسية	Delian Price Series
السلسلة البركانية	Volcanic Sequence
السلطة الشمولية	Total Power
السلعة العامة	Public Good
سلوقية	Seleucia
سلوقية على نهر دجلة	Seleukia-On-The-Tigris
السلوقيون	Seleucids
السمات المنبثقة	Emergent Properties
سمهرم	Sumhuram
السهل	Steppe
سوريك	Soreq
السوق	Market
سومر	Sumeria
سيبار	Sippar
سيبايس (منطقة)	Thebais

السيرابيوم	Serapeum
سيغلوس	Siglos

ش

شبه الجزيرة الأتكية	Attic Peninsula
الشرق الأدنى القديم	Ancient Near East
شريعة حمورابي	Hammurabi Law
شعوب البحر	Sea People
الموقف الصوري	Formalism

ط

طاعون جستنيان	Justinian Plague
الطبيعة الأم	Mother Nature
الطلب	Demand

ظ

الظروف المناخية الجزئية	Microclimatic Conditions
ظفار	Dhofar

ع

عبودية الدَين	Debt Slavery
العبودية المنقولة	Chattel Slavery
العجز الهيدرولوجي	Hydrologic Deficit
عصر الأطلسي	Atlantic
العصر الجليدي	Ice Age
العصر الجليدي الصغير	Little Ice Age
العصر القديم الكلاسيكي	Classical Antiquity
العصر المحوري	Axial Age
عصر الهولوسين	Holcene

عصر الاضمحلال	Intermediate Period
عصر دون الأطلسي	Subatlantic
عصر دون البوريال	Subboreal
عصر فجر السلالات	ED Period
العقد الكامل	Complete Contract
عقد الكوميندا	Commenda Contract
عقد الوثيقة المزدوجة	Double Document Contract
العقلانية الاقتصادية	Economic Rationalism
العقلانية المقيّدة	Bounded Rationality
علامات الحدود	Horoi
العلامة المعدنية	Metal Sign
علم آثار الكتاب المقدس	Biblical Archaeology
علم الآثار المنزلي	Domestic Archaeology
علم الاجتماع الاقتصادي	Economic Sociology
علم الاجتماع المالي	Fiscal Sociology
علم الإحاثة	Paleontology
علم الآشوريات	Assyriology
علم الاقتصاد التطوري	Evolutionary Economics
علم الاقتصاد السلوكي	Behavioral Economics
علم الاقتصاد العصبي	Neuroeconomics
علم الاقتصاد المؤسسي الجديد	New Institutional Economics; NIE
علم الاقتصاد المؤسسي الجديد التاريخي	Historical New Institutional Economics; HNIE
علم الأمراض القديمة	Paleopathology
علم الأوبئة القديمة	Paleoepidemiology

علم البرديات	Papyrology
علم المجالد	Glaciogy
علم المصريات	Egyptology
علم المناخ التاريخي	Historical Climatology
علم النُمّيّات	Numismatics
العمل	Labor
العمل التابع	Dependent Labor
العملة المغلقة	Closed Currency
العموريون	Amorites
عناصر الإنتاج	Factors Of Production
العينة اللبية الجليدية	Ice-Core

غ

الغرامات	Epitima
غرينلاند	Greenland
غورتين	Gortyn
غول حصار (بحيرة)	Gölhisar

ف

فترة الاحترار الوسيطة	Medieval Warm Period
الفترة الدفيئة الرومانية	Roman Warm Period
الفترة السايسية	Saite Period
فترة الشذوذ الدافئ الروماني	Roman Warm Anomaly
الفترة المثلى الكلاسيكية	Classical Optimum
فترة المناخ الأمثل الرومانية	Roman Climate Optimum
الفترة الهادئة الرومانية	Roman Quiet Period
فترة ما بين الجليدين	Interglacial Period

الفخ المالتوسي	Malthusian Trap
الفردية المنهجية	Methodological Individualism
الفضة المجزأة	Hacksilber
الفلستيون	Philistines
الفلسفة المادية	Materialism
الفيرغيلد	Wergeld
الفيزياء الجيولوجية	Geophysics
فيلادلفيا	Philadelphia
الفيلولوجيا	Philology
الفينولوجيا	Phenology
الفينيقيون	Phoenicians

ق

القارية	Continentality
قاضي الصلح	Agoranomos
القانون التجاري	Commercial Law
قانون السوق	Market Law
القانون العادي	Common Law
القانون العام المكتوب	Wittern Public Law
القانون المدني	Civil Law
القانون المرئي	Visible Law
قبل الحاضر	Before Present
القدرة الاستيعابية	Carrying Capacity
القطاع المُوَجَه	Administered Sector
القفص الاجتماعي	Social Cage
قلموس	Kalamos

Emmer Wheat	قمح الإيمر
T. Durum	القمح الصلب
Hulled Wheat	القمح ذو القشرة
Free-Threshing Wheat	القمح سهل الدرس
Cyrenaica	قورينائية
Cyrene	قوريني
Cliometrics	القياس التاريخي
Proxy Measure	القياس التمثيلي
Cilicia	قيليقية
Exchange Value	القيمة التبادلية
Outlier	القيمة الشاذة
Absolute Term	القيمة المطلقة

ك

Carolingians	الكارولينجيون
Kanesh	كانش
Krakato	كراكاتوا
Kleruch	الكليروخ
Cleomenes Of Naukratis	كليومينس النقراطيسي
Knossos	كنوسوس
Mawmluh Cave	كهف ماوملوه
Copais	كوبايس (بحيرة)
Kocain	كوجين (كهف)
Corinth	كورنث
Kos	كوس (جزيرة)
Koletepe	كول تبه

كولانيا	Kullania
كولوميلا	Columella
الكويلي	Koile
الكوينون	Koinon
كيكلاديس (جزر)	Cyclades

ل

لا نينيا	La-Niña
لاريسا (مدينة)	Larisa
اللازمنية	Timelessness
اللاسوق	Non-Market
لاك بيتي (بحيرة)	Lac Petit
اللوياثان	Levathian
ليديا	Lydia
ليقيا	Lycia

م

ما بعد الاستعمار	Postcolonialism
ماغنا غرايسيا	Magna Graecia
متوسط العمر المتوقع عند الميلاد	Life Expectancy At Birth; E0
المجتمعات الهيدروليكية	Hydraulic Societies
المُجَلَّدة	Glacier
المحامي	Advocate
المدى الطويل	Longue Durée
مدينة كانوب	Canopus
المرحلة التَشَرُّقية	Orientalizing Phase
المرسوم الكانوبي	Canopus Decree

المركنتيلية	Mercantilism
المُزارعة	Sharecropping
المشرق	Levant
مشروع الحفر الجليدي في العصر ما بين الجليدي في شمال غرينلاند	North Greenland Eemian Ice Drilling; NEEM
مشروع سشات لقاعدة بيانات المقارنة التاريخية	Seshat Comparative Historical Database Project
مشروع سشات للتاريخ العالمي	Seshat Global History Project
مشروع فيينا لتاريخ بابل الاقتصادي	Vienna Economic History Of Babylonia Project
المصادر الأولية	Primary Sources
المطياف الكتلي البلازمي بالتقارن الحثي	Inductively Coupled Plasma Mass Spectrometers
المعدن المُعَّلم	Signed Metal
معركة أكتيوم	Battle Of Actium
المغالطة البيئية	Ecological Fallacy
المغالطة الوضعية	Positivist Fallacy
مقاييس النيل	Nilometers
مقدونيا القديمة	Macedon
المِلكية الخاصة	Private Property
الممتلكات غير المنقولة	Real Property
المناخات الجزئية	Micro Climates
منازل الخدمة العامة	Service Households
المنازل الضريبية	Tax-Households
المناطق الجغرافيا الطبيعية	Natural Geographic Areas; Ngas
المناطق الشاسعة	Super-Regions
المناطق الصغيرة	Microregions

المناطق حرة الشكل	Free Form Areas; Ffas
منحنى السواء	Indifference Curve
منديس (مدينة)	Mendes
المنزل	Household
المنزل الفلاحي	Peasant Household
منطقة البحر الأبيض المتوسط الجبلية	Mountain-Mediterranean
منطقة البحر الأبيض المتوسط الحارة	Thermo-Mediterranean
منطقة البحر الأبيض المتوسط الدنيا	Infra-Mediterranean
منطقة البحر الأبيض المتوسط العلوية	Supra-Mediterranean
منطقة البحر الأبيض المتوسط الوسطى	Meso-Mediterranean
المنطقة الطيبية	Thebaid
المنفعة	Utility
الموارد حرة الطفو	Free-Floating Resources
موزيريس	Muziris
المؤسسات	Institutions
المؤسسات الانتزاعية	Extractive Institutions
المؤسسات الدمجية	Inclusive Institutions
الموقف البدائي	Primitivist Position
الموقف التشاؤمي	Pessimist
الموقف التفاؤلي	Optimist
الموقف الحداثي	Modernist Position
موكناي	Mycenae
مونس كلوديانوس	Mons Claudianus
ميلوس	Melos

ميليتوس	Miletus

ن

الناتج لكل فرد	Per Capita Output
نبوءة الخزاف (كتاب)	Oracle Of The Potter
نشاط البقعة الشمسية	Sunspot Activity
النشاط اللاسوقي	Non-Market Activity
النشوء الإعصاري	Cyclogenesis
نطاق التقارب بين المدارين	Intertropical Convergence Zone; ITCZ
النطاق الحضاري	Civilizational Scale
النطاق الزمني	Timescale
النظام الجبائي	Fiscal Regime
نظام الحث التبادلي الطبيعي-البشري	Coupled Human-Natural System
النظام المالي	Fiscal Regime
نظام المحيط الهندي	Indian Ocean System
نظام المعلومات الجغرافية	GIS Mapping Technologies
نظام الميراث التقسيمي	Partible Inheritance System
نظرية الاختيار العقلاني	Rational Choice Theory
النظرية الاقتصادية الكلاسيكية الجديدة	Neoclassical Economic Theory
نظرية الألعاب	Game Theory
نظرية الانتقاء متعدد المستويات	Multi-Level Selection Theory
النظرية التطورية الثقافية	Cultural Evolutionary Theory
النظرية الجليدية	Glacial Theory
النظرية السكانية البنيوية	Structural-Demographic Theory
نظرية النظم العالمية	World Systems Theory
النظم البيئية الطبيعية	Natural Ecosystems

النقد	Money
النقد الائتماني	Credit-Money
النقد الحسابي	Money Of Account
السمة النقدية	Moneyness
نقراطيس	Naukratis
نماذج إعادة تحليل المناخ	Climate Reanalysis Models
النمذجة الحركية	Dynamic Modeling
نمط الإنتاج الآسيوي	Asiatic Mode Of Production
نمط الإنتاج الفلاحي	Peasant Mode Of Production
نمط الإنتاج المنزلي	Domestic Mode Of Production
النمو الاقتصادي الحقيقي	Real Economic Growth
النمو الانتشاري	Extensive Growth
النمو الحقيقي لكل فرد	Real Per Capita Growth
النمو المُرَكّز	Intensive Growth
نموذج إعادة تحليل نظام التنبؤ بالمناخ	Climate Forwcast System Reanalysis; CFSR
النموذج الاقتصادي الجمعي	Plural Economic Model
نموذج القوة الأيديولوجية والاقتصادية والعسكرية والسياسية	Ideological, Economic, Military, Political Power; IEMP
نموذج العامل الداخلي	Endogenous Model
نهر مياندر	Maeander
نوبات الجفاف الشديد	Megadroughts
النورمان	Normans
النوم	Nome
نيابوليس	Neaplois

نيبورا	Nippura

هـ

الهان	Han
هجر	Hagar
هرقليوبوليس (مدينة)	Heracleopolis
هرقليوبوليس ماغنا (مدينة)	Heracleopolis Magna
هرقليون	Herakleion
الهندسة الرياضية	Mathematical Engineering
هيرموبوليس	Hermopolis
هيفيستوس	Hephaistos

و

الموقف الفعلي	Substantivism
وثائق الجنيزة	Geniza Documents
الوجهاء القانونيون	Legal Honoratiores

ي

يانوس	Janus
اليرسينيا الطاعونية	Yersinia Pestis
يهوذا	Judah
اليورغيتيزم	Euergetism
يوسبيريديس	Euesperides
اليونان البرية	Mainland Greece
اليونان الموكناوية	Mycenaean Greece

ثانياً: إنجليزي-عربي

A

Absolute Term	القيمة المطلقة
Abydos	أبيدوس
Actiones Adiecticiae Qualitatis	دعاوى المسؤولية الإضافية
Administered Sector	القطاع المُوَجَه
Advocate	المحامي
Aegina	أجانيطس
Aeolia	أيوليا
Agora	الأغورا
Agoranomos	قاضي الصلح
Alluvium-Focused Empires	الإمبراطوريات المتمركزة حول الغرين
Amorites	العموريون
Amphora	الأمفورة
Analytic Narrative	السردية التحليلية
Ancient Economy	الاقتصاد القديم
Ancient Near East	الشرق الأدنى القديم
Ancient/Modern	تضاد القديم/ الحديث
Anthropogenic Climate Change	التغير المناخي الناشئ عن البشر
Antigonides	الأنتيغونيون
Antikythera	أنتيكيثيرا (جزيرة)
Aphroditopolis	أفروديتوبوليس
Apollinopolis-The-Great	أبولينوبوليس الكبرى
Apololonia	أبولونيا
Arc-Second	الثانية القوسية

Artab	الأردب
Arthashastra	أرتهاشاسترا
Asia Minor	آسيا الصغرى
Asiatic Mode Of Production	نمط الإنتاج الآسيوي
Assyria	آشور
Assyriology	علم الآشوريات
Atlantic	عصر الأطلسي
Attic Peninsula	شبه الجزيرة الأتكية
Attica	أتيكا
Axial Age	العصر المحوري
Aztecs	الأزتك

B

Babylon	بابل
Bactria	باختر
Bank	البنك
Barca	برقة
Battle Of Actium	معركة أكتيوم
Before Present	قبل الحاضر
Behavioral Economics	علم الاقتصاد السلوكي
Berenike	برنيكي
Bibilical Literature	أدبيات الكتاب المقدس
Bibilical Studies	دراسات الكتاب المقدس
Biblical Archaeology	علم آثار الكتاب المقدس
Big History	التاريخ الكبير
Big Think	التفكير الكبير

بويوتيا	Boeotia
بورسيبا	Borsippa
العقلانية المقيّدة	Bounded Rationality
ثورة الملاكمين	Boxer Rebellion
انهيار العصر البرونزي	Bronze Age Collapse
تبني البيروقراطية	Bureaucratization
بيبلوس	Byblos

C

مدينة كانوب	Canopus
المرسوم الكانوبي	Canopus Decree
رأس المال	Capital
الانطلاقة الرأسمالية	Capitalist Takeoff
الكارولينجيون	Carolingians
القدرة الاستيعابية	Carrying Capacity
السلتيون	Celts
آسيا الوسطى	Central Asia
العبودية المنقولة	Chattel Slavery
الخيروغرافا	Cheirographa
خيرسون	Chersonesos
قيليقية	Cilicia
الدولة المدينية	City-State
القانون المدني	Civil Law
النطاق الحضاري	Civilizational Scale
العصر القديم الكلاسيكي	Classical Antiquity
الفترة المثلى الكلاسيكية	Classical Optimum

تضاد الكلاسيكي/ الشرق الأدنى	Classical/Near Eastern
الدراسات الكلاسيكية	Classics
كليومينس النقراطيسي	Cleomenes Of Naukratis
التغير المناخي	Climate Change
نموذج إعادة تحليل نظام التنبؤ بالمناخ	Climate Forwcast System Reanalysis; Cfsr
نماذج إعادة تحليل المناخ	Climate Reanalysis Models
تفاوت المناخ	Climate Variability
التدهور المناخي	Climatic Deterioration
الحركية التاريخية	Cliodynamics
القياس التاريخي	Cliometrics
العملة المغلقة	Closed Currency
التطور المتلازم	Coevolution
كولوميلا	Columella
عقد الكوميندا	Commenda Contract
القانون التجاري	Commercial Law
التتجير	Commercialization
التبادل السلعي	Commodity Exchange
القانون العادي	Common Law
العقد الكامل	Complete Contract
اقتصاد التعقيد	Complexity Economics
التصوير المقطعي الحاسوبي	Computed Tomography
القارية	Continentality
الالتزامات المحتملة المعلقة	Contingent Obligations Outstanding
التقارب	Convergence

الابتراد	Cooling
كوبايس (بحيرة)	Copais
كورنث	Corinth
الزمن الكوزمولوجي	Cosmological Time
نظام الحث التبادلي الطبيعي-البشري	Coupled Human-Natural System
النقد الائتماني	Credit-Money
التلاقح الثقافي	Cross-Cultural Exchange
الرائد الثقافي	Cultural Entrepreneur
النظرية التطورية الثقافية	Cultural Evolutionary Theory
كيكلاديس (جزر)	Cyclades
النشوء الإعصاري	Cyclogenesis
الدوران الإعصاري	Cyclonic Circulation
قورينائية	Cyrenaica
قوريني	Cyrene

D

عبودية الدَين	Debt Slavery
التواريخ العميقة	Deep Histories
سلسلة الأسعار الديلوسية	Delian Price Series
ديلوس	Delos
الطلب	Demand
العمل التابع	Dependent Labor
ظفار	Dhofar
الافتراق	Divergence
دوم طيبة	Dom Plam
علم الآثار المنزلي	Domestic Archaeology

Domestic Mode Of Production	نمط الإنتاج المنزلي
Double Document Contract	عقد الوثيقة المزدوجة
Double Sea Exposure	التعرض البحري المزدوج
Drachma	الدراخمة (قطعة نقدية)
Drainage Basin	حوض تصريف النهر
Dry Farming	الزراعة الجافة
Dust Veil	حجاب الغبار
Dynamic Modeling	النمذجة الحركية
Dynamism	الحركية

E

Ecological Fallacy	المغالطة البيئية
Economic Anthropology	الأنثروبولوجيا الاقتصادية
Economic History	التاريخ الاقتصادي
Economic Rationalism	العقلانية الاقتصادية
Economic Sociology	علم الاجتماع الاقتصادي
Economie Royale	الاقتصاد المَلكي
Ed Period	عصر فجر السلالات
Effusive Eruption	الثوران التدفقي
Egyptology	علم المصريات
Eisphora	الآيسفورا (ضريبة)
El Nino	إل نينيو
Eldgja	بركان إلدجا
Eleven Year Sunspot Cycle	دورة البقعة الشمسية كل إحدى عشرة سنة
El-Niño Southern Oscillation; Enso	التذبذب الجنوبي إل نينيو
Embeddedness	الانضواء

السمات المنبثقة	Emergent Properties
قمح الإيمر	Emmer Wheat
الإمبوريون	Emporion
الإمبتيو فينديتيو (عقد)	Emptio-Venditio
التسييج	Enclosure
نموذج العامل الداخلي	Endogenous Model
رواد الأعمال	Entrepreneurs
الحتمية البيئية	Environmental Determinism
إفسوس	Ephesos
الإبيغرافيا	Epigraphy
الغرامات	Epitima
سرعة الإفلات	Escape Velocity
إسكي أجيغول (بحيرة)	Eski Acigol
الرياح الإيتزية	Etesians
الإثنية	Ethnicity
الإثنوغراغيا	Ethnography
بركان جبل إتنا	Etna Mount
الإتروسكانيون	Etruscans
اليورغيتيزم	Euergetism
يوسبيريديس	Euesperides
أوراسيا	Eurasia
علم الاقتصاد التطوري	Evolutionary Economics
القيمة التبادلية	Exchange Value
الثوران البركاني الانفجاري	Explosive Volcanic Eruptions

النمو الانتشاري	Extensive Growth
المؤسسات الانتزاعية	Extractive Institutions

F

عناصر الإنتاج	Factors Of Production
النظام المالي	Fiscal Regime
علم الاجتماع المالي	Fiscal Sociology
تفاوت الفيضان	Flood Varability
الدفع	Forcing
الموقف الصوري	Formalism
تشكُّل الأسعار	Formation Of Price
الدولة المجزأة	Fragmented State
المناطق حرة الشكل	Free Form Areas; Ffas
الموارد حرة الطفو	Free-Floating Resources
القمح سهل الدرس	Free-Threshing Wheat
النظام الجبائي	Fiscal Regime

G

نظرية الألعاب	Game Theory
بلاد الغال	Gaul
وثائق الجنيزة	Geniza Documents
الحتمية الجغرافية	Geographical Determinism
التاريخ الجيولوجي	Geohistory
الفيزياء الجيولوجية	Geophysics
التفاوت الجغرافي-المكاني	Geospatial Variability
التصدق	Gift-Giving
نظام المعلومات الجغرافية	Gis Mapping Technologies

النظرية الجليدية	Glacial Theory
المُجَلَّدة	Glacier
علم المجالد	Glaciogy
الدفع العالمي	Global Forcing
التاريخ العالمي	Global History
الاحترار العالمي	Global Warming
الاقتصاد المعتدل	Goldilocks Economy
غول حصار (بحيرة)	Gölhisar
غورتين	Gortyn
الدورة الشمسية الدنيا الكبرى	Grand Minima
الجدل الكبير	Great Debate
الافتراق الكبير	Great Divergence
غرينلاند	Greenland
حلقات النمو	Growth Rings

H

الفضة المجزأة	Hacksilber
هجر	Hagar
شريعة حمورابي	Hammurabi Law
الهان	Han
الحقبة الهلنستية	Hellenistic Period
هيفيستوس	Hephaistos
رسائل حيكاناخت	Heqanakht Letters
بردية حيكاناخت	Heqanakht Papyri
هرقليوبوليس (مدينة)	Heracleopolis
هرقليوبوليس ماغنا (مدينة)	Heracleopolis Magna

هرقليون	Herakleion
هيرموبوليس	Hermopolis
دوائر العرض البعيدة	High Latitude
البيانات عالية الوضوح	High Resolution Data
علم المناخ التاريخي	Historical Climatology
البيانات التمثيلية عالية الوضوح	High Resolution Proxy Data
البيانات التمثيلية المناخية عالية الوضوح	High Resolution Climate Proxy Data
علم الاقتصاد المؤسسي الجديد التاريخي	Historical New Institutional Economics; Hnie
عصر الهولوسين	Holcene
الدورة الدنيا الهومرية	Homeric Minimum
علامات الحدود	Horoi
المنزل	Household
دورة الحياة المنزلية	Household Life-Cycles
الإدارة المنزلية	Household Management
بركان واينابوتينا	Huaynaputina
القمح ذو القشرة	Hulled Wheat
الحالة الإنسانية	Human Condition
البيروقراطية الهيدروليكية	Hydraulic Bureaucracy
الحضارة الهيدروليكية	Hydraulic Civilization
الإمبراطورية الهيدروليكية	Hydraulic Empire
المجتمعات الهيدروليكية	Hydraulic Societies
العجز الهيدرولوجي	Hydrologic Deficit
الدورة الهيدرولوجية	Hydrological Cycle

I

العصر الجليدي	Ice Age

الأنقاض المجروفة في الجليد	Ice Rafted Debris
العينة اللبية الجليدية	Ice-Core
نموذج القوة الأيديولوجية والاقتصادية والعسكرية والسياسية	Ideological, Economic, Military, Political Power; Iemp
الحروب الإيليرية	Illyrian Wars
الإمبريالية	Imperialism
المؤسسات الدمجية	Inclusive Institutions
نظام المحيط الهندي	Indian Ocean System
منحنى السواء	Indifference Curve
الحضارات الهندية-الأوروبية	Indo-European Civilizations
المطياف الكتلي البلازمي بالتقارن الحثي	Inductively Coupled Plasma Mass Spectrometers
منطقة البحر الأبيض المتوسط الدنيا	Infra-Mediterranean
التعرض للشمس	Insolation
التغير المؤسسي	Institutional Change
المؤسسات	Institutions
التسجيل المناخي بالآلات	Instrumental Record Keeping
السجلات المناخية الناتجة عن التسجيل بالآلات	Instrumental Records
النمو المُرَكّز	Intensive Growth
دائرة التفاعل	Interaction Sphere
أدوات الدَين بفائدة	Interest-Bearing Debt Instruments
فترة ما بين الجليدين	Interglacial Period
عصر الاضمحلال	Intermediate Period
نطاق التقارب بين المدارين	Intertropical Convergence Zone; Itcz

Intraregional Trade	التجارة داخل المنطقة
Investment	الاستثمار
Invisible Economy	الاقتصاد الخفي
Ionians	الإيونيون
Iron Age Recovery	تعافي العصر الحديدي
Iron Age Revolution	ثورة العصر الحديدي
Isin	إيسن (موقع أثري)
Isis	إيزيس
Isotope Analysis	تحليل النظائر

J

Janus	يانوس
Judah	يهوذا
Justinian	جستنيان
Justinian Plague	طاعون جستنيان

K

Kalamos	قلموس
Kanesh	كانش
Katmai	بركان كاتماي
Kiloannus; Ka	ألف سنة، أ.س
Kleruch	الكليروخ
Kleruchy Plot	أراضي التوطين
Knossos	كنوسوس
Kocain	كوجين (كهف)
Koile	الكويلي
Koinon	الكوينون

Koletepe	كول تبه
Kos	كوس (جزيرة)
Krakato	كراكاتوا
Kullania	كولانيا

L

La Tène Culture	ثقافة لاتين
Labor	العمل
Lac Petit	لاك بيتي (بحيرة)
Lake Van	بحيرة وان
Laki	بركان لاكي
La-Niña	لا نينيا
Larisa	لاريسا (مدينة)
Late Bronze Age Collapse	انهيار العصر البرونزي المتأخر
Legal Honoratiores	الوجهاء القانونيون
Levant	المشرق
Levathian	اللوياثان
Life Expectancy At Birth; E0	متوسط العمر المتوقع عند الميلاد
Little Ice Age	العصر الجليدي الصغير
Locked In Effects	تأثيرات الاحتباس
Longue Durée	المدى الطويل
Lycia	ليقيا
Lydia	ليديا

M

Maccabean Revolt	ثورة المكابيين
Macedon	مقدونيا القديمة

الاقتصاد الكلي	Macroeconomic
نهر مياندر	Maeander
ماغنا غرايسيا	Magna Graecia
اليونان البرية	Mainland Greece
الفخ المالتوسي	Malthusian Trap
السوق	Market
اقتصاد السوق	Market Economy
التبادل السوقي	Market Exchange
اندماج الأسواق	Market Integration
قانون السوق	Market Law
تضاد السوق/ اللاسوق	Market/Non-Market
التحليل السوقي	Market-Based Analysis
التجارة اللاسوقية	Marketless Trading
الفلسفة المادية	Materialism
الهندسة الرياضية	Mathematical Engineering
دورة موندر الشمسية الدنيا	Maunder Minimum
كهف ماوملوه	Mawmluh Cave
تصميم الآلية	Mechanism Design
فترة الاحترار الوسيطة	Medieval Warm Period
تذبذب البحر الأبيض المتوسط	Mediterranean Oscillation
وحدة البحر الأبيض المتوسط	Mediterraneanism
اندماج البحر الأبيض المتوسط	Mediterraneanization
الإمبراطوريات الضخمة	Mega Empires
التواريخ الضخمة	Mega Histories

نوبات الجفاف الشديد	Megadroughts
ميلوس	Melos
منديس (مدينة)	Mendes
المركنتيلية	Mercantilism
منطقة البحر الأبيض المتوسط الوسطى	Meso-Mediterranean
الجماعة متجاوزة الإثنية	Metaethnic Commuity
العلامة المعدنية	Metal Sign
السردية الكبرى	Metanarrative
جدل المنهج	Methodenstreit
الفردية المنهجية	Methodological Individualism
الدورة الميتونية	Metonic Cycle
المناخات الجزئية	Micro Climates
الظروف المناخية الجزئية	Microclimatic Conditions
التحليل الاقتصادي الجزئي	Microeconomic Analysis
التاريخ الجزئي	Microhistory
المناطق الصغيرة	Microregions
الدول الصغيرة	Microstates
ميليتوس	Miletus
الحضارة المينوسية	Minoan Civilization
جداول متوسط الحياة القياسي	Model Life Tables
الموقف الحداثي	Modernist Position
الحداثة	Modernity
التحديث	Modernization
درجة العزم	Moment Magnitude Scale; Mms

التحول النقدي	Monetization
النقد	Money
النقد الحسابي	Money Of Account
السمة النقدية	Moneyness
مونس كلوديانوس	Mons Claudianus
الطبيعة الأم	Mother Nature
جبل لوغان	Mount Logan
بركان جبل بيناتوبو	Mount Pinatubo
ثوران بركان جبل تمبورا	Mount Tambora
منطقة البحر الأبيض المتوسط الجبلية	Mountain-Mediterranean
نظرية الانتقاء متعدد المستويات	Multi-Level Selection Theory
تذاكر المومياوات	Mummy Tickets
موزيريس	Muziris
موكناي	Mycenae
اليونان الموكناوية	Mycenaean Greece

N

النظم البيئية الطبيعية	Natural Ecosystems
المناطق الجغرافيا الطبيعية	Natural Geographic Areas; Ngas
دولة الحالة الطبيعية	Natural State
نقراطيس	Naukratis
نيابوليس	Neaplois
التحليل الكلاسيكي الجديد	Neoclassical Analysis
النظرية الاقتصادية الكلاسيكية الجديدة	Neoclassical Economic Theory
ثورة العصر الحجري الحديث	Neolithic Revolution
تحليل الشبكات	Network Analysis

علم الاقتصاد العصبي	Neuroeconomics
التاريخ المالي الجديد	New Fiscal History
التاريخ الاقتصادي المؤسسي الجديد	New Institutional Economic History; Nieh
علم الاقتصاد المؤسسي الجديد	New Institutional Economics; Nie
التاريخ الاجتماعي الجديد	New Social History
مقاييس النيل	Nilometers
نيبورا	Nippura
النوم	Nome
اللاسوق	Non-Market
النشاط اللاسوقي	Non-Market Activity
النورمان	Normans
تذبذب شمال الأطلسي	North Atlantic Oscillation; Nao
مشروع الحفر الجليدي في العصر ما بين الجليدي في شمال غرينلاند	North Greenland Eemian Ice Drilling; Neem
علم النُمّيّات	Numismatics

O

أوديسا (مدينة)	Odessa
أويكونوميكا	Oeconomica
أويكونوميكوس (كتاب)	Oeconomicus
الأويكوس	Oikos
تضاد المنزل/ المدينة	Oikos/Polis
الأويكومن	Oikoumenē
أولينثوس (مدينة)	Olynthos
دولة الوصول المفتوح	Open-Access State
الموقف التفاؤلي	Optimist

نبوءة الخزاف (كتاب)	Oracle Of The Potter
الدفع المداري	Orbital Forcing
الدفع المداري	Orbital Forcing
الاقتصادات العضوية	Organic Economies
الاستبداد الشرقي	Oriental Despotism
المرحلة التَشَرُّقية	Orientalizing Phase
الأوستراكا	Ostraca
القيمة الشاذة	Outlier

P

الاقتصاد البلاطي	Palace Economy
الدولة البلاطية	Palatial Polity
البيولوجيا القديمة	Paleobiology
علم الأوبئة القديمة	Paleoepidemiology
البليوغرافيا	Paleography
علم الإحاثة	Paleontology
علم الأمراض القديمة	Paleopathology
علم البرديات	Papyrology
البارثيون	Parthians
نظام الميراث التقسيمي	Partible Inheritance System
اتفاقات الشراكة	Partnership Agreements
باثيريس	Pathyris
الباتريمونية	Patrimonialism
السلام الأوغسطي	Pax Augusta
السلام الروماني	Pax Romana
المنزل الفلاحي	Peasant Household

نمط الإنتاج الفلاحي	Peasant Mode Of Production
الحرب البيلوبونيزية	Peloponnesian War
بيلوسيون	Pelousion
الناتج لكل فرد	Per Capita Output
بيرغاموم	Pergamum
التحقيب	Periodization
الدليل الملاحي	Periplus
الموقف التشاؤمي	Pessimist
تضاد الموقف التشاؤمي/ الموقف التفاؤلي	Pessimists/Optimists
الفينولوجيا	Phenology
الزمن الفينومينولوجي	Phenomenological Time
فيلادلفيا	Philadelphia
الفلستيون	Philistines
الفيلولوجيا	Philology
الفينيقيون	Phoenicians
بي-رمسيس	Piramesses
بليني الأصغر	Pliny The Younger
النموذج الاقتصادي الجمعي	Plural Economic Model
الاقتصاد السياسي	Political Economy
التحول السياسي	Political Transformation
بومبي	Pompeii
تأثيرات الحقيبة	Portfolio Effects
المغالطة الوضعية	Positivist Fallacy
ما بعد الاستعمار	Postcolonialism

Price-Setting Markets	أسواق تحديد الأسعار
Primary Sources	المصادر الأولية
Primitive-Modern Framework	إطار البدائي-الحديث
Primitivism/Modernism	تضاد البدائية/ الحداثة
Primitivist Position	الموقف البدائي
Private Associations	الجمعيات الخاصة
Private Property	المِلكية الخاصة
Private/Public	تضاد الخاص/ العام
Property Rights	حقوق المِلكية
Proxy Data	البيانات التمثيلية
Proxy Measure	القياس التمثيلي
Ptolemais	بطوليمايس
Ptolemais Hermiou	بطوليمايس هيرميو
Ptolemies	البطالمة
Public Good	السلعة العامة
Punic Wars	الحروب البونيقية
Pylos	بيلوس
Pytheas	بيثياس

R

Radiative Forcing	الدفع الإشعاعي
Rational Choice Theory	نظرية الاختيار العقلاني
Rational/Irrational	تضاد العقلاني/ اللاعقلاني
Real Economic Growth	النمو الاقتصادي الحقيقي
Real Per Capita Growth	النمو الحقيقي لكل فرد
Real Property	الممتلكات غير المنقولة

الدَين القابل للاسترداد	Recoverable Debt
اقتصاد إعادة التوزيع	Redistribution Economy
جمهورية الرسائل	Republic Of Letters
التاريخ الارتجاعي	Retrospective History
فترة المناخ الأمثل الرومانية	Roman Climate Optimum
الفترة الهادئة الرومانية	Roman Quiet Period
فترة الشذوذ الدافئ الروماني	Roman Warm Anomaly
الفترة الدفيئة الرومانية	Roman Warm Period

S

سايس	Saïs
الفترة السايسية	Saite Period
السامرة	Samaria
شعوب البحر	Sea People
ثورة المنتجات الثانوية	Secondary Products Revolution
التجارة التتابعية	Segmented Trade
سلوقية	Seleucia
السلوقيون	Seleucids
سلوقية على نهر دجلة	Seleukia-On-The-Tigris
السيرابيوم	Serapeum
منازل الخدمة العامة	Service Households
مشروع سشات لقاعدة بيانات المقارنة التاريخية	Seshat Comparative Historical Database Project
مشروع سشات للتاريخ العالمي	Seshat Global History Project
المُزارعة	Sharecropping
سيغلوس	Siglos
المعدن المُعَّلم	Signed Metal

Silverization	التعامل بالفضة
Sippar	سيبار
Social Cage	القفص الاجتماعي
Social Reproduction	إعادة الإنتاج الاجتماعي
Solar Forcing	الدفع الشمسي
Solar Irradiance	الإشعاع الشمسي
Solar Minimum	الدورة الشمسية
Solar Sunspot Minimum	البقعة الشمسية الدنيا
Soreq	سوريك
Status/Contract	تضاد المكانة/ العقد
Steppe	السهل
Strategos	الاستراتيجوس
Structural Continuity	الاستمرارية البنيوية
Structural-Demographic Theory	النظرية السكانية البنيوية
Structures	الأبنية
Subatlantic	عصر دون الأطلسي
Subboreal	عصر دون البوريال
Subsistence Wage	الأجر بالإعالة
Substantivism	الموقف الفعلي
Substantivism/Formalism	تضاد الموقف الفعلي/ الموقف الصوري
Sulfate Aerosols	الأهباء الكبريتية
Sumeria	سومر
Sumhuram	سمهرم
Sunspot Activity	البقعة الشمسية

نشاط البقعة الشمسية	Sunspot Activity
المناطق الشاسعة	Super-Regions
منطقة البحر الأبيض المتوسط العلوية	Supra-Mediterranean
الحروب السورية	Syrian Wars

T

القمح الصلب	T. Durum
تانيس	Tanis
المنازل الضريبية	Tax-Households
تبتونيس	Tebtunis
الارتباطات البعيدة	Teleconnection
أواسط الناس	The Middling Sort Of People
الحروب البيلوبونيزية	The Peloponnesian Wars
المنطقة الطيبية	Thebaid
سيبايس (منطقة)	Thebais
منطقة البحر الأبيض المتوسط الحارة	Thermo-Mediterranean
ثيساليا	Thessalia
ثيسالي	Thessaly
ثينيس	Thinis
ثمويس	Thmuis
ثولثيس (قرية)	Tholthis
ثونيس	Thonis
ثيوسيديديس	Thucydides
اللازمنية	Timelessness
النطاق الزمني	Timescale
تيرينس	Tiryns

السلطة الشمولية	Total Power
الحلقات الشجرية	Tree Rings
اقتصاد الاتاوة	Tributary Economy
الاتسونامي	Tsunami
الثورة التيودورية	Tudor Revolution
الألواح الاثني عشر	Twelve Tables
دورة إراحة الأرض الجرداء لسنتين	Two-Year Bare Fallow Cycle

U

أوغاريت	Ugarit
التوازي العالمي	Universal Parallelism
سلالة أور الثالثة	Ur Iii
التحضر	Urbanization
أوروك	Uruk
تضاد قيمة الاستخدام/ القيمة التبادلية	Use-Value/Exchange Value
المنفعة	Utility
أوتو (مدينة)	Utu

V

التفاوت	Variability
مشروع فيينا لتاريخ بابل الاقتصادي	Vienna Economic History Of Babylonia Project
القانون المرئي	Visible Law
الدفع البركاني	Volanic Forcing
السلسلة البركانية	Volcanic Sequence

W

الاحترار	Warming
رابطة الحرب-الموارد-العملة	War-Resources-Coinage

حراس البحر	Watchers Of The Sea
تقرير وينامون	Wenamun Report
الفيرغيلد	Wergeld
تضاد الغرب/ الشرق	West/East
القانون العام المكتوب	Wittern Public Law
حقبة الغابات	Woodland Period
نظرية النظم العالمية	World Systems Theory

Y

اليرسينيا الطاعونية	Yersinia Pestis

كشاف الموضوعات

د

ر

ز

س

غ

ف

ن